

﴿سورة الفاتحة﴾

سميت هذه السورة بالفاتحة؛ لأنه يفتح بها القرآن العظيم، وتسمى المثاني؛ لأنها تقرأ في كل ركعة، ولها أسماء أخرى.

(١) أبتدئ قراءة القرآن باسم الله مستعيناً به، ﴿الله﴾ علم على الرب - تبارك وتعالى - المعبود بحق دون سواه، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه.

﴿الرحمن﴾ ذي الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين، وهما اسمان من أسمائه تعالى، يتضمنان إثبات صفة الرحمة لله تعالى، كما يليق بجلاله.

(٢) الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وينعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية. وفي ضمنه أمر عباده أن يحمده، فهو المستحق له وحده، وهو سبحانه المنشئ للخلق، القائم بأمورهم، المربي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح.

(٣) ﴿الرحمن﴾ ذي الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين، وهما اسمان من أسماء الله تعالى.

(٤) وهو سبحانه وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال.

وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من

صلواته تذكير له باليوم الآخر، وحث له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكف عن المعاصي والسيئات.

(٥) إنا نخصك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة.

وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة كالدعاء، والاستغاثة، والذبح، والطواف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير الله، ومن أمراض الرياء، والعجب، والكبرياء.

(٦) دُنا وأرشدنا، ووفقنا إلى الطريق المستقيم، وثبتنا عليه حتى نلذك، وهو الإسلام الذي هو الطريق الواضح الموصل إلى رضوان الله وإلى جنته، الذي دل عليه خاتم رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، فلا سبيل إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه.

(٧) طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا من سلك طريق الغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن كان على شاكلتهم، والضالين، وهم الذين لم يبتدوا عن جهل منهم، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن اتبع سنتهم.

وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجحود والجهل والضلال، ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق هي نعمة الإسلام، فمن كان أعرف للحق وأتبع له، كان أولى بالصراف المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أولى الناس بذلك بعد الأنبياء عليهم السلام، فدلّت الآية على فضلهم، وعظيم منزلتهم، رضي الله عنهم.

ويستحب للقارئ أن يقول في الصلاة بعد قراءة الفاتحة: (آمين)، ومعناها: اللهم استجب، وليست آية من سورة الفاتحة باتفاق العلماء؛ ولهذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف.

﴿سورة البقرة﴾

(١) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطعة في أوائل السور، فيها إشارة إلى إعجاز القرآن؛ فقد وقع به تحدي المشركين، فعبّزوا عن معارضته، وهو مركّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. فدلّ عجز العرب عن الإتيان بمثله - مع أنهم أفصح الناس - على أن القرآن وحي من الله.

(٢) ذلك القرآن هو الكتاب العظيم الذي لا شك أنه من عند الله، فلا يصحّ أن يرتاب فيه أحد لوضوحه، ينتفع به المتقون بالعلم النافع والعمل الصالح، وهم الذين يخافون الله، ويتبعون أحكامه.

(٣) وهم الذين يُصدّقون بالغيب الذي لا تدركه حواسهم ولا عقولهم وحدها؛ لأنه لا يُعرف إلا بوحي الله إلى رسله، مثل الإيمان بالملائكة، والجنة، والنار، وغير ذلك مما أخبر الله به أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، (والإيمان: كلمة جامعة للإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتصديق الإقرار بالقول والعمل بالقلب واللسان والجوارح) وهم مع تصديقهم بالغيب يحافظون على أداء الصلاة في مواقيتها أداءً صحيحاً وفق ما شرع الله لنبيه

محمد صلى الله عليه وسلم، ومما أعطيناهم من المال يخرجون صدقة أموالهم الواجبة والمستحبة.

(٤) والذين يُصدّقون بما أنزل إليك أيها الرسول من القرآن، وبما أنزل إليك من الحكمة، وهي السنة، وبكل ما أنزل من قبلك على الرسل من كتب، كالنوراة والإنجيل وغيرهما، ويُصدّقون بدار الحياة بعد الموت وما فيها من الحساب والجزاء، تصديقاً بقلوبهم يظهر على ألسنتهم وجوارحهم. وخص يوم الآخرة بالذكر؛ لأن الإيمان به من أعظم البواعث على فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، ومحاسبة النفس.

(٥) أصحاب هذه الصفات على نور من ربهم ويتوفّق من خالقهم وهادهم، وهم الفائزون الذين أدركوا ما طلبوا، ونجّوا من شرّ ما نهى هربوا.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُمَّ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
 لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ بِمَا أَنْزَلَ
 إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَلَا آخِرَةَ هُمْ يُؤْتُونَ
 أَوْلِيَّكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(٦) إِنَّ الَّذِينَ جَعَلُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ استِكْبَارًا وَطُغْيَانًا، لَنْ يَفْعَ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ، سِوَاءِ أَخَوْتِهِمْ وَحَذَرْتَهُمْ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، أَمْ تَرَكَ ذَلِكَ، لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ.

(٧) طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غُطَاءً؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، فَلَمْ يَوْفَقِهِمْ لِلْهُدَى، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(٨) وَمِنَ النَّاسِ فَرِيقٌ يَتَرَدَّدُ مَتَحِيرًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْإِسْتِغْنَاءِ عَنْ اللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُمْ فِي بَاطِلِهِمْ كَاذِبُونَ لَمْ يُؤْمِنُوا.

(٩) يَعْتَقِدُونَ بِجَهْلِهِمْ أَنَّهُمْ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِإِظْهَارِهِمُ الْإِيمَانَ وَإِضَارِهِمُ الْكُفْرَ، وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَاقِبَةُ خِدَاعِهِمْ تَعُودُ عَلَيْهِمْ. وَمِنْ فِرْطِ جَهْلِهِمْ لَا يُحْسِنُونَ بِذَلِكَ؛ لِفَسَادِ قُلُوبِهِمْ.

(١٠) فِي قُلُوبِهِمْ شُكٌّ وَفَسَادٌ فَاتَّبَلُوا بِالْمَعَاصِي الْمَوْجِبَةِ لِعُقُوبَتِهِمْ، فَزَادَهُمُ اللَّهُ شُكًّا، وَهُمْ عُقُوبَةُ مُوَجَّعَةٌ؛ بِسَبَبِ كُذْبِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ.

(١١) وَإِذَا نُصِّحُوا لِيَكْفُوا عَنِ الْإِفْسَادِ فِي

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسِوَاكَ عَلَيْهِمْ أَندَرُ زُرَّهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غُشُوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢ وَمِنَ الَّذِينَ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٣ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٤ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُمَاسُكُوا يَكَادُ بَورُت ٥ وَلَاقِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ٦ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ٧ وَلَاقِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ٨ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ٩ وَلَاقِيلَ قُلُوبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُلُوبًا لَّوْءًا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ١٠ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدِّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوْا أَصْلَابَهُمُ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِيحَتِ تَجِدُ زُرَّهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ١٢

الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَوَالَةِ الْكَافِرِينَ، قَالُوا - كُذْبًا وَجَدَالًا -: إِنَّا نَحْنُ أَهْلُ الْإِصْلَاحِ.

(١٢) إِنَّ هَذَا الَّذِي يَفْعَلُونَهُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِصْلَاحٌ هُوَ عَيْنُ الْفَسَادِ، لَكِنَّهُمْ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ لَا يُحْسِنُونَ.

(١٣) وَإِذَا قِيلَ لِلْمُنَافِقِينَ: آمَنُوا - مِثْلَ إِيْمَانِ الصَّاحِبَةِ، وَهُوَ الْإِيْمَانُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ - جَادَلُوا وَقَالُوا: أَنْصَدَقَ مِثْلَ تَصْدِيقِ ضَعْفِ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ، فَكَفَرُوا نَحْنُ وَهُمْ فِي السَّفَى سِوَاهُ؟ فَزَادَهُمُ اللَّهُ سَفَى مَقْصُورٍ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ هُوَ الضَّلَالُ وَالْخُسْرَانُ.

(١٤) هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِذَا قَابَلُوا الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: صَدَّقْنَا بِالْإِسْلَامِ مِثْلَكُمْ، وَإِذَا انْصَرَفُوا وَذَهَبُوا إِلَى زَعْمَانِهِمُ الْكُفْرَةَ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى اللَّهِ أَكْثَرًا لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ لَمْ يَتْرَكُوها، وَإِنَّمَا كَانُوا يَسْتَحْجِفُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ.

(١٥) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيُجَاهِزُهُمْ؛ لِيُزَادُوا ضَلَالًا وَخَيْرَةً وَتَرَدُّدًا، وَيُجَاهِزُهُمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمُ بِالْمُؤْمِنِينَ.

(١٦) أُولَئِكَ الْمُنَافِقُونَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ، فَأَخَذُوا الْكُفْرَ، وَتَرَكُوا الْإِيمَانَ، فَمَا كَسَبُوا شَيْئًا، بَلْ خَسِرُوا الْهُدَايَةَ. وَهَذَا هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٥٨﴾ صُفِّ
بُكْرًا عُمَىٰ فَهِيَ لَا تَرَىٰ جَمْعُونَ ﴿٥٩﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ
ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْدِعَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ مِّنَ
الصُّبْحِ إِلَىٰ حَدِّ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ
يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ عِبْدًا وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا
خَلَقْنَاهُ وَالدِّينَ مِن قَبْلِكُمْ لَمْ لَكُم تَقْوَىٰ ﴿٦٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ
الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٥﴾

(١٧) حال المنافقين الذين آمنوا -ظاهراً لا باطناً- برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم كفروا، فصاروا يخبطون في ظلمات ضلالهم وهم لا يشعرون، ولا أمل لهم في الخروج منها، تُشبه حال جماعة في ليلة مظلمة، وأوقد أحدهم ناراً عظيمة للدفع والإضاءة، فلما سطعت النار وأنارت ما حوله، انطفأت واعتمت، فصار أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون إلى طريق ولا مخرج.

(١٨) هم صُمٌّ عن سماع الحق سماع تدبر، بُكْم عن النطق به، عُمَى عن إِبصار نور الهداية؛ لذلك لا يستطيعون الرجوع إلى الإيمان الذي تركوه، واستعاضوا عنه بالضلال.

(١٩) أو تُشبه حال فريق آخر من المنافقين يظهر لهم الحق تارة، ويشكُّون فيه تارة أخرى، حال جماعة يمشون في العراء، فينصب عليهم مطر شديد، تصاحبه ظلمات بعضها فوق بعض، مع قصف الرعد، ولمعان البرق، والصواعق المحرقة، التي تجعلهم من شدة الهول يضعون أصابعهم في آذانهم؛ خوفاً من الهلاك. والله تعالى محيط بالكافرين لا يفوتونه ولا يعجزونه.

(٢٠) يقارب البرق -من شدة لمعانه- أن تَسْلُب أبصارهم، ومع ذلك فكلما أضاء لهم مَسَّوْا في ضوئه، وإذا ذهب أظلم الطريق عليهم فيقفون في أماكنهم. ولولا إمهال الله لهم لَسَلَب سمعهم وأبصارهم، وهو قادر على ذلك في كل وقت، إنه على كل شيء قدير.

(٢١) نداء من الله للبشر جميعاً: أن اعبدوا الله الذي رباكم بنعمه، وخافوه ولا تخالفوا دينه؛ فقد أوجدكم من العدم، وأوجد الذين من قبلكم؛ لتكونوا من المتقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

(٢٢) ربكم الذي جعل لكم الأرض بساطاً؛ لتسهل حياتكم عليها، والسماء محكمة البناء، وأنزل المطر من السحاب فأخرج لكم به من ألوان الثمرات وأنواع النبات رزقاً لكم، فلا تجعلوا الله نظراء في العبادة، وأنتم تعلمون تفرُّده بالخلق والرزق، واستحقاقه العبودية.

(٢٣) وإن كنتم -أي الكافرون المعاندون- في شكٍّ من القرآن الذي نزلنا على عبداً محمد صلى الله عليه وسلم، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة مماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم، إن كنتم صادقين في دعواكم.

(٢٤) فإن عجزتم الآن -وستعجزون مستقبلاً لا محالة- فاتَّقوا النار بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وطاعة الله تعالى. هذه النار التي حطَّها الناس والحجارة، أُعِدَّتْ للكافرين بالله ورسوله.

وَيُبَشِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَمَا رُفِعُوا مِنْهَا مِنْ شَرِّهِ
رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُفِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤِيهِ مُمْتَشِينَهَا
وَلَهُمْ فِيهَا أَنْزَلُجٌ مَطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ
إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْفَضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ
لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ
فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

(٢٥) وأخير - أيها الرسول - أهل الإيمان والعمل الصالح خبراً يعلمهم سروراً، بأن لهم في الآخرة حقائق عجيبة، تجري الأنهار تحت قصورها العالية وأشجارها الظليلة. كلُّما رزقهم الله فيها نوعاً من الفاكهة اللذيذة قالوا: قد رزقنا الله هذا النوع من قبل، فإذا ذاقوه وجدوه شيئاً جديداً في طعمه ولذته، وإن تشابه مع سابقه في اللون والمنظر والاسم. ولهم في الجنَّات زوجات مطهَّرات من كل ألوان الدنس الحسي كالبول والحيض، والمعنوي كالكذب وسوء الخلق. وهم في الجنة ونعيمها دائمون، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

(٢٦) إن الله تعالى لا يستحي من الحق أن يذكر شيئاً ما، قلَّ أو كثر، ولو كان تمثيلاً بأصغر شيء، كالبعوضة والذباب ونحو ذلك، مما ضربه الله مثلاً لِعَجْزِ كل ما يُعْبَد من دون الله. فأما المؤمنون فيعلمون حكمة الله في التمثيل بالصغير والكبير من خلقه، وأما الكفار فيَسْخَرُونَ ويقولون: ما مراد الله من ضَرْبِ المثل بهذه الحشرات الحقيرة؟

ويجيهم الله بأن المراد هو الاختبار، وتمييز المؤمن من الكافر؛ لذلك يصرف الله بهذا المثل ناساً كثيراً عن الحق لسخريتهم منه، ويوفق به غيرهم إلى مزيد من الإيمان والهداية. والله تعالى لا يظلم أحداً؛ لأنه لا يُضَرِّف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته.

(٢٧) الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أكَّده بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإنزال الفون دين الله لقطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

(٢٨) كيف تنكرون - أيها المشركون - وحدانية الله تعالى، وتشركون به غيره في العبادة مع البرهان القاطع عليها في أنفسكم؟ فلقد كنتم غير مخلوقين فأوجدكم ونفخ فيكم الحياة، ثم يميتكم بعد انقضاء آجالكم التي حددها لكم، ثم يعيدكم أحياء يوم البعث، ثم إليه ترجعون للحساب والجزاء.

(٢٩) الله وحده الذي خَلَقَ لأجلكم كل ما في الأرض التي تنتفعون بها، ثم قصد إلى خلق السموات، فسَوَّاهُنَّ سبع سموات، وهو بكل شيء عليم. فَعِلْمُهُ - سبحانه - محيط بجميع ما خلق.

(٣٠) واذكر - أيها الرسول - للناس حين قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة قالوا يخلف بعضهم بعضاً لعمارتها. قالت: يا ربنا علمنا وأرشدنا ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن من شأنهم الإفساد في الأرض وإراقة الدماء ظلماً وعدواناً ونحن طوع أمرك، ننزّهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونمجّدك بكل صفات الكمال والجلال؟ قال الله لهم: إني أعلم ما لا تعلمون من المصلحة الراجحة في خلقهم.

(٣١) وبياناً لفضل آدم عليه السلام علمه الله أساء الأشياء كلها، ثم عرض مسمياتها على الملائكة قائلاً لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات، إن كنتم صادقين في أنكم أوتي بالاستخلاف في الأرض منهم.

(٣٢) قالت الملائكة: ننزّهك يا ربنا، ليس لنا علم إلا ما علمتنا إياه. إنك أنت وحدك العليم بشؤون خلقك، الحكيم في تدبيرك.

وَاذْكَرْ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَنحُبُّ نُفُسَ يَحْمَدُكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْتُمْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَكُنْ أَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

(٣٣) قال الله: يا آدم أخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجزوا عن معرفتها. فلما أخبرهم آدم بها، قال الله للملائكة: لقد أخبركم أني أعلم ما خفي عنكم في السموات والأرض، وأعلم ما تظهرونه وما تخفونه.

(٣٤) واذكر - أيها الرسول - للناس تكريم الله لآدم حين قال سبحانه للملائكة: اسجدوا لآدم إكراماً له وإظهاراً لفضله، فأطاعوا جميعاً إلا إبليس امتنع عن السجود تكبراً وحسداً، فصار من الجاحدين بالله، العصاة لأمره.

(٣٥) وقال الله: يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، وتمتعاً بشمارها تمتعاً هنيئاً واسعاً في أي مكان تشاءان فيها، ولا تقربا هذه الشجرة حتى لا تقعوا في المعصية، فتصيرا من المتجاوزين أمر الله.

(٣٦) فأوقعها الشيطان في الخطيئة: بأن وسوس لها حتى أكلت من الشجرة، فنتسبب في إخراجها من الجنة ونعيمها. وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضاً - أي آدم وحواء والشيطان - ولكم في الأرض استقرار وإقامة، وانتفاع بها فيها إلى وقت انتهاء أجالكم.

(٣٧) فتلقى آدم بالقبول كلمات، ألهمه الله إياها توبة واستغفاراً، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّنَ تَقْوِيرٌ لَّنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فتاب الله عليه، وغفر له ذنبه. إنه تعالى هو التواب لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ
هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٩﴾
يَلْبِسُ إِسْرَءِيلَ لَئِلَّا أَذْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازِهِبُونَ ﴿٦٠﴾ وَعَامُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْأُفْكَارِ
الْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٦٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسَوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٤﴾
وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
﴿٦٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٦٦﴾
يَلْبِسُ إِسْرَءِيلَ لَئِلَّا أَذْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا
وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٦٨﴾

(٣٨) قال الله لهم: اهبطوا من الجنة جميعاً، وسيأتىكم أنتم وذرياتكم المتعاقبة ما فيه هدايتكم إلى الحق. فمن عمل بها فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا.

(٣٩) والذين جحدوا وكذبوا بآياتنا المتلوة ودلائل توحيدنا، أولئك الذين يلازمون النار، هم فيها خالدون، لا يخرجون منها.

(٤٠) يا ذرية يعقوب اذكروا نعمتي الكثيرة عليكم، واشكروا لي، وأتموا وصيتي لكم: بأن تؤمنوا بكتبي ورسلي جميعاً، وتعملوا بشرائعي. فإن فعلتم ذلك أتمم لكم ما وعدتكم به من الرحمة في الدنيا، والنجاة في الآخرة. وإياي - وحدي - فخافوني، واحذروا نعمتي إن نقصتم العهد، وكفرت بي.

(٤١) وآمنوا - يا بني إسرائيل - بالقرآن الذي أنزلته على محمد نبي الله ورسوله، موافقاً لما تعلمونه من صحيح التوراة، ولا تكونوا أول فريق من أهل الكتاب يكفر به، ولا تستبدلوا بآياتي ثمناً قليلاً من حطام الدنيا الزائل، وإياي وحدي فاعملوا بطاعتي واتركوا معصيتي.

(٤٢) ولا تخيلطوا الحق الذي بيّنته لكم بالباطل الذي افترتموه، واحذروا كتمان الحق الصريح من صفة نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم التي في كتبكم، وأنتم تجدونها مكتوبة عندكم، فيها تعلمون من الكتب التي بأيديكم.

(٤٣) وادخلوا في دين الإسلام: بأن تقيموا الصلاة على الوجه الصحيح، كما جاء بها نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتؤدوا الزكاة المفروضة على الوجه المشروع، وتكونوا مع الراكعين من أمته صلى الله عليه وسلم.

(٤٤) ما أقبح حالكم وحال علمائكم حين تأمرون الناس بعمل الخيرات، وتركون أنفسكم، فلا تأمرونها بالخير العظيم، وهو الإسلام، وأنتم تقرأون التوراة، التي فيها صفات محمد صلى الله عليه وسلم، ووجوب الإتيان به!! أفلا تستعملون عقولكم استعلاءً صحيحاً؟

(٤٥، ٤٦) واستعينوا في كل أموركم بالصبر بجميع أنواعه، وكذلك الصلاة. وإنها لشفاعة إلا على الخاشعين، الذين يخشون الله ويرجون ما عنده، ويوقنون أنهم ملاقو ربهم جلّ وعلا بعد الموت، وأنهم إليه راجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

(٤٧) يا ذرية يعقوب تذكروا نعمتي الكثيرة عليكم، واشكروا لي عليها، وتذكروا أنني فضّلْتُكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء، والكتب المنزلّة كالنوراة والإنجيل.

(٤٨) وخافوا يوم القيامة، يوم لا يغني أحد عن أحد شيئاً، ولا يقبل الله شفاعة في الكافرين، ولا يقبل منهم فدية، ولو كانت أموال الأرض جميعاً، ولا يملك أحد في هذا اليوم أن يتقدم لنصرتهم وإنقاذهم من العذاب.

(٤٩) واذكروا نعمتنا عليكم حين أنقذناكم من بطش فرعون وأتباعه، وهم يُدبقونكم أشدَّ العذاب، فيكثرون من دبح أبناءكم، ويستيقنون نساءكم للخدمة والامتهان. وفي ذلك اختبار لكم من ربكم، وفي إنجائكم منه نعمة عظيمة، تستوجب شكر الله تعالى في كل عصوركم وأجيالكم.

(٥٠) واذكروا نعمتنا عليكم، حين فصلنا بسببكم البحر، وجعلنا فيه طرقاً يابسة، فعبثتم، وأنقذناكم من فرعون وجنوده، ومن الهلاك في الماء. فلما دخل فرعون وجنوده طرقكم أهلكناهم في الماء أمام أعينكم.

(٥١) واذكروا نعمتنا عليكم: حين واعدنا موسى أربعين ليلة لإزالة التوراة هدايةً ونوراً لكم، فإذا بكم تنتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، وتجعلون العجل الذي صنعتموه بأيديكم معبوداً لكم من دون الله - وهذا أشنع الكفر بالله - وأنتم ظالمون باتخاذكم العجل إلهاً. (٥٢) ثم تجاوزنا عن هذه الفعلة المنكرة، وقبّلنا توبتكم بعد عودة موسى؛ رجاء أن تشكروا الله على نعمه وأفضاله، ولا تتبادوا في الكفر والطغيان.

(٥٣) واذكروا نعمتنا عليكم حين أعطينا موسى الكتاب الفارق بين الحق والباطل - وهو التوراة -؛ لكي تهتدوا من الضلالة.

(٥٤) واذكروا نعمتنا عليكم حين قال موسى لقومه: إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلهاً، فتوبوا إلى خالقكم: بأن يقتل بعضهم بعضاً، وهذا خير لكم عند خالقكم من الخلود الأبدي في النار، فامتثلتم ذلك، فمنَّ الله عليكم بقبول توبتكم. إنه تعالى هو التواب لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

(٥٥) واذكروا إذ قلتم: يا موسى لن نصدقك في أن الكلام الذي نسمعه منك هو كلام الله، حتى نرى الله عياناً، فنزلت نار من السماء رأيتوها بأعينكم، فقتلتكم بسبب ذنوبكم، وحُجرتكم على الله تعالى.

(٥٦) ثم أحييناكم من بعد موتكم بالصاعقة؛ لشكروا نعمة الله عليكم. فهذا الموت عقوبة لهم، ثم بعثهم الله لاستيفاء أجالهم.

(٥٧) واذكروا نعمتنا عليكم حين كنتم تبهون في الأرض؛ إذ جعلنا السحاب مظلاً عليكم من حرِّ الشمس، وأنزلنا عليكم المنّ، وهو شيء يشبه الصمغ طعمه كالعسل، وأنزلنا عليكم السلوى وهو طير يشبه السَّيَّانِي، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، ولا تخالفوا دينكم، فلم تمتثلوا. وما ظلمونا بكفران النعم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ لأن عاقبة الظلم عائدة عليهم.

وَأَذَلْنَا أَذْلًا لَّهُمْ هَذِهِ الْقَرْيَةُ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
رَغَدًا وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ
ظَلَمْنَاكُمْ وَسَيَّرْنَا بِكُمْ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٨﴾ فَقَبَّلَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا قَوْلَ الْغَايِبِ قَبْلَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ لَقَدْ ظَلَمُوا
نَفْسَهُمْ بِآيَاتِنَا فَاسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَسْتَفْتَى
مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجَدًا قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ
أَشْرَكُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٩﴾
وَأَذَلْنَا لَهُمْ بِمُوسَى الْكِتَابَ عَلَى الْكَلَامِ وَجَدُوا قَدَرًا
لَنَا رَبَّكَ يُخَيِّجُ أَلْسِنَهُمْ فَأُتِيَ الْأَرْضُ مِنْ قِبَلِهِمْ وَفَأَيُّهَا
وَقَوْمُهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَالُهَا قَالَ أَتُبْتَدِلُونَ الَّذِي هُوَ
أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَمْ يَطُورُ أَمْضِرَافًا لَكُمْ مَا أَتَتْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَيَغَضَبُ مِنْ
اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
الرُّسُلَ يَغْرِسُ الْخَبْقَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

(٥٨) واذكروا نعمتنا عليكم حين قلنا: ادخلوا مدينة «بيت المقدس» فكلوا من طيباتها في أي مكان منها أكلاً هنيئاً، وكونوا في دخولكم خاضعين لله، ذليلين له، وقولوا: ربَّنَا ضَعْ عَنَّا ذُنُوبَنَا، نَسْتَجِبْ لَكَ وَتَغْفِرْ عَنكَ وَنَسْتَزِرْهَا عَلَيْكَ، وَتَسْزِدَ الْمُحْسِنِينَ بِأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَثَوَابًا.

(٥٩) فَبَدَّلَ الْجَائِرُونَ الصَّالُونَ مِنْ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ قَوْلَ اللَّهِ، وَحَرَّفُوا الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ جَمِيعًا، إِذْ دَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمَ وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِدِينِ اللَّهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنْ السَّمَاءِ؛ بِسَبَبِ تَمَرُدِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

(٦٠) واذكروا نعمتنا عليكم - وأنتم عطاش في
التيه - حين دعانا موسى - بضراعة - أن نسقي
قومه، فقلنا: اضرب بعضاك الحجر، فضرب،
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، بعدد القبائل،
مع إعلام كل قبيلة بالعين الخاصة بها حتى لا
يتنازعوا. وقلنا لهم: كلوا واشربوا من رزق الله،
ولا تسعوا في الأرض مفسدين.

(٦١) واذكروا حين أنزلنا عليكم الطعام الحلو،

والطير الشهي، فطيرتم النعمة كعادتكم، وأصابكم الضيق والملل، فقلتم: يا موسى لن نصبر على طعام ثابت لا يتغير مع الأيام، فادع لنا ربك يخرج لنا من نبات الأرض طعاماً من البقول والحُصَر، والقثاء، والحبوب التي تؤكل، والعدس، والبصل. قال موسى -مستنكراً عليهم-: أتعلمون هذه الأطعمة التي هي أقل قَدَرًا، وتكون هذا الرزق النافع الذي اختاره الله لكم؟ اهبطوا من هذه البادية إلى أي مدينة، تجدوا ما اشتبهتم كثيراً في الحقول والأسواق. ولما هبطوا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَهْمُهُمْ يُقَدِّمُونَ اختيارهم -في كل موطن- على اختيار الله، ويُؤثِّرون شهواتهم على ما اختاره الله لهم؛ لذلك لزمتهمْ صِفَةُ اللُّذِّ وفقر النفوس، وانصرفوا ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دين الله، ولأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين ظلماً وعدواناً؛ وذلك بسبب عصيانهم وتجاوزهم حدود ربهم.

(٦٢) إن المؤمنين من هذه الأمة، الذين صدّقوا بالله ورسله، وعملوا بشرعه، والذين كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من الأمم السالفة من اليهود، والنصارى، والصابئين - وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه - هؤلاء جميعاً إذا صدّقوا بالله تصديقاً صحيحاً خالصاً، ويوم البعث والجزاء، وعملوا عملاً مرضياً عند الله، فتوابعهم ثابت لهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا. وأما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتماً للنبيين والمرسلين إلى الناس كافة، فلا يقبل الله من أحد ديناً غير ما جاء به، وهو الإسلام.

(٦٣) واذكروا - يا بني إسرائيل - حين أخذنا العهد المؤكّد منكم بالإيمان بالله وإفراده بالعبادة، ورفعنا جبل الطور فوقكم، وقلنا لكم: خذوا الكتاب الذي أعطيناكم ببعدّ واجتهاد واحفظوه، وألاّ أطبقنا عليكم الجبل، ولا تنسوا التوراة قولاً وعملاً، كي تتقوني وتخافوا عقابي. (٦٤) ثم خالفتم وعصيتم مرة أخرى، بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل كشأنكم دائماً. فلو لا فضل

إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ
بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَبَعَلْنَا نَارًا كَلَّا لَمَّا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا
اتَّخِذْ نَاهِرًا قَالَ أَعُودِيَ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

الله عليكم ورحمته بالتوبة، والتجاوز عن خطاياكم، لصرتم من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

(٦٥) ولقد علمتم - يا معشر اليهود - ما حلّ من البأس بأسلافكم من أهل القرية التي عصت أمر الله، فيها أخذه عليهم من تعظيم السبت، فاحتالوا لاصطياد السمك في يوم السبت بوضع الشباك وحفر البرك، ثم اصطادوا السمك يوم الأحد؛ حيلة إلى المحرم، فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله قردة منبذين.

(٦٦) فجعلنا هذه القرية عبرة لمن يحضرها من القرى، يبلغهم خبرها وما حلّ بها، وعبرة لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب، وجعلناها تذكرة للصالحين؛ ليعلموا أنهم على الحق، فيثبتوا عليه.

(٦٧) واذكروا - يا بني إسرائيل - جناية أسلافكم، وكثرة تعنتهم وجداهم لموسى عليه الصلاة والسلام، حين قال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فقالوا - مستكبرين -: أتجعلنا موضعاً للسخرية والاستخفاف؟ فردّ عليهم موسى بقوله: أستمجِر بالله أن أكون من المستهزئين.

(٦٨) قالوا: ادع لنا ربك يوضح لنا صفة هذه البقرة، فأجابهم: إن الله يقول لكم: صفتها ألا تكون مسنّة هَرَمَة، ولا صغيرة فَيَّة، وإنما هي متوسطة بينهما، فسارعوا إلى امتثال أمر ربكم.

(٦٩) فعادوا إلى جداهم قائلين: ادع لنا ربك يوضح لنا لوها. قال: إنه يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، تسرّ من ينظر إليها.

قَالُوا أَذُكَّرُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا مَا هِيَ إِنْ أَلْقَى الْقُرْآنَ عَلَيْهِ عَلَيْنَا وَإِنَّا
 إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لِذُلَّ
 تُغِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شَرِيَّةَ فِيهَا قَالُوا
 أَفَلَنْ جِئْتَنَا بِالْحَقِّ قَدْ بَدَّحُوهُمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
 قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَدْ زَارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ
 ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
 ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارِ لَمِثَقَةً لَمَّا تَضْرَكُ
 مِنْهُ اللَّانْهَرُ وَأَنَّ مِنْهَا لَمِثَقَةٌ فَخَرَجَ مِنْهُ الْمَاءُ وَأَنَّ
 مِنْهَا لَمِثَقَةٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
 ﴿٧٤﴾ أَفَقَطَّعُوهُ أَنْ يُؤْمِنُوا الْكُفْرَ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ
 يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَدُوهُ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا قُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
 خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
 عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

(٧٠) قال بنو إسرائيل لموسى: ادع لنا ربك يوضح لنا صفات أخرى غير ما سبق؛ لأن البقرة - بهذه الصفات - كثير فاشتبه علينا ماذا نختار؟ وإننا - إن شاء الله - لهتدون إلى البقرة المأمور بذيبحها.

(٧١) قال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة غير مذلة للعمل في حراثة الأرض للزراعة، وغير معدة للسقي من الساقية، وخالية من العيوب جميعها، وليس فيها علامة من لون غير لون جلدها. قالوا: الآن جئت بحقيقة وصف البقرة، فاضطروا إلى ذبيحها بعد طول المراوغة، وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك لعنادهم. وهكذا شدودا فشدَّ الله عليهم.

(٧٢) واذكروا إذ قتلتم نفساً فتناسوا بشأنها، كل يدفع عن نفسه تهمة القتل، والله خرج ما كنتم تخفون من قتل القتل.

(٧٣) فقلنا: اضربوا القليل بجزء من هذه البقرة المذبوحة، فإن الله سيبيعه حياً، ويخرم عن قتاله. فضرَبوه ببعضها فأحياء الله وأخبر

بقاتله. كذلك يُخَيِّ الله الموتى يوم القيامة، ويرىكم - يا بني إسرائيل - معجزاته الدالة على كمال قدرته تعالى؛ لكي تفكروا بعقولكم، فتمتنعوا عن معاصيه.

(٧٤) ولكنكم لم تنتفعوا بذلك؛ إذ بعد كل هذه المعجزات الحارقة اشتدت قلوبكم وغلظت، فلم ينفذ إليها خير، ولم يكن أمام الآيات الباهرة التي أريتكموها، حتى صارت قلوبكم مثل الحجارة الصماء، بل هي أشد منها غلظة؛ لأن من الحجارة ما يتسع وينفج حتى تنصب منه المياه صباً، فتصير أنهاراً جارية، ومن الحجارة ما يتصدع فينشق، فتخرج منه العيون والينابيع، ومن الحجارة ما يسقط من أعالي الجبال من خشية الله تعالى وتعظيمه. وما الله بغافل عما تعملون.

(٧٥) أيها المسلمون أنسيتم أفعال بني إسرائيل، فطمعت نفوسكم أن يصدق اليهود بدينكم؟ وقد كان علماءهم يسمعون كلام الله من التوراة، ثم يحرفونه بضرِّفه إلى غير معناه الصحيح بعد ما عقلوا حقيقته، أو بتحريف ألفاظه، وهم يعلمون أنهم يحرفون كلام رب العالمين عمداً وكذباً.

(٧٦) هؤلاء اليهود إذا لقوا الذين آمنوا قالوا بلسانهم: آمناً بدينكم ورسولكم المبشِّر به في التوراة، وإذا خلا بعض هؤلاء المنافقين من اليهود إلى بعض قالوا في إنكار: اتحدُّون المؤمنين بما بين الله لكم في التوراة من أمر محمد؛ لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم يوم القيامة؟ أفلا تفقهون فتحذروا؟

(٧٧) أيفعلون كل هذه الجرائم، ولا يعلمون أن الله يعلم جميع ما يخفونه وما يظهرهونه؟
(٧٨) ومن اليهود جماعة يجهلون القراءة والكتابة، ولا يعلمون التوراة وما فيها من صفات نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما عندهم من ذلك إلا أكاذيب وظنون فاسدة.

(٧٩) فهلاك ووعيد شديد لأحبار السوء من اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله، وهو مخالف لما أنزل الله على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام؛ ليأخذوا في مقابل هذا عرض الدنيا، فلهم عقوبة مهلكة بسبب كتابتهم هذا الباطل بأيديهم، ولهم عقوبة مهلكة بسبب ما يأخذونه في المقابل من المال الحرام، كالرشوة وغيرها.

(٨٠) وقال بنو إسرائيل: لن نصيبنا النار في الآخرة إلا أياماً قليلة العدد. قل لهم -أيها الرسول مبطلاً دعواهم-: أعندكم عهد من الله بهذا، فإن الله لا يخلف عهده؟ بل

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أَقْمِيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ وَمَا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْرٌ
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحْطَطَ بِهَا خُطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَبِالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

إنكم تقولون على الله ما لا تعلمون بافترائكم الكذب.

(٨١) فحُكِّمَ الله ثابت: أن من ارتكب الآثام حتى جُرِّته إلى الكفر، واستولت عليه ذنوبه من جميع جوانبه -وهذا لا يكون إلا فيمن أشرك بالله- فأولئك هم المشركون والكفار الذين يلازمون نار جهنم ملازمة دائمة لا تنقطع.

(٨٢) وحكم الله الثابت في مقابل هذا: أن الذين صدَّقوا بالله ورسله تصديقاً خالصاً، وعملوا الأعمال المتفقة مع شريعة الله التي أوحاها إلى رسله، هؤلاء يلازمون الجنة في الآخرة ملازمة دائمة لا تنقطع.

(٨٣) واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا عليكم عهداً مؤكداً: بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تحسنوا للوالدين، وللأقربين، وللأولاد الذين مات أبائهم وهم دون بلوغ الحلم، وللمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفهم ويسد حاجتهم، وأن تقولوا للناس أطيب الكلام، مع أداء الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم أعرضتم ونقضتم العهد -إلا قليلاً منكم ثبت عليه- وأنتم مستمرّون في إعراضكم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَحْرِجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ ﴿٨٤﴾
 ثُمَّ أَنْشَأَ هَؤُلَاءِ قَتْلُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَحَارَّجُوا فَرِيقًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ نَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِسْلَامِ وَالْعَدْوَانِ
 وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أَسْرَى فَقَدْ وَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ
 إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ
 ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
 غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

(٨٤) واذكروا - يا بني إسرائيل - حين أخذنا عليكم عهداً مؤكداً في التوراة: يحرم سفك بعضكم دم بعض، وإخراج بعضكم بعضاً من دياركم، ثم اعترفتهم بذلك، وأنتم تشهدون على صحته.

(٨٥) ثم أنتم يا هؤلاء يقتل بعضكم بعضاً، ويُخرج بعضكم بعضاً من ديارهم، ويتقوى كل فريق منكم على إخوانه بالأعداء بغياً وعدواناً. وإن يأتوكم أسارى في يد الأعداء سعيتم في تحريرهم من الأسر، بدفع الفدية، مع أنه محرم عليكم إخراجهم من ديارهم. ما أقيح ما تفعلون حين تؤمنون ببعض أحكام التوراة وتكفرون ببعضها! فليس جزاء من يفعل ذلك منكم إلا ذلٌّ وفضيحة في الدنيا. ويوم القيامة يرُدُّهم الله إلى أفظع العذاب في النار. وما الله بغافل عما تعملون.

(٨٦) أولئك هم الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، فلا يخفف عنهم العذاب، وليس لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله.

(٨٧) ولقد أعطينا موسى التوراة، وأتبعناه برسل من بني إسرائيل، وأعطينا عيسى بن مريم المعجزات الواضحات، وقويناه بجبريل عليه السلام. أفكلما جاءكم رسول بوحى من عند الله لا يوافق أهواءكم، استعليتم عليه، فكذبتم فريقاً وتقتلون فريقاً؟

(٨٨) وقال بنو إسرائيل لنبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم: قلوبنا مغطاة، لا يتفقد إليها قولك. وليس الأمر كما ادَّعَوْا، بل قلوبهم ملعونة، مطبوع عليها، وهم مطرودون من رحمة الله بسبب جحودهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا ينفعهم.

(٨٩) وحين جاءهم القرآن من عند الله مصدقاً لما معهم من التوراة جحدوه، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا قبل بعثته يستنصرون به على مشركي العرب، ويقولون: قَرَّبَ مبعث نبي آخر الزمان، وسنتبعه ونقاتلكم معه. فلما جاءهم الرسول الذي عرفوا صفاته وصدقه كفروا به وكذبوه. فلعنة الله على كل من كفر بنبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وكتابه الذي أوحاه الله إليه.

(٩٠) قَبَّحَ ما اختاره بنو إسرائيل لأنفسهم؛ إذ استبدلوا الكفر بالإيمان ظمناً وحسداً لإزلال الله من فضله القرآن على نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فرجعوا بغضب من الله عليهم بسبب جحدوهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، بعد غضب الله كذلك عليهم بسبب تحريفهم التوراة. وللجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عذابٌ يذُهم ويخزيهم.

(٩١) وإذا قال بعض المسلمين لليهود: صدقوا

بما أنزل الله من القرآن، قالوا: نحن نصدق بما أنزل الله على أنبيائنا، ويحجدون ما أنزل الله بعد ذلك، وهو الحق مصدقاً لما معهم. فلو كانوا يؤمنون بكتبهم حقاً لآمنوا بالقرآن الذي صدقها. قل لهم -أيها الرسول-: إن كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم، فلماذا قتلتم أنبياء الله من قبل؟

(٩٢) ولقد جاءكم نبي الله موسى بالمعجزات الواضحات الدالة على صدقه، كالطوفان والجراد والقمل والضفادع، وغير ذلك مما ذكره الله في القرآن العظيم، ومع ذلك اتخذتم العجل معبوداً، بعد ذهاب موسى إلى ميقات ربه، وأنتم متجاوزون حدود الله.

(٩٣) واذكروا حين أخذنا عهداً مؤكداً بقبول ما جاءكم به موسى من التوراة، فنقضتم العهد، فرفعنا جبل الطور فوق رؤوسكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم بجد، واسمعوا وأطيعوا، وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا قولك وعصينا أمرك؛ لأن عبادة العجل قد امتزجت بقلوبكم بسبب تماديكم في الكفر. قل لهم -أيها الرسول-: قَبَّحَ ما يأمركم به إيمانكم من الكفر والضلال، إن كنتم مصدقين بما أنزل الله عليكم.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
وَكَاؤُا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا
جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ
(٨٩) بِسْمَا أَشْرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بَعِيًّا أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَيَسَاءُ وَيَعْصِبُ عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ
(٩٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَنْزِيلُ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَدَ لَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا
مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ (٩١) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ
اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ وَاعْبُدُونَا
وَأَشْرُوا بِقُلُوبِكُمْ إِلَى الْعِجْلِ يَكْفُرْهُمْ قُلُوبُهُمْ
بِمَا أُمِرُوا بِهِ ءَامِنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّلَالُ لَآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَتَدْرِكُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْفَ عَلَيْهِمُ بِأَظْلَمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِمْ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَايِهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَهْدٍ وَعَهْدٍ أَتَتْهُمُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ كَيْتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

(٩٤) قل - أيها الرسول - لليهود الذين يدعون أن الجنة خاصة بهم؛ لزرعهم أنهم أولياء الله من دون الناس، وأنهم أبناءه وأحباؤه؛ إن كان الأمر كذلك فادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم بالموت، إن كنتم صادقين في دعاكم هذه.

(٩٥) ولن يفعلوا ذلك أبداً؛ لما يعرفونه من صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن كذبهم واقتراحهم، وبسبب ما ارتكبه من الكفر والعصيان، المؤدّيّين إلى حرمانهم من الجنة ودخول النار. والله تعالى عليم بالظالمين من عباده، وسيجازيهم على ذلك.

(٩٦) ولتعلنن - أيها الرسول - أن اليهود أشد الناس رغبة في طول الحياة أيّا كانت هذه الحياة من الذلّة والمهانة، بل تزيد رغبتهم في طول الحياة على رغبات المشركين. يتمنى اليهودي أن يعيش ألف سنة، ولا يُعيّده هذا العمر الطويل - إن حصل - من عذاب الله. والله تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها بما يستحقونه من العذاب.

(٩٧) قل - أيها الرسول - لليهود حين قالوا: إن جبريل هو عدونا من الملائكة: من كان عدواً لجبريل فإنه نزل القرآن على قلبك بإذن الله تعالى مصدّقاً لِمَا سبقه من كتب الله، وهادياً إلى الحق، ومبشراً للمصدقين به بكل خير في الدنيا والآخرة.

(٩٨) من عادى الله وملائكته، ورسله من الملائكة أو البشر، وبخاصة الملائكة جبريل وميكال؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم، وميكال ولهم، فأعلمهم الله أنه من عادى واحداً منها فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضاً، فإن الله عدو للجاحدين ما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٩٩) ولقد أنزلنا إليك - أيها الرسول - آيات بينات واضحات، تدلّ على أنك رسول من الله صدقاً وحقاً، وما ينكر تلك الآيات إلا الخارجون عن دين الله.

(١٠٠) ما أفتح حال بني إسرائيل في نقضهم للعهد!! فكلموا عاهدوا عهداً طرح ذلك العهد فريق منهم، ونقضوه، فتراهم يُبرمون العهد اليوم ويتنقضونه غداً، بل أكثرهم لا يصدقون بها جاء به نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٠١) ولما جاءهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن الموافق لما معهم من التوراة طرح فريق منهم كتاب الله، وجعلوه وراء ظهورهم، شأنهم شأن الجهال الذين لا يعلمون حقيقة.

(١٠٢) واتبع اليهود ما تَحَدَّثَ الشَّيَاطِينُ بهِ السَّحَرَةُ على عهد ملك سليمان بن داود. وما كفر سليمان وما تَعَلَّمَ السَّحَرُ، ولكنَّ الشَّيَاطِينُ هم الذين كفروا بالله حين عَلَّمُوا النَّاسَ السَّحَرَ؛ إِفْسَاداً لَدِينِهِمْ. وكذلك اتبع اليهود السَّحَرَ الذي أَنزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، بِأَرْضِ «بَابِلَ» في «العراق»؛ امْتِحَاناً وَابْتِلَاءً مِنْ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَمَا يَعْلَمُ الْمَلَكَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَنْصَحَاهُ وَيُحَذِّرَاهُ مِنْ تَعَلُّمِ السَّحَرِ، وَيَقُولَ لَهُ: لَا تَكْتَفِرْ بِتَعَلُّمِ السَّحَرِ وَطَاعَةِ الشَّيَاطِينِ. فَيَتَعَلَّمُ النَّاسُ مِنَ الْمَلَكَيْنِ مَا يُحَذِّرُونَهُ مِنَ الْكِرَاهِيَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ حَتَّى يَتَفَرَّقَا. وَلَا يَسْتَطِيعُ السَّحَرَةُ أَنْ يَضُرُّوا بِهِ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ. وَمَا يَتَعَلَّمُ السَّحَرَةُ إِلَّا شَرًّا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، وَقَدْ نَقَلْتَهُ الشَّيَاطِينُ إِلَى الْيَهُودِ، فَشَاعَ فِيهِمْ حَتَّى فَضَّلُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ. وَلَقَدْ عَلَّمَ الْيَهُودَ أَنْ مِنْ اخْتَارَ السَّحَرَ تَرَكَ الْحَقَّ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ فِي الْخَيْرِ. وَلَبِثَ مَا بَاعُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ السَّحَرِ وَالْكَفْرِ عَوْضاً عَنِ الْإِيمَانِ وَمَتَابَعَةِ الرَّسُولِ، لَوْ

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِسَابِئِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا غَنَيْنَا فِتْنَةً فَلَا تَكْفُرْ فَتَعَلَّمُوا مِنْهُمَا مَا يَفْعُلُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرَّةِ وَرَاجِعِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا الْمَنْ أَشْرَكَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِثَ مَا شَرُّوا بِهِمْ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَعَثِبُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَتَّىٰ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ بَلَىٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

كان لهم عِلْمٌ بِشَرِّ الْعَمَلِ بِهَا وَعُظُوا بِهِ.

(١٠٣) وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ ءَامَنُوا وَخَافُوا اللَّهَ لَا يَقْنُتُوا أَنْ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرَ لَهُمْ مِنَ السَّحَرِ وَمَا اكْتَسَبُوهُ بِهِ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا يَحْصِلُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ عِلْمًا حَقِيقًا لَا مَنَوا.

(١٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَاعِنَا، أَيْ: رَاعِنَا سَمْعَكَ، فَافْهَمْنَا عَنْهُمْ أَنَّهُمْ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُلَوِّنُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِهَا، يَقْصِدُونَ شَبَّهَ وَنَسَبَتَهُ إِلَى الرَّعُونَةِ، وَقُولُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بَدَلًا مِنْهَا: انظُرْنَا، أَيْ انظُرْ إِلَيْنَا وَتَعَهَّدْنَا، وَهِيَ تَوْدِي الْمَعْنَى الْمَطْلُوبَ نَفْسَهُ، وَاسْمَعُوا مَا يَتَلَّى عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ رَبِّكُمْ وَافْهَمُوهُ. وَلِلْجَاهِدِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

(١٠٥) مَا يَجِبُ الْكَافِرَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ أَدْنَىٰ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ قَرَأْنَا أَوْ عَلَّمْنَا، أَوْ نَصَرْنَا أَوْ بَشَّرْنَا. وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِالنَّبِیَّةِ وَالرَّسَالَةِ. وَاللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ وَالْعَطَاءِ الْكَثِيرِ الْوَاسِعِ.

﴿ مَا تَسْخَرُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ فِئْهَا ﴾
 ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ﴾
 ﴿ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ﴾
 ﴿ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾
 ﴿ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ يَأْتِ الْإِيمَانَ ﴾
 ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾
 ﴿ لَوْ يَرَوْكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾
 ﴿ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَمُوا ﴾
 ﴿ وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾
 ﴿ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا ﴾
 ﴿ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
 ﴿ بَصِيرٌ ﴾ ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾
 ﴿ أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ ﴾
 ﴿ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ ﴾
 ﴿ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿

(١٠٦) ما تبدّل من آية أو تُزَلّها من القلوب والأذهان نأت بأنفع لكم منها، أو نأت بمثلها في التكليف والشواب، ولكلّ حكمة. ألم تعلم -أيها النبي- أنت وأمتك أن الله قادر لا يعجزه شيء؟

(١٠٧) أما علمت -أيها النبي- أنت وأمتك أن الله تعالى هو المالك المتصرف في السموات والأرض؟ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويأمر عباده وينهاهم كيف يشاء، وعليهم الطاعة والقبول. وليعلم من عصي أن ليس لأحد من دون الله من وليّ يتولاها، ولا نصير يمنعهم من عذاب الله.

(١٠٨) بل أنريدون -أيها الناس- أن تطلبوا من رسولكم محمد صلى الله عليه وسلم أشياء بقصد العناد والمكابرة، كما طُلب مثل ذلك من موسى. واعلموا أن من يختر الكفر ويترك الإيمان فقد خرج عن صراط الله المستقيم إلى الجهل والضلال.

(١٠٩) تمنى كثير من أهل الكتاب أن يرجعواكم بعد إيمانكم كفاراً كما كنتم من قبل تعبدون

الأصنام؛ بسبب الحقد الذي امتلأت به نفوسهم من بعد ما تبين لهم صدق نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ، واصفحوا عن جهلهم، حتى يأتي الله بحكمه فيهم بقتالهم (وقد جاء ووقع)، وسيعاقبهم لسوء أفعالهم. إن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

(١١٠) واشتغلوا -أيها المؤمنون- بأداء الصلاة على وجهها الصحيح، وإعطاء الزكاة المفروضة. واعلموا أن كل خير تقدمونه لأنفسكم تجدون ثوابه عند الله في الآخرة. إنه تعالى بصير بكل أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

(١١١) ادّعى كل من اليهود والنصارى أن الجنة خاصة بطائفتهم لا يدخلها غيرهم، تلك أوهامهم الفاسدة. قل لهم -أيها الرسول-: أحضروا دليلكم على صحة ما تدّعون إن كنتم صادقين في دعواكم.

(١١٢) ليس الأمر كما زعموا أن الجنة تختص بطائفة دون غيرها، وإنما يدخل الجنة من أخلص لله وحده لا شريك له، وهو متبع للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في كل أقواله وأعماله. فمن فعل ذلك فله ثواب عمله عند ربه في الآخرة، وهو دخول الجنة، وهم لا يخافون فيها يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى
لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكُتُبَ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
مَتَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا
أُولَئِكَ مَأْوَاهُ إِنَّهُمْ أَنْ يُدْخِلُوها إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ قَائِمًا لَوْ لَوَلَوْ أَفْتَرَوْا وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَسَعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ رَقِيبٌ ﴿١١٦﴾ يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَا أَفْئَاقُ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَاهَتْ
قُلُوبُهُمْ فَقَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوفُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

عنه منها شيء .

(١١٦) وقالت اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله لنفسه ولداً، تنزه الله - سبحانه - عن هذا القول الباطل، بل كل ما في السموات والأرض ملكه وعبيده، وهم جميعاً خاضعون له، مستخرون تحت تدبيره.

(١١٧) والله تعالى هو خالق السموات والأرض على غير مثال سبق. وإذا قدر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له: «كن» فيكون.

(١١٨) وقال الجاهلة من أهل الكتاب وغيرهم لنبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل العناد: هلاً يكلمنا الله مباشرة ليخبرنا أنك رسوله، أو تأتينا معجزة من الله تدل على صدقك. مثل هذا القول قالته الأمم من قبل لرسولها عناداً ومكابرة بسبب تشابه قلوب السابقين واللاحقين في الكفر والضلال. قد أوضحنا الآيات للذين يصدقون تصديقاً جازماً؛ لكونهم مؤمنين بالله تعالى، متبعين ما شرعه لهم.

(١١٩) إنا أرسلناك - أيها الرسول - بالدين الحق المؤيد بالحجج والمعجزات، فبلغه للناس مع تبشير المؤمنين بخيري الدنيا والآخرة، وتخويف المعاندين بما ينتظرهم من عذاب الله، ولست - بعد الإبلاغ - مسؤولاً عن كفر من كفر بك؛ فإنهم يدخلون النار يوم القيامة ولا يخرجون منها.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ
 إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي
 جَاءَكَ مِنْ أَعْلَمِ مَالِكٍ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ
 يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ١٢١ يَتَّبِعِ الْإِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
 الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٢٢ وَاتَّقُوا يَوْمًا
 لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا
 شَفَعَةُ ١٢٣ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١٢٤ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ
 فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ
 لَا يَنْتَهِ عَهْدِي لِلظَّالِمِينَ ١٢٥ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
 وَأَمْنًا وَنَحْنُ وَالْحِجْدُ وَأَمِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
 وَأِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ
 ١٢٦ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ
 مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ
 فَأَمْلِكُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٢٧

(١٢٠) ولن ترضى عنك - أيها الرسول - اليهود ولا النصارى إلا إذا تركت دينك واتبعت دينهم. قل لهم: إن دين الإسلام هو الدين الصحيح. ولئن اتبعت أهواء هؤلاء بعد الذي جاءك من الوحي ما لك عند الله من ولي ينفك، ولا نصير ينصرك. وهذا الخطاب وإن كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهو موجه إلى الأمة عامة.

(١٢١) الذين أعطيناهم الكتاب من اليهود والنصارى، يقرؤونه القراءة الصحيحة، ويتبعونه حق الاتباع، ويؤمنون بما جاء فيه من الإيمان برسول الله، ومنهم خاتمهم نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يحرفون ولا يبدلون ما جاء فيه. هؤلاء هم الذين يؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، وأما الذين بدّلوا بعض الكتاب وكنموا بعضه، فهؤلاء كفار بنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، ومن يكفر به فأولئك هم أشد الناس خساراً عند الله.

(١٢٢) يا ذرية يعقوب اذكروا نعمي الكثيرة عليكم، وأني فضلتكم على عالمي زمانكم بكثرة أنبيائكم، وما أنزل عليهم من الكتب.

(١٢٣) وخافوا أهوال يوم الحساب إذ لا تغني نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل الله منها فدية تنجيها من العذاب، ولا تنفعها وساطة، ولا أحد ينصرها.

(١٢٤) واذكر - أيها النبي - حين اختبر الله إبراهيم بما شرع له من تكاليف، فأذاها وقام بها خير قيام. قال الله له: إني جاعلك قدوة للناس. قال إبراهيم: رب اجعل بعض نسلي أئمة فضلاً منك، فأجابه الله سبحانه أنه لا تحصل للظالمين الإمامة في الدين.

(١٢٥) واذكر - أيها النبي - حين جعلنا الكعبة مرجعاً للناس، بأتونه، ثم يرجعون إلى أهلهم، ثم يعودون إليه، وتجمعاً لهم في الحج والعمرة، والطواف، والصلاة، وأمناً لهم، لا يُغير عليهم عدو فيه. وقلنا: اتخذوا من مقام إبراهيم مكاناً للصلاة فيه، وهو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم عند بنائه الكعبة. وأوحينا إلى إبراهيم وابنه إسماعيل: أن تطهرا بيتي من كل رجس ودنس؛ للمتعبدين فيه بالطواف حول الكعبة، أو الاعتكاف في المسجد، والصلاة فيه.

(١٢٦) واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم داعياً: رب اجعل «مكة» بلداً آمناً من الخوف، وارزق أهله من أنواع الثمرات، وخصّ هذا الرزق من آمن منهم بالله واليوم الآخر. قال الله: ومن كفر منهم فأزقه في الدنيا وأمتعته متاعاً قليلاً، ثم ألجئه مرغماً إلى عذاب النار. وبئس المرجع والمقام هذا المصير.

وَأَذِيعُوا إِلَيْهِمْ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاسْمَعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَلِنَا مَوَاسِكَاتِنَا وَوَقِّبْنَا إِلَيْكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ لَمَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ صُطِّفَتْهُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ دُرُودُهُ وَأَسْلَمُ قَالَ أَأَسْلَمْتُ رَبِّي الْعَلِيمُ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَاللَّهُ عَابِدُكَ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَعِيلَ وَاسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ دُاسِلُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَآكَرُ مَا كَسَبَتْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

(١٢٧) واذكر - أي النبي - حين رفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يدعوان الله في خشوع: ربنا تقبل منا صالح أعمالنا ودعائنا، إنك أنت السميع لأقوال عبادك، العليم بأحوالهم.

(١٢٨) ربنا واجعلنا ثابتين على الإسلام، متقادين لأحكامك، واجعل من ذريتنا أمة مفقاة لك، بالإيمان، وبصرنا بمعالم عبادتنا لك، ونجاوز عن ذنوبنا. إنك أنت كثير التوبة على عبادك، واسع الرحمة بهم.

(١٢٩) ربنا وابعث في هذه الأمة رسولا من ذرية إسماعيل يتلو عليهم آياتك ويعلمهم القرآن والسنة، ويظهرهم من الشرك وسوء الأخلاق. إنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها. (١٣٠) ولا أحد يعرض عن دين إبراهيم - وهو الإسلام - إلا سفيه جاهل، ولقد اخترنا إبراهيم في الدنيا نبيا ورسولا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين هم أعلى الدرجات.

(١٣١) وسبب هذا الاختيار مسارعة إلى الإسلام دون تردد، حين قال له ربه: أخلص

نفسك لله متقادا له. فاستجاب إبراهيم وقال: أسلمت لرب العالمين، إخلاصاً وتوحيداً ومحبة وإنابة.

(١٣٢) وحث إبراهيم ويعقوب أبناءهما على الثبات على الإسلام قائلين: يا أبناء إن الله اختار لكم هذا الدين - وهو دين الإسلام - فلا تفارقوه أيام حياتكم، ولا ياتكم الموت إلا وأنتم عليه.

(١٣٣) أكنتم - أي اليهود - حاضرين حين جاء الموت يعقوب، إذ جمع أبناءه وسألهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإلهنا واحداً، ونحن له متقادون خاضعون.

(١٣٤) تلك أمة قد مضت، لهم أعمالهم، ولكم أعمالكم، ولا تسألون عن أعمالهم، وهم لا يسألون عن أعمالكم، وكل سبجazy بما فعله، لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا ينفع أحد إلا بإيمانه وتقواه.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا إِنَّمَا يَأْتِيهِ اللَّهُ
 أَنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا إِلَّا الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَالْحَقُّ وَنَعْتُوبُ
 وَالْأَسْبَاطُ وَمَا أَوْفَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْفَى الْكَافِرِينَ مِنْ
 رَبِّهِمْ لَا تَفَرُّقٌ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنَّمَا يُمِثِّلُ مَاءَ أَمْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَأَوَّلَاتٍ تَوَلَّوْا
 فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١٣٧﴾ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
 عِبْدٌ وَت ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحِبُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
 أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطَ كُنُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُهُمُ
 اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَهِونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

(١٣٥) وقالت اليهود لأمة محمد صلى الله عليه وسلم: ادخلوا في دين اليهودية تجدوا الهداية، وقالت النصارى هم مثل ذلك. قل لهم -أيها الرسول-: بل الهداية أن تنسج -جميعاً- ملة إبراهيم، الذي مال عن كل دين باطل إلى دين الحق، وما كان من المشركين بالله تعالى.

(١٣٦) قولوا -أيها المؤمنون- هؤلاء اليهود والنصارى: صدقنا بالله الواحد المعبود بحق، وبما أنزل إلينا من القرآن الذي أوحاه الله إلى نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما أنزل من الصحف إلى إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب والأسباط -وهم الأنبياء من ولد يعقوب الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثني عشرة- وما أعطي موسى من التوراة، وعيسى من الإنجيل، وما أعطي الأنبياء جميعاً من وحي ربهم، لا نفرق بين أحد منهم في الإيذان، ونحن خاضعون لله بالطاعة والعبادة.

(١٣٧) فإن آمن الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، بمثل الذي آمنتم به، مما جاء به الرسول، فقد اهتدوا إلى الحق، وإن أعرضوا فإننا

هم في خلاف شديد، فسيكفيك الله -أيها الرسول- شرهم وينصرك عليهم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم. (١٣٨) الزموا دين الله الذي فطركم عليه، فليس هناك أحسن من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالزموها، وقولوا: نحن له خاضعون مطيعون لرَبِّنا في اتباعنا ملة إبراهيم.

(١٣٩) قل -أيها الرسول- لأهل الكتاب: أتجادلوننا في توحيد الله والإخلاص له، وهو رب العالمين جميعاً، لا يختص بقوم دون قوم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، ونحن لله مخلصو العبادة والطاعة لنشره به شيئاً، ولا نعبد أحداً غيره؟ (١٤٠) بل أتقولون مجادلين في الله: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثني عشرة من ولد يعقوب- كانوا على دين اليهود أو النصارى؟ وهذا كذب، فقد بعثوا وماتوا قبل نزول التوراة والإنجيل. قل لهم -أيها الرسول-: أنتم أعلم بدينهم أم الله تعالى؟ وقد أخبر في القرآن بأنهم كانوا خففاء مسلمين، ولا أحد أظلم منكم حين تخفون شهادة ثابتة عندكم من الله تعالى، وتدعون خلافتها افتراء على الله. وما الله بغافل عن شيء من أعمالكم، بل هو مخفي لها ومجازيكم عليها.

(١٤١) تلك أمة من أسلافكم قد مضت، هم أعمالهم ولكم أعمالكم، ولا تسألون عن أعمالهم، وهم لا يسألون عن أعمالكم. وفي الآية قطع للتعلم بالملوك، وعدم الاعتراض بالانتساب إليهم، وأن العبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده، واتباع رسله، وأن من كفر بربول منهم فقد كفر بسائر الرسل.

(١٤٢) سيقول الجاهل وضعاف العقول من اليهود وأمثالهم، في سخرية واعتراض: ما الذي صرف هؤلاء المسلمين عن قبلتهم التي كانوا يُصلُّون إلى جهتها أول الإسلام؟ (وهي «بيت المقدس») قل لهم -أيها الرسول-: المشرق والمغرب وما بينهما ملك لله، فليست جهة من الجهات خارجة عن ملكه، يهدي مَنْ يشاء من عباده إلى طريق الهداية القويم. وفي هذا إشعار بأن الشأن كله لله في امتثال أوامره، فحيثما وجَّهنا توجَّهنا.

(١٤٣) وكما هديناكم -أيها المسلمون- إلى الطريق الصحيح في الدين، جعلناكم أمة خياراً عدولاً؛ لتشهدوا على الأمم في الآخرة أن رسلهم بلغتهم رسالات ربهم، ويكون الرسول في الآخرة -كذلك- شهيداً عليكم أنه بلغكم رسالة ربه. وما جعلنا -أيها الرسول- قبلة «بيت المقدس» التي كنت عليها، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة بـ«مكة»، إلا ل يظهر ما علمناه في الأزل، علماً يتعلق به الثواب والعقاب؛ لنميز مَنْ يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيث توجَّهت، ومَنْ هو ضعيف الإيمان فينقلب مرتدّاً عن دينه

لشكّه ونفاقه. وإن هذه الحال التي هي تحوُّل المسلم في صلاته من استقبال «بيت المقدس» إلى استقبال الكعبة، لثقيلة شاقة، إلا على الذين هداهم الله ومَنْ عليهم بالإيمان والتقوى. وما كان الله ليضيع إيمانكم به وأتباعكم لرسوله، ويبطل صلاتكم إلى القبلة السابقة. إنه سبحانه وتعالى ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم.

(١٤٤) قد نرى تحوُّل وجهك -أيها الرسول- في جهة السماء، مرة بعد مرة؛ انتظاراً لنزول الوحي إليك في شأن القبلة، فلنصرفك عن «بيت المقدس» إلى قبلة تحبها وترضاها، وهي وجهة المسجد الحرام بـ«مكة»، فوَلَّ وجهك إليها. وفي أي مكان كنتم -أيها المسلمون- وأردتم الصلاة فتوجهوا نحو المسجد الحرام. وإن الذين أعطاهم الله علم الكتاب من اليهود والنصارى ليعلمون أن تحويلك إلى الكعبة هو الحق الثابت في كتبهم. وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء المعتضون المشككون، وسيجازيهم على ذلك.

(١٤٥) ولئن جئت -أيها الرسول- الذين أعطوا التوراة والإنجيل بكل حجة وبرهان على أن توجَّهك إلى الكعبة في الصلاة هو الحق من عند الله، ما تبعوا قبلك؛ عناداً واستكباراً، وما أنت بتابع قبلتهم مرة أخرى، وما بعضهم بتابع قبلة بعض. ولئن اتبعت أهواءهم في شأن القبلة وغيرها بعد ما جاءك من العلم بأنك على الحق وهم على الباطل، إنك حينئذ لمن الظالمين لأنفسهم. وهذا خطاب لجميع الأمة، وهو تهديد ووعد لمن يتبع أهواء المخالفين لشرعية الإسلام.

«سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الشَّرْفُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكَلِمَةٍ آيَةٍ مَاتِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ فِي قِبْلَةٍ بَعْضٌ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَ هُمُومٍ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ إِنَّكَ إِذَا لَمَسْتَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُكَلِّبُ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ
وَأَن فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيْسَ يُكَلِّمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ
هُوَ مُوَلِّيُهَا قَاسِدٌ فَقُولُوا الْحَيَاتِ إِنَّ مَا كُتِبُوا بِأَن يَكْرِهَهُ
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
قَوْلٌ وَجْهَكَ لِشَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ
وَجْهَكَ لِشَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ لِشَطْرِهِ لِأَنَّ لِّلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُهُمْ
وَأَشْكُرُهُمْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

(١٤٦) الذين أعطيتهم التوراة والإنجيل من أجبارة اليهود وعلماء النصارى يعرفون أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله بأوصافه المذكورة في كتبهم، مثل معرفتهم أبناءهم. وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون صدقه، وثبت أوصافه.

(١٤٧) الذي أنزل إليك -أيها النبي- هو الحق من ربك، فلا تكونن من الشاكين فيه. وهذا وإن كان خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو وجهه للأمة.

(١٤٨) ولكل أمة من الأمم قبله يتوجه إليها كل واحد منها في صلاته، فبادروا -أيها المؤمنون- متسابقين إلى فعل الأعمال الصالحة التي شرعها الله لكم في دين الإسلام. وسيجمعكم الله جميعاً يوم القيامة من أي موضع كنتم فيه. إن الله على كل شيء قدير.

(١٤٩) ومن أي مكان خرجت -أيها النبي- مسافراً، وأردت الصلاة، فوجه وجهك نحو المسجد الحرام. وإن توجهك إليه هو الحق الثابت من ربك. وما الله بغافل عما تعملونه، وسيجازيكم على ذلك.

(١٥٠) ومن أي مكان خرجت -أيها النبي- فتوجه إلى المسجد الحرام، وحيثما كنتم -أيها المسلمون-، بأي قطر من أقطار الأرض فولُّوا وجوهكم نحو المسجد الحرام؛ لكي لا يكون للناس المخالفين لكم احتجاج عليكم بالمخاصمة والمجادلة، بعد هذا التوجه إليه، إلا أهل الظلم والعناد منهم، فيسطلون على جداهم، فلا تخافوهم وخافوني بامتنال أمري، واجتنب نهيي؛ ولكي أتم نعمتي عليكم باختيار أكمل الشرائع لكم، ولعلكم تهتدون إلى الحق والصواب.

(١٥١) كما أنعمنا عليكم باستقبال الكعبة أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، ويطهركم من دنس الشرك وسوء الأخلاق، ويعلمكم الكتاب والسنة وأحكام الشريعة، ويعلمكم من أخبار الأنبياء، وقصص الأمم السابقة ما كنتم تجهلونه.

(١٥٢) أمر تعالى المؤمنين بذكره، ووعد عليه أفضل الجزاء، وهو الثناء في الملأ الأعلى على من ذكره، وخُصوني -أيها المؤمنون- بالشكر قولاً وعملاً، ولا تجعلوا نعمة عليكم.

(١٥٣) يا أيها المؤمنون اطلبوا العون من الله في كل أموركم: بالصبر على النوائب والمصائب، وبالصبر على ترك المعاصي والذنوب، وبالصبر على الطاعات والقربات، وبالصلاة التي تطمئن بها النفس، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر. إن الله مع الصابرين بعونه وتوقيفه وتسديده. وفي الآية إثبات معية الله الخاصة بالمؤمنين، المتضمنة لما سلف ذكره: أما المعية العامة، المتضمنة للعلم والإحاطة فهي لجميع الخلق.

(١٥٤) ولا تقولوا -أيها المؤمنون- فيمن يُقتلون مجاهدين في سبيل الله: هم أموات؛ بل هم أحياء حياة خاصة بهم في قبورهم، لا يعلم كيفيتها إلا الله -تعالى-، ولكنكم لا تحسون بها.

وفي هذا دليل على نعيم القبر.

(١٥٥) ولنخبرنكم شيء يسير من الخوف، ومن الجوع، وبنقص من الأموال بتعسر الحصول عليها، أو ذهابها، ومن الأنفس: بالموت أو الشهادة في سبيل الله، وبنقص من ثمرات النخيل والأعناب والحبوب، بقلّة ناتها أو فسادها. ويشرّ -أي النبي- الصابرين على هذا وأمثاله بما يفرحهم ويسرّهم من حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

(١٥٦) من صفة هؤلاء الصابرين أنهم إذا أصابهم شيء يكرهونه قالوا: إنّنا عبيد لمولوك الله، مدبرون بأمره وتصريفه، يفعل بنا ما يشاء، وإنّا إليه راجعون بالموت، ثم بالبعث للحساب والجزاء.

(١٥٧) أولئك الصابرون لهم ثناء من ربهم ورحمة عظيمة منه سبحانه، وأولئك هم المهتدون إلى الرشاد.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبَيِّتُكُمْ يُشْرِي مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَيَشِّرَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَن حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ أُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُ كَلِمَةً وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ غَفُورٌ ذُو فَضْلٍ ﴿١٦٣﴾

(١٥٨) إن الصفا والمروة -وهما جبلان صغيران قرب الكعبة من جهة الشرق- من معالم دين الله الظاهرة التي تعبّد الله عباده بالسعي بينهما. فمن قصد الكعبة حاجاً أو معتمراً، فلا إثم عليه ولا حرج في أن يسعى بينهما، بل يجب عليه ذلك، ومن فعل الطاعات طواعية من نفسه، مخلصاً بها لله تعالى، فإن الله تعالى شاكر يثيب على القليل بالكثير، عليهم بأعمال عباده فلا يضييعها، ولا يبخس أحداً مثقال ذرة.

(١٥٩) إن الذين يخفون ما أنزلنا من الآيات الواضحات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به، وهم أحبار اليهود وعلماء النصارى وغيرهم ممن يكتم ما أنزل الله من بعد ما أظهرناه للناس في التوراة والإنجيل، أولئك يطردهم الله من رحمته، ويدعو عليهم باللعنة جميع الخليقة.

(١٦٠) إلا الذين رجعوا مستغفرين الله من خطاياهم، وأصلحوا ما أفسدوه، وبَيَّنَّاهُ ما كتموه، فأولئك أقبل توبتهم وأجازيمهم بالمغفرة، وأنا التواب الرحيم.

(١٦١) إن الذين جحدوا الإيثار وكنمو الحق، واستمروا على ذلك حتى ماتوا، أولئك عليهم لعنة الله بالظرد من رحمته، وعليهم لعنة الملائكة والناس أجمعين.

(١٦٢) دائمين في اللعنة والنار، لا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يُثْهَلُونَ بمعذرة يعتذرون بها.

(١٦٣) وإلهم -أيها الناس- إله واحد متفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبودية خلقه له، لا معبود بحق إلا هو، الرحمن المتصف بالرحمة في ذاته وأفعاله لجميع الخلق، الرحيم بالمؤمنين.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا لَئِنْ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾ وَرَبِّ النَّاسِ
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ سِئِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٦﴾
إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّارُوا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٨﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٩﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

(١٦٤) إن في خلق السموات بارئها وتوسعها، والأرض بجلالها وسهولها وبحارها، وفي اختلاف الليل والنهار من الطول والقصر، والظلمة والنور، وتعاقدتهما بأن يخلف كل منهما الآخر، وفي السفن الجارية في البحار، التي تحمل ما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء المطر، فأحيا به الأرض، فصارت مخضرة ذات بهجة بعد أن كانت يابسة لا نبات فيها، وما نشره الله فيها من كل ما دب على وجه الأرض، وما أنعم به عليكم من تقلب الرياح وتوجيهها، والسحاب المسير بين السماء والأرض، إن في كل الدلائل السابقة لآيات على وحدانية الله، وجليل نعمه، لقوم يعقلون مواضع الحجج، ويفهمون أدلته سبحانه على وحدانيته، واستحقاقه وحده للعبادة.

(١٦٥) ومع هذه البراهين القاطعة يتخذ فريق من الناس من دون الله أصناماً وأوثاناً وأولياء يجعلونهم نظراء لله تعالى، ويعطونهم من المحبة والتعظيم والطاعة، ما لا يليق إلا بالله وحده. والمؤمنون أعظم حباً لله من حب هؤلاء الكفار لله ولأهلهم؛ لأن المؤمنين أخلصوا المحبة كلها

لله، وأولئك أشركوا في المحبة. ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك في الحياة الدنيا، حين يشاهدون عذاب الآخرة، أن الله هو المتفرد بالقوة جميعاً، وأن الله شديد العذاب، كما اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم من دونه، ويتقربون بهم إليه.

(١٦٦) عند معابنتهم عذاب الآخرة يتبرأ الرؤساء المتبعون ممن اتبعهم على الشرك، وتنقطع بينهم كل الصلات التي ارتبطوا بها في الدنيا: من القرابة، والأشباق، والدين، وغير ذلك.

(١٦٧) وقال التابعون: ياليت لنا عودة إلى الدنيا، فنعلن براءتنا من هؤلاء الرؤساء، كما أعلنوا براءتهم مِنَّا. وكما أراهم الله شدة عذابه يوم القيامة يريهم أعمالهم الباطلة ندامات عليهم، وليسوا بخارجين من النار أبداً.

(١٦٨) يا أيها الناس كلوا من رزق الله الذي أباحه لكم في الأرض، وهو الطاهر غير النجس، النافع غير الضار، ولا تتبعوا طرق الشيطان في التحليل والتحريم، والبذع والمعاصي. إنه عدو لكم ظاهر العداوة.

(١٦٩) إنما يأمركم الشيطان بكل ذنب قبيح يسوءكم، وبكل معصية بالغة القبح، وبأن تفتروا على الله الكذب من تحريم الحلال وغيره بدون علم.

وَإِذْ أَوَّلُ لَهُمْ أَسْمَاءُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالَ أَوَّلُ نَسَبٍ مَا أَلْقَيْنَا عَلَيْهِ أَسْمَاءُ نَأْ أَوَّلُ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّبْيِ يَقْبُحُ إِيمًا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بُكْرٌ عَنْ قَهْرٍ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ ذَلِكَ لِأَعَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَتَى اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْكُرُونَ بِهِ كَمَا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّخَذُوا الْأَهْلَ مِنَ الْأَهْلِ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصَارَى وَالْمَغْرِبِيِّمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَلِأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا كَفَرُوا بِمَا فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

(١٧٠) وإذا قال المؤمنون ناصحين أهل الضلال: اتبعوا ما أنزل الله من القرآن والهدى، أصروا على تقليد أسلافهم المشركين قائلين: لا تتبع دينكم، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. آتبعون آباءهم ولو كانوا لا يعقلون عن الله شيئاً، ولا يدركون رشداً؟

(١٧١) وصفة الذين كفروا وداعيتهم إلى الهدى والإيمان كصفة الراعي الذي يصيح بالبهائم ويزجرها، وهي لا تفهم معاني كلامه، وإنما تسمع النداء ودوي الصوت فقط. هؤلاء الكفار صُمُّ سَدُّوا أَسْمَاعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، يُكْمُ أَخْرَسُوا أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ بِهِ، عُمِّي لَا تَرَى أَعْيُنُهُمْ بَرَاهِينَهُ الْبَاهِرَةَ، فَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ عَقْلَهُمْ فِيمَا يَنْفَعُهُمْ.

(١٧٢) يا أيها المؤمنون كلوا من الأطعمة المستلذذة الحلال التي رزقناكم، ولا تكونوا كالكفار الذين يحرمون الطيبات، ويستجلون الخبائث، واشكروا لله نعمه العظيمة عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، إن كنتم حقاً منقادين لأمره، سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

(١٧٣) إنما حَرَّمَ الله عليكم ما يضركم كالميتة التي لم تدبج بطريقة شرعية، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، والذبائح التي ذبحت لغير الله. ومن فَضَّلَ الله عليكم وتيسيره أنه أباح لكم أكل هذه المحرمات عند الضرورة. فمن أُلْجِئَ الضرورة إلى أكل شيء منها، غير ظالم في أكله فوق حاجته، ولا متجاوز حدود الله فيها أُبِيحَ له، فلا ذنب عليه في ذلك. إن الله غفور لِعِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

(١٧٤) إن الذين يُكْفُرُونَ ما أنزل الله في كتبه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الحق، ويحرصون على أخذ عوض قليل من عرض الحياة الدنيا مقابل هذا الإخفاء، هؤلاء ما يَأْكُلُونَ في مقابلة كتمان الحق إلا نَارَ جَهَنَّمَ تَأْجُجٌ فِي بُطُونِهِمْ، وَلَا يَكْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَغَضَبِهِ وَسَخَطِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَطْهَرُهُمْ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ وَكَفَرِهِمْ، وَهُمْ عَذَابٌ مُوَجَّعٌ.

(١٧٥) أولئك المتصفون بهذه الصفات استبدلوا الضلالة بالهدى وعذاب الله بمغفرته، فما أشدَّ جرائعهم على النار بعملهم أعمال أهل النار!! يعجب الله من إقدامهم على ذلك، فاعجبوا - أيها الناس - من جرائعهم، ومن صبرهم على النار ومكثهم فيها. وهذا على وجه الاستهانة، بهم والاستخفاف بأمرهم.

(١٧٦) ذلك العذاب الذي استحقوه بسبب أن الله تعالى نَزَّلَ كتبه على رسله مشتملة على الحق المبين، فكفروا به. وإن الذين اختلفوا في الكتاب فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، لفي منازعة ومفارقة بعيدة عن الرشد والصواب.

لَيْسَ الْإِيمَانُ أَنْ تَقُولُوا وُجُوهَكُمْ فَمَا الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
وَلَكِنْ الْإِيمَانُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَآتَى السَّبِيلَ وَالسَّالِمِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّادِقِينَ فِي الْبُيُوتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْفَصَاحُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ بِالْأَنْثَىٰ
بِالْأَنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ
إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكَ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعَدَّ
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

(١٧٧) ليس الخبر عند الله - تعالى - في التوجه في الصلاة إلى جهة المشرق والمغرب إن لم يكن عن أمر الله وشره، وإنما الخبر كل الخير هو إيمان من آمن بالله وصدق به معبوداً وحده لا شريك له، وآمن بيوم البعث والجزاء، وبالملائكة جميعاً، وبالكتب المنزل كافة، وبجميع النبيين من غير تفریق، وأعطى المال تطوعاً - مع شدة حبه - ذوي القربى، واليتامى المحتاجين الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ، والمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والمسافرين المحتاجين الذين بعدوا عن أهلهم ومالهم، والسائلين الذين اضطروا إلى السؤال لشدة حاجتهم، وأنفق في تحرير الرقيق والأسرى، وأقام الصلاة، وأدى الزكاة المفروضة، والذين يوفون بالعهود، ومن صبر في حال فقره ومرضه، وفي شدة القتال. أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، وأولئك هم الذين اتقوا عقاب الله فجنبوا معاصيه.

(١٧٨) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره فرض الله عليكم أن تقتصوا من القاتل عمداً بقتله، بشرط المساواة والمثالة: يُقتل الحر بمثله، والعبد يدفعه الجاني مقابل العفو عنه - فليلتزم الطرفان بحسن الخلق، فيطالب الولي بالدية من غير عنف، ويدفع القاتل إليه حقه بإحسان، من غير تأخير ولا نقص. ذلك العفو مع أخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة بكم؛ لما فيه من التسهيل والانتفاع. فمن قتل القاتل بعد العفو عنه وأخذ الدية فله عذاب أليم بقتله قصاصاً في الدنيا، أو بالنار في الآخرة. (١٧٩) ولكم في تشريع القصاص وتنفيذه حياة آمنة - يا أصحاب العقول السليمة -؛ رجاء تقوى الله وخشيته بطاعته دائماً.

(١٨٠) فرض الله عليكم إذا حضر أحدكم علامات الموت ومقدماته - إن ترك مالاً - الوصية بجزء من ماله للوالدين والأقربين مع مراعاة العدل؛ فلا يدع الفقير ويوصي للغني، ولا يتجاوز الثلث، وذلك حق ثابت يعمل به أهل التقوى الذين يخافون الله. وكان هذا قبل نزول آيات الموارث التي حدد الله فيها نصيب كل وارث. (١٨١) فمن غير وصية الميت بعدما سمعها منه قبل موته، فإنما الذنب على من غير وبدل. إن الله سميع لوصيتكم وأقول لكم، عليم بما تخفيه صدوركم من الميل إلى الحق والعدل أو الخور والحقيف، وسيجازيكم على ذلك.

(١٨٢) فَمَنْ عَلِمَ مِنْ مَوَاصِي مَيْلًا عَنِ الْحَقِّ فِي وَصِيَّتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْخَطَا أَوْ الْعَمَدِ، فَنَصَحَ الْمَوَاصِي وَوَقَّتَ الْوَصِيَّةَ بِمَا هُوَ الْأَعْدَلُ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِكَ فَأَصْلَحَ بَيْنَ الْأَطْرَافِ بِتَغْيِيرِ الْوَصِيَّةِ؛ لِتَوَافُقِ الشَّرِيعَةِ، فَلَا ذَنْبَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْإِصْلَاحِ. إِنْ أَلَّهِ غُفُورٌ لِعِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

(١٨٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِشَرْعِهِ، فَارْضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الصِّيَامَ كَمَا فَرَضَهُ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ؛ لِعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ رَبَّكُمْ، فَتَجْعَلُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي وَقَايَةً بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ.

(١٨٤) فَارْضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَ أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ الْعَدَدِ وَهِيَ أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا يُشَقُّ عَلَيْهِ الصُّومُ، أَوْ مُسَافِرًا فَلَهُ أَنْ يَفْطُرَ، وَعَلَيْهِ صِيَامُ عَدَدٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ بِقَدَرِ الَّذِي أَفْطَرَ فِيهَا. وَعَلَى الَّذِينَ يَتَكَلَّفُونَ الصِّيَامَ وَيُشَقُّ عَلَيْهِمْ مُشَقَّةٌ غَيْرُ مُحْتَمَلَةٍ كَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ، وَالْمَرِيضِ الَّذِي لَا يُزْجَى شِفَاؤُهُ، فَدِيَّةٌ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ يَفْطُرُهُ، وَهِيَ طَعَامُ مَحْتَاجٍ لَا يَمْلِكُ مَا يَكْفِيهِ

وَيُسَدُّ حَاجَتَهُ، فَمَنْ زَادَ فِي قَدْرِ الْفَدْيَةِ تَبَرُّعًا مِنْهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَصِيَامُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ - مَعَ تَحْمُلِ الْمَشَقَّةِ - مِنْ إِعْطَاءِ الْفَدْيَةِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْفَضْلَ الْعَظِيمَ لِلصُّومِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

(١٨٥) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيهِ أَنْزَالُ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ هِدَايَةً لِلنَّاسِ إِلَى الْحَقِّ، فِيهِ أَوْضَحُ الدَّلَائِلِ عَلَى هُدَى اللَّهِ، وَعَلَى الْفَارِقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. فَمَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ وَكَانَ صَاحِبًا مُقِيمًا فَلْيَصُمْ نَهَارَهُ. وَيُرْخَّصُ لِلْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ فِي الْفِطْرِ، ثُمَّ يَقْضِيَانِ عَدَدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ. يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ الْيُسْرَ وَالسَّهُولَةَ فِي شَرَائِعِهِ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَالْمَشَقَّةَ، وَلِتَكْمَلُوا عِدَّةَ الصِّيَامِ شَهْرًا، وَلِتَخْتَمُوا الصِّيَامَ بِتَكْبِيرِ اللَّهِ فِي عِيدِ الْفِطْرِ، وَلِتَعْظُمُوهُ عَلَى هِدَايَتِهِ لَكُمْ، وَلِكِي تَشْكُرُوا لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْهُدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّيْسِيرِ.

(١٨٦) وَإِذَا سَأَلْتُ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عِبَادِي عَنِّي فَقُلْ هُمْ: إِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي، فَلْيَطِيعُونِي فِيهَا أَمْرَهُمْ بِهِ وَنَهْيَهُمْ عَنْهُ، وَلْيُؤْمِنُوا بِي، لِعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ إِلَى مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِخْبَارٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَنْ قُرْبِهِ مِنْ عِبَادِهِ، الْقُرْبِ اللَّاتِقِ بِجَلَالِهِ.

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ذَٰلِكَ يَبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٤﴾ يَتْلُوكَ عَنِ الْآهْلِ قُلُوبُ هِيَ مَوْقِعُ النَّاسِ وَالْمَسْجِدِ وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَقَتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونََكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٢٢٦﴾

(١٨٧) أباح الله لكم في ليالي شهر رمضان جماع نساءكم، هن ستر وحفظ لكم، وأنتم ستر وحفظ هن. علم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم؛ بمخالفة ما حرمه الله عليكم من جماعة النساء بعد العشاء في ليالي الصيام - وكان ذلك في أول الإسلام -، فتاب الله عليكم ووسع لكم في الأمر، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدره الله لكم من الأولاد، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم ضياء الصباح من سواد الليل؛ بظهور الفجر الصادق، ثم أتوا الصيام بالإمساك عن المفطرات إلى دخول الليل بغروب الشمس. ولا تجامعوا نساءكم أو تتعاطوا ما يفضي إلى جماعهن إذا كنتم معتكفين في المساجد؛ لأن هذا يفسد الاعتكاف (وهو الإقامة في المسجد مدة معلومة بنية التقرب إلى الله تعالى). تلك الأحكام التي شرعها الله لكم هي حدوده الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تقربوها حتى لا تقعوا في الحرام. يمثل هذا البيان الواضح بين الله آياته وأحكامه للناس؛ كي يتقوه ويخشوه.

(١٨٨) ولا يأكل بعضكم مال بعض بسبب باطل كاليمين الكاذبة، والغصب، والسرقة، والرüşة، والربا ونحو ذلك، ولا تلقوا إلى المحاكم بالحجج الباطلة؛ لتأكلوا عن طريق التخاصم أموال طائفة من الناس بالباطل، وأنتم تعلمون تحريم ذلك عليكم.

(١٨٩) يسألك أصحابك - أي النبي -: عن الأهلة وتعثر أحوالها، قل هم: جعل الله الأهلة علامات يعرف بها الناس أوقات عبادتهم المحددة بوقت مثل الصيام والحج، ومعاملاتهم. وليس الخير ما تعودتم عليه في الجاهلية وأول الإسلام من دخول البيوت من ظهورها حين تُحرمون بالحج أو العمرة، ظانين أن ذلك قرينة إلى الله، ولكن الخير هو فعل من اتقى الله واجتنب المعاصي، وادخلوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم بالحج أو العمرة، واخشوا الله تعالى في كل أموركم؛ لتفوزوا بكل ما تحبون من خير الدنيا والآخرة.

(١٩٠) وقاتلوا - أي المؤمنون - لنصرة دين الله الذين يقاتلونكم، ولا تركبوا المناهي من السُّئلة، والغُلُول، وقَتْل من لا يحل قتله من النساء والصبيان والشيوخ، ومن في حكمهم. إن الله لا يحب الذين يجاوزون حدوده، فيستحلون ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

(١٩١) واقتلوا الذين يقاتلونكم من المشركين حيث وجدتموهم. وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه وهو «مكة». والفننة - وهي الكفر والشرك والصد عن الإسلام - أشد من قتلهم إياهم. ولا تبدؤوهم بالقتال عند المسجد الحرام تعظيماً لحرمة ما حتى يبدووكم بالقتال فيه، فإن قاتلوكم في المسجد الحرام فاقتلوهم فيه. مثل ذلك الجزاء الرادع يكون جزاء الكافرين.

(١٩٢) فإن تركوا ما هم فيه من الكفر وقتلهم عند المسجد الحرام، ودخلوا في الإيمان، فإن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(١٩٣) واستجروا - أيها المؤمنون - في قتال المشركين المعتدين، حتى لا تكون فتنة للمسلمين عن دينهم ولا شرك بالله، ويبقى الدين لله وحده خالصاً لا يُعْبَدُ معه غيره. فإن كفوا عن الكفر والقتال فكفوا عنهم؛ فالعقوبة لا تكون إلا على المستمرين على كفرهم وعدوانهم.

(١٩٤) قتالكم - أيها المؤمنون - للمشركين في الشهر الذي حُرِّمَ الله القتال فيه هو جزاء لقتالهم لكم في الشهر الحرام. والذي يعتدي على ما حُرِّمَ الله من المكان والزمان، يعاقب بمثل فعله، ومن جنس عمله. فمن اعتدى عليكم بالقتال أو غيره فأنزلوا به عقوبة مماثلة لجنايته، ولا حرج عليكم في ذلك؛ لأنهم هم البادئون بالعدوان،

وخافوا الله فلا تتجاوزوا المائلة في العقوبة، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه ويعطونه بأداء فرائضه وتحجب محارمه.

(١٩٥) واستجروا - أيها المؤمنون - في إنفاق الأموال لنصرة دين الله تعالى، والجهاد في سبيله، ولا توقعوا أنفسكم في المهلكات بترك الجهاد في سبيل الله، وعدم الإنفاق فيه، وأحسنوا في الإنفاق والطاعة، واجعلوا عملكم كله خالصاً لوجه الله تعالى. إن الله يحب أهل الإخلاص والإحسان.

(١٩٦) وأدوا الحج والعمرة تأتئين، خالصين لوجه الله تعالى. فإن منعكم عن الذهاب لإتمامها بعد الإحرام بها مانع كالعدو والمرض، فالواجب عليكم ذبُّ ما تيسر لكم من الإبل أو البقر أو الغنم تقريباً إلى الله تعالى؛ لكي تُخْرِجُوا من إحرامكم بخلق شعر الرأس أو تقصيره، ولا تحلقوا رؤوسكم إذا كنتم مُحْضَرِينَ حتى ينحر الْمُحْضَرُ هديه في الموضع الذي حُصِرَ فيه ثم يخل من إحرامه، كما نحر النبي صلى الله عليه وسلم في «الحديبية» ثم حلق رأسه، وغير الْمُحْضَرُ لا ينحر الهدى إلا في الحرم، الذي هو محله في يوم العيد، اليوم العاشر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق - وهو حُرْمٌ - حلق، وعليه فدية: بأن يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، أو يذبح شاة لفقراء الحرم. فإذا كنتم في أمن وصحة: فمن استمتع بالعمرة إلى الحج وذلك باستباحة ما حُرِّمَ عليه بسبب الإحرام بعد انتهاء عمرته، فعليه ذبح ما تيسر من الهدى، فمن لم يجد هدياً يذبحه فعليه صيام ثلاثة أيام في أشهر الحج، وسبعة إذا فرغتم من أعمال الحج ورجعتم إلى أهليكم، تلك عشرة كاملة لا بد من صيامها. ذلك الهدى وما ترتب عليه من الصيام لمن لم يكن أهله من ساكني أرض الحرم، وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتنب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره، وارتكب ما عنه زجر.

(١٩٧) وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. فمن أوجب الحج على نفسه فيهن بالإحرام، فحُرِّمَ عليه الجماع ومقاماته القولية والفعلية، ويحُرِّمُ عليه الخروج عن طاعة الله تعالى بفعل المعاصي، والجدال في الحج الذي يؤدي إلى الغضب والكرامية. وما تفعلوا من خير يعلمه الله، فيجزي كلاً على عمله. وخذوا لأنفسكم زاداً من الطعام والشراب لسفر الحج، وزاداً من صالح الأعمال للدار الآخرة، فإن خير الزاد تقوى الله، وخافوني يا أصحاب العقول السليمة.

(١٩٨) ليس عليكم حرج في أن تطلبوا رزقاً من ربكم بالربح من التجارة في أيام الحج . فإذا دفعتم بعد غروب الشمس رابعين من «عرفات» -وهي المكان الذي يقف فيه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة- فاذكروا الله بالتسبيح والتلبية والدعاء عند المشعر الحرام -«المزدلفة»- ، واذكروا الله على الوجه الصحيح الذي هداكم إليه ، ولقد كنتم من قبل هذا الهدى في ضلال لا تعرفون معه الحق .

(١٩٩) وليكن اندفاعكم من «عرفات» التي أفاض منها إبراهيم عليه السلام مخالفين بذلك مَنْ لا يقف بها من أهل الجاهلية، واسألوا الله أن يفر لكم ذنوبكم. إن الله غفور لعباده المستغفرين التائبين، رحيم بهم.

(٢٠٠) فإذا أتممت عبادتكم، وفرغتم من أعمال الحج، فأكثرُوا من ذكر الله والثناء عليه، مثل ذكركم مفاخر آبائكم وأعظم من ذلك. فمن الناس فريق يجعل همه الدنيا فقط، فيدعو قائلاً: ربنا آتانا في الدنيا صحةً، ومالاً، وأولاداً، وهؤلاء ليس لهم في الآخرة حظ ولا نصيب؛ لرغبتهم عنها وقصر همهم على الدنيا.

(٢٠١) ومن الناس فريق مؤمن يقول في دعائه: ربنا آتنا في الدنيا عافية ورزقاً وعلماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا، وفي الآخرة الجنة، وأصرّف عنا عذاب النار. وهذا الدعاء من أجمع الأدعية، ولهذا كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في الصحيحين.

(٢٠٢) أولئك الداعون بهذا الدعاء لهم ثواب عظيم؛ بسبب ما كسبوه من الأعمال الصالحة. والله سريع الحساب، مُحْصِي أَعْمَالِ عِبَادِهِ، وَجَازِيهِمْ بِهَا.

الْحُجَّ شَهْرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِ هَ الْحُجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجَّ وَمَا تَعْلَمُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزِدُّوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الشَّقَوَى وَالتَّقْوَى يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ مَيْسَكِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ وَأَاشْذِكْرَافِينَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَدْ عَادَذَ النَّارَ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٢﴾

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْجِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْيَهُادُ ٢٠٦ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْصَاتٍ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٢٠٧ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا يَدْخُلُونَ فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٠٨ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٢١٠﴾

(٢٠٣) واذكروا الله تسبيحاً وتكبيراً في أيام قلائل، وهي أيام التشريق: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة. فمن أراد التعجل وخرج من «منى» قبل غروب شمس اليوم الثاني عشر بعد رمي الجمار فلا ذنب عليه، ومن تأخر بأن بات بـ«منى» حتى يرمي الجمار في اليوم الثالث عشر فلا ذنب عليه، لمن اتقى الله في حجه. والتأخر أفضل؛ لأنه تزود في العبادة واقتداء بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وخافوا الله -أيها المسلمون- وراقبوه في كل أعمالكم، واعلموا أنكم إليه وحده تُحْشَرُونَ بعد موتكم للحساب والجزاء.

(٢٠٤) وبعض الناس من المنافقين يعجبك -أيها الرسول- كلامه الفصيح الذي يريد به حظاً من حظوظ الدنيا لا الآخرة، ويحلف مستشهداً بالله على ما في قلبه من محبة الإسلام، وفي هذا غاية الجرأة على الله، وهو شديد العداوة والخصومة للإسلام والمسلمين.

(٢٠٥) وإذا خرج من عندك أيها الرسول، جَدَّ

وتَنَطَّبَ في الأرض ليفسد فيها، ويتلف زروع الناس، ويقتل ماشيتهم. والله لا يحب الفساد.

(٢٠٦) وإذا نُصِح ذلك المنافق المفسد، وقيل له: اتق الله واحذر عقابه، وَكُفَّ عن الفساد في الأرض، لم يقبل النصيحة، بل يحملة الكبر وحمية الجاهلية على مزيد من الآثام، فَحَسْبُهُ جهنم وكافيته عذاباً، ولبس الفرائش هي.

(٢٠٧) وبعض الناس يبيع نفسه طلباً لرضا الله عنه، بالجهاد في سبيله، والتزام طاعته. والله رؤوف بالعباد، يرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في عاجلهم وأجلهم، فيجازيهم أحسن الجزاء.

(٢٠٨) يا أيها الذين آمنوا بالله رباً ومحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً، ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، عاملين بجميع أحكامه، ولا تركوا منها شيئاً، ولا تتبعوا طرق الشيطان فيها يدعوكم إليه من المعاصي. إنه لكم عدو ظاهر العداوة فاحذروه.

(٢٠٩) فإن انحرفتم عن طريق الحق، من بعد ما جاءكم الحجج الواضحة من القرآن والسنة، فاعلموا أن الله عزيز في ملكه لا يفوته شيء، حكيم في أمره ونهيه، يضع كل شيء في موضعه المناسب له.

(٢١٠) ما ينتظر هؤلاء المعاندون الكافرون بعد قيام الأدلة البينة إلا أن يأتهم الله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه في ظُلل من السحاب يوم القيامة؛ ليفصل بينهم بالقضاء العادل، وأن تأتي الملائكة، وحينئذ يقضي الله تعالى فيهم قضاءه. وإليه وحده ترجع أمور الخلائق جميعها.

۷۷

كَيْتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدْعٌ سَبِيلُ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَوْكُمُ ذَٰلِكَ يَبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١٩﴾

(٢١٦) فرض الله عليكم -أيها المؤمنون- قتال الكفار، والقتال مكروه لكم من جهة الطبع؛ لمشقتة وكثرة مخاطره، وقد تكرهون شيئاً وهو في حقيقته خير لكم، وقد تحبون شيئاً لما فيه من الراحة أو اللذة العاجلة، وهو شر لكم. والله تعالى يعلم ما هو خير لكم، وأنتم لا تعلمون ذلك. فبادروا إلى الجهاد في سبيله.

(٢١٧) يسألك المشركون -أيها الرسول- عن الشهر الحرام: هل يحل فيه القتال؟ قل لهم: القتال في الشهر الحرام عظيم عند الله استحلاله وسفك الدماء فيه، ومنعكم الناس من دخول الإسلام بالتعذيب والتخويف، وجودكم بالله ورسوله وبدينه، ومنع المسلمين من دخول المسجد الحرام، وإخراج النبي والمهاجرين منه وهم أهله وأولياؤه، ذلك أكبر ذنباً، وأعظم جرماً عند الله من القتال في الشهر الحرام. والشرك الذي أنتم فيه أكبر وأشد من القتل في الشهر الحرام. وهؤلاء الكفار لم يرتدعوا عن جرائمهم، بل هم مستمررون عليها، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا تحقيق ذلك. ومن يُطْفِئهم منكم -أيها المسلمون- ويرتدّد عن دينه فيمت على الكفر، فقد ذهب عمله في الدنيا والآخرة، وصار من الملازمين لنار جهنم لا يخرج منها أبداً.

(٢١٨) إن الذين صدّقوا بالله ورسوله وعملوا بشرعه والذين تركوا ديارهم، وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يطعمون في فضل الله وثوابه. والله غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم رحمة واسعة.

(٢١٩) يسألك المسلمون -أيها النبي- عن حكم تعاطي الخمر شرباً وبيعاً وشراءً، والخمر كل مسكر خامر العقل وغطاه مشروباً كان أو مأكولاً، ويسألونك عن حكم القمار -وهو أخذ المال أو إعطاؤه بالمقامرة وهي المغالبات التي فيها عوض من الطرفين-، قل لهم: في ذلك أضرار ومفاسد كثيرة في الدين والدنيا، والعقول والأموال، وفيها منافع للناس من جهة كسب الأموال وغيرها، وإثمها أكبر من نفعها؛ إذ يصدّان عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقعان العداوة والبغضاء بين الناس، ويتلفان المال. وكان هذا تمهيداً لتحريمها. ويسألونك عن القدر الذي ينفقونه من أموالهم تبرعاً وصدقة، قل لهم: أنفقوا القدر الذي يزيد على حاجتكم. مثل ذلك البيان الواضح يبيّن الله لكم الآيات وأحكام الشريعة؛ لكي تفكروا فيها ينفعكم في الدنيا والآخرة.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِحْرَاسُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْ اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَئِمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ إِنِّي بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ لَّا أَنْفُسَكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَفُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقُولُوا أَلَلْنَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

(٢٢٠) ويسألونك -أيها النبي - عن اليتامى الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ كيف يتصرفون معهم في معاشهم وأموالهم؟ قل لهم: إصلاحكم لهم خير، فافعلوا الأنفع لهم دائماً، وإن تخالطوهم في سائر شؤون المعاش فهم إخوانكم في الدين. وعلى الأخ أن يرمى مصلحة أخيه. والله يعلم المضيع لأموال اليتامى من الخريص على إصلاحها. ولو شاء الله لضيق وشق عليكم بتحريم المخالطة. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في خلقه وتديبه وتشريع.

(٢٢١) ولا تتزوجوا -أيها المسلمون- المشركات عابدات الأوثان، حتى يدخلن في الإسلام. واعلموا أن امرأة مملوكة لا مال لها ولا حسب، مؤمنة بالله، خير من امرأة مشركة، وإن أعجبتمكم المشركة الحرة. ولا تزوجوا نساءكم المؤمنات -إماء أو حرائر- للمشركين حتى يؤمنوا بالله ورسوله. واعلموا أن عبداً مؤمناً مع فقره، خير من مشرك، وإن أعجبكم المشرك. أولئك المتصفون بالشرك رجالاً ونساءً يدعون كل من يعاشرهم إلى ما يؤدي به إلى النار، والله سبحانه يدعو عباده إلى دينه الحق المؤدي بهم إلى

الجنة ومغفرة ذنوبهم بإذنه، ويبين آياته وأحكامه للناس؛ لكي يتذكروا، فيعتبروا.

(٢٢٢) ويسألونك عن الحيض -وهو الدم الذي يسيل من أرحام النساء جيلةً في أوقات مخصوصة-، قل لهم -أيها النبي-: هو أذى مستقذر يضر من يقرّبه، فاجتنبوا جماع النساء مدة الحيض حتى ينقطع الدم، فإذا انقطع الدم، واغتسلن، فجامعوهن في الموضع الذي أحله الله لكم، وهو القبل لا الدبر. إن الله يحب عباده المكثرين من الاستغفار والتوبة، ويجب عبادته المتطهرين الذين يبتعدون عن الفواحش والأقذار.

(٢٢٣) نسائكم موضع زرع لكم، تضعون الطفرة في أرحامهن، فيخرج منها الأولاد بمشيئة الله، فجامعوهن في محل الجماع فقط، وهو القبل بأي كيفية شئتم، وقدّموا لأنفسكم أعمالاً صالحة بمراعاة أوامر الله، وخافوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه للحساب يوم القيامة. وبشّر المؤمنين -أيها النبي- بما يُفرّجهم ويسرّهم من حسن الجزاء في الآخرة.

(٢٢٤) ولا تجعلوا -أيها المسلمون- حلفكم بالله مانعاً لكم من البرّ وصلة الرحم والتقوى والإصلاح بين الناس: بأن تدعوا إلى فعل شيء منها، فتحتجوا بأنكم أقسمتم بالله ألا تفعلوه، بل على الخائف أن يعدل عن حلفه، ويفعل أعمال البر، ويكفر عن يمينه، ولا يعتاد ذلك. والله سميع لأقوالكم، عليم بجميع أحوالكم.

(٢٢٥) لا يعاقبكم الله بسبب أيمانكم التي تحلفونها بغير قصد، ولكن يعاقبكم بما قصدته قلوبكم. والله غفور لمن تاب إليه، حلیم بمن عصاه حيث لم يعاجله بالعقوبة.

(٢٢٦) للذين يحلفون بالله أن لا يجامعوا نساءهم، انتظر أربعة أشهر، فإن رجعوا قبل فوات الأشهر الأربعة، فإن الله غفور لما وقع منهم من الحلف بسبب رجوعهم، رحيم بهم.

(٢٢٧) وإن عقدوا عزمهم على الطلاق، باستمرارهم في اليمين، وترك الجماع، فإن الله سمیع لأقوالهم، عليم بمقاصدهم، وسيجازيهم على ذلك.

(٢٢٨) والمطلقات ذوات الحيض، يجب أن ينتظرن دون نكاح بعد الطلاق مدة ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات على سبيل العدة؛ ليتأكدن من فراغ الرحم من الحمل. ولا يجوز هن تزوج رجل آخر في أثناء هذه العدة حتى تنتهي. ولا يحل هن أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل أو الحيض، إن كانت المطلقات مؤمنات حقاً بالله واليوم الآخر. وأزواج المطلقات أحق بمراجعتن في العدة. وينبغي أن يكون ذلك

بقصد الإصلاح والخير، وليس بقصد الإضرار؛ تعديباً هن بتطويل العدة. وللنساء حقوق على الأزواج، مثل التي عليهن على الوجه المعروف، وللرجال على النساء منزلة زائدة من حسن الصعبة، والعشرة بالمعروف، والقوامة على البيت، ومِلْك الطلاق. والله عزیز له العزة القاهرة، حكيم يضع كل شيء في موضعه المناسب.

(٢٢٩) الطلاق الذي تحصل به الرجعة مرتان، واحدة بعد الأخرى، فحكم الله بعد كل طلاق هو إمساك المرأة بالمعروف، وحسن العشرة بعد مراجعتها، أو تخليتها سبيلها مع حسن معاملتها بأداء حقوقها، وألا يذكرها مطلقاً بسوء. ولا يحل لكم -أيها الأزواج- أن تأخذوا شيئاً مما أعطيتموهن من المهر ونحوه، إلا أن يخاف الزوجان ألا يقوموا بالحقوق الزوجية، فحينئذ يُرضان أمرهما على الأولياء، فإن خاف الأولياء عدم إقامة الزوجين حدود الله، فلا حرج على الزوجين فيما تدفعه المرأة للزوج مقابل طلاقها. تلك الأحكام هي حدود الله الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله تعالى فأولئك هم الظالمون أنفسهم بتعريضها لعذاب الله.

(٢٣٠) فإن طلق الرجل زوجته المطلقة الثالثة، فلا تحل له إلا إذا تزوجت رجلاً غيره زوجاً صحيحاً وجامعها فيه، ويكون الزواج عن رغبة، لا بنية تحليل المرأة لزوجها الأول، فإن طلقها الزوج الآخر أو مات عنها وانقضت عدتها، فلا إثم على المرأة وزوجها الأول أن يتزوجا بعقد جديد، ومهر جديد، إن غلب على ظنها أن يبقيا أحكام الله التي شرعها للزوجين. وتلك أحكام الله المحددة بينها لقوم يعلمون أحكامه وحدوده؛ لأنهم المتشفعون بها.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
 أَوْ تَرَحُّوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَآيِيتَ اللَّهِ هُزُوًا
 وَادْكُرُوا عَٰمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَإِنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَلِلَّهِ
 يَعْظُمُ بِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ ۖ وَإِذَا
 طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
 أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَصُّوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
 مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ رُكْنٌ لِّكُمْ وَأُطْهِرَ اللَّهُ
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝۳۳* وَالْوَالِدَتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
 كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
 وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا ضَرَّ
 وَلَدَةٍ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهَا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ
 أَرَادَ الْفَصْلُ أَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوَرَ فَلَاجِنَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
 أَرَدْتُمْ أَنْ تُنْسِئَ رِضْعَ أَوْلَدِكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
 ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝۳۴

(٢٣١) وإذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فقاربن انتهاء عدتهن، فراجعوهن، وبنيتكم القيام بحقوقهن على الوجه المستحسن شرعاً و عرفاً، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن. واحذروا أن تكون مراجعتهن بقصد الإضرار بهن لأجل الاعتداء على حقوقهن. ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه باستحقاقه العقوبة، ولا تتخذوا آيات الله وأحكامه لعباً وهواً. واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وتفصيل الأحكام. واذكروا ما أنزل الله عليكم من القرآن والسنة، واشكروا له سبحانه على هذه النعم الجليلة، يُذكركم الله بهذا، ويخوفكم من المخالفة، فخافوا الله وراقبوه، واعلموا أن الله عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، وسيجازي كلأً بها يستحق.

(٢٣٢) وإذا طَلَّقْتُمُ نِسَاءَكُمْ دون الثلاث وانتهت عدتهن من غير مراجعة لهن، فلا تضيّقوا -أيها الأولياء- على المطلقات بمنعهن من العودة إلى أزواجهن بعقد جديد إذا أردن ذلك، وحدث التراضي شرعاً و عرفاً. ذلك يوعظ به من كان منكم صادق الإيمان بالله واليوم الآخر. إِنَّ تَرَكَ

العضل وتمكين الأزواج من نكاح زوجاتهم أكثر نهاء وطهارة لأعراضكم، وأعظم منفعة وثواباً لكم. والله يعلم ما فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون ذلك.

(٢٣٣) وعلى الوالدات إرضاع أولادهن مدة سنتين كاملتين لمن أراد إتمام الرضاعة، ويجب على الآباء أن يكفلوا للمرضعات المطلقات طعامهن وكسوتهن، على الوجه المستحسن شرعاً و عرفاً؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا قدر طاقتها، ولا يحل للوالدين أن يجعلوا المولود وسيلة للمضارة بينهما، ويجب على الوارث عند موت الوالد مثل ما يجب على الوالد قبل موته من النفقة والكسوة. فإن أراد الوالدان فطام المولود قبل انتهاء السنتين فلا حرج عليهما إذا تراضيا وتشاورا في ذلك؛ ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود. وإن اتفق الوالدان على إرضاع المولود من مرضعة أخرى غير والدته فلا حرج عليهما، إذا سلّم الوالد للأم حقها، وسلّم للمرضعة أجرها بما يتعارفه الناس. وخافوا الله في جميع أحوالكم، واعلموا أن الله بها تعملون بصير، وسيجازيكم على ذلك.

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْكُمْ أَوْ جَائِرَتَيْنِ يَأْتُسُهُنَّ
 أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَحْمَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
 فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَاعِزُ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَمِلْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
 أَوْ أَكْتَمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
 وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
 وَلَا تَفْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَحْمَهُ
 وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَاعِزُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَحْذَرُوا وَعَالِمُوا
 أَنَّ اللَّهَ عَافٍ عَزِيزٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
 مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَضْرِبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى
 الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْفَقِيرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ
 فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ
 أَوْ عَفَا الَّذِي بَيْنَهُمَا عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
 وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَمَاعِزُ الْمُتَعَمِّلِينَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

(٢٣٤) والذين يموتون منكم، ويتركون زوجات بعدهم، يجب عليهم الانتظار بأنفسهم مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، لا يخرج من منزل الزوجية، ولا يتزوّج، ولا يتزوجن، فإذا انتهت المدة المذكورة فلا إثم عليكم بأولياء النساء فيما يفعلن في أنفسهن من الخروج، والتزويج، والزواج على الوجه المقرر شرعاً. والله سبحانه وتعالى خير بأعمالكم ظاهرها وباطنها، وسيجازيكم عليها.

(٢٣٥) ولا إثم عليكم -أيها الرجال- فيما تُلَمِّحون به من طلب الزواج بالنساء المتوفى عنهن أزواجهن، أو المطلقات طلاقاً بائناً في أثناء عدتهن، ولا ذنب عليكم أيضاً فيما أضمرتموه في أنفسكم من نية الزواج بهن بعد انتهاء عدتهن. علم الله أنكم ستذكرون النساء المعتدات، ولن تصبروا على السكوت عنهن، لضغفكم؛ لذلك أباح لكم أن تذكروهن تلميحاً أو إضماراً في النفس، واحذروا أن تواعدهن على النكاح سرّاً بالزنى أو الاتفاق على الزواج في أثناء

العدة، إلا أن تقولوا قولاً يفهم منه أن مثلاً يزغب فيها الأزواج، ولا تعزموا على عقد النكاح في زمان العدة حتى تنقضي مدتها. واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فخافوه، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من ذنوبه، حلیم على عبادِهِ لا يعجل عليهم بالعقوبة.

(٢٣٦) لا إثم عليكم -أيها الأزواج- إن طلقتم النساء بعد العقد عليهن، وقبل أن تتجامعهن، أو تحددوا مهرًا لهن، ومتَّعوهن بشيء ينتفع به جبراً لهن، ودفعاً لو حشنة الطلاق، وإزالة للأحقاد. وهذه المتعة تحب بحسب حال الرجل المطلق: على الغني قدر سعة رزقه، وعلى الفقير قدر ما يملكه، متاعاً على الوجه المعروف شرعاً، وهو حق ثابت على الذين يحسنون إلى المطلقات وإلى أنفسهم بطاعة الله.

(٢٣٧) وإن طلقتم النساء بعد العقد عليهن، ولم تتجامعهن، ولكنكم ألزمت أنفسكم بمهر محدد لهن، فيجب عليكم أن تعطوهن نصف المهر المتفق عليه، إلا أن تُسامح المطلقات، فيترك نصف المهر المستحق لهن، أو يسمح الزوج بأن يترك للمطلقة المهر كله، وتسامحكم أيها الرجال والنساء أقرب إلى خشية الله وطاعته، ولا تنسوا -أيها الناس- الفضل والإحسان بينكم، وهو إعطاء ما ليس بواجب عليكم، والتسامح في الحقوق. إن الله بها يعملون بصير، يُرَغِّبكم في المعروف، ويُنْكَرُكم الفضل.

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْاُولَى وَقُومُوا لِلَّهِ
 قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْسَرَ
 فَأَنْكُرُوا لِلَّهِ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
 وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا
 وَصِيَّةً لِأَرْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ
 خَرَجْنَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ
 مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلَمْ تَطْلُقْ مَتَّعٌ
 بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
 اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ
 إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
 فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
 عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أُنْكِرُوا لَأَنْتَ لَأَنْتَ لَأَنْتَ لَأَنْتَ
 وَقَتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٣﴾
 ذَٰلِكَ الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا
 كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٤﴾

والله عزيز في ملكه، حكيم في أمره ونهيه. وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَرَىٰ بِنَفْسِهِمْ أَتْبَعَهُمْ ثَمَرًا﴾.

(٢٤١) وللمطلقات متاع من كسوة ونفقة على الوجه المعروف المستحسن شرعاً، حقاً على الذين يخافون الله ويتقونه في أمره ونهيه.

(٢٤٢) مثل ذلك البيان الواضح في أحكام الأولاد والنساء، يبين الله لكم آياته وأحكامه في كل ما تحتاجون إليه في معاشكم ومعادكم؛ لكي تعقلوها وتعملوا بها.

(٢٤٣) ألم تعلم -أيها الرسول- قصة الذين فرّوا من أرضهم ومنازلهم، وهم أُلُوف كثيرة؛ خشية الموت من الطاعون أو القتل، فقال لهم الله: موتوا، فماتوا دفعة واحدة عقوبة على فرارهم من قدر الله، ثم أحياهم الله تعالى بعد مدة؛ ليستوفوا آجالهم، وليتعظوا ويتوبوا؟ إن الله لَذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ على الناس بنعمه الكثيرة، ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله عليهم.

(٢٤٤) وقاتلوا -أيها المسلمون- الكفار لنصرة دين الله، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم.

(٢٤٥) من ذا الذي ينفق في سبيل الله إنفاقاً حسناً احتساباً للأجر، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة لا تحصى من الثواب وحسن الجزاء؟ والله يقبض ويبسط، فأنفقوا ولا تبالوا؛ فإنه هو الرزاق، يُضَيِّقُ على مَنْ يشاء من عباده في الرزق، ويوسع على آخرين، له الحكمة البالغة في ذلك، وإليه وحده ترجعون بعد الموت، فيجازيكم على أعمالكم.

(٢٤٦) ألم تعلم -أيها الرسول- قصة الأشراف والوجهاء من بني إسرائيل من بعد زمان موسى؟ حين طلبوا من نبيهم أن يولي عليهم ملكاً، يجتمعون تحت قيادته، ويقاتلون أعداءهم في سبيل الله. قال لهم نبيهم: هل الأمر كما أتوقعه إن فرض عليكم القتال في سبيل الله أنكم لا تقاتلون؟ فاني أتوقع جبنكم وفراركم من القتال، قالوا مستنكرين توقع نبيهم: وأي مانع يمنعنا عن القتال في سبيل الله، وقد أخرجنا عدونا من ديارنا، وأبعدنا عن أولادنا بالقتل والأسر؟ فلما فرض الله عليهم القتال مع الملك الذي عينه لهم جبنوا وفرّوا عن القتال، إلا قليلاً منهم ثبتوا بفضل الله. والله عليم بالظالمين الناكثين عهدهم.

(٢٤٧) وقال لهم نبيهم: إن الله قد أرسل إليكم طالوت ملكاً إجابة لطلبكم، يقودكم لقتال عدوكم كما طلبتم. قال كبراء بني إسرائيل: كيف يكون طالوت ملكاً علينا، وهو لا يستحق ذلك؟ لأنه ليس من سبط الملوك، ولا من بيت النبوة، ولم يعط كثرة في الأموال يستعين بها في ملكه، فنحن أحق بالملك منه؛ لأننا من سبط الملوك ومن بيت النبوة. قال لهم نبيهم: إن الله

اختاره عليكم وهو سبحانه أعلم بأمور عباده، وزاده سعة في العلم وقوة في الجسم ليجاهد العدو. والله مالك الملك يعطي ملكه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بحقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء.

(٢٤٨) وقال لهم نبيهم: إن علامة ملكه أن يأتيكم الصندوق الذي فيه التوراة -وكان أعداؤهم قد انتزعوه منهم- فيه طمأنينة من ربكم تثبت قلوب المخلصين، وفيه بقية من بعض أشياء تركها آل موسى وآل هارون، مثل العصا وفئات الألواح تحمله الملائكة. إن في ذلك لأعظم برهان لكم على اختيار طالوت ملكاً عليكم بأمر الله، إن كنتم مصدقين بالله ورسله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالَ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لَهُمُ اعْبُدُوا لَنَا مَلِكًا فَقُنِيتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبْتُ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ أَنْ تَقْتُلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَنْ نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَ قُلُوبِنَا عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مِنْ يَسَارٍ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

فَلَمَّا قَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهُوا فِتْنَةَ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرُهُ بِيَاذِ اللَّهِ وَاللَّهِ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِيلُهَا
عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَكَلِمٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

(٢٤٩) فلما خرج طالوت بجنوده لقتال العمالق
قال لهم: إن الله ممتحنكم على الصبر. ينهر أمامكم
تعبونه؛ ليميز المؤمن من المنافق، فمن شرب
منكم من ماء النهر فليس مني، ولا يصلح
للجهاد معي، ومن لم يذق الماء فإنه مني؛ لأنه
مطيع لأمري وصالح للجهاد، إلا من ترخص
واغترف غُرْفَةً واحدة بيده فلا لوم عليه. فلما
وصلوا إلى النهر انكبوا على الماء، وأفرطوا في
الشرب منه، إلا عددًا قليلًا منهم صبروا على
العطش والحر، واكتفوا بغُرْفَةٍ اليد، وحينئذ
تخلَّف العصاة. ولما عبر طالوت النهر هو والقلة
المؤمنة معه - وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً -
للمقاومة العدو، ورأوا كثرة عدوهم وعدلَّتهم،
قالوا: لا قدرة لنا اليوم بجالوت وجنوده
الأشداء، فأجاب الذين يوقنون ببقاء الله،
يُذَكِّرُونَ إِخْوَانَهُمْ بِاللَّهِ وَقُدْرَتَهُ قَاتِلِينَ: كم من
جماعة قليلة مؤمنة صابرة، غلبت بإذن الله وأمره
جماعة كثيرة كافرة باغية. والله مع الصابرين
بتوقيفه ونصره، وحسن مثوبته.

(٢٥٠) ولما ظهروا لجالوت وجنوده، ورأوا
الخطر رأي العين، فزعوا إلى الله بالدعاء والضراعة قاتلين: ربنا أنزل على قلوبنا صبرًا عظيمًا، وثبَّتْ أقدامنا، واجعلها
راسخة في قتال العدو، لا تَهَيُّ مِنْ هَوْلِ الْحَرْبِ، وانصرنا بعونك وتأييدك على القوم الكافرين.
(٢٥١) فهزمهم بإذن الله، وقتل داود - عليه السلام - جالوت قائد الجبابرة، وأعطى الله عز وجل داود بعد ذلك الملك
والنبوة في بني إسرائيل، وعلمه بما يشاء من العلوم. ولولا أن يدفع الله ببعض الناس - وهم أهل الطاعة له والإيمان به -
بعضاً، وهم أهل المعصية لله والشرك به، لفسدت الأرض بقلبة الكفر، وتمكَّن الطغيان، وأهل المعاصي، ولكن الله ذو فضل
على المخلوقين جميعاً.

(٢٥٢) تلك حجج الله وبراهينه، نقضها عليك - أيها النبي - بالصدق، وإنك لمن المرسلين الصادقين.

۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنُوا
وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا انْفِقُوا
مِمَّا زَكَّيْتُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٍ وَلَا
شَفَعَةٍ ۚ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا
بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

(٢٥٣) هؤلاء الرسل الكرام فضّل الله بعضهم على بعض، بحسب ما منّ الله به عليهم: فمنهم منّ كلمه الله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وفي هذا إثبات صفة الكلام لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله، ومنهم من رفعه الله درجاتٍ عاليةً كمحمد صلى الله عليه وسلم، بعموم رسالته، وختم النبوة به، وتفضيل أمته على جميع الأمم، وغير ذلك. وأتى الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام البيّنات المعجزات الباهرات، كإبراء من ولد أعمى بإذن الله تعالى، ومن به برص بإذن الله، وكإحيائه الموتى بإذن الله، وأيده بجبريل عليه السلام. ولو شاء الله ألا يقتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء الرسل من بعد ما جاءهم البيّنات ما اقتتلوا، ولكن وقع الاختلاف بينهم: فمنهم من ثبت على إيمانه، ومنهم من أصر على كفره. ولو شاء الله بعد ما وقع الاختلاف بينهم، الموجب للاقتتال، ما اقتتلوا، ولكن الله يوفق من يشاء لطاعته والإيمان به، ويخذل من يشاء، فيعصيه ويكفر به، فهو يفعل ما يشاء ويختار.

(٢٥٤) يا من آمنتم بالله وصدّقتم رسوله وعلمتم بهديه أخرجوا الزكاة المفروضة، وتصدّقوا مما أعطاكم الله قبل مجيء يوم القيامة، حين لا بيع فيكون ربح، ولا مال تفتدون به أنفسكم من عذاب الله، ولا صداقة صديق تُنقذكم، ولا شافع يملك تخفيف العذاب عنكم. والكافرون هم الظالمون المتجاوزون حدود الله.

(٢٥٥) الله الذي لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، الحيّ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء، لا تأخذه سنة أي: نعاس، ولا نوم، كل ما في السموات وما في الأرض ملك له، ولا يتجاسر أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، محيط علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المستقبلية، وما خلفهم من الأمور الماضية، ولا يطلع أحد من الخلق على شيء من علمه إلا بما أعلمه الله وأطلععه عليه. وسع كرسيه السموات والأرض، والكرسي: هو موضع قدمي الرب -جل جلاله- ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، ولا ينقله سبحانه حفظهما، وهو العلي بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته، الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء. وهذه الآية أعظم آية في القرآن، وتسمى: (آية الكرسي).

(٢٥٦) لكمال هذا الدين واتضاح آياته لا يحتاج إلى الإكراه عليه لمن تقبل منهم الجزية، فالدلائل بينة يتضح بها الحق من الباطل، والهدى من الضلال. فمن يكفر بكل ما عُد من دون الله ويؤمن بالله، فقد ثبت واستقام على الطريقة المثلى، واستمسك من الدين بأقوى سبب لا انقطاع له. والله سميع لأقوال عباده، عليم بنياتهم وأفعالهم، وسيجازيهم على ذلك.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ
 النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّكَابِرَهُمْ فِي رِيَّةِ
 أَنَّهُ اتَّخَذَهُ اللَّهُ مُلْكًا إِذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ رَبِّیْ الَّذِیْ یُحِیْ
 وَیُمِیتُ قَالَ أَنَا أُحِیُّ وَأُمِیتُ قَالَ ابْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی
 بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِیْ
 كَفَرَ وَاللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الضَّالِّینَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَ كَذَلِی
 مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِیةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى یُحِی
 هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
 قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ قَالَ بَلْ
 لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ یَتَّسِفْ
 وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آیَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
 الْعِطَارِ كَیْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامَ فَلَمَّا
 تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِیرٌ ﴿٢٥٩﴾

(٢٥٧) الله يتولى المؤمنين بنصره وتوفيقيه وحفظه، يخرجهم من ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان. والذين كفروا أنصارهم وأولياؤهم الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، يُخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر، أولئك أصحاب النار الملازمون لها، هم فيها باقون بقاء أبدياً لا يخرجون منها.

(٢٥٨) هل رأيت -أيها الرسول- أعجب من حال هذا الذي جادل إبراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالى وربوبيته؛ لأن الله أعطاه الملك فتجبر وسأل إبراهيم: مَنْ ربُّك؟ فقال عليه السلام: ربي الذي يحيي الخلائق فتحيًا، ويسلبها الحياة فتموت، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، قال: أنا أحيي وأميت، أي أقتل مَنْ أردت فقتله، وأستقي مَنْ أردت استيقاه، فقال له إبراهيم: إن الله الذي أعبدته يأتي بالشمس من المشرق، فهل تستطيع تغيير هذه السَّنة الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب؟ فتجبر هذا الكافر وانقطعت

حجته، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب.

(٢٥٩) أو هل رأيت -أيها الرسول- مثل الذي مرَّ على قرية قد تهدمت دورها، وخَوَّتْ على عروشها، فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام، ثم ردَّ إليه روحه، وقال له: كم قَدَّرَ الزمان الذي لبثت ميتاً؟ قال: بقيت يوماً أو بعض يوم، فأخبره بأنه بقي ميتاً مائة عام، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشربه، وكيف حفظها الله من التغير هذه المدة الطويلة، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظاماً متفرقة، وقال له: ولنجعلك آية للناس، أي: دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض، ويصل بعضها ببعض، ثم يكسوها بعد الالتئام لحماً، ثم يعيد فيها الحياة، فلما اتضح له ذلك عياناً اعترف بعظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وصار آية للناس.

(٢٦٠) واذكر - أيها الرسول - طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيفية البعث، فقال الله له: أو لم تؤمن؟ قال: بل، ولكن أطلب ذلك لأزاد يقيناً على يقيني، قال: فخذ أربعة من الطير فاضممهن إليك واذبحهن وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم نادِهْن يأتينك سرعات. فنادى إبراهيم عليه السلام، فإذا كل جزء يعود إلى موضعه، وإذا بها تأتي مسرعة. واعلم أن الله عزير لا يغلبه شيء، حكيم في أفعاله وأفعاله وشرعه وقدره.

(٢٦١) ومن أعظم ما ينتفع به المؤمنون الإنفاق في سبيل الله. ومثل المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة زرعت في أرض طيبة، فإذا بها قد أخرجت ساقاً تشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبل، في كل سنبل مائة حبة. والله يضاعف الأجر لمن يشاء، بحسب ما يقوم بقلب المنفق من الإيمان والإخلاص التام. وفضل الله واسع، وهو سبحانه عليم

وَأَذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قُلِّي قَالَ فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِنَّا كُنَّا نُمِيزُ لَكُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَذْهَبْنَاهُنَّ إِلَىٰ بُنْيَانِكُ سَمِيعًا وَأَعْلَمْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَبْلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسَّعٌ عَلَيْهِ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا انْفَقَوْا مِمَّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَوِيٌّ خَلِيلٌ ﴿٢٦٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْطَلُّوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَالنَّاسُ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

بمن يستحقه، مطلع على نيات عباده.

(٢٦٢) الذين يخرجون أموالهم في الجهاد وأنواع الخير، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات مما على من أعطوه ولا أذى بقول أو فعل يشعره بالتفضل عليه، لهم ثوابهم العظيم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم في هذه الدنيا.

(٢٦٣) كلام طيب يرُدُّ به السائل، وعفو عما بدر منه من إلحاح في السؤال، خير من صدقة يتبعها من المصدق أذى وإساءة. والله غني عن صدقات العباد، حلیم لا يعاجلهم بالعقوبة.

(٢٦٤) يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تذهبوا ثواب ما تصدقون به بالمن والأذى، فهذا شبيه بالذي يخرج ماله ليراه الناس، فيتنسوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثل ذلك مثل حجر أجلس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أجلس لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراءون تضمحل أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئاً من الثواب على ما أنفقوه. والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها.

وَمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِبَيْعَةٍ مَرَضَاتٍ اللَّهُ
وَتَلْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَتَأْتَتْ أَكْشَاهُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَرُبِّصْنَهَا وَابِلٌ فَطَلَّ
وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِبَصِيرَةٍ ۖ أَوَدَّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ
ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۚ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ بِأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا
لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيِّثُ مِنْهُ تُنْفِقُونَ
وَلَسْتُ بِعَاجِزٍ إِلَّا أَنْ تَعِصُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ۝ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ
وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
۝ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝

(٢٦٥) ومثل الذين ينفقون أموالهم طلباً لرضا الله واعتقاداً راسخاً بصدق وعده، كمثل بستان عظيم بأرض عالية طيبة هطلت عليه أمطار غزيرة، فتضاعفت ثمراته، وإن لم تسقط عليه الأمطار الغزيرة فيكفيه رذاذ المطر ليعطي الثمرة المضاعفة، وكذلك نفقات المخلصين ثقل عند الله وتضاعف، قلَّت أم كثرت، فالله المُطَّلِع على السرائر، البصير بالظواهر والبواطن، يثيب كلاً بحسب إخلاصه.

(٢٦٦) أيرغب الواحد منكم أن يكون له بستان فيه النخيل والأعناب، تجري من تحت أشجاره المياه العذبة، وله فيه من كل ألوان الثمرات، وقد بلغ الكبر، ولا يستطيع أن يغرس مثل هذا الغرس، وله أولاد صغار في حاجة إلى هذا البستان وفي هذه الحالة هبت عليه ريح شديدة، فيها نار محرقة فأحرقته؟ وهكذا حال غير المخلصين في نفقاتهم، يأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم. بمثل هذا البيان يبين الله لكم ما ينفعكم؛ كي تتأملوا، فتخلصوا نفقاتكم لله.

(٢٦٧) يا من أنتمت بي واتبعت رسل أنفقوا من الحلال الطيب الذي كسبتموه ومما أخرجنا لكم من الأرض، ولا تقصدوا الرديء منه لتعطوه الفقراء، ولو أعطيتهم لم تأخذوه إلا إذا تفاضتم عما فيه من رداءة ونقص. فكيف ترضون الله ما لا ترضونه لأنفسكم؟ واعلموا أن الله الذي رزقكم غني عن صدقاتكم، مستحق للثناء، محمود في كل حال.

(٢٦٨) هذا البخل واختيار الرديء للصديقة من الشيطان الذي يخوفكم الفقر، ويغريكم بالبخل، ويأمركم بالمعاصي ومخالفة الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يعدكم على إنفاقكم غفراناً لذنوبكم ورزقاً واسعاً. والله واسع الفضل، عليم بالنيات والأعمال.

(٢٦٩) يؤتي الله الإصابة في القول والفعل مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ أَطْعَمَهُ خَيْراً كثيراً. وما يتذكر هذا ويتفجع به إلا أصحاب العقول المستنيرة بنور الله وهدايته.

(٢٧٠) وما أعطينكم من مال أو غيره قليل أو كثير تصدقون به ابتغاء مرضات الله، أو أوجبتكم على أنفسكم شيئاً من مال أو غيره، فإن الله يعلمه، وهو المُطَّلِعُ على نياتكم، وسوف يثيبكم على ذلك. ومن منع حق الله فهو ظالم، والظالمون ليس لهم أنصار يمنعونهم من عذاب الله.

(٢٧١) إن تظهروا ما تصدقون به لله فينعم ما تصدقتم به، وإن تسروا بها، وتعطوها الفقراء فهذا أفضل لكم؛ لأنه أبعد عن الرياء، وفي الصدقة - مع الإخلاص - محو لذنوبكم. والله الذي يعلم دقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وسيجازي كلَّ بعمله.

(٢٧٢) لست - أيها الرسول - مسؤولاً عن توفيق الكافرين للهداية، ولكن الله يشرح صدور من يشاء لدينه، ويوفقه له. وما تبدلوا من مال يُعَدُّ عليكم نفعه من الله، والمؤمنون لا ينفقون إلا طلباً لرضا الله. وما تنفقوا من مال - مخلصين لله - تُوفوا ثوابه، ولا تُنقصوا شيئاً من

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْوَاهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدُوءُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِقْ عَنْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ يَأْتِيلُ وَالنَّهَارُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

ذلك. وفي الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(٢٧٣) اجعلوا صدقاتكم لفقراء المسلمين الذين لا يستطيعون السفر؛ طلباً للرزق لا اشتغالهم بالجهاد في سبيل الله، يظنهم من لا يعرفهم غير محتاجين إلى الصدقة؛ لتعففهم عن السؤال، تعرفهم بعلا ماتهم وآثار الحاجة فيهم، لا يسألون الناس بالكلفة، وإن سألوا اضطراباً لم يُلحُوا في السؤال. وما تنفقوا من مال في سبيل الله فلا يخفى على الله شيء منه، وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة.

(٢٧٤) الذين يُخرجون أموالهم مرضاة لله لِبِلَاءٍ وَنَهَارٍ مُسَرِّينَ وَمَعْلَنِينَ، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على مفاتهم من حظوظ الدنيا. ذلك التشريع الإلهي الحكيم هو منهاج الإسلام في الإنفاق لما فيه من سدِّ حاجة الفقراء في كرامة وعزة، وتطهير مال الأغنياء، وتحقيق التعاون على البر والتقوى؛ ابتغاء وجه الله دون قهر أو إكراه.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُوا الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّخَذَتْ لَهُ رَقِبًا وَسَلَفَ وَمَأْمُورًا إِلَى اللَّهِ وَتُؤْتَى
عَادَةً قَائِلًا أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُغْرِی الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَدَرُّوا مَائِقِي مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
فَأَذْنُوبٌ يَحْرِبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ ثُبُتُ فَلَكُمْ رُؤُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ
دُوعِمَرُ قَطِظَةً إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَقْبُوا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

(٢٧٥) الذين يتعاملون بالربا - وهو الزيادة على رأس المال - لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الجنون؛ ذلك لأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا، في أن كلا منهما حلال، ويؤدي إلى زيادة المال، فأكذبهم الله، ويبين أنه أحل البيع وحرم الربا؛ لما في البيع والشراء من نفع للأفراد والجماعات، ولما في الربا من استغلال وضياع وهلاك. فمن بلغه نهي الله عن الربا فارتدع، فله ما مضى قبل أن يبلغه التحريم لا إثم عليه فيه، وأمره إلى الله فيما يستقبل من زمانه، فإن استمر على توبته فإله لا يضيع أجر المحسنين، ومن عاد إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه، فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة، ولهذا قال سبحانه: ﴿قَالَ لِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (٢٧٦) يذهب الله الربا كله، أو يحرم صاحبه بركة ماله فلا يتنفع به، ويُغني الصدقات ويكثرها، ويضاعف الأجر للمتصدقين، ويبارك لهم في أموالهم. والله لا يحب كل مُصِرٍّ على كفره، مُسْتَجِلٍّ أكل الربا، متنادٍ في الإثم والحرام ومعاصي الله.

(٢٧٧) إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا الأفعال الطيبة، وأدوا الصلاة كما أمر الله ورسوله، وأخرجوا زكاة أموالهم، لهم ثواب عظيم خاص بهم عند ربهم ورازقهم، ولا يلحقهم خوف في آخرتهم، ولا حزن على ما فاتهم من حظوظ دنياهم. (٢٧٨) يا من آمنتم بالله واتبعت رسوله خافوا الله، واتركوا طلب ما بقي لكم من زيادة على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل تحريم الربا، إن كنتم محققين إيمانكم قولاً وعمالاً. (٢٧٩) فإن لم ترتدعوا عما نهاكم الله عنه فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله، وإن رجعتم إلى ربكم وتركتم أكل الربا فلکم أخذ ما لكم من ديون، دون زيادة، لا تظلمون أحداً بأخذ ما زاد على رؤوس أموالكم، ولا يظلمكم أحد بنقص ما أقرضتم.

(٢٨٠) وإن كان المدين غير قادر على السداد فأملهوه إلى أن ييسر الله له رزقاً فيدفع إليكم مالكم، وإن تركوا رأس المال كله أو بعضه وتضعوه عن المدين فهو أفضل لكم، إن كنتم تعلمون فضل ذلك، وأنه خير لكم في الدنيا والآخرة. (٢٨١) واحذروا - أيها الناس - يوماً ترجعون فيه إلى الله، وهو يوم القيامة، حيث تعرضون على الله ليحاسبكم، فيجازي كل واحد منكم بما عمل من خير أو شر دون أن يناله ظلم. وفي الآية إشارة إلى أن اجتناب ما حرم الله من المكاسب الربوية، تكميل للإيمان وحقوقه من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعمل الصالحات.

(٢٨٢) يَامَنُ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَاتَّبَعْتُمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَعَامَلْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ فَاتَّكِبُوهُ؛ حِفْظًا لِلْمَالِ وَدَفْعًا لِلنِّزَاعِ. وَلَيُقَمَّ بِالْكَتَابَةِ رَجُلٌ أَمِينٌ ضَابِطٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ مَنْ عَلمَهُ اللهَ الْكَتَابَةَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَيُقَمَّ الْمَدِينُ بِإِمْلَاءِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، وَلِيَرَقِبَ رَبَّهُ، وَلَا يَنْقُصَ مِنْ دَيْنِهِ شَيْئًا. فَإِنْ كَانَ الْمَدِينُ مَحْجُورًا عَلَيْهِ لِتَبْذِيرِهِ وَإِسْرَافِهِ، أَوْ كَانَ صَغِيرًا أَوْ مَجْنُونًا، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ النُّطْقَ لِحَرَسِهِ بِهِ أَوْ عَدَمِ قُدْرَةِ كَامِلَةِ عَلَى الْكَلَامِ، فَلْيَتَوَلَّ الْإِمْلَاءُ عَنِ الْمَدِينِ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِ، وَاطْلُبُوا شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ مُسْلِمَيْنِ بِالْغَيْبِ عَاقِلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْعَدَالَةِ، فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ رَجُلَانِ، فَاطْلُبُوا شَهَادَةَ رَجُلٍ وَامْرَأَتَيْنِ تَرْضَوْنَ شَهَادَتَهُمْ؛ حَتَّى إِذَا تَبَيَّنَتْ إِحْدَاهُمَا ذَكَرَتَا الْآخَرَى، وَعَلَى الشَّهَدَاءِ أَنْ يَجِيسُوا مَنْ دَعَاهُمْ إِلَى الشَّهَادَةِ، وَعَلَيْهِمْ أَدَاؤُهَا إِذَا مَا دُعُوا إِلَيْهَا، وَلَا تَسْمَلُوا مِنْ كِتَابَةِ الدَّيْنِ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا إِلَى وَقْتِهِ الْمَعْلُومِ. ذَلِكَ أَعْدَلَ فِي شَرْعِ اللَّهِ وَهَدْيِهِ، وَأَعْظَمُ عَوْنًا عَلَى إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا، وَأَقْرَبُ إِلَى نَفْيِ الشُّكِّ فِي جِنْسِ الدَّيْنِ وَقَدْرِهِ وَأَجَلِهِ، لَكِنْ إِنْ كَانَتْ

يَسَأَلُهَا الدَّيْنُ إِذَا دَانَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاتَّكِبُوهُ وَلْيَكُتَبْ بَيْنَكُمَا بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكُتَبَ كَمَا عَلمَهُ اللَّهُ فَلْيَكُتَبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِهُهُ فَالْيُمْلِلْ لَهُ بِالْعَدْلِ وَأَشْهَدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَوْ بَكَتَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدِينَ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّاهِدَانِ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَلُوا أَنْ تَكُتِبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُتِبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقَعُوا قَائِلَةً مِمَّنْ وَفُتُوا بِكُمْ وَأَنْتُمْ قَوَّاءُ اللَّهِ وَلْيَعْلَمُ كُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِمْ

المسألة مسألة بيع وشراء، بأخذ سلعة ودفع ثمنها في الحال، فلا حاجة إلى الكتابة، ويستحب الإشهاد على ذلك منعاً للنزاع والشقاق، ومن الواجب على الشاهد والكاتب أداء الشهادة على وجهها والكتابة كما أمر الله، ولا يجوز لصاحب الحق ومن عليه الحق الإضرار بالكتاب والشهود، وكذلك لا يجوز للكتاب والشهود أن يضاروا بمن احتاج إلى كتابتهم، أو شهادتهم، وإن تفعلوا ما نهيتم عنه فإنه خروج عن طاعة الله، وعاقبة ذلك حالة بكم. وخافوا الله في جميع ما أمركم به، ونهاكم عنه، ويعلمكم الله جميع ما يصلح دنياكم وآخركم. والله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء من أموركم، وسيجازيكم على ذلك.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَتَى بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤْذِكُمُ الَّذِي أَوْثِنَ أَمْنَتُهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أُمِرٌ بِقَلْبِهِ وَأَلَّهُ يُعَاطِلُ الْمُتَعَمِّلِينَ عَلَيْهِ ۝٢٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّ أُمُوفٌ أَنْفُسُكُمْ أَوْ تُخْفَوُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُ عَنْكُمْ إِنْ تَبَدُّوا وَمَنْ يُبَدِّدْ مِنْ نِسَاءٍ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ أَمِنْ الرَّسُولِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمِنْ بِاللَّهِ وَمَلَكِ يَكْتُبُهِ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلُهُ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ رُسُلَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٢٨٦﴾

(٢٨٣) وَإِنْ كُنْتُمْ مسافرين ولم تجدوا من يكتب لكم فادفعوا إلى صاحب الحق شيئاً يكون عنده ضماناً لحقه إلى أن يردَّ المدين ما عليه من دين، فإن وثق بَعْضُكُمْ ببعض فلا حرج في ترك الكتابة والإشهاد والرهن، ويبقى الدَّين أمانة في ذمَّة المدين، عليه أدائه، وعليه أن يراقب الله فلا يخون صاحبه. فإن أنكر المدين ماعليه من دين، وكان هناك مَنْ حضر وشهد، فعليه أن يظهر شهادته، وَمَنْ أخفى هذه الشهادة فهو صاحب قلب غادر فاجر. والله الْمُطَّلِع على السرائر، المحيط علمه بكل أموركم، وسيحاسبكم على ذلك.

(٢٨٤) اللَّهُ ملك السموات والأرض وما فيها ملكاً وتدبيراً وإحاطة، لا يخفى عليه شيء. وما تظهره مما في أنفسكم أو تخفوه فإن الله يعلمه، وسيحاسبكم به، فيعفو عن نِسَاءٍ، ويؤاخذ من يشاء. والله قادر على كل شيء.

وقد أكرم الله المسلمين بعد ذلك عففاً عن

حديث النفس وخطرات القلب، ما لم يتبعها كلام أو عمل، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٨٥) صَدَّقُوا وَأَيُّنَ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يُوقِنَ، وَالْمُؤْمِنُونَ كَذَلِكَ صَدَّقُوا وَعَمِلُوا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، كُلُّ مِنْهُمْ صَدَّقَ بِاللَّهِ رَبِّاً وَلَهَا مُتَصِفاً بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ، وَأَنَّ اللَّهَ مُلَانِكَةٌ كَرَاماً، وَأَنَّهُ أَنْزَلَ كِتَاباً، وَأَرْسَلَ إِلَى خَلْقِهِ رُسُلًا، لَانْؤْمِنَ -نحن المؤمنون- ببعضهم وننكر بعضهم، بل نؤمن بهم جميعاً. وقال الرسول والمؤمنون: سمعنا ياربنا ما أوحيت به، وأطعنا في كل ذلك، نرجو أن تغفر -بفضلك- ذنوبنا، فأنت الذي ربَّيتنا بما أنعمت به علينا، وإليك -وحذك- مرجعنا ومصيرنا.

(٢٨٦) دين الله يسر لا مشقة فيه، فلا يطلب الله من عباده ما لا يطيقونه، فمن فعل خيراً نال خيراً، ومن فعل شراً نال شراً. ربنا لا تعاقبنا إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا، أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله، ربنا ولا تكلفنا من الأعمال الشاقة ما كلفته مَنْ قبلنا من العصاة عقوبة لهم، ربنا ولا تُحْمِلْنَا ما لا نستطيعه من التكالييف والمصائب، وامح ذنوبنا، واستر عيوبنا، وأحسن إلينا، أنت مالك أمرنا ومدبره، فانصرنا على مَنْ جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك، وكذبوا نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم، واجعل العقابة لنا عليهم في الدنيا والآخرة.

﴿سورة آل عمران﴾

(١) ﴿الر﴾ سبق الكلام عليها في أول سورة البقرة.

(٢) هو الله، لا معبود بحق إلا هو، المتصف بالحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء.

(٣)، (٤) تزل عليك - أيها الرسول - القرآن - بالحق الذي لا رب فيه، يشهد على صدق ما قبله من كتب ورسول، وأنزل التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام من قبل نزول القرآن؛ لإرشاد المتقين إلى الإيمان، وصلاح دينهم وديناهم، وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل. والذين كفروا بآيات الله المنزلة، لهم عذاب عظيم. والله عزيز لا يُغالب، ذو انتقام ممن جحد حججه وأدلته، وتفردوا بالالوهية.

(٥) إن الله محيط علمه بالخلاق، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قل أو كثر.

(٦) هو وحده الذي يخلقكم في أرحام أمهاتكم

كما يشاء، من ذكر وأنثى، وحسن وقبح، وشقي وسعيد، لا معبود بحق سواه، العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في أمره وتديره.

(٧) هو وحده الذي أنزل عليك القرآن: منه آيات واضحات الدلالة، هن أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ويردُّ ما خالفه إليه، ومنه آيات أخر متشابهات تحتمل بعض المعاني، لا يتعين المراد منها إلا بضمها إلى المحكم، فأصحاب القلوب المريضة الزائفة، لسوء قصدهم يتبعون هذه الآيات المتشابهات وحدها؛ لثيروا الشبهات عند الناس، كي يضلّوهم، ولتاويلهم لها على مذهبهم الباطلة. ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات إلا الله. والمتمكنون في العلم يقولون: أمتنا بهذا القرآن، كلّه قد جاءنا من عند ربنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويردّون متشابهه إلى محكمه، وإننا يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها الصحيح أولو العقول السليمة.

(٨) ويقولون: يا ربنا لا تضرب قلوبنا عن الإيمان بك بعد أن مننت علينا بالهداية لدينك، وامنحنا من فضلك رحمة واسعة، إنك أنت الوهاب: كثير الفضل والعطاء، تعطي من تشاء بغير حساب.

(٩) يا ربنا إننا نفرّ ونشهد بأنك ستجمع الناس في يوم لا شك فيه، وهو يوم القيامة، إنك لا تخلف ما وعدت به عبادك.

سُورَةُ آلِ ٱلْعِمْرَانِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

ٱلرَّحْمٰنُ ٱللّٰهُ ٱلْاِلهُ ٱلْاَھُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَیُّوْمُ ۝ نَزَّلَ عَلَیْكَ ٱلْكِتَآبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَیْنَ یَدَیْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنجِیْلَ ۝ مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِیْنَ كَفَرُوا بِآیَاتِ ٱللّٰهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِیْدٌ ۚ وَٱللّٰهُ عَزِیْزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝ إِنَّ ٱللّٰهَ لَا یَخْفَى
عَلَیْهِ شَیْءٌ فِی ٱلْأَرْضِ وَلَا فِی ٱلسَّمَآءِ ۚ هُوَ ٱلَّذِی یُصَوِّرُكُمْ
فِی ٱلْأَرْحَامِ كَیْفَ یَشَآءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِیْزُ ٱلْحَكِیْمُ ۝ هُوَ
ٱلَّذِی أَنزَلَ عَلَیْكَ ٱلْكِتَآبَ مِنْهُ ءَایٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ هُنَّ أُمُّ
ٱلْكِتَآبِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهٰتٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِیْنَ فَلَوْ بِهَرَجٌ فَبَیِّنٌ
مَّا تَشَبَهَ مِنْهُ ٱتِّخَذَ ٱلْفُتْنَةُ وَٱتَّخَذَ تَآوِیْلُهُ ۚ وَمَا یَعْلَمُ تَآوِیْلَهُ
إِلَّا ٱللّٰهُ وَٱلرَّسُخُونَ فِی ٱلْعِلْمِ یَقُولُونَ ءَمَّا یَسْأَلُهُمْ كُلُّ مَن عِنْدَ
رَبِّنَا مَا یَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ ٱلْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ
إِذْ هَدَیْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا
إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لَیَوْمَ لَا رَیْبَ فِیهِ ۚ إِنَّ ٱللّٰهَ لَا یُخْلِفُ ٱلْعِیَادَ ۝

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ نُنْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۖ كَذَّبَ آلُ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ
يَذْنُوبُهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
سُخَّرَ لَكُمُ الْكُفْرُ وَتُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۖ
قَدْ كَانَتْ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَيْتِنِ الثَّقَفِ إِنَّهُ تَقْتُلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَافِرًا بِرُؤُوسِهِمْ فَشَاهِدَهُمْ رَأَى
الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصِيرَةَ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ۖ ذَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ
مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ رُحْسُنُ الْمَقَابِلِ ۖ قُلْ
أَوْفَيْتُكُمْ بِحَبْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَّجُ
مُطَهَّرَةً وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ

(١٠) إن الذين جحدوا الدين الحق وأنكروه، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً إن وقع بهم في الدنيا، ولن تدفعه عنهم في الآخرة، وهؤلاء هم حطب النار يوم القيامة. (١١) شأن الكافرين في تكذيبهم وما ينزل بهم، شأن آل فرعون والذين من قبلهم من الكافرين، أنكروا آيات الله الواضحة، فعاجلهم بالعقوبة بسبب تكذيبهم وعنادهم. والله شديد العقاب لمن كفر به وكذب رسله.

(١٢) قل -أيها الرسول- للذين كفروا من اليهود وغيرهم والذين استهانوا بنصرك في «بذر»: إنكم ستهمون في الدنيا وستموتون على الكفر، وتحشرون إلى نار جهنم؛ لتكون فرأشاً دائماً لكم، وبئس الفراش.

(١٣) قد كان لكم -أيها اليهود المتكبرون المعاندون- دلالة عظيمة في جماعتين تقابلتا في معركة «بذر»: جماعة تقاتل من أجل دين الله، وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه،

وجماعة أخرى كافرة بالله، تقاتل من أجل الباطل، ترى المؤمنين في العدد مثليهم رأي العين، وقد جعل الله ذلك سبباً لنصر المسلمين عليهم. والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده. إن في هذا الذي حدث لحظة عظيمة لأصحاب البصائر الذين يهتدون إلى حكم الله وأفعاله.

(١٤) حَسُنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْحَسَنِ، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، والأرض المتخذة للغراس والزراعة. ذلك زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية. والله عنده حسن المرجع والثواب، وهو الجنة.

(١٥) قل -أيها الرسول-: أخبركم بخير مما يُرَى للناس في هذه الحياة الدنيا، لمن راقب الله وخاف عقابه جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها، وهم فيها أزواج مطهرات من الحيض والنفس، وسوء الخلق، ولهم أعظم من ذلك: رضوان من الله. والله مُطَّلِعٌ على سرائر خلقه، عالم بأحوالهم، وسيجازيهم على ذلك.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَفَسَدَ عَذَابُ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِينِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفْزِعِينَ ﴿١٧﴾ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٨﴾ شَهِدَ اللَّهُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُوتُ لَهُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَالِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ اللَّهِ لَا يُسَلِّمُونَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولُوا الْأَكْتَابِ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِمَائِدَةِ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ
فَقُلْ أَسْمِعْتُ وَرَجَعِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِي فَقُلْ لِلَّذِينَ أُولُوا
الْكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْمِعْتُمْ فَإِنْ أَسْمَعُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرُ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِمَائِدَةِ اللَّهِ وَيَقْسُوتُ النَّبِيِّينَ
بَعِيرًا حَقًّا وَيَقْسُوتُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ
أَتَائِهِمْ بِمَا عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَلِلَّهِ الَّذِينَ حَيَّطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٣﴾

(١٦) هؤلاء العباد المتقون يقولون: إننا آمنا بك، واتبعنا رسولك محمدًا صلى الله عليه وسلم، فامحُ عنا ما اقترفناه من ذنوب، ونجنا من عذاب النار.

(١٧) هم الذين اتصفوا بالصبر على الطاعات، وعن المعاصي، وعلى ما يصيبهم من أقدار الله المؤلمة، وبالصدق في الأقوال والأفعال، وبالطاعة التامة، وبالإتفاق سرًا وعلانية، وبالإستغفار في آخر الليل؛ لأنه مظنة القبول وإجابة الدعاء.

(١٨) شهد الله أنه المتفرد بالالهية، وقرنَ شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجل مشهود عليه، وهو توحده تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أراد، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(١٩) إن الدين الذي ارتضاه الله خلقه وأرسل به رسله، ولا يقبل غيره هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له

بالعبودية، واتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى تختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي لا يقبل الله من أحد بعد بعثته دينًا سوى الإسلام الذي أرسل به. وما وقع الخلاف بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فتفرقوا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ بغياً وحسدًا طلباً للدنيا. ومن يمحذ آيات الله المنزلة وآياته الدالة على ربوبيته وألوهيته، فإن الله سريع الحساب، وسيجزيم بما كانوا يعملون.

(٢٠) فإن جادلَكَ -أيها الرسول- أهل الكتاب في التوحيد بعد أن أقمت الحجة عليهم فقل لهم: إنني أخلصت لله وحده فلا أشرك به أحدًا، وكذلك من اتبعني من المؤمنين، أخلصوا لله وانقادوا له. وقل لهم ولمشركي العرب وغيرهم: إن أسلمتم فأنتم على الطريق المستقيم والهدى والحق، وإن توليتم فحسابكم على الله، وليس عليّ إلا البلاغ، وقد أبلغتكم وأقمت عليكم الحجة. والله بصير بالعباد، لا يخفى عليه من أمرهم شيء.

(٢١) إن الذين يمحذون بالدلائل الواضحة وما جاء به المرسلون، ويقتلون أنبياء الله ظلمًا بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل واتباع طريق الأنبياء، فيُشْرِكهم بعذاب موجه.

(٢٢) أولئك الذين بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة، فلا يقبل لهم عمل، وما هم من ناصرٍ ينصرهم من عذاب الله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَيُتَوَلَّى قِيْلُ مَن هُمْ وَمِنْهُمْ مَّنْ صُوتَ ﴿٢٣﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَحْمَسَنَّ النَّارَ إِلَّا آيَاتِنَا مَعَهُ وَوَدَّ
 وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَلَّى الْمَلِكُ مَن
 نَّشَاءَ وَتَنَزَّعَ الْمَلِكُ مَن نَّشَاءَ وَتُعَزُّ مَن نَّشَاءُ وَتُذِلُّ مَن
 نَّشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن نَّشَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
 لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 تُقَاتَهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ رُوِيَ إِلَى اللَّهِ أَتَّصِرُ ﴿٢٨﴾ قُلِ
 إِن تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ
 مَا فِي السَّمَكَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

(٢٣) أَرَأَيْتَ - أيها الرسول - أعجب من حال هؤلاء اليهود الذين اتَّاهم الله خطأ من الكتاب فعلموا أن ما جئت به هو الحق، يُدْعَوْنَ إلى ما جاء في كتاب الله - وهو القرآن - ليفصل بينهم فيها اختلفوا فيه، فإن لم يوافق أهواءهم يَأْتَبُ كثير منهم حكم الله؛ لأنَّ من عادتهم الإعراض عن الحق؟

(٢٤) ذلك الانصراف عن الحق سببه اعتقاد فاسد لدى أهل الكتاب؛ بأنهم لن يعدُّوا إلَّا أياً ما قلة، وهذا الاعتقاد أدى إلى جرأتهم على الله واستهانتهم بدينه، واستمرارهم على دينهم الباطل الذي حَذَّعُوا به أنفسهم.

(٢٥) فكيف يكون حالهم إذا جمعهم الله ليحاسبوا في يوم لا شك في وقوعه - وهو يوم القيامة -، وأخذ كل واحد جزءاً ما اكتسب، وهم لا يظلمون شيئاً؟

(٢٦) قل - أيها النبي متوجهاً إلى ربك بالدعاء -: يا مَنْ لَكَ الْمَلِكُ كُلُّهُ، أَنْتَ الَّذِي تُنَحِّسُ الْمَلِكِ والمال والتمكين في الأرض مَنْ تَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ، وَتُسَلِّبُ الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ، وَتَهَبُ الْعِزَّةَ

في الدنيا والآخرة مَنْ تَشَاءُ، وتجعل الذلَّةَ على مَنْ تَشَاءُ، بيدك الخير، إنك - وحدك - على كل شيء قدير. وفي الآية إثبات لصفة اليد لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(٢٧) ومن دلائل قدرتك أنك تُدْخِلُ اللَّيْلَ في النهار، وتُدْخِلُ النَّهَارَ في الليل، فيطول هذا ويقصر ذاك، وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ الذي لا حياة فيه، كإخراج الزرع من الحب، والمؤمن من الكافر، وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ كإخراج البيض من الدجاج، وترزق مَنْ تَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(٢٨) ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَقَدْ بَرَّئَ مِنَ اللَّهِ، والله بريء منه، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا ضِعَافاً خَائِفِينَ فَقَدْ رَحَّصَ اللَّهُ لَكُمْ فِي مَهَادِنِهِمْ اتِّقَاءَ لَشَرِّهِمْ، حَتَّى تَقْوَى شُوكَتُكُمْ. ويحذركم الله نفسه، فاتقوه وخافوه. وإلى الله وحده رجوع الخلائق للحساب والجزاء.

(٢٩) قل - أيها النبي - للمؤمنين: إن كنتموا ما استقر في قلوبكم من موالاة الكافرين ونصرتهم أو تظهروا ذلك لا تَخَفَ على الله منه شيء، فَإِنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّعُ أَوْ يُرْسِلُهَا وَيَبْنِي بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِقَاءِ رَبِّي وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنِيَّ رَبِّ إِنِّي لَكُ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

(٣٠) وفي يوم القيامة يوم الجزاء تجد كل نفس ما عملت من خير ينتظرها موفراً لتجزئ به، وما عملت من عمل سيئ تجدها في انتظارها أيضاً، فتمتنى لو أن بينها وبين هذا العمل زمناً بعيداً، فاستعدوا لهذا اليوم، وخافوا بطش الإله الجبار. ومع شدة عقابه فإنه سبحانه المتصف بكمال الرحمة بالعباد.

(٣١) قل -أيها الرسول-: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوني وأمنوا بي ظاهراً وباطناً، يحبكم الله، ويمحُ ذنوبكم، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم.

وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله -تعالى- وليس متبعاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حق الاتباع، مطيعاً له في أمره ونهيه، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم حق الاتباع.

(٣٢) قل -أيها الرسول-: أطيعوا الله أطيعوا الله باتباع كتابه، وأطيعوا الرسول باتباع سنته في حياته وبعد مماته، فإن هم عرضوا عنك، وأصروا على ما هم عليه من كفر وضلال، فليسوا أهلاً

لمحبة الله؛ فإن الله لا يحب الكافرين.

(٣٣) إن الله اختار آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم.

(٣٤) هؤلاء الأنبياء والرسل سلسلة طهر متواصلة في الإخلاص لله وتوحيده والعمل بوحيه. والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم على ذلك.

(٣٥) اذكر -أيها الرسول- ما كان من أمر مريم وأنها ابنتها عيسى عليه السلام؛ لترد بذلك على من ادَّعوا ألوهية عيسى أو بنوته لله سبحانه، إذ قالت امرأة عمران حين حملت: يا ربِّ إِنِّي جَعَلْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي خَالصاً لَكَ، لخدمة «بيت المقدس»، فتقبل مني، إنك أنت وحدك السميع لدعائي، العليم بِنيتي.

(٣٦) فلما نَمَّ حملها ووضعت مولودها قالت: ربِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ، وسوف يجعل لها شأناً -وقالت: وليس الذكر الذي أردت للخدمة كالأنثى في ذلك؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وإني سميتها مريم، وإني حصنتها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

(٣٧) فاستجاب الله دعاءها وقبل منها نذرهما أحسن قبول، وتولَّى ابنتها مريم بالرعاية فأنبثها نباتاً حسناً، وسرَّ لها زكريا عليه السلام كافلاً، فأسكنها في مكان عبادته، وكان كلما دخل عليها هذا المكان وجد عندها رزقاً هنيئاً معداً قال: يا مريم من أين لك هذا الرزق الطيب؟ قالت: هو رزق من عند الله. إن الله -بفضله- يرزق من يشاء من خلقه بغير حساب.

هَذَا لَكَ دَعَاكَ يَا رَبِّهِ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَيْتُكَ الْأَنْكَرَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْرًا وَذَكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَبَشَّرَ بِآلِ عِيسَى وَآلِ يُونُسَ ﴿٤١﴾ وَالْمَلَائِكَةُ بَمَرْمَرٍ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاكَ وَطَهَّرَكَ وَأَمْطَفَكَ عَلَى نَسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرَمُ أَقْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ مَكْفُوفًا وَأَمْ كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

(٣٨) عندما رأى زكريا ما أكرم الله به مريم من رزقه وفضله توجه إلى ربه قائلا: يا رب أعطني من عندك ولدا صالحا مباركا، إنك سميع الدعاء لمن دعاك.

(٣٩) فنادته الملائكة وهو واقف بين يدي الله في مكان صلاته يدعوه: أن الله يخبرك بخبر يسرك، وهو أنك ستزق بولد اسمه يحيى، يُصدق بكلمة من الله -وهو عيسى بن مريم عليه السلام-، ويكون يحيى سيداً في قومه، له المكانة والمنزلة العالية، وحضوراً لا يأتي الذنوب والشهوات الضارة، ويكون نبياً من الصالحين الذين بلغوا في الصلاح ذروته .

(٤٠) قال زكريا فرحاً متعجباً: رب أنى يكون لي غلام مع أن الشيخوخة قد بلغت مني مبلغها، وامرأتى عقيم لا تلد؟ قال: كذلك يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة المخالفة للعادة.

(٤١) قال زكريا: رب اجعل لي علامة أستدل بها على وجود الولد مني، ليحصل لي السرور

والاستبشار، قال: علامتك التي طلبتها: ألا تستطيع التحدث إلى الناس ثلاثة أيام إلا بإشارة إليهم، مع أنك سوي صحيح، وفي هذه المدة أكثر من ذكر ربك، وصل له أواخر النهار وأوائله.

(٤٢) واذكر -أيها الرسول- حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك لطاعته وطهرتك من الأخلاق الرذيلة، واختارك على نساء العالمين في زمانك.

(٤٣) يا مريم داومي على الطاعة لربك، وقومي في خشوع وتواضع، واسجدي واركعي مع الراكعين؛ شكر الله على ما أولاك من نعمه.

(٤٤) ذلك الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- من أخبار الغيب التي أوحاها الله إليك، إذ لم تكن معهم حين اختلفوا في كفالة مريم أنهم أحق بها وأولى، ووقع بينهم الخصام، فأجروا القرعة بإلقاء أقلامهم، فأصاب زكريا عليه السلام، فغاز بكفالتها.

(٤٥) وما كنت -يا نبي الله- هناك حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله يُبشرك بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له: «كن»، فيكون، اسمه المسيح عيسى بن مريم، له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة، ومن المقربين عند الله يوم القيامة.

(٤٦) ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصّٰلِحِينَ
الكلام، ويدعوهم إلى الله وهو كبير قد اجتمعت
قوّته وكُتِل شبابه بها أوحاه الله إليه. وهذا تكليم
النّبوة والدعوة والإرشاد، وهو معدود من أهل
الصلاح والفضل في قوله وعمله.

(٤٧) قالت مريم متعجبة من هذا الأمر: أنى
يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بغي؟
قال لها المَلَك: هذا الذي يحدث لك ليس
بمستبعد على الإله القادر، الذي يوجد ما يشاء
من العدم، فإذا أراد إيجاد شيء فإنها يقول له:
«كُن» فيكون.

(٤٨) ويعلمه الكتابة، والسداد في القول
والفعل، والتوراة التي أوحاها الله إلى موسى
عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل الله عليه.

(٤٩) ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل، ويقول
لهم: إني قد جئتكم بعلامة من ربكم تدلّ على
أني مرسل من الله، وهي أني أصنع لكم من
الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً

حقيقياً بإذن الله، وأشفي من ولد أعمى، ومن به برص، وأحيي من كان ميتاً بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وتذخرون
في بيوتكم من طعامكم. إن في هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لدليلاً على أني نبي الله ورسوله، إن كنتم
مصدقين حجج الله وآياته، مقرّين بنوحه.

(٥٠) وجئتكم مصداقاً في التوراة، ولأحلّ لكم بوحى من الله بعض ما حرّمه الله عليكم تخفيفاً من الله ورحمة، وجئتكم
بحجة من ربكم على صدق ما أقول لكم، فائقوا الله ولا تخالفوا أمره، وأطيعوني فيما أبلغكم به عن الله.

(٥١) إن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، وهذا هو الطريق
الذي لا عوجاج فيه.

(٥٢) فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر نادى في أصحابه الخُلص: من يكون معي في نصرته دين الله؟ قال
أصفياء عيسى: نحن أنصار دين الله والداعون إليه، صدّقنا بالله واتبعناك، واشهد أنت يا عيسى بأننا مستسلمون لله
بالتوحيد والطاعة.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَكْرُؤُاْ وَمَكْرُؤُاْ مَكْرُؤُاْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرُورِينَ
﴿٥٥﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ مَوْطِنٍ
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُواْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ فَأَخَذَكُمْ
بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَنَقَبَ فِيهِمُ النَّارَ فَوَقَّفُونُ ﴿٥٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ
فَأَعَذَبْنَا لَهُمْ عَذَابَ شَدِيدٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَ تَسْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٩﴾ رَبِّ مَثَلُ
عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٠﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ
﴿٦١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ
نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦٢﴾

(٥٣) ربنا صدقنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا رسولك عيسى عليه السلام، فاجعلنا من شهدائك بالوحداية ولأبنايتك بالرسالة، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون للرسول بأنهم بلغوا أمهم.

(٥٤) ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، بأن وكلوا به من يقتله غيلة، فالقى الله شبه عيسى على رجل دهم عليه فأمسكوا به، وقتلوه وصلبوه ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام، والله خير الماكرين. وفي هذا إثبات صفة المكر لله - تعالى - على ما يليق بجلاله وكهاله؛ لأنه مكر بحق، وفي مقابلة مكر الماكرين.

(٥٥) ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: إني قابضك من الأرض من غير أن ينالك سوء، ورافعك إليّ بدينك وروحك، وخلصك من الذين كفروا بك، وجاعل الذين اتبعوك - أي: على دينك وما جئت به عن الله من الدين والبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، بعد بعثته، والتزموا شريعته - ظاهرين على الذين جحدوا نبوتك إلى يوم القيامة، ثم إليّ مصيركم جميعاً يوم الحساب، فأفصل بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمر عيسى عليه السلام.

(٥٦) فأما الذين كفروا بالمسيح من اليهود أو غلوا فيه من النصارى، فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا: بالقتل وسلب الأموال وإزالة الملك، وفي الآخرة بالنار، وما هم من ناصر ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله. (٥٧) وأما الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الأعمال الصالحة، فيعطيهم الله ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص. والله لا يحب الظالمين بالشرك والكفر.

(٥٨) ذلك الذي نقضه عليك في شأن عيسى، من الدلائل الواضحة على صحة رسالتك، وصحة القرآن الحكيم الذي يفصل بين الحق والباطل، فلا شك فيه ولا امتراء.

(٥٩) إنَّ خَلَقَ الله لعيسى من غير أب مثله كمثل خلق الله لأدم من غير أب ولا أم؛ إذ خلقه من تراب الأرض، ثم قال له: «كن بشراً» فكان. فدعوى إلهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة؛ فأدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم، واتفق الجميع على أنه عبد من عباد الله.

(٦٠) الحق الذي لا شك فيه في أمر عيسى هو الذي جاءك - أيها الرسول - من ربك، قدم على يقينك، وعلى ما أنت عليه من ترك الافتراء، ولا تكن من الشاكين. وفي هذا تثبيت وطمأنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٦١) فمن جادلَكَ - أيها الرسول - في المسيح عيسى بن مريم من بعد ما جاءك من العلم في أمر عيسى عليه السلام، فقل لهم: تعالوا نخضر أبناءنا وأبنائكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نتجه إلى الله بالدعاء أن ينزل عقوبته ولعنته على الكاذبين في قولهم، المصيرين على عنادهم.

(٦٢) إن هذا الذي أنبأكم به -أيها الرسول- من أمر عيسى هو النبا الحق الذي لا شك فيه، وما من معبود يستحق العبادة إلا الله وحده، وإن الله هو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وفعله.

(٦٣) فإن أعرضوا عن تصديقك واتباعك فهم المفسدون، والله عليم بهم، وسيجازيهم على ذلك.

(٦٤) قل -أيها الرسول- لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: تعالوا إلى كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعاً: وهي أن تُخَصَّصَ الله وحده بالعبادة، ولا تتخذ أي شريك معه، من وثن أو صنم أو صليب أو طاغوت أو غير ذلك، ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة من دون الله. فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم -أيها المؤمنون-: شهدوا علينا بأننا مسلمون متقادون لربنا بالعبودية والإخلاص. والدعوة إلى كلمة سواء، كما توجّه إلى اليهود والنصارى، توجّه إلى من جرى مجراهم.

(٦٥) يا أصحاب الكتب المنزلة من اليهود والنصارى، كيف يجادل كل منكم في أن إبراهيم عليه السلام كان على ملته، وما أنزلت التوراة

إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ
﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَمَا أَزَلَّتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٦٥﴾ هَذَا نُشَرِّهُ لَكُمْ حَيْثُمُوعَلَيْكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ
تُحَاجُّونَ فِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾
إِنْ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لََّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّحْيُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَذَت ظَالِمَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يَضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

والإنجيل إلا من بعده؟ أفلا تفقهون خطأ قولكم: إن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية

حدثت بعد وفاته بحين؟

(٦٦) ها أنتم يا هؤلاء جادلتم رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم فيما لكم به علم من أمر دينكم، مما تعتقدون صحته في كتبكم، فلم تجادلوا فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم؟ والله يعلم الأمور على خفائها، وأنتم لا تعلمون.

(٦٧) ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، فلم تكن اليهودية ولا النصرانية إلا من بعده، ولكن كان متبعاً لأمر الله وطاعته، مستسلماً لربه، وما كان من المشركين.

(٦٨) إن أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به، الذين آمنوا به وصدقوا برسالته واتبعوه على دينه، وهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به. والله ولي المؤمنين به المتبعين شرعه.

(٦٩) تمثت جماعة من اليهود والنصارى لو يضلونكم -أيها المسلمون- عن الإسلام، وما يضلون إلا أنفسهم واتباعهم، وما يدرون ذلك ولا يعلمونه.

(٧٠) يا أهل التوراة والإنجيل لم تجحدوا آيات الله التي أنزلها على رسله في كتبكم، وفيها أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الرسول المنتظر، وأن ما جاءكم به هو الحق، وأنتم تشهدون بذلك؟ ولكنكم تكفرون.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِرُوا فِي الْآخِرَةِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ
الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَفَن أَهْلَ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنُوا بِقِطَارٍ
يُؤْذِيهِ أَوْ إِلَىٰكُ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنُوا بِدِينَارٍ لَا يُؤْذِيهِ أُولَٰئِكَ
إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَالِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي
الْأُمُيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
﴿٧٦﴾ إِن الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْمُلُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

(٧١) يا أهل التوراة والإنجيل لِمَ تخلطون الحق في كتبكم بها حرفتموه وكتبتموه من الباطل بأيديكم، وتُخفون ما فيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن دينه هو الحق، وأنتم تعلمون ذلك؟

(٧٢) وقالت جماعة من أهل الكتاب من اليهود: صدقوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أول النهار واكفروا آخره؛ لعلهم يتشككون في دينهم، ويرجعون عنه.

(٧٣) ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً إلا لمن تبع دينكم فكان يهودياً، قل لهم -أيها الرسول-: إن الهدى والتوفيق هدى الله وتوفيقه للإيمان الصحيح. وقالوا: لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيعلموه منكم فيساووكم في العلم به، وتكون هم الأفضلية عليكم، أو أن يتخذوه حجة عند ربكم يغلبوكم بها. قل لهم -أيها الرسول-: إن الفضل والعطاء والأمور كلها بيد الله وتحت تصرفه، يؤتيها من يشاء من

آمن به ويرسوله. والله واسع عليم، يسع علمه وعطائه جميع مخلوقاته، ممن يستحق فضله ونعمه.

(٧٤) إن الله يختص من خلقه من يشاء بالنبوة والهداية إلى أكمل الشرائع. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع.

(٧٥) ومن أهل الكتاب من اليهود من إن تأمنه على كثير من المال يؤده إليك من غير خيانة، ومنهم من إن تأمنه على دينار واحد لا يؤده إليك، إلا إذا بذلت غاية الجهد في مطالبتة. وسبب ذلك عقيدة فاسدة تجعلهم يستحلون أموال العرب بالباطل، ويقولون: ليس علينا في أكل أموالهم إثم ولا حرج؛ لأن الله أحلها لنا. وهذا كذب على الله، يقولونه بالستهم، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

(٧٦) ليس الأمر كما زعم هؤلاء الكاذبون، فإن المتقي حقاً هو من أوفى بما عاهد الله عليه من أداء الأمانة والإيمان به وبرسوله والتزم هديه وشرعه، وخاف الله عز وجل فامثل أمره وانتهى عما نهى عنه. والله يحب المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصي.

(٧٧) إن الذين يستبدلون بعهد الله ووصيته التي أوصى بها في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم، عوضاً وبدلاً خسيساً من عرض الدنيا وحطامها، أولئك لا نصيب لهم من الثواب في الآخرة، ولا يكلمهم الله بها يسرهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة بعين الرحمة، ولا يطهرهم من دنس الذنوب والكفر، ولهم عذاب موعج.

(٧٨) وإن من اليهود لجماعة يجرفون الكلام عن مواضعه، ويدلون كلام الله؛ ليوهموا غيرهم أن هذا من الكلام المنزل، وهو التوراة، وما هو منها في شيء، ويقولون: هذا من عند الله أوحاه الله إلى نبيه موسى، وما هو من عند الله، وهم لأجل دنياهم يقولون على الله الكذب، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

(٧٩) ما ينبغي لأحد من البشر أن يُنزّل الله عليه كتابه ويجعله حكماً بين خلقه ويختاره نبياً، ثم يقول للناس: اعبدوني من دون الله، ولكن يقول: كونوا حكماء فقهاء علماء بها كنتم تُعلمونه غيركم من وحي الله تعالى، وبها تدرسونه منه حفظاً وعلماً وفقهاً.

(٨٠) وما كان لأحد منهم أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً تعبدونهم من دون الله. أَيْغفل - أيها الناس - أن يأمركم بالكفر بالله بعد انقيادكم لأمره؟

(٨١) واذكر - أيها الرسول - إذ أخذ الله سبحانه

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَيقًا يُقَالُونَ الْيَتِيمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ ﴿٧٩﴾ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُكُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَوْفَرْنَا قَالُوكَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعَثُونَ وَلَهُ أَسْمَاءُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَالْيَاثِرُ مَحْمُودٌ ﴿٨٥﴾

العهد المؤكد على جميع الأنبياء: لَئِنْ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ. فهل أقررتم واعترفتهم بذلك وأخذتم على ذلك عهدي الموثق؟ قالوا: أقررنا بذلك، قال: فليشهد بعضكم على بعض، واشهدوا على أعمكم بذلك، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم. وفي هذا أن الله أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأخذ الميثاق على أمم الأنبياء بذلك.

(٨٢) فمن أعرض عن دعوة الإسلام بعد هذا البيان وهذا العهد الذي أخذه الله على أنبيائه، فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعة ربه.

(٨٣) أيريد هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب غير دين الله - وهو الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم -، مع أن كل من في السموات والأرض استسلم وانقاد وخضع لله طوعية - كالمؤمنين - ورغماً عنهم عند الشدائد، حين لا ينفعهم ذلك وهم الكفار، كما خضع له سائر الكائنات، وإليه يُرجعون يوم المعاد، فيجازي كلأ بعمله. وهذا تحذير من الله تعالى لخلقه أن يرجع إليه أحد منهم على غير ملة الإسلام.

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَأِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن
يُقبلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أَوَلَيْكَ جَزَاءُهُمْ أَن عَالَمَهُمُ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِن الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّن نَقْبَل تَوْبَتَهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٠﴾ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَرَاءُ فَلَن يَقْبَلَ مِن أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
افْتَدَىٰ بِهِ ﴿٩١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩٢﴾

(٨٤) قل لهم -أيها الرسول-: صدقنا بالله وأطعنا، فلا رب لنا غيره، ولا معبود لنا سواه، وآمنّا بالوحي الذي أنزله الله علينا، والذي أنزله على إبراهيم خليل الله، وابنيه إسماعيل وإسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق، والذي أنزله على الأسباط -هم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثني عشرة من ولد يعقوب- وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل، وما أنزله الله على أنبيائه، نؤمن بذلك كله، ولا نفرق بين أحد منهم، ونحن لله وحده منقادون بالطاعة، مُقِرُّون له بالربوبية والالوهية والعبادة.

(٨٥) ومن يطلب ديناً غير دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والعبودية، ولرسوله النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان به وبمبانيه ومبته ظاهراً وباطناً، فلن يُقبل منه ذلك، وهو في الآخرة من الخاسرين الذين بخسوا أنفسهم حظوظها.

(٨٦) كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به، وشهدوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم حق وما جاء به هو الحق، وجاءهم

الحجج من عند الله والدلائل بوضحة ذلك؟ والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة، وهم الذين عدلوا عن الحق إلى الباطل، فاختاروا الكفر على الإيمان.

(٨٧) أولئك الظالمون جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مطردون من رحمة الله.

(٨٨) ماكثين في النار، لا يُرفع عنهم العذاب قليلاً ليستريحوا، ولا يُؤخر عنهم لمعذرة يعتدروا بها.

(٨٩) إلا الذين رجعوا إلى ربهم بالتوبة النصوح من بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحو ما أفسدوه بتوبتهم فإن الله يقبلها، فهو غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

(٩٠) إن الذين كفروا بعد إيمانهم واستمروا على الكفر إلى الممات لن يُقبل لهم توبة عند حضور الموت، وأولئك هم الذين ضلُّوا السبيل، فأخطؤوا منهجه.

(٩١) إن الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وماتوا على الكفر بالله ورسوله، فلن يُقبل من أحدهم يوم القيامة مِلءُ الأرض ذهباً؛ ليفتدي به نفسه من عذاب الله، ولو افتدى به نفسه فعلاً. أولئك لهم عذاب موجه، وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْذُرُهُمْ فِيهِ غَيْرَ ۖ كُلُّ أَطْعَامٍ كَانَ حَلَالًا يَتَى
إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَةُ قُلْ فَأَنُوبَا لِلتَّوْبَةِ فَآذَنُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ۖ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ إِنِّي أَخِيفُكُمْ
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۖ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَكْفُرُوا بِمَا آتَاكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ۖ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَصُدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ
بِعَاطِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن يُطِيعُوا أَقْرَبًا
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَلَيْسَ يَرُدُّكُمْ رُبَّ كَافِرٍ ۖ

(٩٢) لن تدرؤا الجنة حتى تنفقوا مما تحبون،
وأي شيء تنفقوا به مهما كان قليلاً أو كثيراً فإن
الله به عليهم، وسيجازي كل منفق بحسب عمله.
(٩٣) كل الأطعمة الطيبة كانت حلالاً لأبناء
يعقوب عليه السلام إلا ما حرم يعقوب على
نفسه لمرض نزل به، وذلك من قبل أن تنزل
التوراة. فلما نزلت التوراة حرم الله على بني
إسرائيل بعض الأطعمة التي كانت حلالاً لهم؛
وذلك لظلمهم وبغيهم. قل لهم -أيها الرسول-:
هاتوا التوراة، وأقروا ما فيها إن كنتم محقين في
دعواكم أن الله أنزل فيها تحريم ما حرمه يعقوب
على نفسه، حتى تعلموا صدق ما جاء في القرآن
من أن الله لم يجرم على بني إسرائيل شيئاً من قبل
نزول التوراة، إلا ما حرمه يعقوب على نفسه.
(٩٤) فتن كذب على الله من بعد قراءة التوراة
ووضوح الحقيقة، فأولئك هم الظالمون القائلون
على الله بالباطل.

(٩٥) قل لهم -أيها الرسول- صدق الله فيما
أخبر به وفيما شرعه. فإن كنتم صادقين في
محببتكم وانتسابكم لخليل الله إبراهيم عليه
السلام فاتبعوا ملته التي شرعها الله على لسان
محمد صلى الله عليه وسلم، فإنها الحق الذي لا

شك فيه. وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين بالله في توحيده وعبادته أحداً.

(٩٦) إن أول بيت بُني لعبادة الله في الأرض هو بيت الله الحرام الذي في «مكة»، وهذا البيت مبارك تضاعف فيه الحسنات،
وتتنزل فيه الرحمات، وفي استقباله في الصلاة، وقصده لأداء الحج والعمرة، صلاح وهداية للناس أجمعين.

(٩٧) في هذا البيت دلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرّفه، منها: مقام إبراهيم عليه السلام، وهو
الحجر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسحاق، ومن دخل هذا البيت آمن على نفسه
فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قصد هذا البيت لأداء مناسك الحج. ومن جحد
فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجّه وعمله، وعن سائر خلقه.

(٩٨) قل -أيها الرسول- لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: لمّ يجحدون حجج الله التي دلّت على أن دين الله هو الإسلام،
وتنكرون ما في كتبكم من دلائل وبراهين على ذلك، وأنتم تعلمون؟ والله شهيد على صنعكم. وفي ذلك تهديد ووعد لهم.
(٩٩) قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: لمّ تمنعون من الإسلام من يريد الدخول فيه تطبلون له زيفاً وميلاً عن
القصد والاستقامة، وأنتم تعلمون أن ما جئت به هو الحق؟ وما الله بغافل عما تعملون، وسوف يجازيكم على ذلك.

(١٠٠) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تطيعوا جماعة من اليهود والنصارى ممن آتاهم الله التوراة
والإنجيل، يضلّوكم، ويلقوا إليكم الشبهة في دينكم؛ لترجعوا جاحدين للحق بعد أن كنتم مؤمنين به، فلا تأمنوهم على
دينكم، ولا تقبلوا هم رأياً أو مشورة.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْفِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَذَكِّرُوا
يَعْمَتُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۚ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ
وُجُوهُهُمْ فَبِمَا رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ
اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

(١٠١) وكيف تكفرون بالله -أيها المؤمنون- وآيات القرآن تنلى عليكم، وفيكم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يبلغها لكم؟ ومن يتوكل على الله ويستمسك بالقرآن والسنة فقد وفق لطريق واضح، ومنهاج مستقيم.

(١٠٢) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، خافوا الله حق خوفه؛ وذلك بأن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، وادوموا على تمسككم بإسلامكم إلى آخر حياتكم؛ لتلقوا الله وأنتم عليه.

(١٠٣) وتمسكوا جميعاً بكتاب ربكم وهدى نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم. واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم؛ إذ كنتم -أيها المؤمنون- قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبته رسوله، وألقى في قلوبكم محبة بعضهم لبعض، فأصبحتم بفضلِهِ إخواناً متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهذاكم الله بالإسلام ونجاكم من النار. وكما بين الله لكم معالم الإيمان الصحيح فكذلك بين

لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتهدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلوها، فلا تضلوا عنها.

(١٠٤) ولتكن منكم -أيها المؤمنون- جماعة تدعو إلى الخير وتأمروا بالمعروف، وهو ما عُرف حسنه شرعاً وعقلاً، وتنهى عن المنكر، وهو ما عُرف بقبحه شرعاً وعقلاً، وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم.

(١٠٥) ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء ففترقوا شيعاً وأحزاباً، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذاب عظيم موجه.

(١٠٦) يوم القيامة تبيضُّ وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وامتثلوا أمره، وتسودُّ وجوه أهل الشقاوة ممن كذبوا رسوله، وعصوا أمره. فأما الذين اسودَّت وجوههم، فيقال لهم توبيحاً: أكفرتم بعد إيمانكم، فاخرتم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم.

(١٠٧) وأما الذين أبيضَّت وجوههم بنصرة النعيم، وما بُشروا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبداً.

(١٠٨) هذه آيات الله وبراهينه الساطعة، نتلوها ونقضها عليك -أيها الرسول- بالصدق واليقين. وما الله بظالم أحدٍ من خلقه، ولا يمتنع شيئاً من أعمالهم؛ لأنه الحاكم العدل الذي لا يجوز.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَلِلّٰهِ يَرْجِعُ الْاَمْرُ
 ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَوْ ءَامَنَ اَهْلُ
 الْكِتٰبِ لَكَانَ خَيْرَ اَلِهَةٍ لَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَاَكْثَرُهُمْ
 الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ اِلَّا اَذًى وَلَنْ يَقْتُلُوْكُمْ
 يُوَلِّوْكُمْ اَلَدْبَارَةَ لَّا يَصْرُوْنَ ﴿١١١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمْ
 اَلْذِّلَّةَ اِنَّتَ مَا تَقْفُوْا اِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللّٰهِ وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ
 وَبَآءَ وَبَغَضَ مِّنَ اللّٰهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذٰلِكَ
 بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِءَايٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ اَلْاَنْبِيَاۡةَ
 بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَاَنۡوَاعَتُوْا ﴿١١٢﴾ لَيْسُوْا
 سَوَآءٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتَّبِعُوْنَ ءَايٰتِ اللّٰهِ
 ءَايٰتُ الْاِنۡلِ وَهُمْ يَسۡجُدُوْنَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ
 الْاٰخِرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَيُسَدِّعُوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَاُولٰٓئِكَ مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿١١٤﴾ وَمَا
 يَفْعَلُوْا مِّنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوْهُ وَلِلّٰهِ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِيْنَ ﴿١١٥﴾

(١٠٩) والله ما في السموات وما في الأرض،
 مُلْكُ له وحده خلقاً وتدبيراً، ومصير جميع
 الخلائق إليه وحده، فيجازي كلّاً على قدر
 استحقاقه.

(١١٠) أنتم -يا أمة محمد صلى الله عليه
 وسلم- خير الأمم وأنفع الناس للناس،
 تأمرون بالمعروف، وهو ما عُرف حسنه شرعاً
 وعقلاً، وتنهون عن المنكر، وهو ما عُرف قبحه
 شرعاً وعقلاً، وتصدقون بالله تصديقاً جازماً
 يؤيده العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود
 والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما
 جاءهم به من عند الله كما آمتم، لكان خيراً لهم
 في الدنيا والآخرة، منهم المؤمنون المصدقون
 برسالة محمد صلى الله عليه وسلم العاملون بها،
 وهم قليل، وأكثرهم الخارجون عن دين الله
 وطاعته.

(١١١) لن يضركم هؤلاء الفاسقون من أهل
 الكتاب إلا ما يؤذي أسعاكم من ألفاظ الشرك
 والكفر وغير ذلك، وإن يقاتلوكم يُهْزَمُوا،

ويهربوا مؤيّن الأدبار، ثم لا يُنْصَرُونَ عليكم بأي حال.

(١١٢) جعل الله الهوان والصغار أمراً لا يشارك اليهود، فهم أذلاء محتقرون أينما وُجدوا، إلا بعهد من الله وعهد
 من الناس يأمنون به على أنفسهم وأموالهم، وذلك هو عقد الذمة لهم وإنزاههم أحكام الإسلام، ورجعوا بغضب من الله
 مستحقين له، وضربت عليهم الذلّة والمسكنة، فلا ترى اليهودي إلا وعليه الخوف والرعب من أهل الإيذان؛ ذلك الذي
 جعله الله عليهم بسبب كفرهم بالله، وتجاوزهم حدوده، وقتلهم الأنبياء ظلماً واعتداء، وما جزأهم على هذا إلا ارتكابهم
 للمعاصي، وتجاوزهم حدود الله.

(١١٣) ليس أهل الكتاب متساوين؛ فمنهم جماعة مستقيمة على أمر الله مؤمنة برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، يقومون
 الليل مرتلين آيات القرآن الكريم، مقبلين على مناجاة الله في صلواتهم.

(١١٤) يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالخير كله، وينهون عن الشر كله، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وأولئك من
 عباد الله الصالحين.

(١١٥) وأي عمل قلّ أو كثُر من أعمال الخير تعلمه هذه الطائفة المؤمنة فلن يضيع عند الله، بل يُشكر لهم، ويجازون عليه.
 والله عليم بالمتقين الذين فعلوا الخيرات وابتعدوا عن المحرمات؛ ابتغاء رضوان الله، وطلباً لثوابه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ قَوْمٍ دُونَكُمْ لَا يَأُولُوكُمْ حَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰذَا نَبَأُ الْوَلَدِ الْمُجْنُونِ وَلَا يَجِبُونَ لَهُمُ الْكِتَابُ
كَتَبَهُ وَلَا الْقَوْمُ قَالُوا أَمَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْنَا كُفْرًا
أَلَّا نَمْلِكُ مِنْ الْفَاطِطِ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الْصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّسَكُمْ شَوْهَهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ
سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدُوٌّ مِنْ أَهْلِكَ
يُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

(١١٦) إن الذين كفروا بآيات الله، وكذبوا رسله، لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئاً من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة، وأولئك أصحاب النار الملازمون لها، لا يخرجون منها.

(١١٧) مثل ما ينفق الكافرون في وجه الخير في هذه الحياة الدنيا وما يؤملونه من ثواب، كمثل ربح فيها بزد شديد هبّت على زرع قوم كانوا يربحون خيره، وبسبب ذنوبهم لم تثبت الرياح منه شيئاً. وهؤلاء الكافرون لا يجدون في الآخرة ثواباً، وما ظلمهم الله بذلك، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وعصيانهم.

(١١٨) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، تطلعونهم على أسراركم، فهو لا يفترون عن إفساد حالكم، وهم يفرحون بما يصيبكم من ضرر ومكروه، وقد ظهرت شدة البغض في كلامهم، وما تخفي صدورهم من العداوة لكم أكبر وأعظم. قد بينّا لكم البراهين والحجج؛ لتتعظوا وتحذروا، إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه.

(١١٩) ها هو ذا الدليل على خطئكم في محبتهم، فأنتم تحبونهم وتحسنون إليهم، وهم لا يحبونكم ويحملون لكم العداوة والبغضاء، وأنتم تؤمنون بالكتب المنزل كلها ومنها كتابهم، وهم

لا يؤمنون بكتابكم، فكيف تحبونهم؟ وإذا لقوكم قالوا -نفاقاً-: آمنا وصدقنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض بدا عليهم الغم والحزن، فقصوا أطراف أصابعهم من شدة الغضب؛ لما يرون من ألفة المسلمين واجتماع كلمتهم، وإعزاز الإسلام، وإذلالهم به. قل لهم -أيها الرسول-: موتوا بشدة غضبيكم. إن الله مطلع على ما تخفي الصدور، وسيجازي كلّا على ما قدّم من خير أو شر.

(١٢٠) ومن عداوة هؤلاء أنكم -أيها المؤمنون- إن نزل بكم أمر حسن من نصر وغنيمة ظهرت عليهم الكآبة والحزن، وإن وقع بكم مكروه من هزيمة أو نقص في الأموال والأنفس والثمرات فرحوا بذلك، وإن تصبروا على ما أصابكم، وتتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، لا يضركم أذى مكروههم. والله بجميع ما يعمل هؤلاء الكفار من الفساد محيط، وسيجازيهم على ذلك.

(١٢١) واذكر -أيها الرسول- حين خرجت من بيتك لابساً عدة الحرب، تنظم صفوف أصحابك، وتُنزل كل واحد في منزله للقاء المشركين في غزوة «أحد». والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم.

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ
قَلْبَتَا كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ
فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ أَذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّ ذِكْرُكُمْ بِثَلَاثَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنزِلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ
هَذَا يُمَدِّدْ ذِكْرُ رَبِّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرًا لَّكُمْ وَلِتُطْمِئِنُّ قُلُوبُكُمْ بِهِ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَ غُلَامًا يَتَّبِعُوا أَحْسَنَ ﴿١٢٧﴾
لَيْسَ لَكُم مِّنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَأْتِيهَا
الْأَنْزِيلُ ءَأَمَّنُوا لَاتَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

(١٢٢) اذكر - أيها النبي - ما كان من أمر بني سُلَيْمَةَ وبني حَارِثَةَ حين حدثتهم أنفسهم بالرجوع مع زعيمهم المنافق عبدالله بن أبيّ؛ خوفاً من لقاء العدو، ولكن الله عصمهم وحفظهم، فساروا معلن متوكلين على الله. وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون.

(١٢٣) ولقد نصركم الله - أيها المؤمنون - بـ«بدر» على أعدائكم المشركين مع قلة عدّكم وعدّكم، فخافوا الله بفعل أوامره واجتتاب نواهي، لعلمكم تشكرون له نعمه.

(١٢٤) اذكر - أيها النبي - ما كان من أمر أصحابك في «بدر» حين شقّ عليهم أن يأني مدد للمشركين، فأوحينا إليك أن تقول لهم: ألن تكفيكم معونة ربكم بأن يمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنْزِلِينَ من السماء إلى أرض المعركة، يثبتونكم، ويقاتلون معكم؟

(١٢٥) بلى كفيكم هذا المدد. وبشارة أخرى لكم: إن تصبروا على لقاء العدو وتقوا الله بفعل ما أمركم به واجتتاب ما نهاكم عنه، ويأت كفار «مكة» على الفؤر مسرعين لقتالكم، يظنون أنهم يستأصلونكم، فإن الله يمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمِينَ أي: قد أعلموا أنفسهم وخيولهم بعلامات وأصوات.

(١٢٦) وما جعل الله هذا الإمداد بالملائكة إلا

بشرى لكم يشركم بها ولتطمئن قلوبكم، وتطيب بوعدها لكم. وما النصر إلا من عند الله العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وفعله.

(١٢٧) وكان نصر الله لكم بـ«بدر» ليهلك فريقاً من الكفار بالقتل، ومن نجا منهم من القتل رجع حزينا قد ضاقت عليه نفسه، يظهر عليه الحزني والعار.

(١٢٨) ليس لك - أيها الرسول - من أمر العباد شيء، بل الأمر كله لله تعالى وحده لا شريك له، ولعل بعض هؤلاء الذين قاتلك تشرح صدورهم للإسلام فيسلموا، فيتوب الله عليهم. ومن بقي على كفره يعذبه الله في الدنيا والآخرة؛ بسبب ظلمه وبيعه.

(١٢٩) والله وحده ما في السموات وما في الأرض، يغفر لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء بعدله. والله غفور للذنوب عباده، رحيم بهم.

(١٣٠) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره احذروا الربا بجميع أنواعه، ولا تأخذوا في القرض زيادة على رؤوس أموالكم وإن قلّت، فكيف إذا كانت هذه الزيادة تتضاعف كلّها حان موعد سداد الدين؟ واتقوا الله بالالتزام شرعه؛ لتفوزوا في الدنيا والآخرة.

(١٣١) واجعلوا لأنفسكم وقاية بينكم وبين النار التي هُيِّئت للكافرين.

(١٣٢) وأطيعوا الله - أيها المؤمنون - فيما أمركم به من الطاعات وفيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء، وأطيعوا الرسول؛ لترحموا، فلا تعذبوا.

* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُظُمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِيَةِ
 عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
 فَكْرًا أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا
 فَعَلُوا وَهُمْ يَعْمُورُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن
 رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ
 أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ فَذَلَّتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَيَسِرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
 ﴿١٣٧﴾ هَذَآ بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
 وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنَّاسِ وَأَمَّا
 الَّذِينَ يَمَسُّوهُم مِّن قَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ فَهُمْ
 أَلْيَامٌ يُدَاوِلُهُمُ النَّاسُ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٩﴾

(١٣٣) وبادروا بطاعتكم لله ورسوله لاغتنام مغفرة عظيمة من ربكم وجنة واسعة، عرضها السموات والأرض، أعدّها الله للمتقين.

(١٣٤) الذين ينفقون أموالهم في السر والعسر، والذين يمسكون ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر، وإذا قدروا عَفَوْا عَمَّن ظلمهم. وهذا هو الإحسان الذي يحب الله أصحابه.

(١٣٥) والذين إذا ارتكبوا ذنباً كبيراً أو ظلموا أنفسهم بارتكاب ما دونه، ذكروا وعد الله ووعيده فلجؤوا إلى ربهم تائبين، يطلبون منه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهم موقنون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهم لذلك لا يقيمون على معصية، وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم.

(١٣٦) أولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة جزاؤهم أن يستر الله ذنوبهم، ولهم جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها المياه العذبة، خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً. ونِعْمَ أجر العاملين المغفرة والجنة.

(١٣٧) يخاطب الله المؤمنين لما أصيبوا يوم «أحد» تعزية لهم بأنه قد مضت من قبلكم أمم، ابثلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين فكانت العاقبة لهم، فسيروا في الأرض معتبرين بما آل إليه أمر أولئك المكذبين بالله ورسوله.

(١٣٨) هذا القرآن بيان وإرشاد إلى طريق الحق، وتذكير تخشع له قلوب المتقين، وهم الذين يخشون الله، وخُصُّوا بذلك؛ لأنهم هم المتنفعون به دون غيرهم.

(١٣٩) ولا تَضَعُوا أيها المؤمنون - عن قتال عدوكم، ولا تحزنوا لما أصابكم في «أحد»، وأنتم الغالبون والعاقبة لكم، إن كنتم مصدقين بالله ورسوله، متبعين شرعه.

(١٤٠) إن أصابتكم - أيها المؤمنون - جراح أو قتل في غزوة «أحد» فحزنتم لذلك، فقد أصاب المشركين جراح وقتل مثل ذلك في غزوة «بدر». وتلك الأيام يُصَرِّفها الله بين الناس، نصر مرة وهزيمة أخرى؛ لما في ذلك من الحكمة، حتى يظهر ما علمه الله في الأزل؛ ليميز الله المؤمن الصادق من غيره، ويُكْرِمَ أقواماً منكم بالشهادة. والله لا يحب الذين ظلموا أنفسهم، وقعدوا عن القتال في سبيله.

وَلَمْ يَخْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَحَقَّ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَكُونَ أَنْفَعَتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كُنْتُمْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَحْيٍ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا لِلَّهِ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَسِرَّاتِنَا فِي أَمْرِنَا وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ أَجْرًا ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

(١٤١) وهذه الهزيمة التي وقعت في «أحد» كانت اختباراً وتصفيّة للمؤمنين، وتخليصاً لهم من المنافقين وهلاكاً للكافرين.

(١٤٢) يا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - اظننتم أن تدخلوا الجنة، ولم تُبْتَلُوا بالقتال والشدائد؟ لا يحصل لكم دخولها حتى تُبْتَلُوا، ويعلم الله علماً ظاهراً للخلق المجاهدين منكم في سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء.

(١٤٣) ولقد كنتم - أيها المؤمنون - قبل غزوة «أحد» تتمنون لقاء العدو؛ لتنالوا شرف الجهاد والاستشهاد في سبيل الله الذي خطي به إخوانكم في غزوة «بدر»، فهذا هو ذا قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا.

(١٤٤) وما محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا رسول من جنس الرسل الذين قبله يبلغ رسالة ربه. أفان مات بانقضاء أجله، أو قُتِلَ كما أشاعه

الأعداء رجعتكم عن دينكم، وتركتكم ما جاءكم به نبيكم؟ ومن يرجع منكم عن دينه فلن يضر الله شيئاً، إنها يضر نفسه ضرراً عظيماً. أما من ثبت على الإيمان وشكر ربه على نعمة الإسلام، فإن الله يجزيه أحسن الجزاء.

(١٤٥) لمن يموت أحد إلا بإذن الله وقدره وحتى يستوفي المدة التي قدرها الله له كتاباً موجَّلاً. ومن يطلب بعمله عَرْض الدنيا، نعطه ما قسمناه له من رزق، ولا حظَّ له في الآخرة، ومن يطلب بعمله الجزاء من الله في الآخرة نمنحه ما طلبه، ونؤتِه جزاءه وافرأ مع ما له في الدنيا من رزق مقسوم، فهذا قد شُكِّرنا بطاعته وجهاده، وسنجزي الشاكرين خيراً.

(١٤٦) كثير من الأنبياء السابقين قاتل معهم جموع كثيرة من أصحابهم، فها ضَعُفُوا لِمَا نَزَلَ بِهِمْ من جروح أو قتل، لأن ذلك في سبيل ربه، وما عَجَزُوا، ولا خَضَعُوا لعدوهم، إنها صبروا على ما أصابهم. والله يحب الصابرين.

(١٤٧) وما كان قول هؤلاء الصابرين إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذُنُوبَنَا، وما وقع منا من تجاوز في أمر ديننا، وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا حتى لا نفرَّ من قتال عدونا، وانصرنا على مَنْ جحد وحادثتك ونبوة أنبيائك.

(١٤٨) فأعطى الله أولئك الصابرين جزاءهم في الدنيا بالنصر على أعدائهم، وبإلتمكينهم في الأرض، وبالجزء الحسن العظيم في الآخرة، وهو جنات النعيم. والله يحب كلَّ مَنْ أحسن عبادته لربه ومعاملته لخلقه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ
﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَهُمْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَهُمْ الْبَأْسُ وِيَسْ
مَتَوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
وَعْدَهُ إِذْ أَخَسَّوْنَهُمْ بِأَذْيِهِ ﴿١٥٢﴾ إِذَا فُشِيتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرَاكُمْ
مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ نِيَا وَمِنْكُمْ مَنْ
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٣﴾ إِذْ تَصَوَّدَرْتُمْ وَلَا تُسَوِّرُ عَلَى أَحَدٍ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَنْذَرَكُمْ
عَمَّا يَغْتُمُّكُمْ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾

(١٤٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا
بشرعه إن تطيعوا الذين جحدوا ألوهيتي، ولم
يؤمنوا يرسلني من اليهود والنصارى والمنافقين
والمشركين فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه،
يضلوكم عن طريق الحق، وترتدوا عن دينكم،
فتعدوا بالخسران المبين والهلاك المحقق.

(١٥٠) إنهم لن ينصروكم، بل الله ناصركم،
وهو خير ناصر، فلا يحتاج معه إلى نصره أحد.
(١٥١) سنقذف في قلوب الذين كفروا أشدَّ
الفرع والخوف؛ بسبب إشراكهم بالله آلهة
مزعومة، ليس لهم دليل أو برهان على استحقاتها
للعباداة مع الله، فحالتهم في الدنيا: رعب وهلع
من المؤمنين، أما مكانهم في الآخرة الذي يأوون
إليه فهو النار؛ وذلك بسبب ظلمهم وعدوانهم،
وساء هذا المقام مقاماً لهم.

(١٥٢) ولقد حقق الله لكم ما وعدكم به من
نصر، حين كنتم تقتلون الكفار في غزوة «أحد»
بإذنه تعالى، حتى إذا جئتم وضعفت عن القتال
واختلفتم: هل تبقون في مواقعكم أو تتركونها

لجمع الغنائم مع من يجمعها؟ وعصيتم أمر رسولكم حين أمركم ألا تفارقوا أما كنتم بأي حال، حلت بكم الهزيمة من
بعد ما أراكم ما تحبون من النصر، وتبين أن منكم من يريد الغنائم، وأن منكم من يطلب الآخرة ونوابها، ثم صرف الله
وجوهكم عن عدوكم؛ ليعتبركم، وقد علم الله ندمكم وتوبتكم فعفا عنكم، والله ذو فضل عظيم على المؤمنين.

(١٥٣) اذكروا - يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - ما كان من أمركم حين أخذتم تصعدون الجبل هارين من
أعدائكم، ولا تلتفتون إلى أحدٍ لِمَا اعتراكم من الدهشة والخوف والرعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت في
الميدان يناديكم من خلفكم قائلاً: إني عباد الله، وأنتم لا تسمعون ولا تنظرون، فكان جزاؤكم أن أنزل الله بكم ألماً وضيقاً
وغماً؛ لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من نصر وغنيمة، ولا ما حلَّ بكم من خوف وهزيمة. والله خبير بجميع أعمالكم، لا
يخفى عليه منها شيء.

(١٥٤) ثم كان من رحمة الله بالمؤمنين المخلصين أن ألقى في قلوبهم من بعد ما نزل بها من هم وغم اطمئناناً وثقة في وعد الله، وكان من أثره نعاس غشي طائفة منهم، وهم أهل الإخلاص واليقين، وطائفة أخرى أهمهم خلاص أنفسهم خاصة، وضعفت عزيمتهم وشغلوا بأنفسهم، وأسأوا الظن برهم وبدنيه وبنبيه، وظنوا أن الله لا يقيم أمر رسوله، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة، ولذلك تراهم نادمين على خروجهم، يقول بعضهم لبعض: هل كان لنا من اختيار في الخروج للقتال؟ قل لهم -أيها الرسول-: إن الأمر كله لله، فهو الذي قدر خروجكم وما حدث لكم، وهم يخفون في أنفسهم ما لا يظهرونه لك من الحسرة على خروجهم للقتال، يقولون: لو كان لنا أدنى اختيار ما قُتلنا هاهنا. قل لهم: إن الأجل بيد الله، ولو كنتم في بيوتكم، وقدر الله أنكم تموتون، لخرج الذين كتب الله عليهم الموت إلى حيث يقتلون، وما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والفساق، وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال. والله عليهم بها في صدور خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمورهم.

(١٥٥) إن الذين فُروا منكم -يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم- عن القتال يوم التقى المؤمنون والمشركون في غزوة «أحد»، إنما أوقعهم الشيطان في هذا الذنب ببعض ما عملوا من الذنوب، ولقد تجاوز الله عنهم فلم يعاقبهم. إن الله غفور للمذنبين التائبين، حليم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة.

(١٥٦) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تشابهوا الكافرين الذين لا يؤمنون برهم، فهم يقولون لإخوانهم من أهل الكفر إذا خرجوا يمحثون في أرض الله عن معاشهم أو كانوا مع الغزاة المقاتلين فهاتوا أو قتلوا: لو لم يخرج هؤلاء ولم يقاتلوا وأقاموا معنا ما ماتوا وما قتلوا. وهذا القول يزيدهم المأ وحرزاً وحسرة تستقر في قلوبهم، أما المؤمنون فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله يهدي الله قلوبهم، ويخفف عنهم المصيبة، والله يجيئ من قدر له الحياة -وإن كان مسافراً أو غازياً- ويميت من انتهى أجله وإن كان مقيماً. والله بكل ما تعملونه بصير، فيجازيكم به.

(١٥٧) ولئن قُتلتم -أيها المؤمنون- وأنتم تجهضون في سبيل الله أو متم في أثناء القتال، ليغفر الله لكم ذنوبكم، وليرحمكم رحمة من عنده، فتفوزون بجنات النعيم، وذلك خير من الدنيا وما يجمعه أهلها.

(١٦٦) وما وقع بكم من جراح أو قتل أو غزوة «أحد» يوم التقى جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ فكان النصر للمؤمنين أولاً ثم للمشركين ثانياً، فذلك كله بقضاء الله وقدره، وَلِيُظْهِرَ مَا عَمِلَهُ الله في الأزل؛ لِيُمِيزَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْكُمْ.

(١٦٧) وَلِيَعْلَمَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَشَفَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ حِينَ قَالَ الْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ: تَعَالَوْا قَاتِلُوا أَعْمَانًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كُونُوا عَوْنًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَكْفُرْ بَكُمْ سُودَانَا، فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقَاتِلُونَ أَحَدَنَا لَكُنَّا مَعَكُمْ عَلَيْهِمْ، هُمْ لِلْكَفْرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُخْفُونَ فِي صُدُورِهِمْ.

(١٦٨) هؤلاء المنافقون هم الذين قعدوا وقالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين يوم «أحد»: لو أطاعنا هؤلاء ما قتلوا. قل لهم -أيها الرسول-: فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في دعواكم أنهم لو أطاعوك ما قتلوا، وأنكم قد نجوت من يبعو دكم عن القتال.

(١٦٩) وَلَا تَظُنُّوا - أَيُّهَا النَّبِيُّ - أَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ لَّا يُحْسِنُونَ شَيْئًا، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ حَيَاةَ بَرْزَخِيَّةٍ فِي جَوَارِ رِهْمِ الَّذِي جَاهَدُوا مِنْ أَجْلِهِ، وَمَاتُوا فِي سَبِيلِهِ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ فِي الْحَنَةِ، وَيُتَعَمَّنُونَ.

(١٧٠) لقد عَظَّمَتِهم السَّعَادَةُ حينَ مَنَّ اللهُ عليهم، فأعطاهم مِن عَظِيمِ جُودِهِ وَوَاسِعِ كَرَمِهِ مِنَ النِّعَمِ وَالرِّضَا مَا تَقَرَّبَ بِهِ أَعْيُنُهُمْ، وَهُمْ يَفْرَحُونَ بِإِخْوَانِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ قَارَقَوْهُمْ وَهُمْ أَحْيَاءُ؛ لِيَفُوزُوا كَمَا فَازُوا، لِيَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ سَيَنَالُونَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي نَالُوهُ إِذَا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ، وَأَنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ حَظوظِ الدُّنْيَا.

(١٧١) وإنهم في فرحة غامرة بما أُعطوا من نعم الله وجزيل عطائه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين به، بل ينميه ويزيده من فضله.

(١٧٢) الذين لبّوا نداء الله ورسوله وخرجوا في أعقاب المشركين إلى «حراء الأسد» بعد هزيمتهم في غزوة «أحد» مع ما كان بهم من آلام وجراح، وبذلوا غاية جهدهم، والتزموا مهدي نبيهم، للمحسنين منهم والمتقين ثواب عظيم.

(١٧٣) وهم الذين قال لهم بعض المشركين: إن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا أمرهم على الرجوع إليكم لاستئصالكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، فزادهم ذلك التخويف يقيناً وتصديقاً بوعده الله لهم، ولم يُثْنِهم ذلك عن عزمهم، فساروا إلى حيث شاء الله، وقالوا: حسبنا الله أي: كافينا، ونعم الوكيل المَفْوضُ إليه تدبير عباده.

وَمَا أَصْبَحُوا بِيَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ فَيَذَنُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ
وَيَعْلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ آذِقُوا أَلَا لَوْ تَعْلَمُونَ فَتَالَهُ لَكُمُ الْمَعْلُومُ بِمَا
أَقْرَبَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ وَقَدْ جَاءُوا
لَنَا طَائِفًا فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ فَأَذَرَهُمْ لِيَتَوَلَّوْا وَالْمُوتَ
يَسْتَشِيرُ عَلَيْهِمْ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَالُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَالُهُمْ أُخِيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزَكُّوْنَ ﴿١٠٢﴾ وَرَحِمَ بَنَاءَ أَتْلَهُمْ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْقَوْا مِنْهُمْ
مِّنْ خَلْفِهِمْ أَخَوَاتٍ عَلَيْهِمْ وَلَا حَرَمٌ يَحْتَرُونَ ﴿١٠٣﴾ يَسْتَبْشِرُونَ
بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ
الْقَرِيبَ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٠٦﴾
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٠٧﴾

(١٧٤) فرجعوا من «حراء الأسد» إلى «المدينة» بنعمة من الله بالشواب الجزيل، وبفضل منه بالنزلة العالية، وقد ازدادوا إيماناً وقيناً، وأدلو أعداء الله، وفازوا بالسلامة من القتل والقتال، واتبعوا رضوان الله بطاعتهم له ورسوله. والله ذو إحسان وعطاء كثير واسع عليهم وعلى غيرهم.

(١٧٥) إِنَّمَا الشَّيْطَانُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ هُوَ الشَّيْطَانُ جاءكم يخونكم أنصاره، فلا تخافوا المشركين؛ لأنهم ضعاف لا ناصر لهم، وخافوني بالإقبال على طاعتي إن كنتم مصدقين بي، ومتبعين رسولي.

(١٧٦) لَا يَدْخُلُ الْحُزْنَ إِلَى قَلْبِكَ - أيها الرسول - هؤلاء الكفار يسارعهم في الجحود والضلال، إنهم بذلك لن يضروا الله شيئاً، إنما يضررون أنفسهم بحرمانها حلاوة الإيمان وعظيم الثواب، يريد الله ألا يجعل لهم ثواباً في الآخرة؛ لأنهم انصرفوا عن دعوة الحق، ولهم عذاب شديد.

(١٧٧) إِنَّ الَّذِينَ اسْتَبَدَلُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً، بَلْ ضُرَّ فِعْلُهُمْ يَعود على أنفسهم، ولهم في الآخرة عذاب موجه.

(١٧٨) وَلَا يَظُنُّ الْجَاهِدُونَ أَنَّا إِذَا أَطْلُنَا أَعْمَارَهُمْ، وَمَتَعْنَاهُمْ مَتَعَ الدُّنْيَا، وَلَمْ نُوَاخِذْهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، أَنَّهُمْ قَدْ نَالُوا بِذَلِكَ خَيْرًا لْأَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا تُؤَخَّرُ عَذَابُهُمْ وَأَجَاهُمْ؛ لِيَزِدَادُوا ظُلْماً وَطُغْيَاناً، وَلَهُمْ عَذَابٌ يُبَيِّنُهُمْ وَيَذُفُّهُمْ.

(١٧٩) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَعَكَمَ أَيُّهَا الْمُسَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْعَامِلُونَ بِشَرِّهِ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَاسِ الْمُؤْمِنُ مِنْكُمْ بِالْمَنَاقِقِ حَتَّى يَوَيِّرَ الْحَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، فَيُعْرِفَ الْمَنَاقِقَ مِنَ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ. وَمَا كَانَ مِنْ حِكْمَةٍ أَنَّ اللَّهَ يُطْلِعَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَلَى الْغَيْبِ الَّذِي يَعْلَمُهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَتَعْرِفُوا الْمُؤْمِنَ مِنْهُمْ مِنَ الْمَنَاقِقِ، وَلَكِنَّهُ يَمِيزُهُم بِالْمَحْنِ وَالِابْتِلَاءِ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِصُطْفِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ؛ لِيُطْلِعَهُ عَلَى بَعْضِ عِلْمِ الْغَيْبِ بِوَحْيٍ مِنْهُ، فَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تَوَمَّنُوا إِيْمَاناً صَادِقاً وَتَقَوُّوا رَبَّكُمْ بِطَاعَتِهِ، فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ.

(١٨٠) وَلَا يَظُنُّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ أَنَّ هَذَا الْبَخْلَ خَيْرٌ لَهُمْ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَالَ الَّذِي جَمَعُوهُ سَيَكُونُ طَوْقاً مَنْ نَارٍ يَوْضَعُ فِي أَعْنَاقِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ، وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ جَمِيعِهَا، وَسَيَجَازِي كُلَّ عَلَى قَدَرٍ اسْتِحْقَاقَهُ.

(١٨١) لقد سمع الله قول اليهود الذين قالوا: إن الله فقير إلينا يطلب منا أن نقرضه أموالاً، ونحن أغنياء. سنكتب هذا القول الذي قالوه، وسنكتب أنهم راضون بما كان من قتل آبائهم لأنبياء الله ظلماً وعدواناً، وسوف نؤاخذهم بذلك في الآخرة، ونقول لهم وهم في النار يعذبون: ذوقوا عذاب النار المحرقة.

(١٨٢) ذلك العذاب الشديد بسبب ما قدموه في حياتكم الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأن الله ليس بظلام للعبيد.

(١٨٣) هؤلاء اليهود حين دُعوا إلى الإسلام قالوا: إن الله أوصانا في التوراة ألا نصلي من جاءنا يقول: إنه رسول من الله، حتى يأتينا بصدقة يتقرب بها إلى الله، فتنزل نار من السماء فتحرقها. قل لهم -أيها الرسول-: أنتم كاذبون في قولكم؛ لأنه قد جاء آباءكم رسل من قبلي بالمعجزات والدلائل على صدقهم، وبالذي قلتم من الإتيان بالقرآن الذي تأكله النار، فلم يَقتل آبائكم هؤلاء الأنبياء إن كنتم صادقين في دعوكم؟

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُفَعُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِندَ إِلَهِنَا أَلَا نُؤْمِنُ بِالرُّسُولِ حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَهُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ دُخِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ * لُبَّ لُبٍّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسَّمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا أَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا ۚ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ۝

(١٨٤) فإن كذَّبَك -أيها الرسول- هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكفر، فقد كَذَّبَ المبطلون كثيراً من المرسلين من قبلك، جاؤوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب السماوية التي هي نور يكشف الظلمات، والكتاب البين الواضح.

(١٨٥) كل نفس لابد أن تذوق الموت، وبهذا يرجع جميع الخلق إلى ربهم؛ ليحاسبهم. وإنما تُوفَّقُونَ أجُوركم على أعمالكم وافية غير منقوصة يوم القيامة، فمن أكرمه ربه ونجَّاه من النار وأدخله الجنة فقد نال غاية ما يطلب. وما الحياة الدنيا إلا متعة زائلة، فلا تغرُّوا بها.

(١٨٦) لَتُخْتَبَرَنَّ -أيها المؤمنون- في أموالكم بإخراج النفقات الواجبة والمستحقة، وبالجوائح التي تصيبها، وفي أنفسكم بما يجب عليكم من الطاعات، وما يحل بكم من جراح أو قتل وفقد للأحباب؛ وذلك حتى يُمَيِّزَ المؤمن الصادق من غيره. ولتَسْمَعُنَّ من اليهود والنصارى والمشركين ما يؤدي أسباعكم من ألفاظ الشرك والظن في دينكم. وإن تصبروا -أيها المؤمنون- على ذلك كله، وتتقوا الله بلزوم طاعته واجتناب معصيته، فإن ذلك من الأمور التي يُعَزَّمُ عليها، وينافس فيها.

(١٨٧) واذكر -أيها الرسول- إذ أخذ الله العهد الموثق على الذين آتاهم الله الكتاب من اليهود والنصارى، فليهود التوراة وللنصارى الإنجيل، ليعملوا بها، ويبنوا للناس فيها، ولا يكتموا ذلك ولا يخفوه، فتركوا العهد ولم يلتزموا به، وأخذوا ثمناً بخساً مقابل كتبهم الحق وتحريفهم الكتاب، فبش الشراء يشترون، في تضيعهم الميثاق، وتبديلهم الكتاب.

(١٨٨) ولا تظنن الذين يفرحون بما آتوا من أفعال قبيحة كاليهود والمنافقين وغيرهم، ويحبون أن يُفني عليهم الناس بما لم يفعلوا، فلا تظننهم ناجين من عذاب الله في الدنيا، وهم في الآخرة عذاب مومج. وفي الآية وعيد شديد لكل آت لفعل السوء معجب به، ولكل مفتخر بما لم يعمل؛ ليُنفي عليه الناس ويحمده.

(١٨٩) والله وحده ملك السموات والأرض وما فيها، والله على كل شيء قدير.

(١٩٠) إن في خلق السموات والأرض على غير

مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنهار، واختلافهما طولاً وقصراً، لدلائل وبراهين عظيمة على وحدانية الله لأصحاب العقول السليمة.

(١٩١) الذين يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، وهم يتدبرون في خلق السموات والأرض، قائلين: يا ربنا ما أوجدت هذا الخلق عبثاً، فأنت منزّه عن ذلك، فاضرف عنا عذاب النار.

(١٩٢) يا ربنا نجنا من النار، فإنك -يا الله- من تُدخله النار بذنوبه فقد فضحته وأهنته، وما للمذنبين الظالمين لأنفسهم من أحد يدفع عنهم عقاب الله يوم القيامة.

(١٩٣) يا ربنا إنا سمعنا منادياً -هو نبيك محمد صلى الله عليه وسلم- ينادي الناس للتصديق بك، والإقرار بوحدانيتك، والعمل بشرعك، فأجبنا دعوته وصدقنا رسالته، فاغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وألحقنا بالصالحين.

(١٩٤) يا ربنا أعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك من نصر وتمكين وتوفيق وهداية، ولا تفضحنا بذنوبنا يوم القيامة، فإنك كريم لا تخلف وعداً وعدت به عبادك.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتَصِيَدُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَتَكُونُنَّ أَهْلَ حُكْمٍ فَابْتَدَأَ وَرَأَاهُمُوهُمْ وَأَشْرَوْا بِهِمُ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَبُشِّمَ مَا يَشْرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسِنَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا
آتَاوُا وَيَحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ
بِمَقَارِقِنِ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُبَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّعْ مَعَ الْأَبَرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآيَتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

(١٩٥) فأجاب الله دعاءهم بأنه لا يضيع جهد من عمل منهم عملاً صالحاً ذكراً كان أو أنثى، وهم في أئمة الدين وقبول الأعمال والجزاء عليها سواء، فالذين هاجروا رغبة في رضا الله تعالى، وأخرجوا من ديارهم، وأودوا في طاعة ربهم وعبادتهم إياه، وقتلوا وقُتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمته، ليسترن الله عليهم ما ارتكبه من المعاصي، كما سترها عليهم في الدنيا، فلا يحاسبهم عليها، وليدخلنهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار جزاء من عند الله، والله عنده حسن الثواب.

(١٩٦) لا تغتر -أيها الرسول- بما عليه أهل الكفر بالله من بسطة في العيش، وسعة في الرزق، وانتقالهم من مكان إلى مكان للتجارات وطلب الأرباح والأموال، فعملاً قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتين بأعمالهم السيئة. (١٩٧) متاع قليل زائل، ثم يكون مصيرهم يوم القيامة إلى النار، وبئس المصير.

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مَّنْ كَرِمٍ
ذَكَرُوا أَنِّي بِعُضْكَم مِّنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ قَوَابِلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْقَوَابِلِ
لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَّعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَا أُوْهُمْ جَهَنَّمُ يَبْئَسُ الْمَهَادُ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوْا
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
لَنْ لَا يَمُوتَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ وَلَنْ يَمُوتَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لَتُنَالِ الْآخِرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

سورة آل عمران

(١٩٨) لكن الذين خافوا ربهم، وامتلأوا وأوامره، واجتنبوا نواهيه، قد أعد الله لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، هي منزله الدائم لا يخرجون منه. وما عند الله أعظم وأفضل لأهل الطاعة مما يتقلب فيه الذين كفروا من نعيم الدنيا.

(١٩٩) وإن بعضاً من أهل الكتاب ليصدق بالله رباً واحداً وإلهاً معبوداً، وبأنزل إليكم من هذا القرآن، وبأنزل إليهم من التوراة والإنجيل متدلين لله، خاضعين له، لا يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً من حطام الدنيا، ولا يكتُمون ما أنزل الله، ولا يحرفونه كغيرهم من أهل الكتاب. أولئك لهم ثواب عظيم عند ربهم يوم يلقونه، فيوفيهم إياه غير منقوص. إن الله سريع الحساب، لا يعجزه إحصاء أعمالهم، ومحاسبتهم عليها.

(٢٠٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره أصبروا على طاعة ربكم، وعلى ما ينزل بكم من ضر وبلاء، وصابروا أعداءكم حتى لا تكونوا أشد صبراً منكم، وأقيموا على جهاد عدوي وعدوكم، وخافوا الله في جميع أحوالكم؛ رجاء أن تفوزوا برضاه في الدنيا والآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّابِلُهَا النَّاسُ أَتَقُولُ لِلَّذِي هَلَكَ مِنْ نَفْسٍ وَبَعِدَ وَخَلَقَ مِنْهَا
رُوحَهَا وَبِئْسَ مِنْهُمْ رَجُلًا أَكْبَرُ مِنْ أَفْعَاوِ اللَّهِ الَّذِي سَاءَ لَوْ
يُؤَدُّ وَالْأَرْحَمُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمٌ ذَكِيمًا ﴿١٠﴾ وَءَاوَى الْيَتِيمَ إِلَى أُولَاهُ
وَلَا تَبْذُلُوا الْوَحْيَ بِالْأَيْدِي وَلَا تَكُونُوا أُولَاهُ إِلَى أُولَاهُ إِنَّ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿١١﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا
مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِنْكُمْ وَذَلِكَ زُرْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا
فَوَاحِشَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنُ أَلَّا تَعُولُوا ﴿١٢﴾ وَءَاوَى
النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ ذِيَلًا فَإِنْ طَلَعَ لَكُمْ مِنَ شَيْءٍ مِمَّنْ نَفْسًا فَكُونُوا
هَيَّامًا رِيكًا ﴿١٣﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُهَاتِ أُولَ الْأَكْمَامِ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
فِيهَا وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿١٤﴾ وَاتَّقُوا
الْيَتِيمَ إِذَا ذُكِرُوا بِالْعَلَاغِ الْيُنَاكِحَ فَإِنَّ انْتِهَابَهُمْ تُشَدُّ قَادِقُوا
إِلَيْهِمْ أُولَاهُ وَلَا تَكُونُوا بِلَاغِ إِيْرَافٍ وَبِذَارٍ أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أُولَاهُ فَاشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكُفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿١٥﴾

(٣) وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت أيديكم بأن لا تعطوهن مهورهن فخيرهن، فاتركوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء من غيرهن: اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فإن خشيتم ألا تعدلوا فيبينهن فأنكحوا بواحدة، أو بأبى عندكم من

(٤) وأعطوا-أبها الأرواح- النساء مهورهن، عطية واجبة وفريضة لازمة عن طيب نفس منكم. فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء من المهر فوهبته لكم فخذوه، وتصرفوا فيه، فهو حلال طيب.

(٦) واختبروا مَنْ تحت أيديكم من اليتامى لمعرفة قدرتهم على حسن التصرف في أموالهم، حتى إذا وصلوا إلى سن البلوغ، وعلمتم منهم صلاحاً في دينهم، وقدرة على حفظ أموالهم، فسلموهم لهم، ولا تعتدوا عليها بإنفاقها في غير موضعها إسراراً ومبادرة لأكلها قبل أن يأخذوها منكم. ومن كان صاحب مال منكم فليستعفف بغناه، ولا يأخذ من مال اليتيم شيئاً، ومن كان فقيراً فليأخذ بقدر حاجته عند الضرورة. فإذا علمتم أنهم قادرون على حفظ أموالهم بعد بلوغهم الحُلُمَ وسلمتموها إليهم، فأشهدوا عليهم؛ ضماناً لوصول حقهم كاملاً إليهم؛ لئلا ينكروا ذلك. ويكشفكم أن الله شاهد عليكم، ومحاسب لكم على ما فعلتم.

(٧) للذكور - صغاراً أو كباراً - نصيب شرعه الله فيما تركه الوالدان والأقربون من المال، قليلاً كان أو كثيراً، في أنصبة محددة واضحة فرضها الله عز وجل لهؤلاء، وللنساء كذلك.

(٨) وإذا حضر قسمة الميراث أقارب الميت ممن لا حظ لهم في التركة، أو حضرها من مات أبائهم وهم صغار دون سن البلوغ، أو من لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم فأعطوهم شيئاً من المال على وجه الاستحباب قبل تقسيم التركة على أصحابها، وقولوا لهم قولاً حسناً غير فاحش ولا قبيح.

(٩) ولْيَخِفِ الذين لو ماتوا وتركوا من خلفهم أبناء صغاراً ضعافاً خافوا عليهم الظلم والضياع، فليراقبوا الله فيمن تحت أيديهم من اليتامى وغيرهم، وذلك بحفظ أموالهم، وحسن تربيتهم، ودفع الأذى عنهم، وليقولوا لهم قولاً موافقاً للعدل والمعروف.

(١٠) إن الذين يَعتَدون على أموال اليتامى، فيأخذونها بغير حق، إنهم يأكلون ناراً تتأجج

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۖ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقَرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَزْذِقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِهُوا مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ زَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

في بطونهم يوم القيامة، وسيدخلون ناراً يقيسون حرّها.

(١١) يوصيكم الله ويأمركم في شأن أولادكم: إذا مات أحد منكم وترك أولاداً: ذكوراً وإناثاً، فميراثه كله لهم: للذكر مثل نصيب الأنثيين، إذا لم يكن هناك وارث غيرهم. فإن ترك بنات فقط فللبنتين فأكثر ثلثا ما ترك، وإن كانت ابنة واحدة، فلها النصف. ولو لبني الميت لكل واحد منهما الشدس إن كان له ولد: ذكر أو أنثى، واحداً أو أكثر. فإن لم يكن له ولد وورثه والدها فلأُمِّه الثلث ولأبيه الباقي. فإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر، ذكوراً كانوا أو إناثاً، فلأُمِّه الشدس، وللأب الباقي ولا شيء للإخوة. وهذا التقسيم للتركة إنما يكون بعد إخراج وصية الميت في حدود الثلث، أو إخراج ما عليه من دين. آبائكم وأبنائكم الذين فُرض لهم الإرث لا تعرفون أيهم أقرب لكم نفعاً في دنياكم وأخراكم، فلا تفضلوا واحداً منهم على الآخر. هذا الذي أوصيكم به مفروض عليكم من الله. إن الله كان عليماً بخلقهم، حكياً فيما شرعه لهم.

وَلَكُمْ يَصِفُ مَا تَرَى أَنْزَجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ وَمِمَّا تَرَى مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصِيَتْ بِهَا أَوْ دِينَ؟ وَلَهُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَى إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ وَمِمَّا تَرَى مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ تُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ رَءَاغٌ أَوْ اخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّهِنَّ الشُّدُشُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصَلُ بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرَ مَصَارٍ وَصِيَّةِ رَبِّ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٨﴾

(١٢) ولكم -أيها الرجال- نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن إن لم يكن لهن ولد ذكراً كان أو أنثى، فإن كان لهن ولد فلکم الربع مما تركن، ترثنه من بعد إيفاد وصيتهن الجائزة، أو ما يكون عليهن من دين مستحقه. ولأزواجكم -أيها الرجال- الربع مما تركتم، إن لم يكن لكم ابن أو ابنة منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ابن أو ابنة فلهن الثمن مما تركتم، يقسم الربع أو الثمن بينهما، فإن كانت زوجة واحدة كان هذا ميراثاً لها، من بعد إيفاد ما كنتم أو وصيته به من الوصايا الجائزة، أو قضاء ما يكون عليكم من دين. وإن مات رجل أو امرأة وليس له أو لها ولد ولا والد، وله أو لها أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس. فإن كان الإخوة أو الأخوات لأم أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يقسم بينهم بالسوية لا فرق بين الذكر والأنثى، وهذا الذي فرضه الله للإخوة والأخوات لأم يأخذونه ميراثاً لهم من بعد إيفاد وصيته إن كان

قد أوصى بشيء، أو قضاء ديون الميت، لا ضرر فيه على الورثة. بهذا أوصاكم ربكم وصية نافعة لكم. والله عليم بما يصلح خلقه، حلیم لا يعاجلهم بالعقوبة.

(١٣) تلك الأحكام الإلهية التي شرعها الله في اليتامى والنساء والموارث، شرائعه الدالة على أنها من عند الله العليم الحكيم. ومن يقطع فيها شرع لعباده من هذه الأحكام وغيرها، يدخله جنات كثيرة الأشجار والقصور، تجري من تحتها الأنهار بمياهها العذبة، وهم باقون في هذا النعيم، لا يخرجون منه، وذلك الثواب هو الفلاح العظيم.

(١٤) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَنْكَرْهُ لَأَحْكَامِ اللَّهِ، وَتَجَاوِزْهُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ بِتَغْيِيرِهَا، أَوْ تَعْطِيلِ الْعَمَلِ بِهَا، يَدْخُلْهُ نَارًا مَأْكُومًا فِيهَا، وَلَهُ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيُهْنِيهِ.

(١٥) واللاتي يزنين من نساكنكم، فاستشهدوا
-أيها الولاة والقضاة- عليهن أربعة رجال
عدول من المسلمين، فإن شهدوا عليهن بذلك
فاحبسوهن في البيوت حتى تنتهي حياتهن
بالموت، أو يجعل الله هن طريقاً للخلاص من
ذلك.

(١٦) واللذان يقعان في فاحشة الزنى، فأذوها
بالضرب والهجر والتوبيخ، فإن تابا عملاً وقع
منها وأصلحا بها يقداً من الأعمال الصالحة
فاصفحوا عن أذاهما. ويستفاد من هذه الآية
والتي قبلها أن الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤدّون،
والنساء يُجسّسن ويؤدّين، فالجس غايته الموت،
والأذية نهايتها إلى التوبة والصلاح. وكان هذا
في صدر الإسلام، ثم نسخ بها شرع الله ورسوله،
وهو الرجم للمحصن والمحصنة، وهما الحران
البالغان العقلان، اللذان جامعاً في نكاح صحيح،
والجلد مائة جلدة، وتغريب عام لغيرهما. إن الله
كان تواباً على عباده التائبين، رحيماً بهم.

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ
حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾
وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَعَادُواهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا
 فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ
 ثُمَّ يُتَوَفَّوْنَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
 قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ
 أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ الْإِلِيمِ ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَقْضَوْهُنَّ
 لِنَفْسِكُمْ إِلَّا بِبَعْضِ مَا أَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
 مُبِينَةٍ وَعَايِشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى
 أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

(١٧) إنما يقبل الله التوبة من الذين يرتكبون المعاصي والذنوب بجهل منهم لعاقبتها، وإيجابها لسخط الله -فكل عاص
له مخطئاً أو متعمداً فهو جاهل بهذا الاعتبار، وإن كان عالماً بالتحريم- ثم يرجعون إلى ربهم بالإنبابة والطاعة قبل معاينة
الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم. وكان الله عليماً بخلقهم، حكيماً في تدبيره وتقديره.

(١٨) وليس قبول التوبة للذين يُعْثِرُونَ على ارتكاب المعاصي، ولا يرجعون إلى ربهم إلى أن تأتيهم سكرات الموت، فيقول
أحدهم: إني تبت الآن، كما لا تقبل توبة الذين يموتون وهم جاحدون، ومنكرون لوحداية الله ورسالة رسول محمد صلى الله
عليه وسلم. أولئك المصرون على المعاصي إلى أن ماتوا، والجاحدون الذين يموتون وهم كفار، أعتدنا لهم عذاباً موجعاً.

(١٩) يا أيها الذين آمنوا لا يجوز لكم أن تجعلوا نساء آبائكم من جملة تركتهم، تصرفون فيهن بالزواج منهن، أو المنع هن،
أو تزويجهن للآخرين، وهن كارهات لذلك كله، ولا يجوز لكم أن تضاروا أزواجكم وأنتم كارهون هن، ليتنازلن عن
بعض ما أتيتموهن من مهر ونحوه، إلا أن يرتكن أمراً فاحشاً كالزنى، فلكم حينئذ إمساكنهن حتى تأخذوا ما أعطيتموهن.
ولكنكم مصاحبتم لنساكنكم مبنية على التكريم والمحبة، وأداء ما هن من حقوق. فإن كرهتموهن لسبب من الأسباب
الدينية فاصبروا؛ فعسى أن تكرهوا أمراً من الأمور ويكون فيه خير كثير.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مِمَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَهُنَّ قِطْرًا فَلَا تَأْخُذْ بِأَمْنِهِ شَيْئًا أَتَأْخُذُ بِهِ
بِهَتِّنَا وَتَمَثَّلَانِ لَنَا بَشِيرًا ۖ وَكَفَىٰ تَأْخُذُ وَهٖ ۖ وَقَدْ أَضْىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنٰ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا عَلِيًّا
ۖ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَجْشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا ۚ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبَائِبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُنُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَتَّخِذُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝

(٢٠) وإن أردتم استبدال زوجة مكان أخرى،
وكنتم قد أعطيتهم من تريدون طلاقها ما لا كثيراً
مهرأها، فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً،
أتأخذونه كذباً وافتراءً واضحاً؟

(٢١) وكيف يحل لكم أن تأخذوا ما أعطيتهم من
مهر، وقد استمتع كل منكم بالآخر بالجماع،
وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً من إساكنهن
بمعروف أو تسريهن بإحسان؟

(٢٢) ولا تتزوجوا من تزوجه آبائكم من
النساء إلا ما قد سلف منكم ومضى في الجاهلية
فلا مؤاخذه فيه. إن زواج الأنساء من زوجات
آبائهم أمر قبيح يفحش ويعظم قبحه، وبغض
يمقت الله فاعله، وبشس طريقاً ومنهجاً ما كنتم
تفعلونه في جاهليتكم.

(٢٣) حَرَّمَ الله عليكم نكاح أمهاتكم، ويدخل
في ذلك الجدات من جهة الأب أو الأم، وبنايتكم:
ويشمل بنات الأولاد وإن نزلن، وأخواتكم
الشقيقات أو لأب أو لأم، وعماتكم: أخوات

آبائكم وأجدادكم، وخالاتكم: أخوات أمهاتكم وجداتكم، وبنايت الأخ، وبنات الأخ: ويدخل في ذلك أولادهم،
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة - وقد حَرَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع ما يحرم من
النسب - وأمّهات نسايتكم، سواء دخلتم بنسايتكم، أم لم تدخلوا بهن، وبنات نسايتكم من غيركم اللاتي يتربن غالباً في
بيوتكم وتحت رعايتكم، وهن مُحَرَّمات وإن لم يكن في حجوركم، ولكن بشرط الدخول بأمهاتهن، فإن لم تكونوا دخلتم
بأمهاتهن وطلقتوهن أو من قبل الدخول فلا جناح عليكم أن تنكوهن، كما حَرَّمَ الله عليكم أن تنكحوا زوجات
أبنائكم الذين من أصلابكم، ومن ألحق بهم من أبنائكم من الرضاع، وهذا التحريم يكون بالعقد عليها، دخل الابن بها أم
لم يدخل، وحَرَّمَ عليكم كذلك الجمع في وقت واحد بين الأختين بنسب أو رضاع إلا ما قد سلف ومضى منكم في الجاهلية.
ولا يجوز كذلك الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها كما جاء في السنة. إن الله كان غفوراً للمذنبين إذا تابوا، رحماً بهم، فلا
يكلفهم ما لا يطيقون.

(٢٤) ويحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا من سببتم منهن في الجهاد، فإنه يحل لكم نكاحهن، بعد استبراء أرحامهن بحیضة، كتب الله عليكم تحريم نكاح هؤلاء، وأجاز لكم نكاح من سواهن، مما أحله الله لكم أن تطلبوا بأموالكم العفة عن اقتراف الحرام. فما استمتعتم به منهن بالنكاح الصحيح، فأعطوهن مهرهن، التي فرض الله لهن عليكم، ولا إثم عليكم فيما تم التراضي به بينكم، من الزيادة أو النقصان في المهر، بعد ثبوت الفريضة. إن الله تعالى كان علياً بأمور عباده، حكياً في أحكامه وتدييره.

(٢٥) ومن لا قدرة له على مهر الحرائر المؤمنات، فله أن ينكح غيرهن، من فتياتكم المؤمنات المملوكات. والله تعالى هو العليم بحقيقة إيمانكم، بعضكم من بعض، فتزوجوهن بموافقة أهلهن، وأعطوهن مهرهن على ما تراضيتن به عن طيب نفس منكم، متعفات

عن الحرام، غير مجاهرات بالزنى، ولا مسرات به بانحاذ أخلاء، فإذا تزوجن وأتين بفاحشة الزنى فعليهن من الحد - وهو الجلد لا الرجم - نصف ما على الحرائر. ذلك الذي أبيع من نكاح الإمام بالصفة المتقدمة إنها أبيع لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، وشق عليه الصبر عن الجماع، والصبر عن نكاح الإمام مع العفة أولى وأفضل. والله تعالى غفور لكم رحيم بكم إذ أذن لكم في نكاحهن عند العجز عن نكاح الحرائر.

(٢٦) يريد الله تعالى بهذه التشريعات، أن يوضح لكم معالم دينه القويم، وشرعه الحكيم، ويدلّكم على طرق الأنبياء والصالحين من قبلكم في الحلال والحرام، ويتوب عليكم بالرجوع بكم إلى الطاعات، وهو سبحانه عليم بما يصلح شأن عباده، حكيم فيما شرع لكم.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَهُ ذَلِكَ إِنْ تَابْتُمْ
بِأَمْوَالِكُمْ فَخُصِّينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ
مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا وَمَنْ لَزِمَ طَعْمَ مَنْكُحٍ طَوَّلًا أَنْ يَنْكِحَ
الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ
مِنْ بَعْضٍ فَإِنْ كُحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْلِفَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ
مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(٢٧) والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن خطاياكم، ويريد الذين يقادون لشهواتهم ولملذاتهم أن تنحرفوا عن الدين انحرافاً كبيراً.
(٢٨) يريد الله تعالى بما شرعه لكم التيسير، وعدم التشديد عليكم؛ لأنكم خلقتكم ضعفاء.
(٢٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا يحل لكم أن يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، إلا أن يكون وفق الشرع والكسب الحلال عن تراض منكم، ولا يقتل بعضكم بعضاً فتهلكوا أنفسهم بارتكاب محارم الله ومعاصيه. إن الله كان بكم رحيماً في كل ما أمركم به، ونهاكم عنه.

(٣٠) ومن يرتكب ما نهى الله عنه من أخذ المال الحرام كالسرقة والغصب والغيش معتدياً متجاوزاً حد الشرع، فسوف يدخله الله ناراً يقاسي حرها، وكان ذلك على الله يسيراً.

(٣١) إن تتعدوا -أيها المؤمنون- عن كبائر الذنوب كالإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل

النفس بغير الحق وغير ذلك، تكفر عنكم ما دونها من الصغائر، وتدخلكم مدخلاً كريهاً، وهو الجنة.

(٣٢) ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض، في الموهب والأرزاق وغير ذلك، فقد جعل الله للرجال نصيباً مقدراً من الجزاء بحسب عملهم، وجعل للنساء نصيباً مما عملن، وأسألوا الله الكريم الوهاب يُعطىكم من فضله بدلاً من التمني. إن الله كان بكل شيء عليماً، وهو أعلم بما يصلح عباده فيها قسمه لهم من خير.

(٣٣) ولكل واحد منكم جعلنا ورثة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، والذين تحالفتم معهم بالأيمان المؤكدة على النصرة وإعطائهم شيئاً من الميراث فأعطوهم ما قُدر لهم. والميراث بالتحالف كان في أول الإسلام، ثم رُفع حكمه بنزول آيات الموارث. إن الله كان مُطليعاً على كل شيء من أعمالكم، وسيجازيكم على ذلك.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۖ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ۖ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَأْتِكُمْ أَمْوَالُكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْعَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْسُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۖ إِنْ تَحْتَسِبُوا كَيْدَ بَرِّمَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نُكْهِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ۖ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَتَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۖ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَتَاوُهُمْ نَصِيبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۖ

(٣٤) الرجال قوامون على توجيه النساء ورعايتهن، بما خصهم الله به من خصائص القوامّة والتفضيل، وبما أعطوهن من المهور والنفقات. فالصالحات المستقيات على شرع الله منهن، مطيعات لله تعالى ولأزواجهن، حافظات لكل ما غاب عن علم أزواجهن بما أوثمنّ عليه بحفظ الله وتوفيقه، واللاتي تحشون منهن ترفعن عن طاعتكم، فانصحوهن بالكلمة الطيبة، فإن لم تثمر معهن الكلمة الطيبة، فاهجروهن في الفراش، ولا تقربوهن، فإن لم يؤثر فعل الهجران فيهن، فاضربوهن ضرباً لا ضرر فيه، فإن أظعنكم فاحذروا ظلمهن، فإن الله العليّ الكبير وليهن، وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

(٣٥) وإن علمتم -يا أولياء الزوجين- شقاقاً بينهما يؤدي إلى الفراق، فأرسلوا إليهما حكماً عدلاً من أهل الزوج، وحكماً عدلاً من أهل الزوجة؛ لينظرا ويحكمأ بما فيه المصلحة لهما،

وبسبب رغبة الحكّمين في الإصلاح، واستعمالهما الأسلوب الطيب يوفق الله بين الزوجين. إن الله تعالى عليهم، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده، خبير بما تنطوي عليه نفوسهم.

(٣٦) وعبدوا الله وانقادوا له وحده، ولا تجعلوا له شريكاً في الربوبية والعبادة، وأحسنوا إلى الوالدين، وأدّوا حقوقهما، وحقوق الأقربين، والأولاد الذين مات أبأؤهم وهم دون سن البلوغ، والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسدّد حاجتهم، والجار القريب منكم والبعيد، والرفيق في السفر وفي الحضر، والمسافر المحتاج، والماليك من فتيانكم وفتياتكم. إن الله تعالى لا يحب المتكبرين من عباده، المتفخزين على الناس.

(٣٧) الذين يمتنعون عن الإنفاق والعطاء مما رزقهم الله، ويأمرون غيرهم بالبخل، ويحسدون نعمة الله عليهم، ويخفون فضله وعطاءه. وأعدنا للمجاهدين عذاباً مخزياً.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ كُنْتُمْ حَافِظُونَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَحَافُوتَ لِنُفُوسِهِمْ فَبَعْظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهِمَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝

وَالَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا دَعَا إِلَهُمُ لَوْ أَنَّ أَمْوَالَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفُسَهُمْ
مِمَّا زَرَعَهُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرُّسُلَ لَوْ سَوَّيْنَا بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكُونُونَ
اللَّهُ حُدُودًا ﴿٤٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَاللَّهُ
سُكْرَى حَتَّى تَقْتُلُوا أَوْ تَنْسُوا أَوْ تَنْسُوا أَوْ تَنْسُوا أَوْ تَنْسُوا
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تُنْمَسْ مِنَ النِّسَاءِ فَلَمْ يَجِدْ أُمَّةً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَائِبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ
الْكِتَابِ يَسْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

(٣٨) وأعتدنا هذا العذاب كذلك للذين ينفقون أموالهم رياءً وسمعةً، ولا يصدقون بالله اعتقاداً وعملاً ولا يوم القيامة. وهذه الأعمال السيئة مما يدعو إليها الشيطان. ومن يكن الشيطان له ملازماً فبئس الملازم والقرين.

(٣٩) وأيضاً ضرر بلحقهم لو صدقوا بالله واليوم الآخر اعتقاداً وعملاً، وأنفقوا عما أعطاهم الله باحساب وإخلاص، والله تعالى عليم بهم وبما يعملون، وسيحاسبهم على ذلك.

(٤٠) إن الله تعالى لا ينقص أحداً من جزاء عمله مقدار ذرة، وإن تكن زنة الذرة حسنة فإنه سبحانه يزيدها ويكثرها لصاحبها، ويفضل عليه بالمزيد، فيعطيه من عنده ثواباً كبيراً هو الجنة.

(٤١) فكيف يكون حال الناس يوم القيامة، إذا جاء الله من كل أمة برسولها ليشهد عليها بما عملت، وجاء بك -أيها الرسول- لتكون شهاداً على أمتك أنك بلغتهم رسالة ربك؟

(٤٢) يوم يكون ذلك، يتمنى الذين كفروا بالله تعالى وخالفوا الرسول ولم يطيعوه، لو يجعلهم الله والأرض سواء، فيصبرون تراباً، حتى لا يعبتوا وهم لا يستطيعون أن يخفوا عن الله شيئاً مما في أنفسهم؛ إذ ختم الله على أفواههم، وشهدت عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون.

(٤٣) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعمِلُوا بِشْرِهِ، لا تقربوا الصلاة ولا تقوموا إليها حال السكر حتى تميزوا وتعلموا ما تقولون (وقد كان هذا قبل التحريم القاطع للخمر في كل حال)، ولا تقربوا الصلاة إن أصابكم الحدث الأكبر، ولا تقربوا كذلك مواضعها وهي المساجد، إلا من كان منكم مجتازاً من باب إلى باب، حتى تطهروا بالاغتسال. وإن كنتم في حال مرض لا تقدرون معه على استعمال الماء، أو حال سفر، أو جاء أحد منكم من الغائط، أو جامعتم النساء، فلم تجدوا ماء للطهارة فاقصدوا تراباً طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه. إن الله تعالى كان كثيراً العفو يتجاوز عن سيئاتكم، ويسترحم عليكم.

(٤٤) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر اليهود الذين أعطوا حظاً من العلم مما جاءهم من التوراة، يستبدلون الضلالة بالهدى، ويترون ما لديهم من الحجج والبراهين، الدالة على صدق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويتمنون لكم -أيها المؤمنون المهتدون- أن تنحرفوا عن الطريق المستقيم؛ لتكونوا ضالين مثلهم.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَلَئِنْ وَكُنِيَ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
 مِنَ الَّذِينَ هَذَا يَحْزَنُونَ لَكَ مِنْ مَوَاضِعِهِمْ وَيَقُولُونَ
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمِعْ غَيْرَ سَمِعَ وَرَاعِنَا لَيْتَ بِالسَّيِّئَةِ
 وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا أَسْمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانْظُرْنَا
 لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَئِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
 مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْغَسَ وَجُوهًا فَتَرَدَّهَا
 عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَعْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفِرَ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
 ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ
 وَلَا يُلَظِّمُونَ فِتْنًا ﴿٤٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْضُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
 مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالظَّالِعُونَ وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

(٤٥) والله سبحانه وتعالى أعلم منكم -أيها المؤمنون- بعبادة هؤلاء اليهود لكم، وكفى بالله ولياً يتولاكم، وكفى به نصيراً ينصركم على أعدائكم.

(٤٦) من اليهود فريق دأبوا على تبديل كلام الله وتغييره عما هو عليه افتراءً على الله، ويقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع مثلاً سمعت، ويقولون: راعنا سمعك أي: افهم عنا وأفهمنا، بلون ألسنتهم بذلك، وهم يريدون الدعاء عليه بالرعونة حسب لغتهم، والطعن في دين الإسلام. ولو أنهم قالوا: سمعنا وأطعنا، بدل «وعصينا»، واسمع دون «غير سمع»، وانظرنا بدل «راعنا» لكان ذلك خيراً لهم عند الله وأعدل قولاً، ولكن الله طردهم من رحمته؛ بسبب كفرهم وجحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يصدقون بالحق إلا تصديقاً قليلاً لا ينفعهم.

(٤٧) يا أهل الكتاب، صدقوا واعملوا بما نزلنا من القرآن، مصداقاً لما معكم من الكتب من قبل أن نأخذكم بسوء صنيعكم، فنمحو الوجوه

ونحوّلها قبيل الظهور، أو نلعن هؤلاء المفسدين بمسوخهم قردة وخنازير، كما لعن اليهود من أصحاب السبت، الذين نهوا عن الصيد فيه فلم ينهوا، فغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وكان أمر الله نافذاً في كل حال.

(٤٨) إن الله تعالى لا يغفر ولا يتجاوز عمن أشرك به أحداً من مخلوقاته، أو كفر بأي نوع من أنواع الكفر الأكبر، ويتجاوز ويعفو عما دون الشرك من الذنوب، لمن يشاء من عباده، ومن يشرك بالله غيره فقد اختلق ذنباً عظيماً.

(٤٩) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك الذين يُثَنُّون على أنفسهم وأعمالهم، ويصفونها بالطهر والبعد عن السوء؟ بل الله تعالى وحده هو الذي يُثَنِّي على من يشاء من عباده، لعلمه بحقيقة أعمالهم، ولا يُنْقِصون من أعمالهم شيئاً مقدار الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة.

(٥٠) انظر إليهم -أيها الرسول- متعجباً من أمرهم، كيف يختلقون على الله الكذب، وهو المنزه عن كل ما لا يليق به؟ وكفى بهذا الاختلاق ذنباً كبيراً كاشفاً عن فساد معتقدتهم.

(٥١) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك اليهود الذين أعطوا حظاً من العلم يصدقون بكل ما يُعبد من دون الله من الأصنام وشياطين الإنس والجن تصديقاً يحملهم على التحاكم إلى غير شرع الله، ويقولون للذين كفروا بالله تعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: هؤلاء الكافرون أقوم وأعدل طريقاً من أولئك الذين آمنوا؟

(٥٢) أولئك الذين كثُرَ فسادهم وعمَّ ضلالتهم، طردهم الله تعالى من رحمته، ومن يطرده الله من رحمته فلن تجد له من ينصره، ويدفع عنه سوء العذاب.

(٥٣) بل ألهمهم حظ من الملك، ولو أوتوه لما أغطوا أحداً منه شيئاً، ولو كان مقدار النقرة التي تكون في ظهر النواة؟

(٥٤) بل يحسدون محمداً صلى الله عليه وسلم على ما أعطاه الله من نعمة النبوة والرسالة، ويحسدون أصحابه على نعمة التوفيق إلى الإيمان، والتصديق بالرسالة، واتباع الرسول، والتمكين في الأرض، ويتمنون زوال هذا الفضل عنهم؟ فقد أعطينا ذرية إبراهيم عليه السلام - من قبل - الكتب، التي أنزلها عليهم وما أوحى إليهم مما لم يكن كتاباً مقروءاً، وأعطيناهم مع ذلك ملكاً واسعاً.

(٥٥) فمن هؤلاء الذين أوتوا حظاً من العلم، من صدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وعمل بشرعه، ومنهم من أعرض ولم يستجب لدعوته، ومنع الناس من اتباعه. وحسبكم - أيها المكذوبون - نار جهنم تسعركم.

(٥٦) إن الذين جحدوا ما أنزل الله من آياته ووحى كتابه ودلائله وحقبه، سوف ندخلهم ناراً يقاسون حرَّها، كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلوداً أخرى؛ ليستمر عذابهم والمهم. إن الله تعالى كان عزيزاً لا يمتنع عليه شيء، حكماً في تدبيره وقضائه.

(٥٧) والذين اطمانت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسالته ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ينعمون فيها أبداً ولا يخرجون منها، وهم فيها أزواج طهرها الله من كل أذى، وندخلهم ظلاً كثيفاً ممتداً في الجنة.

(٥٨) إن الله تعالى يأمركم بأداء مختلف الأمانات، التي اؤتمنت عليها إلى أصحابها، فلا نفرطوا فيها، ويأمركم بالقضاء بين الناس بالعدل والقسط، إذا قضيت بينهم، ونعم ما يعظكم الله به ويهديكم إليه. إن الله تعالى كان سميعاً لافواكم، مُطَّلِعاً على سائر أعمالكم، بصيراً بها.

(٥٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، استجبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوه، واستجبوا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق، وأطيعوا وأمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب. ذلك الرُّدُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومآلاً.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يَكُونُونَ النَّاسَ نَفِيرًا ﴿٥٣﴾
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ؤَاتَيْنَا
ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَلِلْحِكْمَةِ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَيَنْهَرُونَ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَعَنَّهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَصَلَّيْتُمْ
جُلُودَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا أُخْرَىٰ هَٰذَا وَعَذَابُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا عَلَىٰ ظِلِيلٍ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

(٦٠) ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك المنافقين الذين يدعون الإيمان بما أنزل إليك - وهو القرآن- وبما أنزل إلى الرسل من قبلك، وهم يريدون أن يتحاكموا في فصل الخصومات بينهم إلى غير ما شرع الله من الباطل، وقد أمروا أن يكفروا بالباطل؟ ويريد الشيطان أن يبعدهم عن طريق الحق بُعداً شديداً. وفي هذه الآية دليل على أن الإيمان الصادق، يقتضي الانقياد لشرع الله، والحكم به في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في زعمه.

(٦١) وإذا نُصَح هؤلاء، وقيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهدية، أبصرت الذين يظهرون الإيمان ويطنون الكفر، يعرضون عنك إعراضاً.

(٦٢) فكيف يكون حال أولئك المنافقين إذا حلت بهم مصيبة؛ بسبب ما اقترفوه بأيديهم، ثم جاؤوك -أيها الرسول- يعتذرون، ويؤكدون لك أنهم ما قصدوا بأفعالهم تلك إلا الإحسان والتوفيق بين الخصوم؟

(٦٣) أولئك هم الذين يعلم الله حقيقة ما في

الْقَرْبَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسِنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيجًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

قلوبهم من النفاق، فتولّ عنهم، وحذّهم من سوء ما هم عليه، وقل لهم قولاً مؤثراً فيهم زاجراً لهم. (٦٤) وما بعثنا من رسول من رسلنا، إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه. ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاؤوك -أيها الرسول- في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم، لوجدوا الله تواباً رحيمًا.

(٦٥) أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكماً فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقياداً تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.

(٦٦-٦٨) ولو أوجبنا على هؤلاء المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت أن يقتل بعضهم بعضاً، أو أن يخرجوا من ديارهم، ما استجاب لذلك إلا عدد قليل منهم، ولو أنهم استجابوا لما يُنصحون به لكان ذلك نافعاً لهم، وأقوى لإيمانهم، ولأعطيتهم من عندنا ثواباً عظيماً في الدنيا والآخرة، ولأرشدناهم ووقفناهم إلى طريق الله القويم.

(٦٩) ومن يستجب لأوامر الله تعالى ويهدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فأولئك الذين عظم شأنهم وقدرهم، فكانوا في صحبة من أنعم الله تعالى عليهم بالجنة من الأنبياء والصديقين الذين كُمل تصديقهم بها جاءت به الرسل، اعتقاداً وقولاً وعملاً، والشهداء في سبيل الله وصالح المؤمنين، وحسن هؤلاء رفقاء في الجنة. (٧٠) ذلك العطاء الجزيل من الله وحده. وكفى بالله عليماً يعلم أحوال عباده، ومن يستحق منهم الثواب الجزيل بما قام به من الأعمال الصالحة.

(٧١) يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم بالاستعداد لعدوكم، فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة أو مجتمعين.

(٧٢) وإن منكم لنفرًا يتأخرون الخروج لملاقاة الأعداء متناقلاً، ويشط غيره عن عقد وإصرار، فإن قدر عليكم وأصيبتم بقتل وهزيمة، قال مستبشراً: قد حفظني الله، حين لم أكن حاضراً مع أولئك الذين وقع لهم ما أكرهه لنفسي، وسره تخلفه عنكم.

(٧٣) ولئن نالكم فضل من الله وغنيمة، ليقولنَّ - حاسداً متحسراً، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في الظاهر - : يا ليتني كنت معهم فأظفر بما ظفروا به من النجاة والنصرة والغنيمة.

(٧٤) فليجاهد في سبيل نصرته دين الله، وإعلاء كلمته، الذين يبيعون الحياة الدنيا بالدار الآخرة وثوابها. ومن يجاهد في سبيل الله مخلصاً، فيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ، فسوف نؤتيه أجراً عظيماً.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَدُونَ يَوَهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْهًُۖ ۖ وَإِذَا لَأَكْتَسِبُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيْمًا ۖ وَلَهْدِيْهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيْمًا ۖ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدَةِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلْمًا ۖ يَتَأَنَّىٰ الَّذِينَ آمَنُوا أَخَذُوا حِذْرًا ۖ فَانْظُرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْظُرُوا ۖ وَاجْمِيعًا ۖ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَاطِلُنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَاهِدًا ۖ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَأْتِيَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيْمًا ۖ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُحْثَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيْمًا ۖ

(٧٥) وما الذي يمنعكم - أيها المؤمنون - عن الجهاد في سبيل نصره دين الله، ونصرة عباده المستضعفين من الرجال والنساء والصغار الذين اعتدي عليهم، ولا حيلة لهم ولا وسيلة لديهم إلا الاستغاثة برههم، يدعونه قائلين: ربنا أخرجنا من هذه القرية - يعني «مكة» - التي ظلم أهلها أنفسهم بالكفر والمؤمنين بالأذى، واجعل لنا من عندك ولياً يتولى أمورنا، ونصيراً ينصرنا على الظالمين؟

(٧٦) الذين صدقوا في إيمانهم اعتقاداً وعملاً يجاهدون في سبيل نصره الحق وأهله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل البغي والفساد في الأرض، فقاتلوا أيها المؤمنون أهل الكفر والشرك الذين يتولون الشيطان، ويطيعون أمره، إن تدبير الشيطان لأوليائه كان ضعيفاً.

(٧٧) ألم تعلم - أيها الرسول - أمر أولئك الذين قيل لهم قبل الإذن بالجهاد: امنعوا أيديكم عن قتال أعدائكم من المشركين، وعليكم أداء ما

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا رَجَعَلَ ثَمَانٍ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَفَقِّتُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْهَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْمَنَّا كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْمَوْتِ وَلَوْ نَشَاءُ لَمُوجُّ شَيْءٍ فَإِنْ نُصِيبَهُمْ نَصِيبًا مِمَّنْ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

فرضه الله عليكم من الصلاة والزكاة، فلما فرض عليهم القتال إذا جماعة منهم قد تغير حالهم، فأصبحوا يخافون الناس ويهربونهم، كخوفهم من الله أو أشد، ويعلمون عما اعتراهم من شدة الخوف، فيقولون: ربنا لم أوجب القتال علينا هلاً أمهلنا إلى وقت قريب، رغبة منهم في متاع الحياة الدنيا، قل لهم - أيها الرسول -: متاع الدنيا قليل، والآخرة وما فيها أعظم وأبقى لمن اتقى، فعمل بها أمره، واجتنب ما مهي عنه. ولا يظلم ربك أحداً شيئاً، ولو كان مقدار الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة.

(٧٨) أينما تكونوا يلحقكم الموت في أي مكان كنتم فيه عند حلول آجالكم، ولو كنتم في حصون منيعة بعيدة عن ساحة المعارك والقتال. وإن يحصل لهم ما يسرهم من متاع هذه الحياة، ينسبوا حصوله إلى الله تعالى، وإن يقع عليهم ما يكرهونه ينسبوه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جهالة وتشاؤماً، وما علموا أن ذلك كله من عند الله وحده، بقضائه وقدره، فإياهم لا يقاربون فهم أي حديث تحدثهم به؟

(٧٩) ما أصابك - أيها الإنسان - من خير ونعمة فهو من الله تعالى وحده، فضلاً وإحساناً، وما أصابك من جهد وشدة فيسبب عملك السيئ، وما اقترفته يدك من الخطايا والسيئات. وبعثناك - أيها الرسول - لعموم الناس رسلاً تبلغهم رسالة ربك، وكفى بالله شهيداً على صدق رسالتك.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٨٠ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨١ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَكُنُوا رِجَالًا كَثُرَتْ عَنْهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٢ فَتَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنكَفُفَ لَأَنفُسِكَ وَحَرِصَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۝٨٣ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كُفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۝٨٤ وَإِذَا حُجِمَ بِتَحِيَةٍ فَمَقبُورًا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٥

(٨٠) من يستجب للرسول صلى الله عليه وسلم، ويعمل بهديه، فقد استجاب لله تعالى وامتنل أمره، ومن أعرض عن طاعة الله ورسوله فما بعثناك -أيها الرسول- على هؤلاء المعرضين رقيباً تحفظ أفعالهم وتحاسبهم عليها، فحاسبهم علينا.

(٨١) ويظهر هؤلاء المعرضون -وهم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم- طاعتهم للرسول وما جاء به، فإذا ابتعدوا عنه وانصرفوا عن مجلسه، دبر جماعة منهم ليلاً غير ما أعلنوه من الطاعة، وما علموا أن الله يحصي عليهم ما يدبرون، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، فتول عنهم -أيها الرسول- ولا تبال بهم، فإنهم لن يضروك، وتوكل على الله، وحسبك به ولياً وناصراً.

(٨٢) أفلا ينظر هؤلاء في القرآن، وما جاء به من الحق، نظر تأمل وتدبر، حيث جاء على نسق محكم يقطع بأنه من عند الله وحده؟ ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

(٨٣) وإذا جاء هؤلاء الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أمرٌ يجب كتمانهم متعلقاً بالأمن الذي يعود خيره على الإسلام والمسلمين، أو بالخوف الذي يلقي في قلوبهم عدم الاطمئنان، أفشروه وأذاعوا به في الناس، ولو ردّ هؤلاء ما جاءهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أهل العلم والفقه لعلهم حقيقة معناه أهل الاستنباط منهم. ولولا أن تفضل الله عليهم ورحمكم لاتبعتهم الشيطان وسواسه إلا قليلاً منكم.

(٨٤) فجاهد -أيها النبي- في سبيل الله وإعلاء كلمته، لا تلزم فغل غيرك ولا تواخذ به، وحض المؤمنين على القتال والجهاد، ورغبهم فيه، لعل الله يمتع بك وبهم بأس الكافرين وشدهم. والله تعالى أشد قوة وأعظم عقوبة للكافرين.

(٨٥) من يسع لحصول غيره على الخير يكن له شفاعته نصيب من الثواب، ومن يسع لإيصال الشر إلى غيره يكن له نصيب من الوزر والإثم. وكان الله على كل شيء شاهداً وحفيظاً.

(٨٦) وإذا سلم عليكم المسلم فرّدوا عليه بأفضل مما سلم لفظاً وبشاشة، أو ردّوا عليه بمثل ما سلم، ولكل ثوابه وجزاؤه. إن الله تعالى كان على كل شيء مجازياً.

(٨٧) الله وحده المتفرد بالألوهية لجميع الخلق، ليجمعكم يوم القيامة، الذي لا شك فيه؛ للحساب والجزاء. ولا أحد أصدق من الله حديثاً فيما أخبر به.

(٨٨) فما لكم -أيها المؤمنون- في شأن المنافقين إذ اختلفتم فرقتين: فرقة تقول بقتالهم وأخرى لا تقول بذلك؟ والله تعالى قد أوقعهم في الكفر والضلال بسبب سوء أفعالهم. أتودون هداية من صرف الله تعالى قلبه عن دينه؟ ومن خذله الله عن دينه، واتباع ما أمره به، فلا طريق له إلى الهدى.

(٨٩) تمنى المنافقون لكم -أيها المؤمنون- لو تنكروا حقيقة ما أمنت به قلوبكم، مثلما أنكروا بقلوبهم، فتكونون معهم في الإنكار سواء، فلا تتخذوا منهم أصدقاء لكم، حتى يهاجروا في سبيل الله، برهاناً على صدق إيمانهم، فإن أعرضوا عما دُعوا إليه، فخذوهم أيئنا كانوا واقتلوهم، ولا تتخذوا منهم ولياً من دون الله

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ قَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَكْسَبُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَلْزَيْدُونَ أَنْ هَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَجَاءَهُمْ بَصِيرَةٌ صَدُّوهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلقَاتُوكُمْ إِنْ أَعَزُّوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمْ السِّلَاحَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُم عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ أَخْرَيْنَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلِّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعَزُّوْكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السِّلَاحَ يَكُونُوا إِيْدِيَهُمْ فخذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُم عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

ولا نصيراً تستصرون به.

(٩٠) لكن الذين يتصلون بقوم بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقتلوه، وكذلك الذين أتوا إليكم وقد ضاقت صدورهم وكرهوا أن يقتلوكم، كما كرهوا أن يقتلوا قومهم، فلم يكونوا معكم ولا مع قومهم، فلا تقتلوه، ولو شاء الله تعالى لسلطهم عليكم، فلقاتلوكم مع أعدائكم من المشركين، ولكن الله تعالى صرف فهم عنكم بفضلهم وقدرته، فإن تركوكم فلم يقتلوكم، وانقادوا إليكم مستسلمين، فليس لكم عليهم من طريق لقتالهم.

(٩١) ستجدون قوماً آخرين من المنافقين يودون الاطمئنان على أنفسهم من جانبيكم، فيظهرون لكم الإيمان، ويودون الاطمئنان على أنفسهم من جانب قومهم الكافرين، فيظهرون لهم الكفر، كلها أعيدها إلى موطن الكفر والكافرين، وقعوا في أسوأ حال. فهو لا إن لم ينصرفوا عنكم، ويقدموا إليكم الاستسلام التام، ويمنعوا أنفسهم عن قتالكم فخذوهم بقوة واقتلوهم أيئنا كانوا، وأولئك الذين بلغوا في هذا المسلك السيئ حداً يميزهم عن عدائهم، فهم الذين جعلنا لكم الحجة البينة على قتلهم وأسرهم.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ
لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ
مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَاءُ
شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاءُ رَجْمَتِهِ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ آتَى الْيَعْلَى الْيَعْلَى لَسَلَّمَ لَسَلَّمَ مُؤْمِنًا تَتَّبَعُونَ
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَافِرٌ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ كَرَمٌ
فَتَيَبَّسُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

(٩٢) ولا يحق لمؤمن الاعتداء على أخيه المؤمن وقتله بغير حق، إلا أن يقع منه ذلك على وجه الخطأ الذي لا عمد فيه، ومن وقع منه ذلك الخطأ فعليه عتق رقبة مؤمنة، وتسليم دية مقدرة إلى أوليائه، إلا أن يتصدقوا بها عليه ويعفوا عنه. فإن كان المقتول من قوم كفار أعداء للمؤمنين، وهو مؤمن بالله تعالى، وبما أنزل من الحق على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة، وإن كان من قوم بينكم وبينهم عهد وميثاق، فعلى قاتله دية تسلم إلى أوليائه وعتق رقبة مؤمنة، فمن لم يجد القدرة على عتق رقبة مؤمنة، فعليه صيام شهرين متتابعين؛ لیتوب الله تعالى عليه. وكان الله تعالى عليهما بحقيقة شأن عباده، حكيمًا فيما شرعه لهم.

(٩٣) ومن يغتد على مؤمن فيقتله عن عمد بغير حق فعاقبته جهنم خالداً فيها، مع سخط الله تعالى عليه وطرده من رحمته إن جازاه على ذنبه، وأعد الله له أشد العذاب؛ بسبب ما ارتكبه من هذه الجناية العظيمة، ولكن الله سبحانه يعفو ويتفضل على أهل الإيمان، فلا يجازيهم بالخلود في جهنم.

(٩٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا خرجتم في الأرض مجاهدين في سبيل الله فكونوا على بينة مما تأتون وتتركون، ولا تنفوا الإيمان عما بدا منه شيء من علامات الإسلام ولم يقاتلكم؛ لاحتال أن يكون مؤمناً مخفي إيمانه، طالبين بذلك متاع الحياة الدنيا، والله تعالى عنده من الفضل والعطاء ما يغنيكم به، كذلك كنتم في بدء الإسلام تخفون إيمانكم عن قومكم من المشركين فمَنَّ الله عليكم، وأعزكم بالإيمان والقوة، فكونوا على بينة ومعرفة في أموركم. إن الله تعالى عليهم بكل أعمالكم، مطلع على دقائق أموركم، وسيجازيكم عليها.

(٩٥) لا يتساوى المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله - غير أصحاب الأعدار منهم - والمجاهدون في سبيل الله، بأموالهم وأنفسهم، فضّل الله تعالى المجاهدين على القاعدين، ورفع منزلتهم درجة عالية في الجنة، وقد وعد الله كلّاً من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم والقاعدين من أهل الأعدار الجنة لما بذلوا وضحووا في سبيل الحق، وفضّل الله تعالى المجاهدين على القاعدين ثواباً جزيلاً. (٩٦) هذا الثواب الجزيل منازل عالية في الجنات من الله تعالى لخاصة عباده المجاهدين في سبيله، ومغفرة لذنوبهم ورحمة واسعة ينعمون فيها. وكان الله غفوراً لمن تاب إليه وأناب، رحياً بأهل طاعته، المجاهدين في سبيله. (٩٧) إن الذين توفاهم الملائكة وقد ظلموا أنفسهم بقعودهم في دار الكفر وترك الهجرة، تقول لهم الملائكة توبيحاً لهم: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ فيقولون: كنا ضعفاء في أرضنا، عاجزين عن دفع الظلم والقهر عنا، فيقولون لهم توبيحاً: ألم تكن أرض الله واسعة فتخرجوا

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسْفَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَهِمَّ كُفُّوا أَلْسِنَهُمُ الْمُتَضَعِّعِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْكَ مَا أَوْهَمَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُتَضَعِّعِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا لَيْكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَعْدَاؤَكُمْ يُبَيِّنُ

من أرضكم إلى أرض أخرى بحيث تأمنون على دينكم؟ فأولئك مثواهم النار، وَقَبِحَ هذا المرجع والمآب. (٩٨) ويعذر من ذاك المصير العجزة من الرجال والنساء والصغار الذين لا يقدرّون على دفع الظلم والقهر عنهم، ولا يعرفون طريقاً يخلصهم مما هم فيه من المعاناة. (٩٩) فهو لا الضعفاء هم الذين يُرجى لهم من الله تعالى العفو؛ لعلّهم تعالى بحقيقة أمرهم. وكان الله كثير العفو يتجاوز عن سيئاتهم، ويسترها عليهم. (١٠٠) ومن يخرج من أرض الشرك إلى أرض الإسلام فراراً بدينه، راجياً فضل ربه، قاصداً نصرة دينه، يجد في الأرض مكاناً ومتحولاتاً ينعم فيه بما يكون سبباً في قوته وذلة أعدائه، مع السّعة في رزقه وعيشه، ومن يخرج من بيته قاصداً نصرة دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإعلاء كلمة الله، ثم يدركه الموت قبل بلوغه مقصده، فقد ثبت له جزاء عمله على الله، فضلاً منه وإحساناً. وكان الله غفوراً رحيماً بعباده. (١٠١) وإذا سافرت - أيها المؤمنون - في أرض الله، فلا حرج ولا إثم عليكم في قصر الصلاة إن خفت من عدوان الكفار عليكم في حال صلاتكم، وكانت غالب أسفار المسلمين في بدء الإسلام مخوفة، والقصر رخصة في السفر حال الأمن أو الخوف. إن الكافرين مجاهرون لكم بعداوتهم، فاحذروهم.

وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَالَهُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمَّتِغَتَكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ قَيْلَةً وَحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ إِذْىٌ مِنْ مَطَرٍ أَنْ تُكِنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ١٠٢
فَإِذَا أَقَضْتُمُ الصَّلَاةَ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ١٠٣ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ يَمَا أَرْسَلَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ١٠٥

(١٠٢) وإذا كنت -أيها النبي- في ساحة القتال، فأردت أن تصلي بهم، فلتقم جماعة منهم معك للصلاة، وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجد هؤلاء فلتكن الجماعة الأخرى من خلفكم في مواجهة عدوكم، وتقيم الجماعة الأولى ركعتهم الثانية وتسلمون، ثم تأتي الجماعة الأخرى التي لم تبدأ الصلاة فلْيأتعوا بك في ركعتهم الأولى، ثم يكملوا بأنفسهم ركعتهم الثانية، وليحذروا من عدوهم وليأخذوا أسلحتهم. وذ الجاحدون لدين الله أن تغفلوا عن سلاحكم وزادكم؛ ليحملوا عليكم حلة واحدة فيقضوا عليكم، ولا إثم عليكم حينئذ إن كان بكم أذى من مطر، أو كنتم في حال مرض أن تركوا أسلحتكم، مع أخذ الحذر. إن الله تعالى أعد للجاحدين لدينه عذاباً يهينهم، ويخزيهم.

(١٠٣) فإذا أدّيت الصلاة، فأديموا ذكر الله في جميع أحوالكم، فإذا زال الخوف فأدّوا الصلاة كاملة، ولا تفريطوا فيها فإنها واجبة في أوقات معلومة في الشرع.

(١٠٤) ولا تضعفوا في طلب عدوكم وقتاله، إن تكونوا تألمون من القتال وآثاره، فأعدواكم كذلك يتألمون منه أشد الألم، ومع ذلك لا يكفون عن قتالكم، فأنتم أولى بذلك منهم؛ لما ترجونه من الثواب والنصر والتأييد، وهم لا يرجون ذلك. وكان الله عليماً بكل أحوالكم، حكيماً في أمره وتديبه.

(١٠٥) إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن مشتملاً على الحق؛ لتفصل بين الناس جميعاً بما أوحى الله إليك، وبصرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم -بكتان الحق- مدافعاً عنهم؛ بما أبدوه لك من القول المخالف للحقيقة.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَلَا تَجِدُ
عَنِ الَّذِينَ يَتَخَوْنُ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَافًا أَثِيمًا ۖ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرَى صَاحِبُ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ يَمَازِي عَمَلَهُمْ مُحِيطًا ۖ هَآؤُنْظِرْ هَؤُلَاءِ
جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يُظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ۖ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ وَعَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا
ۖ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۖ

(١٠٦) واطلب من الله تعالى المغفرة في جميع أحوالك، إن الله تعالى كان غفوراً لمن يرجو فضله ونوال مغفرته، رحيماً به.

(١٠٧) ولا تدافع عن الذين يخونون أنفسهم بمعضية الله. إن الله - سبحانه - لا يحب من عَظُمَتْ خيانتته، وكثر ذنبه.

(١٠٨) يستترون من الناس خوفاً من اطلاعهم على أفعالهم السيئة، ولا يستترون من الله تعالى ولا يستحيون منه، وهو عزَّ شأنه معهم بعلمه، مطلع عليهم حين يدبرون - ليلاً - ما لا يرضى من القول، وكان الله - تعالى - محيطاً بجميع أفعالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

(١٠٩) ها أنتم - أيها المؤمنون - قد حاجتكم عن هؤلاء الخائنين لأنفسهم في هذه الحياة الدنيا، فمن يحاجج الله تعالى عنهم يوم البعث والحساب؟ ومن ذا الذي يكون على هؤلاء الخائنين وكيلاً يوم القيامة؟

(١١٠) ومن يُقَدِّم على عمل سيئٍ فبيح، أو

يظلم نفسه بارتكاب ما يخالف حكم الله وشرعه، ثم يرجع إلى الله نادماً على ما عمل، راجياً مغفرته وستر ذنبه، يجد الله تعالى غفوراً له، رحيماً به.

(١١١) ومن يعتمد على ارتكاب ذنب فإنها يضر بذلك نفسه وحدها، وكان الله تعالى عليماً بحقيقة أمر عباده، حكيماً فيما يقضي به بين خلقه.

(١١٢) ومن يعمل خطيئة بغير عمد، أو يرتكب ذنباً متعمداً ثم يقذف بها ارتكبه نفساً بريئة لا جناة لها، فقد تحمّل كذباً وذنباً بيناً.

(١١٣) ولولا أن الله تعالى قد مَنَّ عليك - أيها الرسول - ورحمك بنعمة النبوة، فعصمك بتوفيقه بها أوحى إليك، لعزمت جماعة من الذين يخونون أنفسهم أن يُزِلُّوكَ عن طريق الحق، وما يُزِلُّونَ بذلك إلا أنفسهم، وما يقدرُونَ على إيذائك لعصمة الله لك، وأنزل الله عليك القرآن والسنة المبينة له، وهداك إلى علم ما لم تكن تعلمه من قبل، وكان ما خَصَّكَ الله به من فضلٍ أمراً عظيماً.

* لَأَخْبِرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
 أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
 اتِّبَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١٤ وَمَن
 يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
 سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا ١١٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 بَعِيدًا ١١٦ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ
 إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا ١١٧ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
 عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ١١٨ وَلَا ضَلَالَةٌ وَلَا مَنِيَّةٌ
 وَلَا مُرْتَبَعٌ فَلَيْتَ كُنَّ آدَاءَاتِ الْآلَمَةِ وَلَا مُرْتَبَعٌ
 فَلْيَغْفِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن
 دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا ١١٩ يَعْدُهُمْ
 وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا ١٢٠ أُولَٰئِكَ
 مَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجْدُونَ عَنْهَا مَجِيصًا ١٢١

(١١٤) لا نفع في كثير من كلام الناس سراً فيما بينهم، إلا إذا كان حديثاً داعياً إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس، ومن يفعل تلك الأمور طلباً لرضا الله تعالى راجياً ثوابه، فسوف نؤتيه ثواباً جزيلاً واسعاً.

(١١٥) ومن يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد ما ظهر له الحق، ويسلك طريقاً غير طريق المؤمنين، وما هم عليه من الحق، نتركه وما توجه إليه، فلا نوقفه للخير، وندخله نار جهنم يقاسي حرّها، ونس هذا المرجع والمآل.

(١١٦) إن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده. ومن يجعل لله تعالى الواحد الأحد شريكاً من خلقه، فقد بعد عن الحق بعداً كبيراً.

(١١٧) ما يعبد المشركون من دون الله تعالى إلا أوثاناً لا تنفع ولا تضر، وما يعبدون إلا شيطاناً متمرداً على الله، بلغ في الفساد والإفساد حداً كبيراً.

(١١٨) طرده الله تعالى من رحمته. وقال الشيطان: لأتخذن من عبادك جزءاً معلوماً في إغوائهم قولاً وعملاً.

(١١٩) ولأصرفن من تبني منهم عن الحق، ولأعدنهم بالأمان الكاذبة، ولأدعوهم إلى تقطيع آذان الأنعام وتشقيقها لينا أزيته لهم من الباطل، ولأدعوهم إلى تغيير خلق الله في الفطرة، وهيئة ما عليه الخلق. ومن يستجيب للشيطان ويتخذ ناصراً له من دون الله القوي العزيز، فقد هلك هلاكاً بيناً.

(١٢٠) يعدد الشيطان أتباعه بالعود الكاذبة، ويغريهم بالأمان الباطلة الخادعة، وما يعددهم إلا خديعة لا صحة لها، ولا دليل عليها.

(١٢١) أولئك مآلهم جهنم، ولا يجدون عنها معدلاً ولا ملجأ.

(١٢٢) والذين صدّقوا في إيمانهم بالله تعالى، وأنتموا الإيمان بالأعمال الصالحة سيدخلهم الله -بفضله- جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، وغداً من الله تعالى الذي لا يخلف وعده. ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعد.

(١٢٣) لا يُنال هذا الفضل العظيم بالأمانى التي تمنونها أيها المسلمون، ولا بأمانى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنما يُنال بالإيمان الصادق بالله تعالى، وإحسان العمل الذي يرضيه. ومن يعمل عملاً سيئاً يُجزّ به، ولا يجد له سوى الله تعالى ولئلا يتولى أمره وشأنه، ولا نصيراً ينصره، ويدفع عنه سوء العذاب.

(١٢٤) ومن يعمل من الأعمال الصالحة من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن بالله تعالى وبما أنزل من الحق، فأولئك يدخلهم الله الجنة دار النعيم المقيم، ولا يُنقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولو كان مقدار النقرة في ظهر النواة.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا بِأَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرَةَ شَعْرَةٍ ۝ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ۝ وَاسْتَغْفِرُونَكَ فِي الْإِسَاءِ فَلَِلَّهِ يُغْفِرُكُمْ فِيهِمْ ۖ وَمَا يُغْنِي عَنْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَّبِعِ الْإِنْسَاءِ الَّتِي لَا تَنْفَعُهُنَّ مَا كَتَبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ۚ وَالْمُسْتَظْهَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ ۖ وَأَنْ تَقُولُوا لِلَّيْسَ بِمَا يَقْسُطُ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝

(١٢٥) لا أحد أحسن ديناً ممن انقاد بقلبه وسائر جوارحه لله تعالى وحده، وهو محسن في قوله وعمله مُتَّبِعٌ أمر ربّه، واتبع دين إبراهيم وشرعه، مانلاً عن العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة. وقد اصطفى الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- واتخذة صفيّاً من بين سائر خلقه. وفي هذه الآية، إثبات صفة الخلّة لله -تعالى- وهي أعلى مقامات المحبة، والاصطفاء. (١٢٦) والله جميع ما في هذا الكون من المخلوقات، فهي ملك له تعالى وحده. وكان الله تعالى بكل شيء محيطاً، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

(١٢٧) يطلب الناس منك -أيها النبي- أن تبين لهم ما أشكل عليهم فهمه من قضايا النساء وأحكامهن، قل الله تعالى يبيّن لكم أمورهن، وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تعطونهن ما فرض الله تعالى لهن من المهر والميراث، وغير ذلك من الحقوق، وتحبون نكاحهن، أو ترغبون عن نكاحهن، ويبيّن الله لكم أمر الضعفاء من الصغار، ووجوب القيام لليتامى -وهم الذين مات أبأؤهم وهم دون سن البلوغ- بالعدل وترك الجور عليهم في حقوقهم. وما تفعلوا من خير فإن الله تعالى كان به عليماً، لا يخفى عليه شيء منه ولا من غيره.

وَإِنْ أَمْرُهُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨ وَلَنْ تُشْطِقُوا أَنْ تَفْهَمُوا بَيْنَ الْمَنَاسِكَ وَتُحْرِصُوا عَلَى تَمِيْلٍ كُلِّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ١٢٩ وَإِنْ تَتَفَرَّقَا فُبَيْنَ اللَّهِ كَلِمَتَيْنِ سَعَتِيهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ١٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ١٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ١٣٣ مَنْ كَانَ يُرِيدِ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ١٣٤

(١٢٨) وإن علمت امرأة من زوجها ترفعاً عنها، وتعالياً عليها أو انصرافاً عنها فلا إثم عليها أن يتصالحا على ما تطيب به نفوسهما من القسمة أو النفقة، والصلح أولى وأفضل. وجلبت النفوس على الحرص والبخل، فكان البخل حاضراً لا ينفك عنها. وإن تحسنا معاملة زوجاتكم وتحافوا الله فيهن، فإن الله كان بما تعملون من ذلك وغيره عالماً لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم على ذلك.

(١٢٩) ولن تقدروا -أيها الرجال- على تحقيق العدل التام بين النساء في المحبة وميل القلب، مهما بذلتم في ذلك من الجهد، فلا تعرضوا عن المرغوب عنها كل الإعراض، فتتركوها كالمرأة التي ليست بذات زوج ولا هي مطلقة فتأثموا. وإن تصلحوا أفعالكم فتعدلوا في قسمكم بين زوجاتكم، وراقبوا الله تعالى وتحشوه فيهن، فإن الله تعالى كان غفوراً لعباده، رحيماً بهم.

(١٣٠) وإن وقعت الفرة بين الرجل وامرأته،

فإن الله تعالى يغني كلاً منهما من فضله وسعته؛ فإنه سبحانه وتعالى واسع الفضل والمنة، حكيم فيما يقضي به بين عباده. (١٣١) والله ملك ما في السموات وما في الأرض وما بينهما. ولقد عهدنا إلى الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى، وعهدنا إليكم كذلك -يا أمة محمد- بتقوى الله تعالى، والقيام بأمره واجتناب نبيه، وبشأن لكم أنكم إن تمجدوا وحدانية الله تعالى وشرعه فإنه سبحانه غني عنكم؛ لأن له جميع ما في السموات وما في الأرض. وكان الله غنياً عن خلقه، حميداً في صفاته وأفعاله.

(١٣٢) والله ملك ما في هذا الكون من الكائنات، وكفى به سبحانه قائماً بشؤون خلقه حافظاً لها.

(١٣٣) إن يشأ الله يهلككم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين غيركم. وكان الله على ذلك قديراً.

(١٣٤) من يرغب منكم -أيها الناس- في ثواب الدنيا ويعرض عن الآخرة، فعند الله وحده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلب من الله وحده خيري الدنيا والآخرة، فهو الذي يملكها. وكان الله سميعاً لأقوال عباده، بصيراً بنياتهم وأعمالهم، وسيجازيهم على ذلك.

(١٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا
بِشِرْعِهِ، كُونُوا قَائِمِينَ بِالْعَدْلِ، مُؤَيِّدِينَ لِلشَّهَادَةِ
لَوْجَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْ كَانَتْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، أَوْ عَلَى
آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، أَوْ عَلَى أَقَارِبِكُمْ، مِمَّا كَانَ
شَأْنُ الْمُشْهُودِ عَلَيْهِ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
أَوَّلَىٰ بِهِمَا مِنْكُمْ، وَأَعْلَمُ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمَا، فَلَا
يَحْمِلُكُمْ الْهَوَىٰ وَالتَّعَصُّبُ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَدْلِ،
وَإِنْ تَحَرَّفُوا الشَّهَادَةَ بِالسُّتُورِ فَتَأْتُوا بِهَا عَلَىٰ
غَيْرِ حَقِيقَتِهَا، أَوْ تَعْرِضُوا عَنْهَا بِتَرْكِ إِدَائِهَا
أَوْ بَكْتِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ كَانَ عَلِيمًا بِدَقَائِقِ
أَعْمَالِكُمْ، وَسَيَّجِازِكُمْ بِهَا.

(١٣٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ دَامُوا عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ
التَّصْدِيقِ الْجَازِمِ بِاللَّهِ تَعَالَىٰ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنِ اطَّاعْتَهَا، وَبِالْقُرْآنِ
الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَيْهِ، وَبِجَمِيعِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ
عَلَى الرَّسُولِ، وَمَنِ يَكْفُرُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَمَلَائِكَتِهِ
الْمَكْرُمِينَ، وَكِتَابِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا هُدَايَةً لِحَقِّهِ، وَرَسُولِهِ

الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته، واليوم الآخر الذي يقوم الناس فيه بعد موتهم للعرض والحساب، فقد خرج من الدين، ويَعُدُّ بعداً كبيراً عن طريق الحق.

(١٣٧) إن الذين دخلوا في الإيمان، ثم رجعوا عنه إلى الكفر، ثم عادوا إلى الإيمان، ثم رجعوا إلى الكفر مرة أخرى، ثم أصروا على كفرهم واستمروا عليه، لم يكن الله ليغفر لهم، ولا ليهدهم على طريق من طرق الهداية، التي ينجون بها من سوء العاقبة.

(١٣٨) بَشِّرْ-أيها الرسول- المنافقين -وهم الذين يظهرُونَ الإيمانَ ويُبطنُونَ الكُفْرَ- بأنْ لَهُمْ عَذَاباً مُوجِعاً.

(١٣٩) الذين يوالون الكافرين، ويتخذونهم أعواناً لهم، ويتركون ولاية المؤمنين، ولا يرغبون في مودتهم. أيتطلبون بذلك النصرة والمنعة عند الكافرين؟ إنهم لا يملكون ذلك، فالنصرة والعزة والقوة جميعها لله تعالى وحده.

(١٤٠) وقد نَزَلَ رَبُّكُمْ عليكم -أيها المؤمنون- في كتابه أنه إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها فلا تجلسوا مع الكافرين والمستهزئين. إلا إذا أخذوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بآيات الله. إنكم إذا جالستمهم، وهم على ما هم عليه، فأنتم مثلهم؛ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها. إن الله تعالى جامع المنافقين والكافرين في نار جهنم جميعاً، يَلْقَوْنَ فيها سوء العذاب.

*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اكُونُوا قَوْمِينَ بِالْأَلْفُسِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ
 عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوَالْوَلِيِّينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا
 فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَأُولَئِكَ تَلَوُا
 أَوَّلَكُمْ وَأَوَّلُكُمْ يَوْمَ الْبَاقِ وَالَّذِينَ نَزَّلَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا ؕ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ
 عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
 بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
 ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ
 كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لِقَاءُ اللَّهِ أَصَابًا وَلَا يُجِدُهُمْ
 سَبِيلًا ﴿١٠١﴾ يَتَّبِعُ الْمُتَّقِينَ يَأْتِيهِمْ عَذَابُ آيَاتِهِمُ الَّذِينَ
 يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيتَعُونَ
 عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٠٢﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي
 الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
 تَعْدُوا أَعْمَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْ حَدِيثِ عَذْرَاةٍ إِنَّكُمْ إِذَا أَنشَأْتُمْ
 إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾

الَّذِينَ يَرِثُصُوتَ يَكْفُرُونَ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْهِمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ يُخَذِّلُكُمْ اللَّهُ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ فِي الدِّينِ أَلَسْفَلُ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(١٤١) المنافقون هم الذين ينتظرون ما يحل بكم -أيها المؤمنون- من الفتنة والحرب، فإن من الله عليكم بفضل، ونصركم على عدوكم وغنمتم، قالوا لكم: ألم تكن معكم نوازيكم؟ وإن كان للجاحدين لهذا الدين قدر من النصر والغنيمة، قالوا لهم: ألم نساعدكم بما قدمناه لكم ونحججكم من المؤمنين؟ فالله تعالى يقضي بينكم وبينهم يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين طريقاً للغلبة على عباده الصالحين، فالعاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة.

(١٤٢) إن طريقة هؤلاء المنافقين مخادعة الله تعالى، بما يظهره من الإيمان وما يطنونه من الكفر، ظناً أنه يخفى على الله، والحال أن الله خادعهم ومجازيهم بمثل عملهم، وإذا قام هؤلاء المنافقون لأداء الصلاة، قاموا إليها في فتور، يقصدون بصلاتهم الرياء والسמعة، ولا يذكرون الله تعالى إلا ذكراً قليلاً.

(١٤٣) إن من شأن هؤلاء المنافقين التردد

والخيرة والاضطراب، لا يستقرون على حال، فلا هم مع المؤمنين ولا هم مع الكافرين. ومن يصرف الله قلبه عن الإيمان به والاستمسك بهديه، فلن تجد له طريقاً إلى الهداية واليقين.

(١٤٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشريعة، لا توالوا الجاحدين لدين الله، وتركوا موالاة المؤمنين ومودعتهم.

أتريدون بمودة أعدائكم أن يجعلوا الله تعالى عليكم حجة ظاهرة على عدم صدقكم في إيمانكم؟

(١٤٥) إن المنافقين في أسفل منازل النار يوم القيامة، ولن تجد لهم -أيها الرسول- ناصراً يدفع عنهم سوء هذا المصير.

(١٤٦) إلا الذين رجعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه، وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم باطناً وظاهراً، ووالوا عبادة المؤمنين، واستمسكوا بدين الله، وأخلصوا له سبحانه، فأولئك مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثواباً عظيماً.

(١٤٧) ما يفعل الله بعذابكم إن أصلحتم العمل وأمتنتم بالله ورسوله، فإن الله سبحانه غني عن سواه، وإنه يعذب العباد بذنوبهم. وكان الله شاكراً لعباده على طاعتهم له، علياً بكل شيء.

(١٤٨) لَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُجْهَرَ بِالسُّوءِ مَنْ أَلْفَوْا إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۖ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوا أَوْ تُعَفُّوا عَنْ سَوْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَأْتِيهِمْ رَسُولُهُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ بَسْمَلِكْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَوْتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

(١٤٨) لا يُحِبُّ الله أن يُجْهَرَ بالسُّوءِ مَنْ أَلْفَوْا إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا. وكان الله سميعاً لما تجهرون به، علياً بما تخفون من ذلك.

(١٤٩) نَدَبَ الله تعالى إلى العفو، ومَهَّدَ له بأنَّ المؤمن: إمَّا أن يُظهر الخير، وإمَّا أن يُخفيه، وكذلك مع الإساءة: إمَّا أن يظهرها في حال الانتصاف من السيء، وإمَّا أن يعفو ويصفح، والعفو أفضل؛ فإن من صفاته تعالى العفو عن عباده مع قدرته عليهم.

(١٥٠) إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ بآن يؤمنوا بالله ويكذبوا رسله الذين أرسلهم إلى خلقه، أو يعترفوا بصدق بعض الرسل دون بعض، ويزعموا أنَّ بعضهم افتروا على ربهم، ويريدون أن يتخذوا طريقاً إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها.

(١٥١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْمُحَقَّقُ الَّذِي لَا

شك فيه، وأعدنا للكافرين عذاباً يُخزيهم ويُهينهم.

(١٥٢) وَالَّذِينَ صَدَّقُوا بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَأَقْرَبُوا بِبَيِّنَاتٍ رُسُلَهُ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَعَمِلُوا بِشَرِيعَةِ اللَّهِ، أُولَئِكَ سَوْفَ يُعْطِيهِمْ جَزَاءَهُمْ وَثَوَابَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِهِ وَبِرُسُلِهِ. وكان الله غفوراً رَحِيمًا بهم.

(١٥٣) بِسَالِكِ الْيَهُودِ -أيها الرسول- معجزة مثل معجزة موسى تشهد لك بالصدق: بأن تنزل عليهم صُحُفًا من الله مكتوبة، مثل مجيء موسى بالألواح من عند الله، فلا تعجب -أيها الرسول- فقد سأل أسلافهم موسى -عليه السلام- ما هو أعظم: سألوه أن يريهم الله علانية، فَصَعِقُوا؛ بسبب ظلمهم أنفسهم حين سألوا أمرًا ليس من حَقِّهم. وبعد أن أحياهم الله بعد الصعق، وشاهدوا الآيات البينات على يد موسى القاطعة بنفي الشرك، عبدوا العجل من دون الله، فَعَفَوْنَا عَنْ عبادتهم العجل بسبب توبتهم، وآتينَا موسى حجة عظيمة تؤيِّد صدق بُرْهَانِهِ.

(١٥٤) وَرَفَعْنَا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ جَبَلَ الطُّورِ حِينَ امْتَنَعُوا عَنِ الْإِتِمَامِ بِالْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ الَّذِي أَعْطَاهُ بِالْعَمَلِ بِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ، وَأَمْرَانَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا أَبَابَ «بَيْتِ الْمَقْدِسِ» سُجَّدًا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ، وَأَمْرَانَهُمْ أَنْ لَا يَعْتَدُوا بِالصَّيْدِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، فَاعْتَدُوا وَصَادُوا، وَأَخَذْنَا عَلَيْهِمْ عَهْدًا مُؤَكَّدًا، فَتَقَضَّوهُ.

(١٥٥) فلعلناهم بسبب نقضهم للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلماً واعتداءً، وقومهم: قلوبنا عليها أغطية فلا نفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا ينفعهم.

(١٥٦) وكذلك لعناهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم بما نسبوه إليها من الزنى، وهي بريئة منه.

(١٥٧) وبسبب قولهم -على سبيل التهكم والاستهزاء-: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوا عيسى وما صلبوه، بل صلبوا رجلاً شبيهاً به ظناً منهم أنه عيسى. ومن ادعى قتله من اليهود، وكذلك من أسلمه إليهم من النصارى، كلهم واقعون في شك وخيرة، لا علم لديهم إلا اتباع الظن، وما قتلوه متيقنين بل شاكين متوهمين.

(١٥٨) بل رفع الله عيسى إليه ببدنه وروحه حياً، وخلّصه من الذين كفروا. وكان الله عزيزاً في ملكه، حكيماً في تدبيره وقضائه.

(١٥٩) وإنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى آخر الزمان إلا آمن به قبل موته عليه السلام، ويوم القيامة يكون عيسى -عليه السلام- شهيداً بتكذيب من كذبه، وتصدق من صدقه.

(١٦٠) فبسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة حرّم الله عليهم طبقات من المأكّل كانت حلالاً لهم، وبسبب صدّهم أنفسهم وغيرهم عن دين الله القويم.

(١٦١) وبسبب تناوهم الربا الذي نهوا عنه، واستحلالهم أموال الناس بغير استحقاق، وأعدنا للكافرين بالله ورسوله من هؤلاء اليهود عذاباً موجعاً في الآخرة.

(١٦٢) لكن المتمكنون في العلم بأحكام الله من اليهود، والمؤمنون بالله ورسوله، يؤمنون بالذي أنزل الله إليك -أيها الرسول- وهو القرآن، وبالذي أنزل إلى الرسل من قبلك كالنوراة والإنجيل، ويؤدّون الصلاة في أوقاتها، ويخرجون زكاة أموالهم، ويؤمنون بالله وبالبعث والجزاء، أولئك سيعطيهم الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة.

فَمَا نَقَضُوا عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلُوا الْأَنْبِيَاءَ
بَغْيًا حَقًّا وَقَتْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا يَكْفُرُ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَيَكْفُرُوا وَقَوْلُهُمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بَهْتَنًا
عَظِيمًا ۝ وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لِيَشْكُرَ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
۝ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَآيُؤْمِنُونَ بِهِ قَتْلَ مَوْلَاهُ وَنَوْمَ
الْقَيْمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ فَظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا
حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيعَتِ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كَبِيرًا ۝ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْبَهُمْ آمُومًا
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۝ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَكِنِ
الَّذِينَ اسْتَحْسَنُوا فِي الْأَعْيُنِ مِنْهُمْ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

* إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
 وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
 وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
 مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
 تَكْلِيمًا ۖ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
 لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
 ۖ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
 يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ
 طَرِيقًا ۖ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۖ تَأْتِيهِمُ الْمَوْتُ فَجَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ
 مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَلَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ

(١٦٣) إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ - أيها الرسول - بتبليغ
 الرسالة كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده،
 وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
 ويعقوب والأسباط - وهم الأنبياء الذين كانوا
 في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد
 يعقوب - وعيسى وأيوب ويونس وهارون
 وسليمان. وآتيناه داود زبوراً، وهو كتاب
 وصحف مكتوبة.

(١٦٤) وأرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك في
 القرآن من قبل هذه الآية، ورسلاً لم نقصصهم
 عليك لحكمة أردناها. وكلم الله موسى تكليماً؛
 تشريفاً له بهذه الصفة. وفي هذه الآية الكريمة،
 إثبات صفة الكلام لله - تعالى - كما يليق بجلاله،
 وأنه سبحانه كلم نبيه موسى - عليه السلام -
 حقيقة بلا واسطة.

(١٦٥) أَرْسَلْتُ رَسُولًا إِلَى خَلْقِي مُبَشِّرِينَ
 بُرْهَانًا، وَمُنذِرِينَ بِعِقَابِي؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ حُجَّةٌ
 يَتَعَدَّوْنَ بِهَا بَعْدَ إِسْرَارِ الرُّسُلِ. وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
 فِي مَلِكِهِ، حَكِيمًا فِي تَدْبِيرِهِ.

(١٦٦) إِنْ يَكْفُرْ بِكَ الْيَهُودُ وَغَيْرُهُمْ - أيها الرسول - فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، أَنْزَلَهُ
 بِعِلْمِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ بِصَدَقِ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ، وَشَهَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهَا كَافِيَةٌ.

(١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ جَعَلُوا بُرْهَانَكَ، وَصَدَّوْا النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، قَدْ بَعُدُوا عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ بَعْدًا شَدِيدًا.

(١٦٨) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَظَلَمُوا بِاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ ذُنُوبَهُمْ، وَلَا يَهْدِيَهُمْ عَلَى طَرِيقِ
 نَجَاتِهِمْ.

(١٦٩) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ مَكْتَبِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا، فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

(١٧٠) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِسْلَامِ دِينَ الْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَصَدِّقُوهُ وَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّ
 الْإِيمَانَ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَصُرُّوا عَلَى كُفْرِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَعَنِ إِيْمَانِكُمْ؛ لِأَنَّهُ مَالِكٌ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ. وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا بِأَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، حَكِيمًا فِي تَشْرِيعِهِ وَأَمْرِهِ. فَإِذَا كَانَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ قَدْ خَضَعَتَا لَتَعَالَى كَوْنًا وَقَدْرًا
 خُضُوعٌ سَائِرَ مُلْكِهِ، فَأُولَى بِكُمْ أَنْ تَوْتَمِنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَقْدُوا
 لِذَلِكَ شَرْعًا حَتَّى يَكُونَ الْكَوْنُ كُلُّهُ خَاضِعًا لِلَّهِ قَدْرًا وَشَرْعًا. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى عُمُومِ رِسَالَةِ نَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَيْنَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمُنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ ۚ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ لَن يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدُ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَكْفِرْ عَن عِبَادَتِهِ وَسَتَكِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا مُمِيتًا ﴿١٧٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٤﴾

(١٧١) يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبةً ولا ولداً. إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: «كن»، فكان، وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر ربه، فصَدَّقُوا بأن الله واحد وأسلموا له، وصدَّقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله واعملوا به، ولا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين. انتهوا عن هذه المقالة خيراً لكم مما أنتم عليه، إنما الله إله واحد سبحانه. ما في السموات والأرض مثله، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ وكفى بالله وكبلاً على تدبير خلقه وتصريف معاشهم، فتوكلوا عليه وحده فهو كافيكم.

(١٧٢) لن يأفف ولن يمتنع المسيح أن يكون عبداً لله، وكذلك لن يأفف الملائكة المقربون من الإقرار بالعبودية لله تعالى. ومن يأفف عن

الانقياد والخضوع ويستكبر فسيحشرهم كلهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العادل، ويجازي كلًّا بما يستحق. (١٧٣) فأما الذين صدَّقوا بالله اعتقاداً وقولاً وعملاً، واستقاموا على شريعته فيوفيههم ثواب أعمالهم، ويزيدهم من فضله، وأما الذين امتنعوا عن طاعة الله، واستكبروا عن التذلل له فيعذبهم عذاباً موجعاً، ولا يجدون لهم ولياً ينجيهم من عذابه، ولا ناصرأ ينصرهم من دُون الله.

(١٧٤) يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وهو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من البينات والحجج القاطعة، وأعظمها القرآن الكريم، مما يشهد بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، وأنزلنا إليكم القرآن هدىً ونوراً مبيناً.

(١٧٥) فأما الذين صدَّقوا بالله اعتقاداً وقولاً وعملاً، واستمسكوا بالنور الذي أنزل إليهم، فسيدخلهم الجنة رحمة منه وفضلاً، ويوفقههم إلى سلوك الطريق المستقيم المفضي إلى روضات الجنات.

(١٧٦) يسألونك - أيها النبي - عن حكم ميراث الكلالة، وهو من مات وليس له ولد ولا والد، قل: الله يبيِّن لكم الحكم فيها: إن مات امرؤ ليس له ولد ولا والد، وله أخت لأبيه وأمه، أو لأبيه فقط، فلها نصف تركته، ويرث أخوها شقيقاً كان أو لأب جميع ما لها إذا ماتت وليس لها ولد ولا والد. فإن كان لمن مات كلاله أختان فلها الثلثان مما ترك. وإذا اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث فللذكر مثل نصيب الأنثيين من أخواته. يبيِّن الله لكم قسمة الموارث وحكم الكلالة؛ لئلا تضلوا عن الحق في أمر الموارث. والله عالم بعواقب الأمور، وما فيها من الخير لعباده.

﴿سورة المائدة﴾

(١) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ائتموا عهد الله الموثقة، من الإيمان بشرائع الدين، والانقياد لها، وأدوا العهود

لبعضكم على بعض من الأمانات، والبيوع وغيرها، مما لم يخالف كتاب الله، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أحلَّ الله لكم البهيمة من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، إلا ما بيَّنه لكم من تحريم الميتة والدم وغير ذلك، ومن تحريم الصيد وأنتم محرمون. إن الله يحكم ما يشاء وفق حكمته وعدله.

(٢) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تتعدوا حدود الله ومعامله، ولا تستجلبوا القتال في الأشهر الحرم، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وكان ذلك في صدر الإسلام، ولا تستجلبوا حرمة الهدني، ولا ما قلَّد منه؛ إذ كانوا يضعون القلائد، وهي صفائر من صوف أو وبر في الرقاب علامة على أن البهيمة هدني وأن الرجل يريد الحج، ولا تستجلبوا قتال قاصدي البيست الحرام الذين يتبعون من فضل الله ما يصلح معاشيهم ويرضي ربهم. وإذا حللتم من إحرامكم حلَّ لكم الصيد، ولا يحملنكم بغض قوم من أجل أن منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام - كما حدث عام «الحديبية» - على ترك العدل فيهم. وتعاونوا - أيها المؤمنون فيما بينكم - على فعل الخير، وتقوى الله، ولا تعاونوا على ما فيه إثم ومعصية وتجاوروا حدود الله، واحذروا مخالفة أمر الله فإنه شديد العقاب.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُوهُ أَهْلَكَ
لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ رِثْهَا إِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ
وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِنْهُمْ حَقُّ الْأُنثِيَيْنِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ
إِلَّا مَا بَلَغَ عَلَيْكُمْ غَيْرُ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ أَلَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعِيرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آيَاتِ اللَّهِ
الْحَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نِ قَوْمٍ أَنْ صَدَّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ
تَعْتَدُوا وَتَعَاوُؤُكُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوُؤُكُمْ عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدُوِّ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتَةُ وَالَّذِي وَلَعَهُ الْخَيْزُ وَمَا أَهْلَ لَعْنَةِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُرْدِيَّةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّيْعُ إِلَّا مَا ذَكَبْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقِيمُوا
بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسَمِعْتُ الْيَوْمَ يَسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِيْنِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
يَعْنِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيْنًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ
غَيْرِ مَتَجَانِبٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَسْتَلُونَكَ مَاذَا
أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

(٣) حَرَّمَ الله عليكم الميتة، وهي الحيوان الذي
تفارق الحياة بدون ذكاة، وحَرَّمَ عليكم الدم
السائل السَّراق، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عليه
غير اسم الله عند الذبح، والمنخقة التي خُيس
نَفْسُها حتى ماتت، والموقودة وهي التي ضُربت
بعضاً أو حجر حتى ماتت، والمُردِيَّة وهي التي
سقطت من مكان عال أو هَوَتْ في بئر فماتت،
والطيحة وهي التي ضُربتْها أخرى بقرنها
فماتت، وحَرَّمَ الله عليكم البهيمة التي أكلها
السَّيْع، كالأسد والنمر والذئب، ونحو ذلك.
واسْتَنَى - سبَّحانه - مما حَرَّمه من المنخقة وما
بعدها ما أدرَكنتم ذكاته قبل أن يموت فهو حلال
لكم، وحَرَّمَ الله عليكم ما ذُبِحَ لغير الله على ما
يُنصب للعبادة من حجر أو غيره، وحَرَّمَ الله
عليكم أن تطلبوا عِلْمَ ما قَسَمَ لكم أو لم يقسم
بالأزلام، وهي القِداح التي كانوا يستقسمون
بها إذا أرادوا أمراً قبل أن يقدموا عليه. ذلكم
المذكور في الآية من المحرمات - إذا ارتُكبت -
خروج عن أمر الله وطاعته إلى معصيته. الآن

انقطع طمع الكفار من دينكم أن تردوا عنه إلى الشرك بعد أن نصرَّ لكم عليهم، فلا تخافوهم وخافوني. اليوم أكملت
لكم دينكم دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور
الإيمان، ورضيت لكم الإسلام دِينًا فالزموه، ولا تفارقوه. فمن اضطرَّ في مجاعة إلى أكل الميتة، وكان غير ماثل عمداً لإثم،
فله تناوله، فإن الله غفور له، رحيم به.

(٤) يسألك أصحابك - أي النبي -: ماذا أُحِلَّ لهم أكله؟ قل لهم: أُحِلَّ لكم الطيبات وصيداً ما ذُربتموه من ذوات المخالب
والأنياب من الكلاب والبهود والصقور ونحوها مما يَعْلَم، تعلمونهن طلب الصيد لكم، مما عَلَّمَكُم الله، فكلوا مما أَمْسَك
لكم، واذكروا اسم الله عند إرسائها للصيد، وخافوا الله فيها أمركم به، وفيها نهاكم عنه. إن الله سريع الحساب.

(٥) ومن تمام نعمة الله عليكم اليوم - أي المؤمنون - أن أُحِلَّ لكم الحلال الطيب. وذبائح اليهود والنصارى - إن ذكَّوها
حَسَبَ شرعهم - حلال لكم وذبائحكم حلال لهم. وأُحِلَّ لكم - أي المؤمنون - نكاح المحصنات، وهُنَّ الحرائر من النساء
المؤمنات، العفيفات عن الزنى، وكذلك نكاح الحرائر العفيفات من اليهود والنصارى إذا أعطيتهم هُنَّ مهورهن، وكنتم
أَعْشَاء غير مرتكبين للزنى، ولا متخذي عشيقات، وأتممت من التأثر بدنيهن. ومن يجحد شرائع الإيمان فقد بطل عمله،
وهو يوم القيامة من الخاسرين.

(٦) يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وأنتم على غير طهارة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم مع المرافق (والزفقى: المفصل الذي بين الذراع والعصء) وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم مع الكعبين (وهما العظان البارزان عند ملتقى الساق بالقدم). وإن أصابكم الحدث الأكبر فطهروا بالاغتسال منه قبل الصلاة. وإن كنتم مرضى، أو على سفر في حال الصحة، أو قضى أحدكم حاجته، أو جامع زوجته فلم تجدوا ماء فاضربوا بأيديكم وجه الأرض، وامسحوا وجوهكم وأيديكم منه. ما يريد الله في أمر الطهارة أن يضيّق عليكم، بل أباح التيمم توسعة عليكم، ورحمة بكم، إذ جعله بديلاً للماء في الطهارة، فكانت رخصة التيمم من تمام النعم التي تقتضي شكر المنعم؛ بطاعته فيما أمر وفيما نهى.

(٧) واذكروا نعمة الله عليكم فيما شرعه لكم، واذكروا عهده الذي أخذه تعالى عليكم من الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم،

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْمَآئِطِ أَوْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَمِمْوْا صُغُوبًا ۚ فَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ مَاءً يَبَسَ لَئِذَا جَعَلْتُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ۚ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝
وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعِدُّوا لَهُمْ أَقْرَبَ لِلشَّقَوٰى ۚ وَأَتَقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝

والسمع والطاعة لها، واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله عليمٌ بما تُسرُّونه في نفوسكم.

(٨) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كونوا قوامين بالحق؛ ابتغاء وجه الله، شهداء بالعدل، ولا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا، اعدوا لواين الأعداء والأحباب على درجة سواء، فذلك العدل أقرب لخشية الله، واحذروا أن تحجروا. إن الله خبير بما تعملون، وسيجازيكم به.

(٩) وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات أن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يثيبهم على ذلك الجنة، والله لا يخلف وعده.

(١٠) والذين جحدوا وحدانية الله الدالة على الحق المبين، وكذبوا بأدلته التي جاءت بها الرسل، هم أهل النار المলামون لها.

(١١) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره اذكروا ما أنعم الله به عليكم من نعمة الأمن، واللقاء الرعب في قلوب أعدائكم الذين أرادوا أن ييطشوا بكم، فصر فهم الله عنكم، وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم، واتقوا الله واحذروه، وتولكوا على الله وحده في أموركم الدينية والدنيوية، وثقوا بعونه ونصره.

(١٢) ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل أن يخلصوا له العبادة وحده، وأمر الله موسى أن يجعل عليهم اثني عشر عريفاً بعدد فروعهم، يأخذون عليهم العهد بالسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بحفظي ونصري، لن أقمت الصلاة، وأعطيتم الزكاة المفروضة مستحقها، وصدقتم برسلي فيها أخبروكم به ونصرتهم،

وانفقتم في سبيلي، لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم، ولأدخلنَّكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، فمن جحد هذا الميثاق منكم فقد عدل عن طريق الحق إلى طريق الضلال.

(١٣) فبسبب نقض هؤلاء اليهود لعهدهم المؤكدة طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظة لا تلين للإيمان، يدلون كلام الله الذي أنزله على موسى، وهو التوراة، وتركوا نصيباً مما دُكرُوا به، فلم يعملوا به. ولا تزال -أيها الرسول- تجد من اليهود خيائنةً وغدرًا، فهم على مناج أسلافهم إلا قليلاً منهم، فاعف عن سوء معاملتهم لك، واصفح عنهم، فإن الله يحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه. (وهكذا يجد أهل الزيف سبيلاً إلى مقاصدهم السيئة بتحريف كلام الله وتأويله على غير وجهه، فإن عجزوا عن التحريف والتأويل تركوا ما لا يتفق مع أهوائهم من شرع الله الذي لا يثبت عليه إلا القليل ممن عصمه الله منهم).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ۖ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ أَكْفُرُوا بِآيَاتِنَا
أَلَمْ نَكْفِ يَدِيَهُمْ ۖ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْئُلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَاسْتَوَكِلِ
الْمُؤْمِنُونَ ۖ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَعَثَمَ لَهُمْ ثَمَنًا ۚ قَالُوا بَشِّرْنَا فِي مَا نَحْبُو
مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَوَدَّعْتُمْ رُسُلَنَا وَتَرَائِيهِمْ وَأَفْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرَضًا
حَسَنًا لَّا أَكْفُرْنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دَخَلْنَاكُمْ
جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۖ ۞ فِيمَا نَقُضُهُمْ
فِيهِمْ لَعْنَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا
بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۖ ۞

(١٤) وأخذنا على الذين ادَّعوا أنهم أتباع المسيح عيسى عليه السلام - وليسوا كذلك - العهد المؤكد الذي أخذناه على بني إسرائيل: بأن يتابعوا رسوهم وينصروه ويؤازروه، فبدلوا دينهم، وتركوا نصيباً عما ذكروا به، فلم يعملوا به، كما صنع اليهود، فآلقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وسوف ينثمهم الله بما كانوا يصنعون يوم الحساب، وسيعاقبهم على صنيعهم.

(١٥) يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبئ لكم كثيراً مما كنتم تُخفونه عن الناس مما في التوراة والإنجيل، ويترك بيان ما لا تقتضيه الحكمة. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين: وهو القرآن الكريم.

(١٦) يهدي الله بهذا الكتاب المبين من اتبع رضا الله تعالى، طرق الأمن والسلامة، ويخرجهم بإذنه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ويوفقهم

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ مَن مَّلِكٌ مِّنْ آلِهَةٍ شَرًّا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾

إلى دينه القويم.

(١٧) لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح بن مريم، قل - أيها الرسول - هؤلاء الجُهلة من النصارى: لو كان المسيح إلهاً كما يدَّعون لَقَدَرُ أن يدفع قضاء الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه ومَن في الأرض جميعاً، وقد ماتت أم عيسى فلم يدفع عنها الموت، كذلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، لأنها عبادان من عباد الله لا يقدران على دفع الهلاك عنهما، فهذا دليل على أنه بشر كسائر بني آدم. وجميع الموجودات في السموات والأرض ملك لله، يخلق ما يشاء ويوجده، وهو على كل شيء قدير. فحقيقة التوحيد توجب نفرد الله تعالى بصفات الربوبية والألوهية، فلا يشاركه أحد من خلقه في ذلك، وكثيراً ما يقع الناس في الشرك والضلال بغلوهم في الأنبياء والصالحين، كما غلا النصارى في المسيح، فالكون كله لله، والخلق بيده وحده، وما يظهر من خوارق وآيات مرَّده إلى الله. يخلق سبحانه ما يشاء، ويفعل ما يريد.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ فَلَمَّ يَعْزِذْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا رَزَقْتُمْ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقُولُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّمَا سَوَّاهُ لَنَا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَقَالَ لَنُذْخِلَنَّهَا فِي بُحْرٍ حَوْصًا إِنَّمَا أَنَا بَشِيرٌ وَلَا نَذِيرٌ فَلَا عُذْرَ لَكُمْ بَعْدَ إِسْرَالِهِ إِلَيْكُمْ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ رَسُولٌ يُبَيِّنُ مَن آمَنَ بِهِ، وَيُنْذِرُ مَن عَصَاهُ. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِّنْ عِقَابِ الْعَاصِي وَثَوَابِ الْمُطِيعِ.

(١٨) وزعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، قل لهم -أيها الرسول-: فلا شيء يعذبكم بذنوبكم؟ فلو كنتم أحبابه ما عذبكم، فالله لا يجب إلا من أطاعه، وقل لهم: بل أنتم خلقتم مثل سائر بني آدم، إن أحسنتم جوزيتهم بإحسانكم خيراً، وإن أسأتم جوزيتهم بإساءة تكم شراً، فالله يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وهو مالك الملك، يُصَرِّفُه كما يشاء، وإليه المرجع، فيحكم بين عباده، ويجازي كلَّ بما يستحق.

(١٩) يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، يُبَيِّنُ لَكُمْ الحق والهدى بعد مُدة من الزمن بين إرساله وإرسال عيسى بن مريم؛ لثلاثا تقولوا: ما جاءنا من بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، فلا عُذْرَ لَكُمْ بَعْدَ إِسْرَالِهِ إِلَيْكُمْ، فقد جاءكم من الله رسولٌ يُبَيِّنُ مَن آمَنَ بِهِ، وَيُنْذِرُ مَن عَصَاهُ. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِّنْ عِقَابِ الْعَاصِي وَثَوَابِ الْمُطِيعِ.

(٢٠) واذكر -أيها الرسول- إذ قال موسى عليه

السلام لقومه: يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكاً تملكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، وقد منحكم من نعمه صنوفاً لم يمنحها أحداً من عالمي زمانكم.

(٢١) يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة -أي المطهرة، وهي «بيت المقدس» وما حوّلها- التي وعد الله أن تدخلوها وتقاتلوا مَن فيها من الكفار، ولا ترجعوا عن قتال الجبارين، فتخسروا خير الدنيا وخير الآخرة.

(٢٢) قالوا: يا موسى، إن فيها قوماً أشداء أقوىاء، لا طاقة لنا بجرهم، وإنَّا لن نستطيع دخولها وهم فيها، فإن يخرجوا منها فإنَّا داخلون.

(٢٣) قال رجلان من الذين يخشون الله تعالى، أنعم الله عليهما بطاعته وطاعة نبيّه، لبني إسرائيل: ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب مدينتهم، أخذاً بالأسباب، فإذا دخلتم الباب غلبتموهم، وعلى الله وحده فتوكلوا، إن كنتم مُصْدِّقِينَ رَسُولَهُ فيها جاءكم به، عاملين بشره.

(٢٤) قال قوم موسى له: إنا لن ندخل المدينة أبداً ما دام الجبارون فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلناهم، أما نحن فقاعدون هاهنا ولن نقاتلهم. وهذا إصرارٌ منهم على مخالفة موسى عليه السلام.

(٢٥) توجه موسى إلى ربه داعياً: إني لا أقدر إلا على نفسي وأخي، فاحكم بيننا وبين القوم الفاسقين.

(٢٦) قال الله لنبيه موسى عليه السلام: إن الأرض المقدسة محرّم على هؤلاء اليهود دخولها أربعين سنة، يتيهون في الأرض حاثرين، فلا تأسف - يا موسى - على القوم الخارجين عن طاعتي.

(٢٧) واقصص - أيها الرسول - على بني إسرائيل خبرَ ابني آدم قابيل وهابيل، وهو خبرٌ حقٌّ: حين قدّم كلُّ منهما قرباناً - وهو ما يُقَرَّب به إلى الله تعالى - فتقبّل الله قربان هابيل؛ لأنه كان تقيّاً، ولم يتقبّل قربان قابيل؛ لأنه لم يكن

قَالُوا يَسْمُو سَيِّئًا لَّنْ تَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ
مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ سَطَّتْ إِلَى يَدِكَ
لَيَتَّقُنِي مَا أَنَا بِأَسِطَ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِأَنْفِي وَاتِّمَّكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ وَغَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ وَكَيْفَ يُورِي
سُوءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِي لِي أَنْ أَعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُورِي سُوءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

تقيّاً، فحسد قابيل أخاه، وقال: لأقتلنك، فردّ هابيل قائلاً: إنا يتقبّل الله ممن يخشونه.

(٢٨) وقال هابيل واعظاً أخاه: لئن مددت إليّ يدك لتقتلني لا أجد مني مثل فعلك، إني أخشى الله ربّ الخلائق أجمعين.

(٢٩) إني أريد أن ترجع حاملاً إثم قتلي، وإثمك الذي عليك قبل ذلك، فتكون من أهل النار وملازميها، وذلك جزاء المعتدين.

(٣٠) فرزيت لقابيل نفسه أن يقتل أخاه، فقتله، فأصبح من الخاسرين الذين باعوا آخرتهم بدينهاهم.

(٣١) لما قتل قابيل أخاه لم يعرف ما يصنع بجسده، فأرسل الله غراباً يحفر حفرةً في الأرض ليدفن فيها غراباً ميتاً؛ ليدل قابيل كيف يدفن جثثان أخيه؟ فتعجّب قابيل، وقال: أعجزت أن أصنع مثل صنيع هذا الغراب فأسرّ عورة أخيه؟ فدقّن قابيل أخاه، فعاقبه الله بالندامة بعد أن رجع بالخسران.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا يَغْتَرِ بِنَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا
مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنََّّمَا
حَزَنَّا لَ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَكَتَبْنَا فِي
الْأَرْضِ مُسَآدًا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلِّبُوا أَوْ نَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ
وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنْ لَهُمْ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

(٣٢) بسبب جناية القتل هذه شَرَعْنَا لبني إسرائيل أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نفساً بغتر نفساً بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد الموجب للقتل كالشرك والمحاربة، فكانها قتل الناس جميعاً فيها استوجب من عظيم العقوبة من الله، وأنه من امتنع عن قتل نفس حَرَّمَهَا الله فكانها أحياء الناس جميعاً؛ فالحفاظ على حرمة إنسان واحد حفاظ على حرمة الناس كلهم. ولقد أتت بني إسرائيل رسلنا بالحجج والدلائل على صحة ما دَعَوْهم إليه من الإيمان بربهم، وأداء ما فَرَضَ عليهم، ثم إن كثيراً منهم بعد مجيء الرسل إليهم كمتجاوزون حدود الله بارتكاب محارم الله وترك أوامره.

(٣٣) إنسا جزاء الذين يحاربون الله، وبيارزونه بالعداوة، ويعتدون على أحكامه، وعلى أحكام رسوله، ويفسدون في الأرض بقتل الأنفس، وسلب الأموال، أَنْ يُقْتَلُوا، أَوْ يُصَلَّبُوا مع القتل (والصلب: أَنْ يُسَدَّ الجاني على خشبة) أَوْ تُقَطَّعْ

يَدُ المحارب اليمنى ورجله اليسرى، فإن لم يُسَبَّ تُقَطَّعْ يَدُ اليسرى ورجله اليمنى، أَوْ يُنْفَوْا إلى بليد غير بلدهم، ويُحْبَسُوا في سجن ذلك البلد حتى تظهر توبتهم. وهذا الجزاء الذي أعده الله للمحاربين هو ذلٌّ في الدنيا، وهم في الآخرة عذاب شديد إن لم يتوبوا.

(٣٤) لكن مَنْ أتى من المحاربين من قبل أَنْ تقدروا عليهم وجاء طائعا نادماً فإنه يسقط عنه ما كان لله، فاعلموا -أيها المؤمنون- أَنَّ الله غفور رحيم بهم.

(٣٥) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله، وَتَقَرَّبُوا إليه بطاعته والعمل بها يرضيه، وجاهدوا في سبيله؛ كي تفوزوا بجناته.

(٣٦) إن الذين جحدوا وحدانية الله، وشريعته، لو أنهم ملكوا جميع ما في الأرض، وملكوا مثله معه، وأرادوا أَنْ يفتدوا أنفسهم يوم القيامة من عذاب الله بها ملكوا، مَا تُقْبَلُ الله ذلك منهم، وهم عذاب مُوجِع.

(٣٧) يريد هؤلاء الكافرون الخروج من النار لما يلاقونه من أهوالها، ولا سبيل لهم إلى ذلك، ولهم عذاب دائم.

(٣٨) والسارق والسارقة فاقطعوا - يا ولادة الأمر - أيديهما بمقتضى الشرع، مجازاة لها على أخذها أموال الناس بغير حق، وعقوبة يمنع الله بها غيرهما أن يصنع مثل صنيعها. والله عزيز في ملكه، حكيم في أمره ونهيه.

(٣٩) فمن تاب من بعد سرقته، وأصلح في كل أعماله، فإن الله يقبل توبته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(٤٠) ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله خالق الكون ومُدبِّره ومالكه، وأنه تعالى الفعَّال لما يريد، يعذب من يشاء، ويغفر لمن يشاء، وهو على كل شيء قدير.

(٤١) يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في جحود نبوتك من المنافقين الذين أظهروا الإسلام وقلوبهم خالية منه، فإني ناصرك

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا لَهُمْ بِخُرُوجِهَا مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٧ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ٣٨ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ
يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣٩ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ
لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٠ يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ
الَّذِينَ هَادُوا أَسْمَعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعًا وَلَقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُحْزُونٍ الْكَافِرِينَ مِنْ بَعْدِ مَا وُضِعَ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ
فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١

عليهم. ولا يحزنك تسرع اليهود إلى إنكار نبوتك، فإنهم قوم يستمعون للكذب، ويقبلون ما يفتريه أحيائهم، ويستجيبون لقوم آخرين لا يحضرون مجلسك، وهؤلاء الآخرون يُبدلون كلام الله من بعد ما عَقَلُوهُ، ويقولون: إن جاءكم من محمد ما يوافق الذي بدلناه وحرّفناه من أحكام التوراة فاعملوا به، وإن جاءكم منه ما يخالفه فاحذروا قبوله، والعمل به. ومن يشاء الله ضلّالته فلن تستطيع - أيها الرسول - دفع ذلك عنه، ولا تقدر على هدايته. وإن هؤلاء المنافقين واليهود لم يُرد الله أن يظهر قلوبهم من دنس الكفر، لهم الذلُّ والفضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

سَمِعُونَ لَكُذِبَ أَكَلُونَ لِلشَّحِّ فَإِنْ جَاءَكَ
فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيفَ يَحْكُمُونَكَ
وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَأَكْرَبُوا وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ
وَإِخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ وَمَنْ يَتَّبِعْهُمْ
يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللسنَ بِاللسنِ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

(٤٢) هؤلاء اليهود يجمعون بين استماع الكذب
وأكل الحرام، فإن جاؤوك يتحاكمون إليك
فاقض بينهم، أو اتركهم، وإن لم تحكم بينهم
فلن يقدرُوا على أن يضرُوك بشيء، وإن حكمت
فاعلم بينهم بالعدل. إن الله يحب العادلين.

(٤٣) إن صنع هؤلاء اليهود عجب، فهم
يحتكمون إليك -أيها الرسول- وهم لا يؤمنون
بك، ولا بكتابتك، مع أن التوراة التي يؤمنون
بها عندهم، فيها حكم الله، ثم يتولَّون من بعد
حكمك إذا لم يرضهم، فجمعوا بين الكفر
بشرعهم، والإعراض عن حكمك، وليس
أولئك المتصفون بتلك الصفات، بالمؤمنين بالله
وبك وبما تحكم به.

(٤٤) إنا أنزلنا التوراة فيها إرشاد من الضلالة،
وبيان للأحكام، وقد حكم بها النبيون -الذين
انقادوا لحكم الله، وأقروا به- بين اليهود، ولم
يخرجوا عن حكمها ولم يخرُفوها، وحكم بها
عُباد اليهود وفقهاؤهم الذين يريون الناس

بشرع الله؛ ذلك أن أنبياءهم قد استأمنوهم على تبليغ التوراة، وفقه كتاب الله والعمل به، وكان الرابانيون والأخبار
شهداء على أن أنبياءهم قد قضوا في اليهود بكتاب الله. ويقول تعالى لعلماء اليهود وأخبارهم: فلا تحشوا الناس في تنفيذ
حكمي؛ فإنهم لا يقدرُونَ على نفعكم ولا ضرركم، ولكن اخشوني فإنني أنا النافع الضار، ولا تأخذوا بترك الحكم بما أنزلتُ
عوضاً حقيراً، فالحكم بغير ما أنزل الله من أفعال أهل الكفر، فالذين يبدلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكتمونه،
ويجحدونه، ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه، فأولئك هم الكافرون.

(٤٥) وقرضنا عليهم في التوراة أن النفس تُقتل بالنفس، والعين تُقتل بالعَيْن، والأنف يُجذع بالأنف، والأذن تُقطع بالأذن،
واللسنُ يُقْلَعُ باللسن، وأنه يُقتَصُّ في الجروح، فمن تجاوز عن حقه في الاقتصاص من المعتدي فذلك تكفير لبعض ذنوب
المُعْتَدِي عليه وإزالة لها. ومن لم يحكم بما أنزل الله في القصاص وغيره، فأولئك هم المتجاوزون حدود الله.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا
 لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
 وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ
 بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
 وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ فَاحِشَ مَتْنِهِم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
 عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَنكُم شُرْعَةً وَمَنَاجِيًا ۚ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ
 فِي مَآءِ التَّكْوِينِ ۚ فَاسْتَقِيمُوا الصِّرَاطَ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن أَحْكَمَتْ بَيْنَهُمُ
 بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحِدٌ رَّهْمٌ ۚ إِنَّ يَفْقَهُوكَ عَنْ
 بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
 بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۚ وَإِن كُنتُمْ مِنَ الْتَائِبِينَ لَفَقِيسُونَ ﴿٤٩﴾ أَلَمْ تَحْكَمْ
 الْجَاهِلِيَّةَ يَوْمَئِذٍ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُولُونَ ﴿٥٠﴾

(٤٦) واتبعنا أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم مؤمناً بها في التوراة، عاملاً بها فيها مما لم ينسخه كتابه، وأنزلنا إليه الإنجيل هادياً إلى الحق، ومبيناً لما جهله الناس من حكم الله، وشاهداً على صدق التوراة بما اشتمل عليه من أحكامها، وقد جعلناه بياناً للذين يخافون الله وزاجراً لهم عن ارتكاب المحرمات.

(٤٧) وليحكم أهل الإنجيل الذين أرسل إليهم عيسى بها أنزل الله فيه. ومن لم يحكم بها أنزل الله فأولئك هم الخارجون عن أمره، العاصون له.

(٤٨) وأنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن، وكل ما فيه حق يشهد على صدق الكتب قبله، وأنها من عند الله، مصدقاً لما فيها من صحة، ومبيناً لما فيها من تحريف، ناسخاً لبعض شرائعها، فاحكم بين المحتكمين إليك من اليهود بما أنزل الله إليك في هذا القرآن، ولا تصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهوائهم وما اعتادوه، فقد جعلنا لكل أمة شريعة، وطريقة واضحة يعملون

بها. ولو شاء الله لجعل شرائعكم واحدة، ولكنه تعالى خالف بينها ليختبركم، فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين بالعمل بها في القرآن، فإن مصيركم إلى الله، فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون، ويجزي كلاً بعمله.

(٤٩) واحكم -أيها الرسول- بين اليهود بما أنزل الله إليك في القرآن، ولا تتبع أهواء الذين يحتكمون إليك، واحذرهم أن يصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك فتترك العمل به، فإن أعرض هؤلاء عما تحكم به فاعلم أن الله يريد أن يصرفهم عن الهدى؛ بسبب ذنوب اكتسبوها من قبل. وإن كثيراً من الناس لخارجون عن طاعة ربهم.

(٥٠) أريد هؤلاء اليهود أن تحكم بينهم بما تعارف عليه المشركون عبدة الأوثان من الضلالات والجهالات! لا يكون ذلك ولا يليق أبداً. ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقن أن حكم الله هو الحق؟

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ قِبَلَهُ، مِنْهُمْ إِنْ لَا يَهْدَى اللَّهُ فَمَنْ أَهْدَى الْقَالِيلِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشِي أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ وَأَمْرٍ عَنِ عَدُوِّهِمْ فَيُصِيبَهُمْ أَمْرٌ مَا أُسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَطَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَمْ يَجِدُوا ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يَوتِيهِ مِنْ نِسَاءٍ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذُرِّيَّةٌ مِمَّنْ تَوَلَّى اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمْ وَالْقَالِيلِينَ ﴿٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعَابًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾

(٥١) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى حلفاء وأنصاراً على أهل الإيمان؛ ذلك أنهم لا يؤثرون المؤمنين، فاليهود يوالي بعضهم بعضاً، وكذلك النصارى، وكلا الفريقين يجتمع على عداوتكم. وأنتم -أيها المؤمنون- أجدر بأن ينصر بعضكم بعضاً. ومن يتولهم منكم فإنه يصير من جملتهم، وحكمه حكمهم. إن الله لا يوفق الظالمين الذين يتولون الكافرين.

(٥٢) يخبر الله تعالى عن جماعة من المنافقين أنهم كانوا يبادرون في موادة اليهود؛ لما في قلوبهم من الشك والنفاق، ويقولون: إنما نؤاذهم خشية أن يظفروا بالمسلمين فيصيبونا معهم، قال الله تعالى ذكره: فعسى الله أن يأتي بالفتح -أي فتح مكة- وينصر نبيه، ويظهر الإسلام والمسلمين على الكفار، أو يهيج من الأمور ما تذهب به قوة اليهود والنصارى، فيخضعوا للمسلمين، فحينئذ يندم المنافقون على ما أضمرُوا في أنفسهم من موالاتهم.

(٥٣) وحينئذ يقول بعض المؤمنين لبعض متعجبين من حال المنافقين -إذا كشف أمرهم-:

أهؤلاء الذين أقسموا بأغلظ الأيمان إنهم لمنا؟ بطلت أعمال المنافقين التي عملوها في الدنيا، فلا ثواب لهم عليها؛ لأنهم عملوها على غير إيمان، فخسروا الدنيا والآخرة.

(٥٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضروا الله شيئاً، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُحِبُّهم ويحبونه، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون أعداء الله، ولا يخافون في ذات الله أحداً. ذلك الإنعام من فضل الله يوتيهِ من أراد، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه من عباده.

(٥٥) إنما ناصركم -أيها المؤمنون- الله ورسوله، والمؤمنون الذين يحافظون على الصلاة المفروضة، ويؤدون الزكاة عن رضا نفس، وهم خاضعون لله.

(٥٦) ومن وثق بالله وتولَّى الله ورسوله والمؤمنين، فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون المنتصرون.

(٥٧) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره لا تتخذوا الذين يستهزئون ويتلاعبون بدينكم من أهل الكتاب والكفار أولياء، وخافوا الله إن كنتم مؤمنين به وبشره.

(٥٨) وإذا أذن مؤذنكم - أيها المؤمنون - بالصلاة
سخر اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا
من دعوتكم إليها؛ وذلك بسبب جهلهم بربهم،
وانهم لا يعقلون حقيقة العبادة.

(٥٩) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستهزئين من
أهل الكتاب: ما تجدونه مطعناً أو عيباً هو محمداً
لنا: من إيماننا بالله وكتبه المنزل علينا، وعلى من
كان قبلنا، وإيماننا بأن أكثركم خارجون عن
الطريق المستقيم!

(٦٠) قل - أيها النبي - للمؤمنين: هل أخبركم
بمن يجازى يوم القيامة جزاء أشد من جزاء
هؤلاء الفاسقين؟

إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته
وغضب عليهم، ومسح خلقهم، فجعل
منهم القردة والخنازير؛ بعضناهم وافترائهم
وتكبرهم، كما كان منهم عبداً الطاغوت (وهو
كل ما عُد من دون الله وهو راض)، لقد ساء
مكانهم في الآخرة، وضلّ سعيهم في الدنيا عن
الطريق الصحيح.

(٦١) وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - منافقوا اليهود،
قالوا: آمناً، وهم مقيمون على كفرهم، قد دخلوا

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَلَعِبَاءَ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ قَوْلُ
لَا يَعْقِلُونَ ۖ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ هَلْ يَتَّقُونَ ۖ آمَنَّا
بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَن كُنتُمْ فَاسِقُونَ ۝
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثْوًى عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝ وَإِذَا جَاءَهُمْ كُفْرًا أَوْ لَوَاءً آمَنَّا وَقَدْ
دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۖ وَاللَّهُ أَغْوًى مَّا كَانُوا يَكْمُونَ
۝ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الَّذِينَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الْوَيْلِيُّونَ
وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْبَهُمُ السَّخَتْ لَيْسَ مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِن يَدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْغَدَاةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ كَمَا أَوقَدْنَا نَارَ الْحَرْبِ أَطْفَافَهَا
وَاللَّهُ يَتَسَوَّى فِي الْأَرْضِ فِسَادًا ۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝

عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا وهم مصرّون عليه، والله أعلم بسرّاتهم، وإن أظهرها خلاف ذلك.
(٦٢) وترى - أيها الرسول - كثيراً من اليهود يبادرون إلى المعاصي من قول الكذب والزور، والاعتداء على أحكام الله،
وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء عملهم واعتداؤهم.

(٦٣) هلاً ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان أثمتهم وعلماؤهم، عن قول الكذب والزور، وأكل أموال
الناس بالباطل، لقد ساء صنيعهم حين تركوا النهي عن المنكر.

(٦٤) يُطْلِعُ اللهُ نَبِيَّهَ عَلَى شَيْءٍ مِّن مَّائِمِ الْيَهُودِ - وكان مما يُسرُّونه فيها بينهم - أنهم قالوا: يد الله محبوسة عن فعل الخيرات،
بِخُلِّ علينا بالرزق والتوسعة، وذلك حين لحقهم جذب وقحط. غُلَّتْ أيديهم، أي: حبست أيديهم هم عن فعل الخيرات،
وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم. وليس الأمر كما يفترون على ربهم، بل يدها مبسوطتان لا حَجَرٌ عليه، ولا مانع يمنعه
من الإنفاق، فإنه الجواد الكريم، ينفق على مقتضى الحكمة وما فيه مصلحة العباد. وفي الآية إثبات لصفة اليبدين لله سبحانه
وتعالى كما يليق به من غير تشبيه ولا تكليف. لكنهم سوف يزدادون طغياناً وكُفْراً بسبب حقدهم وحسدهم؛ لأن الله قد
اصطفاك بالرسالة. ويخبر تعالى أن طوائف اليهود سيطلون إلى يوم القيامة يعادي بعضهم بعضاً، ويفتر بعضهم من بعض،
كلنا تامروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب ردّ الله كيدهم، وفرّق شملهم، ولا يزال اليهود يعملون
بمعاصيها مما ينشأ عنها الفساد والاضطراب في الأرض. والله تعالى لا يحب المفسدين.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا الْكَفَرَتَابَ عَنْهُمْ
 سَيَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَانُوا
 التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا
 مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ فَمَنْهُمْ أُمَةٌ مُقْتَصِدَةٌ
 وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ
 بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
 رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْكَافِرِينَ ۝ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى
 تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
 وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
 فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
 هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ لَقَدْ أَخَذْنَا
 مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِ ارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولُ
 يَمَّا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝

(٦٥) ولو أن اليهود والنصارى صدقوا الله ورسوله، وامتلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، لكفّرنا عنهم ذنوبهم، ولأدخلناهم جنات النعيم في الدار الآخرة.

(٦٦) ولو أنهم عملوا بها في التوراة والإنجيل، وبما أنزل عليك أيها الرسول - وهو القرآن الكريم - لرزقوا من كل سبيل، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر، وهذا جزاء الدنيا. وإن من أهل الكتاب فريقاً معتدلاً ثابتاً على الحق، وكثيرٌ منهم ساء عمله، وضل عن سواء السبيل.

(٦٧) يا أيها الرسول بلغ وحي الله الذي أنزل إليك من ربك، وإن قصرت في البلاغ فكفمت منه شيئاً، فإنك لم تبلغ رسالة ربك، وقد بلغ صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة، فمن زعم أنه كتم شيئاً مما أنزل عليه، فقد أعظم على الله ورسوله الفرية. والله تعالى حافظك وناصرك على أعدائك، فليس عليك إلا البلاغ. إن الله لا

يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق، وجحد ما جئت به من عند الله.

(٦٨) قل - أيها الرسول - لليهود والنصارى: إنكم لستم على حط من الدين ما دمتم لم تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وإن كثيراً من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزال القرآن إليك إلا تحجراً وجحوداً، فهم يحسدونك؛ لأن الله بعثك بهذه الرسالة الخاتمة، التي بين فيها معاييرهم، فلا تحزن - أيها الرسول - على تكذيبهم لك.

(٦٩) إن الذين آمنوا (وهم المسلمون) واليهود - والصابئون كذلك (وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه) - والنصارى (وهم أتباع المسيح) من آمن منهم بالله الإيسان الكامل، وهو توحيد الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وآمن باليوم الآخر، وعمل العمل الصالح، فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا.

(٧٠) لقد أخذنا العهد المؤكد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم بذلك رسلنا، فنقضوا ما أخذ عليهم من العهد، واتبعوا أهواءهم، وكانوا كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تستهيه أنفسهم عاذوه: فكذبوا فريقاً من الرسل، وقتلوا فريقاً آخر.

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ
 عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ٧١
 لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ
 يَبْنِي لِي بَيْتًا أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ
 بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَنَهُ النَّارُ وَمَا
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٢ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
 ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَحْدٌ وَلَنْ يَنْتَهُوا
 عَنَّا يَقُولُوا لِيَمْسَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابَ الْآلِيمِ ٧٣
 أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوا وَهُوَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٤
 مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُتُوهُ
 صِدْقُهُ كَأَنَّا بُكَّاءٌ لَا نَسْمَعُ لَكَ الْطَعَامُ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ
 ثُمَّ أَنْظِرْ إِنَّهُمُ كَوُفُونَ ٧٥ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
 يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٧٦ قُلْ
 يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ
 قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُو كَثِيرٌ مِمَّا يَضَعُونَ سِوَةَ السَّبِيلِ ٧٧

(٧١) وظنَّ هؤلاء العصاة أن الله لن يأخذهم
 بالعذاب جزاء عصيانهم وعُوثهم، فمضوا
 في شهواتهم، وعموا عن الهدى فلم يبصروه،
 وصموا عن سماع الحق فلم ينتفعوا به، فأنزل الله
 بهم بأسه، فتابوا فتاب الله عليهم، ثم عمي كثيرٌ
 منهم، وصموا، بعدما تبين لهم الحق، والله بصير
 بأعمالهم خيرا وشرها وسيجازيهم عليها.

(٧٢) يقسم الله تعالى بأن الذين قالوا: إن الله
 هو المسيح بن مريم، قد كفروا بمقالتهم هذه،
 وأخبر تعالى أن المسيح قال لبني إسرائيل:
 اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأنا أنتم في
 العبودية سواء. إنه من يعبد مع الله غيره فقد
 حرم الله عليه الجنة، وجعل النار مُستقرَّه،
 وليس له ناصر يُقَدِّه منها.

(٧٣) لقد كفر من النصارى من قال: إنَّ الله
 مجموع ثلاثة أشياء: هي الأب، والابن، وروح
 القدس. أما علِمَ هؤلاء النصارى أنه ليس
 للناس سوى معبود واحد، لم يلد ولم يولد، وإن

لم ينته أصحاب هذه المقالة عن افترائهم وكذبهم ليُصَيِّبَهُمْ عَذَابُ مَوْجٍ بسبب كفرهم بالله.

(٧٤) أفلا يرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، ويتوبون عمَّا قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة؟ والله تعالى متجاوز عن
 ذنوب التائبين، رحيم بهم.

(٧٥) ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ كمن تقدَّمه من الرسل، وأتته قد صدَّقت تصديقاَ جازماً علماً وعملاً،
 وهما كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون لهما من يحتاج إلى الطعام ليعيش. فتأمل - أيها الرسول - حال هؤلاء
 الكفار. لقد وضعنا العلامات الدالة على وحدانيتنا، وبُطلان ما يدَّعونه في أنبياء الله. ثم هم مع ذلك يَصِلُّون عن الحق
 الذي يهديهم إليه، ثم انظر كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟

(٧٦) قل - أيها الرسول - هؤلاء الكفرة: كيف تشركون مع الله من لا يقدِّر على ضرركم، ولا على جلبِ نفع لكم؟ والله هو
 السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم.

(٧٧) قل - أيها الرسول - للنصارى: لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبَعَ اليهود
 أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيراً من الناس على الكفر بالله، وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق
 الغواية والضلال.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ
 دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ
 لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
 يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ
 أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
 خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ مَا اخْتَدَوْهُمَا أُخِيصُوا وَلَئِنْ كُنَّا نَعْلَمُ
 مِنْهُمْ فَاسِيفُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً
 لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
 أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي
 ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ قِيَسِيرٌ وَرَهْبَانًا وَلَئِنْ هُمْ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَسْمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَهُ
 الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا
 مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

(٧٨) يغير تعالى أنه طرد من رحمة الكافرين من بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله على داود - عليه السلام - وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل؛ بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمان الله.

(٧٩) كان هؤلاء اليهود يهاجرون بالمعاصي ويرضونها، ولا ينهي بعضهم بعضاً عن أي منكر فعلوه، وهذا من أفعالهم السيئة، وبه استحقوا أن يطردوا من رحمة الله تعالى.

(٨٠) تَرَى - أيها الرسول - كثيراً من هؤلاء اليهود يتخذون المشركين أولياء لهم، ساء ما عملوه من الموالاة التي كانت سبباً في غضب الله عليهم، وخلودهم في عذاب الله يوم القيامة.

(٨١) ولو أن هؤلاء اليهود الذين يناصرون المشركين كانوا قد آمنوا بالله تعالى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأقروا بما أنزل إليه - وهو القرآن الكريم - ما اتخذوا الكفار أصحاباً وأنصاراً، ولكن كثيراً منهم خارجون عن طاعة الله ورسوله.

(٨٢) لتجدن - أيها الرسول - أشد الناس عداوة

للذين صدقوك وآمنوا بك وتبعوك، اليهود؛ لعنادهم، وجحودهم، وغمطهم الحق، والذين أشركوا مع الله غيره، كعبدة الأوثان وغيرهم، ولتجدن أقربهم مودة للمسلمين الذين قالوا: إنا نصاري؛ ذلك بأن منهم علماء بدينهم متزهدين وعباداً في الصوامع متسكين، وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها.

(٨٣) وما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقاً منهم (وهم وفد الحشية لما سمعوا القرآن) فاضت أعينهم من الدمع فأيقنوا أنه حق منزل من عند الله تعالى، وصدقوا بالله واتبعوا رسوله، وتضرعوا إلى الله أن يكرمهم بشرف الشهادة مع أمته محمد عليه السلام على الأمم يوم القيامة.

(٨٤) وقالوا: وأي لوم علينا في إيماننا بالله، وتصديقنا بالحق الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، واتباعنا له، ونرجو أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته في جنته يوم القيامة؟

(٨٥) فجازاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يحولون عنها، وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل.

(٨٦) والذين جحدوا وحدانية الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذبوا بآياته المنزلة على رسله، أولئك هم أصحاب النار الملامون لها.

(٨٧) يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبقات أحلها الله لكم من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فضيضوا ما وسع الله عليكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله. إن الله لا يحب المعتدين.

(٨٨) وتمتعوا - أيها المؤمنون - بالحلل الطيب

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَقَطَعُوا أَرْحَامَنَا
رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۖ فَاتَّخَذَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا حَسَنَاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۖ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْهَارًا تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا مَا أَهْلُ اللَّهِ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ۖ وَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ۚ وَلَكُمْ فِيهَا لَحْلٌ طَيِّبٌ
وَأَنْتُمْ فِي اللَّهِ أَلَدَىٰ أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۖ لَا يُؤْخَذُ كُمْ اللَّهُ
بِالْفُتُورِ ۖ أَيْمَنُكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ
فَكَفَرْتُمْ ۖ وَإِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَبَّةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَرَةُ الْإِيمَانِ ۚ إِذَا حَلَفْتُمْ ۖ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ
يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْهَارًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۖ

ما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بماثل أوامره، واجتنبوا نواهيه؛ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته. (٨٩) لا يعاقبكم الله - أيها المسلمون - فيما لا تقصدون عقده من الأيمان، مثل قول بعضهم: لا والله، وبلى والله، ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم، فإذا لم تقوا باليمين فإثم ذلك يمحوه الله بما تقدمونه مما شرعه الله لكم كفارة من إطعام عشرة محتاجين لا يملكون ما يفهمهم ويسد حاجتهم، لكل مسكين نصف صاع من أوسط طعام أهل البلد، أو كسوتهم، لكل مسكين ما يكفي في الكسوة عرفاً، أو إعناق مملوك من الرق، فالخالف الذي لم يَفِّ بيمينه خيّر بين هذه الأمور الثلاثة، فمن لم يجد شيئاً من ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام. تلك مكفرات عدم الوفاء بأيمانكم، واحفظوا - أيها المسلمون - أيمانكم: باجتناب الحلف، أو الوفاء إن حلفتم، أو الكفارة إذا لم تقوا بها. كما بيّن الله لكم حكم الأيمان والتحلل منها يبيّن لكم أحكام دينه؛ لتشكروا له على هدايته إياكم إلى الطريق المستقيم.

(٩٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره إننا الخمر: وهي كل مسكر يغطي العقل، والميسر: وهو القمار، وذلك يشمل المراهنات ونحوها، مما فيه عوض من الجانبين، وصدّ عن ذكر الله، والأنصاب: وهي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيماً لها، وما ينصب للعبادة تقرباً إليه، والأزلام: وهي القِداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الأمر، أو الإحجام عنه، إن ذلك كله إثم من تزين الشيطان، فابتعدوا عن هذه الآثام، لعلمكم تفوزون بالجنة.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
الصَّلَاةِ قَهْلَ أَنْتُمْ مُتَعَاهِدُونَ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
كُنْتُمْ أَتَقْوَاءَ ءَامَنُوا تَقَوًّا وَحَسَنُوا وَاللَّهُ يَجِبُ
الْحُسَيْنِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغَكُمْ اللَّهُ بُشًى
مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ ءَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ
يَا لَغَيْبٍ فَمَن أَتَعَذَّى بَعْدَ ذَلِكَ قَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُّوهُ وَمَنْ قَتَلَهُ
مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا
عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَرَةً طَعَامًا مُّسَكِّنًا
أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَابُ مَا لَيْدَوْقٍ وَبَالَ أَمْرٍ ۖ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا
سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝

(٩١) إنما يريد الشيطان بتزيين الآثام لكم أن يلقي بينكم ما يوجد العداوة والبغضاء؛ بسبب شرب الخمر ولعب الميسر، ويصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة بغيب العقل في شرب الخمر، والاشتغال باللهو في لعب الميسر، فانتهوا عن ذلك.

(٩٢) وامتثلوا -أيها المسلمون- طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما تفعلون وتتركون، واتقوا الله وراقبوه في ذلك، فإن أعرضتم عن الامتثال فعملتم ما نهيتهم عنه، فاعلموا أنما على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين.

(٩٣) ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحریمها إثم في ذلك، إذا تركوها واتقوا سخط الله وآمنوا به، وقدموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم، ثم ازدادوا بذلك مراقبة لله عز وجل وإيماناً به، حتى أصبحوا من يقينهم بعدونه، وكانهم يرونه. وإن الله تعالى يحب الذين بلغوا درجة الإحسان حتى أصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهدة.

(٩٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ليبليوكم الله بشيء من صيد البر يقترب منكم على غير المعتاد حيث تستطيعون أخذ

صغاره بغير سلاح وأخذ كباره بالسلاح؛ ليعلم الله علماً ظاهراً للخلق الذين يخافون ربهم بالغيب، ليقينهم بكمال علمه بهم، وذلك بإمساحهم عن الصيد، وهم محرمون. فمن تجاوز حده بعد هذا البيان فأقدم على الصيد -وهو محرم- فإنه يستحق العذاب الشديد.

(٩٥) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تقتلوا صيد البر، وأنتم محرمون بحج أو عمره، أو كنتم داخل الحرم، ومن قتل أي نوع من صيد البر متعمداً فجزاء ذلك أن يذبح مثل ذلك الصيد من بهيمة الأنعام: الإبل أو البقر أو الغنم، بعد أن يُقَسَّرَهُ اثنان عدلان، وأن يهديه لفقراء الحرم، أو أن يشتري بقيمة مثله طعاماً يهديه لفقراء الحرم، لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم بدلاً من ذلك يوماً عن كل نصف صاع من ذلك الطعام، فَرَضَ الله عليه هذا الجزاء؛ ليلقى بإيجاب الجزاء المذكور عاقبة فعله. والذين وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم فإن الله تعالى قد عفا عنهم، ومن عاد إلى المخالفة متعمداً بعد التحريم، فإنه مَعْرُضٌ لانتقام الله منه. والله تعالى عزيز قوي منيع في سلطانه، ومن عزته أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع.

(٩٦) أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ -أيها المسلمون- في حال إحراركم صيد البحر، وهو ما يصاد منه حيًا، وطعامه: وهو الميت منه؛ من أجل انتفاعكم به مقيمين أو مسافرين، وحرّم عليكم صيد البَرِّ مادّتهم محرّمين بحجّ أو عمرة. واخشوا الله ونفذوا جميع أوامره، واحتشوا جميع نواهيهِ؛ حتى تظفروا بعظيم ثوابه، وتسلموا من اليم عقابه عندما تحشرون للحساب والجزاء.

(٩٧) اٰمَنَ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِأَن جَعَلَ الْكُفَّةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ صَاحِلًا لَدَيْهِمْ، وَأَمَّا حَيَاتِهِمْ؛ وذلك حيث آمنوا بالله ورسوله وأقاموا فرائضه، وحرّم العدوان والقتال في الأشهر الحرم (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) فلا يعتدي فيها أحد على أحد، وحرّم تعالى الاعتداء على ما يُهدى إلى الحرم من بهيمة الأنعام، وحرّم كذلك الاعتداء على القلائد، وهي ما قُلِّدَ إشعاراً بأنه يقصد به النسك؛ ذلك لتعلموا أن الله يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض، ومن ذلك ما شرعه لحماية خلقه بعضهم من بعض، وأن الله بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية.

(٩٨) اعْلَمُوا -أيها الناس- أن الله جل وعلا شديد العقاب لمن عصاه، وأن الله غفور رحيم لمن تاب وأتاب.

أَحِلَّ لَكُم صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلنَّاسِ ۚ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۚ وَأَنفُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ وَالتَّشْهِيرَ لِحُرُمَاتِهِ ۚ وَتَلَقَّيْدَ ذَلِكَ لِنَعَامٍ ۚ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن بُدِّلَ لَكُمْ سَعَادٌ وَإِن نَسَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلَ لَكُمْ عَنَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ تَحِيْرَةٍ وَلَا سَاسَةٍ وَلَا وَصِيْلَةٍ وَلَا حَاسِرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْتَرُ هُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

(٩٩) يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَهْمَةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِدَايَةُ الدَّلَالَةِ وَالتَّبْلِيغُ، وَبَيْدَ اللَّهِ -وحده- هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ، وَأَنَّ مَا تَطْوِي عَلَيْهِ نَفُوسُ النَّاسِ مِمَّا يُسْرُونَ أَوْ يعلَنُونَ مِنَ الْهَدَايَةِ أَوْ الضَّلَالِ يَعْلَمُهُ اللَّهُ.

(١٠٠) قُلْ -أيها الرسول-: لا يستوي الخبيث والطيب من كل شيء، فالكافر لا يساوي المؤمن، والعاصي لا يساوي المطيع، والجاهل لا يساوي العالم، والمتباعد لا يساوي المتبع، والمال الحرام لا يساوي الحلال، ولو أعجبك -أيها الإنسان- كثرة الخبيث وعدد أهله. فاتقوا الله يا أصحاب العقول الراجعة باجتناب الخبائث، وفعل الطيبات؛ لتفلحوا بنيل المقصود الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة.

(١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ لَمْ تُمْرُوا بِهَا بِشَيْءٍ، كَالسَّوَالِ عَنْ الْأُمُورِ غَيْرِ الْوَاقِعَةِ، أَوْ الَّتِي يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا تَشْدِيدَاتٌ فِي الشَّرْعِ، وَلَوْ كَلَّمْتُمُوهَا لَشَقَّتْ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِينَ نَزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ تُبَيِّنْ لَكُمْ، وَقَدْ تَكَلَّفْنَا فَنَعْتَزُّ بِهَا عَنْهَا، تَرَكَهَا اللَّهُ مُعَافَاً لِعِبَادِهِ مِنْهَا. وَاللَّهُ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ إِذَا تَابُوا، حَلِيمٌ عَلَيْهِمْ فَلَا يَعَاقِبُهُمْ وَقَدْ أَنَابُوا إِلَيْهِ.

(١٠٢) إِنْ مِنْ تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ رَسَلَهُمْ، فَلَمَّا أَمُرُوا بِهَا جَعَلُوهَا، وَلَمْ يَنْفَذُوهَا، فَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ.

(١٠٣) مَا شَرَعَ اللَّهُ لِلْمُشْرِكِينَ مَا ابْتَدَعُوهُ فِي بَهْمَةِ الْأَنْعَامِ مِنْ تَرْكِ الْإِنْتِفَاعِ بِبَعْضِهَا وَجَعَلَهَا لِلْأَصْنَامِ، وَهِيَ: الْبَحِيرَةُ الَّتِي تُقَطَّعُ أَذْنُهَا إِذَا وَلَدَتْ عِدَدًا مِنَ الْبُطُونِ، وَالسَّابِئَةُ وَهِيَ الَّتِي تُتْرَكُ لِلْأَصْنَامِ، وَالْوَصِيلَةُ وَهِيَ الَّتِي تُتَصَلُّ وَلادتها بَأَنَّى بَعْدَ أَنْشَى، وَالْحَاسِي وَهُوَ الذِّكْرُ مِنَ الْإِبِلِ إِذَا وَلَدَ مِنْ صِلْبِهِ عِدَّةٌ مِنَ الْإِبِلِ، وَلَكِنَّ الْكَافِرَ نَسَبُوا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى افْتِرَاءً عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُ الْكَافِرِينَ لَا يُمِيزُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَآلَؤُوكَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
 شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۖ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ
 لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ ضَلٍّ إِذَا هُمُ مُتَّبَعُونَ إِلَى اللَّهِ مُرْجِعُهُمْ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۖ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِشَهَادَةِ
 بَنِيكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَفَنُفُوتُ دَوَا
 عِدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ أَخْرَانٍ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
 فَأَصَبْتُمْ مُمْصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الضَّلَاطَةِ
 فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ لَا نُشِيرُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَلَوْ كُنَّا ذَا
 قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ۖ فَإِنْ عَثَرَ
 عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
 اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَوْ تَمْنُنَ
 شَهِدْتَهُمَا وَمَا تَعْدِيَانِ إِنَّهُمَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۖ ذَلِكَ أَذَىٰ
 أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يُخْفَوْنَ أَنْ تُرَدَّ أَيْمُنٌ بَعْدَ
 ائْتِمَارِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمِعُوا اللَّهَ لِيَهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝

(١٠٤) وإذا قيل هؤلاء الكفار المحرمين ما أحل الله: تعالوا إلى تنزيل الله وإلى رسوله ليتبين لكم الحلال والحرام، قالوا: فكيفنا ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل، أيقولون ذلك ولو كان آبائهم لا يعلمون شيئاً أي: لا يفهمون حقاً ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه؟ فكيف يتبعونهم، والحالة هذه؟ فإنه لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً.

(١٠٥) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه أئرموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وادوموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم، فإذا فعلتم ذلك فلا يضركم ضلال من ضل إذا لزمتم طريق الاستقامة، وأمرتم بالمعروف ونهيت عن المنكر، إلى الله مرجعكم جميعاً في الآخرة، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها.

(١٠٦) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا قرب الموت من أحدكم، فليشهد على

وصيته اثنين أميين من المسلمين، أو آخرين من غير المسلمين عند الحاجة وعدم وجود غيرهما من المسلمين، تشهدونهما إن أنتم سافرتهم في الأرض فحل بكم الموت، وإن ارتبتم في شهادتهما فقفوهما من بعد الصلاة - أي صلاة المسلمين، وبخاصة صلاة العصر -، فيقسمان بالله قسماً خالصاً لا يأخذان به عوضاً من الدنيا، ولا يجابيان به ذا قرابة منها، ولا يكتبان به شهادة الله عندهما، وأنها إن فعلاً ذلك فهما من المذنبين.

(١٠٧) فإن أطلع أولياء الميت على أن الشاهدين المذكورين قد أتيا بالخيانة في الشهادة أو الوصية، فليقم مقامهما في الشهادة اثنان من أولياء الميت فيقسمان بالله: لشهادتنا الصادقة أولى بالقبول من شهادتهما الكاذبة، وما تجاوزنا الحق في شهادتنا، إن اعتدنا وشهدنا بغير الحق لمن الظالمين المتجاوزين حدود الله.

(١٠٨) ذلك الحكم عند الارتباب في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما، أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها خوفاً من عذاب الآخرة، أو خشية من أن تُردَّ الأيمان الكاذبة من قِبَل أصحاب الحق بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الذي رُدَّت يمينه في الدنيا وقت ظهور خيائته. وخافوا الله - أيها الناس - وراقبوه أن تحلفوا كذباً، وأن تقتطعوا بأيائكم ما لا حراماً، واسمعوا ما توعدون به. والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته.

(١٠٩) واذكروا - أيها الناس - يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام، فيسألهم عن جواب أمهم لهم حينما يدعوهم إلى التوحيد فيجيئون: لا علم لنا، فنحن لا نعلم ما في صدور الناس، ولا ما أحدثوا بعدنا. إنك أنت عليم بكل شيء مما خفي أو ظهر.

(١١٠) إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى والدتك حيث اصطفتها على نساء العالمين، وبرأتها عما تُنِيب إليها، ومن هذه النعم على عيسى أنه قواه وأعانه بجبريل عليه السلام، يكلم الناس وهو رضيع قبل أوان الكلام، ويدعوهم إلى الله وهو كبير قد اجتمعت قوته وكمل شبابه بآ أوحاه الله إليه من التوحيد، ومنها أن الله تعالى علّمه الكتابة والخط بدون معلم، ووهبه قوة الفهم والإدراك، وعلّمه التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل عليه هداية للناس، ومن

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ (١٠٩) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَبْدَنَّاكَ يُرُوحَ الْأَقْدَاسِ ثُكُلًا لِلنَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَآذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَآذْ أَخْلَقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِآذِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِآذِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِآذِي وَآذْ تُخْرِجُ الْقُرُوفَ بِآذِي وَآذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ جَعَلْتَهُم بِاللَّيْلِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِنْ قَوْلِهِ وَآذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنْتَ مُسْلِمُونَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَقَطِّعَ مِنْ قُلُوبِنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَكَونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاكِّينَ ﴿١١٢﴾

هذه النعم أنه يصوّر من الطين كهية الطير فينفخ في تلك الهيئة، فتكون طيراً بإذن الله، ومنها أنه يشفي الذي وُلِدَ أعمى فيبصر، ويشفي الأبرص فيعود جلده سليماً بإذن الله، ومنها أنه يدعو الله أن يحيي الموتى فيقومون من قبورهم أحياء، وذلك كله بإرادة الله تعالى وإذنه، وهي معجزات باهرة تؤيد نبوة عيسى عليه السلام، ثم يذكره الله جل وعلا بنعمته عليه إذ منع بني إسرائيل حين هُمّوا بقتله، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحة الدالة على نبوته، فقال الذين كفروا منهم: إنَّ ما جاء به عيسى من البينات سحر ظاهر.

(١١١) واذكر - يا عيسى - نعمتي عليك، إذ ألهمت، وألقيت في قلوب جماعة من خلصائك أن يصدقوا بوحدانية الله تعالى ونبوتك، فقالوا: صدّقنا يا ربنا، واشهد بأننا خاضعون لك متقادون لأمرك.

(١١٢) واذكر إذ قال الخواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء؟ فكان جوابه أن أمرهم بأن يتقوا عذاب الله تعالى، إن كانوا مؤمنين حقّ الإيمان.

(١١٣) قال الخواريون: نريد أن نأكل من المائدة وتسكن قلوبنا لرؤيتها، ونعلم يقيناً صدقك في نبوتك، وأن نكون من الشاهدين على هذه الآية أن الله أنزلها حجة له علينا في توحيدهِ وقدرته على ما يشاء، وحجة لك على صدقك في نبوتك.

(١١٤) أجاب عيسى بن مريم طلب الحوارين فدعاه به جل وعلا قائلاً: ربنا أنزل علينا مائدة طعام من السماء، نتخذ يوم نزولها عيداً لنا، نعظمه نحن ومن بعدنا، وتكون المائدة علامة وحجة منك -يا الله- على وحدانيتك وعلى صدق نبوتي، وامنحنا من عطائك الجزيل، وأنت خير الرازقين.

(١١٥) قال الله تعالى: إني منزل مائدة الطعام عليكم، فمن يمجّد منكم وحدانيتي ونبوة عيسى عليه السلام بعد نزول المائدة فإني أعذبه عذاباً شديداً، لا أعذبه أحدٌ من العالمين. وقد نزلت المائدة كما وعد الله.

(١١٦) واذكر إذ قال الله تعالى يوم القيامة: يا عيسى بن مريم -أأنت قلت للناس اجعلوني وأمّي معبودين من دون الله؟ فأجاب عيسى -منزهاً الله تعالى-: ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق. إن كنتُ قلتُ هذا فقد علمته؛ لأنه لا يخفى عليك شيء، تعلم ما تضمّره نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسك. إنك أنت عالمٌ بكل شيء مما خفي أو ظهر.

(١١٧) قال عيسى عليه السلام: يارب ما قلت لهم إلا ما أوحيت إليّ، وأمرني بتبليغه من إفراذك بالتوحيد والعبادة، وكنتُ على ما يفعلونه -وأنا بين أظهرهم- شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم، فلما وفيتني أجلي على الأرض، ورفعتني إلى السماء حياً، كنتُ أنت المطلع على سرائرهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

(١١٨) إنك يا الله إن تعذبهم فإنهم عبادك -وأنت أعلم بأحوالهم-، تفعل بهم ما تشاء بعدلك، وإن تغفر برحمتك لمن أتى منهم بأسباب المغفرة، فإنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وأمره. وهذه الآية ثناء على الله -تعالى- بحكمته وعذله، وكمال علمه.

(١١٩) قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة: هذا يومُ الجزاء الذي ينفع الموحدين توحيدهم ربهم، وانقيادهم لشرعه، وصِدْقُهُمْ في نيابته وأقوالهم وأفعالهم، هم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكين فيها أبداً، رضي الله عنهم فقبل حسناتهم، ورضوانه بها أعطاهم من جزيل ثوابه، ذلك الجزاء والرضا منه عليهم هو الفوز العظيم.

(١٢٠) لله وحده لا شريك له ملك السموات والأرض وما فيهن، وهو -سبحانه- على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكَ كَهَيِّئِهِمْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِ أَغَذِيَتْهُ عَذَاباً لَّا أَعْدِيَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي وَآمِنِي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ بِي حَقٌّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ وَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ۝ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْتَازٌ أَمْ آيَةٌ يَسْتَهْزِئُونَ ۝
أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ
مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كَبٍِّ مِنْ قَوْمِ آلِ فِرْعَوْنَ لَا يُؤْمِنُ بِهِمْ
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِسْحَرٌ مُؤْتَمِرِينَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ فَكُلُّ نَفْسٍ لَافْتِرَةٌ ۝

(١) الثناء على الله بصفاته التي كلَّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي أنشأ السموات والأرض وما فيهن، وخلق الظلمات والنور، وذلك بتعاقب الليل والنهار. وفي هذا دلالة على عظمة الله تعالى، واستحقاقه وحده العبادة، فلا يجوز لأحد أن يشرك به غيره. ومع هذا الوضوح فإن الكافرين يسوون بالله غيره، ويشركون به.

(٢) هو الذي خلق أبائكم آدم من طين وأنتم سلالة منه، ثم كتب مدة بقائكم في هذه الحياة الدنيا، وكتب أجلاً آخر محدداً لا يعلمه إلا هو جل وعلا، وهو يوم القيامة، ثم أنتم بعد هذا تشككون في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت.

(٣) والله سبحانه هو الإله المعبود بحق في السموات والأرض. ومن دلائل ألوهيته أنه يعلم جميع ما تخفونه -أيها الناس- وما تعلنونه، ويعلم جميع أعمالكم من خير أو شر؛ ولهذا فإنه -جلّ وعلا- وحده هو الإله المستحق للعبادة.

(٤) هؤلاء الكفار الذين يشركون مع الله تعالى غيره قد جاءتهم الحجج الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله -جل وعلا-، وصديق محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته وما جاء به، ولكن ما إن جاءتهم حتى أعرضوا عن قبولها، ولم يؤمنوا بها.

(٥) لقد جحد هؤلاء الكفار الحق الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم وسخروا من دعائه؛ جهلاً منهم بالله واغتراراً بإمهاله إياهم، فسوف يرون ما استهزؤوا به أنه الحق والصدق، وبين الله للمكذبين كذبهم وافتراءهم، وسيجازيهم عليه. (٦) ألم يعلم هؤلاء الذين يجحدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده العبادة، ويكذبون رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ما حلّ بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكَّنَّاهم في الأرض ما لم نمكِّنْ لكم أيها الكافرون، وأنعمنا عليهم بإنزال الأمطار وجريان الأنهار من تحت مسانكتهم؛ استدراجاً وإملاء لهم، وكفروا بنعم الله وكذبوا الرسل، فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وأنشأنا من بعدهم أمماً أخرى خلفهم في عمارة الأرض؟

(٧) ولو نزلنا عليك -أيها الرسول- كتاباً من السماء في أوراق فلمسه هؤلاء المشركون بأيديهم لقالوا: إنَّ ما جئت به -أيها الرسول- سحر واضح بئس.

(٨) وقال هؤلاء المشركون: هَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ لِيُصَدِّقَهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَكَ مِنَ السَّمَاءِ إِبْرَاجَةً لَطَلِبُهم لَقُضِيَ الْأَمْرُ بِإِهْلَاكِهِمْ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُونَ لَنُوبَةٍ؛ فَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَشْهَرْنَا بِرُؤْيَىٰ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَنْتَهِزُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأُطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ مِذْيَقَدَرِهِمْ وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْأَمْسِيُّ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَسْتَسْكِنُ اللَّهُ يُضَرْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْتَسْكِنُ يَخْبِرْ فَيُخَبِّرْ كُلَّ شَيْءٍ فَإِنَّ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

(٩) ولو جعلنا الرسول المرسل إليهم ملكاً إذ لم يقتنعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، لجعلنا ذلك الملك في صورة البشر؛ حتى يستطيعوا السماع منه ومخاطبته؛ إذ ليس بإمكانهم رؤية الملك على صورته اللاتكنية؛ ولو جاءهم الملك بصورة رجل لاشتبه الأمر عليهم، كما اشتبه عليهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٠) ولَمَّا كان طلبهم إنزال الملك على سبيل الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم، بين الله تعالى له أن الاستهزاء بالرسول عليهم السلام ليس أمراً حادثاً، بل قد وقع من الكفار السابقين مع أنبيائهم، فأحاط بهم العذاب الذي كانوا يهزؤون به وينكرون وقوعه.

(١١) قل لهم -أيها الرسول-: سيروا في الأرض ثم انظروا كيف أعقب الله المكذبين الهلاك والحزني؟ فاحذروا مثل مصارعهم، وخافوا أن يحل بكم مثل الذي حل بهم.

(١٢) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: لمن ملك السموات والأرض وما فيهن؟ قل: هو الله كما تقرُّون بذلك وتعلمونه، فاعبدوه وحده. كتب الله على نفسه الرحمة فلا يعجل على عباده بالعقوبة. ليجمعنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه للحساب والجزاء. الذين أشركوا بالله أهلكوا أنفسهم؛ فهم لا يوحدون الله، ولا

يصدقون بوعده ووعيده، ولا يقرون بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٣) والله ملك كل شيء في السموات والأرض، سكن أو تحرك، خفي أو ظهر، الجميع عبيده وخلقه، وتحت قهره وتصرفه وتدبيره، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بسرائرهم وأعمالهم.

(١٤) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين مع الله تعالى غيره: أغير الله تعالى اتَّخَذُ وَلِيًّا ونصيراً، وهو خالق السموات والأرض وما فيهن، وهو الذي يرزق خلقه ولا يرزقه أحد؟ قل -أيها الرسول-: إني أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ خضع وانقاد له بالعبودية من هذه الأمة، وثبتت أن أكون من المشركين معه غيره.

(١٥) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين مع الله غيره: إني أخاف إن عصيت ربي، فخالفت أمره، وأشركت معه غيره في عبادته، أن ينزل بي عذاب عظيم يوم القيامة.

(١٦) من يصرف الله عنه ذلك العذاب الشديد فقد رحمه، وذلك الصرف هو الظفر البين بالنجاة من العذاب العظيم.

(١٧) وإن يصيبك الله تعالى -أيها الإنسان- بشيء يضرك كالفقر والمرض فلا كاشف له إلا هو، وإن يصيبك بخير كالغنى والصحة فلا راد لفضله ولا مانع لقضائه، فهو -جل وعلا- القادر على كل شيء.

(١٨) والله سبحانه هو الغالب القاهر فوق عباده؛ خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة، وهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها وفق حكمته، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء. ومن اتصف بهذه الصفات يجب ألا يشرك به. وفي هذه الآية إثبات الفوقية لله -تعالى- على جميع خلقه، فوقية مطلقة تليق بجلاله سبحانه.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ مَهْدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ شَهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَإِنِّي بِرِئَاءِ مُقَاتِلِ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَالِيَتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنِّي سُرَّكَاوُكُمْ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَنْهُمْ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْصُرُهُمْ وَلَا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كَانَ مَشْرِيكَ ﴿١٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ لَكَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَإِنْ يَرْوُكْهُ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يَتَّبِعُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ عَنْهُ وَيَعْنُونَ عَنْهُ وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نَزَرْنَا وَلَا نَكُذِّبُ بِعَالِيَتِ رَبِّنَا لَوْ كُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

(١٩) قل -أيها الرسول هؤلاء المشركين-: أي شيء أعظم شهادة في إثبات صدقي فيما أخبرتكم به أي رسول الله؟ قل: الله شهيد بيني وبينكم، أي: هو العالم بما جنتكم به وما أنتم قائلونه لي، وأوحى الله إليّ هذا القرآن من أجل أن أنذركم به عذابه أن يحل بكم، وأنذر به من وصل إليه من الأمم، إنكم لتفرون أن مع الله معبودات أخرى تشركونها به. قل لهم -أيها الرسول-: إني لا أشهد على ما أقرتم به، إنما الله إله واحد لا شريك له، وإني بريء من كل شريك تعبدونه معه.

(٢٠) الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم بصفاته المكتوبة عندهم كمعرفتهم أبناءهم، فكأن أبناءهم لا يشبهون أمامهم غيرهم، فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم لا يشبهه غيره لدقة وصفه في كتبهم، ولكنهم اتبعوا أهواءهم، فخسروا أنفسهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به.

(٢١) لا أحد أشد ظلماً ممن نقول الكذب على الله تعالى، فزعم أن له شركاء في العبادة، أو ادّعى أن له ولداً أو صاحبة، أو كذب ببراهينه وأدلتها التي أيدها برسله عليهم السلام. إنه لا يفلح الظالمون الذين افتروا الكذب على الله،

ولا يظفرون بمطالبهم في الدنيا ولا في الآخرة.

(٢٢) وليحذر هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله تعالى يوم نحشرهم ثم نقول لهم: أين أهنتكم التي كنتم تدعون أنهم شركاء مع الله تعالى ليسفحوا لكم؟

(٢٣) ثم لم تكن إجابتهم حين فتوا واختبروا بالسؤال عن شركائهم إلا أن تبرؤوا منهم، وأقسموا بالله ربهم أنهم لم يكونوا مشركين مع الله غيره.

(٢٤) تأمل -أيها الرسول- كيف كذب هؤلاء المشركون على أنفسهم، وهم في الآخرة قد تبرؤوا من الشرك؟ وذهب وغاب عنهم ما كانوا يظنون من شفاعتهم.

(٢٥) ومن هؤلاء المشركين من يستمع إليك القرآن -أيها الرسول-، فلا يصل إلى قلوبهم؛ لأنهم بسبب اتباعهم أهواءهم جعلنا على قلوبهم أغطية؛ لتلا يفقهوا القرآن، وجعلنا في آذانهم ثقلاً وصمماً فلا تسمع ولا تعي شيئاً، وإن يروا الآيات الكثيرة الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم لا يصدقوا بها، حتى إذا جاؤوك -أيها الرسول- بعد معاينة الآيات الدالة على صدقك يخاصمونك: يقول الذين جحدوا آيات الله: ما هذا الذي نسمع إلا ما تناقله الأولون من حكايات لا حقيقة لها.

(٢٦) وهؤلاء المشركون يهتزون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والاستماع إليه، ويتبعدون بأنفسهم عنه، وما يهلكون -بصددهم عن سبيل الله- إلا أنفسهم، وما يحسون أنهم يعملون هلاكها.

(٢٧) ولو ترى -أيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم القيامة لرأيت أمراً عظيماً، وذلك حين يجسسون على النار، ويشاهدون ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك قالوا: ياليتنا نعاد إلى الحياة الدنيا، فنصدق بآيات الله ونعمل بها، ونكون من المؤمنين.

بَلْ يَدْعُهُمْ مَا كَانُوا يَنْخَفُونَ مِنْ قَتْلٍ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا أَلْهَابُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذِّبِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ دُفِعُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ فَذَخِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَا قَرَّبْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْثَانَهُمْ
عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَرِثُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ فَذَلَعَلُمْ أَنَّهُ يُخَرِّجُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ إِلَهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَقَّ أَنفُسِهِمْ
نَصْرًا وَلَا مِدَدَ لِكَيْتُمْ اللَّهُ وَلَقَدْ جَاءَ مِنْ نَبِيِّ الْأَرْمَنِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْخَالِفِينَ ﴿٣٥﴾

(٢٨) ليس الأمر كذلك، بل ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه. ولو فرض أن أعيدوا إلى الدنيا فأهلوا لرجعوا إلى العناد بالكفر والتكذيب. وأنهم لكاذبون في قوهم: لو رُدُّنا إلى الدنيا لم نُكذِّب بآيات ربنا، وكنا من المؤمنين.

(٢٩) وقال هؤلاء المشركون المتكرون للبعث: ما الحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها، وما نحن بمبعوثين بعد موتنا.

(٣٠) ولو ترى -أيها الرسول- منكري البعث إذ خُجِسوا بين يدي الله تعالى لقضائه فيهم يوم القيامة، لرأيت أسوأ حال، إذ يقول الله جل وعلا: أليس هذا بالحق، أي: أليس هذا البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا حقاً؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، قال الله تعالى: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، أي: العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا؛ بسبب جحودكم بالله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣١) قد خسر الكفار الذين أنكروا البعث بعد الموت، حتى إذا قامت القيامة وفوجئوا بسوء المصير، نادوا على أنفسهم بالحسرة على ما

ضيعوه في حياتهم الدنيا، وهم يحملون آثامهم على ظهورهم، فما أسوأ الأحوال الثقيلة السيئة التي يحملونها!!

(٣٢) وما الحياة الدنيا في غالب أحوالها إلا غرور وباطل، والعمل الصالح للدار الآخرة خير للذين يخشون الله، فيتقون عذابه بطاعته واجتناب معاصيه. أفلا تعقلون -أيها المشركون المغترون بزينة الحياة الدنيا- فتُفَدُّوا ما يبقى على ما يفنى؟ (٣٣) إنا نعلم إنه ليُدْخِلُ الخرن إلى قلبك تكذيب قومك لك في الظاهر، فاصبر واطمن؛ فإنهم لا يكذبونك في قرارة أنفسهم، بل يعتدون صدقك، ولكنهم لظلمهم وعدوانهم يمحذون البراهين الواضحة على صدقك، فيكذبونك فيما جثت به.

(٣٤) ولقد كذب الكفار رسلاً من قبلك أرسلهم الله تعالى إلى أمهم وأودوا في سبيله، فصبروا على ذلك ومضوا في دعوتهم وجهادهم حتى أتاهم نصر الله. ولا ميدل لكلمات الله، وهي ما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من وعده إياه بالنصر على من عاداه. ولقد جاءك -أيها الرسول- من خبر من كان قبلك من الرسل، وما تحقق لهم من نصر الله، وما جرى على مكذبيهم من نعمة الله منهم وغضبه عليهم، فلك فيمن تقدم من الرسل أسوة وقودة. وفي هذا تسلي للرسول صلى الله عليه وسلم.

(٣٥) وإن كان عظيم عليك -أيها الرسول- صدور هؤلاء المشركين وانصرأهم عن الاستجابة لدعوتك، فإن استطعت أن تتخذ نفقاً في الأرض، أو مضعداً تصعد فيه إلى السماء، فتأتيهم بعلامه وبرهان على صحة قولك غير الذي جنتاهم به فافعل. ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الذي أتتهم عليه ووفَّقهم للإيمان، ولكن بشأ ذلك الحكمة يعلمها سبحانه، فلا تكونن -أيها الرسول- من الجاهلين الذين اشتد حزنهم، وتحسروا حتى أولسهم ذلك إلى الجزع الشديد.

فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلَحْدَ اللَّهِ رُبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَسَعَكُمْ فَمَا لَكُمْ
 مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَكُمْ كَيْفَ تُصْرَفُ الْآيَاتِ
 ثُمَّ هُمْ يَصْذَقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ أَنْتُمْ تُعَذَّبُ اللَّهُ
 بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
 تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا آلَاءُ مَا يُوْحِي إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ أَنْ يُحْسِنُوا إِلَى
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾
 وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِمَّا يَحْسَبُونَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَظَنُّهُمْ هُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

(٤٥) فاستوصل هؤلاء القوم وأهلكوا؛ إذ كفروا بالله وكذبوا رسله، فلم يبق منهم أحد. والشكر والثناء لله تعالى -خالق كل شيء ومالكه- على نصرة أوليائه وهلاك أعدائه.

(٤٦) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن أذهب الله سمعكم فأصمكم، وذهب أبصاركم فأعماكم، وطبع على قلوبكم فأصبحتم لا تفقهون قولاً، أي إله غير الله جل وعلا يقدر على رد ذلك لكم؟! انظر -أيها الرسول- كيف تنوع لهم الحجج، ثم هم بعد ذلك يعرضون عن التذكر والاعتبار؟

(٤٧) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن نزل بكم عقاب الله فجأة وأنتم لا تشعرون به، أو ظاهراً عياناً وأنتم تنظرون إليه: هل يهلك إلا القوم الظالمون الذين تجاوزوا الحد، بصرفهم العبادة لغير الله تعالى وبتكذيبهم رسله؟

(٤٨) وما نرسل رسلاً إلا مبشرين أهل طاعتنا بالنعيم المقيم، ومنذرين أهل المعصية بالعذاب الأليم، فمن آمن وصدق الرسل وعمل صالحاً فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم، ولا يحزنون على شيء فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٤٩) والذين كذبوا بآياتنا من القرآن والمعجزات فأولئك يصيبهم العذاب يوم القيامة؛ بسبب كفرهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

(٥٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إني لا أدعي أنني أملك خزائن السموات والأرض، فأنتصرف فيها، ولا أدعي أنني أعلم الغيب، ولا أدعي أنني رسول من عند الله، أتبع ما يوحي إلي، وأبلغ وحيه إلى الناس، قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: هل يستوي الكافر الذي عصى عن آيات الله تعالى فلم يؤمن بها، والمؤمن الذي أبصر آيات الله فأمن بها؟ أفلا تتفكرون في آيات الله؛ لتبصروا الحق فتؤمنوا به؟

(٥١) وخوف -أيها الرسول- بالقرآن الذين يعلمون أنهم يحشرون إلى ربهم، فهم مصدقون بوعده الله ووعيده، ليس لهم غير الله ولي ينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عنده تعالى، فيخلصهم من عذابه؛ لعلهم يتقون الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

(٥٢) ولا تبعد -أيها النبي- عن مجالستك ضعفاء المسلمين الذين يعبدون ربهم أول النهار وآخره، يريدون بأعمالهم الصالحة وجه الله، ما عليك من حساب هؤلاء الفقراء من شيء، إنها حسابهم على الله، وليس عليهم شيء من حسابك، فإن أبعدتهم فإنك تكون من المتجاوزين حدود الله، الذين يضعون الشيء في غير موضعه.

(٥٣) وكذلك ابتلى الله تعالى بعض عباده ببعض بتايين حظوظهم من الأرزاق والأخلاق، فجعل بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً، وبعضهم قوياً وبعضهم ضعيفاً، فأخرج بعضهم إلى بعض اختباراً منه لهم بذلك؛ ليقول الكافرون الأغنياء: أهؤلاء الضعفاء من الله عليهم بالهداية إلى الإسلام من بيننا؟ أليس الله تعالى بأعلم بمن يشكرون نعمته، فيوفقهم إلى الهداية لدينه؟

(٥٤) وإذا جاءك - أيها النبي - الذين صدقوا بآيات الله الشاهدة على صدقك من القرآن وغيره مستفتين عن التوبة من ذنوبهم السابقة، فأكرمهم برّد السلام عليهم، وبشرهم برحمة الله الواسعة؛ فإنه جلّ وعلا قد كتب على نفسه الرحمة بعباده تفضلاً أنه من اقترف ذنباً بجهالة منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله - فكل عاص لله غططاً أو متعمداً فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم - ثم تاب من بعده وداوم على العمل الصالح، فإنه تعالى يغفر ذنبه، فهو غفور لعباده التائبين، رحيم بهم.

(٥٥) ومثل هذا البيان الذي بيّناه لك - أيها

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيُفْهَمُوا أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَقْبَاتِ وَالْقِسْطَيْنِ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبِدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعَ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذْ أَوْمَأْتُهَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْخُكْمَ لِلَّهِ بِقُصِّ الْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي أَلْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَحْنُ بِهَا وَلَآ يُغْنِي عَنْكُمْ كِتَابُ هَؤُلَاءِ

الرسول - نبين الحجج الواضحة على كل حق ينكره أهل الباطل؛ ليتبين الحق، وليظهر طريق أهل الباطل المخالفين للرسل.

(٥٦) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إن الله عز وجل نهاي أن أعبد الأوثان التي تعبدونها من دونه، وقل لهم: لا أتبع أهواءكم قد ضللت عن الصراط المستقيم إن اتبعت أهواءكم، وما أنا من المهتدين.

(٥٧) قل - أيها الرسول لهؤلاء المشركين -: إني على بصيرة واضحة من شريعة الله التي أوحاها إليّ، وذلك بإفرازه وحده بالعبادة، وقد كذبتهم بهذا، وليس في قدرتي إنزال العذاب الذي تستعجلون به، وما الحكم في تأخر ذلك إلا إلى الله تعالى، يقصّ الحق، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل بقضائه وحكمه.

(٥٨) قل - أيها الرسول -: لو أنني أملك إنزال العذاب الذي تستعجلونه لأنزله بكم، وقضي الأمر بيني وبينكم، ولكن ذلك إلى الله تعالى، وهو أعلم بالظالمين الذين تجاوزوا حدّهم فأشركوا معه غيره.

(٥٩) وعند الله - جلّ وعلا - مفاتيح الغيب، أي: خزائن الغيب، لا يعلمها إلا هو، ومنها: علم الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، والكسب في المستقبل، ومكان موت الإنسان، ويعلم كلّ ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة من نبتة إلا يعلمها، فكل حبة في خفايا الأرض، وكل رطب ويابس، مثبت في كتاب واضح لا كبس فيه، وهو اللوح المحفوظ.

(٦٠) وهو سبحانه الذي يقبض أرواحكم بالليل بما يشبه قبضها عند الموت، ويعلم ما اكتسبتم في النهار من الأعمال، ثم يعيد أرواحكم إلى أجسامكم بالقبضة من النوم نهاراً بما يشبه الإحياء بعد الموت؛ لتُقضى آجالكم المحددة في الدنيا، ثم إلى الله تعالى معادكم بعد عنكم من قبوركم أحياء، ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا، ثم يجازيكم بذلك.

(٦١) والله تعالى هو القاهر فوق عباده، فوقية مطلقة من كل وجه، تليق بجلاله سبحانه وتعالى. كل شيء خاضع لجلاله وعظمته، ويرسل على عباده ملائكة، يحفظون أفعالهم ويحصىونها، حتى إذا نزل الموت بأحدهم قبض روحه ملك الموت وأعوانه، وهم لا يضيعون ما أمر به.

(٦٢) ثم أعيد هؤلاء المتوفون إلى الله تعالى
مولا هم الحق. ألا له القضاء والفصل يوم
القائمة بين عباده وهو أسرع الحاسين.

(٦٣) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: من ينقذكم من مخاوف ظلمات البر والبحر؟

الشاكرين بعبادته عز وجل وحده لا شريك له.

(٦٤) قل لهم -أيها الرسول-: الله وحده هو الذي يتقذكُم من هذه المخاوف ومن كل شدة، ثم أنتم بعد ذلك تشركون معه في العبادة غيره.

(٦٥) قل -أيها الرسول-: الله عز وجل هو القادر وحده على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم كالرِّجْمِ أو الطوفان، وما أشبه ذلك، أو من تحت أرجلكم كالزلازل والخصف، أو يخلط أمركم عليكم فتكونوا أفرقا متناحرة يقتل بعضهم بعضاً. انظر -أيها الرسول- كيف نُبِّئُ حججنا الواضحات هؤلاء المشركين لعلمهم يفهمون فيعتبروا؟

(٦٦) وكَذَّبَ بهذا القرآنُ من قومك أيها الرسول، وهو الكتاب الصادق في كل ما جاء به. قل لهم: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما أنا رسول الله أبلغكم ما أرسلت به إليكم.

(٦٧) لكل خبر قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، فيتبين الحق من الباطل، وسوف تعلمون -أيها الكفار- عاقبة أمركم عند حلول عذاب الله بكم.

(٦٨) وإذا رأيت -أيها الرسول- المشركين يتكلمون في آيات القرآن بالباطل والاستهزاء، فابتعد عنهم حتى يأخذوا في حديث آخر، وإن أساك الشيطان هذا الأمر فلا تقعد بعد تذكرك مع القوم المعتدين، الذين تكلموا في آيات الله بالباطل.

[illegible]

(٦٩) وما على المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، فيطيعون أوامره، ويجتنبون نواهيه من حساب الله للخاصين المستهزين بآيات الله من شيء، ولكن عليهم أن يعظومهم ليمسكوا عن ذلك الكلام الباطل، لعلهم يتقون الله تعالى.

(٧٠) واترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين جعلوا دين الإسلام لعباً وهواً، مستهزين بآيات الله تعالى، وعزتهم الحياة الدنيا بزيئها، وذكر بالقرآن هؤلاء المشركين وغيرهم؛ كي لا تترهن نفس بذنوبها وكفرها بربها، ليس لها غير الله ناصر ينصرها، فينقذها من عذابه، ولا شافع يشفع لها عنده، وإن تقبذ بأي فداء لا يقبل منها. أولئك الذين ارتكبوا بذنوبهم، لهم في النار شراب شديد الحرارة وعذاب موجه؛ بسبب كفرهم بالله تعالى، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبدين الإسلام.

(٧١) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: أنعبد من دون الله تعالى أوثاناً لا تنفع ولا تضر؟ ونرجع إلى الكفر بعد هداية الله تعالى لنا إلى الإسلام، فنشبه - في رجوعنا إلى الكفر - من

فسد عقله باستهواء الشياطين له، فقل في الأرض، وله رُفْقَةٌ عقلاء مؤمنون يدعونه إلى الطريق الصحيح الذي هم عليه فيأبى. قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى الحق، وأمرنا جميعاً لنسلم لله تعالى رب العالمين بعبادته وحده لا شريك له، فهو رب كل شيء ومالكه.

(٧٢) وكذلك أمرنا بأن نقيم الصلاة كاملة، وأن نخشاه بفعل أوامره واجتناب نواهيه. وهو - جل وعلا - الذي إليه تُحْشَرُ جميع الخلائق يوم القيامة.

(٧٣) والله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض بالحق، واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة إذ يقول الله: «كن»، فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب، قوله هو الحق الكامل، وله الملك سبحانه وحده، يوم ينفخ المَلَكُ في «القرن» النفخة الثانية التي تكون بها عودة الأرواح إلى الأجسام. وهو سبحانه الذي يعلم ما غاب عن حواسكم - أيها الناس - وما تشاهدونه، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، الخير بأمور خلقه. والله تعالى هو الذي يختص بهذه الأمور وغيرها ببدء أو نهاية، نشأة ومصرأ، وهو وحده الذي يجب على العباد الانقياد لشرعه، والتسليم لحكمه، والتطلع إلى رضوانه ومغفرته.

* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِءَازِرْ أَتَتَّخِذُ مَاءَ الْهَيْهَةِ إِنِّ
أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ
مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُنْ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿١٢٧﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَٰذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أَجِبُ الْآفِلِينَ ﴿١٢٨﴾ فَلَمَّارَ الْفَمَرِ بَارِعًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ رَبِّهِدِي رَبِّيَ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الصَّٰلِينَ ﴿١٢٩﴾ فَلَمَّارَ الشَّمْسِ بَارِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيَ هَٰذَا
أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَكَ قَالَ يَقُومُ إِنِّي بُرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿١٣٠﴾
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا مَّا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾ وَحَاجَّاهُ قَوْمُهُ قَالَ
أُتُخَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦ
إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ وَلَا تُخَافُونَ
أَنَّهُ أَشْرَكْتُ مِمَّا يَدْعُونَ بِهٖ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِۦ عَلَيْهِ سُلْطٰنًا
فَأَنَّى الْمُرَبِّينَ أَحْقَبُ يَا لَأَمَنَ إِنِّ نَعْتَزِلُكُمْ ﴿١٣٣﴾

(٧٤) واذكر -أيها الرسول- مُحَاجَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبْنَيْهِ أَزْرَ، إِذْ قَالَ لَهُ: أَتَجْعَلُ مِنَ الْأَصْنَامِ آلِهَةً تَعْبُدُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى؟ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ بَيْنَ عَرْنِ طَرِيقِ الْحَقِّ.

(٧٥) وكما هدينا إبراهيم عليه السلام إلى الحق في أمر العبادة تُريه ما تحتوي عليه السموات والأرض من ملك عظيم، وقدرة باهرة؛ ليكون من الراسخين في الإيمان.

(٧٦) فلما أظلم على إبراهيم عليه السلام الليل وغطاه ناظر قومه؛ لبثت لهم أن دينهم باطل، وكانوا يعبدون النجوم. رأى إبراهيم عليه السلام كوكباً، فقال - مستدرجاً قومه لإلزامهم بالتوحيد -: هذا ربي، فلما غاب الكوكب، قال: لا أحب الآلهة التى تغيب.

(٧٧) فلما رأى إبراهيم القمر طالعا قال لقومه
- على سبيل استدرج الخصم -: هذا ربي، فلما
غاب، قال: - مفتقرا إلى هداية ربه - لئن لم
يوفقني ربي إلى الصواب في توحيدهِ، لأكونن
من القوم الضالين عن سواء السبيل بعبادة غير
الله تعالى.

(٧٨) فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي، هذا أكبر من الكوكب والقمر، فلما غابت، قال لقومه: إني بري، مما تشركون من عبادة الأوثان والنجوم والأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى.

(٧٩) إني توَّهَّيْتُ بوجهي في العبادة لله عز وجل وحده، فهو الذي خلق السموات والأرض، مائلاً عن الشرك إلى التوحيد، وما أنا من المشركين مع الله غيره.

(٨٠) وجادله قومه في توحيد الله تعالى قال: أنجادلونني في توحيدي لله بالعبادة، وقد وفقني إلى معرفة وحدانيته، فإن كنتم تخوفوني بأفنتكم أن توقع بي ضرراً فإنني لا أربها فلن تضربي، إلا أن يشاء ربي شيئاً. وسع ربي كل شيء علماً. أفلا تتذكرون فاعلموا أنه وحده المعبود المستحق للعبودية؟

(٨١) وكيف أخاف أوثانكم وأنتم لا تخافون ربي الذي خلقكم، وخلق أوثانكم التي أشركتموها معه في العبادة، من غير حجة لكم على ذلك؟ فأي الفريقين: فريق المشركين وفريق الموحدين أحق بالطمأنينة والسلامة والأمن من عذاب الله؟ إن كنتم تعلمون صدق ما أقول فأخبروني.

(٨٢) الذين صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ وَلَمْ يَخْلُطُوا بِإِيمَانِهِمْ بِشْرِكٍ، أولئك لهم الطمأنينة والسلامة، وهم الموفقون إلى طريق الحق.

(٨٣) وتلك الحجة التي حاج بها إبراهيم عليه السلام قومه هي حجتنا التي وفقناه إليها حتى انقطعت حججهم. نرفع مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا مراتب في الدنيا والآخرة. إن ربك حكيم في تدبير خلقه، عليم بهم.

(٨٤) ومننا على إبراهيم عليه السلام بأن رزقناه إسحاق ابناً ويعقوب حفيداً، ووفقنا كلا منهما لسبيل الرشاد، وكذلك وفقنا للحق نوحاً - من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب - وكذلك وفقنا للحق من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون عليهم السلام، وكما جزينا هؤلاء الأنبياء بإحسانهم نجزي كل محسن.

(٨٥) وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الصالحين.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ مِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ وَاجْتَبَيْتَهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَلَكِنَّمَا اتَّخَذُوا لَهَا نَجْوَةً فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ قِطْعَةٌ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرُنِي لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

(٨٦) وهدينا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً، وكل هؤلاء الرسل فضَّلناهم على أهل زمانهم.

(٨٧) وكذلك وفقنا للحق مَنْ شئنا هدايته من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم، واختَرناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى مَنْ أَرسلناهم إليهم، وأرشدناهم إلى طريق صحيح، لا عوج فيه، وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك.

(٨٨) ذلك الهدى هو توفيق الله، الذي يوفق به من يشاء من عباده. ولو أن هؤلاء الأنبياء أشركوا بالله - على سبيل الفرض والتقدير - لبطل عملهم؛ لأن الله تعالى لا يقبل مع الشرك عملاً.

(٨٩) أولئك الأنبياء الذين أنعمنا عليهم بالهداية والنبوة هم الذين آتيناهم الكتاب كصحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى، وآتيناهم فهم هذه الكتب، واختَرناهم لإبلاغ وحينا، فإن يمجحد - أيها الرسول - بآيات هذا القرآن الكفار من قومك، فقد وكلنا بها قوماً آخرين - أي: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة - ليسوا بها بكافرين، بل مؤمنون بها، عاملون بها تدل عليه.

(٩٠) أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق، فأتبع هدايم - أيها الرسول - واسلك سبيلهم. قل للمشركين: لا أطلب منكم على تبليغ الإسلام عوضاً من الدنيا، إن أجري إلا على الله، وما الإسلام إلا دعوة جميع الناس إلى الطريق المستقيم، وتذكير لكم ولكل من كان مثلكم، من هو مقيم على باطل، لعلكم تذكرون به ما ينفعكم.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ
 قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِءُ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
 لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَارِيسَ يُبْذَرُ فِيهَا وَخُفُونَ كَثِيرًا وَعَلَمَهُ
 مَا لَمْ يَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ يُؤَدِّرُهُمْ فِي خُوضِهِمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
 وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
 غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ
 الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ
 الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
 فُرْدًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ ذُرِّيَّتَكُمْ وَآلَكُمْ
 ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
 شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ قَائِلُهُ تَرْتَعَمُونَ ﴿٩٤﴾

(٩١) وما عَظَّم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ إذ أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئاً من وحيه. قل لهم - أيها الرسول -: إذا كان الأمر كما تزعمون، فمن الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى إلى قومه نوراً للناس وهداية لهم؟ ثم توجه الخطاب إلى اليهود رَجْرَجُوا بهم بقوله: تجعلون هذا الكتاب في قرايطيس متفرقة، تظهرون بعضها، وتكتُمون كثيراً منها، وما كتموه الإخبار عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وعَلَّمَكُم الله معشر العرب بالقرآن - الذي أنزله عليكم، فيه خبر من قبلكم ومن بعدكم، وما يكون بعد موتكم - ما لم تعلموه أنتم ولا آبَاؤُكم، قل: الله هو الذي أنزله، ثم دع هؤلاء في حديثهم الباطل يخوضون ويلعبون.

(٩٢) وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها الرسول - عظيم النفع، يشهد على صدق ما تَقَدَّمه من الكتب المنزلة وأنها من عند الله، أنزلناه لتخوِّف به من عذاب الله وبأسه أهل «مكة» ومن حولها من أهل أقطار الأرض كلها. والذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله، ويحافظون على إقام الصلاة في أوقاتها.

(٩٣) ومن أَشَدَّ ظُلماً ممن اختلق على الله تعالى قولاً كذباً، فادَّعى أنه لم يبعث رسولاً من البشر، أو ادَّعى كذباً أن الله أوحى إليه ولم يُوحَ إليه شيئاً، أو ادَّعى أنه قادر على أن يُنزل مثل ما أنزل الله من القرآن؟ ولو أنك أبصرت - أيها الرسول - هؤلاء المتجاوزين الحدَّ وهم في أهوال الموت لرأيت أمراً هائلاً، والملائكة الذين يقبضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم، اليوم تهاونون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والالتقياد لرسوله.

(٩٤) ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى كما أوجدناكم في الدنيا أول مرة حفاة عراة، وتركتم وراء ظهوركم ما مكنَّاكم فيه مما تتباهون به بين أموال في الدنيا، وما نرى معكم في الآخرة أوثانكم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم، وتَدْعُونَ أنها شركاء مع الله في العبادة، لقد زال تَوَاصُلُكم الذي كان بينكم في الدنيا، وذهب عنكم ما كنتم تدَّعون من أن آهتكم شركاء الله في العبادة، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم.

* إِنَّ اللَّهَ قَالَ لَأَبْلُقُ الْإِنْسَانَ مِمَّا خَشَى
 الْعَالَمِينَ إِنَّهُ قَالَ إِنَّهُ لَأَبْلُقُ الْإِنْسَانَ
 وَجَعَلَ الْإِنْسَانَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
 الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٥ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا
 بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
 ١٦ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
 قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ١٧ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
 خَضِرًا نُخْجًا مِنْهُ جَبًا مَرَكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
 دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مِثْلَهُنَّ وَغَيْرُ
 مُنْتَشِبَةٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَعْوَهُ مِنْ ذَلِكَ لَكُمْ
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٨ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبْنَ وَخَلَقَهُمْ
 وَخَرَفُوا لَهُ رَبِّينَ وَبَنَتِ بَعِيرٌ عَلَيْهِمْ حَنَدَهُ وَقَالُوا بَصُفُوفُ
 ١٩ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنِّي يُكُونُ لَهُمْ وَلَدٌ وَلَوْ تَكُنْ لَهُ
 صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٠

(٩٥) إن الله تعالى يشق الحب، فيخرج منه الزرع،
 ويشق النوى، فيخرج منه الشجر، يخرج الحي من
 الميت كالإنسان والحيوان مثلاً من النطفة، ويخرج
 الميت من الحي كالنطفة من الإنسان والحيوان،
 ذلكم الله أي: فاعل هذا هو الله وحده لا شريك
 له المستحق للعبادة، فكيف تُصَرِّفُونَ عن الحق إلى
 الباطل فتعبدون معه غيره؟

(٩٦) والله سبحانه وتعالى هو الذي شق ضياء
 الصباح من ظلام الليل، وجعل الليل مستقرًا،
 يسكن فيه من يتعب بالنهار فيأخذ نصيبه من
 الراحة، وجعل الشمس والقمر يجريان في فلكيهما
 بحساب متقن مقدر، لا يتغير ولا يضطرب، ذلك
 تقدير العزيز الذي عز سلطانه، العليم بمصالح
 خلقه وتبدير شؤونهم. والعزیز والعليم من أسماء
 الله الحسنى يدلان على كمال العزة والعلم.

(٩٧) والله سبحانه هو الذي جعل لكم أيها
 الناس النجوم علامات، تعرفون بها الطرق
 ليلاً إذا ضللتكم؛ بسبب الظلمة الشديدة في البر
 والبحر، قد بينا البراهين الواضحة؛ ليتدبرها
 منكم أولو العلم بالله وشرعه.

(٩٨) والله سبحانه هو الذي ابتدأ خلقكم أيها

الناس من آدم عليه السلام؛ إذ خلقه من طين، ثم كنتم سلالة ونسلاً منه، فجعل لكم مستقرًا تستقرون فيه، وهو أرحام
 النساء، ومستودعًا تحفظون فيه، وهو أصلاب الرجال، قد بينا الحجيح وميزنا الأدلة، وأحكمناها لقوم يفهمون مواقع
 الحجج ومواضع العبر.

(٩٩) والله سبحانه هو الذي أنزل من السحاب مطراً فأخرج به نبات كل شيء، فأخرج من النبات زرعاً وشجراً أخضر، ثم
 أخرج من الزرع حباً يركب بعضه بعضاً، كسنبال القمح والشعير والأرز، وأخرج من طلع النخل - وهو ما تنشأ فيه عذوق
 الرطب - عذوقاً قريبة التناول، وأخرج سبحانه بساتين من أعناب، وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه
 ويختلف في ثمره شكلاً وطعماً وطبعاً. انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ. إن في
 ذلكم - أيها الناس - لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشره.

(١٠٠) وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء الله تعالى في العبادة؛ اعتقاداً منهم أنهم يفعلون أو يضررون، وقد خلقهم الله
 تعالى وما يعبدون من العدم، فهو المستقل بالخلق وحده، فيجب أن يستقل بالعبادة وحده لا شريك له. ولقد كذب هؤلاء
 المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات؛ جهلاً منهم بما يجب له من صفات الكمال، تنزهً وعلا عما نسبوا إليه
 المشركون من ذلك الكذب والافتراء.

(١٠١) والله تعالى هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟
 تعالى الله عما يقول المشركون علواً كبيراً، وهو الذي خلق كل شيء من العدم، ولا يخفى عليه شيء من أمور الخلق.

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْغَفِيرُ ﴿٢﴾ قَدْ جَاءَكُمْ
بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ
وَلِنُقُولُوا دَرَسَاتٍ وَلِنُزَيِّنَنَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ اتَّبِعْ
مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
﴿٥﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ حَفِظًا
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلُهُمْ ثُمَّ لِيَرْبَهُمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنْزِلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ
بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ وَنَقَلُبُ أَقْفَادَهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ كَمَا نَزَّلَ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَكَذَرَهُمْ فِي طَعْنِهِمْ يَعْصَمُونَ ﴿٩﴾

(١٠٢) ذلکم - أيہا المشرکون - هو ربکم جل وعلا، لامعوبہ بحق سواہ، خالق کل شیء فانقادوا واحضعوا لہ بالطاعة والعبادة. وهو سبحانه علی کل شیء وکیل وحفیظ، یدبر أمور خلقہ.
(١٠٣) لا ترى الله الأبصار في الدنيا، أما في الدار الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم بغیر إحاطة، وهو سبحانه یدرک الأبصار ویحیط بها، ویعلمها علی ما هي علیہ، وهو اللطیف بأولیائہ الذي یعلم دقائق الأشياء، الخیر الذي یعلم بواطنها.
(١٠٤) قل - أيہا الرسول - هؤلاء المشرکین: قد جاء تکم براہین ظاهرة تبصرون بها الهدی من الضلال، مما اشتمل علیہا القرآن، وجاء بها الرسول علیہ الصلاة والسلام، فمن تبین هذه البراہین وأمن بمدلولها فنفع ذلك نفسه، ومن لم یبصر الهدی بعد ظهور الحجة علیہ فعلی نفسه جنی، وما أنا علیکم بحافظ أحصي أعمالکم، وإنسا أنا مبلغ، والله یدي من یشاء ویضل من یشاء وفق علمه وحکمتہ.

(١٠٥) وكما يتبين في هذا القرآن للمشرکین البراہین الظاهرة في أمر التوحید والنبوة والمعاد نبین لهم البراہین في كل ما جهلوه فيقولون عند ذلك كذبا:

تعلمت من أهل الكتاب، ولنبین - بتصرفنا آیات - الحق لقوم یعلمونه، فيقبلونه ويتبعونه، وهم المؤمنون برسول الله محمد صلى الله علیہ وسلم وما أنزل علیہ.

(١٠٦) اتبع - أيہا الرسول - ما أوحینا إلیک من الأوامر والنواهي التي أعظمها توحید الله سبحانه والدعوة إلیہ، ولا تبال بعناد المشرکین، وادعائهم الباطل.

(١٠٧) ولو شاء الله تعالى أن لا یشرک هؤلاء المشرکون لَمَا أَشْرَكُوا، لكنه تعالى علیهم بما سیکون من سوء اختیارهم واتباعهم أهواءهم المنحرفة. وما جعلناک - أيہا الرسول - علیهم رقیباً تحفظ علیهم أعمالهم، وما أنت بقیّم علیهم تدبر مصالحهم.

(١٠٨) ولا تنسوا - أيہا المسلمون - الأوثان التي یعبدھا المشرکون - سداً للذریعة - حتی لا یسبب ذلك في سبهم الله جهلاً واعتداً بغير علم. وكما حسننا هؤلاء عملهم السيئ عقوبة لهم علی سوء اختیارهم، حسناً لكل أمة أعمالها، ثم لی ربهم معادهم جميعاً فیخبرهم بأعمالهم التي كانوا یعملونها في الدنیا، ثم یجازيهم بها.

(١٠٩) وأقسم هؤلاء المشرکون بأیمان مؤکدة: لئن جاءنا محمد بعلامة خارقة لنصدقن بما جاء به، قل - أيہا الرسول - إنما محي المعجزات الخارقة من عند الله تعالى، هو القادر علی المحي بها إذا شاء، وما یدریکم أيہا المؤمنون: لعل هذه المعجزات إذا جاءت لا یصدق بها هؤلاء المشرکون.

(١١٠) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم، فنحول بینها وبين الانتفاع بآیات الله، فلا یؤمنون بها كما لم یؤمنوا بآیات القرآن عند نزولها أول مرة، ونتركهم في تمردهم علی الله متحیرین، لا یبتدون إلى الحق والصواب.

* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَانَ مَعَهُمُ الْمَوْتُ وَخَشَعَتِ
 عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
 عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
 زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ قَدْ رَهَمَ وَمَا
 يَقْتُرُونَ ﴿١١١﴾ وَلَتَصْغُرَ إِلَيْهِ أُنُوفُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 وَلَيْزِيهِمْ وَلَيَصْغُرَ قُورَاهُمْ مَقَرُّهُمْ قُرْصَةٌ ﴿١١٢﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ اتَّبَعِي
 حَكَمًا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
 وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٣﴾ وَنَمَتَ كَلِمَتُ رَبِّكَ
 صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١١٤﴾ وَإِنْ نُطِيعُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ
 يَتَّبِعُونَ إِلَّا الْأَطْنَافَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٦﴾ فَكُلُوا
 وَمِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾

(١١١) ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وكان معهم الموت وخشع كل شيء قلوبهم، ولكن أكثرهم يجهلون. ﴿١١٠﴾ وكذلك جعلنا لكل نبي عدو شيطان الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. ولو شاء ربك ما فعلوه. قد رهقهم وما يقترون. ﴿١١١﴾ ولتصغر إلى آذانهم أنوف الذين لا يؤمنون بالآخرة. ولتصغر قوراهم. ﴿١١٢﴾ أفغير الله اتبعي حكماً هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً. والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين. ﴿١١٣﴾ ونمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم. ﴿١١٤﴾ وإن نطيع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله. إن يتبعون إلا الأنف. إن هم إلا يخروصون. ﴿١١٥﴾ إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين. ﴿١١٦﴾ فكلوا ومما ذكر الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين. ﴿١١٧﴾

(١١٢) وكما ابتليناك - أيها الرسول - بأعدائك من المشركين ابتلينا جميع الأنبياء - عليهم السلام - بأعداء من مردة قومهم وأعداء من مردة الجن، يلقي بعضهم إلى بعض القول الذي زينوه بالباطل؛ ليغتر به سامعه، فيضل عن سبيل الله. ولو أراد ربك - جلّ وعلا - لحال بينهم وبين تلك العداوة، ولكنه الابتلاء من الله، فذعهم وما يختلقون من كذب وزور.

(١١٣) ولتميل إليه قلوب الكفار الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، ولتجبه أنفسهم، وليكتسبوا من الأعمال السيئة ما هم مكتسبون. وفي هذا تهديد عظيم لهم.

(١١٤) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: أغير الله إلهي وإلهكم أطلب حكماً بيني وبينكم،

وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مبیناً فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم؟ وبنو إسرائيل الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل يعلمون علماً يقيناً أن هذا القرآن منزل عليك - أيها الرسول - من ربك بالحق، فلا تكونن من الشاكين في شيء مما أوحينا إليك.

(١١٥) وتمت كلمة ربك - وهي القرآن - صدقاً في الأخبار والأقوال، وعدلاً في الأحكام، فلا يستطيع أحد أن يبدل كلماته الكاملة. والله تعالى هو السميع لما يقول عباده، العليم ببواطن أمورهم وظواهرها.

(١١٦) ولو فرض - أيها الرسول - أنك أطعت أكثر أهل الأرض لأضلوك عن دين الله، ما يسировن إلا على ما ظنوه حقاً بتقليدهم أسلافهم، وما هم إلا يظنون ويكذبون.

(١١٧) إن ربك هو أعلم بالضالين عن سبيل الرشاد، وهو أعلم منكم ومنهم بمن كان على استقامة وسداد، لا يخفى عليه منهم أحد.

(١١٨) فكلوا من الذبائح التي ذكر اسم الله عليها، إن كنتم براهين الله تعالى الواضحة مصدقين.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْسَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيَظِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا أَطْعَمَهُمُ الْإِثْمَ وَطَاعَتَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَنْسَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤْمِنُ إِلَى آوَالِيَاءِهِمْ لِجَدِّ لَوْ كُفِّرُوا كَفْرًا وَإِنْ أَنْطَعْتُمْ هُوًا لَأُكْرِمُنَّكُمْ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ زَوْجًا يَبْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظَّلَامَةِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَمَكُورُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَّجْرُمًا يَلْمِزُكَ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنَّا أَوْ أَمْرٌ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَلِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُمْ لَحَافًا أَكْثَرَ ﴿١٢٥﴾ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَن كَانَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْيُنَ النَّاسِ وَمَا لَهُمْ فِي الْغُيُوبِ ﴿١٢٦﴾

(١١٩) وأي شيء يمنعكم أيها المسلمون من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وقد بين الله سبحانه لكم جميع ما حَرَّمَ عليكم؟ لكن ما دعت إليه الضرورة بسبب المجاعة، مما هو محرم عليكم كالميتة، فإنه مباح لكم. وإن كثيراً من الضالين ليضلون عن سبيل الله أشياءهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال بأهوائهم؛ جهلاً منهم. إن ربك -أيها الرسول- هو أعلم بمن تجاوز حده في ذلك، وهو الذي يتولى حسابه وجزاءه.

(١٢٠) واتركوا -أيها الناس- جميع المعاصي، ما كان منها علانية وما كان سراً. إن الذين يفعلون المعاصي سيعاقبهم ربهم؛ بسبب ما كانوا يعملونه من السيئات.

(١٢١) ولا تأكلوا -أيها المسلمون- من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح، كالميتة وما ذبح للأوثان والجن، وغير ذلك، وإن الأكل من تلك الذبائح يخرج عن طاعة الله تعالى. وإن مَرَدَ الجن لَيُلْقُونَ إلى آوَالِيَانِهِمْ من شياطين الإنس بالشبهات حول تحريم أكل

الميتة، فيأمرهم أن يقولوا للمسلمين في جدالهم معهم: إنكم بعدم أكلكم الميتة لا تأكلون ما قتلته الله، بينما تأكلون مما تذبحونه، وإن أطمعتموهم -أيها المسلمون في تحليل الميتة- فأنتم وهم في الشرك سواء.

(١٢٢) أو من كان ميتاً في الضلالة هالكا حائراً، فأحينا قلبه بالإيمان، وهديناه له، ووفقناه لاتباع رسله، فأصبح يعيش في أنوار الهداية، كمن مثله في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، لا يهتدي إلى منفذ ولا مُحَلِّصَ له مما هو فيه؟ لا يستويان، وكما خذلنا هذا الكافر الذي يجادلكم -أيها المؤمنون- فزَيَّنَّا له سوء عمله، فرآه حسناً، زَيَّنَّا لِلْجَاهِلِينَ أَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ لِيَسْتَوِيُوا بِهِمْ بِذَلِكَ الْعَذَابِ.

(١٢٣) ومثل هذا الذي حصل من زعماء الكفار في «مكة» من الصدِّ عن دين الله تعالى، جعلنا في كل قرية مجرمين يتزعمهم أكابرهم؛ ليمكروا فيها بالصد عن دين الله، وما يكيدون إلا أنفسهم، وما يُحْسِنُونَ بذلك.

(١٢٤) وإذا جاءت هؤلاء المشركين من أهل «مكة» حجة ظاهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قال بعض كبرائهم: لن نصدِّقَ بنبوته حتى يعطينا الله من النبوة والمعجزات مثل ما أعطى رسله السابقين. فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته، أي: بالذين هم أهل لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس. سينال هؤلاء الطغاة الذل، ولهم عذاب موعج في نار جهنم؛ بسبب كيدهم للإسلام وأهله.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الْإِنْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا أَصْرُ رِبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا
الْأَنِيتَ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ
جَمِيعًا يَتَمَقَّشَرُ الْجَنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
أُولِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا
أَجَلَكَ الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثَلُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُفِي
بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَتَمَقَّشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ يَوْمَكُمْ
هَذَا قَالُوا سَهْدًا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّهَتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٣٠﴾

(١٢٥) فمن يشأ الله أن يوفقه لقبول الحق يشرح صدره للتوحيد والإيمان، ومن يشأ أن يضلّه يجعل صدره في حال شديدة من الانقباض عن قبول الهدى، كحال من يصعد في طبقات الجو العليا، فيصاب بضيق شديد في النفس. وكما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض، كذلك يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

(١٢٦) وهذا الذي يبيّنه لك -أيها الرسول- هو الطريق الموصل إلى رضا ربك وجنته. قد بيّنا البراهين لمن يتذكر من أهل العقول الراجحة.

(١٢٧) للمتذكرين عند ربهم جل وعلا يوم القيامة دار السلامة والأمان من كل مكروه وهي الجنة، وهو سبحانه ناصرهم وحافظهم جزاء لهم؛ بسبب أعمالهم الصالحة.

(١٢٨) واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله تعالى الكفار وأوليائهم من شياطين الجن فيقول: يا معشر الجن قد أضللتكم كثيراً من الإنس، وقال أولياؤهم من كفار الإنس: ربنا

قد انتفع بعضنا من بعض، وبلغنا الأجل الذي أجلّته لنا بانقضاء حياتنا الدنيا، قال الله تعالى لهم: النار مثواكم، أي: مكان إقامتكم خالدين فيها، إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من عصاة الموحدين. إن ربك حكيم في تدبيره وصنعه، عليم بجميع أمور عباده.

(١٢٩) وكما سلّطنا شياطين الجن على كفار الإنس، فكانوا أولياءهم، نسلّط الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا؛ بسبب ما يعملونه من المعاصي.

(١٣٠) أيها المشركون من الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملتكم -وظاهر النصوص يدلّ على أنّ الرسل من الإنس فقط-، يخبرونكم بآيات الواضحة المشتملة على الأمر والنهي، وبيان الخير والشر، ويحذرونكم لقاء عذابي في يوم القيامة؟ قال هؤلاء المشركون من الإنس والجن: شهدنا على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا آياتك، وأنذرونا لقاء يومنا هذا، فكذبناهم، وخدعت هؤلاء المشركين زينة الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله تعالى ومكذّبين لرسله عليهم السلام.

ذَلِكَ أَنْ لَوْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
 غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ
 بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ
 إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا
 يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُم مِّنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمَهُ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾
 إِنْ مَّا نُوْعِدُكُمْ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَّقُوا
 اللَّهَ عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ تُكْفَرُونَ فَتَوَسَّعَتْ لَكُمْ فُتُوحٌ
 مِّنْ تَعْمَلُوا لَهُ وَعَقِبُهُ الدَّرَارُ إِنَّهُ لَا يَفْطِنُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
 فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
 لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَتَوَفَّوهُ
 يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ
 زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَائِهِمْ لِيُذْهِبُوا وَهْمَهُمْ وَيَسْتَلْهِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

(١٣١) إننا أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لئلا يؤاخذ أحد بظلمه، وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذبنا أحداً إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

(١٣٢) ولكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلغه الله إياها، ويجازيه عليها. وما ربك -أيها الرسول- بغافل عما يعمل عباده.

(١٣٣) وربك -أيها الرسول- الذي أمر الناس بعبادته، هو الغني وحده، وكل خلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة، لو أراد لأهلككم، وأوجد قوماً غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى، كما أوجدكم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

(١٣٤) إن الذي يُوعِدكم به ربكم -أيها المشركون- من العقاب على كفركم واقع بكم، ولن تُعجزوا ربكم هرباً، فهو قادر على إعادتكم، وإن صرتم تراباً وعظاماً.

(١٣٥) قل -أيها الرسول-: يا قوم اعملوا على طريقتكم فإني عامل على طريقتي التي شرعها لي ربي جل وعلا، فسوف تعلمون -عند حلول النعمة بكم- من الذي تكون له العاقبة الحسنة؟ إنه لا يفوز برضوان الله تعالى والجنة من تجاوز حده وظلم، فأشرك مع الله غيره.

(١٣٦) وجعل المشركون لله -جلً وعلا- جزءاً مما خلق من الزروع والثمار والأنعام يقدمونه للضيوف والمساكين، وجعلوا قسماً آخر من هذه الأشياء لشركائهم من الأوثان والأنصاب، فما كان مخصصاً لشركائهم فإنه يصل إليها وحدها، ولا يصل إلى الله، وما كان مخصصاً لله تعالى فإنه يصل إلى شركائهم. ينس حكم القوم وقسمتهم.

(١٣٧) وكما زين الشيطان للمشركين أن يجعلوا لله تعالى من الحرث والأنعام نصيباً، ولشركائهم نصيباً، زينت الشياطين لكثير من المشركين قتل أولادهم خشية الفقر؛ ليوعدوا هؤلاء الآباء في الهلاك بقتل النفس التي حرم الله تناولها إلا بالحق، وليدخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه قدر ذلك لعلمه بسوء حالهم ومآلهم، فاتركهم -أيها الرسول- وشأنهم فيما يفترون من كذب، فسيحكم الله بينك وبينهم.

(١٣٨) وقال المشركون: هذه إبل وزرع حرام، لا يأكلها إلا من يأذنون له - حسب ادعائهم - من سدة الأوثان وغيرهم.

وهذه إبل حُرِّمت ظهورها، فلا يحل ركوبها والحمل عليها بحالٍ من الأحوال.

وهذه إبل لا يذكر اسم الله تعالى عليها في أي شأن من شؤونها. ففعلوا ذلك كذباً منهم على الله، سيجزيهم الله بسبب ما كانوا يفترون من كذب عليه سبحانه.

(١٣٩) وقال المشركون: ما في بطون الأنعام من أجنة مباح لرجالنا، ومحرم على نساتنا، إذا ولد حياً، ويشتكون فيه إذا ولد ميتاً. سيعاقبهم الله إذ شرعوا لأنفسهم من التحليل والتحریم ما لم يأذن به الله. إنه تعالى حكيم في تدبير أمور خلقه، عليهم بهم.

(١٤٠) قد خسر وهلك الذين قتلوا أولادهم لضعف عقولهم وجهلهم، وحرّموا ما رزقهم الله كذباً على الله. قد بُعدوا عن الحق، وما كانوا

وَقَالُوا هَذِهِ أَهْلُكُمْ وَحَرِّمْ جَزْرًا لَّا يَنْطَعُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءَ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُوا بِظُهُورِهَا وَآفَعُوا لَّا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَيرَةٌ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّنَّهٗ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجَيرَةٌ بِهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ كَكَبِيرٍ عَلَيْهِمْ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّاتِ مُتَشَابِهًا وَغَيْرُ مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمَنْ أَلْغَمَ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

من أهل الهدى والرشاد. فالتحليل والتحریم من خصائص الألوهية في التشريع، والحلال ما أحله الله، والحرام ما حرّمه الله، وليس لأحد من خلقه فرداً كان أو جماعة أن يشرع لعباده ما لم يأذن به الله.

(١٤١) والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لكم بساتين: منها ما هو مرفوع عن الأرض كالأنعام، ومنها ما هو غير مرفوع، ولكنه قائم على سوقه كالنخل والزرع، متنوعاً طعمه، والزيتون والرمات متشابهاً منظره، ومختلفاً ثمره وطعمه. كلوا - أيها الناس - من ثمره إذا أثمر، وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم قطافه وحصاده، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك. إنه تعالى لا يحب المتجاوزين حدوده بإتفاق المال في غير وجهه.

(١٤٢) وأوجد من الأنعام ما هو مهياً للحمل عليه لكبره وارتفاعه كالإبل، ومنها ما هو مهياً لغير الحمل لصغره وقربه من الأرض كالبقرة والغنم، كلوا مما أباحه الله لكم وأعطاكموه من هذه الأنعام، ولا تحرموا ما أحل الله منها اتباعاً لطرق الشيطان، كما فعل المشركون. إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

(١٤٣) هذه الأنعام التي رزقها الله عباده من الإبل والبقر والغنم ثمانية أصناف: أربعة منها من الغنم، وهي الضأن ذكوراً وإناثاً، والمعز ذكوراً وإناثاً. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: هل حَرَّمَ الله الذكرين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا في ذلك؛ لأنهم لا يحرمون كل ذكر من الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّمَ الله الأثنين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضاً؛ لأنهم لا يحرمون كل أنثى من ولد الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّمَ الله ما اشتملت عليه أرحام الأثنين من الضأن والمعز من الحمل؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضاً؛ لأنهم لا يحرمون كل حَمْلٍ من ذلك، خبروني بعلم يدل على صحة ما ذهبتم إليه، إن كنتم صادقين فيما تنسبونه إلى ربكم.

(١٤٤) والأصناف الأربعة الأخرى: هي اثنان من الإبل ذكوراً وإناثاً، واثنان من البقر ذكوراً وإناثاً. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين:

أَحَرَّمَ اللهُ الذِّكْرَيْنِ أَمْ الْأُنثَيْنِ؟ أَمْ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ ذُكُوراً وَإِنَاثاً؟ أَمْ كَتَمْنَا بِهَا الْمُشْرِكُونَ حَاضِرِينَ، إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا التَّحْرِيمِ لِلْأُنْعَامِ؟ فَلَا أَحَدٌ أَشَدَّ ظُلْماً عَنِ اخْتِلَافٍ عَلَى اللهِ الْكَذِبُ؛ لِيَصْرَفَ النَّاسَ بِجَهْلِهِ عَنِ طَرِيقِ الْهُدَى. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَوْقِفُ لِلرُّشْدِ مَنْ تَجَاوَزَ حُدُودَهُ، فَكَذَبَ عَلَى رَبِّهِ، وَأَضَلَّ النَّاسَ.

(١٤٥) قل - أها الرسول-: إني لا أجد فيها أوحى الله إليّ شيئاً محرماً على من يأكله مما تذكرون أنه حُرِّمَ من الأنعام، إلا أن يكون قد مات بغير تذكية، أو يكون دماً مرقاً، أو يكون لحم خنزير فإنه نجس، أو الذي كانت ذكاته خروجاً عن طاعة الله تعالى؛ كما إذا كان المذبوح قد ذكر عليه اسم غير الله عند الذبح. فمن اضطر إلى الأكل من هذه المحرمات؛ بسبب الجوع الشديد غير طالب بأكله منها تلذذاً، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله تعالى غفور له، رحيم به. وقد ثبت -فيما بعد- بالسنة تحريم كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، والحمر الأهلية، والكلاب.

(١٤٦) واذكر -أيها الرسول- هؤلاء المشركين ما حَرَّمْنَا عَلَى الْيَهُودِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ: وَهُوَ كُلٌّ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ، وَشَحُومَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، إِلَّا مَا عَلِقَ مِنَ الشَّحْمِ بظهورها أو أوعانها، أو اختلط بعظم الألية والجنب ونحو ذلك. ذلك التحريم المذكور على اليهود عقوبة منَّا لهم بسبب أعمالهم السيئة، ولأنَّ لصادقون فيها أخبرنا به عنهم.

(١٤٧) فإن كذبك - أيها الرسول - مخالفك من المشركين واليهود، وغيرهم، فقل لهم: ربكم جل وعلا ذو رحمة واسعة، ولا يذفع عقابه عن القوم الذين أجرموا، فاكتمسوا الذنوب، واجترحوا السيئات. وفي هذا تهديد لهم لمخالفتهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١٤٨) سيقول الذين أشركوا: لو أراد الله أن لا نشرك - نحن وأبائنا - وأن لا نحرم شيئاً من دونه ما فعلنا ذلك، وردّ الله عليهم ببيان أن هذه الشبهة قد أثارها الكفار من قبلهم، وكذبوا بها دعوة رسلهم، واستمروا على ذلك، حتى نزل بهم عذاب الله. قل لهم - أيها الرسول -: هل عندكم - فيها حرّمتم من الأنعام والحلث، وفيها زعمتم من أن الله قد شاء لكم الكفر، ورضيه منكم وأحبه لكم - من علم صحيح فظهره لنا؟ إن تتبعون في أمور هذا الدين إلا مجرد الظن، وإن أنتم إلا تكذبون.

(١٤٩) قل - أيها الرسول - لهم: فله جل وعلا

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لِنَآءٍ نَّسْتَعِينُ إِلَّا الظَّنُّ وَإِن أَنتُم إِلَّا فَرَّصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَاتُم شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُهُمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْهِ كَيْفَ الْآتِشْرِكُوا بِهِمْ شَيْئًا وَلَا وَلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِنْمَانٍ تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

الحجة القاطعة التي يقطع بها ظنونكم، فلو شاء لوفّقكم جميعاً إلى طريق الاستقامة.

(١٥٠) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله تعالى هو الذي حرّم ما حرّمتم من الحلث والأنعام، فإن شهدوا - كذباً وزوراً - فلا تصدقهم، ولا توافق الذين حكموا أهواءهم، فكذبوا بآيات الله فيها ذهبوا إليه من تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ولا تتبع الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، والذين هم برهم يشركون فيعبدون معه غيره.

(١٥١) قل - أيها الرسول - لهم: تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم: أن لا تشركوا معه شيئاً من مخلوقاته في عبادته، بل اصرّفوا جميع أنواع العبادة له وحده، كالخوف والرجاء والدعاء، وغير ذلك، وأن تحسنوا إلى الوالدين بالبر والدعاء ونحو ذلك من الإحسان، ولا تقتلوا أولادكم من أجل فقر نزل بكم؛ فإن الله يرزقكم وإياهم، ولا تقربوا ما كان ظاهراً من كبير الآثام، وما كان خفياً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وذلك في حال القصاص من القاتل، أو الزنى بعد الإحصان، أو الردة عن الإسلام، ذلك المذكور مما نهاكم الله عنه، وعهد إليكم باجتنابه، ومما أمركم به، وصّاكم به ربكم؛ لعلكم تعقلون أوامرهم ونواهيهم.

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ وَالْقِسْطَ لِأَنْ تَكُلُوا نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ قَاعِدُوا وَلَوْ كُنْتُمْ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْتَدِ
اللَّهُ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ شَامَا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَلْقَاءُ
رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ
عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ
مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَجْرِ الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

(١٥٢) ولا تقربوا أيها الأوصياء مال من مات أبوه وهو صغير إلا بالخال التي تصلح بها أمواله ويتنفع بها، حتى يصل إلى سن البلوغ ويكون راشداً، فإذا بلغ ذلك فسلموا إليه ماله، وأوفوا الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء. وإذا بذلتم جهدكم فلا حرج عليكم فيما قد يكون من نقص، لا تكلف نفساً إلا وسعها. وإذا قلتم فتحروا في قولكم العدل دون ميل عن الحق في خبر أو شهادة أو حكم أو شفاعة، ولو كان الذي تعلق به القول ذا قرابة منكم، فلا تميلوا معه بغير حق، وأوفوا بها عهد الله به إليكم من الالتزام بشريعته. ذلكم المثلث عليكم من الأحكام، وصاكم به ربكم؛ رجاء أن تذكروا عاقبة أمركم.

(١٥٣) ومما وصاكم الله به أن هذا الإسلام هو طريق الله تعالى المستقيم فاسلكوه، ولا تسلكوا سبل الضلال، فتفرقكم وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم. ذلكم التوجه نحو الطريق المستقيم هو الذي وصاكم الله به؛ لتتقوا عذابه بفعل أو امره، واجتناب نواهيه.

(١٥٤) ثم قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إن الله تعالى هو الذي أتى موسى التوراة تماماً لنعمته على المحسنين من أهل ملته، وتفصيلاً لكل شيء من أمور دينهم، وهدى ودلالة على الطريق المستقيم ورحمة لهم؛ رجاء أن يصدقوا بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء، ويعملوا لذلك.

(١٥٥) وهذا القرآن كتاب أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خيره كثير فاتبعوه فيما يأمر به وينهى عنه، واتقوا الله أن تغالغوا له أمراً؛ رجاء أن ترحوا فتنجوا من عذابه، وتظفروا بشوابه.

(١٥٦) وأنزلنا هذا القرآن؛ لئلا تقولوا -يا كفار العرب-: إنها أنزل الكتاب من السماء على اليهود والنصارى، وقد كنا عن قراءة كتبهم في شغل، ونحن ليس لنا بها علم ولا معرفة.

(١٥٧) ولئلا تقولوا -أيها المشركون-: لو أنما أنزل علينا كتاب من السماء، كما أنزل على اليهود والنصارى، لكنا أشد استقامة على طريق الحق منهم، فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين، وذلك حجة واضحة من ربكم وإرشاد إلى طريق الحق، ورحمة لهذه الأمة. فلا أحد أشد ظليماً وعدواناً ممن كذب بحجج الله تعالى وأعرض عنها!! فهؤلاء المعرضون سنعاقبهم عقاباً شديداً في نار جهنم؛ بسبب إعراضهم عن آياتنا، وصدّهم عن سبيلنا.

(١٥٨) هل ينتظر الذين أعرضوا وصدّوا عن سبيل الله إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوّاهه لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك -أيها الرسول- للفصل بين عباده يوم القيامة، أو يأتي بعض أشرار الساعة وعلامتها الدالة على مجيئها، وهي طلوع الشمس من مغربها؟ فحين يكون ذلك لا ينفع نفساً إيمانها، إن لم تكن آمنت من قبل، ولا يقبل منها إن كانت مؤمنة كُتِبَ عمل صالح إن لم تكن عاملة به قبل ذلك. قل لهم -أيها الرسول-: انظروا مجيء ذلك؛ لتعلموا المحق من المبطّل، والمسيء من المحسن، إنّا منتظرون ذلك.

(١٥٩) إن الذين فَرَقُوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فِرْقاً وأحزاباً، إنك -أيها الرسول- برىء منهم، إننا حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

(١٦٠) من لقي ربه يوم القيامة بحسنة من الأعمال الصالحة فله عشر حسنات أمثالها، ومن

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَأِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِكَ رَبُّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَعْمَتَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُونَ إِنَّمَا تَمْتَرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِمَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُوَ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْبِرَ اللَّهُ أَمْرِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهَا تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة.

(١٦١) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم الموصل إلى جنته، وهو دين الإسلام القائم بأمر الدنيا والآخرة، وهو دين التوحيد دين إبراهيم عليه السلام، وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين مع الله غيره.

(١٦٢) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إن صلاتي، ونسكي، وأي ذبحي لله وحده، لا للأصنام، ولا للاموات، ولا للمجن، ولا لغير ذلك مما تذببحونه لغير الله، وعلى غير اسمه كما تفعلون، وحياتي وموتي لله تعالى رب العالمين.

(١٦٣) لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في أسماؤه وصفاته، وبذلك التوحيد الخالص أُمِرني ربي جل وعلا، وأنا أول من أقر وانقاد لله من هذه الأمة.

(١٦٤) قل -أيها الرسول-: أغير الله أطلب إلهاً، وهو خالق كل شيء ومالكة ومدبره؟ ولا يعمل أي إنسان عملاً سيئاً إلا كان إثم عليه، ولا تحمل نفس أثمة إنهم نفس أخرى، ثم إلى ربكم معادكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه من أمر الدين.

(١٦٥) والله سبحانه هو الذي جعلكم تختلفون من سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، واستخلفكم فيها؛ لتعلموها بعدهم بطاعة ربكم، ورفع بعضهم في الرزق والقوة فوق بعض درجات؛ ليلوكم فيها أعطاكم من نعمه، فيظهر للناس الشاكر من غيره. إن ربك سريع العقاب لمن كفر به وعصاه، وإنه لغفور رحيم.

به، والغفور الرحيم إسمان كريهان من أسماء الله الحسنى.

﴿سورة الأعراف﴾

(١) ﴿الْمَعْصُ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذا القرآن كتاب عظيم أنزله الله عليك -أيها الرسول- فلا يكن في صدرك شك منه في أنه أنزل من عند الله، ولا تتحرج في إبلاغه والإنذار به، أنزلناه إليك؛ لتخوف به الكافرين وتذكر المؤمنين.

(٣) اتبعوا -أيها الناس- ما أنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامتنال الأوامر واجتناب النواهي، ولا تتبعوا من دون الله أولياء كالشياطين والأخبار والرهبان. إنكم قليلاً ما تتعظون وتعتبرون، فترجعون إلى الحق.

(٤) وكثير من القرى أهلكتنا أهلها بسبب مخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة، فجاءهم عذابنا مرة وهم نائمون ليلاً، ومرة وهم نائمون نهاراً. وخصّ الله هذين الوقتين بالذكر؛ لأنها وقتان للسكون والاستراحة، فمجيء العذاب فيهما أفظع وأشد.

(٥) فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا الإقرار بالذنوب والإساءة، وأنهم حقيقون بالعذاب الذي نزل بهم.

(٦) فلنسألن الأمم الذين أرسل إليهم المرسلون: ماذا أجبتم رسلنا إليكم؟ ونسألن المرسلين عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعمّا أجابتهم به أمهم.

(٧) فلنقصن على الخلق كلهم ما عملوا بعلمنا لأعمالهم في الدنيا فيما أمرناهم به، وما نهيناهم عنه، وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال.

(٨) ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه، فمن ثقلت موازين أعماله -لكثرة حسناته- فأولئك هم الفائزون.

(٩) ومن خفّت موازين أعماله -لكثرة سيئاته- فأولئك هم الذين أصاعوا حظهم من رضوان الله تعالى؛ بسبب تجاوزهم الحد بجمد آيات الله تعالى وعدم الانقياد لها.

(١٠) ولقد مكنا لكم -أيها الناس- في الأرض، وجعلناها قراراً لكم، وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مطاعم ومشارب، ومع ذلك فشكركم لنعم الله قليل.

(١١) ولقد أنعمنا عليكم بخلق أصلكم -وهو أبوكم آدم من العدم- ثم صورناه على هيئته المفضلة على كثير من الخلق، ثم أمرنا ملائكتنا عليهم السلام بالسجود له -إكراماً واحتراماً وإظهاراً لفضل آدم- فسجدوا جميعاً، لكن إبليس الذي كان معهم لم يكن من الساجدين لأدم؛ حسداً له على هذا التكريم العظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَعْصُ ١ كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ ۖ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ ۚ أُولَٰئِكَ قَلِيلٌ ۚ مَّا نَذْكُرُونَ ٣ وَكَرِهْنَ قَوْلُهَا ۚ أَهْلَكَ نَهَا بَأْسًا تَيَسَّاتُ أَوْ هُمْ قَالُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٥ فَلَمَّا سَأَلْنَا الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَسْتَنَّا الْمُرْسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ٧ وَالْأَوَّلُ ۚ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ قُلْتُ مَوْزِينُهُ وَقَالَ لَيْتَ كُفْرُ الْمُفْلِحُونَ ٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ وَقَالَ لَيْتَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعَادٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ١١

(١٢) قال تعالى منكر ألى إبليس ترك السجود: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ فقال إبليس: أنا أفضل منه خلقاً؛ لأني مخلوق من نار، وهو مخلوق من طين. فرأى أن النار أشرف من الطين.

(١٣) قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة، فما يصح لك أن تكبر فيها، فخرج من الجنة، إنك من الذليلين الخقيرين.

(١٤) قال إبليس لله -جل وعلا- حينما يش من رحمة: أمهلني إلى يوم البعث، وذلك لأتمكن من إغواء من أقدر عليه من بني آدم.

(١٥) قال الله تعالى: إنك ممن كتب عليهم تأخير الأجل إلى النفخة الأولى في «القرن»، إذ يموت الخلق كلهم.

(١٦) قال إبليس لعنه الله: فبسبب ما أضللتني لأجتهد في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأصدتهم عن الإسلام الذي فطرهم عليه.

(١٧) ثم لأتيتهم من جميع الجهات والجوانب، فأصدهم عن الحق، وأحسن لهم الباطل، وأرغبهم في الدنيا، وأشكهم في الآخرة، ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك.

(١٨) قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعُثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفُتِنَهُنَّ لَهُمْ مِصْرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ فِي بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَحَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدَهُمْ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَبْعُوثًا لِمَنْ يَبْعَثُ عَنْهُمْ فَلَمَّا أَسْحَبُوا جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَادُّوا سَكَنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ إِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِيَّايَ لَكُمَا مِنَ النَّصِيحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا عَلَى عُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفَقَا يَنْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَذَاقَهُمَا رُطُوبَهَا فَرَأَاهُمَا كَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ يَلْكُمَا الشَّجَرَةَ وَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾

معموتاً مطروداً، لأملاً جهم منك ومن تبعك من بني آدم أجمعين.

(١٩) وبإذن آدم أسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكلما من ثمارها حيث شئتما، ولا تأكلا من ثمرة شجرة (عيناها)، فإن فعلتما ذلك كتبنا من الظالمين المتجاوزين حدود الله.

(٢٠) فألقى الشيطان لآدم وحواء وسوسة لإيقاعها في معصية الله تعالى بالأكل من تلك الشجرة التي نهاها الله عنها؛ لتكون عاقبتها انكشاف ما ستر من عوراتها، وقال لها في محاولة المكر بهما: إنها ناهكما ربكما عن الأكل من ثمر هذه الشجرة من أجل أن لا تكونا ملكين، ومن أجل أن لا تكونا من الخالدين في الجنة.

(٢١) وأقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لها في مشورته عليها بالأكل من الشجرة، وهو كاذب في ذلك.

(٢٢) فجرحها وغررها، فأكل من الشجرة التي نهاها الله عن الاقتراب منها، فلما أكل منها انكشفت لها عورتها، وزال ما سترها الله به قبل المخالفة، فأخذتا يلزقان بعض ورق الجنة على عورتها، وناداهما ربهما جل وعلا: ألم أنهماك عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة؟ وفي هذه الآية دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور، وأنه كان ولم يزل مستهجنًا في الطبائع، مستقبحاً في العقول.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّنَ تَقْوَىٰ لَنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
 تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيءَ آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
 لِبَاسًا يُبَازِي سَوَاءَ تَكُونُ رَيْشًا أَوْ لِبَاسًا لِلتَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ
 ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيءَ آدَمُ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ
 الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
 لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ
 حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَإِذَا قَعَلُوا فَجَسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَّأُوذُ اللَّهَ مِنْهَا
 يَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ
 ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ بِإِيْقَاسٍ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
 وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
 فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا
 الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

(٢٣) قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكـل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن ممن أضاعوا حظهم في دنياهم وأخرهم. وهذه الكلمات هي التي تلقاها آدم من ربه، فدعا بها فتاب الله عليه.

(٢٤) قال تعالى مخاطباً آدم وحواء وإبليس: اهبطوا من السماء إلى الأرض، وسيكون بعضكم لبعض عدوًّا، ولكم في الأرض مكان تستقرون فيه، وتتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

(٢٥) قال الله تعالى لأدم وحواء وذريتهما: فيها تحيون، أي: في الأرض تقضون أيام حياتكم الدنيا، وفيها تكون وفاتكم، ومنها يخرجكم ربكم، ويحشركم أحياء يوم البعث.

(٢٦) يا بني آدم قد جعلنا لكم لباساً يستر عورتكم، وهو لباس الضرورة، ولباساً للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعيم. ولباس تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن. ذلك الذي من الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وفضله ورحمته بعباده؛ لكي تتذكروا هذه النعم، فتشكروا الله عليها. وفي ذلك امتنان من الله تعالى على خلقه بهذه النعم.

(٢٧) يا بني آدم لا يخذعكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زينها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ينزع عنها لباسها الذي سترهما الله به؛ لتتكشف لها عوراتها. إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إننا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بهديه.

(٢٨) وإذا أتى الكفار قبيحاً من الفعل اعتذروا عن فعله بأنه مما ورثوه عن آبائهم، وأنه مما أمر الله به. قل لهم -أيها الرسول-: إن الله تعالى لا يأمر عباده بقبائح الأفعال ومساوئها، اتقوا الله، اتقوا الله، اتقوا الله -أيها المشركون- ما لا تعلمون كذباً وافتراءً؟

(٢٩) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أمر ربي بالعدل، وأمركم بأن تخلصوا له العبادة في كل موضع من مواضعها، وبخاصة في المساجد، وأن تدعوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وأن تؤمنوا بالبعث بعد الموت. وكما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى.

(٣٠) جعل الله عباده فريقين: فريقاً وفقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريقاً وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم؛ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فأطاعوهم جهلاً منهم، وظناً بأنهم قد سلكوا سبيل الهداية.

(٣١) يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لموراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك، وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك، إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب، وغير ذلك.

(٣٢) قل -أيها الرسول- هؤلاء الجهلة من المشركين: من الذي حرّم عليكم اللباس الحسن الذي جعله الله تعالى زينة لكم؟ ومن الذي حرّم عليكم التمتع بالحلال الطيب من رزق الله تعالى؟ قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إن ما أحله الله من الملابس والطيبات من المطاعم والمشارب حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشاركون فيها غيرهم، خالصة لهم يوم القيامة. مثل ذلك التفصيل يفصل الله الآيات لقوم يعلمون ما بيّن لهم، ويفقهون ما يميز لهم.

(٣٣) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إننا حرّموا الله القباح من الأعمال، ما كان منها ظاهراً، وما كان خفياً، وحرّم المعاصي كلها، ومن أعظمها الاعتداء على الناس، فإن ذلك

* يَنْبِئُ آدَمَ خَلُودَ وَزِينَتِهِ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَلَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُرْسَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَنْبِئُ آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكَ مَا يَنْبَغِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَتَأَلَّهُمْ نَصْبُهُمْ مِنْ أَلْحِبِّ سَخًى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَدْعُوهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنَّا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهُمْ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٧﴾

جانب للحق، وحرّم أن تعبدوا مع الله تعالى غيره مما لم يُنزّل به دليلاً وبرهاناً، فإنه لا حجة لفاعل ذلك، وحرّم أن تنسبوا إلى الله تعالى ما لم يشرع افتراءً وكذباً، كدعوى أن الله ولدأ، وتحريم بعض الحلال من الملابس والمأكّل.

(٣٤) ولكل جماعة اجتمعت على الكفر بالله تعالى وتكذيب رسله -عليهم الصلاة والسلام- وقت لحلول العقوبة بهم، فإذا جاء الوقت الذي وقّته الله لا هلاكهم لا يتأخرون عنه لحظة، ولا يتقدمون عليه.

(٣٥) يا بني آدم إذا جاءكم رسل من أقوامكم، يتلون عليكم آيات كتابي، ويبينون لكم البراهين على صدق ما جاؤكم به فأطيعوهم، فإنه من اتقى سخطي وأصلح عمله فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله تعالى، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٣٦) والكفار الذين كذبوا بالدلائل على توحيد الله، واستعلوا عن اتباعها، أولئك أصحاب النار ماكثين فيها، لا يخرجون منها أبداً.

(٣٧) لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله تعالى الكذب، أو كذب بآياته المنزلّة، أولئك يصل إليهم حطّهم من خير وشرّ في الدنيا مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يقبضون أرواحهم قالوا لهم: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الشركاء والأولياء والأوثان ليخلصوكم مما أنتم فيه؟ قالوا: ذهبوا عنا، واعتزفوا على أنفسهم حينئذ أنهم كانوا في الدنيا جاحدين مكذّبين وحدانية الله تعالى.

(٣٨) قال الله تعالى -هؤلاء المشركين المفترين-: ادخلوا النار في جملة جماعات من أمثالكم في الكفر، قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس، كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت نظيرتها التي ضلّت بالاقتراء بها، حتى إذا تلاحق في النار الأولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم جميعاً، قال الآخرون المتبعون في الدنيا لقادتهم: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق، فأتهم عذاباً مضاعفاً من النار، قال الله تعالى: لكل ضعف، أي: لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف من النار، ولكن لا تدركون أيها الأتباع ما لكل فريق منكم من العذاب والآلام.

(٣٩) وقال المتبوعون من الرؤساء وغيرهم لاتباعهم: نحن وأنتم متساوون في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب فلا فضل لكم علينا، قال الله تعالى لهم جميعاً: فدوقوا العذاب أي عذاب جهنم؛ بسبب ما كسبتم من المعاصي.

(٤٠) إن الكفار الذين لم يصدّقوا بحججنا وآياتنا الدالة على وحدانيتنا، ولم يعملوا بشرعنا تكبراً واستعلاء، لا تُفَتَّح لأعمالهم في الحياة ولا لأرواحهم عند المات أبواب السماء، ولا يمكن أن يدخل هؤلاء الكفار الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا مستحيل. ومثل ذلك الجزء نجزي الذين كثر إجرامهم، واشتدّ طغيانهم.

(٤١) هؤلاء الكفار مخلدون في النار، هم من جهنم فراش من تحتهم، ومن فوقهم أغطية تغشاهم. وبمثل هذا العقاب الشديد يعاقب الله تعالى الظالمين الذين تجاوزوا حدوده فكفروا به وعصوه.

(٤٢) والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة في حدود طاقاتهم -لا يكلف الله نفساً من الأعمال إلا ما نطق- أولئك أهل الجنة، هم فيها ما كانوا يأملون.

(٤٣) وأذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، ومن كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحت غرفهم ومنازلهم. وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم، وما كنا لنوفق إلى سلوك الطريق المستقيم لو لا أن هدانا الله سبحانه لسلك هذا الطريق، وفقنا للثبات عليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق من الإخبار بوعد أهل طاعته ووعيد أهل معصيته، وتوودوا تهتة لهم وإكراماً: أن تلکم الجنة أورثکم الله إياها برحمته، وبما قدّمتموه من الإيمان والعمل الصالح.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أَخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ لَاؤُلَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتَّخِذْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأَخْرِجْنَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاقُوا فِي سِرِّ الْجِلَاطِ وَكَذَلِكَ يُجْزَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَا ذُوقُوا فِي قُبُورِهِمْ وَعَوَّاشٍ وَكَذَلِكَ يُجْزَى الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَزَعَمْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تُجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِآلِهَاتٍ مُتَوَدِّعِينَ وَأَنْ تَلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُوقُونَ عِوَجَ مَا وَصَّاهُمْ بِالْآخِرَةِ كُفْرُونا ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَوْ يَدُّ حُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَعَلَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَنَا لَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَهْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ نَارَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَحَدَّثُونَ ﴿٥١﴾

(٤٤) ونادى أصحاب الجنة - بعد دخولهم فيها - أهل النار قائلين لهم: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على السنة رسله حقاً من إثابة أهل طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على السنة رسله حقاً من عقاب أهل معصيته؟ فأجابهم أهل النار قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. فأذن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار: أن لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، وكفروا بالله ورسله.

(٤٥) هؤلاء الكافرون هم الذين كانوا يُعْرِضُونَ عن طريق الله المستقيم، ويمنعون الناس من سلوكه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبينها أحد، وهم بالآخرة - وما فيها - جاحدون.

(٤٦) وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، كلباس وجوه أهل الجنة، وسواد وجوه أهل النار، وهؤلاء الرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى. ونادى رجال

الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم، وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يرجون دخولها.

(٤٧) وإذا حُوكَّتْ أَبْصَارُ رجال الأعراف جهة أهل النار قالوا: ربنا لا تُصَيِّرْنَا مع القوم الظالمين بشركم وكفرهم.

(٤٨) ونادى أهل الأعراف رجالاً من قادة الكفار الذين في النار، يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم، قالوا لهم: ما نفعكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا، وما نفعكم استعلاؤكم عن الإيمان بالله وقبول الحق.

(٤٩) هؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملمهم يوم القيامة برحمة، ولن يدخلهم الجنة؟ ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُيِّرَ لكم، لا خوف عليكم من عذاب الله، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

(٥٠) واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفِضُوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله من الطعام، فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَّمَ الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيدَه، وكذبوا رسله.

(٥١) الذين حَرَّمَهم الله تعالى من نعيم الآخرة هم الذين جعلوا الدين الذي أمرهم الله باتباعه لهواً وباطلاً، وخدعتهم الحياة الدنيا وشغلوا بزخارفها عن العمل للآخرة، فيوم القيامة ينسأهم الله تعالى ويتركهم في العذاب الموحج، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق.

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْغَمْرُ
يَقُولُ الَّذِينَ سَبَّوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلٌ بِالْحَقِّ
فَهَلْ لَّاتَمَنُّ شُفَعَاءَ قَدْ سَفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ لَيْلُ النَّهَارِ
يُظِلُّهُ وَحِيتَاءُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْكَوْمُ مُسَخَّرَاتٌ
بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾
أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ فتنفثُ بِهَا بُرْدًا مِّن رَّحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ سَحَابٌ نَّفَاثًا
سُقَّتْهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ آلَمَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الْمُتَرْتِّمِ كَذَلِكَ نُفِخُ فِي الْمَوْتِ الْعَلَمَ نَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾

(٥٢) ولقد جئنا الكفار بقرآن أنزلناه عليك -أيها الرسول- بيناه مشتملاً على علم عظيم، هادياً من الضلالة إلى الرشd ورحمة لقوم يؤمنون بالله ويعملون بشرعه. وخصهم بالذكر دون غيرهم؛ لأنهم هم المتفقون به.

(٥٣) هل ينتظر الكفار إلا ما وعدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم؟ يوم يأتي ما يؤول إليه الأمر من الحساب والثواب والعقاب يوم القيامة يقول الكفار الذين تركوا القرآن، وكفروا به في الحياة الدنيا: قد تبين لنا الآن أن رسل ربنا قد جاؤوا بالحق، ونصحوا لنا، فهل لنا من أصدقاء وشفعاء، فيشفعوا لنا عند ربنا، أو نعاد إلى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضي الله عنا؟ قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يعبدونه من دون الله، ويفترون في الدنيا ما يعبدونه به الشيطان.

(٥٤) إن ربكم -أيها الناس- هو الله الذي أوجد السموات والأرض من العدم في ستة أيام، ثم استوى -سبحانه- على العرش -أي:

-علا وارتفع- استواءً يليق بجلاله وعظمته، يُدخل سبحانه الليل على النهار، فيلبسه إياه حتى يذهب نوره، ويُدخل النهار على الليل فيذهب ظلامه، وكل واحد منهما يطلب الآخر سريعاً دائماً، وهو -سبحانه- الذي خلق الشمس والقمر والنجوم مذلللات له يسخرهن -سبحانه- كما يشاء، وهنّ من آيات الله العظيمة. ألا له سبحانه وتعالى الخلق كله وله الأمر كله، تعالى الله وتعاضم وتزه عن كل نقص، ربّ الخلق أجمعين.

(٥٥) ادعوا -أيها المؤمنون- ربكم متذللين له خفية وسراً، وليكن الدعاء بخشوع وتُغذ عن الرياء. إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه، وأعظم التجاوز الشرك بالله، كدعاء غير الله من الأموات والأوثان، ونحو ذلك.

(٥٦) ولا تُفسدوا في الأرض بأيّ نوع من أنواع الفساد، بعد إصلاح الله إياها بيعة الرسل -عليهم السلام- وعُمرانها بطاعة الله، وادعوه -سبحانه- مخلصين له الدعاء؛ خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه. إن رحمة الله قريب من المحسنين.

(٥٧) والله تعالى هو الذي يرسل الرياح الطيبة اللينة بمشرات بالغيث الذي تثيره بإذن الله، فيستبشر الخلق برحمة الله، حتى إذا حملت الرياح السحاب المحمل بالمطر ساقه الله بها لإحياء بلد، قد أجذبت أرضه، وبُست أشجاره وزرعه، فأنزل الله به المطر، فأخرج به الكلاً والأشجار والزرع، فعادت أشجاره محملة بأنواع الثمرات. كما تنحي هذا البلد الميت بالمطر نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم؛ لتعظوا، فتستدلوا على توحيد الله وقدرته على البعث.

وَالْبَلَدِ الظَّلِيمِ يُخْرِجُ بَنَاتِهِ يَادْنِ رَبِّهِهٗ وَالَّذِي حَبِثَ لَآخِزِهِ
 الْآثَرَ كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ الْقَوْمِ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
 لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
 قَالَ الْمَلَائِكَةُ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا
 لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
 أَتُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
 مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْحَيْتُ نَادِيَّ جَاءَ كُفْرًا مِنْ رَبِّكُمْ
 عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾
 فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ
 عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
 غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
 إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾
 قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

(٥٨) والأرض النقية إذا نزل عليها المطر تخرج نباتاً - ياذن الله ومشيتها - طيباً مسراً، وكذلك المؤمن إذا نزلت عليه آيات الله انتفع بها، وأثمرت فيه حياة صالحة، أما الأرض السبخة الرديئة فإنها لا تخرج النبات إلا عسراً رديئاً لا نفع فيه، ولا تخرج نباتاً طيباً، وكذلك الكافر لا يتنفع بآيات الله. مثل ذلك التنوع البديع في البيان نُسج الحجاج والبراهين لإثبات الحق لأناس يشكرون نعم الله، ويطيعونه.

(٥٩) لقد بعثنا نوحاً إلى قومه؛ ليدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وإخلاص العباداة له، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، واخضعوا له بالطاعة، ليس لكم من إله يستحق العباداة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العباداة، فإن لم تفعلوا وبقيتم على عبادة أوثانكم، فإني أخاف أن يحل عليكم عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم، وهو يوم القيامة.

(٦٠) قال له سادتهم وكبرؤاؤهم: إنا لنعتقد - يا نوح - أنك في ضلال بين عن طريق الصواب.

(٦١) قال نوح: يا قوم لست ضالاً في مسألة من

المسائل بوجه من الوجوه، ولكني رسول من رب العالمين ربي وربكم وجميع الخلق.

(٦٢) أبلغكم ما أرسلت به من ربي، وأنصح لكم محذراً لكم من عذاب الله ومبشراً بوابه، وأعلم من شريعته ما لا تعلمون.

(٦٣) وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بها فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوفكم بأس الله تعالى وعقابه، ولتتقوا بسخطه بالإيمان به، ورجاء أن تظفروا برحمته وجزيل ثوابه؟

(٦٤) فكذبوا نوحاً فأنجيناها ومن آمن معه في السفينة، وأغرقنا الكفار الذين كذبوا بحجبتنا الواضحة. إنهم كانوا عُمي القلوب عن رؤية الحق.

(٦٥) ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هوداً حين عبدوا الأوثان من دون الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العباداة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العباداة، أفلا تتقون عذاب الله وسخطه عليكم؟

(٦٦) قال الكبراء الذين كفروا من قوم هود: إنا لنعلم أنك بدعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا وعبادة الله وحده ناقص العقل، وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول.

(٦٧) قال هود: يا قوم ليس بي نقص في عقلي، ولكني رسول إليكم من رب الخلق أجمعين.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَلِمَاتٍ مِنْ رَبِّكَ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذِّنْكُمْ لِأَذْكَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَذَكَّرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنِيبْنَا بَعْدَ مَا بَعَدْنَا إِن كُنتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَذَابٌ أُنْزِلَ لَكُمْ فِي أَنْسَاءِ سَمَيْتُمْوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا تَزَلُ اللَّهُ يَهْمُ مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ قَدْ جِئْتُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ رِجْسٌ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرْكُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَةً فَاخَذَ كُفْرًا عَذَابُ إِلَيْهِ ﴿٧٢﴾

(٦٨) أبلِّغكم ما أرسلني به ربي إليكم، وأنا لكم - فيما دعوتكم إليه من توحيد الله والعمل بشريعته - ناصح، أمين على وحي الله تعالى.

(٦٩) وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوفكم بأس الله وعقابه؟ واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض من قبلكم من بعد ما أهلك قوم نوح، وزاد في أجسامكم قوة وضخامة، فاذكروا نعم الله الكثيرة عليكم؛ رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

(٧٠) قالت عاد هود عليه السلام: أدعوتنا لعبادة الله وحده وهجر عبادة الأصنام التي ورثنا عبادتها عن آبائنا؟ فأتانا بالعذاب الذي نخوفنا به إن كنت من أهل الصدق فيما تقول.

(٧١) قال هود لقومه: قد حلَّ بكم عذاب وغضب من ربكم جل وعلا، أتحادلوني في هذه الأصنام التي سميتوها آلهة أنتم وآباؤكم؟

ما نزل الله بها من حجة ولا برهان؛ لأنها مخلوقة لا تضر ولا تنفع، وإنما المعبود وحده هو الخالق سبحانه، فانتظروا نزول العذاب عليكم فإني منتظر معكم نزوله، وهذا غاية في التهديد والوعيد.

(٧٢) فوقع عذاب الله بإرسال الريح الشديدة عليهم، فأنجى الله هوداً والذين آمنوا معه برحمة عظيمة منه تعالى، وأهلك الكفار من قومه جميعاً ودمرهم عن آخرهم، وما كانوا مؤمنين لجمعهم بين التكذيب بآيات الله وترك العمل الصالح.

(٧٣) ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً ليمَّ عبدوا الأوثان من دون الله تعالى، فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلَّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، قد جئتكم بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه، إذ دعوت الله أمامكم، فأخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألتهم، فتركوها تأكل في أرض الله من المراعي، ولا تتعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب ذلك عذاب موجه.

وَأَذْكُرُ زُرَّاءَ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَنَوَّارَكُمْ
فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحَنُونَ
الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنْ صَلَاحًا أُرْسِلَ مِنْ رَبِّهِمْ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا أُرْسِلَ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا إِنَّا لَذِي
ءَ آمَنْتُمْ بِهِمْ كَفَرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُضْلِخُ آتِنَا بِمَا وَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جُثَيِّينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْنَ لَكَدًا أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَإِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَازِنٍ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

(٧٤) واذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعلكم
تُخَلَّفُونَ في الأرض من قبلكم، من بعد قبيلة
عاد، ومكن لكم في الأرض الطيبة تنزلونها،
فتبنون في سهولها البيوت العظيمة، وتحتون
من جبالها بيوتاً أخرى، فاذكروا يعم الله
عليكم، ولا تَسْعُوا في الأرض بالفساد.

(٧٥) قال السادة والكبراء من الذين استعلوا -
من قوم صالح - للمؤمنين الذين استضعفوا،
واستهانوا بهم: أتعلمون حقيقة أن صالحاً قد
أرسله الله إلينا؟ قال الذين آمنوا: إنا مصدقون
بما أرسله الله به، متبعون لشرعه.

(٧٦) قال الذين استعلوا: إنا بالذي صدقتم به
واتبعتموه من نبوة صالح جاحدون.

(٧٧) فنحروا الناقة استخفافاً منهم بوعيد
صالح، واستكبروا عن امتثال أمر ربهم، وقالوا
على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا
صالح اتنا بما تنوعنا به من العذاب، إن كنت
من رسل الله.

(٧٨) فأخذت الذين كفروا الزلزلة الشديدة التي خلعت قلوبهم، فأصبحوا في بلدهم هالكين، لاصقين بالأرض على
رُكَبِهِمْ ووجوههم، لم يُقِلَّتْ منهم أحد.

(٧٩) فأعرض صالح عليه السلام عن قومه - حين عقروا الناقة وحلَّ بهم الهلاك - وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني
ربي بإبلاغه من أمره ونهيه، وبَدَلْتُ لَكُمْ وسعي في التَّوْبَةِ والترهيب والنصح، ولكنكم لا تحبون الناصحين، فرددتهم
قوتهم، وأطعتم كل شيطان رجيم.

(٨٠) واذكر - أيها الرسول - لو طأ على السلام حين قال لقومه: أتفعلون الفعل المُنْكَرَةَ التي بلغت نهاية القبح؟ ما فعلها
ومن أحد قبلكم من المخلوقين.

(٨١) إنكم لتأتون الذكور في أبادرهم، شهوة منكم لذلك، غير مبالين بقبحها، تاركين الذي أحله الله لكم من نساءكم،
بل أنتم قوم متجاوزون لحدود الله في الإصراف. إن إتيان الذكور دون الإناث من الفواحش التي ابتدعها قوم لوط، ولم
يسبقهم بها أحد من الخلق.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْتَ لَبِظَةٌ رُوتَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَظَرُكُمْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقُومَ آبِدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَقَدْ جَاءَكُمْ تَكْوِينُ بَنِيكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَآذَكُمُ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَقًّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

(٨٢) وما كان جواب قوم لوط حين أنكر عليهم فعلهم الشنيع إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأهله من بلادكم؛ إنه ومن تبعه أناس ينتزهون عن إتيان أديار الرجال.

(٨٣) فأنجى الله لوطاً وأهله من العذاب حيث أمره بمغادرة ذلك البلد، إلا امرأته، فلأنها كانت من الهاكين الباقين في عذاب الله.

(٨٤) وعذب الله الكفار من قوم لوط بأن أنزل عليهم مطراً من الحجارة، وقلب بلادهم، فجعل عاليها سافلها، فانظر -أيها الرسول- كيف صارت عاقبة الذين اجترأوا على معاصي الله وكذبوا رسله.

(٨٥) ولقد أرسلنا إلى قبيلة «مدین» أخاهم شعيباً عليه السلام، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، قد جاءكم برهان من ربكم على صدق ما أدعوكم إليه، فادعوا للناس حقوقهم بإيفاء الكيل

والميزان، ولا تنقصوهم حقوقهم فتظلموهم، ولا تفسدوا في الأرض -بالكفر والظلم- بعد إصلاحها بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام. ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقيّ فيها دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله.

(٨٦) ولا تقعدوا بكل طريق تتوعدون الناس بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم، وتصدّون عن سبيل الله القويم من صدق به عز وجل، وعمل صالحاً، وتبغون سبيل الله أن تكون معوجة، وتميلونها اتباعاً لأهوائكم، وتفترون الناس عن اتباعها. واذكروا نعمة الله تعالى عليكم إذ كان عددكم قليلاً فكثركم، فأصبحتم أقوياء عزيزين، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض، وما حلّ بهم من الهلاك والدمار؟

(٨٧) وإن كان جماعة منكم صدّقوا بالذي أُرسلني الله به، وجماعة لم يصدّقوا بذلك، فانظروا أيها المكذوبون قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم حين يحلّ عليكم عذابه الذي أنذرتكم به. والله -جلّ وعلا- هو خير الحاكمين بين عباده.

(٨٨) قال السادة والكبراء من قوم شعيب الذين تكبروا عن الإيمان بالله واتباع رسوله شعيب عليه السلام: لنخرجنك يا شعيب ومن معك من المؤمنين من ديارنا، إلا إذا صرتم إلى ديننا، قال شعيب - منكرًا ومتعجبًا من قومه -: أتنايعكم على دينكم ولتكنم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلتها؟

(٨٩) وقال شعيب لقومه مستدركًا: قد اختلفنا على الله الكذب إن عُدنا إلى دينكم بعد أن أنقذنا الله منه، وليس لنا أن نتحول إلى غير دين ربنا إلا أن يشاء الله ربنا، وقد وسع ربنا كل شيء علمًا، فيعلم ما يصلح للعباد، على الله وحده اعتمادنا هداية ونصرة، ربنا أحكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

(٩٠) وقال السادة والكبراء المكذبون الرافضون لدعوة التوحيد إمعانًا في العتو والتمرد، محذرين من اتباع شعيب: لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذا لهاكون.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَعُودَنَّ فِيْ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ لَنَكَاكِهِنَّ ﴾ ٨٨ ﴿ فَيَاقُوتَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جِئْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا نَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ٨٩ ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴾ ٩٠ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴾ ٩١ ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَّمْ يَعْرِفُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ٩٢ ﴿ فَقَوْلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقُوتَا لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَصَحَّتْ لَكُمْ فِكْرِي فَكَيْفَ اسْتَأْنَسَى عَلَى قَوْمِي كَافِرِينَ ﴾ ٩٣ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ ٩٤ ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ سَأَلْنَا اللَّهَ وَالنَّارَ وَالسَّعِيرَ فَاقْضِ لَهُمْ نِعْمَةً وَهُمْ لَا شُعُورُونَ ﴾ ٩٥

(٩١) فأخذت قوم شعيب الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم صرعى ميّتين.

(٩٢) الذين كذبوا شعيبًا كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ولم يتمتعوا فيها، حيث استؤصلوا، فلم يبق لهم أثر، وأصابهم الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة.

(٩٣) فأعرض شعيب عنهم حينما أيقن بحلول العذاب بهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم بالدخول في دين الله والإقلاع عما أنتم عليه، فلم تسمعوا ولم تطيعوا، فكيف أحنن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسله؟ (٩٤) وما أرسَلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عما هم فيه من الشرك، فكذبهم قومه، إلا ابتليناهم بالبأساء والضراء، فأصابتهم في أبدانهم بالأمراض والأسقام، وفي أموالهم بالفقر والحاجة؛ رجاء أن يستكينوا، وينيبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الحق.

(٩٥) ثم بدلنا الحالة الطبية الأولى مكان الحالة السيئة، فأصبحوا في عافية في أبدانهم، وسعة ورخاء في أموالهم؛ إمهالًا لهم، ولعلهم يشكرون، فلم يُعِد معهم كل ذلك، ولم يعتبروا عما هم فيه، وقالوا: هذه عادة الدهر في أهلنا، يوم خير ويوم شر، وهو ما جرى لأبائنا من قبل، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم آمنون، لا يختر لهم الهلاك على بال.

وَأَوَّاهْلَ الْقُرَىٰ ءَامُوا وَأَتَقُوا لَٰفِتْحَتَا عَلَيَّهِمْ بَرَكَاتٍ
 مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
 بَيِّنَاتٌ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَوَّاهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 بَأْسُنَا صُحْحَىٰ وَهُمْ يَقْلُبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ
 فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ
 لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ
 أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
 ﴿١٠٠﴾ ذَلِكَ الْقُرْآنُ نَقَضَ عَلَيْهِ مِنَ آيَاتِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
 رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ
 قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
 لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾
 ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(٩٦) ولو أنَّ أهل القرى صدّقوا رسولهم
 واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح
 الله لهم أبواب الخير من كل وجه، ولكنهم كذبوا،
 فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم
 ومعاصيهم.

(٩٧) أيظن أهل القرى أنهم في منجاة ومأمن
 من عذاب الله، أن يأتيهم ليلاً وهم نائمون؟
 (٩٨) أو آمن أهل القرى أن يأتيهم عذاب الله
 وقت الضحى، وهم غافلون متشاغلون بأمور
 دنياهم؟ وخصَّ الله هذين الوقتين بالذكر؛ لأن
 الإنسان يكون أغفل ما يكون فيها، فمجيء
 العذاب فيها أفظع وأشد.

(٩٩) أفأمن أهل القرى المكذبة مكر الله
 وإمهاله لهم؛ استدراجاً لهم بما أنعم عليهم في
 دنياهم عقوبة لمكرهم؟ فلا يأمن مكر الله إلا
 القوم الهالكون.

(١٠٠) أولم يبين للذين سكنوا الأرض من بعد
 إهلاك أهلها السابقين بسبب معاصيهم، فساروا
 سيرتهم، أن لو نشاء أصبناهم بسبب ذنوبهم كما
 فعلنا بأسلافهم، ونختم على قلوبهم، فلا يدخلها
 الحق، ولا يسمعون موعظة ولا تذكيراً؟

(١٠١) تلك القرى التي تقدّم ذكرها، وهي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نقض عليك -أيها الرسول-
 من أخبارها، وما كان من أمر رسل الله التي أرسلت إليهم، ما يحصل به عبرة للمعتبرين وازدجار للظالمين. ولقد جاءت
 أهل القرى رسلنا بالحجج البينات على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا بها جاءتهم به الرسل؛ بسبب طغيانهم وتكذيبهم بالحق،
 ومثل حُصْنِ الله على قلوب هؤلاء الكافرين المذكورين يجثم الله على قلوب الكافرين بمحمد صلى الله عليه وسلم.
 (١٠٢) وما وجدنا لأكثر الأمم الماضية من أمانة ولا وفاء بالعهد، وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة الله وامتنال أمره.
 (١٠٣) ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذكرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه، فجددوا وكفروا بها
 ظلماً منهم وعناداً، فانظر -أيها الرسول- متبصراً كيف فعلنا بهم وأغرقتهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه؟ وتلك
 نهاية المفسدين.

(١٠٤) وقال موسى لفرعون عاوداً مبلغاً: إني رسول من الله خالق الخلق أجمعين، ومدبر أحوالهم ومآلهم.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنْتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِّلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذِهِ السَّحَرَةُ
عَلَيْكُمْ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَهَذَا تَأْمُرُونَ
﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنِجْهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا أَيُّهَا
يَسْكُلُ سَجَرٍ عَلَيْهِمْ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأُخْرًا إِن كُنْتُمْ لَغَالِيِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّي أَخَافُ
لِمَنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا لَيَمْسُوكَ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنُفُّكَ
وَلَمَّا نَأْتِيكَ فَتَكُونَ مِنَ الْمَكْسُوفِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْنَا لَمَّا اسَّحَرْنَا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَكَ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿١١٧﴾ فَوَقَّعَ السَّحَرُ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَقِيلُوا
هَٰذَا كَذِبٌ وَأَنْتُمْ لَبَوَّابُونَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

(١٠٥) جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق،
وحري بي أن ألتزمه، قد جئتكم ببرهان وحيه
باهرة من ربكم على صدق ما أذكره لكم،
فأطلق -يا فرعون- معي بنسي إسرائيل من
أسرك وقهرك، وخلّ سبيلهم لعبادة الله.

(١٠٦) قال فرعون لموسى: إن كنت جئت بآية
حسب زعمك فأنتي بها، وأحضرها عندي؛
لتصحّ دعواك وثبت صدقك، إن كنت صادقاً
فميا أذعيت أنك رسول رب العالمين.

(١٠٧) فألقى موسى عصاه، فتحولت حيّة
عظيمة ظاهرة للعيان.

(١٠٨) وجذب يده من فتحة قميصه المفتوحة
إلى الصدر أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء
كاللبن من غير برص آية لفرعون، فإذا ردّها
عادت إلى لونها الأول، كسائر بدنه.

(١٠٩) قال الأشراف من قوم فرعون: إن موسى
لساحر يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم، حتى
يخيّل إليهم أن العصا حيّة، والثيء بخلاف ما
هو عليه، وهو واسع العلم بالسحر ماهر به.

(١١٠) يريد أن يخرجكم جميعاً من أرضكم، قال
فرعون: فبماذا تشيرون عليّ أيها الملاّفي أمر موسى؟

(١١١) قال من حضر مناظرة موسى من سادة قوم فرعون وكبرائهم: أخر موسى وأخاه هارون، وأبعث في مدائن «مصر»
وأقاليمها الشرط.

(١١٢) ليجمعوا لك كل ساحر واسع العلم بالسحر.

(١١٣) وجاء السحرة فرعون قالوا: أثنت لنا لجائزة ومالاً إن غلبنا موسى؟

(١١٤) قال فرعون: نعم لكم الأجر والقرب مني إن غلبتموه.

(١١٥) قال سحرة فرعون لموسى على سبيل التكرير وعدم المبالاة: يا موسى اختر أن تلقى عصاك أولاً، أو تلقى نحن أولاً.

(١١٦) قال موسى للسحرة: ألقوا أنتم، فلما ألقوا الحبال والعصيّ سحروا أعين الناس، فخيّل إلى الأبصار أن ما فعلوه
حقيقة، ولم يكن إلا مجرد صنع وخيال، وأرهبوا الناس إرهاباً شديداً، وجاؤوا بسحر قوي كثير.

(١١٧) وأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرّق الله فيه بين الحق والباطل،
بأمره بأن يُلقى ما في يمينه وهي عصاه، فألقاها فإذا هي تبلع ما يلقونه، ويوهمون الناس أنه حق وهو باطل.

(١١٨) فظهر الحق واستبان لمن شهدده وحضره في أمر موسى عليه السلام، وأنه رسول الله يدعو إلى الحق، وبطل الكذب
الذي كانوا يعملونه.

(١١٩) فغلب جميع السحرة في مكان اجتماعهم، وانصرف فرعون وقومه أدلاء مقهورين مغلوبين.

(١٢٠) وحزّ السحرة سجداً على وجوههم لله رب العالمين لما عاينوا من عظيم قدرة الله.

(١٢١) قالوا: أئنا برب العالمين.

(١٢٢) وهو رب موسى وهارون، وهو الذي يجب أن تصرف له العبادة وحده دون من سواه.

(١٢٣) قال فرعون للسحرة: أمتم بالله قبل أن أذن لكم بالإيمان به؟ إن إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى وإفراكم بنوته خيلة احتلتموها أنتم وموسى؛ لتخرجوا أهل مدينتكم منها، وتكونوا المستأثرين بخيراتها، فسوف تعلمون -أيها السحرة- ما يحل بكم من العذاب والנקال.

(١٢٤) لأقطعن أيديكم وأرجلكم -أيها السحرة- من خلاف: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى، ثم لأعلقنكم جميعاً على جذوع النخل؛ تنكيلاً بكم وإرهاباً للناس.

(١٢٥) قال السحرة لفرعون: قد تحققنا أننا إلى الله راجعون، وأن عذابه أشد من عذابك، فلنصبرن اليوم على عذابك، لننجو من عذاب الله يوم القيامة.

(١٢٦) ولست تعيب منا وتذكر -يا فرعون- إلا إيماننا وتصديقنا بحجج ربنا وأدله التي جاء بها موسى ولا تقدر على مثلها أنت ولا أحد آخر سوى الله الذي له ملك السموات والأرض، ربنا أفض صبراً عظيماً وثباتاً عليه، وتوفناً متقادين لأمرك متبعين رسولك.

(١٢٧) وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون: أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا الناس في أرض مصر بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادتك وعبادة ألهتك؟ قال فرعون: سنقتل أبناء بني إسرائيل ونستبقي نساءهم أحياء للخدمة، وإننا عالون عليهم بقهر الملوك والسلاطين.

(١٢٨) قال موسى لقومه -من بني إسرائيل-: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على ما نالكم من فرعون من المكاره في أنفسكم وأبنائكم. إن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله ففعل أوامره واجتنب نواهيه.

(١٢٩) قال قوم موسى -من بني إسرائيل- لنبيهم موسى: ابتلينا وأوذينا بذبح أبنائنا واستحياء نساتنا على يد فرعون وقومه، من قبل أن تأتينا، ومن بعد ما جئنا، قال موسى لهم: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويستخلفكم في أرضهم بعد هلاكهم، فينظر كيف تعملون، هل تشكرون أو تكفرون؟

(١٣٠) ولقد ابتلينا فرعون وقومه بالقمح والجدب، ونقص ثمارهم وغلاتهم؛ ليتذكروا، وينتجروا عن ضلالاتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.

قَالُوا أئْمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فَرَعُونَ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قُلْ أَنَا أَدْنَى لَكُمْ إِنَّ هَذَا الْمَكْرُ مَكْرُكُمْ فِي الْمَدِينَةِ لَشِرْذِمَةً أَلْهَمَهَا فِئْسَ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْصِيَنَّكُمْ أجمعين ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَٰهِنَا مُنْقَلَبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنَّا ءَأْمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفَرَجَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُنَا وَيَوْمَهُ وَلِيْقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَدَّلَكَ ءَآلَهُمْ قَالَتْ سُنَّيْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي سَنَاجِيءُ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَتْ مُوسَى اقْصِي قَوْمَكَ أَتَسْتَبْسِئُونَ بِآلِهِمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوِذْنًا بِمَنْ قِيلَ أَن تَأْتِيَنَا وَنُجَدِّدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾

فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ
بَاطِلَةٌ أَوْ يَمُوتُوا وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا أَلَمَاطِيرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ
مِنْ آيَةٍ لِنُشْخَرَنَّ بِهَا فَتَمُوتَنَّا كَمَا مَاتَ آبَاؤُنَا وَمَنْ كَانَ
عَلَيْهِمُ الظُّلْفُوفَانِ وَالْجَرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالْذَّمَّةُ
آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٢﴾
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجُّ قَالُوا إِنَّهُمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجَّ لَنُؤْمِنَنَّ بِكَ
وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٣﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الرِّجَّ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِلُغْوِهِ إِذَا هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٣٤﴾ فَانْتَقَمْنَا
مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
غَافِلِينَ ﴿١٣٥﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ
مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا
مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٦﴾

(١٣١) فإذا جاء فرعون وقومه الخصب والرزق قالوا: هذا لنا بما نستحقه، وإن يصيبهم جذب وقحط يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومن معه. ألا إن ما يصيبهم من الجذب والقحط إنما هو بقضاء الله وقدره، وبسبب ذنوبهم وكفرهم، ولكن أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك؛ لانغارهم في الجهل والضلال. (١٣٢) وقال قوم فرعون لموسى: أي آية تأتينا بها، ودلالة وحجة أقمتها لتصرفنا عما نحن عليه من دين فرعون، فما نحن لك بمصدقين. (١٣٣) فأرسلنا عليهم سيلاً جارفاً أغرق الزروع والثمار، وأرسلنا الجراد، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم، وأرسلنا القمل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات، وأرسلنا الضفادع فملأت آياتهم وأطعمتهم ومضاجعهم، وأرسلنا أيضاً الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دماً، ولم يجدوا ماء صالحاً للشرب، هذه آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره، مفرقات بعضها عن بعض، ومع كل هذا ترفع قوم فرعون، فاستكبروا عن الإيمان بالله، وكانوا قوماً يعملون بما ينهى الله

عنه من المعاصي والفسق عتواً وتمرداً.

(١٣٤) ولما نزل العذاب على فرعون وقومه فزعوا إلى موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما أوحى به إليك من رفع العذاب بالتوبة، لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنصدقن بما جئت به، ونتبع ما دعوت إليه، ولنطلقن معك بني إسرائيل، فلا نمنعهم من أن يذهبوا حيث شاءوا.

(١٣٥) فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزل بهم إلى أجل هم بالغوه لا بحالة فيعذبون فيه، لا يفهمهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله، إذا هم يتقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم.

(١٣٦) فانتقمنا منهم حين جاء أجل المحدد لإهلاكهم، وذلك بإحلال نعمتنا عليهم، وهي إغراقهم في البحر؛ بسبب تكذيبهم بالمعجزات التي ظهرت على يد موسى، وكانوا عن هذه المعجزات غافلين، وتلك الغفلة هي سبب التكذيب.

(١٣٧) وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستذلون للخدمة، مشارق الأرض ومغاربها (وهي بلاد «الشام») التي باركتنا فيها، بإخراج الزروع والثمار والأنهار، وتمت كلمة ربك -أيها الرسول- الحسنى على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض؛ بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وغير ذلك.

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ يَلَّ الْأَحْصَارَ فَأَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ عَفْوَ
عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا لِمَ نُمَسِّحُ بِأَعْيُنِنَا لَهَا كَمَا
لَهُمُ الْهَيْهَاتَ قَالُوا إِنَّا كُفِرْتُمْ فَتَبْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُدْمِرٌ
مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْبِرْ اللَّهُ
أَبْعِيكُمْ إِلَهُهَا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا
مُوسَىٰ إِنْ لَّيْسَ لَكَ الْفِرْعَوْنُ يَسُومُونَكَ سَاءَ الْعَذَابُ يُقَالُونَ
أَبْنَاءُكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَزَعْنَا مِيقَاتُ رَيْثِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ وَقَالَ رَبِّ أَرِنِي الْآيَاتِ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَٰكِن
أُنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا
تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَبُعًا فَلَمَّا
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

(١٣٨) وَقَطَعْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ، فَمَرُّوا عَلَى قَوْمٍ يَقِيمُونَ وَيُؤْطُونَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ، قَالَ بَنُو إِسْرَءِيلَ: اجْعَلْ لَنَا يَا مُوسَىٰ صَنَمًا نَعْبُدُهُ وَنَتَّخِذُهُ إِلَهًا، كَمَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَفْعَلُونَ، قَالَ مُوسَىٰ لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ تَجْهَلُونَ عِظَمَةَ اللَّهِ، وَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

(١٣٩) إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُقِيمِينَ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَامِ مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ، وَمَدْمَرٌ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لِتِلْكَ الْأَصْنَامِ، الَّتِي لَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ.

(١٤٠) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: أَغْبِرِ اللَّهُ أَطْلُبْ لَكُمْ مَعْبُودًا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَفَضَّلَكُمْ عَلَى عَالَمِي زَمَانِكُمْ بِكَثْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِيكُمْ، وَإِهْلَاكِ عَدُوِّكُمْ، وَمَا خَصَّكُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ؟

(١٤١) وَاذْكُرُوا - يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ - نِعْمَنَا عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْقَذْنَاكُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ، وَمَا

كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْهَوَانِ وَالذَّلَّةِ مِنْ تَذْيِيقِ أَبْنَائِكُمْ وَاسْتِبْقَاءِ نِسَائِكُمْ لِلْخِدْمَةِ وَالْإِمْتِهَانِ، وَفِي تَحْلِيكِكُمْ عَلَى أَقْبَحِ الْعَذَابِ وَأَسْوَأِهِ، ثُمَّ إِنْجَائِكُمْ، اخْتِبَارَ مِنْ اللَّهِ لَكُمْ وَنِعْمَةً عَظِيمَةً.

(١٤٢) وَوَعَدْنَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُوسَىٰ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ زَادَهُ فِي الْأَجْلِ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَتَمَّ مَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لِمُوسَىٰ لِتَكْلِيمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ - حِينَ أَرَادَ الْمَضِيَّ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ -: كُنْ خَلِيفَتِي فِي قَوْمِي حَتَّى أَرْجِعَ، وَاجْتَلِبْهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَلَا تَتَّبِعْ طَرِيقَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ.

(١٤٣) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدُودِ وَهُوَ تَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ بِمَا كَلَّمَهُ مِنْ وَحْيِهِ وَأَمْرِهِ وَنَبِيهِ، طَمَعُ فِي رُؤْيَا اللَّهِ فَطَلَبَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: لَنْ تَرَانِي، أَيْ: لَنْ تَقْدَرَ عَلَى رُؤْيَايَ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ إِذَا تَجَلَّى لَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا مُسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَىٰ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَتِهِ قَالَ: تَزَيَّيْتُ بِكَ يَا رَبِّ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِكَ، إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَسْأَلَتِي بِإِيَّاكَ الرُّؤْيَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ قَوْمِي.

(١٤٤) قال الله يا موسى: إني اخترتك على الناس برسالاتي إلى خلقي الذين أرسلتك إليهم وبكلامي إياك من غير واسطة، فخذ ما أعطيتك من أمري ونهيي، وتمسك به، واعمل به، وكن من الشاكرين لله تعالى على ما آتاك من رسالته، وخصك بكلامه.

(١٤٥) وكتبنا لموسى في التوراة من كل ما يحتاج إليه في دينه من الأحكام، موعظة للازدجار والاعتبار وتفصيلاً لتكاليف الحلال والحرام والأمر والنهي والقصص والعقائد والأخبار والمغيبات، قال الله له: فخذها بقوة، أي: خذ التوراة بجد واجتهاد، وأمر قومك يعملوا بما شرع الله فيها؛ فإن من أشرك منهم ومن غيرهم فإني سأريه في الآخرة دار الفاسقين، وهي نار الله التي أعدنا لأعدائه الخارجين عن طاعته.

(١٤٦) سأصرف عن فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشرعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، والمتكبرين على الناس

قَالَ يٰمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَى
فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُ فِي الْأَلْوَامِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَاخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَةِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآةً لَّا يُؤْمِنُوهَا
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الْفِتْنِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَسُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُمْ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سَوَّطُ فِي آيَاتِهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قُلُوبَ الْوَالِدِينَ
لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

بغير الحق، فلا يتبعون نبياً ولا يصغون إليه لتكبرهم، وإن يَرَوْا هؤلاء المتكبرون عن الإيمان كل آية لا يؤمنوا بها؛ لإعراضهم ومحادتهم لله ورسوله، وإن يروا طريق الصلاح لا يتخذوه طريقاً، وإن يروا طريق الضلال، أي الكفر يتخذوه طريقاً وديناً؛ وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عن النظر فيها والتفكير في دلالاتها.

(١٤٧) والذين كذبوا بآيات الله وحججه وبلقاء الله في الآخرة حبطت أعمالهم؛ بسبب قفد شرطها، وهو الإيمان بالله والتصديق بجزائه، ما يجزون في الآخرة إلا جزء ما كانوا يعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي، وهو الخلود في النار.

(١٤٨) واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقتهم ماضياً لناجاة ربه معبوداً من ذهبهم عِجْلاً جَسَداً بلا روح، له صوت، ألم يعلموا أنه لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير؟ أقدموا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع، وكانوا ظالمين لأنفسهم واضعين الشيء في غير موضعه.

(١٤٩) ولما ندم الذين عبدوا العجل من دون الله عند رجوع موسى إليهم، ورأوا أنهم قد ضلُّوا عن قصد السبيل، وذهبوا عن دين الله، أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار، فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا، ويستر بها ذنوبنا، لنكونن من الهالكين الذين ذهبت أعمالهم.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا حَلَفْتُمْ
مِنْ بَعْدِي أَفَعِلْتُمْ أَمْرًا رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ هَارُونَ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا
يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِزْ بِهِ الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ
غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾
وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي شَحْنِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى
قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ
رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُهُمْ بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنَّهُمْ يَافِقُونَ ﴿١٥٥﴾ إِذَا فُتِنَتْكُمُ نَفْسٌ مِنْ نَفْسِهِ وَتَقَدَّرَ
مِنْ نَفْسِهِ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَبِيرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٦﴾

(١٥٠) ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل غضبان حزيناً لأن الله قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامري قد أضلهم، قال موسى: بنس الخلافة التي خلفتموني من بعدي، أعجلتم أم ربيكم؟ أي: أستعجلتم بجيئي إليكم وهو مقدر من الله تعالى؟ وألقى موسى الألواح التوراة غضباً على قومه الذين عبدوا العجل، وغضباً على أخيه هارون، وأمسك برأس أخيه يجره إليه، قال هارون مستعظفاً: يا بن أُمي: إن القوم استذلوني وعدوني ضعيفاً وقاربوا أن يقتلوني، فلا تسر الأعداء بما فعل بي، ولا تجعلني في غضبك مع القوم الذين خالفوا أمرك وعبدوا العجل.

(١٥١) قال موسى لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يفرط فيما كان عليه من أمر الله: رب اغفر لي غصبي، واغفر لأخي ما سبق بينه وبين بني إسرائيل، وأدخلنا في رحمتك الواسعة، فإنك أرحم بنا من كل راحم.

(١٥٢) إن الذين اتخذوا العجل إلهاً سيئاً لهم غضب شديد من ربهم وهوان في الحياة الدنيا؛

بسبب كفرهم بربهم، وكما فعلنا هؤلاء نفعل بالمفترين المبتدعين في دين الله، فكل صاحب بدعة ذليل.

(١٥٣) والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي، ثم رجعوا من بعد فعلها إلى الإيمان والعمل الصالح، إن ربك من بعد التوبة النصوح لَغَفُورٌ لِعَمَلِهِمْ غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين.

(١٥٤) ولما سكت عن موسى غضبه أخذ الألواح بعد أن ألقاها على الأرض، وفيها بيان للحق ورحمة للذين يخافون الله، ويخشون عقابه.

(١٥٥) واختار موسى من قومه سبعين رجلاً من خيارهم، وخرج بهم إلى طور «سيناء» للوقت والأجل الذي واعدته الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة عما كان من سفهاء بني إسرائيل من عبادة العجل، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك - يا موسى - حتى نرى الله جهره فإنك قد كلمته فأرنا، فأخذتهم الزلزلة الشديدة فهاؤوا، فقام موسى يتضرع إلى الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلك خيارهم؟ لو شئت أهلكتهم جميعاً من قبل هذا الحال وأنا معهم، فإن ذلك أخف عليّ، أهلكنا بما فعله سفهاء الأحلام منا؟ ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم العجل إلا ابتلاء واختبار، تضل بها من تشاء من خلقك، وتهدى بها من تشاء هدايته، أنت ولينا وناصرنا، فاغفر ذنوبنا، وارحنا برحمتك، وأنت خير من صفح عن جرم، وستر عن ذنب.

وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
 إِنَّا هَذَا بِالْبَلَدِ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوءًا عِنْدَهُمْ
 فِي الثَّنَاءِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
 عَنِ الْمُنْكَرِ يُجِزِلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
 الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
 عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
 النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
 قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
 لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَنْ
 قَوْمُ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

(١٥٦) واجعلنا من كتبك له الصالحات من
 الأعمال في الدنيا وفي الآخرة، إنا رجعنا تأتين
 إليك، قال الله تعالى لموسى: عذابي أصيب به من
 أشاء من خلقي، كما أصيبت هؤلاء الذين أصبتهم
 من قومك، ورحمتي وسعت خلقي كلهم،
 فسأكتبها للذين يخافون الله، ويخشون عقابه،
 فيؤدون فرائضه، ويجتنبون معاصيه، والذين
 هم بدلائل التوحيد وبراهينه يصدقون.

(١٥٧) هذه الرحمة سأكتبها للذين يخافون الله
 ويجتنبون معاصيه، ويتبعون الرسول النبي الأمي
 الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو محمد صلى الله
 عليه وسلم، الذي يجدون صفته وأمره مكتوبين
 عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالتوحيد
 والطاعة وكل ما عرف حسنه، وينهاهم عن
 الشرك والمعصية وكل ما عرف قبحه، ويُجِزِلُ
 لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والمناكح،
 ويُحَرِّمُ عليهم الخبائث منها كلعنم الخنزير، وما
 كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي
 حرّمها الله، ويذهب عنهم ما كُلّفوه من الأمور
 الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب،

وإحراق الغنائم، والقصاص حتماً من القاتل عمداً كان القتل أم خطأ، فالذين صدّقوا بالنبي الأمي محمد صلى الله عليه
 وسلم وأقروا بنبوته، ووقروه وعظموه ونصروه، واتبعوا القرآن المنزل عليه، وعملوا بسنته، أولئك هم الفائزون بها وعد
 الله به عباده المؤمنين.

(١٥٨) قل -أيها الرسول- للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض، الذي له ملك السموات
 والأرض وما فيها، لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق وإفنائهم وبعثه، فصدّقوا
 بالله وأقروا بوحدانيته، وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي الذي يؤمن بالله وما أنزل إليه من ربه
 وما أنزل على النبيين من قبله، واتبعوا هذا الرسول، والتزموا العمل بما أمركم به من طاعة الله؛ رجاء أن توفقوا إلى
 الطريق المستقيم.

(١٥٩) ومن بني إسرائيل من قوم موسى جماعة يستقيمون على الحق، يهدون الناس به، ويعدلون به في الحكم
 في قضاياهم.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَشْنَىٰ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهُمُ الْغَمَمَ ۖ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَالسَّلْوَىٰ ۚ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٥﴾
 وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ ۖ سَيَزِيدُكُمْ سَيِّدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٦﴾
 فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾
 وَنَسَلْنَاهُمْ فِي الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٨﴾

(١٦٥) وقرعنا قوم موسى من بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة بعدد الأسباط - وهم أبناء يعقوب - كل قبيلة معروفة من جهة نقيها. وأوحينا إلى موسى إذ طلب منه قومه السقيا حين عطشوا في التيه: أن اضرب بعصاك الحجر، فضر به فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من الماء، قد علمت كل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة مشربهم، لا تدخل قبيلة على غيرها في شربها، وظللنا عليهم السحاب، وأنزلنا عليهم المن - وهو شيء يشبه الصمغ، طعمه كالعسل - والسلوى، وهو طائر يشبه السمائي، وقلنا لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، فكروها ذلك وملوه من طول المداومة عليه، وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير. وما ظلمونا حين لم يشكروا لله، ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ إذ قوتوا عليها كل خير، وعرضوها للشر والنقمة.

(١٦٦) واذكر - أيها الرسول - عصيان بني إسرائيل لربهم سبحانه وتعالى ولنبينهم موسى عليه السلام، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: اسكنوا قرية «بيت

المقدس»، وكلوا من ثمارها وجوبها ونباتها أين شئتم ومتى شئتم، وقولوا: حط عنا ذنوبنا، وادخلوا الباب خاضعين لله، نغفر لكم خطاياكم، فلا تؤاخذكم عليها، وسنزيد المحسنين من خير الدنيا والآخرة.

(١٦٧) فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة، فأرسلنا عليهم عذابا من السماء، أهلكناهم به؛ بسبب ظلمهم وعصيانهم.

(١٦٨) وأسأل - أيها الرسول - هؤلاء اليهود عن خبر أهل القرية التي كانت بقرب البحر، إذ يعتدي أهلها في يوم السبت على حرمان الله، حيث أمرهم أن يعظموا يوم السبت ولا يصيدوا فيه سمكاً، فابتلاهم الله وامتنعهم؛ فكانت حيتانهم تأتيتهم يوم السبت كثيرة طافية على وجه البحر، وإذا ذهب يوم السبت تذهب الحيتان في البحر، ولا يرون منها شيئاً، فكانوا يتناولون على حبسها في يوم السبت في حفاتر، ويصطادونها بعده. وكما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء، بإظهار السمك على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده فيه، وإخفائه عليهم في اليوم المباح لهم فيه صيده، كذلك نتخبرهم بسبب فسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

(١٦٤) واذكر - أيها الرسول - إذ قالت جماعة منهم لجماعة أخرى كانت تعظ المعتدين في يوم السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه: لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم إياه أو معذبهم عذاباً شديداً في الآخرة؟ قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله: نَعْظُمُ وننهاهم لِنُعَذِّرَ فيهم، ونؤدي فرض الله علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورجاء أن يتقوا الله، فيخافوه، ويتوبوا من معصيتهم ربهم وتعذبهم على ما حَرَّمَ عليهم.

(١٦٥) فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكرت به، واستمرت على غيها واعتدائها فيه، ولم تستجب لما وعظنها به الطائفة الواعظة، أنجى الله الذين ينهون عن معصيته، وأخذ الذين اعتدوا في يوم السبت بعذاب أليم شديد؛ بسبب مخالفتهم أمر الله وخروجهم عن طاعته.

(١٦٦) فلما تمردت تلك الطائفة، وتجاوزت ما نهاها الله عنه من عدم الصيد في يوم السبت، قال لهم الله: كونوا فرقة خاسئين مبعدين من كل خير، فكانوا كذلك.

(١٦٧) واذكر - أيها الرسول - إذ أعلم ربك

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَتُنَا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا آلَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَقْسُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَوَّزْنَا عَنْ مَأْنَاهُمْ عَنْهُ فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُرَّةُ حَسْرَةٍ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَسَعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنْ رِبَّكَ لَسَرِيعٌ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْتَ هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَنَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُضَيِّعُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ ﴿١٧٠﴾

إعلاماً صريحاً ليعيشن على اليهود من يذيقهم سوء العذاب والإذلال إلى يوم القيامة. إن ربك - أيها الرسول - لسريع العقاب لِمَن استحقه بسبب كفره ومعصيته، وإنه لغفور عن ذنوب التائبين، رحيم.

(١٦٨) وفَرَّقْنَا بني إسرائيل في الأرض جماعات، منهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المقصرون الظالمون لأنفسهم، واختبرنا هؤلاء بالرءاء في العيش والسَّعة في الرزق، واختبرناهم أيضاً بالشدة في العيش والمصائب والرءاء؛ رجاء أن يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا من معاصيه.

(١٦٩) فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم بذلك سوء أخذوا الكتاب من أسلافهم، فقرؤوه وعلموه، وخالفوا حكمه، يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرَّشوة وغيرها؛ وذلك لشدة حرصهم ونهمهم، ويقولون مع ذلك: إن الله سيفغر لنا ذنوبنا غمياً على الله الأباطيل، وإن يأت هؤلاء اليهود متاعٌ زائلٌ من أنواع الحرام يأخذوه ويستحلوه، مضرين على ذنوبهم وتناولهم الحرام، أَلَمْ يُؤْخَذْ على هؤلاء العهد بإقامة التوراة والعمل بما فيها، وألا يقولوا على الله إلا الحق وألا يكذبوا عليه، وعلموا ما في الكتاب فضيعوه، وتركوا العمل به، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك؟ والدار الآخرة خير للذين يتقون الله، فيمثلون أوامرهم، ويحْتَبِيتُونَ نواهيهم، أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون دنيء المكاسب أن ما عند الله خير وأبقى للمتقين؟

(١٧٠) والذين يتمسكون بالكتاب، ويعملون بما فيه من العقائد والأحكام، ويحافظون على الصلاة بحدودها، ولا يضيعون أوقاتها، فإن الله يثيبهم على أعمالهم الصالحة، ولا يضيعها.

* وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِيِّ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَقْبَابَ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٣﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٤﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٥﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَزُلْزُقٍ يُزْجَمُونَ ﴿١٧٦﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا تَبْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٧﴾

(١٧١) واذكر - أيها الرسول - إذ رفعنا الجبل فوق بني إسرائيل كأنه سحابة تظلمهم، وأيقنوا أنه واقع بهم لم يقبلوا أحكام التوراة، وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة، أي اعملوا بما أعطيناكم باجتهاد منكم، واذكروا ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بها فيه؛ كي تتقوا ربكم فتنجوا من عقابه.

(١٧٢) واذكر - أيها الرسول - إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم، وقررهم بتوحيده بما أودعه في فطرتهم من أنه ربهم وخالقهم ومليكمهم، فأقروا له بذلك؛ خشية أن ينكروا يوم القيامة، فلا يقولوا بشيء منه، ويزعموا أن حجة الله ما قامت عليهم، ولا عندهم علم بها، بل كانوا عنها غافلين.

(١٧٣) أو لنسأل تقولوا: إننا أشرك آبائنا من قبلنا ونقصوا العهد، فافتدينا بهم من بعدهم، أفعتدبنا بما فعل الذين أبطلوا أعمالهم بجعلهم مع الله شريكاً في العبادة؟

(١٧٤) وكما فصلنا الآيات، وبيّنا فيها ما فعلناه بالأمم السابقة، كذلك نقصّل الآيات ونبينها لقومك أيها الرسول؛ رجاء أن يرجعوا عن شركهم، وينبوا إلى ربهم.

(١٧٥) واقصص - أيها الرسول - على أمتك خبر رجل من بني إسرائيل أعطيناه حججنا وأدللتنا، فتعلمها، ثم كفر بها، ونبذها وراء ظهره، فاستحوذ عليه الشيطان، فصار من الضالين الهالكين؛ بسبب مخالفته أمر ربه وطاعته الشيطان.

(١٧٦) ولو شئنا أن نرفع قدره بها آتيانه من الآيات لفعلنا، ولكنه زكّن إلى الدنيا واتبع هواه، وأثر لذاته وشهواته على الآخرة، وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره. فَمَثَلُ هذا الرجل مثل الكلب، إن تطرده أو تتركه يُجرح لسانه في الحالين لاهئاً، فكَذَلِكَ الذي أنسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدت في دعوتك له أو أهملته، هذا الوصف - أيها الرسول - وصف هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة، فاقصص - أيها الرسول - أخبار الأمم الماضية، ففي إخبارك بذلك أعظم معجزة؛ لعل قومك يتدبرون فيها حجتهم به فيؤمنوا لك.

(١٧٧) قَسَحَ مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته، فمحدوها، وأنفسهم كانوا يظلمونها؛ بسبب تكذيبهم بهذه الحجج والأدلة.

(١٧٨) من يوفقه الله للإيمان به وطاعته فهو الموفق، ومن يخذله فلم يوفقه فهو الخاسر الهالك، فالهداية والإضلال من الله وحده.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كُيُومًا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ
بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الدِّينَ يُلْحِقُوا فِي أَسْمَائِهِ
سَيِّجِرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِ لَهُمْ إِن كِيدِي مَيِّمٌ ﴿١٨٣﴾ أُولَٰئِكَ
يَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾
أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ هَيَاةٌ قِيَّامِيَّةٌ حَدِيثُ
بَعْدَهُ يُبْشِرُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يَضِلَّ لِلَّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نَقَلْتُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْبَغْةُ يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَتَّىٰ عَنْهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

بالإيمان والعمل الصالح.

(١٨٢) والذين كذبوا بآياتنا، فجحدها، ولم يتذكروا بها، ستفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا؛ استدراجاً لهم حتى يغفروا بها هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء، ثم نعاقيهم على غرة من حيث لا يعلمون. وهذه عقوبة من الله على التكذيب بحجج الله وآياته.

(١٨٣) وأمهل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا حتى يظنوا أنهم لا يعاقبون، فيزدادوا كفراً وطغياناً، وبذلك يتضاعف لهم العذاب. إن كيدي متين، أي: قوي شديد لا يُدفع بقوة ولا بحيلة.

(١٨٤) أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون؟ ما هو إلا نذير لهم من عقاب الله على كفرهم به إن لم يؤمنوا، ناصح مبین.

(١٨٥) أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله العظيم وسلطانه القاهر في السموات والأرض، وما خلق الله -جلَّ شأؤه- من شيء فيها، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به، وينظروا في آجالهم التي عسى أن تكون قُرْبَتْ فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه؟ فبأي تخويف وتحذير بعد تحذير القرآن يصدقون ويعلمون؟

(١٨٦) مَنْ يَضِلُّهُ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ الرِّشَادِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَيَتْرَكُهُمْ فِي كُفْرِهِمْ يَتَحِيرُونَ وَيَتَرَدَّدُونَ.

(١٨٧) يسألك -أيها الرسول- كفار «مكة» عن الساعة متى قيامها؟ قل لهم: عِلْمُ قِيَامِهَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يَظْهَرُهَا إِلَّا هُوَ، تُقَلِّعُ عِلْمَهَا، وَخَفِيَ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَعْلَمُ وَقْتُ قِيَامِهَا مَلَكَ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، لَا تَحِيءُ السَّاعَةُ إِلَّا فِجَاءً، يَسْأَلُكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَرِصٌ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا، مُسْتَقْصٍ بِالسُّؤَالِ عَنْهَا، قُلْ لَهُمْ: إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَاَمَرَتْ بِهِ فَمَا أَتَقَلَّتْ دَعَا
اللَّهَ رَبَّهَا لَئِنْ آتَيْتَاصِلًا جَعَلَ اللَّهُ شُرَكَاءَ فِيمَاءَ أَنْتُهُمَا فَعَلَى
اللَّهِ عَمَّا يَشِيرُونَ ﴿١٨٩﴾ أَيْشَرُونَ مَا لَا يَخْفَى شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِفُونَ
﴿١٩٠﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩١﴾
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوا سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ
أَمْ أَنْتُمْ صَائِمُونَ ﴿١٩٢﴾ إِنْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ
أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٩٣﴾ اللَّهُ أَزْجَلُ يَسْمُونَ بِهَا أَلَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ
بِهَا أَلَهُمْ أَعْيُنٌ يَصْصِرُونَ بِهَا أَلَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ
بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَ كُتُمٌ كِيدُونِ فَلَا تُطْرِقُونَ ﴿١٩٤﴾

(١٨٨) قل -أيها الرسول-: لا أفعل على جلب خبير لنفسي ولا دفع شر يجلب بها إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تكثر لي المصالح والمنافع، ولا أتقئ ما يكون من الشر قبل أن يقع، ما أنا إلا رسول الله أرسلني إليكم، أخوف من عقابه، وأبشر بشوابه قوماً يصدقون بأني رسول الله، ويعملون بشره.

(١٨٩) هو الذي خلقكم -أيها الناس- من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها، وهي حواء؛ ليأنس بها ويطمئن، فلما جامعها -والمراد جنس الزوجين من ذرية آدم- حملت ماء خفيفاً، فقامت به وقعدت وأتمت الحمل، فلما قرئت ولادتها وأقلقت دعا الزوجان ربهما: لئن أعطيتنا بشراً سوياً صالحاً لنكونن عن يمشرك على ما وهبت لنا من الولد الصالح.

(١٩٠) فلما رزق الله الزوجين ولداً صالحاً، جعل الله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بخلقه فعبداه لغير الله، فتعالى الله وتنزه عن كل شرك.

(١٩١) أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله مخلوقاته، وهي لا تقدر على خلق شيء، بل هي مخلوقة؟

(١٩٢) ولا تستطيع أن تنصر عابديها أو تدفع عن نفسها سوءاً، فإذا كانت لا تخلق شيئاً، بل هي مخلوقة، ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن عبيدها، ولا عن نفسها، فكيف تتخذ مع الله أهة؟ إن هذا إلا الظلم الظلم وأسفه السفه.

(١٩٣) وإن تدعوا -أيها المشركون- هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله إلى الهدى، لا تسمع دعاءكم ولا تتبعكم، يستوي دعواؤكم لها وسكوئكم عنها؛ لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تهدي ولا تهدي.

(١٩٤) إن الذين تعبدون من غير الله -أيها المشركون- هم مملوكون لربهم كما أنكم مملوكون لربكم، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئاً فادعوهم فليستجيبوا لكم، فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، وإلا تبين أنكم كاذبون مفترتون على الله أعظم الفرية.

(١٩٥) ألهذه الآلهة والأصنام أرجل يسمعون بها معكم في حوائجكم؟ أم لهم أيدٍ يدفعون بها عنكم وينصرونكم على من يريد بكم شراً ومكرهاً؟ أم لهم أعين ينظرون بها فيعرفونكم ما عاينوا وأبصروا وما يغيب عنكم فلا ترونه؟ أم لهم آذان يسمعون بها فيخبرونكم بما لم تسمعهوا؟ فإذا كانت أفتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات، فما وجه عبادتكم إياها، وهي خالية من هذه الأشياء التي بها يتوصل إلى جلب النفع أو دفع الضر؟ قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان: ادعوا أفتكم الذين جعلتموهم لله شركاء في العبادة، ثم اجتمعوا على إيقاع سوء المكروه بي، فلا تؤخروني وجعلوا بذلك، فإني لا أبالي بأفتكم؛ لاعتقادي على حفظ الله وحده.

(١٩٦) إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الْأَدَىٰ زُلَّ الصَّبَإُ ۖ وَهُوَ يُتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَلِيمُونَ ۖ صَبَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرونَ ۚ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۚ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۚ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۚ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ۖ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرًا ۚ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ۚ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۚ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجْتَنَبْتَهُمَا قُلْ إِنَّمَا أُنْعِمُ مَا فُوتِي إِلَّكَ مِنْ رَبِّي ۖ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَهَذَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ وَإِذَا فُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۚ

(١٩٧) والذين تدعون - أنتم أيها المشركون - من غير الله من الآلهة لا يستطيعون نصركم، ولا يقدرون على نصرة أنفسهم.

(١٩٨) وإن تدعوا - أيها المشركون - ألهتكم إلى الاستقامة والسداد لا يسمعون دعاءكم، وترى - أيها الرسول - آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان يقابلونك كالناظر إليك وهم لا يبصرون؛ لأنهم لا أبصار لهم ولا بصائر.

(١٩٩) أَقُلْ - أيها النبي أنت وأمتك - الفضل من أخلاق الناس وأعياهم، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا، وأمر بكل قول حسن وفعل جميل، وأعرض عن منازعة السفهاء ومساواة الجهالة الأغبياء.

(٢٠٠) وإما يصيبنيك - أيها النبي - من الشيطان غضب أو تحس منه بوسوسة وتبشيط عن الخير أو حث على الشر، فالجأ إلى الله مستعيناً به، إنه سميع لكل قول، عليم بكل فعل.

(٢٠١) إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، أخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.

(٢٠٢) وإخوان الشياطين، وهم الفجَّار من ضلال الإنس تمدِّهم الشياطين من الجن في الضلالة والغواية، ولا تدَّخر شياطين الجن وشعاً في مدِّهم شياطين الإنس في الغي، ولا تدَّخر شياطين الإنس وشعاً في عمل ما توحى به شياطين الجن. (٢٠٣) وإذا لم تجئ - أيها الرسول - هؤلاء المشركين بآية قالوا: هلاً أحدثناها واختلقناها من عند نفسك، قل لهم - أيها الرسول -: إن هذا ليس لي، ولا يجوز لي فعله؛ لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إلي من عنده، وهو هذا القرآن الذي أتوه عليكم حججاً وبراهين من ربكم، وبياناً يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم، ورحمة يرحم الله بها عباده المؤمنين.

(٢٠٤) وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له أيها الناس وأنصتوا لنعقلوه رجاء أن يرحمكم الله به.

(٢٠٥) واذكر - أيها الرسول - ربك في نفسك تخشعاً وتواضعاً لله، خائفاً وجلَّ القلب منه، وادعه متوسطاً بين الجهر والمخافة في أول النهار وآخره، ولا تكن من الذين يَغفُلون عن ذكر الله، ويلهَوْنَ عنه في سائر أوقاتهم.

(٢٠٦) إن الذين عند ربك من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته الله، بل يتقادون لأوامره، ويسبحونه بالليل والنهار، وينزهونه عما لا يليق به، وله وحده - لا شريك له - يسجدون.

﴿سورة الأنفال﴾

(١) يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَنِ الْغَنَائِمِ يوم «بدر» كيف تقسمها بينهم؟ قل لهم: إِنَّ أَمْرَهَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَالرَّسُولُ يَتَوَلَّى قِسْمَهَا بِأَمْرِ رَبِّهِ، فَاتَّقُوا عِقَابَ اللَّهِ وَلَا تَقْدِمُوا عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَاتْرَكُوا الْمَنَازِعَ وَالْمَخَاصِمَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، وَأَصْلَحُوا الْحَالَ بَيْنَكُمْ، وَالتَّزَمُوا طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَدْعُو إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

(٢) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقًّا هُمُ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ فَرَعَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ؛ لَتُدْبِرْهُمْ لِمَعَانِيهِ، وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَتَوَكَّلُونَ، فَلَا يَرْجُونَ غَيْرَهُ، وَلَا يَرْهَبُونَ سِوَاهُ.

(٣) الَّذِينَ يَدْعُونَ عَلَى آدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ يَنْفِقُونَ فِيهَا أَمْرَانَهُمْ بِهِ.

(٤) هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ هُمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحْيِيَ الْحَقَّ يَكْفُرُ لَكُمْ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ إِيحَى الْحَقَّ وَيَبْطِلُ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، هُمُ مَنْ تَنَازَلَ عَلَيْهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَعَفُو عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَرَزَقَ كَرِيمًا، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

(٥) كَمَا أَنَّكُمْ لَمَّا اخْتَلَفْتُمْ فِي الْمَغَانِمِ فَاتْتَرَعَهَا اللَّهُ مِنْكُمْ، وَجَعَلَهَا إِلَى قِسْمِهِ وَقَسَمَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَذَلِكَ أَمَرَكَ رَبُّكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - بِالْخُرُوجِ مِنَ «الْمَدِينَةِ» لِلِقَاءِ عَيْرِ قُرَيْشٍ، وَذَلِكَ بِالْوَحْيِ الَّذِي أَتَاكَ بِهِ جَبْرِيلُ مَعَ كَرَاهَةِ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْخُرُوجِ.

(٦) يُجَادِلُكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - فَرِيقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقِتَالِ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ، كَأَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عِيَانًا.

(٧) وَاذْكُرُوا - أَيُّهَا الْمُجَادِلُونَ - وَعَدَ اللَّهُ لَكُمْ بِالظَّفَرِ بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: الْعَبْرَ وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ أَرْزَاقٍ، أَوْ النِّفَرَ، وَهُوَ قِتَالُ الْأَعْدَاءِ وَالْإِنْتِصَارَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتُمْ تَحْبُونَ الظَّفَرَ بِالْعَبْرِ دُونَ الْقِتَالِ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحْيِيَ الْإِسْلَامَ، وَيُعْلِيَهُ بِأَمْرِهِ بِإِيَاكُمْ بِقِتَالِ الْكُفَرِ، وَيَسْتَصِلَ الْكَافِرِينَ بِالْهَلَاكِ.

(٨) لِيُعِزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَيُذْهِبَ الشُّرْكَ وَأَهْلَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ.

إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْرَى
 وَلِظَمِّينَ بِهِ قُلُوبَكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ إِذْ تَعْسَفُكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ
 رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
 ﴿١٢﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا سَالِفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا
 فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ
 شَأْفَاؤُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَمَنْ يَسَافِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ كَفَرُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابُ النَّارِ ﴿١٥﴾ تَبَايَهَاتِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٦﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ
 دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَدَّ
 يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُولُو جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٧﴾

(٩) اذكروا نعمة الله عليكم يوم «بدر» إذ
 تطلبون النصر على عدوكم، فاستجاب الله
 لدعائكم قائلا: إني ممدكم بألف من الملائكة من
 السماء، يتبع بعضهم بعضاً.

(١٠) وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم
 بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر
 الله لكم، وما النصر إلا من عند الله، لا بشدة
 بأسكم وقواكم. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في
 تدبيره وشرعه.

(١١) إذ يقضي الله عليكم النعاس أماناً منه
 لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم، وينزل
 عليكم من السحاب ماء طهوراً؛ ليطهركم
 به من الأحداث الظاهرة، ويزيل عنكم في
 الباطن وسوس الشيطان وخواطره، وليشد
 على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام
 المؤمنين بتلييد الأرض الرملية بالمطر حتى لا
 تنزلق فيها الأقدام.

(١٢) إذ يوحى ربك -أيها النبي- إلى الملائكة

الذين أمد الله بهم المسلمين في غزوة «بدر» أي معكم أعينكم وأنصركم، ففوقوا عزائم الذين آمنوا، سألني في قلوب الذين
 كفروا الخوف الشديد والذلة والصغار، فاضربوا -أيها المؤمنون- رؤوس الكفار، واضربوا منهم كل طرف ومفصل.

(١٣) ذلك الذي حدث للكفار من ضرب رؤوسهم وأعناقهم وأطرافهم؛ بسبب مخالفتهم لأمر الله ورسوله، ومن يخالف
 أمر الله ورسوله، فإن الله شديد العقاب له في الدنيا والآخرة.

(١٤) ذلكم العذاب الذي عجلته لكم -أيها الكافرون المخالفون لأوامر الله ورسوله في الدنيا- فذوقوه في الحياة الدنيا،
 ولكم في الآخرة عذاب النار.

(١٥) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تولوهم
 ظهوركم، فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم.

(١٦) ومن يولهم منكم ظهره وقت الزحف إلا متعطفاً لكيدة الكفار أو متحاذياً إلى جماعة المسلمين حاضري الحرب حيث
 كانوا، فقد استحق الغضب من الله، ومقامه جهنم، وبئس المصير والمقلب.

فَكَرَّ قَتْلُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٧ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيدٌ
الْكَافِرِينَ ١٨ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ التَّخَلُّعُ وَإِنْ
تَسْتَعِينُوا فَهَوَّيْكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ
فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كُفِّرْتُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ١٩
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ٢١ إِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ هُوَ اللَّهُ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ٢٢ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ
وَلَوْ أَصْبَحُوا بِشَاوِرٍ لَهُمْ لَأَعْلَمُوا أَنَّ حُجُجَهُمْ مُحْكَمَةٌ
وَلَوْ تَفَكَّرُوا فِيهِمْ بِرِئَاسَةِ الرَّسُولِ وَرَسُولِهِ وَأَنْتُمْ يُنَادِيهِمْ
يَخْرُجُونَ ٢٣ وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ ضَلَالٍ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَهُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلَ اللَّهِ الْعَظِيمَ ٢٤

(١٧) فلم تقتلوا - أيها المؤمنون - المشركين يوم «بدر»، ولكن الله قتلهم، حيث أعانكم على ذلك، وما رميت حين رميت - أيها النبي - ولكن الله رمى، حيث أوصل الرمية التي رميتها إلى وجه المشركين؛ وليختبر المؤمنين بالله ورسوله ويوصلهم بالجهد إلى أعلى الدرجات، ويعرفهم نعمته عليهم، فيشكروا له سبحانه على ذلك. إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم ما أسرتم به وما أعلنتم، عليم بما فيه صلاح عباده.

(١٨) هذا الفعل من قتل المشركين ومريم حين انهموا، والبلاء الحسن بنصر المؤمنين على أعدائهم، هو من الله للمؤمنين، وأن الله - فيما يستقبل - مُضِعٌّ ومُطِلٌّ مكر الكافرين حتى يذلولوا وينقادوا للحق أو يهلكوا.

(١٩) إن تطلبوا - أيها الكفار - من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين فقد أجاب الله طلبكم، حين أوقع بكم من عقابه ما كان نكالاً لكم وعبرة للمعتدين، وإن تنهوا - أيها الكفار - عن الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فهو خير لكم في دنياكم وأخراكم، وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد صلى الله عليه وسلم وقتل أتباعه المؤمنين تُعَذِّبْهُمْ بِهَزِيمَتِكُمْ كما هُزِمْتُمْ يوم «بدر»، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئاً، كما لم تغن عنكم يوم «بدر» مع كثرة عددكم وعنادكم وقلة عدد المؤمنين وعدتهم، وأن الله مع المؤمنين بتأييده ونصره.

(٢٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تتركوا طاعة الله وطاعة رسوله، وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من الحجج والبراهين.

(٢١) ولا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كالمشركين والمنافقين الذين إذا سمعوا كتاباً يتلى عليهم قالوا: سمعنا بأذناننا، وهم في الحقيقة لا يتدبرون ما سمعوا، ولا يفكرون فيه.

(٢٢) إن شأ ما دب على الأرض - من خلق الله - عند الله الصم الذين انسدت أذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين تحرست ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن أمره ونهيهِ.

(٢٣) ولو علم الله أن هؤلاء خيراً لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه وبراهينه، ولكنه علم أنه لا خير فيهم وأنهم لا يؤمنون، ولو أسمعهم - على الفرض والتقدير - لتولوا عن الإيمان قصدًا وعنادًا بعد فهمهم له، وهم معرضون عنه، لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه.

(٢٤) يا أيها الذين صدقوا بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً استجبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم لما يحبيكم من الحق، ففي الاستجابة إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة، واعلموا - أيها المؤمنون - أن الله تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء، والقادر على أن يحول بين الإنسان وما يشتهي قلبه، فهو سبحانه الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاكم؛ إذ بيده ملكوت كل شيء، واعلموا أنكم تُجْمَعُونَ ليوم لا ريب فيه، فيجازي كلأً بما يستحق.

(٢٥) واحذروا - أيها المؤمنون - اختباراً ومحنة يُعَمِّمُ بها المنيء وغيره، لا ينحس بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنوب، بل تصيب الصالحين معهم إذا قدرُوا على إنكار الظلم ولم ينكروه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ونهيهِ.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
 أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ الْإِنْسَانُ فَفَازَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ
 مِنَ الطَّلَإِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَا تَحْزَنُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَتَحْزَنُوا أَمْتِيَّتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِيْهِ وَنَسُوا اللَّهَ
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَفَقَّأُوا
 اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَتَكَلَّمُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَتَكَلَّمُونَ
 وَيَمْكُرُونَ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمُسْكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ آلِهِمْ
 عَائِدَتْنَا فَاَلْوَأَدَ سَمِعْنَا نَوْشَاءَ لَقَلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا
 إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا أَلَلَّهُمْ إِنْ كَانَ هَذَا
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ
 أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ
 فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

(٢٦) واذكروا أيها المؤمنون نعم الله عليكم
 إذ أنتم بـ «مكة» قليلو العدد مقهورون،
 تخافون أن يأخذكم الكفار بسرعة، فجعل لكم
 مأوى تأوون إليه وهو «المدينة»، وقواكم بنصره
 عليهم يوم «بدر»، وأطعمكم من الطيبات
 -التي من جملتها الغنائم-؛ لكي تشكروا له على
 ما رزقكم وأنعم به عليكم.

(٢٧) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا
 بشره لا تحزنوا الله ورسوله بترك ما أوجبه الله
 عليكم وفعل ما نهاكم عنه، ولا تفزعوا فيها
 اثمنكم الله عليه، وأنتم تعلمون أنه أمانة يجب
 الوفاء بها.

(٢٨) واعلموا -أيها المؤمنون- أن أموالكم التي
 استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم
 الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ ليعلم
 أشكرونها عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها
 عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم
 لمن اتقاه وأطاعه.

(٢٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا
 بشره إن تنقوا الله بفعل أوامره واجتناب
 نواهيه يجعل لكم فضلاً بين الحق والباطل،
 ويمسح عنكم ما سلف من ذنوبكم ويسرّها
 عليكم، فلا يؤاخذكم بها. والله ذو الإحسان
 والعطاء الكثير الواسع.

(٣٠) واذكر -أيها الرسول- حين يكيد لك

مشركو قومك بـ «مكة»؛ ليجسوك أو يقتلوك أو ينفوك من بلدك. ويكيدون لك، وردّ الله مكرهم عليهم جزاء لهم،
 ويمكر الله، والله خير الماكرين.

(٣١) وإذا تنلى على هؤلاء الذين كفروا بالله آيات القرآن العزيز قالوا جهلاً منهم وعناداً للحق: قد سمعنا هذا من قبل، لو
 نشاء لقلنا مثل هذا القرآن، ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -أيها الرسول- إلا أكاذيب الأولين.

(٣٢) واذكر -أيها الرسول- قول المشركين من قومك داعين الله: إن كان ما جاء به محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا
 حجارة من السماء، أو آتينا بعذاب شديد موجع.

(٣٣) وما كان الله سبحانه وتعالى ليعذب هؤلاء المشركين، وأنت -أيها الرسول- بين ظهرانيهم، وما كان الله معذبهم،
 وهم يستغفرون من ذنوبهم.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ ذُو الْأَرْبَاعِ إِلَّا الْيَتَامُ مِنَ الدِّينِ وَالضَّالُّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا الْأَمْكَةَ وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشَرُهُمْ نَارُهُمْ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّهِ كَفَرُوا إِنْ يَسْتَهْوَئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَكَوُنَ الَّذِينَ كُفِلَهُ اللَّهُ فَإِنْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ فَاتَّخَذُوا سَبِيلَ اللَّهِ يَمِيزُ اللَّهُ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ يَعْمَلُ أَمْوَالُكُمْ وَيَعْمَلُ الصَّيْرُ ﴿٤٠﴾

(٣٤) وكيف لا يستحقون عذاب الله، وهم يصدون أولياء المؤمنين عن الطواف بالكعبة والصلاة في المسجد الحرام؟ وما كانوا أولياء الله، إن أولياء الله إلا الذين يتقونه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون؛ فلذلك ادعوا لأنفسهم أمراً، غيرهم أولى به.

(٣٥) وما كان صلاتهم عند المسجد الحرام إلا صغيراً وتصفيقاً؛ فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر؛ بسبب جحودكم وأفعالكم التي لا يُقَدَّم عليها إلا الكفرة، الجاحدون توحيد ربهم ورسالة نبيهم.

(٣٦) إن الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين وأهل الضلال؛ ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا المؤمنين عن الإيمان بالله ورسوله، فيسبنفون أموالهم في ذلك، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك ندامة وحسرة عليهم؛ لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون من إطفاء نور الله والصد عن سبيله، ثم يهزمهم المؤمنون آخر الأمر. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون فيعذبون فيها.

(٣٧) يحشر الله ويخزي هؤلاء الذين كفروا بربه، وأنفقوا أموالهم لمنع الناس عن الإيمان بالله والصد عن سبيله؛ ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب، ويجعل الله المال الحرام الذي أنفق للصد عن دين الله بعضه فوق بعض متراكباً، فيجعل في نار جهنم، هؤلاء الكفار هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

(٣٨) قل -أيها الرسول- للذين جحدوا وحدانية الله من مشركي قومك: إن ينزجروا عن الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم، ويرجعوا إلى الإيمان بالله وحده وعدم قتال الرسول والمؤمنين، يغفر الله لهم ما سبق من الذنوب، فالإسلام يَجِبُ ما قبله. وإن يُعَذِّبُوا هؤلاء المشركون لقتالكم -أيها الرسول- بعد الواقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر فقد سبقت طريقة الأولين، وهي أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أننا نعالجهم بالعذاب والعقوبة.

(٣٩) وقتلوا -أيها المؤمنون- المشركين حتى لا يكون شركٌ وصد عن سبيل الله، ولا يُعْبَدَ إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله في الأرض، وحتى يكون الدين والطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره، فإن انزجروا عن فتنة المؤمنين وعن الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم، فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في الإسلام.

(٤٠) وإن أعرض هؤلاء المشركون عما دعوتهم إليه -أيها المؤمنون- من الإيمان بالله ورسوله وترك قتالكم، وأبوا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم، فأيقنوا أن الله معينكم وتناصركم عليهم. نعم المعين والناصر لكم ولأولياءه على أعدائكم.

﴿٤١﴾ *وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِالنَّسَبِ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ السَّبِيلِ إِنْ
كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ عَبْدِي يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ اتَّخَذَ الْأَحْمَقُونَ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ
أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدَّيْنِيَّةِ وَالْعُدُوِّ الْأَقْصَىٰ وَالْكَرْبِ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ فِي الْمِيعَةِ
وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيُخَيِّبَ مَنْ حَمَلَ عَنْ بَيْتِهِ وَرَأَى اللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا
وَأَوَّاكُمْ كَثِيرًا لِّفَسْلِكُمْ وَلِتَنْزِعَكُمْ فِي الْأَمْرِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٤﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ اتَّفَبُوا فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلَّلَكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَأَثْبِتُوا وَادْعُوا إِلَى اللَّهِ كَثِيرًا أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قُلُوبُ خُلُقٍ ﴿٤٦﴾

(٤١) واعلموا -أيها المؤمنون- أن ما ظفروا به من عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة، والخمس الباقي يجزأ خمسة أقسام: الأول لله وللرسول، فيجعل في مصالح المسلمين العامة، والثاني لذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، يجعل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحل لهم، والثالث للأولاد الذين مات أبأؤهم وهم دون سن البلوغ، والرابع للمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة، إن كنتم مقرين بتوحيد الله مطيعين له، مؤمنين بما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والمدد والنصر يوم فرق بين الحق والباطل بـ«بدر»، يوم التقى جمع المؤمنين وجمع المشركين. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

(٤٢) واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى «المدينة»، وعدوكم نازل بجانب الوادي الأقصى، وعبر التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل «البحر

الأحمر»، ولو حاولتم أن تضعوا موعداً لهذا اللقاء لاختلغتم، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً بنصر أوليائه وخذلان أعدائه بالقتل والأسر؛ وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له فعانيها وقطعت عذره، وليحيا من حي عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له. وإن الله لسميع لأقوال الفريقين، لا يخفى عليه شيء، عليم ببنائهم وأعمالهم.

(٤٣) واذكر -أيها النبي- حينما أراك الله قلة عدد عدوك في منامك، فأخبرت المؤمنين بذلك، فقويت قلوبهم، واجتروا على حربهم، ولو أراك ربك كثرة عددهم لتردد أصحابك في ملاقاتهم، وجئتم واختلغتم في أمر القتال، ولكن الله سلّم من الفشل، ونجّى من عاقبة ذلك. إنه عليم بخفايا القلوب وطبائع النفوس.

(٤٤) واذكر أيضاً حينما برز الأعداء إلى أرض المعركة فرأيتهم قليلاً فاجترأتم عليهم، وقللتم في أعينهم؛ ليرتكوا الاستعداد لحربكم؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فيتحقق وعد الله لكم بالنصر والغلبة، فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. وإلى الله مصير الأمور كلها، فيجازي كل بما يستحق.

(٤٥) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتلكم، فاثبتوا ولا تنهزوا عنهم، واذكروا الله كثيراً داعين متهلين لإنزال النصر عليكم والظفر بعدوكم؛ لكي تفوزوا.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
 رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَتَكَوَّنُوا
 كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَنْظُرُونَ وَرِثَ الْنَّاسِ وَصُدُّوا
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَآ يَعْمَلُونَ مُجِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ ذَرَّكَ
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
 النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْمَلَائِكَةُ نَكْصَ
 عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَنَّى مَآلَا
 تَرَوْتُمْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
 الْمُتَكَبِّرُونَ وَلِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرْهًا وَلَا يَنْفَعُهُمْ
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ
 تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
 وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
 بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّعَالَمٍ ﴿٥١﴾
 كَذَّابٌ إِلَٰهٌ فَرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

(٤٦) والتزموا طاعة الله وطاعة رسوله في كل أحوالكم، ولا تختلفوا فتتفرق كلمتكم وتختلف قلوبكم، فتضعفوا وتذهب قوتكم ونصركم، واصبروا عند لقاء العدو؛ إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم.

(٤٧) ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من بلدهم كِبْرًا ورياء؛ ليمنعوا الناس عن الدخول في دين الله، والله بما يعملون محيط لا يغيب عنه شيء.

(٤٨) واذكروا حين حَسَنَ الشيطان للمشركين ما جاؤوا له وما هُمُّوا به، وقال لهم: لن يغلبكم أحد اليوم، وإني ناصركم، فلما تقابل الفريقان المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة، رجع الشيطان مُدْبِرًا، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا مددًا للمسلمين، إني أخاف الله، فخذلهم وتبرأ منهم. والله شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب توبة نصوحاً.

(٤٩) واذكروا حين يقول أهل الشك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غَرْهًا لآل المسلمين دينهم، فأوردتهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله وينتق بوعده فإن الله لن يخذله، فإن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه.

(٥٠) ولو تعاین -أيها الرسول- حال قبض الملائكة أرواح الكفار وانتزاعها، وهم يضربون وجوههم في حال إقبالهم، ويضربون ظهورهم في حال فرارهم، ويقولون لهم: ذوقوا العذاب المحرق، لرأيت أمراً عظيماً. وهذا السياق وإن كان سببه وقعة «بدر»، ولكنه عام في حق كل كافر.

(٥١) ذلك الجزاء الذي أصابكم أيها المشركون فبسبب أعمالكم السيئة في حياتكم الدنيا، ولا يظلم الله أحداً من خلقه مثقال ذرة، بل هو الحَكَمُ العدل الذي لا يجور.

(٥٢) إنَّ ما نزل بالمشركين يومئذ سنة الله في عقاب الطغاة من الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له، عندما كذبوا رسل الله وجحدوا آياته، فإن الله أنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم. إن الله قوي لا يُقهر، شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب من ذنبه.

(٥٣) ذلك الجزاء السيئ بأن الله إذا أنعم على قوم نعمة لم يسلبها منهم حتى يغيروا حالهم الطيبة إلى حال سيئة، وأن الله سميع لأقوال خلقه، عليم بأحوالهم، فيجري عليهم ما اقتضاه علمه ومشيئته.

(٥٤) شأن هؤلاء الكافرين في ذلك كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى، وشأن الذين كذبوا رسلهم من الأمم السابقة فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وأغرق آل فرعون في البحر، وكل منهم كان فاعلاً ما لم يكن له فعله من تكذيبهم رسل الله وجحودهم آياته، وإشراكهم في العبادة غيره.

(٥٥) إن شر ما دب على الأرض عند الله الكفار المصرون على الكفر، فهم لا يصدقون رسل الله، ولا يقرّون بوحدانيته، ولا يتبعون شرعه.

(٥٦) من أولئك الأشرار اليهود الذين دخلوا معك في المعاهدات بأن لا يجاربوك ولا يظاهروا عليك أحداً، ثم ينقضون عهدهم المرة تلو المرة، وهم لا يخافون الله.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَٰبٌ آلِ فِرْعَوْنَ ۚ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَاءِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْجَءٍ ۚ وَلَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَقَفُّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرُدُّهُمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لِغَلَبَةِ يَدِكُمْ ۚ وَكُرْهُنَّ ﴿٥٧﴾ وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قُوَّةِ خِيَانَةٍ فَإِنَّهُ إِ إِلَهُهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يُحَسِّنَ إِلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِلَهُهُمَ لَا يَعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِمُونَ بِهِمُ عِدَدَ اللَّهِ وَعِدَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْعَدِّ ۚ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعَمَلِ فَلْيَعْمَلْهُ وَمَنْ تُفَوَّضْ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَحَدُوا لَكَ فَتَوَلَّيْهُمْ فَاجْتَنِحُوا أَمْوَالَهُمْ وَاصْلُوا إِلَهُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ﴿٦١﴾

(٥٧) فإن واجهت هؤلاء الناقضين للعهود والمواثيق في المعركة، فأنزل بهم من العذاب ما يَدْخُلُ الرعب في قلوب الآخرين، ويشتت جموعهم؛ لعلهم يذكرون، فلا يجترئون على مثل الذي أقدم عليه السابقون.

(٥٨) وإن خفت -أيها الرسول- من قوم خيانة ظهرت بوادرها فالتق إليهم عهدهم؛ كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم. إن الله لا يحب الخائنين في عهودهم الناقضين للعهد والميثاق.

(٥٩) ولا يظنن الذين جحدوا آيات الله أنهم فاتوا ونجّوا، وأن الله لا يقدر عليهم، إنهم لن يُقْلَتُوا من عذاب الله. (٦٠) وأعدوا -يا معشر المسلمين- لمواجهة أعدائكم كل ما تقدرون عليه من عُدَدٍ وَعُدَّةٍ، لتدخلوا بذلك الرهبة في قلوب أعداء الله وأعدائكم المرتبطين بكم، وتخيفوا آخرين لا تظهر لكم عداوتهم الآن، لكن الله يعلمهم ويعلم ما يضمرونه. وما تبدلوا من مال وغيره في سبيل الله قليلاً أو كثيراً يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدخر لكم ثوابه إلى يوم القيامة، وأنتم لا تُنْقِصُونَ من أجر ذلك شيئاً.

(٦١) وإن مالوا إلى ترك الحرب ورغبوا في مسالمتكم فجعل إلى ذلك -أيها النبي- وقَوْضُ أمرِك إلى الله، وثق به. إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنبأهم.

وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ مَنْ دَلَّكَ
يَتَّبِعُهُمُ بَآئِنًا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ وَأَلْفَ بَيْنٍ فَلَهُمْ فُتُوهُمُ أَنْفَقَتِ
مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا آَلَتْ بَيْنَ فُتُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
آَلَتْ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ
اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْفِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِائَتِينَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قُوَّةٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ تَخَفْ
اللَّهُ عَنْكُمْ وَاعْلَمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا
أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتُخَذَ فِي الْأَرْضِ فُرْدُونَ عَرَضَ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾ لَوْلَا كِتَابٌ
مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٩﴾ فَكُلُوا
مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾

(٦٢، ٦٣) وإن أراد الذين عاهدوك المكر بك فإن الله سيكشف خداعهم؛ إنه هو الذي أنزل عليك نصره وقوّاك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار، وجمع بين قلوبهم بعد التفرق، لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولكن الله جمع بينها على الإيمان فأصبحوا إخواناً متحابين، إنه عزيز في ملكه، حكيم في أمره وتدبيره.

(٦٤) يا أيها النبي إن الله كافيك، وكافي الذين معك من المؤمنين شر أعدائكم.

(٦٥) يا أيها النبي حثّ المؤمنين بك على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون عند لقاء العدو يغلبوا مائتين منهم، وإن يكن منكم مائة مجاهدة صابرة يغلبوا ألفاً من الكفار؛ لأنهم قوم لا علم ولا فقه عندهم لِمَا أَعَدَّ اللَّهُ للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون من أجل العلو في الأرض والفساد فيها.

(٦٦) الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون لما

فيكم من الضعف، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من الكافرين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم بإذن الله تعالى. والله مع الصابرين بتأييده ونصره.

(٦٧) لا ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من أعدائه حتى يبالغ في القتل؛ لإدخال الرعب في قلوبهم ويوطد دعائم الدين، تريدون -يا معشر المسلمين- بأخذكم الفداء من أسرى «بدر» متاع الدنيا، والله يريد إظهار دينه الذي به تدرك الآخرة. والله عزيز لا يُفْهَرُ، حكيم في شرعه.

(٦٨) لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر بإباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة، لنالكم عذاب عظيم بسبب أخذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنها تشريع.

(٦٩) فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَشْيَاءِ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْزِلْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ وَإِن يَرِيدُوا أُخِيضَتِكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ بِالْأَمْرِ إِلَهُهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ الدِّينِ مِن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِن أَتَيْتُمْ زُكُوفَ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرْتُمْ كُفْرًا أَكْبَرَ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَيْتٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ نَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ لَّا تَنْفَعُهُمْ تَكْفُرُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾

(٧٠) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن أَسْرَعْتُمْ فِي «بَدْرٍ» لا تأسوا على الفداء الذي أخذ منكم، إن يعلم الله تعالى في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من المال بأن يُسّر لكم من فضله خيراً كثيراً - وقد أنجز الله وعده للعباس رضي الله عنه وغيره -، ويغفر لكم ذنوبكم. والله سبحانه غفور لذنوب عباده إذا تابوا، رحيم بهم.

(٧١) وإن يرد الذين أطفقت سراحهم - أي النبي - من الأسرى الغدر بك مرة أخرى فلا تئش، فقد خانوا الله من قبل وحاربوك، فنصر لك عليهم. والله عليم بما تنطوي عليه الصدور، حكيم في تدبير شؤون عباده.

(٧٢) إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا إلى دار الإسلام، أو بلد يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس، والذين أنزلوا المهاجرين في دورهم، واسوهم بأموالهم، ونصروا دين الله، أولئك بعضهم نصراء بعض. أما الذين آمنوا ولم

يهاجروا من دار الكفر فليست مكلفين بحمايتهم ونصرتهم حتى يهاجروا، وإن وقع عليهم ظلم من الكفار فطلبوا نصرتكم فاستجيبوا لهم، إلا على قوم بينكم وبينهم عهد مؤكد لم ينقضوه. والله بصير بأعمالكم، يجزي كلاً على قدر نيته وعمله.

(٧٣) والذين كفروا بعضهم نصراء بعض، وإن لم تكونوا - أي المؤمنون - نصراء بعض تكن في الأرض فتنة للمؤمنين عن دين الله، وفساد عريض بالصد عن سبيل الله وتقوية دعائم الكفر.

(٧٤) والذين آمنوا بالله ورسوله، وتركوا ديارهم قاصدين دار الإسلام، أو بلداً يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، والذين نصروا إخوانهم المهاجرين وأوؤهم واسوهم بالمال والتأييد، وأولئك هم المؤمنون الصادقون حقاً، لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم واسع في جنات النعيم.

(٧٥) والذين آمنوا من بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، وهاجروا وجاهدوا معكم في سبيل الله، فأولئك منكم - أي المؤمنون - هم ما لكم وعليهم ما عليكم، وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين. إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح عباده من توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالخلف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام.

﴿سورة التوبة﴾

(١) هذه براءة من الله ورسوله، وإعلان بالتخلي عن العهد التي كانت بين المسلمين والمشركون.

(٢) فسيروا - أيها المشركون - في الأرض مدة أربعة أشهر، تذهبون حيث شئتم آمنين من المؤمنين، واعلموا أنكم لن تقلنوا من العقوبة، وأن الله مذل الكافرين ومورثهم العار في الدنيا، والنار في الآخرة.

وهذه الآية لذوي العهد المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكفل له أربعة أشهر، أو من كان له عهد فقطه.

(٣) وإعلام من الله ورسوله وإنذار إلى الناس يوم النحر أن الله بريء من المشركون، ورسوله بريء منهم كذلك. فإن رجعت - أيها المشركون - إلى الحق وتركت شرككم فهو خير لكم، وإن أصرتم عن قبول الحق وأبستم الدخول في دين الله فاعلموا أنكم لن تقلنوا من

عذاب الله. وأندر - أيها الرسول - هؤلاء المعرضين عن الإسلام عذاب الله الموجه.

(٤) ويؤسنتي من الحكم السابق المشركون الذين دخلوا معكم في عهد محدد بمدة، ولم يفيؤوا العهد، ولم يعاونوا عليكم أحداً من الأعداء، فأكملوا لهم عهدهم إلى نهايته المحدودة. إن الله يحب المتقين الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي.

(٥) فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي أمّتم فيها المشركون، فاعلنوا الحرب على أعداء الله حيث كانوا، واقصدوهم بالحصار في معابدهم، وترصدوا لهم في طرقهم، فإن رجعوا عن كفرهم ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعهم من إقام الصلاة وإخراج الزكاة، فاتركوهم، فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام. إن الله غفور لمن تاب وأناب، رحيم بهم.

(٦) وإذا طلب أحد من المشركون الذين استبيحت دماؤهم وأموالهم الدخول في جوارك - أيها الرسول - ورغب في الأمان، فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويطلع على هدايته، ثم أعدّه من حيث أتى أمناً؛ وذلك لإقامة الحجة عليه؛ ذلك بسبب أن الكفار قوم جاهلون بحقائق الإسلام، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم.

بِرَاءةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝
فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبَسِّرْهُمْ فُوْحِدًا لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
۝ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنُصُّوكُمْ شَيْئًا
وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحْدَثُوا بَيْنَكُمْ بَيْتًا إِلَى مَذْيَبِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُنَافِقِينَ ۝ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ وَحَدُّهُمْ وَحُجْرُهُمْ وَهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ غُلَامًا مَرْصِدًا ۝ إِن تَابَ أَفْوًا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۝ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنْ أَحَدٌ
مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ
اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝

(٧) لا ينبغي أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام في صلح «الحديبية» فما أقاموا على الوفاء بعهدكم فأقيموا لهم على مثل ذلك. إن الله يحب المتقين الموقنين بعهودهم.

(٨) إن شأن المشركين أن يلتزموا بالعهود ما دامت الغلبة لغيرهم، أما إذا شعروا بالقوة على المؤمنين فإنهم لا يراعون القرابة ولا العهد، فلا يفرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم يقولون لكم كلاماً بالستهم؛ لترضوا عنهم، ولكن قلوبهم تأبى ذلك، وأكثرهم متمردون على الإسلام ناقضون للعهد.

(٩) استبدلوا بآيات الله عرض الدنيا التافه، فأعرضوا عن الحق ومنعوا الراغبين في الإسلام عن الدخول فيه، لقد قبَّح فعلهم، وساء صنعهم.

(١٠) إن هؤلاء المشركين حرب على الإيمان

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَخِيلٌ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا تَرْفُقُوا فِي كُفْرِهِمْ إِلَّا ذِمَّةٌ يُبَرِّضُونَكُمْ بِأَقْوَاهُمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَنْتُمْ كَرِهْتُمْ فَلَيَسْفُوتَ ﴿٨﴾ أَشْرَوْا بِأَيْدِي اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَصَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا تَرْفُقُونَ فِي مَوَاقِنِ الْإِسْلَامِ وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا أَتَأْتُوا الْقُرْآنَ فَأَنْتُمْ أَدْنَى الرِّكْزَةِ فَأَنْتُمْ كَرِهْتُمُ الَّذِينَ نَفَضُوا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ تَكْثُرِ الْإِيمَانُ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ يَنْتَهَوْنَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَنْفَرُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَنَهُمْ وَهُمْ يُبْخَلُّونَ الرُّسُلَ وَهُمْ يَدْعُونَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْتُمْ تَخْشَوْنَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

وأهله، فلا يقيمون وزناً لقرابة المؤمن ولا لعهد، وشأنهم العدوان والظلم.

(١١) فإن أفلحوا عن عبادة غير الله، ونطقوا بكلمة التوحيد، والتزموا شرائع الإسلام من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنهم إخوانكم في الإسلام. ونبين الآيات، ونوضحها لقوم ينتفعون بها.

(١٢) وإن نقض هؤلاء المشركون العهود التي أبرمتوها معهم، وأظهروا الطعن في دين الإسلام، فقاتلوهم فإنهم رؤساء الضلال، لا عهد لهم ولا ذمة، حتى ينتهوا عن كفرهم وعداوتهم للإسلام.

(١٣) لا ترددوا في قتال هؤلاء القوم الذين نقضوا عهودهم، وعملوا على إخراج الرسول من «مكة»، وهم الذين بدؤوا بإيذاكم أول الأمر، اتخافونهم أو تخافون ملاقاتهم في الحرب؟ فالله أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقاً.

فَتَلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُجْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ
قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝
أَرْحَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ
وَاللَّهُ خَيْرٌ لِمَا تَعْمَلُونَ ۝ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ
اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ
اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ۝ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝

(١٤، ١٥) يا معشر المؤمنين قاتلوا أعداء الله
يعذبهم عز وجل بأيديكم، ويذهب الغلبة
والخزي، وينصركم عليهم، ويُفعل كلمته،
ويشف بهزيمتهم صدوركم التي طالما لحق بها
الحزن والغم من كيد هؤلاء المشركين، ويذهب
عن قلوب المؤمنين الغيظ. ومن تاب من هؤلاء
المعاندِين فإن الله يتوب على من يشاء. والله عليم
بصدق توبة النائب، حكيم في تدبيره وصنعه
ووضع تشريعاته لعباده.

(١٦) من سنة الله الابتلاء، فلا تظنوا يا معشر
المؤمنين أن يترككم الله دون اختبار؛ ليعلم الله
علماً ظاهراً للخلق الذين أخلصوا في جهادهم،
ولم يتخذوا غير الله ورسوله والمؤمنين بطانة
وأولياء. والله خير بجميع أعمالكم ومجازيكم
بها.

(١٧) ليس من شأن المشركين إعمار بيوت الله،
وهم يعلنون كفرهم بالله ويجعلون له شركاء.
هؤلاء المشركون بطلت أعمالهم يوم القيامة،
ومصيرهم الخلود في النار.

(١٨) لا يعتني ببيوت الله ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخافون في
الله لومة لائم، هؤلاء العمار هم المهتدون إلى الحق.

(١٩) أجعلتكم -أيها القوم- ما تقومون به من سقي الحجيج وإعمار المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله؟ لا تتساوى حال المؤمنين وحال الكافرين عند الله؛ لأن الله لا يقبل عملاً بغير الإيمان. والله سبحانه
لا يوفق لأعمال الخير القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر.

(٢٠) الذين آمنوا بالله وتركوا دار الكفر قاصدين دار الإسلام، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد لإعلاء كلمة الله، هؤلاء
أكظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون برضوانه.

(٢١) إن هؤلاء المؤمنين المهاجرين لهم البشري من ربهم بالرحمة الواسعة والرضوان الذي لا يسخط بعده، ومصيرهم إلى جنات الخلد والنعيم الدائم.

(٢٢) ماكثين في تلك الجنان لانهاية لإقامتهم وتنعمهم، وذلك ثواب ما قدموه من الطاعات والعمل الصالح في حياتهم الدنيا. إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن آمن وعمل صالحاً بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

(٢٣) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشريعة لا يتخذوا أقرباءكم - من الآباء والإخوان وغيرهم - أولياء، تفشون إليهم أسرار المسلمين، وتستشيرونهم في أموركم، ما داموا على الكفر معادين للإسلام. ومن يتخذهم أولياء ويُلقي إليهم المودة فقد عصي الله تعالى، وظلم نفسه ظلماً عظيماً.

(٢٤) قل - يا أيها الرسول - للمؤمنين: إن فصلتم الآباء والأبناء والإخوان والزوجات

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّعَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعْمَةٌ مُّبِينَةٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا إِلَّكَ فَعَلَى الْإِيمَنِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَاقِلُكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرْهُكُمْ فَلَمْ تُقْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

والقربات والأموال التي جمعتها والتجارة التي تخافون عدم رواجها والبيوت الفارغة التي أقمتهم فيها، إن فصلتم ذلك على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فانظروا عقاب الله ونكاله بكم. والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.

(٢٥) لقد أنزل الله نصره عليكم في مواقع كثيرة عندما أخذتم بالأسباب وتوكلتم على الله. ويوم غزوة «حنين» قلتم: لن نُغَلَّبَ اليوم من قِلَّة، فغرتكم الكثرة فلم تنفعكم، وظهر عليكم العدو فلم تجدوا ملجأ في الأرض الواسعة ففررتهم منهزمين.

(٢٦) ثم أنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين فثبتوا، وأمدَّهم بجنود من الملائكة لم يروها، فنصرهم على عدوهم، وعذب الذين كفروا. وتلك عقوبة الله للصائدين عن دينه، المكذِّبين لرسوله.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
 نَجَسٌ فَلَا يَقْرِءُوا الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَمَلِهِمْ هَذَا
 وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 إِنْ شَاءَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَاتِلُوا الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
 وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ
 وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
 بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
 قَتَلْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَذً يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَهُمْ
 وَهَبَ لَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
 مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(٢٧) ومن رجع عن كفره بعد ذلك ودخل الإسلام فإن الله يقبل توبة من يشاء منهم، فيغفر ذنبه. والله غفور رحيم.

(٢٨) يا معشر المؤمنين إنما المشركون نجس وخبث فلا تمكثوهم من الاقتراب من الحرم بعد هذا العام التاسع من الهجرة، وإن خفتم فقراً لانقطاع تجارتهم عنكم، فإن الله سيعوضكم عنها، ويكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالككم، حكيم في تدبير شؤونكم.

(٢٩) أيها المسلمون قاتلوا الكفار الذين لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون بالبعث والجزاء، ولا يجتنبون ما نهى الله عنه ورسوله، ولا يلتزمون أحكام شريعة الإسلام من اليهود والنصارى، حتى يدفعوا الجزية التي تفرضونها عليهم بأيديهم خاضعين أذلاء.

(٣٠) لقد أشرك اليهود بالله عندما زعموا أن عزيراً ابن الله.

وأشرك النصارى بالله عندما ادَّعوا أن المسيح ابن الله.

وهذا القول اختلقوه من عند أنفسهم، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم. قاتل الله المشركين جميعاً كيف يعدلون عن الحق إلى الباطل؟

(٣١) اتخذ اليهود والنصارى العلماء والعبيد أرباباً يُشْرَعُونَ لهم الأحكام، فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله، واتخذوا المسيح عيسى بن مريم الهاً لعبده، وقد أمرهم الله جميعاً بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق لا إله إلا هو. تنزه وتقدس عما يفتره أهل الشرك والضلال.

(٣٢) يريد الكفار بتكذيبهم أن يطلوا دين الإسلام، ويطلوا حجج الله وبراهينه على توحيد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ويأبى الله إلا أن يتم دينه ويظهره، ويعلي كلمته، ولو كره ذلك الجاحدون.

(٣٣) هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق - الإسلام - وظهوره على الأديان.

(٣٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إن كثيراً من علماء أهل الكتاب وعُبادهم ليأخذون أموال الناس بغير حق كالرشوة وغيرها، ويمتنعون الناس من الدخول في الإسلام، ويصدون عن سبيل الله. والذين يمسكون الأموال، ولا يؤدون زكاتها، ولا يخرجون منها الحقوق الواجبة، فبشرهم بعذاب موجه.

(٣٥) يوم القيامة توضع قطع الذهب والفضة في النار، فإذا اشتدت حرارتها أحرقت بها جباه

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَيَأْتِيَ اللَّهُ بِالنَّارِ
يُسْمِعُ نُورَهُ، وَتُوكِرُهُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ، يَأْتِيهِمْ وَدِينُ الْحَقِّ يُظَاهِرُهُمْ عَلَى الَّذِينَ
كَتَبَهُ وَتُوكِرُهُ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَسْفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ نَحْمِلُ عَلَيْهِمَا
فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِتْنَةً يَخْتَبِرُونَ بِهَا جِبَالُهُمْ وَجُودُهُمْ
وَيُظْهِرُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كُلِّ بَيْتٍ يَوْمَ نَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِمْ
أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَقَتْلِهِ كَمَا
يُقْتَلُونَ نَكُمْ كَقَتْلِهِمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

أصحابها وجنوبهم وظهورهم.

وقيل لهم توبيخاً: هذا مالكم الذي أمسكنموه ومنعتم منه حقوق الله، فذوقوا العذاب الموجه؛ بسبب كنزكم وإمساكنكم. (٣٦) إن عدة الشهور في حكم الله وفيما كتب في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهراً، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حُرْمٌ؛ حَرَّمَ اللهُ فِيهِنَّ الْقِتَالَ (هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب)، ذلك هو الدين المستقيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم؛ لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها، لا أَنَّ الظلم في غيرها جائز. وقاتلوا المشركين جميعاً كما يقتلونها جميعاً، واعلموا أن الله مع أهل التقوى بتأييده ونصره.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُحْلِلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا يَبْوَاطُونَ
عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْدٌ لَهُمْ
سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
(٣٧) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا كُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ
أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِينَا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَتِ الْأَخِرَةَ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَتَفَرَّغُوا وَعَذَابُكُمْ
عَذَابُ الْيَأْسِ وَمَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ
شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَتَضَرَّوْهُ
فَقَدْ ضَرَبَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ
إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ
مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ
لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)

(٣٧) إن الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية من تحريم أربعة أشهر من السنة عدداً لا تحديداً بأسماء الأشهر التي حرّمها الله، فيؤخرون بعضها أو يقدّمونه ويحعلون مكانه من أشهر الحل ما أرادوا حسب حاجتهم إلى القتال، إن ذلك زيادة في الكفر، يفضل الشيطان به الذين كفروا، يحلون الذي أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة عاماً، ويحرمونه عاماً، ليوافقوا عدد الشهور الأربعة، فيحلوا ما حرّم الله منها. زَيْن هم الشيطان الأعمال السيئة. والله لا يوفق القوم الكافرين إلى الحق والصواب.

(٣٨) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره ما بالكم إذا قيل لكم: اخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله لقتال أعدائكم تكاسلتم ولزمت مساكنتكم؟ هل أتتكم حظوظكم الدنيوية على نعيم الآخرة؟ فما تستمتعون به في الدنيا قليل زائل، أما نعيم الآخرة الذي أعدّه الله للمؤمنين المجاهدين فكثير دائم.

(٣٩) إن لا تنفروا أيها المؤمنون إلى قتال عدوكم

ينزل الله عقوبته بكم، ويأت بقوم آخرين ينفرون إذا استنّفروا، ويطيعون الله ورسوله، ولن تضروا الله شيئاً بتوليكم عن الجهاد، فهو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه. وما يريد الله يكون لا محالة. والله على كل شيء قدير من نصر دينه ونبيه دونكم.

(٤٠) يا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لا تنفروا معه إذا استنّفركم، وإن لا تنصروه، فقد أيد الله ونصره يوم أخرجه الكفار من قريش من بلده «مكة»، وهو ثاني اثنين (هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه)، وألجؤهما إلى ثقب في جبل ثور بـ«مكة»، فمكثا فيه ثلاث ليال، إذ يقول لصاحبه «أي بكر» لَمَّا رَأَى مِنْهُ الْخَوْفَ عَلَيْهِ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا بنصره وتأييده، فأنزل الله الطمأنينة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعانه بجنود لم يرها أحد من البشر وهم الملائكة، فأنجاه الله من عدوه وأذلّ الله أعداءه، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى. وكلمة الله هي العليا، وذلك بإعلاء شأن الإسلام. والله عزيز في ملكه، حكيم في تدبير شؤون عباده. وفي هذه الآية متقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أَيُّفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ١١ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَآتَيْنَاكَ
 وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
 لَوِ اسْتَطَعْنَا الْخُرُوجَ مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٢ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ
 حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ
 ١٣ لَا يَسْتَفِذُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
 يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ١٤
 إِنَّمَا يَسْتَفِذُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَآزَنَاتٌ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ١٥ وَلَوْ
 أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِبَعَالِهِمْ
 فَتَطَاعُهُمْ وَقِيلَ أَفْعَدُّوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ١٦ لَوْ خَرَجُوا فِئَكُمُ
 مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا ابْجَالًا وَلَا فَوْضُوهُمْ إِلَّا لَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
 الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ١٧

(٤١) اخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله شباباً وشيوخاً في العسر واليسر، على أي حال كنتم، وأنفقوا أموالكم في سبيل الله، وقاتلوا بأيديكم لإعلاء كلمة الله، ذلك الخروج والبذل خير لكم في حاكم ومالككم من الشاغل والإمساك والتخلف، إن كنتم من أهل العلم بفضل الجهاد وثوابه عند الله فافعلوا ما أمرتهم به، واستجيبوا لله ورسوله.

(٤٢) وَنَحَّ اللَّهُ جَلَّ جلاله جماعة من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف عن غزوة «تبوك» مبيهاً أنه لو كان خروجهم إلى غنيمة قريبة سهلة المنال لاتبعوك، ولكن لما دعوا إلى قتال الروم في أطراف بلاد «الشام» في وقت الحر تحاذلوا، وتخلفوا، وسيعتذرون لتخلفهم عن الخروج حالفين بالله بأنهم لا يستطيعون ذلك، يهلكون أنفسهم بالكذب والنفاق، والله يعلم إنهم لكاذبون فيما يبدون لك من الأعداء.

(٤٣) عفا الله عنك - أيها النبي - عما وقع منك

من ترك الأولى والأكمل، وهو إذ ذلك للمنافقين في القعود عن الجهاد، لأي سبب أذنت هؤلاء بالتخلف عن الغزوة، حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين منهم في ذلك؟

(٤٤) ليس من شأن المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر أن يستأذنوك - أيها النبي - في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وإنما هذا من شأن المنافقين. والله عليم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

(٤٥) إنما يطلب الإذن للتخلف عن الجهاد الذين لا يصدقون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يعملون صالحاً، وشكَّت قلوبهم في صحة ما جنت به - أيها النبي - من الإسلام وشرائعه، فهم في شكهم يتحيزون.

(٤٦) ولو أراد المنافقون الخروج معك - أيها النبي - إلى الجهاد لتأهبوا له بالزاد والراحلة، ولكن كره الله خروجهم فثقل عليهم الخروج قضاء وقدرًا، وإن كان أمرهم به شرعاً، وقيل لهم: تخلفوا مع القاعدين من المرضى والضعفاء والنساء والصبيان.

(٤٧) لو خرج المنافقون معكم - أيها المؤمنون - للجهاد لنشروا الاضطراب في الصفوف والشر والفساد، ولأسرعوا السير بينكم بالنيمة والبغضاء، يبغيون فتنتكم بشييطكم عن الجهاد في سبيل الله، وفيكم - أيها المؤمنون - عيون لهم يسمعون أخباركم، وينقلونها إليهم. والله عليم بهؤلاء المنافقين الظالمين، وسيجازيهم على ذلك.

لَقَدْ أَتَعَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَنْتَنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ نُصِيبَكَ
حَسَنَةً سَأُولُهَا وَإِنْ نُصِيبَكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا أَقَدْ
أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ
لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْضَوْنَ بِنَا
إِلَّا حَذَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَى بَكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِيْنَا فَتَرْضَوْنَ إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَضَّوْنَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ
مِنْكُمْ إِلَّا نَفْسُكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنْعَهُمْ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾

(٤٨) لقد ابتغى المنافقون فتنة المؤمنين عن دينهم وصددهم عن سبيل الله من قبل غزوة «تبوك»، وكشف أمرهم، وصروا لك -أيها النبي- الأمور في إبطال ما جئت به، كما فعلوا يوم «أحد» ويوم «الخنديق»، ودبروا لك الكيد حتى جاء النصر من عند الله، وأعز جنده ونصر دينه، وهم كارهون له.

(٤٩) ومن هؤلاء المنافقين من يطلب الإذن للعود عن الجهاد ويقول: لا توقعني في الابتلاء بما يعرض لي في حالة الخروج من فتنة النساء. لقد سقط هؤلاء المنافقون في فتنة النفاق الكبرى. وإن جهنم لمحيطة بالكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يُفْلِتُ منهم أحد.

(٥٠) إن يصيبك -أيها النبي- سرور وغنيمة يحزن المنافقون، وإن يلحق بك مكروه من هزيمة أو شدة يقولوا: نحن أصحاب رأي وتدبير قد احتطنا لأنفسنا بتخلفنا عن محمد، وينصرفوا وهم مسرورون بما صنعوا وبما أصابك من السوء.

(٥١) قل -أيها النبي- هؤلاء المتخاذلين زجرأ لهم وتوبيحاً: لن يصيبنا إلا ما قدره الله علينا وكتبه في اللوح المحفوظ، هو ناصراً على أعدائنا، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون به.

(٥٢) قل لهم -أيها النبي-: هل تنتظرون بنا إلا شهادة أو ظفراً بكم؟ ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا نفتلكم، فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بكل فريق منا ومنكم.

(٥٣) قل -أيها النبي- للمنافقين: أنفقوا أموالكم كيف شئتم، وعلى أي حال شئتم طائعين أو كارهين، لن يقبل الله منكم نفقاتكم؛ لأنكم قوم خارجون عن دين الله وطاعته.

(٥٤) وسبب عدم قبول نفقاتهم أنهم أضرموا الكفر بالله عز وجل وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يأتون الصلاة إلا وهم متهاقلون، ولا ينفقوا الأموال إلا وهم كارهون، فهم لا يرجون ثواب هذه الفرائض، ولا ينجشون على تركها عقاباً بسبب كفرهم.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا رِزْقُ اللَّهِ يُعْجِبُ بِهِمْ
بِهَافٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقُ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ
(٥٤) وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنْ هُمْ
قَوْمٌ يَقْرُفُونَ (٥٥) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَاجًا أَوْ مَدْحَلًا
لَوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٦) وَمِنْهُمْ مَن يَلْعَنُكَ فِي
الصَّدَقَاتِ إِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٧) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُفْعِلُنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٨) إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةُ قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ
وَالْغَرَامِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآتَى السَّبِيلَ فَرِيضَةً
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ حَرِيرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ
بِاللهِ وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٠)

(٥٥) فلا تعجبك -أيها النبي- أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم؛ إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا بالتعب في تحصيلها وبالمصائب التي تقع فيها، حيث لا يحتسبون ذلك عند الله، وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله ورسوله.

(٥٦) ويحلف هؤلاء المنافقون بالله لكم أيها المؤمنون كذباً وباطلاً إنهم لكم، وليسوا منكم، ولكنهم قوم يخافون فيحلفون بَقِيَّةٍ لكم.

(٥٧) لو يجد هؤلاء المنافقون مأمناً وحصناً يحفظهم، أو كهفاً في جبل يؤويهم، أو نفقاً في الأرض ينجيهم منكم، لانصرفوا إليه وهم يسرعون.

(٥٨) ومن المنافقين مَن يعيبك في قسمة الصدقات، فإن نأهم نصيب منها رضوا وسكتوا، وإن لم يصبهم حظ منها سخطوا عليك وعابوك.

(٥٩) ولو أن هؤلاء الذين يعيبونك في قسمة

الصدقات رضوا بما قسم الله ورسوله لهم، وقالوا: حسبتنا الله، سيوفيتنا الله من فضله، ويعطينا رسوله مما آتاه الله، إنا نرغب أن يوسع الله علينا، فيغنيانا عن الصدقة وعن صدقات الناس. لو فعلوا ذلك لكان خيراً لهم وأجدى.

(٦٠) إنما تعطى الزكوات الواجبة للمحتاجين الذين لا يملكون شيئاً، وللمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسدُّ حاجتهم، وللسعاة الذين يجمعونهم، وللذين تؤلفون قلوبهم بها عن يَرْجَى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين، أو تدفعون بها شرَّ أحد عن المسلمين، وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين، وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين، ولمن أثقلتهم الديون في غير فساد ولا تبذير فأعسروا، وللغزاة في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت به النفقة، هذه القسمة فريضة فرضها الله وقدرها. والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.

(٦١) ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام، ويقولون: إنه يستمع لكل ما يقال له فيصدقه، قل لهم -أيها النبي-: إن محمداً هو أذن تستمع لكل خير، يؤمن بالله ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه، وهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه. والذين يؤذون رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم بأي نوع من أنواع الإيذاء، لهم عذاب مؤلم مجمع.

يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ لِرِضْوَانِهِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
 أَنْ يُرْضَوْهُ مِنْكُمْ وَأَوْفُونَ بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ لِلَّهِ أَثَمٌ
 يُحَادِدُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنْتُمْ تَارِكُونَ حَيْثُ خَلَّدَ فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ٦٣ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ
 تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا
 إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ٦٤ وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَعَبٌ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ فَمِنكُمُ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٦٦ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
 بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنَكْرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٦٧ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارِجَهَمُ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفَّارِ ٦٨ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٦٩

(٦٢) يجلف المنافقون الأيمان الكاذبة، ويقدمون الأعذار الملفقة؛ ليُرَضُّوا بالمؤمنين، والله ورسوله أحق وأولى أن يُرَضُّوا بالإيمان بهما وطاعتها، إن كانوا مؤمنين حقاً.

(٦٣) ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن مصير الذين يجارِبون الله ورسوله نَارُ جهنم لهم العذاب الدائم فيها؟ ذلك المصير هو الهوان والذل العظيم، ومن المحاربة أدبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبِّه والقدح فيه، عياداً بالله من ذلك.

(٦٤) يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تخبرهم بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر، قل لهم -أيها النبي-: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية، إن الله خرج حقيقة ما تحذرون.

(٦٥) ولئن سألتهم -أيها النبي- عما قالوا من القدح في حقك وحق أصحابك ليقولنَّ: إنما كنا نتحدث بكلام لا قصد لنا به، قل لهم -أيها

النبي-: أبالله عز وجل وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟

(٦٦) لا تعتذروا -معشر المنافقين- فلا جدوى من اعتذاركم، قد كفرتم بهذا المقال الذي استهزأتم به، إن تعف عن جماعة منكم طلبت العفو وأخلصت في توبتها، تعذب جماعة أخرى بسبب إجرامهم بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

(٦٧) المنافقون والمنافقات صنف واحد في إعلانهم الإيوان واستبطنهم الكفر، يأمرون بالكفر بالله ومعصية رسوله وينهون عن الإيوان والطاعة، ويمسكون أيديهم عن الثقة في سبيل الله، نسوا الله فلا يذكرونه، فنسيهم من رحمته، فلم يوفقهم إلى خير. إن المنافقين هم الخارجون عن الإيوان بالله ورسوله.

(٦٨) وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بأن مصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً، هي كافيتهن؛ عقاباً على كفرهم بالله، وطردهم الله من رحمته، ولهم عذاب دائم.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا مَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كََمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضُّهُمُ
كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّةُ آثِمِهِمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْنِ لَهُمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ فَمَا كَانُوا يَسْمَعُونَ وَلَا يَخَافُونَ ﴿٧٠﴾ أَلَمْ يَأْنِ
لَهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ لِيُظْلَمَهُمْ وَلَا يَكُنْ لَهُمْ
أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٧٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٣﴾

(٦٩) إن أفعالكم -معشر المنافقين- من الاستهزاء والكفر كأفعال الأمم السابقة التي كانت على جانب من القوة والمال والأولاد أشد منكم، فاطمأنوا إلى الحياة الدنيا، وتمتعوا بها فيها من الخطوط والمذات، فاستمتعتم أيها المنافقون بنصيبكم من الشهوات الفانية كاستمتاع الذين من قبلكم بحظوظهم الفانية، وخضتم بالكذب على الله كخوض تلك الأمم قبلكم، أولئك الموصوفون بهذه الأخلاق هم الذين ذهب حسنتهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون ببيعهم نعيم الآخرة بحظوظهم من الدنيا.

(٧٠) ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الذين مضوا من قوم نوح وقبيلة عاد وقبيلة ثمود وقوم إبراهيم وأصحاب «مدين» وقوم لوط عندما جاءهم المرسلون بالوحي وبآيات الله فكذبوهم؟ فأنزل الله هؤلاء جميعاً عذابه؛ انتقاماً منهم لسوء عملهم، فما كان الله ليظلمهم، ولكن

كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالتكذيب والمخالفة.

(٧١) والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح، وينهونهم عن الكفر والمعاصي، ويؤدون الصلاة، ويعطون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، ويتنهون عما نهوا عنه، أولئك سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تشريعاته وأحكامه.

(٧٢) وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها، ومسكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ
يُمَارِيتُنَا وَلَوْ أَنَّمَا تَغْفُرَ اللَّهُ لَنُفْسِنَا
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعِدْهُمْ
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا تُنَافِقُوا
مِنْ فَضْلِهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ الصَّادِقِينَ
﴿٧٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي فُلُو بِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ
يَمَّا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْغِ لَهُمُ سُرَّةً وَتَجْوَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

(٧٣) يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين باللسان والحجة، واشدد على كلا
الفرقتين، ومقرهم جهنم، وبش المسير
مصيرهم.

(٧٤) يخلف المنافقون بالله أنهم ما قالوا شيئاً
يسيء إلى الرسول وإلى المسلمين، إنهم لكاذبون؛
فلقد قالوا كلمة الكفر وارتدوا بها عن الإسلام
وحاولوا الإضرار برسول الله محمد صلى الله
عليه وسلم، فلم يمكنهم الله من ذلك، وما
وجد المنافقون شيئاً يعيونه، ويتقدونه، إلا أن
الله - تعالى - تفضل عليهم، فأغناهم بما فتح
على نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة،
فلن يرجع هؤلاء الكفار إلى الإيمان والتوبة فهو
خير لهم، وإن يعرضوا، أو يستمروا على حالهم،
يعذبهم الله العذاب الموعود في الدنيا على أيدي
المؤمنين، وفي الآخرة بنار جهنم، وليس لهم منقذ
ينقذهم ولا ناصر يدفع عنهم سوء العذاب.

(٧٥) ومن فقراء المنافقين من يقطع العهد على

نفسه: لئن أعطاه الله المال ليصدق منه، وليعملن ما يعمل الصالحون في أموالهم، وليسرن في طريق الصلاح.

(٧٦) فلما أعطاهم الله من فضله بخلوا بإعطاء الصدقة وبإنفاق المال في الخير، وتولوا وهم معرضون عن الإسلام.

(٧٧) فكان جزاء صنيعهم وعاقبتهم أن زادهم نفاقاً على نفاقهم، لا يستطيعون التخلص منه إلى يوم الحساب؛ وذلك
بسبب إخلافهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم، وبسبب نفاقهم وكذبهم.

(٧٨) ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم ما يخفونه في أنفسهم وما يتحدثون به في مجالسهم من الكيد والمكر، وأن الله علام
الغيوب؟ فسيجازيهم على أعمالهم التي أحصاها عليهم.

(٧٩) ومع بخل المنافقين لا يشك المتصدقون من أذاهم؛ فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالرياء، وإذا
تصدق الفقراء بما في طاقتهم استهزؤوا بهم، وقالوا سخرية منهم: ماذا تجدي صدقتهم هذه؟ سخر الله من هؤلاء المنافقين،
ولهم عذاب مؤلم مجمع.

(٨٠) استغفر - أيها الرسول - للمنافقين
أو لا تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، مهيا
كثر استغفاركم لهم وتكرر؛ لأنهم كفروا بالله
ورسوله. والله سبحانه وتعالى لا يوفق للهدى
الخارجين عن طاعته.

(٨١) فرح المخلفون الذين تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقعودهم في «المدينة»
مخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم،
وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في
سبيل الله، وقال بعضهم لبعض: لا تنفروا في
الحرب، وكانت غزوة «تبوك» في وقت شدة الحرب.
قل لهم - أيها الرسول -: نار جهنم أشد حراً، لو
كانوا يعلمون ذلك.

(٨٢) فليضحك هؤلاء المنافقون الذين تخلفوا
عن رسول الله في غزوة «تبوك» قليلاً في حياتهم
الدنيا الفانية، وليبكوا كثيراً في نار جهنم؛ جزاء
بما كانوا يكسبون في الدنيا من النفاق والكفر.
(٨٣) فَإِنْ رَدَّكَ اللَّهُ - أيها الرسول - مِنْ غزوتك

أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨١﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ
خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا
لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٢﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ
مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ
تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
مَعَ الْمُخَلَّفِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَضِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَتَقُمْ
عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ
بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُو الْقُلُوبِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا مَا نَكُنْ مَعَ الْقَادِرِينَ ﴿٨٧﴾

إلى جماعة من المنافقين الثابتين على النفاق، فاستأذنونك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة «تبوك» فقل لهم: لن
تخرجوا معي أبداً في غزوة من الغزوات، ولن تقاتلوا معي عدواً من الأعداء؛ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع
الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٨٤) وَلَا تَضَلْ - أيها الرسول - أبداً على أحد مات من المنافقين، ولا تقم على قبره لتدعوه؛ لأنهم كفروا بالله تعالى
وبرسوله صلى الله عليه وسلم وماتوا وهم فاسقون. وهذا حكم عام في كل من علّم نفاقه.

(٨٥) وَلَا تَعْجَبْكَ - أيها الرسول - أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، إنها يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بمكابدتهم الشدائد
في شأنها، وبموتهم على كفرهم بالله ورسوله.

(٨٦) وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ على محمد صلى الله عليه وسلم تأمر بالإيمان بالله والإخلاص له والجهاد مع رسول الله، طلب
الإذن منك - أيها الرسول - أولو اليسار من المنافقين، وقالوا: اتركنا مع القاعدين العاجزين عن الخروج.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِجُّدُ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَقْذِرُونَكَ فَهُمْ أُغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

(٨٧) رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم بالعار، وهو أن يقعدوا في البيوت مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار، وختم الله على قلوبهم؛ بسبب نفاقهم وتخلفهم عن الجهاد والخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله، فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشادهم.

(٨٨) إن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو، فقد جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة، وأولئك هم الفائزون.

(٨٩) أعد الله لهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها أبداً، ذلك هو الفلاح العظيم.

(٩٠) وجاء جماعة من أحياء العرب حول «المدينة» يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج للغزو، وقعد قوم بغير عذر

أظهروه جرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. سيصيب الذين كفروا من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل وغيره، وفي الآخرة بالنار.

(٩١) ليس على أهل الأعذار من الضعفاء والمرضى والفقراء الذين لا يملكون من المال ما يتجهزون به للخروج إثم في القعود إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه، ما على من أحسن ممن منعه العذر عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ناصح لله ولرسوله من طريق يعاقب من قبيله ويؤاخذ عليه. والله غفور للمحسنين، رحيم بهم.

(٩٢) وكذلك لا إثم على الذين إذا ما جاؤوك يطلبون أن تعينهم بحملهم إلى الجهاد قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدواب، فانصرفوا عنك، وقد فاضت أعينهم دمعاً أسفاً على ما فاتهم من شرف الجهاد وثوابه؛ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون، وما يحملهم لو خرجوا للجهاد في سبيل الله.

(٩٣) إنما الإثم والوالم على الأغنياء الذين جاؤوك -أيها الرسول- يطلبون الإذن بالتخلف، وهم المنافقون الأغنياء اختاروا لأنفسهم القعود مع النساء وأهل الأعذار، وختم الله على قلوبهم بالنفاق، فلا يدخلها إيمان، فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أخبارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُرِيدُونَ إِلَيَّ عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَخْلِفُونِ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَنُهُمْ جِهَةٌ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْسَبُونَ ﴿٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِن الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَكْرِضُ يَكُمُ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَالْأَعْرَابُ مِنْ ثُؤْمُرٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَّا يَأْتِيَهَا قَرْبَةً لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنِ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

(٩٤) يعتذر إليكم - أيها المؤمنون - هؤلاء المتخلفون عن جهاد المشركين بالكاذب عندما تعودون من جهادكم من غزوة «تبوك»، قل لهم - أيها الرسول -: لا تعتذروا لن نصدقكم فيما تقولون، قد نبأنا الله من أمركم ما حقق لدينا كذبكم، وسيرى الله عملكم ورسوله، إن كنتم تتوبون من نفاقكم، أو تقيمون عليه، وسيظهر للناس أعمالكم في الدنيا، ثم ترجعون بعد مماكم إلى الذي لا تخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها، فيخبركم بأعمالكم كلها، ويجازيكم عليها.

(٩٥) سيخلف لكم المنافقون بالله - كاذبين معتردين - إذا رجعتكم إليهم من الغزو؛ لتتركهم دون مساءلة، فاجتنبوهم وأعرضوا عنهم احتقاراً لهم، إنهم خبثاء البواطن، ومكانهم الذي يأوون إليه في الآخرة نار جهنم؛ جزاء بما كانوا يكسبون من الآثام والخطايا.

(٩٦) يلحف لكم - أيها المؤمنون - هؤلاء

المنافقون كذبا؛ لترضوا عنهم، فإن رضيتم عنهم - لأنكم لا تعلمون كذبهم - فإن الله لا يرضى عن هؤلاء ولا غيرهم ممن استمروا على الفسوق والخروج عن طاعة الله ورسوله.

(٩٧) الأعراب سكان البادية أشد كُفراً ونفاقاً من أهل الحاضرة، وذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وبُعدهم عن العلم والعلاء ومجالس الوعظ والذكر، فهم لذلك أحق بأن لا يعلموا حدود الدين، وما أنزل الله من الشرائع والأحكام، والله عليهم بحال هؤلاء جميعاً، حكيم في تدبيره لأمر عباده.

(٩٨) ومن الأعراب من يحتسب ما ينفق في سبيل الله غرامة وخسارة لا يرجو له ثواباً، ولا يدفع عن نفسه عقاباً، وينتظر بكم الحوادث والآفات، ولكن السوء دائر عليهم لا بالمسلمين. والله سميع لما يقولون عليم بنياتهم الفاسدة.

(٩٩) ومن الأعراب من يؤمن بالله ويقرُّ بوحديته وبإلوهيته وبالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب، ويحتسب ما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قاصداً بها رضا الله ومحبة، ويجعلها وسيلة إلى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له، ألا إن هذه الأعمال تقربهم إلى الله تعالى، سيدخلهم الله في جنته. إن الله غفور لما فعلوا من السيئات، رحيم بهم.

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ حَولَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
مُتَّبِعُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ
تَحْتَ ثَمَرِهِمْ سَعَىٰ دُونِ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ
عَظِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَآخَرُونَ أَوْفَرُوا يُدْنُوهُمْ فَخَلَوُا عَلَيْهِمْ كَمَا
وَأَخَرٌ سَبَّحًا عَلَى اللَّهِ أَنْ تُؤْبَ عَلَيْهِمْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٥٧﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ
اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٩﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَيُسَوِّدُهُ أَوْ يَهَيِّئُ لَهُ صُورَةً وَسَيَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْقَبِيِّ وَاللَّهُ هَدَى
قَبِيلَكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرٍ لِلَّهِ
أَمَّا بَعْضُكُم مِمَّنْ يَبْغُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾

(١٠٠) والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هجروا أقومهم وعشيرتهم وانطلقوا إلى دار الإسلام، والأنصار الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه الكفار، والذين اتبعوه يوم ياحسان في الاعتقاد والأقوال والأعمال طلباً لرضا الله سبحانه وتعالى، أولئك الذين رضي الله عنهم لطاعتهم الله ورسوله، ورضوا عنه لِمَا أَجَزَ لَهُم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم، وأعدَّ لهم جنات تجري تحت قصورها وأشجارها الأنهار خالدين فيها أبداً، ذلك هو الفلاح العظيم.

وفي هذه الآية تذكيرة للصحابية - رضي الله عنهم - وتعديل لهم، وثناء عليهم؛ ولهذا فإن توقيرهم من أصول الأيمان.

(١٠١) ومن القوم الذين حول «المدينة» أعراب منافقون، ومن أهل «المدينة» منافقون أقاموا على النفاق، وازدادوا فيه طغياناً، بحيث يخفى عليك -أيها الرسول- أمرهم، نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين: بالقتل والسبي والضيعة في الدنيا، وعذاب القبر بعد الموت، ثم يردُّون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في نار جهنم.

(١٠٢) وآخرون من أهل «المدينة» ومن حولها، اعترفوا بذنوبهم وندموا عليها وتابوا منها، خلطوا العمل الصالح - وهو التوبة والندم والاعتراف بالذنوب وغير ذلك من الأعمال الصالحة - بآخر سيئ - وهو التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأعمال السيئة - عسى الله أن يوفقهم للتوبة ويقبلها منهم. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(١٠٣) خذ -أيها النبي- من أموال هؤلاء التائبين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم، وتوترفعهم عن منازل المنافقين إلى منازل المخلصين، وأدعهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها، إن دعاءك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم. والله سميع لكل دعاء وقول، عليم بأحوال العباد ونياتهم، وسيجازي كل عامل بعمله.

(١٠٤) ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويأخذ الصدقات ويثيب عليها، وأن الله هو التواب لعباده إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا أنابوا إلى رضاه؟

(١٠٥) **وقل -أيها النبي- هؤلاء المتخلفين عن الجهاد: اعملوا الله بها يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه، واجتناب المعاصي، فسيبى الله علمكم ورسوله والمؤمنون، وسيتبين أمركم، وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سرهم وجهرهم، فيخبركم بما كنتم تعملون. وفي هذا تهديد ووعد لمن استمر على باطله وطفيلانه.**

(١٠٦) ومن هؤلاء المتخلفين عنكم -أيها المؤمنون- في غزوة «تبوك» آخرون مؤخرون؛ ليقضي الله فيهم ما هو قاض. وهؤلاء هم الذين ندما على ما فعلوا، وهم: مُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، إما يعذبهم الله، وإما يعفو عنهم. والله عليم بمن يستحق العقوبة أو العفو، حكيم في كل أقواله وأفعاله.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَارْتِدَادًا لِّلْمَنَ حَارِبَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قَبْلُ
 وَلَيَحْلِفُنَّ إِنَّ أَرَادْنَا إِلَّا آلَ الْحُسَيْنِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
 لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أَشْسَ عَلَى التَّقْوَى
 مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ
 يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَشَسَّ بَنِيَّهِ
 عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَشَسَّ بَنِيَّهِ
 عَلَى شِقَاقٍ رُفٍ هَارِفًا نَهَارِيهِ فِي تَارِجِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بَنِيَّ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
 فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
 ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
 بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
 وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
 وَالْفُرْقَانِ أَوْفُوا بَعْدَ مَوَدَّتِهِمْ مِنَ اللَّهِ فَاستَبَشِرُوا
 بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِمْ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

(١٠٧) والمنافقون الذين بنوا مسجداً؛ مضارةً للمؤمنين وكفرًا بالله وتفريقاً بين المؤمنين؛ ليصلي فيه بعضهم ويترك مسجد «قباء» الذي يصلي فيه المسلمون، فيختلف المسلمون ويتفرقوا بسبب ذلك، وانتظاراً لمن حارب الله ورسوله من قبل -وهو أبو عامر الراهب الفاسق- ليكون مكاناً للكيده للمسلمين، وليحلفن هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا بنيانه إلا الخير والرفق بالمسلمين، والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد «قباء»، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما يحلفون عليه. وقد هُدم المسجد وأُحرق.

(١٠٨) لا تقم -أيها النبي- للصلاة في ذلك المسجد أبداً؛ فإن المسجد الذي أُشس على التقوى من أول يوم -وهو مسجد «قباء»- أولى أن تقوم فيه للصلاة، ففي هذا المسجد رجال يحبون أن يتطهروا بالماء من النجاسات والأقذار، كما يتطهرون بالتورع والاستغفار من الذنوب والمعاصي. والله يحب المتطهرين. وإذا كان مسجد «قباء» قد أُشس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذلك بطريق الأولى والأحرى.

(١٠٩) لا يستوي من أُشس بنيانه على تقوى الله وطرأته ومرضاته، ومن أُشس بنيانه على طرف حفرة متداعية للسقوط، فبنى مسجداً ضاراً وكفراً وتفريقاً بين المسلمين، فأذى به ذلك إلى السقوط في نار جهنم. والله لا يهدي القوم الظالمين المتجاوزين حدوده.

(١١٠) لا يزال بنیان المنافقين الذي بنوه مضارةً لمسجد «قباء» شكاً ونفاقاً مآكثاً في قلوبهم، إلى أن تقطع قلوبهم بقتلهم أو موتهم، أو بتدميرهم غاية الندم، وتوبتهم إلى ربهم، وخوفهم منه غاية الخوف. والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون من الشك وما قصدوا في بنائهم، حكيم في تدبير أمور خلقه.

(١١١) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم في مقابل ذلك الجنة، وما أعد الله فيها من النعيم لبزهم نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته وإظهار دينه، فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة المنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، والقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. ولا أحد أوفى بعهده من الله لمن وفى بما عاهد الله عليه، فأظهروا السرور -أيها المؤمنون- ببيعكم الذي بايعتم الله به، وبما وعدكم به من الجنة والرضوان، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِمْ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَا يُغْنِفُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿٢٢﴾

(١٨) وكذلك تاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا من الأنصار - وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومُرارة بن الربيع - تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحزنوا حزناً شديداً، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بسعتها غمّاً وندماً بسبب تخلفهم، وضاقت عليهم أنفسهم لِمَا أصابهم من الغم، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وفَقَهم الله سبحانه وتعالى إلى الطاعة والرجوع إلى ما يرضيه سبحانه. إن الله هو التواب على عباده، الرحيم بهم.

(١٩) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه في كل ما تفعلون وتركون، وكونوا مع الصادقين في أيامهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم. (٢٠) ما كان ينبغي لأهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولهم من سكان البادية أن يتخلفوا في أهلهم ودورهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يرضوا لأنفسهم بالراحة والرسول صلى الله عليه وسلم في تعب ومشقة؛ ذلك بأنهم لا يصيبهم في سفرهم وجهادهم عطش ولا تعب ولا

جماعة في سبيل الله، ولا يطؤون أرضاً يغضب الكفار طوهم إياها، ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم قتلاً أو هزيمة إلا كُتِبَ لهم بذلك كله ثواب عمل صالح. إن الله لا يضيع أجر المحسنين الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقّه، وحقّ خلفه.

(٢١) ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة في سبيل الله، ولا يقطعون وادياً في سيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده، إلا كُتِبَ لهم أجر عملهم؛ ليجزيهم الله أحسن ما يجزون به على أعمالهم الصالحة.

(٢٢) وما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعاً لقتال عدوهم، كما لا يستقيم لهم أن يقعدوا جميعاً، فهلاً خرج للغزو والجهاد من كل فرقة جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود؛ وذلك ليتفقه القاعدون عن القتال فيعلموا ما تجبّد من الأحكام في دين الله وما أنزل على رسوله، وينذروا قومهم بما تعلموه عند رجوعهم إليهم، لعلهم يحذرون عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنَهُمْ مَنْ يَقُولُ بَلْ
هَذِهِ إِيمَانُنَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانُهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَأْوَاهُمْ كُفْرُهُمْ ﴿١٢٥﴾
وَلَا يَرْجِعُونَ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يُؤْتُونَ وَلَا هُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا
أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا
مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ قُلُوبِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سورة التوبة

(١٢٣) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى دار الإسلام من الكفار، وليجد الكفار فيكم غِلْظَةً وشدة، واعلموا أن الله مع المتقين بتأييده ونصره.

(١٢٤) وإذا ما أنزل الله سورة من سور القرآن على رسوله، فمن هؤلاء المنافقين من يقول: -إنكاراً واستهزاء- أيكم زادته هذه السورة تصديقاً بالله وآياته؟

فأما الذين آمنوا بالله ورسوله فزادهم نزول السورة إيماناً بالعلم بها وتدبرها واعتقادها والعمل بها، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين.

(١٢٥) وأما الذين في قلوبهم نفاق وشك في دين الله، فإن نزول السورة يزيدهم نفاقاً وشكاً إلى ما هم عليه من قبل من النفاق والشك، وهلك هؤلاء وهم جاحدون بالله وآياته.

(١٢٦) أولاً يرى المنافقون أن الله يبتليهم

بالقسط والشدة، ويظهرون ما يظنون من النفاق مرة أو مرتين في كل عام؟ ثم هم مع ذلك لا يتوبون من كفرهم ونفاقهم، ولا هم يتعظون ولا يتذكرون بما يعاينون من آيات الله.

(١٢٧) وإذا ما أنزلت سورة تغامر المنافقون بالعيون إنكاراً لنزولها وسخرية وغيظاً؛ لِمَا نزل فيها من ذكر عيوبهم وأفعالهم، ثم يقولون: هل يراكم من أحد إن قمتم من عند الرسول؟ فإن لم يرههم أحد قاموا وانصرفوا من عنده عليه الصلاة والسلام مخافة الفضيحة. صرف الله قلوبهم عن الإيمان؛ بسبب أنهم لا يفهمون ولا يتدبرون.

(١٢٨) لقد جاءكم أيها المؤمنون رسول من قومكم، يشق عليه ما تلقون من المكروه والعنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم، وهو بالمؤمنين كثير الرأفة والرحمة.

(١٢٩) فإن أعرض المشركون والمنافقون عن الإيمان بك -أيها الرسول- فقل لهم: حسبي الله، يكفيني جميع ما أهمني، لا معبود بحق إلا هو، عليه اعتمدت، وإليه قَوَّضْتُ جميع أموري؛ فإنه ناصري ومعيني، وهو ربُّ العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات.

﴿سورة يونس﴾

(١) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة

في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله
وبيّنه لعباده.

(٢) أكان أمراً عجيباً للناس إنزالنا الوحي

بالقرآن على رجل منهم ينذرهم عقاب الله،

ويبشّر الذين آمنوا بالله ورسله أن لهم أجراً

حسناً بما قدّموا من صالح الأعمال؟ فلبا أناهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحى الله وتلاه

عليهم، قال المنكرون: إنَّ محمداً ساحر، وما

جاء به سحر ظاهر البطلان.

(٣) إن ربكم الله الذي أوجد السموات

والأرض في ستة أيام، ثم استوى - أي: علا

وارتفع - على العرش استواء يليق بجلاله

وعظمته، يدبر أمور خلقه، لا يضاهه في قضائه

أحد، ولا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا من

بعد أن يأذن له بالشفاعة، فاعبدوا الله ربكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۝ قَالَ الْكُفَرُونَ
إِنَّ هَذَا سَحَرٌ مِمَّنْ ۝ إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ ءَيَّٰتٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ
مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنَ بَعْدَ آدْنِءٍ ذَٰلِكُمْ ۝ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ
أَقْلَٰتِدْ كُرُوْنَ ۝ إِلَٰهُكُمْ مَّجْمَعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا لِهُ
يُؤَدُّ الْحَقَاقُ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسُ
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ
وَالْحِسَابَ ۝ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا لِيُحْشَىٰ نُفُصِلَ الْآيٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنْ فِى أَخْيَافٍ لَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
اللَّهُ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝

المتصف بهذه الصفات، وأخلصوا له العبادة. أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج؟

(٤) إلى ربكم معادكم يوم القيامة جميعاً، وهذا وعد الله الحق، هو الذي يبدأ إيجاد الخلق ثم يعيده بعد الموت، فيجده حياً

كهيمته الأولى؛ ليجزي من صدق الله ورسوله، وعمل الأعمال الحسنة أحسن الجزاء بالعدل. والذين جحدوا وحدانية

الله ورسالة رسوله لهم شراب من ماء شديد الحرارة يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء، وهم عذاب موجع بسبب كفرهم

وضلالهم.

(٥) الله هو الذي جعل الشمس ضياء، وجعل القمر نوراً، وقدر القمر منازل، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف

الشهور والأعوام، ما خلق الله تعالى الشمس والقمر إلا لحكمة عظيمة، ودلالة على كمال قدرة الله وعلمه، يبين الحجج

والأدلة لقوم يعلمون الحكمة في إبداع الخلق.

(٦) إن في تعاقب الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض من عجائب الخلق وما فيها من إبداع ونظام، لأدلة

وحججاً واضحة لقوم يخشون عقاب الله وسخطه وعذابه.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
أَسْتَعِجَّ لَهُمُ الْخَيْرَ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَعْلَهُمْ فَذَرْنَا الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
الْضُرُّ دَعَا إِلَى جَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضَرَّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرِّهِمْ مَسَّهُ، كَذَلِكَ يُزَيِّنُ
لِلْمُصْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ تَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(٧) إن الذين لا يطمعون في لقائنا في الآخرة للحساب، وما يتلوه من أجزاء على الأعمال لإنكارهم البعث، ورضوا بالحياة الدنيا عوضاً عن الآخرة، وركنوا إليها، والذين هم عن آياتنا الكونية والشرعية ساهون.

(٨) أولئك مقرهم نار جهنم في الآخرة؛ جزاء بما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا.

(٩) إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يدلهم ربهم إلى طريق الجنة، ويوفقهم إلى العمل الموصل إليه؛ بسبب إيمانهم، ثم يثيهم بدخول الجنة وإحلال رضوانه عليهم، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار في جنات النعيم.

(١٠) دعاؤهم في الجنة التسبيح (سبحانك اللهم)، ونحية الله وملائكته لهم، ونحية بعضهم بعضاً في الجنة (سلام)، وآخر دعائهم قوله: «الحمد لله رب العالمين» أي: الشكر والثناء لله خالق المخلوقات ومربيها بنعمه.

(١١) ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في

الشر كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة لهلكوا، فترك الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث والنشور في تمردهم وعتوهم، يترددون حائرين.

(١٢) وإذا أصاب الإنسان الشدة استغاث بنا في كشف ذلك عنه مضطجعا لجنبه أو قاعداً أو قائماً، على حسب الحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضر به. فلما كشفنا عنه الشدة التي أصابته استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الشدة والبلاء، وترك الشكر لربه الذي فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء، كما زُين لهذا الإنسان استمراره على جحوده وعناده بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر، زُين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به.

(١٣) ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم - أيها المشركون بربهم - لما أشركوا، وجاءتهم رسلهم من عند الله بالمعجزات الواضحات والحجج التي تبين صدق من جاء بها، فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها لتصدق رسلها وتنقاد لها، فاستحقوا الهلاك، مثل ذلك الإهلاك نجزي كل مجرم متجاوز حدود الله.

(١٤) ثم جعلناكم - أيها الناس - خلائف في الأرض من بعد القرون المهلكة؛ لننظر كيف تعملون: أخيراً أم شراً، فنجازيكم بذلك حسب عملكم.

(١٥) وإذا تتلى على المشركين آيات الله التي أنزلناها إليك -أيها الرسول- واضحات، قال الذين لا يخافون الحساب، ولا يرجون الثواب، ولا يؤمنون بيوم البعث والنشور: انت بقرآن غير هذا، أو بدّل هذا القرآن: بأن تجعل الحلال حراماً، والحرام حلالاً، والوعد وعيداً، والوعيد وعداً، وأن تُسقط ما فيه من عيب أهدنا وتسفيه أحلامنا، قل لهم -أيها الرسول-: إن ذلك ليس إلئى، وإننا أتبع في كل ما أمركم به وأنهاكم عنه ما ينزله عليّ ربي وأمرني به، إني أخشى من الله -إن خالفت أمره- عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة.

(١٦) قل لهم -أيها الرسول-: لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم، ولا أعلمكم الله به، فاعلموا أنه الحق من الله، فإنكم تعلمون أنني مكثت فيكم زمناً طويلاً من قبل أن يوحى إليّ ربي، ومن قبل أن أتلوه عليكم، أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير؟

وإذا تتلى عليهم آياتنا يتنكب قال الذين لا يرجون لقائه: أتيت بقرةٍ إن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبديله من تلقائي نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴿١٥﴾ قل لو يشاء الله ماتوّه، وعليكم ولا أدرى لكم به فقد لئت فيكم عمارقن قتليه أفلا تعقلون ﴿١٦﴾ فمن أقلمهم ومن أفرقني على الله كذباً وكذب بما ينهى إنّه لا يضلح المجرموت ﴿١٧﴾ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفّعونا عند الله قل أنبيؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿١٨﴾ وما كان للناس إلا أئمةٌ واحدةٌ فاتّخفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يتخلفون ﴿١٩﴾ ويقولون لو أنزل علينا آية من ربّه فقل إنّما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴿٢٠﴾

(١٧) لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب أو كذب بآياته، إنه لا ينجح من كذب بأنبياء الله ورسليه، ولا ينالون الفلاح.

(١٨) ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله ما لا يضرهم شيئاً، ولا ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويقولون: إننا نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله، قل لهم -أيها الرسول-: أنخبرون الله تعالى بشيء لا يعلمه من أمر هؤلاء الشفعاء في السموات أو في الأرض؟ فإنه لو كان فيها شفعاء يشفعون لكم عنده لكان أعلم بهم منكم، فالله تعالى منزّه عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع.

(١٩) كان الناس على دين واحد وهو الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك، فكفر بعضهم، وثبت بعضهم على الحق. ولولا كلمة سبقت من الله بإمهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم لقضي بينهم: بأن يهلك أهل الباطل منهم، وينجي أهل الحق. (٢٠) ويقول هؤلاء الكفرة المعاندون: هلاً أنزل على محمد علم ودليل، وآية حسية من ربه نعلم بها أنه على حق فيما يقول، فقل لهم -أيها الرسول-: لا يعلم الغيب أحد إلا الله، فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، فانتظروا -أيها القوم- قضاء الله بيننا وبينكم بتعجيل عقوبته للمبطل منا، ونصرة صاحب الحق، إني منتظر ذلك.

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ
 فِي سَاءِ آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكُونُونَ تَامَةً مَكْرُونَ
 ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْغَرَابِ وَالْبَحْرِ حَقًّا إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ
 وَجُرْنَ فِيهِمْ بِهِمْ يَبْرِحْ طَبَقًا وَفِرُّوْهُمَا جَاءَتْ نَهَايُحْ عَاصِفٌ
 وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
 دَعَا إِلَهُهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْنَ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَفِّرَنَّ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَفْتَحْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَعْبُدُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَعْبُدُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّكُمْ رَجَعْتُمْ فَتَتَّبِعُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾
 إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ
 بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا
 أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَلَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ
 عَلَيْهَا أَنَّهُمْ آمَرُوا إِلِيلًا أَوْ نَهَاوا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَتُفَقِّنَ
 بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا
 إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

(٢١) وإذا أذقنا المشركين يسراً وفرجاً ورحمة بعد عسر وشدة وكرب أصابهم، إذا هم يكذبون، ويستهزئون بآيات الله، قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المستهزين: الله أسرع مكرًا واستدراجاً وعقوبة لكم، إن حفظنا الذين نرسلهم إليكم يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا، ثم نحاسبكم على ذلك.

(٢٢) هو الذي يسيركم - أيها الناس - في البر على الدواب وغيرها، وفي البحر في السفن، حتى إذا كنتم فيها وجرت بريح طيبة، وفرح ركاب السفن بالريح الطيبة، جاءت هذه السفن ربيع شديدة، وجاء الركاب الموج (وهو ما ارتفع من الماء) من كل مكان، وأيقنوا أن الهلاك قد أحاط بهم، أخلصوا الدعاء لله وحده، وتركوا ما كانوا يعبدون، وقالوا: لئن أنجيتنا من هذه الشدة التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمك.

(٢٣) فلما أنجاهم الله من الشدائد والأهوال إذا هم يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي. يا أيها الناس إنما يغيبكم راجع على أنفسكم، لكم متاع في الحياة الدنيا الزائلة، ثم إلبنا مصيركم ومرجعكم، فنخرجكم بجميع أعمالكم، ونحاسبكم عليها.

(٢٤) إنما مثل الحياة الدنيا وما تتفخرون به فيها من زينة وأموال، كمثل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض، فنبتت به أنواع من النبات تختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى إذا ظهر خضرة هذه الأرض وبهاؤها، وظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمرنا وقضائنا بهلاك ما عليها من النبات، والزينة إما ليلاً وإما نهاراً، فجعلنا هذه النباتات والأشجار محسودة مقطوعة لا شيء فيها، كأن لم تكن تلك الزروع والنباتات قائمة قبل ذلك على وجه الأرض، فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها الله ويهلكها. وكما بينا لكم - أيها الناس - مثل هذه الدنيا وعرفناكم بحقيقتها، نبين حجبتنا وأدلتنا لقوم يتفكرون في آيات الله. ويتدبرون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

(٢٥) والله يدعوكم إلى جناته التي أعدها لأوليائه، ويهدي من يشاء من خلفه، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام.

* الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزَادَهُ ۖ وَلَا يَرَهُ ۖ وَجُوهُهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذَلَّةٌ ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْشِيهَا وَهُمْ هُمْ ذَلَّةٌ ۖ مَا لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ ۖ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قَطَعًا مِنَ اللَّيْلِ
مُظْلِمًا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ۖ نُنْقَلُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ ۖ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فِي نَارٍ
بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُكُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكُفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا ۖ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْكِتَابُ ۖ وَإِنْ كُنْتُمْ عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَيْرِلِ ۝
هَٰذَا لَكُمْ تِلْكَ الْأَمْثَلُ ۖ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۖ وَرُدُّو إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ
الْحَقُّ ۖ وَصَلَ عَنْهُمْ مَآكِلُ الْأَنْفَعَةِ ۖ قُلْ مَنْ يَرْفَعُكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ ۖ وَالْأَرْضِ ۖ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ ۖ وَالْأَبْصَارَ ۖ مَنْ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ۖ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۖ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَإِنْ نَصَرْتُمْ ۖ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ۖ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝

(٢٦) للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله فأتوا به فيها أمر ونهى، الجنة، وزيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة، والمغفرة والرضوان، ولا يغشى وجوههم غبار ولا ذلة، كما يلحق أهل النار. هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب الجنة ما كانوا فيها أبداً.

(٢٧) والذين عملوا السيئات في الدنيا فكفروا وعصوا الله لهم جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها بعثناهم من عقاب الله في الآخرة، وتغشاهم ذلة وهوان، وليس لهم من عذاب الله من مانع يمنهم إذا عاقبهم، كأننا ألبست وجوههم أجزاء من سواد الليل المظلم. هؤلاء هم أهل النار ما كانوا فيها أبداً.

(٢٨) وذكر -أيها الرسول- يوم نحشر الخلق جميعاً للحساب والجزاء، ثم نقول للذين أشركوا بالله: الزموا مكانكم أنتم وشركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله حتى تنظروا ما يفعل بكم، ففرقنا بين المشركين ومعبودهم، وتبرأ من عبداً من دون الله ممن كانوا يعبدونهم، وقالوا للمشركين: ما كنتم إيانا تعبدون في الدنيا.

(٢٩) فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم، إننا لم نكن

نعلم ما كنتم تقولون وتفعلون، ولقد كنا عن عبادتكم إيانا غافلين، لا نشعر بها.

(٣٠) في ذلك الموقف للحساب تنفقد كل نفس أحوالها وأعمالها التي سلفت وتعاينها، وتجازى بحسبها: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ورُدُّ الجميع إلى الله الحكم العدل، فأدخِل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وذهب عن المشركين ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه.

(٣١) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ، بِمَا يُنْزِلُ مِنَ الْمَطَرِ، وَمَنِ الْأَرْضُ بِمَا يَنْبِتُ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبُيُوتِ وَالشَّجَرِ تَأْكُلُونَ مِنْهُ أَنْتُمْ وَأَنْعَامُكُمْ؟ وَمَنْ يَمْلِكُ مَا تَمْتَعُونَ بِهِ أَنْتُمْ وَغَيْرُكُمْ مِنْ حَوَاسِّ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَمْلِكُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ، فَيُخْرِجُ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ مِنْ بَعْضِهَا مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ، وَفِيهَا لَا تَعْرِفُونَ؟ وَمَنْ يُدِيرُ أَمْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَأَمْرُكُمْ وَأَمْرُ الْخَلْقِ جَمِيعاً؟ فَسَوْفَ يُجِيبُكَ أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلُّهُ هُوَ اللَّهُ، فَقُلْ لَهُمْ: أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ إِنْ عَبَدْتُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ؟

(٣٢) فذلكم الله ربكم هو الحق الذي لا ريب فيه، المستجيب للعبادة وحده لا شريك له، فأَيُّ شَيْءٍ سِوَى الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟ فَكَيْفَ تُضَرِّفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ؟

(٣٣) كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم، حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين خرجوا عن طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به أنهم لا يصدقون بوحدة الله، ولا بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يعملون بهدي.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهُ وَقُلْ اللَّهُ يَدْعُوُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ وَقُلْ إِنَّ تَوْفِيقِي لِلَّهِ ۖ هُوَ الَّذِي يَهْدِي
إِلَى الْخَلْقِ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ
يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ قُلْ إِنَّمَا لِكُلِّ فِرْعَانٍ حُكْمٌ ۖ
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۖ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْرَأَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ
لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعَمُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
ۖ قُلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا بَاءَ لَهُمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَلِكَ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۖ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ ۖ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ
بِرَبِّكُمْ مِمَّا أَعْمَلُوا أَنْتُمْ بَرَاءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّخْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۖ

(٣٤) قل لهم -أيها الرسول- هل من أهلكم ومعبوداتكم من يبدأ خلق أي شيء من غير أصل، ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه؟ فإنهم لا يقدرון على دعوى ذلك، قل -أيها الرسول-: الله تعالى وحده هو الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه ثم يعيده، فكيف تنصرفون عن طريق الحق إلى الباطل، وهو عبادة غير الله؟ (٣٥) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: هل من شركائكم من يرشد إلى الطريق المستقيم؟ فإنهم لا يقدرون على ذلك، قل لهم: الله وحده يهدي الضال عن الهدى إلى الحق. أيها الحق بالاتباع: من يهدي وحده للحق أم من لا يهدي لعدم علمه ولضلاله، وهم شركاؤكم الذين لا يهتدون ولا يهتدون إلا أن يهتدوا؟ فما بالكم كيف سويت بين الله وخلقهم؟ وهذا حكم باطل. (٣٦) وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين في جعلهم الأصنام آلهة واعتقادهم بأنها تقرب إلى الله إلا تخرفاً وظناً، وهو لا يغني من اليقين شيئاً. إن الله عليم بما يفعل هؤلاء المشركون من الكفر والتكذيب.

(٣٧) وما كان يتبعياً لأحد أن يأتي بهذا القرآن من عند غير الله؛ لأنه لا يقدر على ذلك أحد من الخلق، ولكن الله أنزله مصدقاً للكتب التي أنزلها على أنبيائه؛ لأن دين الله واحد، وفي هذا القرآن بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لا شك في أن هذا القرآن موحي من رب العالمين.

(٣٨) بل يقولون: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه؟ فإنهم يعلمون أنه بشر مثلهم!! قل لهم -أيها الرسول-: فاتوا أنتم بسورة واحدة من جنس هذا القرآن في نظمه وهدايته، واستعينوا على ذلك بكل من قد زمت عليه من دون الله من إنس وجن، إن كنتم صادقين في ادعائكم.

(٣٩) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه، قبل أن يتدبروا آياته، وكفروا بما لم يحيطوا بعلمه من ذكر البعث والجزاء والجنة والنار وغير ذلك، ولم يأثمهم بعد حقيقة ما وعدوا به في الكتاب. وكما كذب المشركون بوعد الله كذبت الأمم التي خلت قبلهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كانت عاقبة الظالمين؟ فقد أهلك الله بعضهم بالخسوف، وبعضهم بالغرق، وبعضهم بغير ذلك.

(٤٠) وبين قومك -أيها الرسول- من يصدق بالقرآن، ومنهم من لا يصدق به حتى يموت على ذلك ويبعث عليه، وربك أعلم بالمفسدين الذين لا يؤمنون به على وجه الظلم والعناد والفساد، فيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب.

(٤١) وإن كذبتك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون فقل لهم: لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، فأنتم لا تؤاخذون بعلمي، وأنا لا أؤاخذ بعلمكم.

(٤٢) ومن الكفار من يسمعون كلامك الحق، وتلاوتك القرآن، ولكنهم لا يهتدون. أفأنت تقدر على إسراع الصم؟ فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله هدايتهم؛ لأنهم صم عن سماع الحق، لا يعقلونه.

(٤٣) ومن الكفار من ينظر إليك وإلى أدلة نبوتك الصادقة، ولكنه لا يبصر ما أتاك الله من نور الإيان، أفأنت -أيها الرسول- تقدر على أن تخلق للعمى أبصاراً يبتدون بها؟ فكذلك لا تقدر على هدايتهم إذا كانوا فاقد البصيرة، وإنما ذلك كله لله وحده.

(٤٤) إن الله لا يظلم الناس شيئاً بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أمر الله ونهيه.

(٤٥) ويوم يحشر الله هؤلاء المشركين يوم البعث والحساب، كأنهم قبل ذلك لم يمكنوا في الحياة الدنيا إلا قدر ساعة من النهار، يعرف بعضهم بعضاً كحالمهم في الدنيا، ثم انقطعت تلك المعرفة وانقضت تلك الساعة. قد خسر الذين كفروا وكذبوا بقاء الله وثوابه وعقابه، وما كانوا موقنين لإصابة الرشد فيما فعلوا.

(٤٦) وإنا نريك -أيها الرسول- في حياتك بعض الذي تعدّهم من العقاب في الدنيا، أو تنويفك قبل أن نريك ذلك فيهم، فإلينا وحدنا يرجع أمرهم في الخاتين، ثم الله شهيد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، لا يخفى عليه شيء منها، فيجازيهم بها جزاءهم الذي يستحقونه.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأُمِّيَّ وَقَوْكَ لَوْلَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا نُرِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي تُعَدُّهُمْ أَوْ تَوْفِيتُكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن تَاكُرْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٌ أَوْ نَهَاكَ أَمَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَنَّهُ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْسَمَ بِهِ ؕ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ فَسَعَوْا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَيَسْتَغِيثُونَكَ أَقْوَىٰ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ وَلَهُ الْحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

(٤٧) ولكل أمة خلّت قبلكم -أيها الناس- رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت محمداً إليكم يدعو إلى دين الله وطاعته، فإذا جاء رسوله في الآخرة قضي حينئذ بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون من جزاء أفعالهم شيئاً.

(٤٨) ويقول المشركون من قومك -أيها الرسول-: متى قيام الساعة إن كنت أنت ومن تبعك من الصادقين فيها تعدوننا به؟ (٤٩) قل لهم -أيها الرسول-: لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضرراً، ولا أجلب لها نفعاً، إلا ما شاء الله أن يدفع عني من ضرر أو يجلب لي من نفع. لكل قوم وقت لا نقضاء مدتهم وأجلهم، وإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم، فلا يستأخرون عنه ساعة فيمهلون، ولا يتقدم أجلهم عن الوقت المعلوم.

(٥٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن أتاكم عذاب الله ليلاً أو نهاراً، فأَي شيء تستعجلون أيها المجرمون بنزول العذاب؟

(٥١) أبعدما وقع عذاب الله بكم -أيها المشركون- آمتم في وقت لا ينفعكم فيه الإيان؟ وقيل لكم حينئذ: الآن تؤمنون به، وقد كنتم من قبل تستعجلون به؟

(٥٢) ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله: تجعروا عذاب الله الدائم لكم أبداً، فهل تُعاقبون إلا بما كنتم تعملون في حياتكم من معاصي الله؟

(٥٣) ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك -أيها الرسول- عن العذاب يوم القيامة، أحق هو؟ قل لهم -أيها الرسول-: نعم وربّي إنه لحق لا شك فيه، وما أنتم بمعجزين الله أن يبعثكم ويجازيكم، فأنتم في قبضته وسلطانه.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا
الْأَنفَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِيَ بَيْنَهُمْ يَأْتِشِطُّ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنَّ
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُخَوِّجُ وَيُؤْتِي
وَالَيْتَهُ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ فَجَاءَ نَكْمٌ مُوَظَّعٌ
مِنْ رَبِّكَ وَشِقَاقٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُرَ عَلَى
اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَقُولُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

(٥٤) ولو أن لكل نفس أشركت وكفرت بالله جميع ما في الأرض، وأمكنها أن تجعله فداء لها من ذلك العذاب لافتدت به، وأخفى الذين ظلموا حسرتهم حين أبصروا عذاب الله واقعاً بهم جميعاً، وقضى الله عز وجل بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحداً إلا بذنبه.

(٥٥) ألا إن كل ما في السموات وما في الأرض ملك لله تعالى، لا شيء من ذلك لأحد سواه. ألا إن لقاء الله تعالى وعذابه للمشركين كاف، ولكن أكثرهم لا يعلمون حقيقة ذلك.

(٥٦) إن الله هو المحي والمميت لا يتعذر عليه إحياء الناس بعد موتهم، كما لا تعجزه إماتتهم إذا أراد ذلك، وهم إليه راجعون بعد موتهم.

(٥٧) يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده، وهي القرآن وما اشتمل عليه من الآيات والعظات؛ لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم، وفيه دواء لما في القلوب من الجهل والشرك وسائر الأمراض، ورشد لمن اتبعه من الخلق فينجيه من الهلاك، جعله سبحانه وتعالى نعمة ورحمة للمؤمنين، وخصهم بذلك؛ لأنهم المتتبعون بالإيمان، وأما الكافرون فهو عليهم عسى.

(٥٨) قل -أيها الرسول- لجميع الناس: بفضل الله وبرحمته، وهو ما جاءهم من الله من الهدى ودين الحق وهو الإسلام، فبذلك فليفرحوا؛ فإن الإسلام الذي دعاهم الله إليه، والقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة.

(٥٩) قل -أيها الرسول- هؤلاء الجاحدين للوحي: أخبروني عن هذا الرزق الذي خلقه الله لكم من الحيوان والنبات والحشرات فحللتم بعض ذلك لأنفسكم وحرمتم بعضه، قل لهم: الله أذن لكم بذلك، أم تقولون على الله الباطل وتكذبون؟ وإنهم يقولون على الله الباطل ويكذبون.

(٦٠) وما ظن هؤلاء الذين يتخرون على الله الكذب يوم الحساب، فيضيفون إليه تحريم ما لم يجرمه عليهم من الأرزاق والأقوات، أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفريبهم عليه؟ أم يحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر لهم؟ إن الله لذو فضل على خلقه؛ بتركه معالجة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وإمهاله إياه، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على تفضله عليهم بذلك.

(٦١) وما تكون -أيها الرسول- في أمر من أموركم وما تتلون من كتاب الله من آيات، وما يعمل أحد من هذه الأمة عملاً من خير أو شر إلا كنا عليكم شهوداً مُطَّلِعِينَ عليه، إذ تأخذون في ذلك، وتعملونه، فنحفظه عليكم ونجزيك به، وما يغيب عن علم ربك -أيها الرسول- من زنة نملة صغيرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر الأشياء ولا أكبرها، إلا في كتاب عند الله وواضح جلي، أحاط به علمه وجرى به قلمه.

الْآيَاتِ أُولَآئِكَ اللَّهُ لَأَخَوِّفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٥﴾
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَتَّخِذُ لِكُلِّ يَدٍ
 اللَّهُ ذَلَالًا هُوَ الْغَفُورُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ
 الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٨﴾ الْآيَاتِ لِلَّهِ
 مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءُ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
 وَإِنَّ هُمُ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٩﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 الْيَلَّ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا أَتَتَّخِذُ اللَّهُ وَلَدًا
 سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 إِن عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
 مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ إِن الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 لَا يُفْلِحُونَ ﴿٧٢﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَرْجَعَهُمْ ثُمَّ
 نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٣﴾

(٦٢) ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٦٣) وصفات هؤلاء الأولياء، أنهم الذين صدقوا الله واتباعوا رسوله وما جاء به من عند الله، وكانوا يتقون الله بامتثال أوامره، واجتناب معاصيه.

(٦٤) هؤلاء الأولياء البشارة من الله في الحياة الدنيا بما يسرهم، ومنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، وفي الآخرة بالجنة، لا يخلف الله وعده ولا يغيره، ذلك هو الفوز العظيم؛ لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب.

(٦٥) ولا يحزنك أيها الرسول - قول المشركين في ربهم واقتراؤهم عليه وإشراكهم معه الأوثان والأصنام؛ فإن الله تعالى هو المتفرد بالقوة الكاملة والقدرة التامة في الدنيا والآخرة، وهو السميع لأقوالهم، العليم ببنائهم وأفعالهم.

(٦٦) ألا إن الله كل من في السموات ومن في الأرض من الملائكة، والإنس، والجن وغير ذلك. وأي شيء يتبع من يدعو غير الله من الشركاء؟ ما يتبعون إلا الشك، وإن هم إلا يكذبون فيها ينسبونه إلى الله.

(٦٧) هو الذي جعل لكم - أيها الناس - الليل لتسكنوا فيه وتهدؤوا من عناء الحركة في طلب المعاش، وجعل لكم النهار لتبصروا فيه، ولتسعوا لطلب رزقكم. إن في اختلاف الليل والنهار وحال أهلها فيها لدلالة وحججاً على أن الله وحده هو المستحق للعبادة، لقوم يسمعون هذه الحجج، ويتفكرون فيها.

(٦٨) قال المشركون: اتخذ الله ولداً، كفهم: الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله. تقدس الله عن ذلك كله وتنزه، هو الغني عن كل ما سواه، له كل ما في السموات والأرض، فكيف يكون له ولد من خلق وكل شيء مملوك له؟ وليس لديكم دليل على ما تفترونه من الكذب، أقولون على الله ما لا تعلمون حقيقته وصحته؟

(٦٩) قل: إن الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه، لا ينالون مطلوبهم في الدنيا ولا في الآخرة.

(٧٠) إننا نمتعون في الدنيا بكفرهم وكذبهم متاعاً قصيراً، ثم إذا انقضى أجلهم فالينا مصيرهم، ثم نذيقهم عذاب جهنم؛ بسبب كفرهم بالله ونكذبيهم رسل الله، وجحدهم آياته.

* وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّاتٍ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجِئُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُوا ۝٣١ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَامْرَأَتِي أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٢ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُزْدَرِينَ ۝٣٣ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ۝٣٤ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٣٥ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا هَذَا السِّحْرُ مِنْ رَبِّهِ ۝٣٦ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۝٣٧ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ وَأَنْتَ إِلَهُ آبَائِنَا إِنَّا كَانُوا لَكُمْ كَاذِبِينَ ۝٣٨ وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكَةٌ أَلِكَةٌ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِأَعْمَارٍ ۝٣٩

(٧١) واقتصص - أيها الرسول - على كفار «مكة» خبر نوح - عليه السلام - مع قومه حين قال لهم: إن كان عظمٌ عليكم مقامي فيكم وتذكيري إياكم بحجج الله وبراهينه فعلى الله اعتيادي وبه تقضي، فاعدوا أمركم، وادعوا شركاءكم، ثم لا تجعلوا أمركم عليكم مستتراً بل ظاهراً منكشفاً، ثم اقضوا عليّ بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم، ولا تمهلوني ساعة من نهار.

(٧٢) فإن أعرضتم عن دعوتي فإنني لم أسألكم أجراً؛ لأن ثوابي عند ربي وأجري عليه سبحانه، وحده لا شريك له، وأمرت أن أكون من المنقادين لحكمه.

(٧٣) فكذب نوحاً قومه فيها أخبرهم به عن الله، فنجّيناه هو ومن معه في السفينة، وجعلناهم يخلقون المكذبين في الأرض، وأعرفنا الذين جحدوا حججنا، فأتامل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة القوم الذين أنذرهم رسولهم عذاب الله وبأسه؟

(٧٤) ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم (هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وغيرهم) فجاء كل رسول قومه بالمعجزات الدالة على رسالته، وعلى صحة ما دعاهم إليه، فإما كانوا ليصدقوا ويعلموا بها كذب به قوم نوح ومن سبقهم من الأمم الخالية. وكما ختم الله على قلوب هؤلاء الأقوام فلم يؤمنوا، كذلك يختم على قلوب من شابههم من بعدهم من الذين تجاوزوا حدود الله، وخالفوا ما دعاهم إليه رسلكم من طاعته عقوبة لهم على معاصيهم.

(٧٥) ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وأشراف قومه بالمعجزات الدالة على صدقهما، فاستكبرا عن قبول الحق، وكانوا قوماً مشركين مجرمين مكذبين.

(٧٦) فلما أتى فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى قالوا: إن الذي جاء به موسى من الآيات إنما هو سحر ظاهر.

(٧٧) قال لهم موسى متعجباً من قولهم: أتقولون للحق لما جاءكم: إنه سحر مبين؟ انظروا ووصف ما جاءكم وما اشتمل عليه تجذوه الحق، ولا يفلح الساحرون، ولا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة.

(٧٨) قال فرعون وملؤه لموسى: أجتئنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آبائنا من عبادة غير الله، وتكون لكم أنت وهارون العظمة والسلطان في أرض «مصر»؟ وما نحن لكم بمقرّين بأنكم رسولان أرسلنا إينا؛ لتعبد الله وحده لا شريك له.

(٧٩) وقال فرعون: جيتوني بكل ساحر متقن للسحر.

(٨٠) فلما جاء السحرة فرعون قال لهم موسى: اتقوا على الأرض ما معكم من جبالكم وعصيكم.

(٨١) فلما اتقوا جبالهم وعصيهم قال لهم موسى: إن الذي جتتم به وألقيموه هو السحر، إن الله سيذهب ما جتتم به وسيطله، إن الله لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه، وأفسد فيها بمعصيته.

(٨٢) وبشّ الله الحق الذي جتتم به من عنده فيُعليه على باطلكم بكلماته وأمره، ولو كره المجرمون أصحاب المعاصي من آل فرعون.

(٨٣) فما آمن لموسى عليه السلام مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة إلا ذرية من قومه من بني إسرائيل، وهم خائفون من فرعون وملئه أن يفتنهم بالعذاب، فيصدّوهم عن دينهم، وإن فرعون لجبار مستكبر في الأرض، وإنه لمن

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ۖ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْفُونَ ۖ فَلَمَّا الْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ ۖ وَيَحْيَىٰ اللَّهُ لَأَتَّقِيَ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۖ فَمَاءٌ آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۖ وَإِن فِرْعَوْنُ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّ لِمَنِ الْمُسْرِفِينَ ۖ وَقَالَ مُوسَىٰ يَتَّبِعُونَ إِن كُشِّرَ أَمْنُهُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ۖ إِن كُشِّرَ مُسْلِمِينَ ۖ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۖ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُبْغِضُ يَهُودًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُنَّ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۖ

المتجاوزين الحد في الكفر والفساد.

(٨٤) وقال موسى: يا قومي إن صدقتم بالله -جلّ وعلا- وامتثلتم شره فثقوا به، وسلّموا لأمره، وعلى الله توكلوا إن كنتم مذعنين له بالطاعة.

(٨٥) فقال قوم موسى له: على الله وحده لا شريك له اعتمدنا، وإليه فوّضنا أمرنا، ربنا لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو يُفتن الكفار بنصرهم، فيقولوا: لو كانوا على حق لما غلبوا.

(٨٦) ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين فرعون وملئه؛ لأنهم كانوا يأخذونهم بالأعمال الشاقة.

(٨٧) وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن اتخذا لقومكما بيوتا في «مصر» تكون مساكن وملاجئ تعتصمون بها، واجعلوا بيوتكم أماكن تصلّون فيها عند الخوف، وأدّوا الصلاة المفروضة في أوقاتها. وبشّر المؤمنين المطيعين لله بالنصر المؤزر، والثواب الجزيل منه سبحانه وتعالى.

(٨٨) وقال موسى: ربنا إنك أعطيت فرعون وأشراف قومه زينة من متاع الدنيا، فلم يشكروا لك؛ وإنما استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم، فلا يتفقهوا بها، واختم على قلوبهم حتى لا تتشرح للإيمان، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الشديد الموجه.

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَبِغُوا سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَزَّاءُ يَوْمَئِذٍ الْبَاطِلُ يُعَذِّبُهُمْ
وَجُزْءُهُمْ بَعِيدٌ وَعَدُّوْا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ
قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ يَوْمَئِذٍ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ أَفَلَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلْوِمُوا سَبْعَ بَنِيكُمْ أَتَمَنَّا أَنْ يُخْرِجَهُمُ
خَلْقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ يَمُونُ آبَاؤُهُمْ يَوْمَ بَدَأْنَاهُم بِهِمْ وَأَبَوْنَا يَوْمَئِذٍ أَنْ يَمُرُّوا
عَلَيْكَ فَتَمُوتَ فَتَكُنَ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكَ رِجْزًا وَبَاطِلًا يُضِلُّ بِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَهْتَدِي بِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ
وَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ سَبِيلَ قَوْمٍ عَلَيْهِمْ يُضِلُّهُمْ يَوْمَ لَا يُصْلِحُ لَهُمْ
شَيْئًا وَكَانُوا يُضِلُّونَ عَنْ سُبُلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكَ
رِجْزًا وَبَاطِلًا يُضِلُّ بِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَهْتَدِي بِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ
وَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ سَبِيلَ قَوْمٍ عَلَيْهِمْ يُضِلُّهُمْ يَوْمَ لَا يُصْلِحُ لَهُمْ
شَيْئًا وَكَانُوا يُضِلُّونَ عَنْ سُبُلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿٩٥﴾ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكَ
رِجْزًا وَبَاطِلًا يُضِلُّ بِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَهْتَدِي بِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ
وَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ سَبِيلَ قَوْمٍ عَلَيْهِمْ يُضِلُّهُمْ يَوْمَ لَا يُصْلِحُ لَهُمْ
شَيْئًا وَكَانُوا يُضِلُّونَ عَنْ سُبُلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكَ
رِجْزًا وَبَاطِلًا يُضِلُّ بِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَهْتَدِي بِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ
وَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ سَبِيلَ قَوْمٍ عَلَيْهِمْ يُضِلُّهُمْ يَوْمَ لَا يُصْلِحُ لَهُمْ
شَيْئًا وَكَانُوا يُضِلُّونَ عَنْ سُبُلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿٩٧﴾

(٨٩) قال الله تعالى لها: قد أجيبت دعوتكما في
فرعون وملته وأموالهم - وكان موسى يدعو،
وهارون يؤمن على دعائه، فمن هنا نسبت
الدعوة إلى الاثنين - فاستقيما على دينكما،
واستمرا على دعوتكما فرعون وقومه إلى توحيد
الله وطاعته، ولا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة
وعدي ووعيدي.

(٩٠) وقطعنا بني إسرائيل البحر حتى
جاءوزهم، فأتبعهم فرعون وجنوده ظلماً
وعدواناً، فسلكوا البحر وراءهم، حتى إذا
أحاط بفرعون الغرق قال: آمنتُ أنه لا إله إلا
الذي آمنتُ به بنو إسرائيل، وأنا من الموحدين
المستسلمين بالانقياد والطاعة.

(٩١) الآن يا فرعون، وقد نزل بك الموت تقرُّ
لله بالعبودية، وقد عصيته قبل نزول عذابه بك،
وكنتم من المفسدين الصادين عن سبيله!! فلا
تنفعك التوبة ساعة الاحتضار ومشاهدة الموت
والعذاب.

(٩٢) فاليسوم نجعلك على مرتفع من الأرض
بيدك، ينظر إليك من كذب هلاكك؛ لتكون
لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك. وإن
كثيراً من الناس عن حججنا وأدلتنا لغافلون،
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون.

(٩٣) ولقد أنزلنا بني إسرائيل منزلاً صالحاً مختاراً في بلاد «الشام» و «مصر»، ورزقناهم الرزق الحلال الطيب من خيرات
الأرض المباركة، فما اختلفوا في أمر دينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم الموجب لاجتماعهم واتلافهم، ومن ذلك ما
اشتملت عليه التوراة من الإخبار بنبو محمد صل الله عليه وسلم. إن ربك - أيها الرسول - يقضي بينهم يوم القيامة،
ويُفصل فيما كانوا يختلفون فيه من أمرك، فيدخل المكذبين النار والمؤمنين الجنة.

(٩٤) فإن كنت - أيها الرسول - في ريب من حقيقة ما أخبرناك به فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة
والإنجيل سؤال تقرير وإشهاد، فإن ذلك ثابت في كتبهم، لقد جاءك الحق اليقين من ربك بأنك رسول الله، وأن هؤلاء
اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك، ويجدون صفتك في كتبهم، ولكنهم ينكرون ذلك مع علمهم به، فلا تكونن من
الشاكين في صحة ذلك وحقيقته. والمقصود من الآية إقامة الحجة على المشركين بشهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى
قطعاً لمعدرتهم.

(٩٥) ولا تكونن - أيها الرسول - من الذين كذبوا بحجج الله وأدلتهم فتكون من الخاسرين الذين سخط الله عليهم ونالوا عقابه.
(٩٦) إن الذين حقَّت عليهم كلمة ربك - أيها الرسول - بطردهم من رحمة وعذابه لهم، لا يؤمنون بحجج الله، ولا يقرُّون
بوحدايته، ولا يعملون بشرعه.

(٩٧) ولو جاءهم كل موعظة وعبرة حتى يعاينوا العذاب الموعود، فحيثئذ يؤمنون، ولا ينفعهم إيمانهم.

(٩٨) لم ينفع الإيَّان أهل قرية آمنوا عند معاينة العذاب إلا أهل قرية يونس بن متى، فإنهم لمَّا أيقنوا أن العذاب نازل بهم تابوا إلى الله تعالى توبة نصوحاً، فلَمَّا تَبَيَّنَ منهم الصدق في توبتهم كشف الله عنهم عذاب الخزي بعد أن اقترَب منهم، وتركهم في الدنيا يستمتعون إلى وقت إنهاء آجالهم.

(٩٩) ولو شاء ربك -أيها الرسول- الإيَّان لأهل الأرض كلهم لآمنوا جميعاً بها جنتهم به، ولكن له حكمة في ذلك؛ فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وفق حكمته، وليس في استطاعتك أن تُكرِه الناس على الإيَّان.

(١٠٠) وما كان لنفس أن تؤمن بالله إلا بإذنه وتوفيقه، فلا يُجهد نفسك في ذلك، فإن أمرهم إلى الله. ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه.

(١٠١) قل -أيها الرسول- لقومك: تفكروا واعتبروا بما في السموات والأرض من آيات الله البينات، ولكن الآيات والعبر والرسائل المنذرة عباد الله عقابه، لا تنفع قوماً لا يؤمنون بشيء من ذلك؛ لإعراضهم وعنادهم.

(١٠٢) فهل ينتظر هؤلاء إلا يوماً يعابنون فيه

عذاب الله مثل أيام أسلافهم المكذبين الذين مضَّوا قبلهم؟ قل لهم -أيها الرسول-: فانتظروا عقاب الله إني معكم من المنتظرين عقابكم.

(١٠٣) ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا معهم، وكما نجينا أولئك ننجيكَ -أيها الرسول- ومن آمن بك تفضلاً منا ورحمة.

(١٠٤) قل -أيها الرسول- لهؤلاء الناس: إن كنتم في شك من صحة ديني الذي دعوتكم إليه، وهو الإسلام ومن ثباتي واستقامتي عليه، وترجون تحويلي عنه، فإني لا أعبد في حال من الأحوال أحداً من الذين تعبدونهم مما اتخذتم من الأصنام والأوثان، ولكن أعبد الله وحده الذي يميِّتكم ويحييكم ويقبض أرواحكم، وأمرت أن أكون من المصدقين به العاملين بشرعه.

(١٠٥) وأن أقم -أيها الرسول- نفسك على دين الإسلام مستقيماً عليه غير مائل عنه إلى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة غيره، ولا تكون ممن يشرك في عبادة ربه الألهة والأنداد، فتكون من الهالكين. وهذا وإن كان خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه موجه لعموم الأمة.

(١٠٦) ولا تدعُ -أيها الرسول- من دون الله شيئاً من الأوثان والأصنام؛ لأنها لا تنفع ولا تضر، فإن فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فإنك إذاً من المشركين بالله، الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعصية. وهذا وإن كان خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه موجه لعموم الأمة.

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ
يَخْتَرِ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَعْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنَا عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ مَا وَجَّهَ
إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكْبَةُ أَحْكَمَتْ أَيْمَنَهُ دُرُفُضِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١٠٧﴾
الْأَعْبَادُ وَالْأَلَاءُ اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿١٠٨﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ فَتُؤْتُوا إِلَيْهِ يُعْطِيَكُمْ مَعَا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿١٠٩﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسَّ خِفَؤُهُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ يَسْتَفْتُونَ نَبِيَّاهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنْهِ عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١١﴾

(١٠٧) وإن يصيبك الله -أيها الرسول- بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا هو جلّ وعلا، وإن يُرِدْكَ برحاء أو نعمة لا يمنعه عنك أحد، يصيب الله عز وجل بالسراء والضراء من يشاء من عباده، وهو الغفور لذنوب من تاب، الرحيم بمن آمن به وأطاعه.

(١٠٨) قل -أيها الرسول- لهؤلاء الناس: قد جاءكم رسول الله بالقرآن الذي فيه بيان هدايتكم، فمن اهتدى بهدي الله فإنها ثمرة عمله راجعة إليه، ومن انحرف عن الحق وأصرّ على الضلال فإنها ضلاله وضرره على نفسه، وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين، إنما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أُرسلت به.

(١٠٩) واتبع -أيها الرسول- وحي الله الذي يوحيه إليك فاعمل به، واصبر على طاعة الله تعالى، وعن معصيته، وعلى أذى من أذاك في تبليغ رسالته، حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره، وهو -عز وجل- خير الحاكمين؛ فإن حكمه مشتمل على العدل التام.

﴿سورة هود﴾

(١) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذا الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم أحكمت آياته من الخلل والباطل، ثم بيّنت بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام من عند الله، الحكيم بتدبير الأمور، الخبير بما تؤول إليه عواقبها.

(٢) وإنزال القرآن وبيان أحكامه وتفصيلها وإحكامها؛ لأجل أن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له. إنني لكم -أيها الناس- من عند الله نذير يندركم عقابه، وبشير يبشركم بثوابه.

(٣) وأسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، ثم ارجعوا إليه نادمين يمتنعكم في دنيائكم متاعاً حسناً بالحياة الطيبة فيها، إلى أن يعين أجليكم، ويشطّ كل ذي فضل من علم وعمل جزاء فضله كاملاً لا نقص فيه، وإن تعرضوا عني أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ شَدِيدٍ، وهو يوم القيامة. وهذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله.

(٤) إلى الله رجوعكم بعد موتكم جميعاً فاحذروا عقابه، وهو سبحانه قادر على بعثكم وحشركم وجزائكم.

(٥) إن هؤلاء المشركين يضمرون في صدورهم الكفر؛ طناً منهم أنه يخفى على الله ما تضره نفوسهم، ألا يعلمون حين يغطون أجسادهم بثيابهم أن الله لا يخفى عليه سرهم وعلانياتهم؟ إنه عليهم بكل ما كُتبه صدورهم من النيات والضمائر والسرائر.

(٦) لقد تكفل الله برزق جميع ما دب على وجه الأرض، تفضلاً منه، ويعلم مكان استقراره في حياته وبعد موته، ويعلم الموضع الذي يموت فيه، كل ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبین عن جميع ذلك.

(٧) وهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل ذلك؛ ليختبركم أيكم أحسن له طاعة وعملاً، وهو ما كان خالصاً لله موافقاً لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولئن قلت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك: إنكم مبعوثون أحياء بعد موتكم، لسارعوا إلى التكذيب وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا إلا سحر بين.

(٨) ولئن أئخرنا عن هؤلاء المشركين العذاب إلى أجل معلوم فاستبطؤوه، ليقولن استهزاء وتكديباً: أي شيء يمنع هذا العذاب من الوقوع إن كان حقاً؟ ألا يوم يأتيهم ذلك العذاب لا يستطيع أن يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَسُبُّوكُمْ أَنْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ ۝ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أَمْتٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَكْسِبُ ۝ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرًا ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاقٍ بِذِي صَدْرِكَ أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كِتَابًا وَجَاءَ مَعَهُ مَلَكَ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝﴾

دافع، وأحاط بهم من كل جانب عذاب ما كانوا يستهزئون به قبل وقوعه بهم.

(٩) ولئن أعطينا الإنسان منّا نعمة من صحة وأمن وغيرهما، ثم سليناها منه، إنه لشديد اليأس من رحمة الله، جحود بالنعم التي أنعم الله بها عليه.

(١٠) ولئن بسطنا للإنسان في دنياه وسعنا عليه في رزقه بعد ضيق من العيش، ليقولن عند ذلك: ذهب الضيق عني وزالت الشدائد، إنه لبطر بالنعم، مبالغ في الفخر والتعالي على الناس.

(١١) لكن الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء إيماناً بالله واحتساباً للأجر عنده، وعملوا الصالحات شكر الله على نعمه، هؤلاء لهم مغفرة لنوهم وأجر كبير في الآخرة.

(١٢) فلعلك -أيها الرسول لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب- تارك بعض ما يوحى إليك مما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه، وضائق به صدرك؛ خشية أن يطلبوا منك بعض المطالب على وجه التعنت، كأن يقولوا: لولا أنزل عليه مال كثير، أو جاء معه ملك يصدق في رسالته، فبلغهم ما أوحى إليك؛ فإنه ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك. والله على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه.

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلُهُ قَالَ تَوَلَّوْا بَعْشَرَ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾
قَالُوا لَمْ يَنْسِجُوا الْكُفْرَ فَأَعْمُوا أَلَمْ أَنْزِلْ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَهْلَ أَنْتُمْ مُسِيءُونَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحِطَّ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَكَبُلُوا بِأَسْنَانِهِمْ
أَقْفًا كَانُوا عَلَى بَيْتِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَاهِدْتُهُ مِنْ قَبْلِهِ
كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِنَ الْآخِرِينَ قَالُوا نَارُ مَوْعِدَةٍ فَلَا تَكُ فِي مَرْثِقَتِهِ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢١﴾

(١٣) بل أيقول هؤلاء المشركون من أهل «مكة»: إن محمدًا قد افترى هذا القرآن؟ قل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في ادعائكم.

(١٤) فإن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم -أيها الرسول- ومن آمن معك- لما تدعونهم إليه؛ ليعجز الجميع عن ذلك، فاعلموا أن هذا القرآن إنما أنزل الله على رسوله بعلمه وليس من قول البشر، واعلموا أن لا إله يُعبد بحق إلا الله، فهل أنتم -بعد قيام هذه الحجة عليكم- مسلمون متقادون لله ورسوله؟

(١٥) من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُنْعَهَا تُعْطِيهِمْ مَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كاملاً غير منقوص.

(١٦) أولئك ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم يقاسون حرَّها، وذُهِبَ عَنْهُمْ نَفْعُ مَا عَمَلُوهُ، وكان عملهم باطلاً؛ لأنه لم يكن لوجه الله.

(١٧) أفمن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام، ويؤيد ذلك برهان ثالث من قِبَلِ القرآن، وهو التوراة -الكتاب الذي أنزل على موسى إماماً ورحمة لمن آمن به-، كمن كان همه الحياة الفانية بزيبتها؟ أولئك يصدِّقون بهذا القرآن ويعملون بأحكامه، ومن يكفر بهذا القرآن من الذين نَحَرُّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزاؤه النار، يَرُدُّهَا لِمَحَالَةٍ، فلا تك -أيها الرسول- في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله تعالى بعد ما شهدت بذلك الأدلة والحجج، واعلم أن هذا الدين هو الحق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدِّقون ولا يعملون بما أمروا به. وهذا توجيه عام لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٨) ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، أولئك سيعرضون على ربهم يوم القيامة؛ ليحاسبهم على أفعالهم، ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين وغيرهم: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم في الدنيا قد سخط الله عليهم، ولعنهم لعنة لا تنقطع؛ لأن الظلم الذي اقترفوه صار وصفاً ملازماً لهم.

(١٩) هؤلاء الظالمون الذين يمتنعون الناس عن سبيل الله الموصلة إلى عبادته، ويريدون أن تكون هذه السبيل عوجاء بموافقتها لأهوائهم، وهم كافرون بالآخرة لا يؤمنون ببعث ولا جزاء.

(٢٠) أولئك الكافرون لم يكونوا ليفوتوا الله في الدنيا هرباً، وما كان لهم من أنصار يمنعونهم من عقابه. يضاعف لهم العذاب في جهنم؛ لأنهم كانوا لا يستطيعون أن يسمعوا القرآن سماع متفجع، أو يبصروا آيات الله في هذا الكون إبصار مهتد؛ لا اشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين.

(٢١) أولئك الذين خسروا أنفسهم بافترائهم على الله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الآفة التي يدعون أنها تشفع لهم.

(٢٢) حقاً أنهم في الآخرة أخسر الناس صفقة؛ لأنهم استبدلوا الدرجات بالدرجات، فكانوا في جهنم، وذلك هو الخسران المبين.

(٢٣) إن الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعوا لله في كل ما أمروا به وئثروا عنه، أولئك هم أهل الجنة، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها أبداً.

(٢٤) مثل فريقَي الكفر والإيمان كمثل الأعمى

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَرِّ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَكُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا تَرَكُ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْتَحُوا بِآيَاتِنَا وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ﴿٢٨﴾

الذي لا يرى والأصم الذي لا يسمع والبصير والسميع: فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه، ولا يسمع داعي الله فيهتدي

به، أما فريق الإيمان فقد أبصر حجاج الله وسمع داعي الله فأجاب، هل يستوي هذان الفريقان؟ أفلا تعتبرون وتفكرون؟

(٢٥) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال لهم: إنني نذير لكم من عذاب الله، ميّن لكم ما أرسلت به إليكم من أمر الله ونبيه.

(٢٦) أمركم ألا تعبدوا إلا الله، إنني أخاف عليكم - إن لم تفردوا الله وحده بالعبادة- عذاب يوم موع.

(٢٧) فقال رؤساء الكفر من قومه: إنك لست بملك وكنتك بشر، فكيف أوحى إليك من دوننا؟ وما نراك اتبعك إلا

الذين هم أسافلنا وإنما اتبعوك من غير تفكر ولا رؤية، وما نرى لكم علينا من فضل في رزق ولا مال لمّا دخلتم في

دينكم هذا، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تدعون.

(٢٨) قال نوح: يا قومي أرايتم إن كنت على حجة ظاهرة من ربي فيها جنتكم به تبين لكم أنني على الحق من عنده، وآتاني

رحمة من عنده، وهي النبوة والرسالة فأخفاها عليكم بسبب جهلكم وغروركم، فهل يصح أن نلزمكم إياها بالإكراه وأنتم

جاحدون بها؟ لا نفعل ذلك، ولكن نكيل أمركم إلى الله حتى يقضي في أمركم ما يشاء.

وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَحْرَىٰ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ ذِكْرًا قَوْمًا
يَتَّبِعُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَصْرُفُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي
إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْبَغُ قَدْ جَدَلْنَاكَ أَفَ كَرْتُ جَدَلَنَا
فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُفْعِلٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَبُّهُ
قُلُوبُنَا إِنْ أَفْتَرَيْنَاهُ فَقُلْ إِنْ جِئْتُمْ بِدَلِيلٍ مِمَّا تَحْمِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِئْ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾

(٢٩) قال نوح عليه السلام لقومه: يا قوم لا أسألكم على دعوتكم لتوحيد الله وإخلاص العباد له ما لا تؤدونه إلي بعد إيمانكم، ولكن ثواب نصحي لكم على الله وحده، وليس من شأني أن أطرد المؤمنين، فإنهم ملاقو ربهم يوم القيامة، ولكنني أراكم قوماً تجهلون، إذ تأمروني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني.

(٣٠) ويقوم من يمنعني من الله إن عاقبني على طردي المؤمنين؟ أفلا تتدبرون الأمور فتعلموا ما هو الأنفع لكم والأصلح؟

(٣١) ولا أقول لكم: إني أملك التصرف في خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولست بملك من الملائكة، ولا أقول هؤلاء الذين تحمقرون من ضعفاء المؤمنين: لن يؤتيكم الله ثواباً على أعمالكم، فالله وحده أعلم بما في صدورهم وقلوبهم، ولئن فعلت ذلك إني إذ لمن الظالمين لأنفسهم ولغيرهم.

(٣٢) قالوا: يا نوح قد حاججتنا فأكثر

جدالنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في دعواك.

(٣٣) قال نوح لقومه: إن الله وحده هو الذي يأتيكم بالعذاب إذا شاء، ولستم بفاتين إذا أراد أن يعذبكم؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

(٣٤) ولا ينفعكم نصحي واجتهادي في دعوتكم للإيمان، إن كان الله يريد أن يضلكم ويهلككم، هو سبحانه مالككم، وإليه ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

(٣٥) بل أقول هؤلاء المشركون من قوم نوح: افترى نوح هذا القول؟ قل لهم: إن كنت قد افترست ذلك على الله فعلي وحدي إثم ذلك، وإذا كنت صادقاً فأنتم المجرمون الآثمون، وأنا بريء من كفركم وتكذيبكم وإجرامكم.

(٣٦) وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح - عليه السلام - لئلا يحق على قومه العذاب، أنه لن يؤمن بالله إلا من قد آمن من قبل، فلا تحزن يا نوح على ما كانوا يفعلون.

(٣٧) واصنع السفينة بمرأى مني وأمرنا لك ومعوتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، ولا تطلب مني إمهال هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك بكفرهم، فإنهم مغرورون بالطوفان. وفي الآية إثبات صفة العين لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(٣٨) ويصنع نوح السفينة، وكلّمها مر عليه جماعة من كبراء قومه سخرُوا منه، قال لهم نوح: إن تسخروا منا اليوم لجهلكم بصدق وعد الله، فإننا نسخر منكم غداً عند الغرق كما تسخرون منا. (٣٩) فسوف تعلمون إذا جاء أمر الله الذي يُهينه، من الذي يأتيه في الدنيا عذاب الله الذي يُهينه، وينزل به في الآخرة عذاب دائم لا انقطاع له؟ (٤٠) حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم كما وعدنا نوحاً بذلك، ونبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يجبز فيه- علامة على مجيء العذاب، قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكراً وأنثى، واحمل فيها أهل بيتك، إلا من سبق عليهم القول ممن لم يؤمن بالله كابنه وامراته، واحمل فيها من آمن معك من قَوْمك، وما آمن معه إلا قليل مع طول المدة والمقام فيهم. (٤١) وقال نوح لمن آمن معه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله

وَيَصْنَعُ الْفُلَ ۚ وَكَلَّمَا مَرْعَاهُ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلْ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِثٍ ۖ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهُ مَرْسَاهُ ۖ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ۖ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ۖ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ۖ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْبَىٰ إِلَىٰ جِبَلٍ يَغْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عِصْمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَكَسِمَاءُ أَهْلِي ۖ وَغِيضَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

يكون منتهى سيرها ورسوها. إن ربي لغفور ذنوب من تاب وأناب إليه من عباده، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة. (٤٢) وهي تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها، ونادى نوح ابنه -وكان في مكان عزّل فيه نفسه عن المؤمنين- فقال له: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين بالله فتغرق. (٤٣) قال ابن نوح: سألجأ إلى جبل أحمّص به من الماء، فيمتعني من الغرق، فأجابه نوح: لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمه الله تعالى، فأمن واركب في السفينة معنا، وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه، فكان من المغرقين المهلكين. (٤٤) وقال الله للأرض- بعد هلاك قوم نوح-: يا أرض اشربي ماءك، ويا سماء أمسكي عن المطر، وتقص الماء وتُصَب، وقُضِيَ أمر الله بهلاك قوم نوح، ورسست السفينة على جبل الجودي، وقيل: هلاكاً وتُعْدُّ للقوم الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، ولم يؤمنوا به. (٤٥) ونادى نوح ربه فقال: رب إنك وعدتني أن تتجيني وأهلي من الغرق والهلاك، وإن ابني هذا من أهلي، وإن وعدك الحق الذي لا تخلف فيه، وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم.

قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَنْ
 مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
 ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتِلَّكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتُوخُ
 أَهَيْطُ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمُورٍ مِّنْ مَّعَكَ
 وَأُمُّ سَمُوعٍ تَعْمَلُ مَعَهُمْ تُوَسِّسُهُمْ قَدَّحُوا عَدَابَ إِلَهِكَ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
 مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ
 وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾
 وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
 إِلَهِ غَيْرُهُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تُؤْثِرُونَ عَلَى الْآلِ
 عَلَيْهِمْ مَدَارًا وَبَرْدًا كُفُّوا قُوَّةَ إِلَى قَوْمِكُمْ وَلَا تَنْتَوُلُوا
 مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِينَ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُمْ عَلَيْنَا فِئْتَنٌ مُّبِينَةٌ ﴿٥٣﴾

(٤٦) قال الله: يا نوح إن ابنك الذي هلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجاهم؛ وذلك بسبب كفره، وعمله عملاً غير صالح، وإني أهلك أن تسألني أمراً لا أعلم لك به، إني أعظك لئلا تكون من الجاهلين في مسائلتك إياي عن ذلك.

(٤٧) قال نوح: يارب إني اعتصم وأستجير بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.

(٤٨) قال الله: يا نوح اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة منا وبركات عليك وعلى أُمم ممن معك. وهناك أُمم وجماعات من أهل الشقاء سنمتعهم في الحياة الدنيا، إلى أن يبلغوا آجالهم، ثم ينالهم منا العذاب الموجه يوم القيامة.

(٤٩) تلك القصة التي قصصناها عليك -أيها الرسول- عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب

السالفة، نوحينا إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا البيان، فاصبر على تكذيب قومك وإيذائهم لك، كما صبر الأنبياء من قبل، إن العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين الذين يخشون الله.

(٥٠) وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، فما أنتم إلا كاذبون في إشر اكتم بالله.

(٥١) يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الأوثان أجراً، ما أجري على دعوتي لكم إلا على الله الذي خلقتني، أفلا تعقلون فتميزوا بين الحق والباطل؟

(٥٢) ويا قوم اطلبوا مغفرة الله بالإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعاً كثيراً، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النعم عليكم، ولا تعرضوا عما دعوتكم إليه مصرين على إجرامكم.

(٥٣) قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركي آل إبراهيم التي نعبدها من أجل قولك، وما نحن بمصدقين لك فيها تدعيه.

(٥٤، ٥٥) ما نقول إلا أن بعض أهلكنا أصابك
بجنون بسبب نبيك عن عبادتها. قال لهم: إني
أشهد الله على ما أقول، وأشهدكم على أنني
بريء مما تشركون، من دون الله من الأنداد
والأصنام، فانظروا واجتهدوا أنتم ومن زعمتم
من أهلكتم في إلحاق الضرر بي، ثم لا تؤخروا
ذلك طرفة عين؛ ذلك أن هوداً واثق كل الوثوق
أنه لا يصيبه منهم ولا من أهلكهم أذى.

(٥٦) إني توكلت على الله ربي وربكم مالك
كل شيء والمتصرف فيه، فلا يصيبني شيء إلا
بأمره، وهو القادر على كل شيء، فليس من شيء
يدبُّ على هذه الأرض إلا والله مالكة، وهو في
سلطانه وتصرفه. إن ربي على صراط مستقيم،
أي عدل في قضائه وشرعه وأمره. يجازي
المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

(٥٧) فلإن تُعرضوا عما أَدْعُوكُم إليه من توحيد
الله وإخلاص العباد له فقد أبلغتكم رسالة ربي
إليكم، وقامت عليكم الحجة، وحيث لم تؤمنوا
بالله فسيهلككم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم، ويخلصون الله العباد، ولا تضرونه شيئاً، إن ربي على كل شيء

حفيظ، فهو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء.

(٥٨) ولما جاء أمرنا بعذاب قوم هود نجّينا منه هوداً والمؤمنين بفضل منّا عليهم ورحمة، ونجّيناهم من عذاب شديد أحلّه
الله بعداً فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

(٥٩) وتلك عاد كفروا بآيات الله وعصوا رسله، وأطاعوا أمر كل مستكبر على الله لا يقبل الحق ولا يُدْعَن له.

(٦٠) وأُبعثوا في هذه الدنيا لعنة من الله وسخطاً منه يوم القيامة. ألا عاداً جحدوا ربهم وكذبوا رسله. ألا يُعْبَدُ وأهلاً
لعاد قوم هود؛ بسبب شركهم وكفرهم نعمة ربهم.

(٦١) وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العباد غيرَه جلّ وعلا،
فأخلصوا له العباد، هو الذي بدأ خلقكم من الأرض يخلق أيكم آدم منها، وجعلكم عُمراراً لها، فاسألوه أن يغفر لكم
ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح. إن ربي قريب لمن أخلص له العباد، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

(٦٢) قالت ثمود لنبيهم صالح: لقد كنا نرجو أن تكون فينا سيداً مطاعاً قبل هذا القول الذي قلته لنا، أأنهنا أن نعبد الألهة
التي كان يعبدها آبائنا؟ وإننا لفي شكٍّ مريبٍ من دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده.

قَالَ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَتْلُوا هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَنْ أَقْبَرُ مِنْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَمَا تَحْذَرُونَ عَذَابَ قُرَيْبٍ ﴿٦٤﴾ فَتَعَرَّوْهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَلَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَنِيحًا ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْفُرْ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَ الْأَمْوَدِ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قُلْنَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيفٍ ﴿٦٩﴾ فَنَمَارَةً آتَيْنَاهُمْ لَا تَنْصِلُ إِلَيْنَا فَنَكْرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانَهُ وَقَايِمَةً فَصَبَّحْتَ فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

(٦٣) قال صالح لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله وآتاني منه النبوة والحكمة، فمن الذي يدفع عني عقاب الله تعالى إن عصيته فلم أبلغ الرسالة وأنصح لكم؟ فما تزيدوني غير تضليل وإبعاد عن الخير.

(٦٤) ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدل على صدقي فيما أدعوكم إليه، فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسوها بعقر، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عقربها.

(٦٥) فكذبوه ونحروا الناقة، فقال لهم صالح: استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم بعدها، وذلك وعد من الله غير مكذوب، لا بد من وقوعه.

(٦٦) فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود نجينا صالحاً والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا، ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلك. إن ربك -أيها الرسول- هو القوي العزيز، ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجى الرسل وأتباعهم.

(٦٧) وأخذت الصيحة القوية ثمود الظالمين، فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا جراك لهم. (٦٨) كأنهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا فيها. ألا إن ثمود جحدوا بآيات ربهم وحججه. ألا بعداً لثمود وطردهم من رحمة الله، فما أشقاهم وأذهم!!

(٦٩) ولقد جاءت الملائكة إبراهيم عليه السلام يبشرونه هو وزوجه بإسحاق، ويعقوب بعده، فقالوا: سلاماً، قال ردّاً على نجيحتهم: سلام، فذهب سريعاً وجاءهم بعجل سمين مشوي لياكلوا منه.

(٧٠) فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة وأضرماً، قالت الملائكة -لما رأته ما بإبراهيم من الخوف-: لا تحزن إنا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم.

(٧١) وامرأة إبراهيم -سارة- كانت قائمة من وراء الستّر تسمع الكلام، فضحكت تعجباً مما سمعت، فبشراها على السنة الملائكة بأنها ستلد من زوجها إبراهيم ولداً يسمى إسحاق، وسيعيش ولدها، وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب.

(٧٢) قالت سارة لما بُثِرَتْ بإسحاق متعجبة:
يا ويلتنا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا
زوجي في حال الشيخوخة والكر؟ إن إنجاب
الولد من مثلي ومثل زوجي مع كبر السن شيء
عجيب.

(٧٣) قالت الرسل لها: أنعجين من أمر الله
وقضائه؟ رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل
بيت النبوة. إنه سبحانه وتعالى حميد الصفات
والأفعال، ذو مجد وعظمة فيها.

(٧٤) فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي انتابه
لعدم أكل الضيوف الطعام، وجاءته البشري
بإسحاق ويعقوب، ظلَّ يجادل رسلنا فيها
أرسلناهم به من عقاب قوم لوط وإهلاكهم.

(٧٥) إن إبراهيم كثير الحلم لا يحب المعاجلة
بالعقاب، كثير التضرع إلى الله والدعاء له، تاب
يرجع إلى الله في أموره كلها.

(٧٦) قالت رسل الله: يا إبراهيم أعرض عن
هذا الجدل في أمر قوم لوط والتماس الرحمة لهم؛
فإنه قد حق عليهم العذاب، وجاء أمر ربك
الذي قدره عليهم بهلاكهم، وإنهم نازل بهم
عذاب من الله غير مصروف عنهم ولا مدفوع.

(٧٧) ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ساءه مجيئهم واعتمت لذلك؛ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله، فخاف عليهم من قومه،
وقال: هذا يوم بلاء وشدة.

(٧٨) وجاء قوم لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة، وكانوا من قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، فقال
لوط لقومه: هؤلاء بناتي تزوجوهن فهن أطهر لكم مما تريدون، وسباهن بناته؛ لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، فآخسوا
الله واحذروا عقابه، ولا تنفضحوني بالاعتداء على ضيفي، أليس منكم رجل حسن التقدير للأمر، ينهي من أراد ركوب
الفاحشة، فيحول بينهم وبينها، فيأهانة الضيف مسببة لا يفعلها إلا أهل السفاهة؟

(٧٩) قال قوم لوط له: لقد علمت من قبل أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا
الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء.

(٨٠) قال لهم حين أتوا إلا فعل الفاحشة: لو أن لي بكم قوة وأنصاراً معي، أو أركن إلى عشيرة تمنعني منكم، كَحُلْتُ بينكم
وبين ما تريدون.

(٨١) قالت الملائكة: يا لوط إننا رسل ربك أرسلنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك، فآخرج من هذه القرية أنت
وأهلك ببقية من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصبيه، لكن أمر أنك التي خانتك بالكفر والنفاق
بصبيها ما أصاب قومك من الهلاك، إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب الحلول.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مُّضْمَرٍ ﴿٨٣﴾ مَّسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَقُومُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ
وَلَا تَتَّقُوا آلَ الْكَافِرِينَ إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكُمْ يُحْيِي
وَأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّجِيطٍ ﴿٨٥﴾ وَتَقُومُوا
أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّا بِالْقِسْطِ وَلَا تَتَّبِعُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَ هُمْ وَلَا تَقْتَفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ بَقِيَّتُ
اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيطٍ ﴿٨٧﴾ قَالُوا يَسْعَىٰ أَصْلَانَا أَن تَأْمُرَنَا بِتَارِكٍ
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنَّ نَفْعَلُ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ
لَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ ﴿٨٨﴾ قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ
عَلَىٰ بَيْتِنَ مِن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَ كُفْرًا لَّ مَا أَتَاهُ كُفْرًا عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾

(٨٢، ٨٣) فلما جاء أمرنا بنزول العذاب بهم جعلنا عالي قريتهم التي كانوا يعيشون فيها سافلهما فقلبناها، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين، قد صُفِّ بعضها إلى بعض متتابعة، معلمة عند الله بعلامة معروفة لا تشاكل حجارة الأرض، وما هذه الحجارة التي أمطرها الله على قوم لوط من كفار قريش ببعيد أن يُمَطَّرُوا بمثلها. وفي هذا تهديد لكل عاصٍ متمرد على الله.

(٨٤) وأرسلنا إلى «مدین» أخاهم شعيباً، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم، إني أراكم في سعة عيش، وإني أخاف عليكم - بسبب إنقاص المكاييل والميزان - عذاب يوم يحيط بكم.

(٨٥) ويا قوم اتّمسكوا المكاييل والميزان بالعدل، ولا تنقصوا الناس حقهم في عموم أشیانهم، ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله ونشر الفساد.

(٨٦) إن ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال فيه بركة وخير لكم ممّا تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الكسب الحرام، إن كنتم تؤمنون بالله حقاً، فامتثلوا أمره، وما أنا عليكم بربّيق أحصي عليكم أفعالكم.

(٨٧) قالوا: يا شعيب أهذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو أن نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟ وقالوا - استهزاء به -: إنك لأنت العاقل حسن التدبير في المال.

(٨٨) قال شعيب: يا قوم أرايتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أنهاركم عنه من إفساد المال، ورزقني منه رزقاً واسعاً حلالاً طيباً؟ وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمراً نهيتكم عنه، وما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم قدر طاقتي واستطاعتي، وما توفيقي - في إصابة الحق ومحاولة إصلاحكم - إلا بالله، على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة.

(٨٩) ويا قوم لا تحملنكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك، وما قوم لوط وما حل بهم من العذاب ببعيدين عنكم لا في الدار ولا في الزمان.

(٩٠) واطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم، ثم ارجعوا إلى طاعته واستمروا عليها. إن ربي رحيم كثير المودة والمحبة لمن تاب إليه وأناب، يرحمه ويقبل توبته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة والمودة لله تعالى، كما يليق به سبحانه.

(٩١) قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، وإننا لنراك فينا ضعيفاً لنست من الكبراء ولا من الرؤساء، ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رجماً بالحجارة - وكان رهطه من أهل ملتهم -، وليس لك قدر واحترام في نفوسنا.

(٩٢) قال: يا قوم أعشروني أعز وأكرم عليكم من الله؟ ونبذتم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأمرون به ولا تنتهون بنهيه، إن ربي بها يعملون محيط، لا يخفى عليه من أفعالكم

وَيَقُولُوا لَا يَجْرُ مَتَكُمْ شِقَاقِي أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۝ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُذَوِّبُكُمْ ثُمَّ لَوْ لَوْلَا إِلَهِي لَآتَيْتُ رَجِيمٌ وَدُودٌ ۝ قَالُوا لَيْسَ شَيْءٌ مَانَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا ۚ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيَقَوْمِ أَتَعْمَلُوا أَعْلَىٰ مَكَاتِرِكُمْ إِنْ عَمِلَ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ بَآئِنِهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ۚ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجْزِيَنَا شُعَيْبًا وَآلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جثِيمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَرَوْهَا إِلَّا الْبُعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ نَمُودُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَرْفَعُوهُ بِرَشِيدٍ ۝

مثقال ذرة، وسيجازيكم عليها عاجلاً وأجلاً.

(٩٣) ويا قوم اعملوا كل ما تستطيعون على طريقكم وحالتكم، إنني عامل مثابر على طريقي وما وهبني ربي من دعوتكم إلى التوحيد، سوف تعلمون من منايته عذاب يذله، ومن منا كاذب في قوله، أنا أم أنتم؟ وانتظروا ما سيحل بكم إن معكم من المنتظرين. وهذا تهديد شديد لهم.

(٩٤) ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب نجينا رسولنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من النساء، فأهلكتهم، فأصبحوا في ديارهم باركين على ركبهم ميتين لا جراك بهن.

(٩٥) كأن لم يقيموا في ديارهم وقتاً من الأوقات. ألا بُعداً لـ «مدين» - إذ أهلكها الله وأخزها - كما بعدت نمود، فقد اشتركت هاتان القبيلتان في البعد والهلاك.

(٩٦) ولقد أرسلنا موسى بآيائنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها - بقلب صحيح - أنها تدل على وحدانية الله، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه سبحانه وتعالى.

(٩٧) أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشراف قومه، فكفر فرعون، وأمر قومه أن يتبعوه فأطاعوه، وخالفوا أمر موسى، وليس في أمر فرعون رشد ولا هدى، وإننا هو جهل وضلال وكفر وعناد.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمَوْرَدُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بَشَرٌ
 لَرَفْدٍ الْمَرْفُودِ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا عَلَّمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَمَا رَزَقَ وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيْهِ ﴿١٠١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفَى
 عَنْهُمْ أَنْبَاءُ الْفُرَى وَهُمْ فِيهَا رَاكِبُونَ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
 * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَيُنْفَى عَنْهُمْ أَنْبَاءُ الْفُرَى وَهُمْ فِيهَا رَاكِبُونَ ﴿١٠٨﴾
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَحْذُورٍ ﴿١٠٩﴾

(٩٨) يقدّم فرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار، وقبح المدخل الذي يدخلونه.

(٩٩) وأتبعهم الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الفرق في البحر لعنة، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى بإدخالهم النار، وبئس ما اجتمع لهم وترادف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة.

(١٠٠) ذلك الذي ذكرناه لك - أيها الرسول - من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها نذكرك به، ومن تلك القرى ما له آثار باقية، ومنها ما قد تحييت آثاره، فلم يبق منه شيء.

(١٠١) وما كان إهلاكهم بغير سبب وذنب يستحقونه، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وإفسادهم في الأرض، فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعونها ويطلبون منها أن تدفع عنهم الضرر لما جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادتهم آلهتهم غير تدمير وإهلاك وخسران.

(١٠٢) وكما أخذت أهل القرى الظالمة بالعذاب لمخالفتهم أمري وتكذيبهم برسلي، أخذ غيرهم من أهل القرى إذا ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله

ومعصيتهم له وتكذيبهم لرسوله. إن أخذته بالعقوبة لأليم موجع شديد.

(١٠٣) إن في أخذنا لأهل القرى السابقة الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة، ذلك اليوم الذي يجمع له الناس جميعاً للمحاسبة والجزاء، ويشهده الخلائق كلهم.

(١٠٤) وما تؤخر يوم القيامة عنكم إلا لانتهاه مدة معدودة في علمنا، لا تزيد ولا تنقص عن تقديرنا لها بحكمتنا.

(١٠٥) يوم يأتي يوم القيامة، لا تتكلم نفس إلا بإذن ربها، فمنهم شقي مستحق للعذاب، وسعيد متفضل عليه بالنعيم.

(١٠٦، ١٠٧) فأما الذين شقوا في الدنيا لفساد عقيدتهم وسوء أعمالهم، فالنار مستقرهم، هم فيها من شدة ما هم فيه من العذاب إخراج النفس من الصدر بدفع ورده إليه بشدة، وهما أشنع الأصوات وأقبحها، ماكنين في النار أبداً ما دامت السموات والأرض، فلا يقطع عذابهم ولا ينتهي، بل هو دائم مؤكد، إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدة من مكثهم في النار. إن ربك - أيها الرسول - فعّال لما يريد.

(١٠٨) وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، إلا الفريق الذي شاء الله تأخيرهم، وهم عصاة الموحدين، فإنهم يبقون في النار فترة من الزمن، ثم يخرجون منها إلى الجنة بمشيئة الله ورحمته، ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء غير مقطوع عنهم.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَفْعُلُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ تَصِيبُهُمْ عَذَابٌ مُنْقُوصٌ
 ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ هَؤُلَاءِ عَلَى كَلِمَةٍ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّهُمْ لِي شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ
 ﴿١١٠﴾ وَإِنَّا لَكَلَّا لَمُوفِينَ هُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُوهُمْ إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ
 خَيْرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
 إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفَا إِنَّ
 أَلْيَلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى
 لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
 عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا مِنْهُ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا
 كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

(١٠٩) فلا تكن - أيها الرسول - في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من قومك، ما يعبدون من الأوثان إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل، وإننا لموفون ما وعدناهم تأملاً غير منقوص. وهذا توجيه لجميع الأمة، وإن كان لفظه موجهاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١١٠) ولقد آتينا موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فأمن به جماعة وكفر به آخرون، كما فعل قومك بالقرآن. ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يجعل لخلق العذاب حلّ لهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين. وإن الكفار من اليهود والمشركين - أيها الرسول - لفي شك - من هذا القرآن - مرّيب.

(١١١) وإن كل أولئك الأقوام المختلفين الذين ذكرنا لك - أيها الرسول - أختارهم ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم يوم القيامة، إن خيراً أم خيراً، وإن شراً أم خيراً، إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون خبير، لا يخفى عليه شيء من عملهم. وفي هذا تهديد ووعد لهم.

(١١٢) فاستقم - أيها النبي - كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك، ولا تتجاوزوا ما حده الله لكم، إن ربكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

(١١٣) ولا تميلوا إلى هؤلاء الكفار الظلمة، فتصيبكم النار، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم، ويتولى أموركم.

(١١٤) وأد الصلاة - أيها النبي - على أتم وجه طرقي النهار في الصباح والمساء، وفي ساعات من الليل. إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة ويمحو آثارها، والأمر بإقامة الصلاة وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، موعظة لمن اعتظها وتذكر.

(١١٥) واصبر - أيها النبي - على الصلاة، وعلى ما تلقى من الأذى من مشركي قومك؛ فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في أعمالهم.

(١١٦) فهلاً وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير والصلاح، ينهون أهل الكفر عن كفرهم، وعن الفساد في الأرض، لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل عن آمن، فنجّاهم الله بسبب ذلك من عذابه حين أخذ الظالمين. وأتبع الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ما متّعوا فيه من لذات الدنيا ونعيمها، وكانوا مجرمين ظالمين باتباعهم ما تنعموا فيه، فحق عليهم العذاب. وفي الآية عبرة وموعظة للعصاة من المسلمين؛ لأنهم لا يخلون من ظلم أنفسهم.

(١١٧) وما كان ربك - أيها الرسول - ليهلك قرية من القرى وأهلها مصلحون في الأرض، مجتنبون للفساد والظلم، وإنما يهلكهم بسبب ظلمهم وفسادهم.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
 ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ مِنَ الْغَنِيِّ ۚ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١١٩
 عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ خُودًا ۚ إِنَّكَ فِي هَٰذِهِ
 لَلْحَقِّ وَمَوْعِظَةُ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ١٢٠ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتٍ كُفْرًا نَّاعْمِلُونَ ١٢١ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ
 ١٢٢ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا
 فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيَّا نَكَاءَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ٤

(١١٨) ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولكنه واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، فلا يزال الناس مختلفين في أديانهم؛ وذلك مقتضى حكمته.

(١١٩) إلا من رحم ربك فآمنوا به واتبعوا رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وما جاءت به الرسل من عند الله، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أنه خلقهم مختلفين: فريق شقي وفريق سعيد، وكل ميسر لما خلق له. وبهذا يتحقق وعد ربك في قضائه وقدره: أنه سبحانه سيملأ جهنم من الجن والإنس الذين اتبعوا إبليس وجنده ولم يتدوا للإيمان.

(١٢٠) ونقص عليك - أيها الرسول - من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه مما يقوي قلبك للقيام بأعباء الرسالة، وقد جاءك في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار، بيان الحق الذي أنت عليه، وجاءك فيها موعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسله.

(١٢١، ١٢٢) وقل - أيها الرسول - للكافرين الذين لا يقرؤون بوحداية الله: اعملوا ما أنتم

عاملون على حالتكم وطرقتكم في مقاومة الدعوة وإيذاء الرسول والمستجيبين له، فإننا عاملون على مكانتنا وطريقتنا من الثبات على ديننا وتنفيذ أمر الله. وانتظروا عاقبة أمرنا، فإننا منتظرون عاقبة أمركم. وفي هذا تهديد ووعد لهم. (١٢٣) والله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده - أيها النبي - وفوض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كل ما تعملون.

﴿سورة يوسف﴾

(١) ﴿الرَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب البين الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهذه.

(٢) إنا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب؛ لعلكم - أيها العرب - تعقلون معانيه وتفهمونها، وتعملون بهدي.

(٣) نحن نقص عليك - أيها الرسول - أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت قبل إنزاله عليك لمن الغافلين عن هذه الأخبار، لا تدري عنها شيئا.

(٤) اذكر - أيها الرسول - لقومك قول يوسف لأبيه: إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. فكانت هذه الرؤيا بشرى لیسما وصل إليه يوسف عليه السلام من علو المنزلة في الدنيا والآخرة.

(٥) قال يعقوب عليه السلام لابنه يوسف: يا بني لا تذكر لإخوتك هذه الرؤيا فيحسدوك، ويعادوك، ويحتالوا في إهلاكك، إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة.

(٦) وكما أراك ربك هذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ويعلمك تفسير ما يراه الناس في منامهم من الرؤى مما تؤول إليه واقعاً، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب بالنبوة والرسالة، كما أمّتها من قبل على أبويك إبراهيم وإسحاق بالنبوة والرسالة. إن ربك عليم بمن يصطفيه من عباده، حكيم في تدبير أمور خلقه.

(٧) لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبر وأدلة تدل على قدرة الله وحكمته لمن يسأل عن أخبارهم، ويرغب في معرفتها.

(٨) إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم: إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضلها علينا، ونحن جماعة ذؤو عدد، إن أبانا لفي خطأ بين؛ حيث فضلها علينا من غير موجب نراه.

(٩) اقتلوا يوسف أو القوا به في أرض مجهولة بعيدة عن الثمران يخلص لكم حب أبيكم

ورقابه عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وتكونوا من بعد قتل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم.

(١٠) قال قائل من إخوة يوسف: لا تقتلوا يوسف وألقوه في جوف البئر يلتقطه بعض المارة من المسافرين فتسترجوا منه، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون.

(١١) قال إخوة يوسف -بعد اتفاقهم على إبعاده-: يا أبانا ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف مع أنه أخونا، ونحن نريد له الخير ونشفي عليه ونرعاه، ونخصه بخالص النصح؟

(١٢) أرسله معنا غداً عندما نخرج إلى مراعينا نَسْعَ ونشط وفرح، ويلعب بالاستباق ونحوه من اللعب المباح، وإننا لحافظون له من كل ما نخاف عليه.

(١٣) قال يعقوب: إني أليؤم نفسي مفارقة لي إذا ذهبت به إلى المراعي، وأخشى أن يأكله الذئب، وأنتم عنه غافلون منشغلون.

(١٤) قال إخوة يوسف لوالدهم: لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية إنا إذا لخاسرون، لا خير فينا، ولا نفع يُرجى منا.

(١٥) فأرسله معهم. فلما ذهبوا به وأجمعوا على إلقائه في جوف البئر، وأوحينا إلى يوسف لتخبرن أخوتك مستقبلاً بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يحسبون بذلك الأمر ولا يشعرون به.

(١٦) وجاء إخوة يوسف إلى أبيهم في وقت العشاء من أول الليل، يكون ويظهرون الأسف والجزع.

(١٧) قالوا: يا أبانا إنا ذهبتا تسابق في الجزى والرمي بالسهام، وتركتنا يوسف عند زادنا وثيابنا، فلم نقصر في حفظه، بل تركناه في مأمننا، وما فارقناه إلا وقتاً يسيراً، فأكله الذئب، وما أنت بمصدق لنا ولو كنا موصوفين بالصدق؛ لشدة حبك ليوسف.

(١٨) وجاؤا بقميصه ملطخاً بدم غير دم يوسف؛ ليشهد على صدقهم، فكان دليلاً على كذبهم؛ لأن القميص لم يُمزق. فقال لهم أبوهم يعقوب عليه السلام: ما الأمر كما تقولون، بل زينت لكم أنفسكم الأمانة بالسوء أمراً قبيحاً في يوسف، فرايتموه حسناً وفعلتموه، فصبري صبر جميل لا شكوى معه لأحد من الخلق،

وأستعين بالله على احتياح ما تصفون من الكذب، لا على حولي وقوتي.

(١٩) وجاءت جماعة من المسافرين، فأرسلوا من يطلب لهم الماء، فلما أرسل دلوه في البئر تعلق بها يوسف، ففرح وارء الماء وابتهج بالعثور على غلام، وقال: يا بشرى هذا غلام نفيس، وأخفى الوارد وأصحابه يوسف عن بقية المسافرين فلم يُظهِروه لهم، وقالوا: إن هذه بضاعة استبضعناها، والله عليم بما يعملونه يوسف.

(٢٠) وباعه إخوته للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم، وكانوا زاهدين فيه راغبين في التخلص منه؛ وذلك أنهم لا يعملون منزلته عند الله.

(٢١) ولما ذهب المسافرون يوسف إلى «مصر» اشتراه منهم عزيزها، وهو الوزير، وقال لامرأته: أحسني معاملته، واجعلي مقامه عندنا كريماً، لعننا نستفيد من خدمته، أو نقيمه عندنا مقام الولد، وكما أنجينا يوسف وجعلنا عزيز «مصر» يُعْطِف عليه، فكذلك مكانه في أرض «مصر»، وجعلناه على خزانها، ولنعلّمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيق مستقبلًا. والله غالب على أمره، فحكمه نافذ لا يبطله مبطّل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله.

(٢٢) ولما بلغ يوسف منتهى قوته في شبابه أعطيتاه فهماً وعلماً، ومثل هذا الجزاء الذي جزينا به يوسف على إحسانه نجزي المحسنين على إحسانهم. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

وَرَوَدَتْهُ الْمَلِكَةُ وَهِيَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا مِّنْ رَّبِّهِ كَذَلِكَ لَصَرَفَ عَنْهُ أَسُوءَ
وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْبَقَ
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
آلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدَيْنِ
أَهْلُهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَمِيصُهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ
مِنَ كَذِبِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾
﴿٣٠﴾ وَقَالَ يَسُوءُ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرًا الْعَزِيزُ تُرَوِّدُ فَتَهَا
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾

(٢٣) ودعت امرأة العزيز - يرفق ولين - يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها؛ لجها الشديده وحسن بهائه، وغلقت الأبواب عليها وعلى يوسف، وقالت: هلم لي، فقال: معاذ الله، اعتصم به، وأستجير من الذي تدعيني إليه، من خيانة سيدي الذي أحسن منزلتي وأكرمني فلا أخونه في أهله، إنه لا يفلح من ظلم ففعل ما ليس له فعله.

(٢٤) ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدثت يوسف نفسه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه ترحمه عما حدثته به نفسه، وإنما أريناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده.

(٢٥) وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرت تحاول الإمساك به، وجذبت قميصه من خلفه؛ لتحول بينه وبين الخروج فشقته، ووجدت زوجها عند الباب فقالت: ما جزاء من أراد بامرأتك فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب الموجه.

(٢٦) قال يوسف: هي التي طلبت مني ذلك، وشهد صبي في المهد من أهلها فقال: إن كان قميصه شق من الأمام فصدقت في اتهامها له، وهو من الكاذبين.

(٢٧) وإن كان قميصه شق من الخلف فكذبت في قولها، وهو من الصادقين.

(٢٨) فلما رأى الزوج قميص يوسف شق من خلفه علم براءة يوسف، وقال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اهتمت به هذا الشاب هو من جملة مكرن - أيها النساء -، إن مكرن عظيم.

(٢٩) قال عزيز «مصر»: يا يوسف اترك ذكر ما كان منها فلا تذكره لأحد، واطلبي - أيها المرأة - المغفرة لذنبك؛ إنك كنت من الآثمين في مراودة يوسف عن نفسه، وفي افتراءك عليه.

(٣٠) ووصل الخبر إلى نسوة في المدينة فتحدثن به، وقلن منكرات على امرأة العزيز: امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، وقد بلغ حبها له شغاف قلبها - وهو غلافه -، إنها كترأها في هذا الفعل لفي ضلال واضح.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِنًا
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيَّ هُنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ
كَبَّرْنَ وَنَفَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودِنُهُ
عَنِ نَفْسِهِ فَوَاسْتَعْصِمَ وَلَئِنْ لَوْ يَفْعَلْ مَا أمرُهُ لَيْسَ جَارٍ
وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّاغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ وَلَا أَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْعَاجِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَيَّاتِ لَيْسَ جُنْدًا
حَتَّى جِيءَ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي
أَرَانِي أُعْصِرُ خِرَافًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِ
خَبْرًا تَأْكُلُ الْظُّلُمُتُ نِصْفَ نَيْتَانِيَّ وَيُلَهِئُ لَنَا نَارًا مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبْأُكُمَا
بِئْسَ أُولَئِكَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا وَتَوعَا لَمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

(٣١) فلما سمعت امرأة العزيز بغيتهن إياهما واحتياهن في ذنهما، أرسلت إليهن تدعوهم لزيارتها، وهيات لهن ما يتكفن عليه من الوسائد، وما يأكله من الطعام، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ليقطعن الطعام، ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أعظمه وأجللنه، وأخذهن حسنه وجماله، فجرخن أيديهن وهن يقطعن الطعام من فرط الدهشة والذهول، وقلن متعجبات: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر؛ لأن جماله غير معهود في البشر، ما هو إلا ملك كريم من الملائكة.

(٣٢) قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتهن إياه ما أصابكن هو الفتى الذي لُمْتُنِّي في الافتتان به، ولقد طلبته وحاولت إغراهه؛ ليستجيب لي فامتنع وأبى، ولئن لم يفعل ما أمره به مستقبلاً ليعاقبن بدخول السجن، وليكونن من الأذلاء. (٣٣) قال يوسف مستعيذاً من شرهن ومكرهن:

يا رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة، وإن لم تدفع عني مكرهن أمل إليهن، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم.

(٣٤) فاستجاب الله ليوسف فدعاه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله. إن الله هو السميع لدعاء يوسف، ودعاء كل داع من خلقه، العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم. (٣٥) ثم ظهر للعزيز وأصحابه - من بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف وعفته - أن يسجنوه إلى زمن يطول أو يقصر؛ منعاً للفضيحة.

(٣٦) ودخل السجن مع يوسف فتَيَانٌ، قال أحدهما: إني رأيت في المنام أني أعصر عبناً ليصير خيراً، وقال الآخر: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، أخبرنا - يا يوسف - بتفسير ما رأينا، إنا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم الله، ومعاملتهم خلقه.

(٣٧) قال لهما يوسف: لا يأتيكما طعام ترزقانه في حال من الأحوال إلا أخبركما بتفسيره قبل أن يأتيكما، ذلكم التعبير الذي سأعبره لكما مما علمني ربي؛ إني آمنت به، وأخلصت له العبادة، وابتعدت عن دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالبعث والحساب جاحدون.

(٣٨) واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده، ما كان لنا أن نجعل الله شريكاً في عبادته، ذلك التوحيد بإفراد الله بالعبادة، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان.

(٣٩) وقال يوسف للفتيين اللذين معه في السجن: أعبادة آلهة مخلوقة شتى خير أم عبادة الله الواحد القهار؟

(٤٠) ما تعبدون من دون الله إلا أسماء لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآباؤكم أرباباً جهلاً منكم وضلالاً، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها، ما الحكم الحق إلا الله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تنقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده، وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته.

(٤١) يا صاحبي في السجن، إليكما تفسير

رؤياكما: أما الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه فإنه يخرج من السجن ويكون ساقى الخمر للملك، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزاً فإنه يُصلب ويُترك، وتاكل الطير من رأسه، فُضي الأمر الذي فيه تستفتيان وُفرغ منه.

(٤٢) وقال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه: اذكرني عند سيدك الملك، وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب، فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف، فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات.

(٤٣) وقال الملك: إني رأيت في منامي سبع بقرات سمان، يأكلهن سبعُ بقرات نحيلات من الهُزال، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والكبراء أخبروني عن هذه الرؤيا، إن كنتم للرؤيا تُفسرون.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ وَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَكُمُ إِلَّا اللَّهُ أَمْرٌ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونُ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ لِأَمْرِي لَدِينٌ فَاسْتَخِرُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٤٣﴾

قَالُوا أَضَعَتْ آلَ حَمِيمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾
 وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنَ الْقَتْلِ مَنْ صَاحِبِي
 فَأَرْسَلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
 وَأُخْرَى يُاسْتَبَى لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
 تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُونَهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا
 قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادًا كُنَّ
 مَاقَدَمُهُنَّ لَهَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَخْصُصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 عَامٌ فِيهِ يَغَارُ النَّاسُ فِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي
 بِهَؤُلَاءِ قَلَامًا هَؤُلَاءِ الرُّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ
 النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَاشِفٍ عَنْهُنَّ ﴿٥٠﴾
 قَالَ مَا خَطْبُكِ إِذْ رَأَوْتُنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ
 لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْصَصَ
 الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
 لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْعَدْوِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾

(٤٤) قالوا: رؤياك هذه أخلاط أحلام لا تأويل لها، وما نحن بتفسير الأحلام بعالمين.

(٤٥) وقال الذي نجا من القتل من صاحبي يوسف في السجن وتذكر بعد مدة ما نسي من أمر يوسف: أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا، فابعثوني إلى يوسف لأتيكم بتفسيرها.

(٤٦) وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسر لنا رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات، لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم؛ ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك.

(٤٧) قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جاذبين ليكثر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فاذخروه، واتركوه في سبيله؛ لئتم حفظه من التسوس، وليكون أبقى، إلا قليلاً مما تأكلونه من الحبوب.

(٤٨) ثم يأتي بعد هذه السنين الخصب سبعة

سنين شديدة الجذب، يأكل أهلها كل ما أذخرتم لمن قبل، إلا قليلاً مما تحفظونه وتذخرونه ليكون بذوراً للزراعة. (٤٩) ثم يأتي من بعد هذه السنين المجيدة عام يغار فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخصب والنماء.

(٥٠) وقال الملك لأعوانه: أخرجوا الرجل المعبر للرؤيا من السجن وأحضروني، فلما جاءه رسول الملك يدعو له يوسف للرسول: أرجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي؛ لتظهر الحقيقة للجميع، وتتضح براءتي، إن ربي عليم بصنيعهن وأفعالهن لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(٥١) قال الملك للنسوة اللاتي جرحن أيديهن: ما شأنكن حين راودتن يوسف عن نفسه يوم الضيافة؟ فهل رأيتم منه ما يريب؟ قلن: معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يشينه، عند ذلك قالت امرأة العزيز: الآن ظهر الحق بعد خفائه، فأناتني حاولت فنتته بإغرائه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله.

(٥٢) ذلك القول الذي قلته في تنزيه يوسف والإقرار على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالكذب عليه، ولم تقع مني الفاحشة مع أني راودت يوسف، واعترفت بذلك لإظهار براءتي وبرائه، وأن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم.

﴿٥٣﴾ وَمَا أَتَى نَفْسِي أَنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحَرَةً
إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتَوِي بِهِ؟ اسْتَخْلَصَهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ ﴿٥٥﴾
قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٦﴾ وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ يُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مِنْ شَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا جُزْءَ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ وَجَاءَ
إِخْوَتَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنْتَوِي بَأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ إِلَّا
تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٠﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي
بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦١﴾ قَالُوا سَرُدُّعَةً أَبَاهُ
وَأَنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بَصُرَتُمْ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَفْرَهُنَّهَا إِذَا أَتَقَبَّلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٦٣﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَبَأُ مِصْرَ وَمَا الْكَيْلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانًا نَسْتَكِلْ وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٤﴾

(٥٣) قالت امرأة العزيز: وما أرتكبي نفسي ولا أبرئها، إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلباً للمذات، إلا من عصمه الله. إن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم.

(٥٤) وقال الملك الحاكم لـ «مصر» حين بلغته براءة يوسف: جيثوني به أجعله من خلصائي وأهل مشورتي، فلما جاء يوسف وكلمه الملك، وعرف براءته، وعظيم أمانته، وحسن خلقه، قال له: إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمن على كل شيء.

(٥٥) وأراد يوسف أن ينفع العباد، ويقيم العدل بينهم، فقال للملك: اجعلني والياً على خزائن «مصر»، فلني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بها أثر لاه.

(٥٦) وكما أنعم الله على يوسف بالخلاص من السجن مكّن له في أرض «مصر» ينزل منها أي منزل شاء. يصيب الله برحمته من يشاء من عباده المتقين، ولا يضيع أجر من أحسن شيئاً من العمل الصالح.

(٥٧) ولشواب الآخرة عند الله أعظم من ثواب

الدنيا لأهل الإيمان والتقوى الذين يخافون عقاب الله، ويطيعونه في أمره ونهيه.

(٥٨) وقدم إخوة يوسف إلى «مصر» - بعد أن حلّ بهم الجذب في أرضهم -؛ ليجلبوا منها الطعام، فدخلوا عليه فعرفهم لقوة فراسته وذكائه، ولم يعرفوه لطول المدة وتغير هيئته.

(٥٩) وقد أمر يوسف بإكرامهم وحسن ضيافتهم، ثم أعطاهم من الطعام ما طلبوا، وكانوا قد أخبروه أن هم أخاً من أبيهم لم يحضروه معهم - يريدون شقيقه «بنامين» - فقال: اتوني بأخيكم من أبيكم، ألم تروا أني أوفيت لكم الكيل وأكرمتكم في الضيافة، وأنا خير المضيفين لكم؟

(٦٠) فإن لم تأتوني به فليس لكم عندي طعام أكيله لكم، ولا تأتوا إليّ.

(٦١) قالوا: سنبدل جهداً لإقناع أبيه أن يرسله معنا، ولن نقصّر في ذلك.

(٦٢) وقال يوسف لعللانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سراً؛ رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدرُوا إكرامنا لهم؛ ليرجعوا طمعاً في عطائنا.

(٦٣) فلما رجعوا إلى أبيهم قصّوا عليه ما كان من إكرام العزيز لهم، وقالوا: إنه لن يعطينا مستقبلاً إلا إذا كان معنا أخونا الذي أخبرنا به، فأرسله معنا نحضر الطعام وافيّاً، ونتمهد لك بحفظه.

قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَىٰ آلَاكُمْ أَيُنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ
 قَبْلِ اللَّهِ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا بَيِّنَا بَنَا
 مَا نَبِيئُ هَذِهِ بَضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانًا وَزَدَادُكُمْ بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِنِّي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي
 بِهِ أَوْ لَا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
 نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَدُنْكُمْ وَأَبَدُ أَبَدُكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ إِنْ لَمْ تُكْمِلُوا إِلَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِ نَزَلَتْ وَكَفَىٰ قَلِيلًا مِّنَ
 الْمُتَكِبِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ
 يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
 قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوهُ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

(٦٤) قال لهم أبوهم: كيف آمنكم على «بنيامين» وقد آمنتمكم على أخيه يوسف من قبل، والتزمتم بحفظه فلم تفوا بذلك؟ فلا أشق بالتزامكم وحفظكم، ولكني أتق بحفظ الله، خير الحافظين وأرحم الراحمين، أرجو أن يرحمني فيحفظه ويرده عليّ.

(٦٥) ولما فتحوا أوعيتهم وجدوا ثمن بضاعتهم الذي دفعوه قد رُدَّ إليهم، قالوا: يا أبانا ماذا نطلب أكثر من هذا؟ هذا ثمن بضاعتنا رده العزیز إلینا، فكن مطمئناً على أخینا، وأرسله معنا؛ لنجلب طعاماً وفيراً لأهْلنا، ونحفظ أخانا، ونزداد حِمْلَ بعير له؛ فإن العزیز یکیل لكل واحد حِمْلَ بعير، وذلك کیل یسیر علیه.

(٦٦) قال لهم يعقوب عليه السلام: لن أتركه يذهب معكم حتى تتعهدوا وتحلفوا لي بالله أن تردوه إليّ، إلا أن تُغلبوا عليه فلا تستطيعوا تخليصه، فلما أعطوه عهد الله على ما طلب، قال يعقوب: الله على ما نقول وکیل، أي تكفينا شهادته علينا وحفظه لنا.

(٦٧) وقال لهم أبوهم: يا أبنائي إذا دخلتم

أرض «مصر» فلا تدخلوا من باب واحد، ولكن ادخلوها من أبواب متفرقة، حتى لا تصيبكم العين، وإني إذا وصيكم بهذا لا أدفع عنكم شيئاً قضاء الله عليكم، فها الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت وثقت، وعليه وحده يعتمد المؤمنون.

(٦٨) ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم، ما كان ذلك ليدفع قضاء الله عنهم، ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين، وإن يعقوب لصاحب علم عظيم بأمر دينه علمه الله له وخياً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء، ولا ما يعلمه يعقوب - عليه السلام - من أمر دينه.

(٦٩) ولما دخل إخوة يوسف عليه في منزل ضيقته ومعهم شقيقه «بنيامين»، ضم يوسف إليه شقيقه، وقال له سرّاً: إني أنا أخوك فلا تخزن، ولا تغتم بما صنعوه بي فيها مضى. وأمره بكتان ذلك عنهم.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَحِيهِ
ثُمَّ آذَنَ مُؤْدِنُ إِيَّهَا الْعِيرَ أَنْكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا
وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا نَقْصِدُ صُبُوحَ الْمَلِكِ
وَلَمَّا جَاءَ بِهِ جُمْلُ بَعِيرٍ وَأَتَاهُ رَزِيمٌ ﴿٦٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمَا لِتُنْقِصُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ
﴿٦٣﴾ قَالُوا فَمَا جِئْتُمَا بِهِ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا أَجِزْؤُهُ
مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جِزْؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٦٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيهِمْ قَتْلَ إِخْوَتِهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهُمَا
وَعَاءَ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٦٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَوَبَّيْهَا لَهُمْ قَالِ أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدًا مَعَكَ إِنَّ نَاثِرَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٨﴾

(٧٠) فلما جهّزهم يوسف، وحلّل إبلهم بالطعام، أمر عماله، فوضعوا الإساء الذي كان يكيل للناس به في متاع أخيه «بنيامين» من حيث لا يشعر أحد، ولما ركبوا ليسيروا نادى مناد قائلاً: يا أصحاب هذه العير المحملة بالطعام، إنكم لسارقون.

(٧١) قال أولاد يعقوب مقبلين على المنادي: ما الذي تفقدونه؟

(٧٢) قال المنادي ومن يحضره: نفقد المكيال الذي يكيل الملك به، ومكافأة من يحضره مقدار جبل بعير من الطعام، وقال المنادي: وأنا بجمل البعير من الطعام يضمن وكفيل.

(٧٣) قال إخوة يوسف: والله لقد تحققت مما شاهدتموه منا أننا ما جئنا أرض «مصر» من أجل الإفساد فيها، وليس من صفاتنا أن نكون سارقين.

(٧٤) قال المكلفون بالبحث عن المكيال لإخوة يوسف: فما عقوبة السارق عندكم إن كنتم كاذبين في قولكم: لسنا بسارقين؟

(٧٥) قال إخوة يوسف: جزاء السارق من وُجد المسروق في رحله فهو جزاؤه، أي: يسلم بسرقة إلى من سرق منه حتى يكون عبداً عنده، مثل هذا الجزاء - وهو الاسترقاق - نجزي الظالمين بالسرقة، وهذا ديننا وستنا في أهل السرقة.

(٧٦) ورجعوا بإخوة يوسف إليه، فقام بنفسه يفتش أمتعتهم، فبدأ بأمتعتهم قبل متاع شقيقه؛ إحصاءاً لما دبره لاستبقاء أخيه معه، ثم انتهى بوعاء أخيه، فاستخرج الإساء منه، كذلك يسرنا ليوسف هذا التدبير الذي توصل به لأخذ أخيه، وما كان له أن يأخذ أخاه في حكم ملك «مصر»؛ لأنه ليس من دينه أن يُتَمَلَّك السارق، إلا أن مشيئة الله اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف القاضية برق السارق. نرفع منازل من نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف. وفوق كل ذي علم من هو أعلم منه، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

(٧٧) قال إخوة يوسف: إن يسرق هذا فقد سرق أخ شقيق له من قبل (يقصدون يوسف عليه السلام) فأخفى يوسف في نفسه ما سمعه من بُهتانهم، وحدث نفسه قائلاً: أنتم أسوأ منزلة ممن ذكرتم، حيث دبرتم لي ما كان منكم، والله أعلم بما تصفون من الكذب والافتراء.

(٧٨) قالوا مستعطفين ليوفوا بعهدهم: يا أيها العزيز إن له والدًا كبيرًا في السن يحبه ولا يطيق بعده، فخذ أحدنا بدلاً من «بنيامين»، إنا نراك من المحسنين في معاملتك لنا ولغيرنا.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِندَ إِتَانَا
 إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا أَسْبَقَتْ سُورُمُهُ خَلَصُوا نَجِيًّا
 قَالَ كَيْدُهُمْ أَتَرْتَعَلَمُونَ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
 مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْخِ
 الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَيْ أَوْحَيَّكُمْ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
 ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَاثِرَاتُكَ سَرَقَ
 وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا نَعْلَمُ حِفْظِينَ
 ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
 وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا
 فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفُوهَ عَلَى
 يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ
 ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْأَتُهُمْ قَدْ رُؤِوسُهُمْ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا
 أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي
 وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

(٧٩) قال يوسف: نعتصم بالله ونستجير به أن نأخذ أحداً غير الذي وجدنا متاعيناه عند إيتاننا - كما حكمتم أنتم -، فلئنا إن فعلنا ما تطلبون نكون في عداد الظالمين.

(٨٠) فلما يتسوا من إجابته إياهم لِمَا طلبوه انفردوا عن الناس، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم، قال كبيرهم في السن: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد المؤكد لتردُّ أخاكم إلا أن تُعْلَبُوا، ومن قَبْلُ هذا كان تقصركم في يوسف وغدركم به؛ لذلك لن أفرق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في مفارقتها، أو يقضي لي ربي بالخروج منها، وأتمكن من أخذ أخي، والله خير من حكم، وأعدل من فصل بين الناس.

(٨١) ارجعوا أنتم إلى أبيكم، وأخبروه بما جرى، وقولوا له: إن ابنك «بنيامين» قد سرق، وما شهدنا بذلك إلا بعد أن تيقنا، فقد رأينا المكيال في رحله، وما كان عندنا علم الغيب أنه سيسرق حين عاهدناك على رده.

(٨٢) ولَمَّا رجعوا وأخبروا أباهم بها حدث، وطلبوا منه أن يتوثق بما أخبروه قائلين: وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

(٨٣) قال لهم: بل زَيَّنت لكم أنفسكم الأثارة بالسوء مكيدة دبرتموها كما فعلتم من قبل مع يوسف، فصرى صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى معه، عسى الله أن يرزق لي أبنائي الثلاثة - وهم يوسف وشقيقه وأخوهم الكبير المتخلف من أجل أخيه - إنه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره.

(٨٤) وأعرض يعقوب عنهم، وقد ضاق صدره بما قالوه، وقال: يا حسرتا على يوسف وابيضَّت عيناه، بذهاب سوادهما من شدة الحزن فهو عتلى القلب حزناً، ولكنه شديد الكتمان له.

(٨٥) قال بنوه: تالله ما تزال تذكر يوسف، ويشتدُّ حزنك عليه حتى تُشْرِف على الهلاك أو تهلك فعلاً، فخنف عن نفسك.

(٨٦) قال يعقوب مجيباً لهم: لا أظهر همِّي وحزني إلا لله وحده، فهو كاشف الضر والبلاء، وأعلم من رحمة الله وفرجه ما لا تعلمونه.

(٨٧) قال يعقوب: يا أبنائي عودوا إلى «مصر» فاستقصوا أخبار يوسف وأخيه، ولا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله؛ إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به.

(٨٨) فذهبوا إلى «مصر»، فلما دخلوا على يوسف قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا القحط والجذب، وجئناك بثمن رديء قليل، فأعطنا به ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد، وتصدق علينا بقبض هذه الدراهم الرديئة القليلة وتسامح معنا فيها، إن الله تعالى يثيب المتقضين بأموالهم على أهل الحاجة.

(٨٩) فلما سمع مقاتلهم رقبهم، وعرفهم بنفسه وقال: هل تذكرون الذي فعلتموه بيوسف وأخيه من الأذى في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون؟

(٩٠) قالوا: إنك لأنت يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف، وهذا شقيقي، قد تفضل الله علينا، فجمع بيننا بعد الفاقة، إنه من يتق الله ويصبر

يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا وَيَنْصُرْ اللَّهُ مَنِ ابْتَدَأَ يُصَلِّهِ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٧﴾ قَالَ يُوسُفُ لَهُمَا وَصِيَّةٌ فَإِنْ أَصَابَكُمْ شَيْءٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ يُعْطِيكُمْ مِنْهُ مَا تَشَاءُونَ ﴿٨٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْتَدَّةٍ فَآوَى لَنَا الْكَفِيلَ وَنَصَدَّقَ عَلَيْكَ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا أَأَنْتَ يَا نَاصِيَّةُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَدَيْهِ نُنْجِي الْوَحِيدَ ﴿٩١﴾ اللَّهُ لَا يُضِلُّ أَعْيُنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٢﴾ قَالُوا تَأْتِيكَ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخاطِطِينَ ﴿٩٣﴾ قَالَ لَا تَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٤﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَمَّا فَصَلَ بِ الْعَبْدِ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٦﴾ قَالُوا تَأْتِيكَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾

على المحن، فإن الله لا يذهب ثواب إحسانه، وإنما يجزيه أحسن الجزاء.

(٩١) قالوا: تالله لقد فضلك الله علينا وأعزك بالعلم والحلم والفضل، وإن كنا لخاططين بها فعلنا عمدا بك وبأخيك.

(٩٢) قال لهم يوسف: لا تأتبع عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه وأتاب إلى طاعته.

(٩٣) ولما سألهم عن أبيه أخبروه بذهاب بصره من البكاء عليه، فقال لهم: عودوا إلى أبيكم ومعكم قميصي هذا فاطر حوه على وجه أبي يعذ إليه بصره، ثم أحضروا إلي جميع أهلكم.

(٩٤) ولما خرجت القافلة من أرض «مصر»، ومعهم القميص قال يعقوب لمن حضره: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تسفهوني وتسخروا مني، وتزعمو أن هذا الكلام صدر مني من غير شعور.

(٩٥) قال الحاضرون عنده: تالله إنك لا تزال في خطئك القديم من حب يوسف، وأنك لا تنساه.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ قَالُوا
يَتَّبِعَانَا مَثَلُ نُوْبَانَا إِنَّا كُنَّا خَاطِلِينَ ۖ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَعْفِفُ ۖ لَكُمْ رَيٌّْ إِنَّهُ هُوَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ ۖ فَلَمَّا
دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ
إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ۖ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَآوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم
مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ إِذْ نَزَّ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۖ رَبِّ
قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تُوفِّيْ مُسْلِمًا ۖ وَالْحَقُّنِي بِالصَّالِحِينَ ۖ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ
وَهُمْ يَمْكُرُونَ ۖ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ مُؤْمِنِينَ ۖ

(٩٦) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ۖ قال ألم أقول لكم إنني أعلم من الله ما لا تعلمون ۖ قالوا يتابعنا مثل نوبنا إننا كنا خاطلين ۖ قال سوف استعفف ۖ لكم ريب إن هو الغفور الرحيم ۖ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ۖ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ۖ وقال يأتي هذا تآويل رؤياي من قبل قد جعلنا ربِّي حقا ۖ وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد إذ نزَّ الشيطان بيني وبين إخوتي ۖ إن ربِّي لطيف بما يشاء ۖ إنه هو العليم الحكيم ۖ رب قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة ۖ توفني مسلما ۖ والحقني بالصلحين ۖ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ۖ وما أكثر الناس ولو حرصت مؤمنين ۖ

(٩٧) قال بنوه: يا أبانا سل لنا ربك أن يعفو عنا ويسر علينا ذنوبنا، إننا كنا خاطئين فيما فعلناه بيوسف وشقيقه.

(٩٨) قال يعقوب: سوف أسأل ربِّي أن يغفر لكم ذنوبكم، إنه هو الغفور للذنوب عبادہ التائبين، الرحيم بهم.

(٩٩) وخرج يعقوب وأهله إلى «مصر» قاصدين يوسف، فلما وصلوا إليه ضمَّ يوسف إليه أبويه، وقال لهم: ادخلوا «مصر» بمشيئة الله، وأنتم آمنون من الجهد والقحط، ومن كل مكروه.

(١٠٠) وأجلس أباه وأمه على سرير ملكه بجانبه؛ إكراما لهم، وحياء أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود له تحية وتكريما، لاعادة وخضوعا، وكان ذلك جائزا في شريعتهم، وقد

حرَّم في شريعتنا؛ سداً للذريعة الشرك بالله. وقال يوسف لأبيه: هذا السجود هو تفسير رؤياي التي قصصتها عليك من قبل في صغري، قد جعلها ربِّي صدقا، وقد تفضل عليَّ حين أخرجني من السجن، وجاء بكم إليَّ من البادية، من بعد أن أفسد الشيطان رابطة الأخوة بيني وبين إخوتي. إن ربِّي لطيف التدبير لما يشاء، إنه هو العليم بمصالح عبادہ، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(١٠١) ثم دعا يوسف ربه قائلا: ربِّ قد أعطيتني من ملك «مصر»، وعلمتني من تفسير الرؤى وغير ذلك من العلم، يا خالق السموات والأرض ومبدعها، أنت متولي جميع شأني في الدنيا والآخرة، توفني إليك مسلما، وأخفني بعبادك الصالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار.

(١٠٢) ذلك المذكور من قصة يوسف هو من أخبار الغيب نخبرك به -أيها الرسول- وحيًا، وما كنت حاضرًا مع إخوة يوسف حين دبروا له الإلقاء في البئر، واحتالوا عليه وعلى أبيه. وهذا يدل على صدقك، وأن الله يوحى إليك.

(١٠٣) وما أكثر المشركين من قومك -أيها الرسول- بمصدِّقك ولا متبعيك، ولو حرصت على إيمانهم، فلا تحزن على ذلك.

(١٠٤) وما تطلب من قومك أجرة على إرشادهم للإيمان، إن الذي أرسلت به من القرآن والهدى عظة للناس أجمعين يتذكرون به ويهتدون.

(١٠٥) وكثير من الدلائل الدالة على وحدانية الله وقدرته متشرة في السموات والأرض، كالشمس والقمر والجبال والأشجار، يشاهدونها وهم عنها معرضون، لا يفكرون فيها ولا يعتبرون.

(١٠٦) وما يُقرُّ هؤلاء المعرضون عن آيات الله بأن الله خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء ومستحق للعبادة وحده إلا وهم مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١٠٧) فهل عندهم ما يجعلهم آمنين أن ينزل بهم عذاب الله يعمهم، أو أن تأتيهم القيامة فجأة، وهم لا يشعرون ولا يحسبون بذلك.

(١٠٨) قل لهم -أيها الرسول-: هذه طريقتي، أدعو إلى عبادة الله وحده، على حجة من الله وبقين، أنا ومن اقتدي بي، وأنزه الله سبحانه وتعالى عن الشركاء، ولستُ من المشركين مع الله غيره.

(١٠٩) وما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- للناس إلا رجالاً منهم ينزل عليهم وحينا، وهم من أهل الحاضرة، فهم أقدر على فهم الدعوة والرسالة، يصدقهم المهتدون للنحق، ويكذبهم الضالون عنه، أفلم يمشوا في الأرض، فيعابثوا كيف كان مآل المكذبين السابقين وما حلَّ بهم من الهلاك؟ ولتواب الدار الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها للذين آمنوا وخافوا ربهم. أفلا تفكرون فتعتروا؟

(١١٠) ولا تستعجل -أيها الرسول- النصر على مكذبيك، فإن الرسل قبلك ما كان يأتيهم النصر عاجلاً لحكمة نعلمها، حتى إذا يش الرسل من إيمان قومهم، وظنَّ الرُّسلُ إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم عن الله، جاء نصرنا لرسالنا عند شدة الكرب، فتنجي من نشاء من الرسل وأتباعهم، ولا يُرَدُّ عذابنا عن أجرم ونجرأ على الله. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم.

(١١١) لقد كان في نبأ المرسلين الذي قصصناه عليك وما حلَّ بالمكذبين عظة لأهل العقول السليمة. ما كان هذا القرآن حديثاً مكذوباً مخلفاً، ولكن أنزلناه شاهداً على صدق ما تقدمه من الكتب المنزلَّة وأنها من عند الله، وبياناً لكل ما يحتاج إليه العباد من تحليل وتحريم، ومحجوب ومكروه وغير ذلك، وإرشاداً من الضلال، ورحمة لأهل الإيمان تهتدي به قلوبهم، فيعملون بها فيه من الأوامر والنواهي.

﴿سورة الرعد﴾

(١) ﴿الرَّعْدُ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات القرآن الرفيعة القدر، وهذا القرآن المنزل عليك -أيها الرسول- هو الحق، لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به من عند نفسك، ومع هذا فأكثر الناس لا يصدقون به ولا يعملون.

(٢) الله تعالى هو الذي رفع السموات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوى -أي: علا وارفع - على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وذلل الشمس والقمر لمنافع العباد، كل منهما يدور في فلكه إلى يوم القيامة. يدبر سبحانه أمور الدنيا والآخرة، يوضح لكم الآيات الدالة على قدرته وأنه لا إله إلا هو؛ لتوقنوا بالله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده وتخلصوا العبادة له وحده.

(٣) وهو سبحانه الذي جعل الأرض متسعة ممتدة، وهبها للعاشك، وجعل فيها جبالاً ثبتيها

وأنبأاً لشربكم ومنافعكم، وجعل فيها من كل الثمرات صنفين اثنين، فكان منها الأبيض والأسود والحلو والحامض، وجعل الليل يغطي النهار بظلمته، إن في ذلك كله لعظات لقوم يتفكرون فيها، فيتعطون.

(٤) وفي الأرض قطع يحاور بعضها بعضاً، منها ما هو طيب ثبّت ما ينفع الناس، ومنها سبخة ولمحة لا تثبت شيئاً، وفي الأرض الطيبة بساتين من أعناب، وجعل فيها زروعاً مختلفة ونخيلاً مجتمعاً في منبت واحد، وغير مجتمع فيه، كل ذلك في تربة واحدة، ويشرب من ماء واحد، ولكنه يختلف في النيار والحجم والطعم وغير ذلك، فهذا حلو وهذا حامض، وبعضها أفضل من بعض في الأكل، إن في ذلك لآعلامات لمن كان له قلب يعقل عن الله تعالى أمره ونهيه.

(٥) وإن تعجب -أيها الرسول- من عدم إيمان الكفار بعد هذه الأدلة فالعجب الأشد من قولهم: إذا متنا وكنا تراباً نُبعث من جديد؟ أولئك هم الجاحدون برهم الذي أوجدهم من العدم، وأولئك تكون السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة، وأولئك يدخلون النار، ولا يخرجون منها أبداً.

(٦) ويستعجلك المكذِّبون بالعقوبة التي لم أعاجلهم بها قبل الإيمان الذي يرجى به الأمان والحسنات، وقد مضت عقوبات المكذِّبين من قبلهم، فكيف لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك -أيها الرسول- لَدُوْ مَغْفِرَةٍ لِّذُنُوبٍ مِّن تَابٍ مِّن ذُنُوبِهِ مِنَ النَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ، يفتح لهم باب المغفرة، ويدعوهم إليها، وهم يظلمون أنفسهم بعصيانهم ربه، وإن ربك لشديد العقاب على من أصرَّ على الكفر والضلال ومعصية الله.

(٧) ويقول كفار «مكة»: هَلَّا جَاءَتْهُ مُعْجَزَةٌ مَّحْسُوسَةٌ كَعَصَا مُوسَى وَنَاقَةِ صَالِحٍ، وليس ذلك بيدك -أيها الرسول- فَمَا أَنْتَ إِلَّا مُبَلِّغٌ لَهُمْ، وَخَوْفٌ مِّنَ اللَّهِ. ولكل أمة رسول يرشدهم إلى الله تعالى.

(٨) الله تعالى يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها، أذكر هو أم أنثى؟ وشقي هو أم سعيد؟ ويعلم ما تنقصه الأرحام، فيسقط أو يولد قبل تسعة أشهر، وما يزيد حمله عليها. وكل شيء مقدَّر عند

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَوَدُّ وَأَكْبَلُ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ الْعَقِيبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُنْعَالُ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِآيَاتٍ وَسَارٍ بِآيَاتِنَاهُ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّنْ أَمَرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومُ سُوءَ أَفْعَالٍ مَّرَدُّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَأْتِكُمْ مِنْ خِفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿١٣﴾

الله بمقدار من النقصان أو الزيادة لا يتجاوز.

(٩) الله عالم بما خفي عن الأبصار، وبما هو مشاهد الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، المتعالي على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره. (١٠) يستوي في علمه تعالى من أخفى القول منكم ومن جهر به، ويستوي عنده من استتر بأعماله في ظلمة الليل، ومن جهر بها في وضوح النهار.

(١١) لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه بأمر الله ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر. إن الله سبحانه وتعالى لا يغيِّر نعمته أنعمها على قوم إلا إذا غيَّروا ما أمرهم به فعصوه. وإذا أراد الله بجاعة بلاء فلا مفر منه، وليس لهم من دون الله من والٍ يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه.

(١٢) هو الذي يريكم من آياته البرق -وهو النور اللامع من خلال السحاب- فتخافون أن تنزل عليكم منه الصواعق المحرقة، وتطمعون أن ينزل معه المطر، وبقدرته سبحانه يوجد السحاب المحمّل بالماء الكثير لمنافعكم.

(١٣) ويسبِّح الرعد بحمد الله تسبيحاً يدل على خضوعه لربه، وتنزُّه الملائكة ربه عن خوفها من الله، ويرسل الله الصواعق المهلكة فيهلك بها من يشاء من خلقه، والكفار يجادلون في وحدانية الله وقدرته على البعث، وهو شديد الحول والقوة والبطش بمن عصاه.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا
 كِبْسُ طَائِفَةٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَهُمْ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَغِيٍّ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۚ وَلِلَّهِ يَسْجُدْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
 وَكَرْهًا وَظِلُّهُمُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذَ ثَمَرٌ مِنْ ذُنُوبِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
 أَنْ تَنْفُسَهُمْ فَنُفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
 تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلَ اللَّهُ شُرَكَاءَ خَلْقِهِ الْكَافِرِينَ فَتَشَابَهَ
 أَلْفَاظُهُمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْدَرُ ۝ أَنْزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
 وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ
 كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً
 وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالَ ۝ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْخَيْرُ وَالَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُوا
 لَهُ وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مَتْنِ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يَفْتَدُوا بِهِ
 أَوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝

(١٤) لله سبحانه وتعالى وحده دعوة التوحيد «لا إله إلا الله»، فلا يُعبد ولا يُدعى إلا هو، والآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تجيب دعاء من دعاها، وحاشم معها كحال عطشان يَبْسُط كَفْيَهُ إلى الماء من بعيد؛ ليصل إلى فمه فلا يصل إليه، وما سؤال الكافرين لها إلا غاية في البعد عن الصواب لإشراكهم بالله غيره.

(١٥) لله وحده يسجد خاضعاً منقاداً كُلٌّ مَنْ في السموات والأرض، فيسجد ويخضع له المؤمنون طوعاً واختياراً، ويخضع له الكافرون رغماً عنهم؛ لأنهم يستكبرون عن عبادته، وحاشم وفطرتهم تكذبهم في ذلك، وتنقاد لعظمة الله ظلال المخلوقات، فتتحرك بإرادته أول النهار وآخره.

(١٦) قل -أيها الرسول- للمشركين: مَنْ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَدَبُّهُمَا؟ قل: الله هو الخالق المدبر لها، وأنتم تقرّون بذلك، ثم قل لهم ملزماً بالحجة: أجعلتم غيره معبودين لكم، وهم لا يُقدرون على نفع أنفسهم أو ضررها فضلاً عن نفعكم أو ضرركم، وتركتم عبادة مالكمها؟ قل

هم -أيها الرسول-: هل يستوي عندكم الكافر -وهو كالأعمى- والمؤمن وهو كالصبر؟ أم هل يستوي عندكم الكفر -وهو كالظلمات- والإيمان -وهو كالنور؟ أم أن أولياءهم الذين جعلوهم شركاء الله يخلقون مثل خلقه، فتشابه عليهم خَلْقُ الشُّرَكَاء بخلق الله، فاعتقدوا استحقاقهم للعبادة؟ قل لهم -أيها الرسول-: الله تعالى خالق كل كائن من العدم، وهو المستحق للعبادة وحده، وهو الواحد القهار الذي يستحق الألوهية والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع. (١٧) ثم ضرب الله سبحانه مثلاً للحق والباطل بآء أنزل من السماء، فحُتِرَتْ به أودية الأرض بقدر صغرها وكبرها، فحمل السيل غثاء طافياً فوقه لا نفع فيه. وضرب مثلاً آخر: هو المعادن يوقدون عليها النار لصهرها؛ طلباً للزينة كما في الذهب والفضة، أو طلباً لمنافع ينتفعون بها كما في النحاس، فيخرج منها خبيثها ما لا فائدة فيه كالذي كان مع الماء، بمثل هذا يضرب الله المثل للحق والباطل: فالباطل كغثاء الماء يتلاشى أو يُزْمَى إذ لا فائدة منه، والحق كالماء الصافي، والمعادن النقية تبقى في الأرض للانفعاخ، كما يَبَيِّنُ لكم هذه الأمثال، كذلك يضربها للناس؛ ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

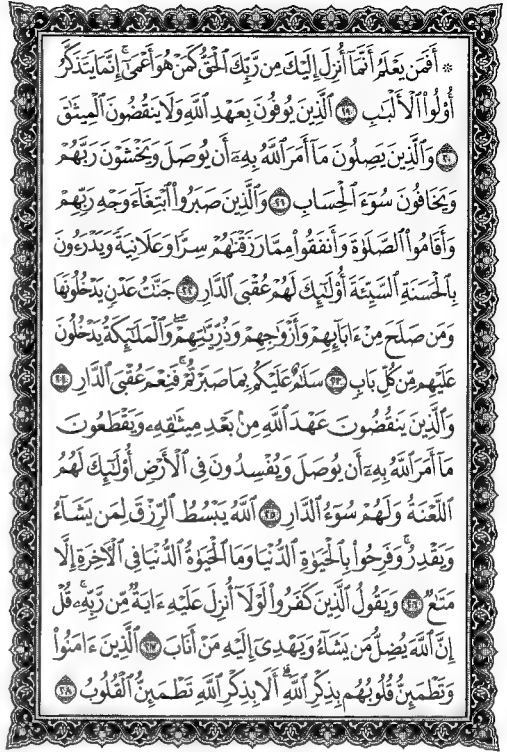
(١٨) للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله الجنة، والذين لم يطيعوا وكفروا به لهم النار، ولو كانوا يملكون كل ما في الأرض وضيعفه معه لبيذلوه فداء لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ولن يُقبل منهم، أولئك يحاسبون على كل ما أسلفوه من عمل سيئ، ومسكنهم ومقامهم جهنم تكون لهم فراشاً، وبئس الفراش الذي مهدوه لأنفسهم.

(١٩، ٢٠) هل الذي يعلم أن ما جاءك - أيها الرسول - من عند الله هو الحق فيؤمن به، كالأعمى عن الحق الذي لم يؤمن؟ إنسا يتعظ أصحاب العقول السليمة الذين يوفون بعهد الله الذي أمرهم به، ولا ينكثون العهد المؤكد الذي عاهدوا الله عليه.

(٢١) وهم الذين يصلون ما أمرهم الله بوصله كالأرحام والمحتاجين، ويراقبون ربهم، ويخشون أن يحاسبهم على كل ذنوبهم، ولا يغفر لهم منها شيئا.

(٢٢) وهم الذين صبروا على الأذى وعلى الطاعة، وعن المعصية طلبا لرضا ربهم، وأدوا الصلاة على أتم وجوها، وأدوا من أموالهم زكاتهم المقرضة، والتفقات المستحقة في الخفاء والعلن، ويدفعون بالحسنة السيئة فتحوها، أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم العاقبة المحمودة في الآخرة.

(٢٣) تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزولون عنها، ومعهم الصالحون من الآباء والزوجات والذريات من الذكور والإناث،



وتدخل الملائكة عليهم من كل باب؛ لتهنتهم بدخول الجنة.

(٢٤) تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم، وسلمت من كل سوء؛ بسبب صبركم على طاعة الله، فينعم عاقبة الدار الجنة.

(٢٥) أما الأشقياء فقد وصِفوا بضد صفات المؤمنين، فهم الذين لا يوفون بعهد الله بإفراده سبحانه بالعبادة بعد أن أكدوه على أنفسهم، وهم الذين يقطعون ما أمرهم الله بوصله من صلة الأرحام وغيرها، ويفسدون في الأرض بعمل المعاصي، أولئك الموصوفون بهذه الصفات القبيحة هم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوءهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة.

(٢٦) الله وحده يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيئ على من يشاء منهم، وفرح الكفار بالنسعة في الحياة الدنيا، وما هذه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا شيء قليل يتمتع به، سرعان ما يزول.

(٢٧) ويقول الكفار عناداً: هلاً أنزل على محمد معجزة محسوسة كمعجزة موسى وعيسى. قل لهم: إن الله يضل من يشاء المعاندين عن الهداية ولا تنفعه المعجزات، ويهدي إلى دينه الحق من رجع إليه وطلب رضوانه.

(٢٨) ويهدي الذين تسكن قلوبهم بتوحيد الله وذكره فتطمئن، ألا بطاعة الله وذكره وثوابه تسكن القلوب وتستأنس.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَقَابٍ ﴿٢٩﴾
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَسْتَلُوا
عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ يَا رَحْمَنُ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا
سُئِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ
بَل لَّلهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَا يَأْتِيهِسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوِ شَاءَ
اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَفَ رَأَى الْقَوْمُ مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْأَعْيَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلِهِمْ
فَبَلَكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ أَقْبَرُ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ أَوْ تُبَيِّنُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم
يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدَّوْا عَنِ
السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

(٢٩) الذين صدّقوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم فرح وقرّة عين، وحال طيبة، ومرجع حسن إلى جنة الله ورضوانه.
(٣٠) كما أرسلنا المرسلين قبلك أرسلناك -أيها الرسول- في أمة قد مضت من قبلها أمة المرسلين؛ لتتلو على هذه الأمة القرآن المنزل عليك، وحال قومك الجحود بوحداية الرحمن، قل لهم -أيها الرسول-: الرحمن الذي لم تتخذوه إلهاً واحداً هو ربّي وحده لا معبود بحق سواه، عليه اعتمدت ووثقت، وإليه مرجعي وإنايتي.
(٣١) يردّ الله -تعالى- على الكافرين الذين طلبوا إنزال معجزات محسوسة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لهم: ولو أن ثمة قرآناً يقرأ، فنزل به الجبال عن أماكنها، أو تشقق به الأرض أنهاراً، أو يحيا به الموتى وتكلم -كما طلبوا منك- لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، ولما آمنوا به. بل لله وحده الأمر كله في المعجزات وغيرها. أفلم يعلم المؤمنون أن الله لو يشاء لآمن أهل الأرض كلّهم من غير

معجزة؟ ولا يزال الكفار تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم كالقتل والأسر في غزوات المسلمين، أو تنزل تلك المصيبة قريباً من دارهم، حتى يأتي وعد الله بالنصر عليهم، إن الله لا يخلف الميعاد.

(٣٢) وإذا كانوا قد سخروا من دعوتك -أيها الرسول- فلقد سخرت أمة من قبلك برسلهم، فلا تحزن فقد أمهلت الذين كفروا، ثم أخذتهم بعقابي، وكان عقاباً شديداً.

(٣٣) أفمن هو أقدم على كل نفس تحصى عليها ما تعمل، أحق أن يعبد، أم هذه المخلوقات العاجزة؟ وهم -من جهلهم- جعلوا لله شركاء من خلقه يعبدونهم، قل لهم -أيها الرسول-: اذكروا أسماءهم وصفاتهم، ولن يجدوا من صفاتهم ما يجعلهم أهلاً للعبادة، أم تخبرون الله بشركاء في أرضه لا يعلمهم، أم تسمونهم شركاء بظاهر من اللفظ من غير أن يكون لهم حقيقة. بل حسن الشيطان للكفار قوهم الباطل وصدّهم عن سبيل الله. ومن لم يوقفه الله لهاديته فليس له أحد يهديه، ويوقفه إلى الحق والرشاد.

(٣٤) هؤلاء الكفار الصادين عن سبيل الله عذاب شاق في الحياة الدنيا بالقتل والأسر والحزني، ولعذابهم في الآخرة أثقل وأشد، وليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

(٣٥) صفة الجنة التي وعد الله بها الذين يجشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا ينقص، تلك المثوبة بالجنة عاقبة الذين خافوا الله، فاجتنبوا معاصيه وأدوا فرائضه، وعاقبة الكافرين بالله النار.

(٣٦) والذين أعطيتهم الكتاب من اليهود والنصارى من آمن منهم بك كعبد الله بن سلام والتجاشي، يستبشرون بالقرآن المنزل عليك لموافقته ما عندهم، ومن المتحيزين على الكفر ضدك، كالسيد والعاقب - أسقفي - «تجران»، وكعب بن الأشرف، من ينكر بعض المنزل عليك، قل لهم: إنما أمرني الله أن أعبد وحده، ولا أشرك به شيئاً، إلى عبادته أدعو الناس، وإليه مرجعي ومآبي.

(٣٧) وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن بلغة العرب؛ لتحكم به، ولتن اتبع أهواء المشركين في عبادة غير الله - بعد الحق الذي جاءك من الله - ليس

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا لَيْلٌ ۖ ذَٰلِكَ عِقَابُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقُوبَةُ الْكَافِرِينَ ۖ النَّارُ ۖ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وَقُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ ۖ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَٰهًا ۖ أَدْعُوا إِلَىٰ إِلَٰهِهِمْ مَتَابِ ۖ وَكَذَٰلِكَ أُنزِلَتْ حُكُمًا عَرَبِيًّا وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۖ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ۖ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً ۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۖ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِي ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۖ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۖ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لِمَنْ يَشَاءُ لِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ سَرِيعٌ ۖ الْحِسَابُ ۖ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلَهُمُ الْكَفَرُ لَمَنْ عَقِبَى الدَّارَ ۖ

لك ناصر ينصرك ويمنعك من عذابه.

(٣٨) وإذا قالوا: ما لك - أيها الرسول - تزوج النساء؟ فلقد بعثنا قبلك رسلاً من البشر وجعلنا لهم أزواجاً وذرية، وإذا قالوا: لو كان رسولاً لأتني بما طلبنا من المعجزات، فليس في وُضع رسول أن يأتي بمعجزة أرادها قومه إلا بإذن الله. لكل أمر قضاء الله كتاب وأجل قد كتبه الله عنده، لا يتقدم ولا يتأخر.

(٣٩) يمحو الله ما يشاء من الأحكام وغيرها، ويُثني ما يشاء منها لحكمة يعلمها، وعنده أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة.

(٤٠) وإن أريناك - أيها الرسول - بعض العقاب الذي توعدنا به أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا فذلك المعجل لهم، وإن توفيتك قبل أن ترى ذلك، فما عليك إلا تبليغ الدعوة، وعلينا الحساب والجزاء.

(٤١) أُولم يبصر هؤلاء الكفار أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها، وذلك بفتح المسلمين بلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين؟ والله سبحانه يحكم لا معقب لحكمه وقضائه، وهو سريع الحساب، فلا يستعجلوا بالعذاب؛ فإن كل أت قريب.

(٤٢) ولقد دبر الذين من قبلهم المكاييد لرسولهم، كما فعل هؤلاء معك، قلله المكر جميعاً، فيبطل مكرهم، ويعيده عليهم بالخفية والندم، يعلم سبحانه ما تكسب كل نفس من خير أو شر فتجازي عليه. وسيعلم الكفار - إذا قدموا على ربهم - لمن تكون العاقبة المحمودة بعد هذه الدنيا؟ إنها لأتباع الرسل. وفي هذا تهديد ووعد للكافرين.

وَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا اسْتَمرَّ سَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٥﴾

سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِيْبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِنَّ صِرْطَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَهَبَ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

(٤٣) ويقول الذين كفروا لنبى الله: - يا محمد -
ما أرسلك الله، قل لهم: كفى بالله شهيداً بصدقى
وكذبكم، وكفَّت شهادة من عنده علم الكتاب
من اليهود والنصارى من آمن برسالتى، وما
جئت به من عند الله، واتبع الحق فصرَّ بتلك
الشهادة، ولم يكتهما.

﴿سورة إبراهيم﴾

(١، ٢) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف
المقطعة في أول سورة البقرة.
هذا القرآن كتاب أوحينا إليك - أيها الرسول -
لتُخرج به البشر من الضلال والغي إلى الهدى
والنور - بإذن ربهم وتوفيقه إبراهيم - إلى الإسلام
الذى هو طريق الله الغالب المحمود في كل حال،
الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض، خلقاً
وملكاً وتصرفاً، فهو الذى يجب أن تكون العبادة
له وحده. وسوف يصيب الذين لم يؤمنوا بالله ولم
يتبعوا رسله يوم القيامة هلاك وعذاب شديد.

(٣) هؤلاء الذين أعرضوا ولم يؤمنوا بالله ويتبعوا رسله هم الذين يختارون الحياة الدنيا الفانية، ويترون الآخرة الباقية،
ويمنعون الناس عن اتباع دين الله، ويريدونه طريقاً معوجاً ليوافق أهواءهم، وأولئك الموصوفون بهذه الصفات فى ضلال
عن الحق بعيد عن كل أسباب الهداية.

(٤) وما أرسلنا من رسول قبلك - أيها النبى - إلا بلغه قومه؛ ليوضح لهم شريعة الله، فيضل الله من يشاء عن الهدى،
ويهدي من يشاء إلى الحق، وهو العزيز - الحكيم الذى يضع الأمور فى مواضعها وفق الحكمة.

(٥) ولقد أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل وأيدناه بالمعجزات الدالة على صدقه، وأمرناه بأن يدعوهم إلى الإيمان؛ ليخرجهم
من الضلال إلى الهدى، ويذكرهم بنعم الله ونقمه فى أيامه، إن فى هذا التذكير بها لدلالات لكل صبار على طاعة الله، وعن
محارمه، وعلى أقداره، شكور قائم بحقوق الله، يشكر الله على نعمه. وخصَّ هذين الصنفين بالذكر؛ لأنهم هم الذين
يعتبرون بالآيات، ولا يغفلون عنها.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَ سُبُوحَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
 وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
 ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٥ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
 لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
 لَشَدِيدٌ ١٦ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي
 الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ ١٧ الْوَيْلُ لِلَّذِينَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ١٨ وَالَّذِينَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا
 بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ١٩
 * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِئِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّدَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
 مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مُثَلَّثَاتٍ تَزِيدُونَ أَنْ تَصْذَبُوا
 عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا قَاتِلُوا قَاتِلُوا سُلْطَانِ مُبِينٍ ٢٠

(٦) واذكر - أيها الرسول - لقومك قصة موسى حين قال لبني إسرائيل: اذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاكم من فرعون وأتباعه يذيقونكم أشد العذاب، ويذبحون أبناءكم الذكور، حتى لا يأتي منهم من يستولي على ملك فرعون، ويستيقنون نساءكم للخدمة والامتهان، وفي ذلكم البلاء والإنجاء اختبار لكم من ربكم عظيم.

(٧) وقال لهم موسى: واذكروا حين أعلم ربكم إعلاماً مؤكداً: لئن شكرتموه على نعمه ليزيدنكم من فضله، ولئن جحدتم نعمه الله ليعذبنكم عذاباً شديداً.

(٨) وقال لهم: إن تكفروا بالله أنتم وجميع أهل الأرض فلن تضروا الله شيئاً؛ فإن الله لغني عن خلقه، مستحق للحمد والثناء، محمود في كل حال.

(٩) ألم يأتكم - يا أمة محمد - خبر الأمم التي سبقتكم، قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، والأمم التي بعدهم، لا يحصي عددهم إلا الله، جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحات، فعضوا أيديهم غيظاً واستنكافاً عن قبول الإيمان، وقالوا لرسولهم: إنا لا نصدق بما

جئتمونا به، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد موجب للريبة.

(١٠) قالت لهم رسلهم: أي الله وعبادته - وحده - رب، وهو خالق السموات والأرض، ومنشئها من العدم على غير مثال سابق، وهو يدعوكم إلى الإيمان؛ ليغفر لكم ما أسلفتم من الشرك، ويدفع عنكم عذاب الاستئصال، فيؤثر بقاءكم في الدنيا إلى أجل قدره، وهو نهاية آجالكم، فلا يعذبكم في الدنيا؟ فقالوا لرسولهم: ما نراكم إلا بشرأ صفاتكم كصفتنا، لا فضل لكم علينا يؤهلكم أن تكونوا رسلاً، تريدون أن تمنعونا من عبادة ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما نقولون.

قَاتَ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَقَدْ صَبَّرَ عَلَىٰ مَا أَدَّبُوا مِنْهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلرُّسُلِ لَهُمْ الْحُكْمُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْلَعْتُمْ فِيهِ وَلَبِئْسَ أَقْوَامٌ ﴿١٣﴾ وَلَسْتَ كُنْتُمْ مِنَ الْبَشَرِ قَلِيلًا مِمَّنْ خَافَ مَقَامِي وَمَا بِي وَعِيدِي ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٥﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن رَّوَابِيهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٦﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلْتُمْ كَرَمًا أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَٰنِ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٧﴾

(١١) ولما سمع الرسل ما قاله أقوامهم قالوا لهم: حقاً ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم، ولكن الله يفضل بإنعامه على من يشاء من عباده فيصطفيهم لرسالته، وما طلبتم من البرهان المبين، فلا يُمكن لنا ولا نستطيع أن نأتيكم به إلا بإذن الله وتوفيقه، وعلى الله وحده يعتمد المؤمنون في كل أمورهم.

(١٢) وكيف لا تعتمد على الله، وهو الذي أُرشدنا إلى طريق النجاة من عذابه باتباع أحكام دينه؟ ولنصبرن على إيدائكم لنا بالكلام السيئ وغيره، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في نصرهم، وهزيمة أعدائهم.

(١٣) وضافت صدور الكفار بما قاله الرسل فقالوا لهم: لنظردنكم من بلادنا حتى تعودوا إلى ديننا، فأوحى الله إلى رسله أنه سيهلك الجاحدين الذين كفروا به وبرسله.

(١٤) ولنجعلن العقاب الحسنة للرسول وأتباعهم بإسكانهم أرض الكافرين بعد إهلاكهم، ذلك

الإهلاك للكفار، وإسكان المؤمنين أرضهم أمر مؤكد لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيامة، وخشي وعيدي وعذابي.

(١٥) ولجأ الرسل إلى ربهم وسألوه النصر على أعدائهم والحكم بينهم، فاستجاب لهم، وهلك كل متكبر لا يقبل الحق ولا يُدْعن له، ولا يقر بتوحيد الله وإخلاص العباد له.

(١٦) ومن أمام هذا الكافر جهنم يلقى عذابها، ويُسقى فيها من القيح والدم الذي يُخرج من أجسام أهل النار.

(١٧) يحاول المتكبر ابتلاع القيح والدم وغير ذلك مما يسيل من أهل النار مرة بعد مرة، فلا يستطيع أن يتلعه؛ لقذارته وحرارته ومرارته، ويأتيه العذاب الشديد من كل نوع ومن كل عضو من جسده، وما هو بميت فيستريح، وله من بعد هذا العذاب عذاب آخر مؤلم.

(١٨) صفة أعمال الكفار في الدنيا كالبرص كصفة رماد اشتدت به الريح في يوم ذي ريح شديدة، فلم تترك له أثراً، فكذلك أعمالهم لا يجدون منها ما ينفعهم عند الله، فقد أذهبها الكفر كما أذهب الريح الرماد، ذلك السعي والعمل على غير أساس، هو الضلال البعيد عن الطريق المستقيم.

(١٩) ألم تعلم أيها المخاطب - والمراد عموم الناس - أن الله أوجد السموات والأرض على الوجه الصحيح الدال على حكمته، وأنه لم يخلقها عبثاً، بل للاستدلال بها على وحدانيته، وكمال قدرته، فيعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً؟ إن يشأ يذهبكم ويأت بقوم غيركم يطيعون الله.

(٢٠) وما إهلاككم والإتيان بغيركم بممنوع على الله، بل هو سهل يسير.

(٢١) وخرجت الخلائق من قبورهم، وظهروا كلهم يوم القيامة لله الواحد القهار؛ ليحكم بينهم، فيقول الأتباع لقادتهم: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا آتِبَاعًا، نَأْمُرُ بِأَمْرِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ - اليوم - دافعون عنا من عذاب الله شيئاً كما كنتم تعدوننا؟

فيقول الرؤساء: لو هدانا الله إلى الإيمان لأرشدناكم إليه، ولكنه لم يوفقنا، فضللنا وأضللناكم، يستوي علينا وعليكم الجزع

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَيَرْزُقُ اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ ﴿٢١﴾ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْصَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحْجِيزٍ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فِيهَا لَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كُنُوزًا طَيِّبَةً أَصْلَاهَا نَائِبٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٥﴾

والصبر عليه، فليس لنا مهرب من العذاب ولا منجى.

(٢٢) وقال الشيطان - بعد أن قضى الله الأمر وحاسب خلقه، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار -: إن الله وعدكم وعداً حقاً بالبعث والجزاء، ووعدتكم وعداً باطلاً أنه لا بعث ولا جزاء، فأخلفتكم وعدي، وما كان لي عليكم من قوة أفهركم بها على أتباعي، ولا كانت معي حجة، ولكن دعوتكم إلى الكفر والضلال فاتبعتموني، فلا تلموني ولوموا أنفسكم، فالذنب ذنبكم، ما أنا ببعثيكم ولا أنتم ببعثي من عذاب الله، إني تبرأت من جفلكم لي شريكاً مع الله في طاعته في الدنيا. إن الظالمين - في إعراضهم عن الحق وأتباعهم الباطل - لهم عذاب مؤلم موجه.

(٢٣) وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات جنان تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لا يخرجون منها أبداً - بإذن ربهم وحوله وقوته - يُحَيَّوْنَ فِيهَا بِسَلَامٍ مِنَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

(٢٤) ألم تعلم - أيها الرسول - كيف ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» بشجرة عظيمة، وهي النخلة، أصلها متمكن في الأرض، وأغلاها مرتفع علواً نحو السماء؟

تُوقَى أَكْلُهُمَا كُلَّ حِينَ يَأْذَنُ رَبُّهُمَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ تَوْقَى الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قُلُوبَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَنَسُوا
الْقَرَارَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَاةَ الْبُغْضِ لَأَعْنِ سَيِّئُهُ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِمَ آذَى الَّذِينَ
ءَامَنُوا يَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةَ رَبِّهِمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا يَخْلُقُ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

(٢٥) تعطي ثمارها كل وقت بإذن ربها، وكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علياً واعتقاداً، وفرعها من الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية يُرفع إلى الله وينال ثوابه في كل وقت. ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليتذكروا ويتعظوا، فيعتبروا.

(٢٦) ومثل كلمة خبيثة -وهي كلمة الكفر- كشجرة خبيثة المأكول والمطعم، وهي شجرة الحنظل، اقتلعت من أعلى الأرض؛ لأن عروقها قريبة من سطح الأرض ما لها أصل ثابت، ولا فرع صاعد، وكذلك الكافر لثبات له ولا خير فيه، ولا يُرفع له عمل صالح إلى الله.

(٢٧) بيّنت الله الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وما جاء به من الدين الحق يشتمه الله به في الحياة الدنيا، وعند ماتهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال المَلَكين هدايتهم إلى الجواب الصحيح، ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، ويفعل الله ما يشاء من توفيق أهل الإيمان ويخذل أهل الكفر والطغيان.

(٢٨، ٢٩) ألم تنظر أيها المخاطب -والمراد العموم- إلى حال المكذبين من كفار قريش الذين اختاروا الكفر بالله بدلاً عن شكره على نعمة الأمن بالحرم وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيهم؟ وقد أنزلوا أتباعهم دار الهلاك حين تسبوا بإخراجهم إلى «بذر» فقتلوا، وصار مصيرهم دار البوار، وهي جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، وقُبِحَ المستقر مستقرهم.

(٣٠) وجعل هؤلاء الكفار لله شركاء عبدوهم معه؛ ليعبدوا الناس عن دينه. قل لهم -أيها الرسول-: استمتعوا في الحياة الدنيا؛ فإنها سريعة الزوال، وإن مردكم ومرجعكم إلى عذاب جهنم.

(٣١) قل -أيها الرسول- لعبادي الذين آمنوا: يؤدوا الصلاة بحدودها، ويخرجوا بعض ما أعطيتناهم من المال في وجه الخير الواجبة والمستحبة مسريين ذلك ومعلنين، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه فداء ولا صداقة.

(٣٢) الله تعالى الذي خلق السموات والأرض وأوجدهما من العدم، وأنزل المطر من السحاب فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج لكم منها أرزاقكم، وذلل لكم السفن؛ لتسير في البحر بأمره لمنافعكم، وذلل لكم الأنهار لسقياكم وسقيا دوابكم وزروعكم وسائر منافعكم.

(٣٣) وذلل الله لكم الشمس والقمر لا يفتُران عن حركتهما؛ لتحقيق المصالح بهما، وذلل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار؛ لتبتغوا من فضله، وتدبروا معاشكم.

(٣٤) وأعطاكم من كل ما طلبتموه، وإن تعدوا نِعَمَ الله عليكم لا تحيطوا عددها ولا إحصاءها ولا القيام بشكرها؛ لكثرتها وتنوعها. إن الإنسان لكثير الظلم لنفسه، كثير الجحود لنعم ربه.

(٣٥) واذكر -أيها الرسول- حين قال إبراهيم داعياً ربه -بعد أن أسكن ابنه إسحاق وأمه «هاجر» وادي «مكة»-: رب اجعل «مكة» بلدًا آمناً يأمن كل من فيها، وأبعدني وأبنائي عن عبادة الأصنام.

(٣٦) رب إن الأصنام تسببت في إبعاد كثير من الناس عن طريق الحق، فمن اقتدى بي في التوحيد فهو على ديني وسنتي، ومن خالفني فيها دون الشرك، فإنك غفور لذنوب المذنبين -بفضلك- رحيم بهم، تعفو عن تشاء منهم.

(٣٧) ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادي ليس فيه زرع ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا إنني فعلت ذلك بأمرك؛ لكي يودوا الصلاة بحدودها، فاجعل قلوب بعض خلقك تنزع إليهم وتحن، وارزقهم في هذا المكان من أنواع

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ لَجَعَلَ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْتَنِبِي وَتَّى أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا قَدْ آمَنَ النَّاسُ مِنْ تَبِعِي فَإِنَّهُمْ مَنِيٌّ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَرَبِّ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ عَفِيفٌ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

الثمار؛ لكي يشكروا لك على عظيم نعمك. فاستجاب الله دعاءه.

(٣٨) ربنا إنك تعلم كل ما نخفيه وما نظهره. وما يغيب عن علم الله شيء من الكائنات في الأرض ولا في السماء.

(٣٩) يُثْنِي إبراهيم على الله تعالى، فيقول: الحمد لله الذي رزقني على كبر سني ولديَّ إسحاق وإسحاق بعد دعائي أن يهب لي من الصالحين، إن ربي لسميع الدعاء عن دعاءه، وقد دعوته ولم ينجب رجائي.

(٤٠) رب اجعلني مداوماً على أداء الصلاة على أتم وجوها، واجعل من ذريتي من يحافظ عليها، ربنا واستجب دعائي وتقبل عبادتي.

(٤١) ربنا اغفر لي ما وقع مني مما لا يسلم منه البشر واغفر لوالدي، (وهذا قبل أن يتبين له أن والده عدو لله) واغفر للمؤمنين جميعاً يوم يقوم الناس للحساب والجزاء.

(٤٢) ولا تحزن -أيها الرسول- أن الله غافل عما يعملهم الظالمون: من التكذيب بك وبغيرك من الرسل، وإيذاء المؤمنين وغير ذلك من المعاصي، إنها يؤخر عقابهم ليوم شديد ترتفع فيه عيونهم ولا تعمض من هول ما تراه. وفي هذا تسلية لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

مُهْطِعِينَ مُقْبِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْقِدَتْهُمْ أَرْوَاحُهُمْ ۖ وَأَنْذَرْنَا إِلَى يَوْمِ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِيبُ
دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعَ الرَّسُولَ أَوْفَرَهُ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ
مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۖ وَسَكَرْتُمْ فِي مَسَلِكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ ۖ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ فَلَا
تُخَسِرَنَّ اللَّهُ مَخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ۖ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَمَّا لِلْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْوَحِيدَ الْفَهَّارَ ۖ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّبِينَ إِلَى الْأَصْفَادِ ۖ سِرَابِلُهُمْ مِنْ قَطَرٍ أَوْ قَشَاشٍ
وُجُوهُهُمُ النَّارُ ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ۖ

(٤٣) يوم يقوم الظالمون من قبورهم مسرعين لإجابة الداعي رافعي رؤوسهم لا يبصرون شيئاً ل هول الموقف، وقلوبهم خالية ليس فيها شيء؛ لكثرة الخوف والوجل من هول ما ترى.

(٤٤) وأنذر -أيها الرسول- الناس الذين أرسلتكم إليهم عذاب الله يوم القيامة، وعند ذلك يقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أمهلنا إلى وقت قريب نؤمن بك ونصدق رسلك. فيقال لهم توبيحاً: ألم تقسموا في حياتكم أنه لا زوال لكم عن الحياة الدنيا إلى الآخرة، فلم تصدقوا بهذا البعث؟

(٤٥) وحللتهم في مساكن الكافرين السابقين الذين ظلموا أنفسهم كقوم هود وصالح، وعلمتم -بما رأيتم- وأخبرتم- ما أنزلناه بهم من الهلاك، وضربنا لكم الأمثال في القرآن، فلم تعتبروا؟

(٤٦) وقد دبر المشركون الشر للرسول صلى الله عليه وسلم بقتله، وعند الله مكرمهم فهو محيط به، وقد عاد مكرمهم عليهم، وما كان مكرمهم لتزول منه الجبال ولا غيرها لضعفه ووهنه، ولم يضرُوا الله شيئاً، وإنما ضرُوا أنفسهم.

(٤٧) فلا تحسبن -أيها الرسول- أن الله يخلف رسله ما وعدهم من النصر وإهلاك مكذبيهم. إن الله عزيز لا يمتنع عليه شيء، منتقم من أعدائه أشد انتقام. والخطاب وإن كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهو موجه لعموم الأمة.

(٤٨) وانتقام الله تعالى من أعدائه في يوم القيامة يوم تبدل هذه الأرض بأرض أخرى بيضاء نقية كالفضة، وكذلك تبدل السموات بغيرها، وتخرج الخلائق من قبورها أحياء ظاهرين للقاء الله الواحد القهار، المنفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقهره لكل شيء.

(٤٩) وتُبَصَّرُ -أيها الرسول- المجرمين يوم القيامة مقبدين بالقيود، قد قرنت أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، وهم في ذل وهوان.

(٥٠) ثيابهم من القَطَرِ الشديد الاشتعال، وتلفح وجوههم النار فتحرقها.

(٥١) فعَلَّ الله ذلك بهم؛ جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا، والله يجازي كل إنسان بما عمل من خير أو شر، إن الله سريع الحساب.

(٥٢) هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- بلاغ وإعلام للناس؛ لنصحهم وتخويفهم، ولكي يوقنوا أن الله هو الإله الواحد، فيعبده وحده لا شريك له، وليتعت به أصحاب العقول السليمة.

﴿سورة الحجر﴾

(١) ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

تلك الآيات العظيمة هي آيات الكتاب العزيز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي آيات قرآن موضح للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود. فالكتاب هو القرآن جمع الله له بين الاسمين.

(٢) سيمنى الكفار حين يرون خروج عصاة المؤمنين من النار أن لو كانوا موحدين؛ ليخرجوا كما خرجوا.

(٣) اترك - أيها الرسول - الكفار يأكلوا، ويستمتعوا بدنياهم، ويشغلهم الطمع فيها عن طاعة الله، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم الخاسرة في الدنيا والآخرة.

(٤) وإذا طلبوا نزول العذاب بهم تكذيباً لك - أيها الرسول - فإننا لنهلك قرية إلا ولاهلاكها أجل مقدر، لا نهلكهم حتى يبلغوه مثل من سبقهم.

(٥) لا تتجاوز أمة أجلها فتزيد عليه، ولا تتقدم عليه، فتقص منه.

(٦، ٧) وقال المكذوبون لمحمد صلى الله عليه وسلم استهزاء: يا أيها الذي نزل عليه القرآن إنك للذاهب العقل، هلاً تأتيان بالملائكة - إن كنت صادقاً -؛ لتشهد أن الله أرسلك.

(٨) ورد الله عليهم: إننا لا ننزل الملائكة إلا بالعذاب الذي لا إهمال فيه لمن لم يؤمن، وما كانوا حين تنزل الملائكة بالعذاب بمؤمنين.

(٩) إننا نحن نزلنا القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإننا نتعهد بحفظه لمن أن يزد فيه أو ينقص منه، أو يضع منه شيء.

(١٠، ١١) ولقد أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً في فرق الأولين، فما من رسول جاءهم إلا كانوا منه يسخرون. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم. فكما فعل بك هؤلاء المشركون فكذلك فعل بمن قبلك من الرسل.

(١٢، ١٣) كما أدخلنا الكفر في قلوب الأمم السابقة بسبب الاستهزاء بالرسول وتكذيبهم، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أكرموا بالكفر بالله وتكذيب رسوله، لا يصدقون بالذكر الذي أنزل إليك، وقد مضت سنة الأولين بإهلاك الكفار، وهؤلاء مثلهم، سيهلك المستمرون منهم على الكفر والتكذيب.

(١٤، ١٥) ولو دفعنا على كفار «مكة» باباً من السماء فاستمروا صاعدين فيه حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب ملكوت الله، لما صدقوا، ولقالوا: سحرت أبصارنا، حتى رأينا ما لم نر، وما نحن إلا مسحورون في عقولنا من محمد.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَافَعْنَا الْوُجُوهَ
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝۱۱ إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ
فَأَنْتَبَهُ، وَشَهَابٌ مُبِينٌ ۝۱۲ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَابِيَّ وَأَنْثَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝۱۳ وَجَعَلْنَا لَكُمُ
فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَأَسْتَرُ لَهُ، يَرْزُقِينَ ۝۱۴ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝۱۵ وَأَرْسَلْنَا
الرِّيحَ لَوَافِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ وَاعًا
لَهُ يَخْرُجُ مِنْهُ ۝۱۶ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝۱۷
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۝۱۸
وَإِن رَّبَّكَ هُوَ يُخْشِرُهُمْ إِنَّهُ رَحِيمٌ عَلِيمٌ ۝۱۹ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۝۲۰ وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ
قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۝۲۱ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا
مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۝۲۲ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝۲۳ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ۝۲۴ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝۲۵

(١٦) ومن أدلة قدرتنا: أننا جعلنا في السماء الدنيا منازل للكواكب تنزل فيها، ويستدل بذلك على الطرافات والأوقات والجُنب والجذب، وزينا هذه السماء بالنجوم لمن ينظرون إليها، ويتأملون فيعتبرون.

(١٧) وحفظنا السماء من كل شيطان مارجوم مطرود من رحمة الله؛ كي لا يصل إليها.

(١٨) إلا من اختلس السمع من كلام أهل الملا الأعلى في بعض الأوقات، فأدركه ولحقه كوكب مضىء بحرقه. وقد يلقي الشيطان إلى وليه بعض ما استرقه قبل أن يحرقه الشهاب.

(١٩) والأرض مددناها متسعة، وألقينا فيها جبلا تنبتها، وأنبتنا فيها من كل أنواع النبات ما هو مقدر معلوم مما يحتاج إليه العباد.

(٢٠) وجعلنا لكم فيها ما به تعيشون من الخبز، ومن الماشية، ومن أنواع المكاسب وغيرها، وخلقنا لكم من الذرية والخدم والدواب ما تنتفعون به، وليس رزقهم عليكم، وإنما هو على الله رب العالمين تفضلا منه وتكرما.

(٢١) وما من شيء من منافع العباد إلا عندنا خزائنه من جميع الصنوف، وما ننزله إلا بمقدار محدد كما نشاء وكما نريد، فالخزائن بيد الله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، بحسب رحمته الواسعة، وحكمته البالغة.

(٢٢) وأرسلنا الرياح وسخرناها تُلْقِعُ السحاب، فيُرِي بالماء ويمطر، وتُلْقِعُ الشجر فيفتتح عن أوراقه وأكمامه، وتعمل المطر والخير والنفع، فأَنْزَلْنَا مِنَ السحاب ماء أعددناه لشرابكم وأرضكم ومواشيكم، وما أنتم بقادرين على خزنه وأخزاه، ولكن نحفظه لكم رحمة بكم، وإحسانا إليكم.

(٢٣) وإننا لنحن نحيي من كان ميتا بخلقه من العدم، ونميت من كان حيا بعد انقضاء أجله، ونحن الوارثون الأرض ومن عليها.

(٢٤) ولقد علمنا من هلك منكم من لدن آدم، ومن هو حي، ومن سيأتي إلى يوم القيامة.

(٢٥) وإن ربك هو يخشركم للبحساب والجزاء، إنه حكيم في تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء.

(٢٦) ولقد خلقنا آدم من طين يابس إذا نُفِثَ عليه سُمِعَ له صوت، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغير لونه وريحه من طول مكثه.

(٢٧) وخلقنا أبا الجن، وهو إبليس من قَبْلِ خلق آدم من نار شديدة الحرارة لا دخان لها.

(٢٨) وأذكر -أيها الرسول- حين قال ربك للملائكة: إِنِّي خَلَقْتُ إِنْسَانًا مِنْ طِينِ يَابِسٍ، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغير اللون.

(٢٩) فإذا سَوَّيْتُهُ وأكملت صورته ونفخت فيه الروح، فخرُّوا له ساجدين سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة.

(٣٠، ٣١) فسجد الملائكة كلهم أجمعون كما أمرهم ربهم لم يتمتع منهم أحد، لكن إبليس امتنع أن يسجد لآدم مع الملائكة الساجدين.

(٣٢) قال الله لإبليس: ما لك ألا تسجد مع الملائكة؟

(٣٣) قال إبليس مظهرًا كبره وحسده: لا يليق بي أن أسجد لإنسان أوجدتُه من طين يابس كان طينًا أسود متغيرًا.

(٣٤، ٣٥) قال الله تعالى له: فاخرج من الجنة، فإنك مطرود من كل خير، وإن عليك اللعنة والبعد من رحمتي إلى يوم يُبْعَثُ الناس للحساب والجزاء.

(٣٦) قال إبليس: رب أخّرني في الدنيا إلى اليوم الذي يُبْعَثُ فيه عبادك، وهو يوم القيامة.

(٣٧، ٣٨) قال الله له: فإنك عن أخّرت هلاكهم إلى اليوم الذي يموت فيه كل الخلق بعد النفخة الأولى، لا إلى يوم البعث، وإنما أُجِيبَ إلى ذلك؛ استدراجًا له وإمهالًا، وفتنة للثقلين.

(٣٩، ٤٠) قال إبليس: رب بسبب ما أغويتني وأضللتني لأحسّن لذرية آدم معاصيك في الأرض، ولأضلّهم أجمعين عن طريق الهدى، إلا عبادك الذين هديتهم فأخلصوا لك العبادة وحّدك دون سائر خلقك.

(٤١، ٤٢) قال الله: هذا طريق مستقيم معتدل موصل إلّي وإلى دار كرامتي. إن عبادي الذين أخلصوا لي لا أجعل لك سلطانًا على قلوبهم تضلّهم به عن الصراط المستقيم، لكن سلطانك

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ نَسْتَوِي ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الْوَرْدِ الَّذِينَ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٦﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ يَمَّا أَغْوَيْتَنِي لَأَذِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْجِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٤﴾ آدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴿٤٥﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ عِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَا يُمَسِّسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴿٤٧﴾ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٩﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٠﴾

على من اتبعك من الضالين المشركين الذين رضوا بولايتك وطاعتك بدلًا من طاعتي. (٤٣، ٤٤) وإن النار الشديدة لموعِد إبليس وأتباعه أجمعين، لها سبعة أبواب كل باب أسفل من الآخر، لكل باب من أتباع إبليس قسم ونصيب بحسب أعمالهم.

(٤٥-٤٨) إن الذين اتقوا الله بامثال ما أمر واجتناب ما نهى في بساتين وأنهار جارية يقال لهم: ادخلوا هذه الجنات سالمين من كل سوء آمين من كل عذاب. ونزعنا ما في قلوبهم من حقد وعداوة، يعيشون في الجنة إخوانًا متحابين، يجلسون على أسرة عظيمة، تتقابل وجوههم تواصلاً ومحاباً، لا يصيبهم فيها تعب ولا إعياء، وهم باقون فيها أبداً. (٤٩، ٥٠) أخبر -أيها الرسول- عبادي أنني أنا الغفور للمتقين، الرحيم بهم، وأن عذابي هو العذاب المؤلم الموجه لغير التائبين.

(٥١) وأخبرهم -أيها الرسول- عن ضيوف إبراهيم من الملائكة الذين بشرّوه بالولد، وبهلاك قوم لوط.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْهُنَّ عَلَىٰ أَن مَّسَنِيَّ الْكِبَرِ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ الْآءَالَ لُوطُ إِنَّا لَمُتَجَرِّمُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ الْآءَالَ أَمَرْنَاهُ وَقَدْ زَنَا إِنَّمَا لِمَن الْغَائِبِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ آلُ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كُنَّا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْقَاكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحْنَهُنَّ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَىٰ نَبِّهِكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

(٥٢) حين دخلوا عليه فقالوا: سلاماً؛ فردّ عليهم السلام، ثم قدّم لهم الطعام فلم يأكلوا، قال: إنا منكم فزعون.

(٥٣) قالت الملائكة له: لا تفرح إنا جئنا نبشرك بولد كثير العلم بالدين، هو إسحاق.

(٥٤) قال إبراهيم متعجباً: أبشّر عوني بالولد، وأنا كبير وزوجتي كذلك، فبأي أعجوبة تبشرونني؟

(٥٥) قالوا: بشّرناك بالحق الذي أعلمنا به الله، فلا تكن من اليائسين أن يولد لك.

(٥٦، ٥٧) قال: لا ينس من رحمة ربه إلا الخاطئون المنصرفون عن طريق الحق. قال: فما الأمر الخطير الذي جثم من أجله -أيها المرسلون- من عند الله؟

(٥٨-٦٠) قالوا: إن الله أرسلنا لإهلاك قوم لوط المشركين الضالين إلا لوطاً وأهله المؤمنين به، فلن نهلكهم وسننجيهم أجمعين، لكن زوجته الكافرة قضينا بأمر الله بإهلاكها مع الباقين في العذاب.

(٦١، ٦٢) فلما وصل الملائكة المرسلون إلى لوط، قال لهم: إنكم قوم غير معروفين لي.

(٦٣-٦٥) قالوا: لا تخف، فإننا جئنا بالعذاب الذي كان يشك فيه قومك ولا يُصدّقون،

وجئناك بالحق من عند الله، وإنا لصادقون، فاخرج من بينهم ومعك أهلك المؤمنون، بعد مرور جزء من الليل، وسر أنت وراءهم؛ لئلا يتخلف منهم أحد فينال العذاب، واحذروا أن يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصيبه كذلك، وأسرعوا إلى حيث أمركم الله؛ لتكونوا في مكان أمين.

(٦٦) وأوحينا إلى لوط أن قومك مستأصلون بالهلاك عن آخرهم عند طلوع الصبح.

(٦٧) وجاء أهل مدينة لوط إلى لوط حين علموا بمن عنده من الضيوف، وهم فرحون يستبشرون بضيوفه؛ ليأخذوهم ويفعلوا بهم الفاحشة.

(٦٨، ٦٩) قال لهم لوط: إن هؤلاء ضيفي وهم في حمايتي فلا تفضحوني، وخافوا عقاب الله، ولا تتعرضوا لهم، فتوقعوني في الذل والهوان بإيذائكم لضيوفي.

(٧٠) قال قومهم: أولم تنهك أن تضيّف أحداً من العالمين (وكانوا يقطعون السبيل على المسافرين)؛ لأننا نريد فعل الفاحشة بهم؟

(٧١) قال لوط لهم: هؤلاء نسأوكم بناتي فتزوجوهن إن كنتم تريدون قضاء وطركم، وسأهن بناته، لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، ولا تفعلوا ما حرم الله عليكم من إتيان الرجال.

(٧٢، ٧٣) يقسم الخالق بمن يشاء وبما يشاء، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، وقد أقسم الله تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشریفاً له. إن قوم لوط لفي غفلة شديدة يترددون ويتأذون، حتى حلت بهم صاعقة العذاب وقت شروق الشمس.

(٧٤) فقلنا قراهم فجعلنا عاليها سافلها، وأطردنا عليهم حجارة من طين متصلب متين. (٧٥-٧٧) إن فيها أصابهم لعظات للناظرين المعتبرين، وإن قراهم لفي طريق ثابت يراها المسافرون المارون بها. إن في إهلاكها لهم كدلالة بيّنة للمصدقين العاملين بشرع الله.

(٧٨، ٧٩) وقد كان أصحاب المدينة الملتفة الشجر - وهم قوم شعيب - ظالمين لأنفسهم لكفرهم بالله ورسولهم الكريم، فانتقمنا منهم بالرجفة وعذاب يوم الظلة، وإن مساكن قوم لوط وشعيب لفي طريق واضح يمرُّ بهما الناس في سفرهم فيعتبرون.

(٨٠) ولقد كذب سكان «وادي الحجر» صالحاً عليه السلام، وهم ثمود فكانوا بذلك مكذبين لكل المرسلين؛ لأن من كذب نبياً فقد كذب الأنبياء كلهم؛ لأنهم على دين واحد.

(٨١) وأتيناه قوم صالح آياتنا الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق، ومن جهلتها الناقة، فلم يعتبروا بها، وكانوا عنها مبتعدين معرضين.

(٨٢) وكانوا ينحتون الجبال، فيتخذون منها بيوتاً، وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب. (٨٣، ٨٤) فأخذتهم صاعقة العذاب وقت الصباح مبكرين، فما دفع عنهم عذاب الله الأموال والحصون في الجبال، ولا ما أعطوه من قوة وجاه.

(٨٥) وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والدين على كمال خالقهما واقتداره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له. وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لآتية لا محالة؛ لتوفّي كل نفس بما عملت، فاعف - أيها الرسول - عن المشركين، واصفح عنهم وتجاوز عما يفعلونه.

(٨٦) إن ربك هو الخلاق لكل شيء، العليم به، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه.

(٨٧) ولقد آتيناك - أيها النبي - فائحة القرآن، وهي سبع آيات تكرر في كل صلاة، وآتيناك القرآن العظيم.

(٨٨-٩٠) لا تنظر بعينيك وتمنّ ما تمنّنا به أصنافاً من الكفار من متّع الدنيا، ولا تحزن على كفرهم، وتواضع للمؤمنين بالله ورسوله. قل: إني أنا المنذر الموضح لما يهتدي به الناس إلى الإيمان بالله رب العالمين، ومنذركم أن يصيبكم العذاب، كما أنزل الله على الذين قسّموا القرآن، فأتوا ببعضه، وكفروا ببعضه الآخر من اليهود والنصارى وكفار قريش.

(٩١) وهم الذين جعلوا القرآن أقساماً وأجزاء، فمنهم من يقول: سحر، ومنهم من يقول كهانة، ومنهم من يقول غير ذلك، يصرّونه بحسب أهوائهم؛ ليجردوا الناس عن الهدى.

(٩٢، ٩٣) فوريك لنحاسبهم يوم القيامة ولنجزينهم أجمعين، عن تقسيمهم للقرآن بافتراءاتهم، وتحريفه وتبديله، وغير ذلك مما كانوا يعملونه من عبادة الأوثان، ومن المعاصي والآثام. وفي هذا ترهيب وزجر لهم من الإقامة على هذه الأفعال القبيحة.

(٩٤) فاجهر بدعوة الحق التي أمرك الله بها، ولا تبال بالمشرّكين، فقد برّأك الله ممّا يقولون.

(٩٥، ٩٦) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ السَّاحِرِينَ من زعماء قريش، الذين اتخذوا شريكاً مع الله من الأوثان وغيرها، فسوف يعلمون عاقبة عملهم في الدنيا والآخرة.

(٩٧) ولقد نعلم بانقباض صدرك -أيها الرسول-؛ بسبب ما يقوله المشركون فيك وفي دعوتك.

(٩٨) فافزع إلى ربك عند ضيق صدرك، وسبّح بحمده شاكراً له متنبئاً عليه، وكن من المصلين لله العابدين له، فإن ذلك يكفيك ما أهّأك.

(٩٩) واستمرّ في عبادة ربك مدة حياتك حتى يأتيك اليقين، وهو الموت.

وامثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فلم يزل دائباً في عبادة الله، حتى أتاه اليقين من ربه.

﴿سورة النحل﴾

- (١) قَرَّبَ قِيَامَ السَّاعَةِ وَقَضَاءَ اللَّهِ بِعَذَابِكُمْ -أيها الكفار- فلا تستعجلوا العذاب استهزاءً بوعيد الرسول لكم. تنزّه الله سبحانه وتعالى عن الشرك والشركاء.
- (٢) يَنْزِلُ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُرْسَلِينَ: بأن خوّفوا الناس من الشرك، وأنه لا معبود بحق إلا أنا، فاتفقوا بأداء فرائض وإفرادي بالعبادة والإخلاص.
- (٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ؛ لِيَسْتَدِلَّ بِهَا الْعِبَادَ عَلَى عِظَمَةِ خَلْقِهَا، وأنه وحده المستحق للعبادة، تنزّهه سبحانه -وتعظيم عن شركهم.
- (٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَإِذَا بِهِ يَتَّقِي وَيَغْتَرُّ، فيصبح شديد الخصومة والجدال لربه في إنكار البعث، وغير ذلك، كقوله: ﴿مَنْ يَحْيِي الْيَاسْمِينَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، ونسي الله الذي خلقه من العدم.
- (٥) وَالْإِنْعَامَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ خَلَقَهَا اللَّهُ لَكُمْ -أيها الناس- وجعل في أوصافها وأوبارها الدفء، ومنافع أخر في ألبانها وجلودها وروكوبها، ومنها ما تأكلون.
- (٦) وَلَكُمْ فِيهَا زِينَةٌ تُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَيْكُمْ عِنْدَمَا تَرُدُّونَهَا إِلَى مَنَازِلِهَا فِي الْمَسَاءِ، وعندما تُخْرِجُونَهَا لِلرَّعْيِ فِي الصَّبَاحِ.

وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّيْسَ لَكُمْ بِهِ قُوَّةٌ وَلَا يَخَافُهَا إِلَّا الْيَاقِينُ
 الْيَاقِينُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ وَلَقِيلَ وَالْقَالَ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّكُمُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾
 وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ
 مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٩﴾ يُبْدِئُ لَكُمْ
 فِيهِ الزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
 الشَّيْءِ لَعَمْرُتُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾
 وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴿١١﴾
 وَالتَّجُومَ مَسَحَّرَتْ بِأَمْرِ رَبِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
 أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾
 وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ كَلُومًا مِنْهُمْ لَحْمًا طَرِيًّا
 وَلِنَسْتَخْرِجَ مِنْهُ حَبْلًا مِّنْ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَاجِرَ
 فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

بِتأملون، فيعتبرون.

(١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِرَاحَتِكُمْ، وَالنَّهَارَ لِمَعَاشِكُمْ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ ضِيَاءً، وَالْقَمَرَ نُورًا وَلِمَعْرِفَةِ السَّنِينَ وَالْحَسَابِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَالتَّجُومَ فِي السَّيَاءِ مَذَلَّلَاتٌ لِّكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ لِمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ، وَلِمَعْرِفَةِ وَقْتِ نَضْجِ الشَّارِ وَالزَّرْعِ، وَالْإِهْتِدَاءِ بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ. إِنَّ فِي ذَلِكَ التَّسْخِيرِ لَدَلَالًا وَاضِحَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عَنْ اللَّهِ حُجَّجَهُ وَبِرَاهِنِهِ.

(١٣) وَسَخَّرَ مَا خَلَقَهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الدَّوَابِّ وَالشَّارِ وَالْمَعَادِنِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ وَمَنَافِعُهُ. إِنَّ فِي ذَلِكَ الْخَلْقَ وَاختلاف الألوان والمنافع لَعِبْرَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْتَظُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ فِي تَسْخِيرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عِلَامَاتٍ عَلَىٰ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ.

(١٤) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ؛ لِتَأْكُلُوا مِمَّا تَصْطَادُونَ مِنْ سَمَكِهِ لَحْمًا طَرِيًّا، وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ زِينَةً تَلْبَسُونَهَا كَاللُّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ، وَتَرَى السُّفْنَ الْعَظِيمَةَ تَسْتَقِ وَجْهَ الْمَاءِ تَهْذُبُ وَتُجَيِّءُ، وَتَرْكَبُونَهَا؛ لِتَطْلُبُوا رِزْقَ اللَّهِ بِالتَّجَارَةِ وَالرِّيحِ فِيهَا، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عَظِيمِ إِعْنَامِهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ.

وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَمَسُّهُمُ مَاءٌ وَأَنَّهُمْ سُبُلًا
لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَلَمَّا مَسَّهُمْ جَمْعُهُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أُولَئِكَ
غَيْرُ آخِلٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ هُمْ إِلَّا
وَجَدُوهَا يَوْمًا لَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَهْلَ مَنْزِلَةٍ ﴿٢٢﴾ وَلَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٣﴾ لَآ جَزَاءُ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا فِي سَعِيرٍ
يُحْمَلُونَ فِيهِمْ أَثْقَالٌ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
أَوْزَارُهُمْ كَامِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ أَوْزَارُ الَّذِينَ يُبْذَلُونَ
يَقْبِرُونَ عَلَيْهِمْ آثَامًا يُزَوَّرُونَ ﴿٢٥﴾ فَذَكِّرْ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَإِنَّ اللَّهَ يَنْذِرُ لَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

(١٥) وأرسي في الأرض جبلاً لئلا تثبت بها حتى لا تميل بكم، وجعل فيها أنهاراً لتشربوا منها، وجعل فيها طرقاً لتهتدوا بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها.

(١٦) وجعل في الأرض معالم تستدلون بها على الطرق نهاراً، كما جعل النجوم للاهتداء بها ليلاً.

(١٧) أتجعلون الله الذي يخلق كل هذه الأشياء وغيرها في استحقاق العبادة كالآلهة المزعومة التي لا تخلق شيئاً؟ أفلا تذكرون عظمة الله، فتفردوه بالعبادة؟

(١٨) وإن نحاولوا حصر نعم الله عليكم لا نقوا بحصرها؛ لكثرتها وتنوعها. إن الله لغفور لكم رحيم بكم؛ إذ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعم، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة.

(١٩) والله سبحانه يعلم كل أعمالكم، سواء ما تخفون منها في نفوسكم وما تظهرونه لغيركم، وسيجازيكم عليها.

(٢٠) والآلهة التي يعبدونها لا تخلق

شيئاً وإن صغر، فهي مخلوقات صنعها الكفار بأيديهم، فكيف يعبدونها؟

(٢١) هم جميعاً مجاداة لا حياة فيها ولا تشعر بالوقت الذي يبعث الله فيه عابديها، وهي معهم ليُلقى بهم جميعاً في النار يوم القيامة.

(٢٢) إلهكم المستحق وحده للعبادة هو الله الإله الواحد، فالذين لا يؤمنون بالبعث قلوبهم جاحدة وحادانيته سبحانه؛ لعدم خوفهم من عقابه، فهم متكبرون عن قبول الحق، وعبادة الله وحده.

(٢٣) حقاً أن الله يعلم ما يخفونه من عقائده وأقوال وأفعال، وما يظهرهونه منها، وسيجازيهم على ذلك، إنه عز وجل لا يحب المستكبرين عن عبادته والانقياد له، وسيجازيهم على ذلك.

(٢٤) وإذا سُئِلَ هؤلاء المشركون عما نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم قالوا كذباً وزوراً؛ ما أتى إلا بقصص السابقين وأباطيلهم.

(٢٥) ستكون عقابته أن يحملوا آثامهم كاملة يوم القيامة - لا يُغفر لهم منها شيء - ويحملوا من آثام الذين كذبوا عليهم؛ ليعبدوهم عن الإسلام من غير نقص من آثامهم. ألا قبح ما يحملونه من آثام.

(٢٦) قد دبر الكفار من قبل هؤلاء المشركين المكاييد لرسولهم، وما جاؤوا به من دعوة الحق، فأتى أمر الله بنيانهم من أساسه وقاعدته، فسقط عليهم السقف من فوقهم، وآثامهم الهلاك من مأمهم، من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون أنه يأتيهم منه.

(٢٧، ٢٨) ثم يوم القيامة يفضحهم الله بالعذاب ويذلهم به، ويقول: أين شركائي من الآلهة التي عبدتموها من دوني؛ ليدفعوا عنكم العذاب، وقد كنتم تحاربون الأنبياء والمؤمنين وتعادونهم لأجلهم؟

قال العلماء الربانيون: إن الذل في هذا اليوم والعذاب على الكافرين بالله ورسله، الذين تقبض الملائكة أرواحهم في حال ظلمهم لأنفسهم بالكفر، فاستسلموا لأمر الله حين رأوا الموت، وأنكروا ما كانوا يعبدون من دون الله، وقالوا: ما كنا نعمل شيئاً من المعاصي، فيقال لهم: كذبتُم، قد كنتم تعملونها، إن الله عليم بأعمالكم كلها، وسيجازيكم عليها.

(٢٩) فادخلوا أبواب جهنم، لا تخرجون منها أبداً، فلبست مقراً للذين تكبروا عن الإيمان بالله وعن عبادته وحده وطاعته.

(٣٠) وإذا قيل للمؤمنين الخائفين من الله: ما الذي أنزل الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: أنزل الله عليه الخير والهدى. للذين آمنوا بالله ورسوله في هذه الدنيا، ودَعَرُوا

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا أَلْسِنَةً مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَاصْبِرْ لَهُمْ سَبْعَاتٍ مَا عَمِلُوا وَصَاقِبِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

عباد الله إلى الإيمان والعمل الصالح، مكرمة كبيرة من النصر لهم في الدنيا، وسعة الرزق، ولدَارُ الآخرة لهم خير وأعظم مما أوتوه في الدنيا، وليُغَمَّ دَارُ الَّذِينَ خَافُوا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فَاتَّقُوا عِقَابَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ دَارُ الْآخِرَةِ.

(٣١، ٣٢) جنات إقامة لهم، يستقرون فيها، لا يخرجون منها أبداً، تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لهم فيها كل ما تشتهيه أنفسهم، بمثل هذا الجزاء الطيب يجزي الله أهل خشيته وتقواه الذين تقبض الملائكة أرواحهم، وقلوبهم طاهرة من الكفر، تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم، وسليمت من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والانقياد لأمره.

(٣٣) ما ينتظر المشركون إلا أن تأتيتهم الملائكة؛ لتقبض أرواحهم وهم على الكفر، أو يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم، كما كَذَّبَ هؤلاء كَذَّبَ الْكَافِرُ مِنْ قَبْلِهِمْ، فأهلكهم الله، وما ظلمهم الله بإهلاكهم، وإنزال العذاب بهم، ولكنهم هم الذين كانوا يظلمون أنفسهم بما جعلهم أهلاً للعذاب.

(٣٤) فنزلت بهم عقوبة ذنوبهم التي عملوها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا اخْرَاقْنَا مِنْ دُونِهِمْ شَيْءٌ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَلَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحْزَنْ عَلَى هَدْيِهِمْ فإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ يُبَيِّنُ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْصُرَنَّهُمْ فِي الْأَدْنَى حَسَنَةً وَلَآ أَجْرَ الْآخِرَةِ أَكْثَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

(٣٥) وقال المشركون: لو شاء الله أن نعبده وحده ما عبدنا أحداً غيره، لا نحن ولا آبائنا من قبلنا، ولا خرمنا شيئاً لم يخرمه، يمثل هذا الاحتجاج الباطل احتج الكفار السابقون، وهم كاذبون؛ فإن الله أمرهم ونهاهم ومكّنهم من القيام بما كلّفهم به، وجعل لهم قوة ومشية تصدر عنها أفعالهم، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم، فليس على الرسل المنذرين لهم إلا التبليغ الواضح لما كلّفوا به.

(٣٦) ولقد بعثنا في كل أمة رسلاً أمراً لهم بعبادة الله وطاعته وحده وترك عبادة غيره من الشياطين والأوثان والأموات وغير ذلك مما يتخذ من دون الله ولياً، فكان منهم من هدى الله، فاتبع المرسلين، ومنهم العاند الذي اتبع سبيل الغي، فوجبت عليه الضلالة، فلم يوفقه الله. فامشوا في الأرض، وأبصروا بأعينكم كيف كان مآل هؤلاء المكذبين، وماذا حلّ بهم من دمار؛ لتعتبروا؟

(٣٧) إن تبذل -أيها الرسول- أقصى جهدك هداية هؤلاء المشركين فاعلم أن الله لا يهدي من يُضِلُّ، وليس لهم من دون الله أحد ينصرهم، ويمنع عنهم عذابه. (٣٨) وحلف هؤلاء المشركون بالله أياناً مغلفة أن الله لا يبعث من يموت بعدما يلي وتفرّق، بلى سيعنّتهم الله حتّى، وعداً عليه حقّاً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، فينكرونه. (٣٩) يبعث الله جميع العباد؛ ليبين لهم حقيقة البعث الذي اختلفوا فيه، وليعلم الكفار المتكبرون له أنهم على باطل، وأنهم كاذبون حين حلفوا أن لا بعث.

(٤٠) إن أمر البعث يسير علينا، فإننا إذا أردنا شيئاً فإنما نقول له: «كن»، فإذا هو كائن موجود.

(٤١) والذين تركوا ديارهم من أجل الله، فهاجروا بعدما وقع عليهم الظلم، لنسكنهم في الدنيا داراً حسنة، ولأجر الآخرة أكبر؛ لأن ثوابهم فيها الجنة. لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون علم يقين ما عند الله من الأجر والثواب للمهاجرين في سبيله، ما تخلف منهم أحد عن ذلك.

(٤٢) هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه وعلى أقداره المؤلمة، وعلى ربه وحده يعتمدون، فاستحقوا هذه المنزلة العظيمة.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَوَّلُ
 الْفِرَاقِ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَآزَلْنَاهُمْ أَفْوَاجًا
 أَذْكُرُ الْيَمِينَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾
 أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
 فِي تَغْلِبِهِمْ فَأَهْلُهُمْ بِمُتَعَجِّزِينَ ﴿١٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
 رَبَّهُمْ لَءَوْفٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
 يَخْفَى أَظْلَاهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢٠﴾ * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ
 اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَ قَائِلِي فَلَا هُيُونَ ﴿٢١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَأَصْبَاءٌ أَفْقَرُ اللَّهُ يَتَفَقَّهُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا يَكْمُرُ
 بِعَمْرِ فَنِ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ إِذَا
 كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾

(٤٣) وما أرسلنا في السابقين قبلك - أيها الرسول - إلا رسلًا من الرجال لا من الملائكة، نوحى إليهم، وإن كنتم - يا مشركي قريش - لا تصدقون بذلك فاسألوا أهل الكتب السابقة، يخبروكم أن الأنبياء كانوا بشرًا، إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر. والآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين، إذ لا يمكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها من العلماء الراسخين في العلم.

(٤٤) وأرسلنا الرسل السابقين بالدلائل الواضحة وبالكتب السماوية، وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن؛ لتوضح للناس ما خفي من معانيه وأحكامه، ولكي يتدبروه ويبتدوا به.

(٤٥ - ٤٧) أفامن الكفار المذبذبون للمكاييد أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون، أو يأتيهم العذاب من مكان لا يُحْسِنُونه ولا يتوقعونه، أو يأخذهم العذاب، وهم يتقبلون في أسفارهم وتصرفهم؟ فما هم بسابقين الله ولا فاتتبه ولا ناجين من عذابه؛ لأنه القوي الذي لا يعجزه شيء، أو يأخذهم الله بنقص من الأموال

والأنفس والثمرات، أو في حال خوفهم من أخذه لهم، فإن ربكم ليرحم خلقه رحمة واسعة في عاجلهم وأجلهم.

(٤٨) أعْمِيَ هؤلاء الكفار، فلم ينظروا إلى ما خلق الله من شيء له ظل، كالجبال والأشجار، تمثل ظلها تارة ميمناً وتارة شimalاً؛ تبعاً لحركة الشمس نهاراً والقمر ليلاً، كلها خاضعة لعظمة ربها وجلاله، وهي تحت تسخيرها وتدبيره وقهره؟

(٤٩) والله وحده يسجد كل ما في السموات وما في الأرض من دابة، والملائكة يسجدون لله، وهم لا يستكبرون عن عبادته. وخصَّهم بالذكر بعد العموم لفصلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم.

(٥٠) يخاف الملائكة ربهم الذي هو فوقهم بالذات والقهر وكمال الصفات، ويفعلون ما يُؤْمَرُونَ به من طاعة الله. وفي الآية: إثبات صفة العلو والقوية لله على جميع خلقه، كما يليق بجلاله وكِماله.

(٥١) وقال الله لعباده: لا تعبدوا إلهين اثنين، إنما معبودكم إله واحد، فخافوني دون سواي.

(٥٢) والله كل ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وعبداً، وله وحده العبادة والطاعة والإخلاص دائماً، أيليق بكم أن تخافوا غير الله وتعبدوه؟

(٥٣) وما بكم من نعمة هداية، أو صحة جسم، وسعة رزق وولد، وغير ذلك، فمن الله وحده، فهو المُنْعِمُ بها عليكم، ثم إذا نزل بكم السَّيِّئُ والبلاء والقحط فإلى الله وحده تَضِجُونَ بالدعاء.

(٥٤) ثم إذا كشف عنكم البلاء والسَّيِّئُ، إذا جمعة منكم برهم المُنْعِمُ عليهم بالنجاة يتخذون معه الشركاء والأولياء.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَمُوتُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تِلْكَ لَسَّتْ عَلَيْنَا كُبْرُ
تَقَرُّونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّعُوذِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِن ذَاتِهِ
وَلَكِنَّ يُوْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْجِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصِفَ
أَلَيْسَتْ لَهُمُ الْكُذِبُ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ لَهُمُ النَّارُ
وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَزَيْنَ لَهُمُ الدَّيْتِظُنَّ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلَّذِينَ لَهُمُ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

(٥٥) ليجحدوا نعمنا عليهم، ومنها كشف البلاء عنهم، فاستمتعوا بديناكم، ومصبرها إلى الزوال، فسوف تعلمون عاقبة كفركم وعصيانكم.

(٥٦) ومن قبيح أعمالهم أنهم يجعلون للأصنام التي اتخذوها آلهة - وهي لا تعلم شيئاً ولا تنفع ولا تضر - جزءاً من أموالهم التي رزقهم الله بها تقرباً إليها. تالله لتسألن يوم القيامة عما كنتم تختلقونه من الكذب على الله.

(٥٧) ويجعل الكفار لله البنات، فيقولون: الملائكة بنات الله، تنزه الله عن قومهم، ويجعلون لأنفسهم ما يحبون من البنين.

(٥٨) وإذا جاء من يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودَّ وجهه؛ كراهية لما سمع، وامتناعاً وحزاناً.

(٥٩) يستخفي من قومه كراهية أن يلقاهم متلبساً بما ساءه من الحزن والعار؛ بسبب البنت التي ولدت له، ومتحيراً في أمر هذه المولودة: أيقبها حية على ذلٍّ وهوان، أم يدفنها حية في

التراب؟ ألا بشس الحكم الذي حكموه من جعل البنات لله والذكور لهم.

(٦٠) للذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يعملون لها، الصفة الفبيحة من العجز والحاجة والجهل والكفر، والله الصفات العليا من الكمال والاستغناء عن خلقه، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره.

(٦١) ولو يؤاخذ الله الناس بكفرهم وافتراهم ما ترك على الأرض من يتحرك، ولكن يقيهم إلى وقت محدد هو نهاية آجالهم، فإذا جاء أجلهم لا يتأخرون عنه وقتاً يسيراً، ولا يتقدمون.

(٦٢) ومن قبائحهم: أنهم يجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وتقول أليستهم كذباً: إن لهم حسن العاقبة، حقاً أن لهم النار، وأنهم فيها متروكون متسبون.

(٦٣) تالله لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - فحسن لهم الشيطان ما عملوه من الكفر والتكذيب وعبادة غير الله، فهو متوَلِّئٌ إغواءهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجه.

(٦٤) وما أنزلنا عليك القرآن - أيها الرسول - إلا لتوضح للناس ما اختلفوا فيه من الدين والأحكام؛ لتقوم الحجة عليهم ببيانك الذي لا يترك للباطل مسلكاً إلى النفوس، ولكون القرآن هدىً لا يترك مجالاً للحيرة، ورحمة للمؤمنين في اتباعهم الهدى ومجانبتهم الضلال.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَاهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرُمُ الَّذِينَ يَمَاقِبُ ظُفُوفَهُمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَذِمِّرْنَا حَالِصًا يَلْعَلُ السَّادِقِينَ وَإِنْ مِمَّنْ نَضْرِبُ النَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ تَنْخَضُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَوْحِ رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ تُخْرِجْ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ كُلِّ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ ظُلُوفِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٨﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوفِّدُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِمَّةٍ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ الْأَطْيَافِ أَفَبِاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾

(٦٥) والله أنزل من السحاب مطراً، فأخرج به النبات من الأرض بعد أن كانت قاحلة يابسة، إن في إنزال المطر وإنبات النبات لدليلاً على قدرة الله على البعث وعلى الوحداينة، لقوم يسمعون، ويتدبرون، ويطيعون الله، ويتقونه.

(٦٦) وإن لكم -أيها الناس- في الأنعام -وهي الإبل والبقرة والغنم- لعظة، فقد شاهدتم أننا نسقيكم من ضرعها لبناً خارجاً من بين قرن -وهو ما في الكرش- وبين دم خالصاً من كل الشوائب، لذیذا لا يغصُّ به من شره.

(٦٧) ومن نعمنا عليكم ما تأخذونه من ثمرات النخيل والأعناب، فتجعلونه خمرًا مُسكرًا -وهذا قبل تحریمها- وطعاماً طيباً. إن فيها ذكر لدليلاً على قدرة الله لقوم يعقلون البراهين فيعتبرون بها.

(٦٨) وأنهم ربك -أيها الرسول- النحل بأن اجعلي لك بيوتاً في الجبال، وفي الشجر، وفي بيبي الناس من البيوت والسقوف.

(٦٩) ثم كُلِّ مِنْ كُلِّ ثَمرة تستهينها، فاسلُكي طرق ربك مذلة لك؛ لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر، وقد جعلها سهلة عليك، لا تضلي في العود إليها وإن بَعُدَتْ. يخرج من بطون النحل عسل مختلف الألوان من بياض وصفرة وحمرة وغير ذلك، فيه شفاء للناس من الأمراض. إن فيها يصنعه النحل كدالة قوية على قدرة خالقها لقوم يتفكرون، فيعتبرون.

(٧٠) والله سبحانه وتعالى خلقكم ثم يميّكم في نهاية أعماركم، ومنكم من يصير إلى أَرْدَا العمر وهو الهرم، كما كان في طفولته لا يعلم شيئاً مما كان يعلمه، إن الله عليم قدير، أحاط علمه وقدرته بكل شيء، فالله الذي ردَّ الإنسان إلى هذه الحالة قادر على أن يميت، ثم يعيته.

(٧١) والله فَضَّلَ بعضكم على بعض في الدنيا من الرزق، فمنكم غني ومنكم فقير، ومنكم مالك ومنكم مملوك، فلا يعطي المالكون مملوكيهم مما أعطاهم الله ما يصيرون به شركاء لهم متساوين معهم في المال، فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسهم، فلماذا رضوا أن يجعلوا الله شركاء من عبده؟ إن هذا لمن أعظم الظلم والجحود لينعم الله عز وجل.

(٧٢) والله سبحانه جعل من جنسكم أزواجاً؛ لتستريح نفوسكم معهن، وجعل لكم منهن الأبناء ومن نسلهن الأحفاد، ورزقكم من الأطعمة الطيبة من الثمار والحبوب واللحوم وغير ذلك. أقبالوا على شركائهم يؤمنون، وبنعم الله التي لا تحصى يجحدون، ولا يشكرون له بإفراده جل وعلا بالعبادة؟

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَضَارُّهُمْ أَلَسَمَاتٍ
وَالْأَرْضُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا فَلَا تَنْفِرُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ أَرْزَاقٍ حَسَنًا
فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَخِيرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ثَجَلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَتَى بِكُفْرٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ
أَيْنَمَا يُؤْجِهَةٌ لِأَيَّانٍ يَخِيَرُهُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٥﴾ وَلِلَّهِ عَذَابٌ
الْأَسْمَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٦﴾
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَرْزُقْنَا إِلَى الظَّيْرِ مُسْحَرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾

(٧٣) ويعبد المشركون أصناماً لا تملك أن تعطيهم شيئاً من الرزق من السماء كالطير، ولا من الأرض كالزرع، فهم لا يملكون شيئاً، ولا يتأتى منهم أن يملكوه؛ لأنهم لا يقدرُونَ.

(٧٤) وإذا علمتم أن الأصنام والأوثان لا تنفع، فلا تجعلوا - أيها الناس - لله أشباحاً مماثلين له من خلقه تشركونهم معه في العبادة. إن الله يعلم ما تفعلون، وأنتم غافلون لا تعلمون خطاكم وسوء عاقبتكم.

(٧٥) ضرب الله مثلاً بين فيه فساد عقيدة أهل الشرك: رجلاً مملوكاً عاجزاً عن التصرف لا يملك شيئاً، ورجلاً آخر حراً، له مال حلال رزقه الله به، يملك التصرف فيه، ويعطي منه في الخفاء والعلن، فهل يقول عاقل بالتساوي بين الرجلين؟ فكذاك الله الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعبيده، كيف تُسَوُّونَ بينهما؟ الحمد لله وحده، فهو المستحق للحمد والثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون أن الحمد والنعمة لله، وأنه وحده المستحق للعبادة.

(٧٦) وضرب الله مثلاً آخر لبطلان الشرك رجلين: أحدهما آخرس أصم لا يفهم ولا يفهم، لا يقدر على منفعة نفسه أو غيره، وهو عبء ثقيل على من يلي أمره ويعوله، إذا أرسله لأمر يقضيه لا ينجح، ولا يعود عليه بخير، ورجل آخر سليم الحواس، ينفع نفسه وغيره، يأمر بالإنصاف، وهو على طريق واضح لا عوج فيه، فهل يستوي الرجلان في نظر العقلاء؟ كيف تُسَوُّونَ بين الصنم الأبكم الأصم وبين الله القادر المنعم بكل خير؟

(٧٧) والله سبحانه وتعالى علّم ما غاب في السموات والأرض، وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك. إن الله على كل شيء قدير.

(٧٨) والله سبحانه وتعالى أخرجكم من بطون أمهاتكم بعد مدة الحمل، لا تدركون شيئاً مما حولكم، وجعل لكم وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب؛ لعلكم تشكرون الله تعالى على تلك النعم، وتفردونه عز وجل بالعبادة.

(٧٩) ألم ينظر المشركون إلى الطير مذللات للطيران في الهواء بين السماء والأرض بأمر الله؟ ما يمسكهن عن الوقوع إلا هو سبحانه بما خلقه لها من الأجنحة والأذنان، وأقدرها عليه. إن في ذلك التذليل والإمساك لآيات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بما يرونه من الأدلة على قدرة الله.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوُمْتًا إِلَى حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْجِبَالِ الْكُنُوزَ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ سَرَابِيلِ تَقِيَّكُمْ
الْحَرَّ وَسَرَابِيلٍ تَقِيَّكُمْ بِأَسْكَكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا عَلَيَّ
الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرِكَاءَهُمْ قَالُوا
رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ
فَاقْلُوبُوا إِلَيْهِمُ الْقُلُوبَ إِنَّكُمْ كَذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَاقْلُوبُوا
إِلَى يَوْمِئِذٍ السَّامَةِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٧﴾

(٨٠) والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم راحة واستقراراً مع أهلکم، وأنتم مقيمون في الحضر، وجعل لكم في سفركم خياماً وقباباً من جلود الأنعام، يخفّ عليكم حملها وقت ترحالکم، ويخفّ عليكم نصيبها وقت إقامتکم بعد الترحال، وجعل لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز أثناً لكم من أكسية والبسة وأغطية وفرش وزينة، تتمعون بها إلى أجل مسّی ووقت معلوم.

(٨١) والله جعل لكم ما تستظلون به من الأشجار وغيرها، وجعل لكم في الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجؤون إليها عند الحاجة، وجعل لكم ثياباً من القطن والصوف وغيرها، تحفظکم من الحر والبرد، وجعل لكم من الحديد ما يردّ عنكم الطعن والأذى في حروبکم، كما أنعم الله عليكم بهذه النعم يتم نعمته عليكم ببيان الدين الحق، لتستسلموا لأمر الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً في عبادته.

(٨٢) فإن أعرضوا عنك -أيها الرسول- بعدما رأوا من الآيات فلا تحزن، فما عليك إلا البلاغ

الواضح لما أُرْسِلْتُ به، وأما الهداية فإلينا.

(٨٣) يعرف هؤلاء المشركون نعمة الله عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم يمحذون نبوته، وأكثر قومه الجاحدون لنبوته، لا المقرون بها.

(٨٤) واذكر لهم -أيها الرسول- ما يكون يوم القيامة، حين نبعث من كل أمة رسولها شاهداً على إيمان من آمن منها، وكُفّر من كُفّر، ثم لا يؤذن للذين كفروا بالاعتذار عما وقع منهم، ولا يُطلب منهم إرضاء ربهم بالتوبة والعمل الصالح، فقد مضى أوان ذلك.

(٨٥) وإذا شاهد الذين كفروا عذاب الله في الآخرة فلا يخفف عنهم منه شيء، ولا يُشْهَلون، ولا يؤخر عذابهم.

(٨٦) وإذا أبصر المشركون يوم القيامة آهتهم التي عبدوها مع الله، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دونك، فنطقت الآلهة بتكذيب من عبدوها، وقالت: إنكم -أيها المشركون- لكاذبون، حين جعلتمونا شركاء لله وعبدتمونا معه، فلم تأمرکم بذلك، ولا زعمنا أننا مستحقون للألوهية، فاللوم عليكم.

(٨٧) وأظهر المشركون الاستسلام والخضوع لله يوم القيامة، وغاب عنهم ما كانوا يخلقونه من الأكاذيب، وأن آهتهم تشفع لهم.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ عَذَابٌ
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَى هَٰؤُلَاءِ وَتَزَلَّتْ عَائِيكَ الْكِتَابَ يَتَنَبَّأُ كُلُّ
شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَيُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
عَزْلَاهُمْ بِعَدُوٍّ أَنْكَرًا تَذَكَّرُونَ أَيْمَنَ كُودُخَلَا
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يُلَوِّكُهُ اللَّهُ
يَهَىٰ وَيَجْبِتَنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنَا عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

(٨٨) الذين جحدوا وحدانية الله ونبوتك -أيها الرسول- وكذبوك ومنعوا غيرهم عن الإيذان بالله ورسوله، زدهم عذاباً على كفرهم وعذاباً على صدقهم الناس عن اتباع الحق؛ وهذا بسبب تعدهم الإفساد وإضلال العباد بالكفر والمعصية.

(٨٩) واذكر -أيها الرسول- حين نبعث يوم القيامة في كل أمة من الأمم شهيداً عليهم، وهو الرسول الذي بعثه الله إليهم من أنفسهم وبلسانهم، وجئنا بك -أيها الرسول- شهيداً على أمتك، وقد نزلنا عليك القرآن توضيحاً لكل أمر يحتاج إلى بيان، كأحكام الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وغير ذلك، وليكون هداية من الضلال، ورحمة لمن صدق وعمل به، وبشارة طيبة للمؤمنين بحسن مصيرهم.

(٩٠) إن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشرار به، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه، وبأمر بالإحسان في حقه بعبادته وأداء فرائضه على الوجه المشروع، وإلى الخلق في

الأقوال والأفعال، وبأمر بإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرهم، وينهى عن كل ما قبح قولاً أو عملاً، وعما ينكره الشرع ولا يرضاه من الكفر والمعاصي، وعن ظلم الناس والتعدي عليهم، والله -بهذا الأمر وهذا النهي- يعظكم ويذكركم العواقب؛ لكي تذكروا أوامر الله وتتقوا بها.

(٩١) والزموا الوفاء بكل عهد أوجبتهم على أنفسكم بينكم وبين الله -تعالى-، أو بينكم وبين الناس فيها لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه، ولا ترجعوا في الأيذان بعد أن أكدتموها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وضامناً حين عاهدتموه. إن الله يعلم ما تفعلونه، وسيجزىكم عليه.

(٩٢) ولا ترجعوا في عهودكم، فيكون مثل امرأة غزلت غزلاً وأحكمتها، ثم نقضته، تجعلون أيمانكم التي حلفتوها عند التعاهد خديعة لمن عاهدتموه، وتنتقضون عهدكم إذا وجدتم جماعة أكثر مالا ومنفعة من الذين عاهدتموه، إنها يجتبركم الله بها أمركم به من الوفاء بالعهود وما نهاكم عنه من نقضها، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا من الإيذان بالله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٩٣) ولو شاء الله لوفقكم كلكم، فجعلكم على ملة واحدة، وهي الإسلام والإيذان، وألزكم به، ولكنه سبحانه يضل من يشاء من علم منه إشار الضلال، فلا يهديه عدلاً منه، ويهدي من يشاء ممن علم منه إشار الحق، فيوفقه فضلاً منه، وليسلأكم الله جميعاً يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم به، ونهاكم عنه، وسيجازيكم على ذلك.

(٩٤) ولا تجعلوا من الأيمان التي تحلفونها خديعة لمن حلفتم لهم، فتهلكوا بعد أن كنتم آمنين، كمن زلقت قدمه بعد ثوبتها، وتذوقوا ما يسوءكم من العذاب في الدنيا؛ بما تسببتم فيه من منع غيركم عن هذا الدين لما رآه منكم من الغدر، ولكم في الآخرة عذاب عظيم.

(٩٥) ولا تنقضوا عهد الله؛ لتسبدلوا مكانه عرضاً قليلاً من متاع الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء أفضل لكم من هذا الثمن القليل، إن كنتم من أهل العلم، فتدبروا الفرق بين خيرتي الدنيا والآخرة.

(٩٦) ما عندكم من حطام الدنيا يذهب، وما عند الله لكم من الرزق والثواب لا يزول. ولتبين الذين تحمّلوا مشاق التكاليف -ومنها الوفاء بالعهد- ثوابهم بأحسن أعمالهم، فتعطيهم على أذانها، كما تعطيه على أعلاها تفضلاً.

(٩٧) من عمل عملاً صالحاً ذكراً أم أنثى، وهو مؤمن بالله ورسوله، فلنحنيه في الدنيا حياة سعيدة مطمئنة، ولو كان قليل المال، ولنجزئهم في الآخرة ثوابهم بأحسن ما عملوا في الدنيا.

وَلَا تَسْخِذُوا أَنْ يَمْسُكُمْ دَخَلًا مِنْكُمْ فَفَرِّقْ قَدَمَ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ فَيَحْكُمَ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ صَدْرَ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفًى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتٍ طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٩﴾ إِنَّهُ رَأْسُ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا هِيَ مَقَرٌّ مِنْ قَبْلُ أَوَّلُ مَا كُنْتُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ فَلَنْ نَزِلَّهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾

(٩٨) فإذا أردت -أيها المؤمن- أن تقرأ شيئاً من القرآن فاستعذ بالله من شرّ الشيطان المطرود من رحمة الله قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(٩٩، ١٠٠) إن الشيطان ليس له تسلط على المؤمنين بالله ورسوله، وعلى ربهم وحده يعتمدون. إنما تسلطه على الذين جعلوه معيناً لهم وأطاعوه، والذين هم -بسبب طاعته- مشركون بالله تعالى.

(١٠١) وإذا بدلنا آية بآية أخرى، والله الخالق أعلم بمصلحة خلقه بما ينزله من الأحكام في الأوقات المختلفة، قال الكفار: إنها أنت -يا محمد- كاذب تخلق على الله ما لم يقله. ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس كما يزعمون. بل أكثرهم لا علم لهم بربهم ولا بشرعه وأحكامه.

(١٠٢) قل لهم -أيها الرسول-: ليس القرآن مختلفاً من عندي، بل نزله جبريل من ربك بالصدق والعدل؛ تبييناً للمؤمنين، وهداية من الضلال، وبشارة طيبة لمن أسلموا وخضعوا لله رب العالمين.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّانِ
الَّذِي يُكَلِّمُونَ إِلَهُهُ أَعْجَمِي ۖ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ
﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِقَائِلَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِقَائِلَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ لَا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِإِلَافَتِهِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ
صَدْرًا فَلَنُصِيبَهُ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعْتَهُمْ
وَأَبْصَرْتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَاجِرَةً
أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا نُتَائِمَةً جَهْدًا
وَصَبْرًا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

(١٠٣) ولقد نعلم أن المشركين يقولون: إن النبي يتلقى القرآن من بشر من بني آدم. كذوبا؛ فإن لسان الذي نسبوا إليه تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أعجمي لا يفصح، والقرآن عربي غاية في الوضوح والبيان.

(١٠٤) إن الكفار الذين لا يصدقون بالقرآن لا يوفقههم الله لإصابة الحق، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موجع.

(١٠٥) إنسا يختلق الكذب من لا يؤمن بالله وآياته، وأولئك هم الكاذبون في قوهم ذلك. أما محمد صلى الله عليه وسلم المؤمن بربه الخاضع له فمحال أن يكذب على الله، ويقول عليه ما لم يقبله.

(١٠٦، ١٠٧) إنسا يفترى الكذب من نطق بكلمة الكفر وارتد بعد إيمانه، فعليهم غضب من الله، إلا من أرغم على النطق بالكفر، فنطق به خوفاً من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان، فلا لوم عليه، لكن من نطق بالكفر واطمان قلبه

إليه، فعليهم غضب شديد من الله، ولهم عذاب عظيم؛ وذلك بسبب إثارهم الدنيا وزينتها، وتفضيلهم إياها على الآخرة وثوابها، وأن الله لا يهدي الكافرين، ولا يوفقههم للحق والصواب.

(١٠٨) أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر وإثار الدنيا على الآخرة، فلا يصل إليها نور الهداية، وأصم سمعهم عن آيات الله فلا يسمعونها سماع تدبر، وأعمى أبصارهم فلا يرون البراهين الدالة على ألوهية الله، وأولئك هم الغافلون عما أعد الله لهم من العذاب.

(١٠٩) حقاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون المهلكون، الذين صرفوا حياتهم إلى ما فيه عذابهم وهلاكهم.

(١١٠) ثم إن ربك للمستضعفين في «مكة» الذين عذبهم المشركون، حتى وافقوهم على ما هم عليه ظاهراً، ففتنوهم بالتلفظ بما يرضيهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ولما أمكنهم الخلاص هاجروا إلى «المدينة»، ثم جاهدوا في سبيل الله، وصبروا على مشاق التكليف، إن ربك - من بعد توبتهم - لغفور رحيم بهم.

(١١١) وذكرهم -أيها الرسول- يوم القيامة حين تأتي كل نفس تخاصم عن ذاتها، وتعتذر بكل المعاذير، ويوفي الله كل نفس جزاء ما عملته من غير ظلم لها، فلا يزيدهم في العقاب، ولا ينقصهم من الثواب.

(١١٢) و ضرب الله مثلاً ببلدة «مكة» كانت في أمان من الاعتداء، واطمئنان من ضيق العيش، يأتيها رزقها هيناً سهلاً من كل جهة، فجحد أهلها نعم الله عليهم، وأشركوا به، ولم يشكروا له، فعاقبهم الله بالجوع، والخوف من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيوشه، التي كانت تخيفهم؛ وذلك بسبب كفرهم وصنيعهم الباطل.

(١١٣) ولقد أرسل الله إلى أهل «مكة» رسولاً منهم، هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فلم يقبلوا ما جاءهم به، ولم يصدقوه، فأخذهم العذاب من الشدائد والجوع والخوف، وقتل عظمائهم في

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامَنَةً مَّظْمُونَةً يَأْتِيهَا رَزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ عَلَيْهَا فَذَقْنَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ لَعِنْدَهُ شَاكِرُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ عَرِيضًا وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِكُمْ وَعَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا فَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٨﴾

«بدر»، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك بالله، والصد عن سبيله.

(١١٤) فكلوا -أيها المؤمنون- مما رزقكم الله، وجعله لكم حلالاً مستطاباً، واشكروا نعمة الله عليكم بالاقرار بها وضر فيها في طاعة الله، إن كنتم حقاً منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

(١١٥) إنما حرم الله عليكم الميتة من الحيوان، والدم المسفوح من الذبيح عند ذبحه، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، لكن من ألبأته ضرورة الخوف من الموت إلى أكل شيء من هذه المحرمات وهو غير ظالم، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله غفور له، رحيم به، لا يعاقبه على ما فعل.

(١١٦) ولا تقولوا -أيها المشركون- للكذب الذي تصفه ألسنتكم: هذا حلال لِمَا حَرَّمَهُ الله، وهذا حرام لِمَا أَحَلَّهُ الله؛ لتختلفوا على الله الكذب بنسبة التحليل والتحريم إليه، إن الذين يخلقون على الله الكذب لا يفوزون بخير في الدنيا ولا في الآخرة.

(١١٧) متاعهم في الدنيا متاع زائل ضئيل، وهم في الآخرة عذاب موحج.

(١١٨) وعلى اليهود حَرَمًا ما أخبرناك به -أيها الرسول- من قبل، وهو كل ذي ظفر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حملته ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطاً بَعْظُم، وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَآتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ مَا يَتَّبِعُونَ أَخَسُّ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ الصَّبْرِ وَتَوَّصَرْتُمْ وَصَارَ إِلَيْكُمُ الْإِلَهِ اللَّهُ وَلَا تُخْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٧﴾

(١١٩) ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله - فكل عاص لله خطئاً أو متمعداً فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم - ثم رجعوا إلى الله عتياً كانوا عليه من الذنوب، وأصلحو نفوسهم وأعمالهم، إن ربك - من بعد توبتهم وإصلاحهم - لغفور لهم، رحيم بهم.

(١٢٠-١٢٢) إن إبراهيم كان إماماً في الخير، وكان طائعاً خاضعاً لله، لا يميل عن دين الإسلام موحداً لله غير مشرك به، وكان شاكراً لنعم الله عليه، اختاره الله لرسالته، وأرشده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام، وآتيته في الدنيا نعمة حسنة من النناء عليه في الآخرين والقُدوة به، والولد الصالح، وإنه عند الله في الآخرة لمن الصالحين أصحاب المنازل العالية.

(١٢٣) ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع دين الإسلام كما اتبعه إبراهيم، وأن استقم عليه، ولا تحذ عنه، فإن إبراهيم لم يكن من المشركين مع الله غيره.

(١٢٤) إنما جعل الله تعظيم يوم السبت بالتفرغ للعبادة فيه على اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيهم، واختاروه بدل يوم الجمعة الذي أمروا بتعظيمه. وإن ربك - أيها الرسول - ليحكم بين المختلفين يوم القيامة فيما اختلفوا فيه على نبيهم، ويجازي كلأبما يستحقه.

(١٢٥) ادعُ - أيها الرسول - أنت ومن تبعك إلى دين ربك وطريقه المستقيم، بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة، وخطب الناس بالأسلوب المناسب لهم، وانصح لهم نصيحاً حسناً، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر، وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين. فما عليك إلا البلاغ، وقد بلغت، أما هدايتهم فعلى الله وحده، فهو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين.

(١٢٦) وإن أردتم - أيها المؤمنون - القصاص ممن اعتدوا عليكم، فلا تزيدوا عما فعلوه بكم، ولئن صبرتم هو خير لكم في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالأجر العظيم.

(١٢٧) واصبر - أيها الرسول - على ما أصابك من أذى في الله حتى يأتيك الفرج، وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويشتك، ولا تخزن على من خالفك ولم يستجب لدعوتك، ولا تغتم من مكهم وكيدهم، فإن ذلك عائد عليهم بالشر والربال.

(١٢٨) إن الله سبحانه وتعالى بتوفيقه وعونه وتأيدته ونصره مع الذين اتقوه بامتنال ما أمر واجتناب ما نهى، ومع الذين يحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته.

﴿سورة الإسراء﴾

(١) يمجّد الله نفسه ويعظم شأنه، لقد رته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فهو الذي أسرى بعبدته محمد صلى الله عليه وسلم زمناً من الليل بجسده وروحه، بقطة لا ناماً، من المسجد الحرام بـ«مكة» إلى المسجد الأقصى بـ«بيت المقدس» الذي بارك الله حوله في الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله محلاً لكثير من الأنبياء؛ ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته. إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصِر، فيعطي كلّ ما يستحقه في الدنيا والآخرة.

(٢) وكما كرم الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالإسراء، كرم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، وجعلها بياناً للحق وإرشاداً لبني إسرائيل، متضمنة تبيينهم عن اتخاذ غير الله تعالى ولياً أو معبوداً يفوضون إليه أمورهم.

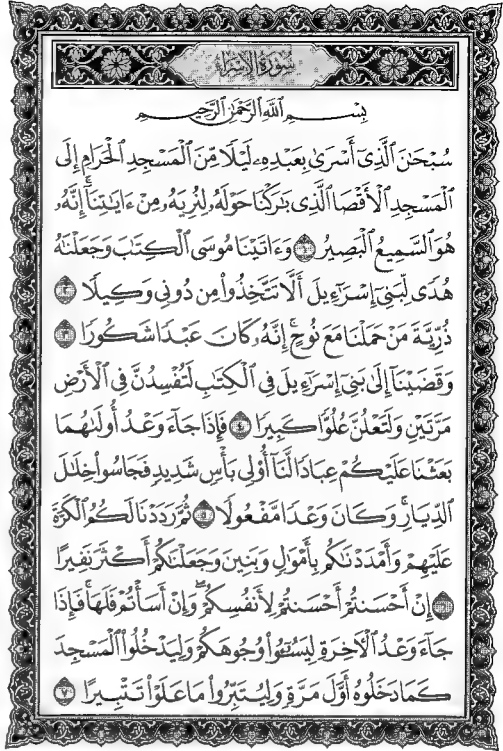
(٣) يا سلالة الذين أنجيناهم وحملناهم مع نوح في السفينة لا تشركوا بالله في عبادته، وكونوا شاكرين لنعمه، مقتدين بنوح عليه السلام؛ إنه كان عبداً شكوراً لله بقلبه ولسانه وجوارحه.

(٤) وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة التي أنزلت عليهم بأنه لا بد أن يقع منهم إفساد مرتين في «بيت المقدس» وما والاها بالظلم، وقتل الأنبياء، والتكبر والطغيان والعدوان.

(٥) فإذا وقع منكم الإفساد الأول سلطنا عليكم عبداً لنا ذوي شجاعة وقوة شديدة، يغلبونكم ويقتلونكم ويشردونكم، فطافوا بين دياركم مفسدين، وكان ذلك وعداً لا بدّ من وقوعه؛ لوجود سببه منكم.

(٦) ثم ردّنا لكم - يا بني إسرائيل - الغلبة والظهور على أعدائكم الذين سلطوا عليكم، وأكثرنا أرزاقكم وأولادكم، وقوّيناكم وجعلناكم أكثر عدداً من عدوكم؛ وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله.

(٧) إن أحسنت أفعالكم وأقوكم فقد أحسنت لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك عائد إليكم، وإن أسأتم فعقاب ذلك عائد عليكم، فإذا حان موعد الإفساد الثاني سلطنا عليكم أعداءكم مرة أخرى؛ ليدلّوكم ويغلبوكم، فنظهر آثار الإهانة والمذلة على وجوهكم، وليدخلوا عليكم «بيت المقدس» فيخربوه، كما خربوه أول مرة، وليدمروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميراً كاملاً.



عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكَ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَاَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَذَرُ الَّذِينَ لَا تُؤْمِنُونَ آيَاتِنَا يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَيَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوَةٌ آيَةُ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مَبْصُورَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
 السَّاعَاتِ وَالحِسَابِ ﴿١١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا نَقْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلُّ
 إِنْسَانٍ أَلْفُ مِائَةٍ طَرْفَةٌ فِي عُقَّتِهِ وَنُفِخَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَفَرَأَيْتَ لَكَ فِي نَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
 ﴿١٤﴾ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
 عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَرَّاهَكَ مِنَ الْقُرُونِ
 مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

(٨) عسى ربكم - يا بني إسرائيل - أن يرحمكم بعد انتقامه إن تبتم وأصلحتم، وإن عدتم إلى الإفساد والظلم عُدنا إلى عقابكم ومذلتكم. وجعلنا جهنم لكم ولل كافرين عامة سجنًا لا خروج منه أبداً. وفي هذه الآية وما قبلها، تحذير هذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لتلا يصيبها مثل ما أصاب بني إسرائيل، فسنن الله واحدة لا تبدل ولا تتغير.

(٩، ١٠) إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صل الله عليه وسلم يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام، ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتھون عما نهاهم عنه، بأن لهم ثواباً عظيماً، وأن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء أعدنا لهم عذاباً موجعاً في النار.

(١١) ويدعو الإنسان أحياناً على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، وذلك عند الغضب، مثل ما يدعو بالخير، وهذا من جهل الإنسان وعملته، ومن رحمة الله به أنه يستجيب له في دعائه بالخير دون الشر؛ لأنه يعلم منه عدم القصد إلى إرادة ذلك، وكان الإنسان بطبعه عجولاً.

(١٢) وجعلنا الليل والنهار علامتين دالّتين على

وحدايتنا وقدرتنا، فَمَحْوَةٌ آيَةُ اللَّيْلِ - وهي القمر - وجعلنا علامة النهار - وهي الشمس - مضية؛ ليبصر الإنسان في ضوء النهار كيف يتصرف في شؤون معاشه، ويخلد في الليل إلى السكون والراحة، وليعلم الناس - ومن تعاقب الليل والنهار - عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فیرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم، وكل شيء بيّناً كافياً. (١٣) وكل إنسان يحمل الله ما عمله من خير أو شر ملازماً له، فلا يحاسب بعمل غيره، ولا يحاسب غيره بعمله، ويخرج الله له يوم القيامة كتاباً قد سجّلت فيه أعماله يراه مفتوحاً.

(١٤) يقال له: اقرأ كتاب أعمالك، فإقرأ وإن لم يكن يعرف القراءة في الدنيا، تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء. وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك، كفى بها حسبياً عليك. (١٥) من اهتدى فاتبع طريق الحق فإنما يعود ثواب ذلك عليه وحده، ومن حاد واتبع طريق الباطل فإنما يعود عقاب ذلك عليه وحده، ولا تحمل نفس مذنبية إثم نفس مذنبية أخرى. ولا يعذب الله أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

(١٦) وإذا أردنا إهلاك أهل قرية ظلمهم أمرنا مترفيهم ببطاعة الله وتوحيده وتصديق رسله، وغيرهم تبع لهم، فعصوا أمر ربهم وكذبوا رسله، فحق عليهم القول بالعذاب الذي لا مردّ له، فاستأصلناهم بهلاك التام.

(١٧) وكثيراً أهلكنا من الأمم المكذبة رسلها من بعد نبي الله نوح. وكفى بربك - أيها الرسول - أنه عالم بجميع أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْطَلِّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَنحُودًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفِي وَلَا تَنْهَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ زَكَرُوا أَغْلَرُ بِمَا فِي نَفْسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لِلْأَقْبَرِينَ عَاقِبًا ﴿٢٥﴾ وَإِذَا ذَا الْقُرْفَىٰ حَقَّهٗ وَالْمُسْكِينِ وَآتَىٰ السَّبِيلَ وَلَا يَبْدُرُ تُبْدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِمْ كَقُورًا ﴿٢٧﴾

(١٨) من كان طلبه الدنيا العاجلة، وسعى لها وحدها، ولم يصدق بالآخرة، ولم يعمل لها، عجل الله له فيها ما يشاؤه الله ويريده عما كتبه له في اللوح المحفوظ، ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم، يدخلها ملوماً مطروداً من رحمته عز وجل، وذلك بسبب إرادته الدنيا وسعيه لها دون الآخرة.

(١٩) ومن قصد بعمله الصالح ثواب الدار الآخرة الباقية، وسعى لها بطاعة الله تعالى، وهو مؤمن بالله وثوابه وعظيم جزائه، فأولئك كان عملهم مقبولاً مذكراً لهم عند ربهم، وسيثابون عليه.

(٢٠) كل فريق من العاملين للدنيا الفانية، والعاملين للآخرة الباقية يزيد من رزقنا، وفرز المؤمنين والكافرين في الدنيا؛ فإن الرزق من عطاء ربك تفضلاً منه، وما كان عطاء ربك ممنوعاً من أحد مؤمناً أم كافراً.

(٢١) تأمل - أيها الرسول - في كيفية تفضيل الله بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق والعمل، وللآخرة أكبر درجات للمؤمنين وأكبر تفضيلاً.

(٢٢) لا تجعل - أيها الإنسان - مع الله شريكاً له

في عبادته، فتبوء بالمذمة والخذلان.

(٢٣) وأمر ربك - أيها الإنسان - والزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وأمر بالإحسان إلى الأب والأم، وبخاصة حالة الشيخوخة، فلا تضجر ولا تستغل شيئاً تراه من أحدهما أو منهما، ولا تُسمعها قولاً سيئاً، حتى ولا التأنيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ولا يصدر منك إليها فعل قبيح، ولكن ارفق بهما، وقل لها - دائماً - قولاً ليئناً لطيفاً.

(٢٤) وكُنْ لأمك وأبيك ذليلاً متواضعاً رحمة بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياء وأمواتاً، كما صبرا على تربيتك طفلاً ضعيف الحول والقوة.

(٢٥) ربكم - أيها الناس - أعلم بما في ضمائركم من خير وشر. إن تكن إرادتكم ومقاصدكم مرضاة الله وما يقربكم إليه، فإنه كان - سبحانه - للراغبين إليه في جميع الأوقات غفوراً، فمن عَلمَ الله أنه ليس في قلبه إلا الإجابة إليه وبهجة، فإنه يغفو عنه، ويغفر له ما يعرض من صغائر الذنوب؛ مما هو من مقتضى الطباع البشرية.

(٢٦) وأحسن إلى كل من له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير.

(٢٧) إن السرفين والمنفقين أموالهم في معاصي الله هم أشباه الشياطين في الشر والفساد والمعصية، وكان الشيطان كثير الكفران شديد الجحود لنعمة ربه.

وَأَمَّا نَعُصِرَنَّ عَنْهُمْ إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ وَلَا تَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ بَسِطُ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كَرِهْنَا أَوْلَادَكُمْ فَكَانَ قَتْلُهُمْ كَاتِبًا أَخِيًّا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَجْشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُعَصِّرًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ زَوَّارًا لَا تَقْطَعُوا أَلْسِنَةً مَسْئُومَةً وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٦﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرًا وَّهُمَا

(٢٨) وإن أعرضت عن إعطاء هؤلاء الذين أمروا بإعطائهم؛ لعدم وجود ما تعطيه لهم طلباً لرزق تنتظره من عند ربك، فقل لهم قولاً لطيفاً، كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق، وعذمهم بأن الله إذا أيسر من فضله رزقاً أنك تعطيه لهم منه.

(٢٩) ولا تمسك يداك عن الإنفاق في سبيل الخير، مضيقاً على نفسك وأهلك والمحتاجين، ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك، فتقعُدَ ملوماً يلومك الناس ويذمونك، نادماً على تبذيرك وضياح مالك.

(٣٠) إن ربك يوسع الرزق على بعض الناس، ويضيِّقه على بعضهم، وفق علمه وحكمته سبحانه وتعالى. إنه هو المطَّلِع على خفايا عباده، لا يغيب عن علمه شيء من أحوالهم.

(٣١) وإذا علمت أن الرزق بيد الله سبحانه فلا تقتلوا -أيها الناس- أولادكم خوفاً من الفقر؛ فإنه -سبحانه- هو الرزاق لعباده، يرزق الأبناء كما يرزق الآباء، إن قُتِلَ الأولاد ذنب عظيم.

(٣٢) ولا تقربوا الزنى ودواعيه؛ كي لا تقعوا فيه، إنه كان فعلاً بالغ القبح، وبشس الطريق طريقه.

(٣٣) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا

بالحق الشرعي كالقصاص أو رجم الزاني المحصن أو قتل المرتد. ومن قُتِلَ بغير حق شرعي فقد جعلنا لولي أمره من وارث أو حاكم حجة في طلب قتل قاتله أو الدية، ولا يصح لولي أمر المقتول أن يجاوز حدَّ الله في القصاص كأن يقتل بالواحد اثنين أو جماعة، أو يُمَثَّلَ بالقاتل، إن الله معين وليِّ المقتول على القاتل حتى يتمكن من قتله قصاصاً.

(٣٤) ولا تصرفوا في أموال الأطفال الذين مات أبائهم وهم دون سنِّ البلوغ، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمين والتنمية، حتى يبلغ الطفل الطفل اليتيم سنِّ البلوغ، وحسن التصرف في المال، وأتموا الوفاء بكل عهد التزمت به. إن العهد يسأل الله عنه صاحبه يوم القيامة، فيثيبه إذا أنه وفاه، ويعاقبه إذا خان فيه.

(٣٥) وأموا الكيل، ولا تقصوه إذا كنتم لغيركم، وزنوا بالميزان السوي، إن العدل في الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، وأحسن عاقبة عند الله في الآخرة.

(٣٦) ولا تتبع -أيها الإنسان- ما لا تعلم، بل تأكد وتثبت. إن الإنسان مسؤول عما استعمل فيه سمعه وبصره وفؤاده، فإذا استعملها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب.

(٣٧) ولا تمش في الأرض غشاً لتكبراً؛ فإنك لن تخرق الأرض بمشيئك عليها هذه الصفة، ولن تبلغ الجبال طولاً بخيالك وفخرك وكبرك.

(٣٨) جميع ما تقدم ذكره من أوامر ونواهٍ، يكره الله سيئته، ولا يرضاه لعباده.

(٣٩) ذلك الذي بيناه ووضحناه من هذه الأحكام الجلية، من الأمر بمحاسن الأعمال، والنهي عن أراذل الأخلاق بما أوحيناه إليك أيها النبي. ولا تجعل -أيها الإنسان- مع الله تعالى شريكاً له في عبادته، فتُضَف في نار جهنم تلومك نفسك والناس، وتكون مطروداً مبعداً من كل خير.

(٤٠) أفخصكم ربكم -أيها المشركون- بإعطائكم البنين، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ إن قولكم هذا بالغ القبح والبشاعة، لا يليق بالله سبحانه وتعالى.

(٤١) ولقد وضحنا ونوعنا في هذا القرآن الأحكام والأمثال والمواعظ؛ ليتعظ الناس ويتدبروا ما ينفعهم فيأخذوه، وما يضرهم فيدعوه، وما يزيد البيان والتوضيح الظالمين إلا تباعدوا عن الحق، وغفلة عن النظر والاعتبار.

(٤٢) قل -أيها الرسول- للمشركين: لو أن مع الله آلهة أخرى، إذا لطلبت تلك الآلهة طريقاً إلى مغالبة الله ذي العرش العظيم.

(٤٣) تنزه الله وتقدس عما يقوله المشركون وتعالى علواً كبيراً.

(٤٤) تُسَبِّح له -سبحانه- السموات السبع

والأرضون، ومن فيهن من جميع المخلوقات، وكل شيء في هذا الوجود ينزهه الله تعالى تنزيهاً مقروناً بالثناء والحمد له سبحانه، ولكن لا تدركون -أيها الناس- ذلك. إنه سبحانه كان حليماً بعباده لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، غفوراً لهم.

(٤٥) وإذا قرأت القرآن فسمعوه هؤلاء المشركون، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجلاً ساتراً يحجب عقولهم عن فهم القرآن؛ عقاباً لهم على كفرهم وإنكارهم.

(٤٦) وجعلنا على قلوب المشركين أغشية؛ لتلا يفهموا القرآن، وجعلنا في آذانهم صماً؛ لتلا يسمعه، وإذا ذكرت ربك في القرآن داعياً لتوحيدنا ناهياً عن الشرك به رجعوا على أعقابهم نافرين من قولك؛ استكباراً واستعظاماً من أن يوحّدوا الله تعالى في عبادته.

(٤٧) نحن أعلم بالذي يستمع به رؤساء قريش، إذ يستمعون إليك ومقاصدهم سيئة، فليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق، ونعلم نتائجهم حين يقولون: ما نتبعون إلا رجلاً أصابه السحر فاختلط عقله.

(٤٨) تفكر -أيها الرسول- متعجباً من قولهم: إن محمداً ساحر شاعر مجنون!! فجاروا وانحرفوا، ولم يهتدوا إلى طريق الحق والصواب.

(٤٩) وقال المشركون منكبين أن تخلقوا خلقاً جديداً بعد أن تبلى عظامهم، وتصير قُتَاتاً: أئنا لمبعوثون يوم القيامة بعثاً جديداً؟

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَهَسِقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَهَسَيُعْصِیونَ لِيَكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۖ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِیِبُونَ بِحُجَّتِهِمْ وَتَقُولُونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۖ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۚ إِنَّ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ أَنْ يَشَأْ يُعَذِّبَكُمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۖ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِيهِمْ فَلَا يَكْمِلُ كُتُبَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْصِيلا ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۖ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٥٩﴾

(٥١، ٥٠) قل لهم -أيها الرسول- على جهة التعجيز: كونوا حجارة أو حديدًا في الشدة والقوة، إن قدرتم على ذلك. أو كونوا خلقًا يعظم ويستبعد في عقولكم قبوله، فسيقولون -منكرين-: من يردنا إلى الحياة بعد الموت؟ قل لهم: يعيدكم ويرجعكم الله الذي أنشأكم من العدم أول مرة، وعند سماعهم هذا الرد فسيهزون رؤوسهم ساخرين متعجين ويقولون -مستبعين-: متى يقع هذا البعث؟ قل: وما يدريكم أن هذا البعث الذي تنكرونه وتستبعدونه ربما كان قريب الوقوع؟

(٥٢) يوم يناديكم خالقكم للخروج من قبوركم، فتستجيبون لأمر الله، وتقادون له، وله الحمد على كل حال، وتظنون -لهول يوم القيامة- أنكم ما أقمتم في الدنيا إلا زمانًا قليلًا؛ لطول لبثكم في الآخرة.

(٥٣) وقُلْ لِعِبَادِي المؤمنين يقولوا في مخاطبتهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والحصام. إن الشيطان كان للإنسان عدوًّا ظاهر العداوة.

(٥٤) ربكم أعلم بكم -أيها الناس- إن يشأ يرحمكم فيوفقكم للإيمان، أو إن يشأ يمتكم على الكفر فيعذبكم، وما أرسلناك -أيها الرسول- عليهم وكيلاً، تدبر أمرهم وتجازيهم على أفعالهم، وإنما مهمتك تبليغ ما أرسلت به، وبيان الصراط المستقيم.

(٥٥) وربك -أيها الرسول- أعلم بمن في السموات والأرض. ولقد فضَّلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل وكثرة الأتباع وإنزال الكتب، وأعطينا داود عليه السلام الزبور.

(٥٦) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: إن هذه المعبودات التي تتادونها لكشف الضر عنكم لا تملك ذلك، ولا تقدر على تحويله عنكم إلى غيركم، ولا تقدر على تحويله من حال إلى حال، فالقادر على ذلك هو الله وحده. وهذه الآية عامة في كل ما يدعى من دون الله، ميتاً كان أو غائباً، من الأنبياء والصالحين وغيرهم، بلفظ الاستغاثة أو الدعاء أو غيرهما، فلا معبود بحق إلا الله.

(٥٧) أولئك الذين يدعوه المشركون من الأنبياء والصالحين والملائكة مع الله، يتنافسون في القرب من ربهم بما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة، ويأملون رحمة ويخافون عذابه، إن عذاب ربك هو ما ينبغي أن يجزئه العباد، ويخافوا منه.

(٥٨) ويتوعد الله الكفار بأنه ما من قرية كافرة مكذبة للرسل إلا وسينزل بها عقابه بالهلاك في الدنيا قبل يوم القيامة، أو بالعذاب الشديد لأهلها، كتاب كتبه الله وقضاه أبرمه لا بد من وقوعه، وهو مسطور في اللوح المحفوظ.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَهَاتَيْنَا لِمُؤَدِّ النَّاقَةِ مُبَشِّرَةً فَظَلَمُوا لَهَا وَرَأَيْنَا بِالْآيَاتِ
الْإِتِّخَافَ ۖ وَإِنْ ظُنَّا أَنَّكَ زَنْزِيلٌ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّءْيَا إِلَّا آيَةً لِّرَبِّكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنَحْنُ فَهُمْ فَأَيُّ زَيْدٍ هُمْ إِلَّا طَعْنًا كَبِيرًا ۝
وَإِذْ ظُنَّا لِلْمَلَائِكَةِ آسَجْدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَ سَجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ يَتَّخِذَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَاقِ لَيْنٍ أُنثَىٰ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَيْعَةِ لَأَتَّخِذَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ جَزَاءُ مُوقِرًا ۝ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَظَعَتْ
مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَرَاهُ
فِي الْأَقْمُولِ وَالْأَوَّلِدَ وَعِدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
عُرُورًا ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَاحَ فِي
الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝

(٥٩) وما منعنا من إنزال المعجزات التي سألها
المشركون إلا تكذيب من سبقهم من الأمم،
فقد أجابهم الله إلى ما طلبوا فكذبوا وهلكوا.
وأعطينا ثمود - وهم قوم صالح - معجزة
واضحة وهي الناقة، فكفروا بها فأهلكناهم.
وما إرسالنا الرسل بالآيات والعبر والمعجزات
التي جعلناها على أيديهم إلا تخويف للعباد؛
ليعتبروا ويتذكروا.

(٦٠) واذكر - أيها الرسول - حين قلنا لك: إن
ربك أحاط بالناس علمًا وقدره. وما جعلنا
الرؤيا التي أريناها عياناً ليلة الإسراء
والمعراج من عجائب المخلوقات إلا اختباراً
للناس؛ ليميز كافرهم من مؤمنهم، وما جعلنا
شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا
ابتلاء للناس. ونخوف المشركين بأنواع العذاب
والآيات، ولا يزيدهم التخويف إلا غادياً في
الكفر والضلال.

(٦١) واذكر قولنا للملائكة: اسجدوا لآدم تحية
وتكريماً، فسجدوا جميعاً إلا إبليس، استكبر وامتنع
عن السجود قائلاً على سبيل الإنكار والاستكبار:
أأسجد لهذا الضعيف، المخلوق من الطين؟

(٦٢) وقال إبليس جراءة على الله وكفراً به: أ رأيت هذا المخلوق الذي ميزته علي؟ لئن أبقيتني حياً إلى يوم القيامة لأستولين
على ذريته بالإغواء والإفساد، إلا المخلصين منهم في الإيمان، وهم قليل.

(٦٣) قال الله تعالى مهدداً إبليس وأتباعه: اذهب فمَنْ تبعك مِنْ ذرية آدم فأطاعك، فإن عقابك وعقابهم وافر في نار جهنم.
(٦٤) واستخفف كل مَنْ تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي، واجمع عليهم كل ما تقدر عليه من جنودك من
كل راكب وراجل، واجعل لنفسك شُرْكة في أموالهم بأن يكسبوها من الحرام، وشُرْكة في الأولاد بتزوين الزنى والمعاصي،
وغفالة أوامر الله حتى يكثر الفجور والفساد، وعد أتباعك مِنْ ذرية آدم الوعود الكاذبة، فكل وعود الشيطان باطلة وغرور.
(٦٥) إن عبادي المؤمنين المخلصين الذين أطاعوني ليس لك قدرة على إغوائهم، وكفى بربك - أيها النبي - عاصماً وحافظاً
للمؤمنين مِنْ كيد الشيطان وغروره.

(٦٦) ربكم - أيها الناس - هو الذي يُسَيِّرْ لكم السفن في البحر؛ لتطلبوا رزق الله في أسفاركم وتجاراتكم. إن الله سبحانه
كان رحيماً بعباده.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُةً قُلُومًا
يَبْتَغِيكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفْرًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْسَرُّ
أَنْ يُخَفِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ
لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمْسَرُّ أَنْ يُعِيدَ كُوفِيَّةَ تَارَةً
أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفَاتٍ مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَابَهُ ذَيْبًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
عَادَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ النَّارِ بَنَاتٍ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا
كُلَّ آتَائِسٍ بِأَمْنِيهِمْ فَمَنْ أَوْفَى كَيْتَبَهُ يَسْمِعُهُ وَأُولَئِكَ
يَكْفَرُونَ كَيْتَبُهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ ﴿٧١﴾ فَبَيْكَلًا ﴿٧٢﴾ وَمَنْ كَانَ
فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٣﴾ وَإِنْ
كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْغَرِيَ
عَلَيْنَا عِذْرَةً وَإِذَا لَأَتَّخِذُوكَ حِيلًا ﴿٧٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ
لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٥﴾ إِذَا لَأَذْنُكَ يَضَعُفُ
الْحَيَوَةَ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿٧٦﴾

(٦٧) وإذا أصابتكم شدة في البحر حتى أشرقت على الغرق والهلاك، غاب عن عقولكم الذين تعبدونهم من الآلهة، وتذكروا الله القدير وحده؛ ليغيثكم وينقذكم، فأخلصتم له في طلب العون والإغاثة، فأعانكم ونجاكم، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم عن الإيمان والإخلاص والعمل الصالح، وهذا من جهل الإنسان وكفرو. وكان الإنسان جحوداً لنعم الله عز وجل.

(٦٨) أغفلتم - أيها الناس - عن عذاب الله، فأمسرت أن تنهار بكم الأرض خسفاً، أو يُفطركم الله بحجارة من السماء فتقتلكم، ثم لا تجدوا أحداً يحفظكم من عذابه؟

(٦٩) أم أمسرت - أيها الناس - ربيكم، وقد كفرتم به أن يعيدكم في البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم ريحاً شديدة، تكسر كل ما أتت عليه، فيغرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا أي بئمة ومطالبة؛ فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة؟

(٧٠) ولقد كرمنا ذرية آدم بالعقل وإرسال الرسل، وسخرناهم جميع ما في الكون، وسخرنا لهم الدواب في البر والسفن في البحر لحملهم، ورزقناهم من طيبات المطاعم والمشارب، وفضلناهم على كثير من المخلوقات تفضيلاً عظيماً.

(٧١) اذكر - أيها الرسول - يوم البعث مبشراً وخوفاً، حين يدعو الله عز وجل كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يقتدون به في الدنيا، فمن كان منهم صالحاً، وأعطى كتاب أعماله يمينه، فهو لاء يقرؤون كتاب حسناتهم فرحين مستبشرين، ولا يُنقصون من ثواب أعمالهم الصالحة شيئاً، وإن كان مقدراً الخيط الذي يكون في شق النواة.

(٧٢) ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن دلائل قدرة الله فلم يؤمن بها جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو في يوم القيامة أشد أعمى عن سلوك طريق الجنة، وأضل طريقاً عن الهداية والرشاد.

(٧٣) ولقد قارب المشركون أن يصرفوك - أيها الرسول - عن القرآن الذي أنزل الله إليكم؛ لتختلق علينا غير ما أوحينا إليكم، ولو فعلت ما أرادوه لآخذوك حبيباً خالصاً.

(٧٤) ولولا أن ثبتناك على الحق، وعصمتك عن موافقتهم، لقاربت أن تميل إليهم شيئاً من الميل فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدّة احتياليهم، ولرغبتك في هدايتهم.

(٧٥) ولو ركنت - أيها الرسول - إلى هؤلاء المشركين كوناً قليلاً فيما سألوكم، إذا لاذنك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب المات في الآخرة؛ وذلك لتمام نعمة الله عليكم وكمال معرفتك بربك، ثم لا تجد أحداً ينصرك ويدفع عنك عذابنا.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سَنَةً مِنْ قَدَرِ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السُّعْسِ إِلَى عَسَى الْيَلِّ وَقَرَّ أَنْ الْفَجْرِ
إِنْ قَرَّ أَنْ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنْ الْيَلِّ فَتَهْجَدُ
بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾
وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْ مَا هُوَ
شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾
وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آعْرَضَ وَتَأْبَاهُ بِهِ وَإِذَا مَسَّهُ
الشَّرُّ انْبَعَثَ ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيكَمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَنْ شَتَا لَتَذَهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَتُخَالِفُ بِهِ عِلْمَنَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

(٧٦) ولقد قارب الكفار أن يخرجوك منها
«مكة» يزعاجهم إليك، ولو أخرجوك منها لم
يمكثوا فيها بعدك إلا زمناً قليلاً، حتى تحل بهم
العقوبة العاجلة.

(٧٧) تلك سنة الله تعالى في إهلاك الأمة التي
تُخرج رسولها من بينها، ولن تجد -أيها الرسول-
لستتنا تغييراً، فلا خلف في وعدنا.

(٧٨) أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس
عند الظهر إلى وقت ظلمة الليل، ويدخل في
هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء،
وأقم صلاة الفجر، وأطل القراءة فيها؛ إن
صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة
النهار.

(٧٩) وقم -أيها النبي- من نومك بعض الليل،
فاقرأ القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل
زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات، عسى
أن يعثبك الله شافعاً للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم
الله مما يكونون فيه، وتقوم مقاماً يحمدك فيه
الأولون والآخرين.

(٨٠) قل: رب أدخلني فيما هو خير لي مدخل
صدق، وأخرجني مما هو شر لي مخرج صدق،

واجعل لي من لدنك حجة ثابتة، تنصري بها على جميع من خالفني.

(٨١) قل -أيها الرسول- للمشركين: جاء الإسلام وذهب الشرك، إن الباطل لا بقاء له ولا ثبات، والحق هو الثابت
الباقى الذي لا يزول.

(٨٢) ونزل من آيات القرآن العظيم ما يشفي القلوب من الأمراض، كالشك والنفاق والجهالة، وما يشفي الأبدان
برقيتها به، وما يكون سبباً للفوز برحمة الله بها فيه من الإيمان، ولا يزيد هذا القرآن الكفار عند سماعه إلا كفراً وضللاً؛
لتكذيبهم به وعدم إيمانهم.

(٨٣) وإذا أعمنا على الإنسان من حيث هو بال وعافية ونحوهما، تولى وتباعد عن طاعة ربه، وإذا أصابته شدة من فقر أو
مرض كان قنوطاً؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرائه وضرائه.

(٨٤) قل -أيها الرسول- للناس: كل واحد منكم يعمل على ما يليق به من الأحوال، فريكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً
إلى الحق.

(٨٥) ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعتاً، فأجبههم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها، وما
أعظمت أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئاً قليلاً.

(٨٦) ولئن شتانا نحو القرآن من قلبك لقد تراءى على ذلك، ثم لا تجد لنفسك ناصرًا يمتنعنا من فعل ذلك، أو يرد عليك القرآن.

إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾
لَئِن أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ
النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ
لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ
وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ
كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمُتَلَبِّكَةِ
قَيْلًا ﴿٩٠﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذُرْفٍ أَوْ تُرْفَى فِي السَّمَاءِ
وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩١﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ
أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
رَسُولًا ﴿٩٢﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُنْشَوْنَ مَقْطَعِينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَكًّا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٤﴾

(٨٧) لكن الله رحمك، فأثبت ذلك في قلبك، إن فضله كان عليك عظيمًا؛ فقد أعطاك هذا القرآن العظيم، والمقام المحمود، وغير ذلك مما لم يؤته أحدًا من العالمين.

(٨٨) قل: لو اتفقت الإنس والجن على محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز لا يستطيعون الإتيان بمثل بلاغته ومعانيه وأحكامه، ولو تعاونوا وتظاهروا على ذلك.

(٨٩) ولقد بينّا ونوعنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ينبغي الاعتبار به؛ احتجاجاً بذلك عليهم؛ ليتبعوه ويعملوا به، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للحق وإنكاراً لحجج الله وأدلته.

(٩٠) ولما أعجز القرآن المشركين وغلبهم أخذوا يطلبون معجزات رَفَقَ أوهانهم فقالوا: لن نصدقك - يا محمد - ونعمل بما تقول حتى تفجر لنا من أرض "مكة" عيناً جارية.

(٩١) أو تكون لك حديقة فيها أنواع النخيل والأعناب، وتجعل الأنهار تجري في وسطها بغزارة.

(٩٢) أو تسقط السماء علينا قطعاً كما زعمت، أو تأتي لنا باله وملائكته، فنشاهدهم مقابلة وعياناً.

(٩٣) أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد في درج إلى السماء، ولن نصدقك في صعودك حتى تعود، ومعك كتاب من الله منشور نقرأ فيه أنك رسول الله حقاً. قل - أيها الرسول - متعجباً من تعنت هؤلاء الكفار: سبحان ربي!! هل أنا إلا عبد من عباده مبلغ رسالته؟ فكيف أقدر على فعل ما يطلبون؟

(٩٤) وما منع الكفار من الإيمان بالله ورسوله وطاعتها، حين جاءهم البيان الكافي من عند الله، إلا قولهم جهلاً وإنكاراً: أبعث الله رسولاً من جنس البشر؟

(٩٥) قل - أيها الرسول - ردّاً على المشركين إنكارهم أن يكون الرسول من البشر: لو كان في الأرض ملائكة يمشون عليها مطمئنين، لأرسلنا إليهم رسولاً من جنسهم، ولكن أهل الأرض بشر، فالرسول إليهم ينبغي أن يكون من جنسهم؛ ليتمكن من مخاطبته وفهم كلامه.

(٩٦) قل لهم: كفى بالله شهيداً بيني وبينكم على صدقي وحقيقة نبوتي. إنه سبحانه خبير بأحوال عباده، بصير بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

وَمِنْ يَمِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ ضَلَّ لِلْجَهَنَّمَ أُولَئِكَ
 مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَكُفْرًا
 وَصُمًّا مَا أُولَئِكَ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ رَدَّتْهُمْ سَعِيرًا ﴿٢٧﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بَأْسُهُمْ كُفْرًا وَبِإِيتَانَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا
 وَرَفَثًا إِنْ نَالِ الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٢٨﴾ * أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا يَرْجِعُونَ فِيهِ فَإِنِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٢٩﴾
 قُلْ لَوِ اسْتَعْمَلُوا خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
 الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِسْنُ قُفُورًا ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَثَلٌ يَلْبِسُ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَا أَظُنُّكَ بِلِقَايَ رَبِّكَ مُسْحُورًا ﴿٣١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ
 هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَا أَظُنُّكَ
 يَفْرَعُونَ مُتَّبِعًا ﴿٣٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْسِفَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ
 فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٣٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
 ائْتُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿٣٤﴾

(٩٧) ومن يهده الله فهو المهتدي إلى الحق، ومن يضلله فيضلّه ويكفه إلى نفسه فلا هادي له من دون الله، وهؤلاء الضالّال يعنهم الله يوم القيامة، ويحشرهم على وجوههم، وهم لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون، مصيرهم إلى نار جهنم الملتبئة، كلما سكن لهيبها، وخذت نارها، زدناهم ناراً ملتبئة متأججة.

(٩٨) هذا الذي وُصف من العذاب عقاب للمشركين؛ بسبب كفرهم بآيات الله وحججه، وتكذيبهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته، وقولهم استنكاراً -إذا أمروا بالتصديق بالبعث-: إذا متنا وصيرنا عظاماً بالية وأجزاء متفتتة بُعث بعد ذلك خلقاً جديداً؟

(٩٩) أعقل هؤلاء المشركون، فلم يتبصروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات على غير مثال سابق، قادر على أن يخلق أمثالهم بعد فناءهم؟ وقد جعل الله لهؤلاء المشركين وقتاً محددًا لموتهم وعذابهم، لا شك أنه آتيهم، ومع وضوح الحق ودلائله أبى الكافرون إلا جحوداً للدين الله عز وجل.

(١٠٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: لو

كتمتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد ولا تنبذ إذا لبختم بها، فلم تعطوا منها غيركم خوفاً من نفاذها فتصبخوا فقراء. ومن شأن الإنسان أنه يخيل بما في يده إلا من عصم الله بالإيمان.

(١٠١) ولقد آتينا موسى تسع معجزات واضحات شهادات على صدق نبوته وهي: العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاسأل -أيها الرسول- اليهود سؤال تقرير حين جاء موسى أسلافهم بمعجزاته الواضحات، فقال فرعون لموسى: إني لأظنك -يا موسى- ساحراً، مخدوعاً مغلوباً على عقلك بما تأتية من غرائب الأفعال.

(١٠٢) فردّ عليه موسى: لقد تيقّنت -يا فرعون- أنه ما أنزل تلك المعجزات التسع الشاهدة على صدق نبوتي إلا رب السموات والأرض؛ لتكون دلالات يستدل بها أولو البصائر على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وإني لعلّ يقين أنك -يا فرعون- هالك ملعون مغلوب.

(١٠٣) فأراد فرعون أن يزج موسى ويخرجه مع بني إسرائيل من أرض «مصر»، فأغرقناه ومن معه من جنّد في البحر عقاباً لهم.

(١٠٤) وقلنا من بعد هلاك فرعون وجنده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض «الشام»، فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم جميعاً من قبوركم إلى موقف الحساب.

(١٠٥) وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لأمر العباد ونهيمهم وثوابهم وعقابهم، وبالصدق والعدل والحفظ من التغيير والتبديل نزل. وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا مبشراً بالجنة لمن أطاع، ونحوفاً بالنار لمن عصى وكفر.

(١٠٦) وأنزلنا إليك -أيها الرسول- قرآناً بيناه وأحكامناه وفصلناه فارقاً بين الهدى والضلال والحق والباطل؛ لتقرأه على الناس في تودة وعمل، ونزلناه مفرقاً شيئاً بعد شيء، على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال.

(١٠٧) قل -أيها الرسول- هؤلاء المكذبين: آمنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا؛ فإن إيمانكم لا يزيده كمالاً، وتكذيبكم لا يلحق به نقصاً. إن العلماء الذين أتوا الكتب السابقة من قبل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي، إذا قرئ عليهم القرآن يمشعون، فيسجدون على وجوههم تعظيماً لله تعالى، وشكراً له.

(١٠٨) ويقول هؤلاء الذين أتوا العلم عند سماع القرآن: تنزيهاً لربنا وبرقة له مما يصفه المشركون به، ما كان وعد الله تعالى من ثواب وعقاب إلا واقعاً حقاً.

(١٠٩) ويقع هؤلاء ساجدين على وجوههم، ليكون تأثراً بمواعظ القرآن، ويزيدهم سماع القرآن ومواعظه خضوعاً لأمر الله وعظيم قدرته.

(١١٠) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: يا الله يا رحمن، ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، فبأي أسائه دعوتهم فإنكم تدعون رباً واحداً؛ لأن أساءه كلها حسنى. ولا تجهز بالقراءة في صلاتك، فيسمعك المشركون، ولا تُثَبِّرْ بها فلا يسمعك أصحابك، وكن وسطاً بين الجهر والهمس.

(١١١) وقل -أيها الرسول-: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ من خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظمه تعظيماً تاماً بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

﴿سورة الكهف﴾

(١) الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدنيوية والدنيوية، الذي تفضل بأنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم القرآن، ولم يجعل فيه شيئاً من الميل عن الحق.

(٢، ٣) جعله كتاباً مستقيماً، لا اختلاف فيه ولا تناقض؛ لينذر الكافرين من عذاب شديد من عنده، ويبشّر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الأعمال الصالحات، بأن لهم ثواباً جزيلاً هو الجنة، يقيمون في هذا النعيم لا يفارقونه أبداً.

(٤) وينذر به المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾ فَلَعَلَّاءَ بَخَعُ قَنَسًا عَلَيْهِ أَثَرُ هَمٍّ لَمُومٍ وَإِنْ لَمْ يَمُؤْا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسْقَاهُ إِنَّآ جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَتَبَوَّهَ أَهْمُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٤﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رِسَدًا ﴿٥﴾ فَصَرَّفْنَا عَنْ أَزْوَاجِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتْلَمَ أُنَى الْجُرُزِينَ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿٧﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذَّاهُمْ هَدَىٰ ﴿٨﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ أَشْطَطْنَا ﴿٩﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَّوْلَايَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

(٥) ليس عند هؤلاء المشركين شيء من العلم على ما يدَّعونه لله من اتخاذ الولد، كما لم يكن عند أسلافهم الذين قلَّدوهم، عظمت هذه المقالة الشنيعة التي تخرج من أفواههم، ما يقولون إلا قولاً كاذباً.

(٦) فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك غمّاً وحزناً على أثر تولى قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدقوا بهذا القرآن ويعملوا به.

(٧) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ المخلوقات جمالاً، ومنفعة لأهلها؛ لنختبرهم: أئهم أحسن عملاً بطاعتنا، وأهم أسوأ عملاً بالمعاصي، ونجزي كلًّا بما يستحق.

(٨) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ تلك الزينة عند انقضاء الدنيا تراباً، لا نبات فيه.

(٩) لا تنظن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف واللوحي الذي كتبت فيه أسماؤهم من آياتنا عجيبه وغريبة؛ فإن خلق السموات والأرض وما فيها أعجب من ذلك.

(١٠) اذكر - أيها الرسول - حين لجأ الشبان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية من فتنة قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام، فقالوا: ربنا أعطنا من عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من

الشر، ويشر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي نحب، فنكون راشدين غير ضالين.

(١١) فَأَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ النُّومَ العميق، فبقوا في الكهف سنين كثيرة.

(١٢) ثُمَّ أَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ؛ لَنُظْهَرُ لِلنَّاسِ مَا عَلِمْنَا فِي الْأَزَلِ؛ فَنُتَمَيِّزَ أَيُّ الطَّائِفَتَيْنِ الْمُتَنَازِعَتَيْنِ فِي مَدَّةِ لِبْثِهِمْ أَضْبَطُ فِي الإِحْصَاءِ، وهل لبثوا يوماً أو بعض يوم، أو مدة طويلة؟

(١٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ - أيها الرسول - خبرهم بالصدق. إن أصحاب الكهف شُبَّانٌ صَدَّقُوا بِهِمْ وَامْتَلَوْا أَمْرَهُ، وَزِدْنَاهُمْ هَدًى وَثِبَاتاً عَلَى الْحَقِّ.

(١٤) وَفَتَيْنَا قُلُوبَهُم بِالْإِيمَانِ، وَشَدَدْنَا عَزِمَتَهُمْ بِهِ، حِينَ قَامُوا بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْكَافِرِ، وَهُوَ يُلْوِمُهُمْ عَلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَقَالُوا لَهُ: رَبَّنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَنْ نَعْبُدَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَلْهَةِ، لَوْ قُلْنَا غَيْرَ هَذَا لَكُنَّا قَدْ قُلْنَا قَوْلًا جَائِزاً بَعِيداً عَنِ الْحَقِّ.

(١٥) ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا لَهُمْ إِلَهَةً غَيْرَ اللَّهِ، فَهَلَّا أَتَوْا عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهَا بِدَلِيلٍ وَاضِحٍ، فَلَا أَحَدَ أَشَدَّ ظُلْماً مَنِ اخْتَلَقَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ.

وَلِإِذْ أَنْتَرْنَا مَوْمَهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ إِلَّا لِلَّهِ فَأَوَّاهُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا
﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَوَارَعْنَ كَهْفَهُمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُوهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يَضِلَّ فَلَنْ يُجْدَى لَهُ وَلَوْ أَنَّ مُزِيدًا ﴿١٧﴾ وَتَحَسَّبُ لَهُمْ آفَاقًا
وَهُمْ رُؤُودٌ وَيُقَالُ لَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكُنْهُمُ
بَسِيطٌ ذَرَأَعِهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَتَخَفَتُونَ فِيهَا الْغُصْنُ يَتَخَفَتُهُ كَأَنَّ الْغُصْنَ
يَكُونُ أَوْ يَبْغُضُ يَوْمًا قَالَ أَوْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَتْ قَائِعَتُهُمْ
أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَنْظُرُ كُمْ هَؤُلَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْكُلْهُمُ بِرِزْقِ رَبِّهِمْ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

(١٦) وحين فارقتهم قومكم بدينكم، وتركتم ما يعبدون من الآلهة إلا عبادة الله، فاجلّوا إلى الكهف في الجبل لعبادة ربكم وحده، ييسط لكم ربكم من رحمته ما يستركم به في الدارين، ويسهل لكم من أمركم ما تتفنون به في حياتكم من أسباب العيش.

(١٧) فلما فعلوا ذلك ألقى الله عليهم النوم وحفظهم. وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين، وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار، وهم في متسع من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء، ذلك الذي فعلناه بهؤلاء الفتيّة من دلائل قدرة الله. من يوقفه الله للاهتداء بآياته فهو الموفق إلى الحق، ومن لم يوقفه لذلك فلن تجد له معينا يرشده لإصابة الحق؛ لأن التوفيق والخذلان بيد الله وحده.

(١٨) وتظن -أيها الناظر- أهل الكهف أبقاظاً، وهم في الواقع نيام، وتعهدهم بالرعاية، فنقلبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض، وكلبهم

الذي صاحبهم مادّ ذراعيه بفناء الكهف، لو عابثتهم لأدبرت عنهم هارباً، ولملئت نفسك منهم فزعاً.

(١٩) وكما أنماهم وحفظناهم هذه المدة الطويلة أبقظناهم من نومهم على هيتهم دون تغير؛ لكي يسأل بعضهم بعضاً: كم من الوقت مكثنا نائمين هنا؟ فقال بعضهم: مكثنا يوماً أو بعض يوم، وقال آخرون التبس عليهم الأمر: فوّضوا علمه ذلك الله، فربكم أعلم بالوقت الذي مكثتموه، فأرسلوا أحدهم بنقودكم القضية هذه إلى مدينتنا فيلنظر: أي أهل المدينة أحلّ وأطيب طعاماً؟ فليأتكم بقوت منه، وليتلف في شرائه مع البائع حتى لا ننكشف ويظهر أمرنا، ولا يُعلِنَ بكم أحداً من الناس.

(٢٠) إن قومكم إن يظلموا عليكم يرموكم بالحجارة، فيقتلوكم، أو يردوكم إلى دينهم، فتصيروا كفاراً، ولن تفوزوا بمطلبكم من دخول الجنة -إن فعلتم ذلك- أبداً.

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا مِائَةُ أَلْفٍ نَّهْنُ قَالُوا أَنبِئُوهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّهِمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلِمُوا عَلَىٰ أَهْلِ أَمْرِهُمْ لَنَنخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا يَا آعِيبُ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَتُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْزَنْ فِيهِمْ وَلَا مِرًا ظَهَرَ وَلَا تَتَّبِعْ فِيهِمْ أَهْلًا ۖ وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ عَدَا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَازْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَٰذَا رَشَدًا ۖ وَلَوْ أَنَّ فِي كَهْفِهِمْ ذَٰلِكَ مِائَتَيْ سِنِينَ وَأَزْدًا ذُو أُنْثُسَا ۖ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَسْأَلَهُ وَعِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مَن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِّكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مَن دُونِهِ مُلْتَحِدًا ۖ

(٢١) وكما أنماهم سنين كثيرة، وأيقظناهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان، بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم؛ ليعلم الناس أن وعد الله بالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، إذ يتنازع المطلعون على أصحاب الكهف في أمر القيامة: فمن ثبَّت لها ومن شكَّر، فجعل الله إطلاعهم على أصحاب الكهف حجة للمؤمنين على الكافرين. وبعد أن انكشف أمرهم، وماتوا قال فريق من المطلعين عليهم: انبأوا على باب الكهف بناءً يحجبهم، واتركوهم وشأنهم، ربهما أعلم بحالهم، وقال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهم: لننخذن على مكانهم مسجداً للعبادة. وقد نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتحاد قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن من فعل ذلك في آخر وصاياه لأمته، كما أنه نبى عن البناء على القبور مطلقاً، وعن تخصيصها والكتابة عليها؛ لأن ذلك من الغلو الذي قد يؤدي إلى عبادة من فيها.

(٢٢) سيقول بعض الخائفين في شأنهم من أهل الكتاب: هم ثلاثة، رابعهم كلبهم، ويقول

فريق آخر: هم خمسة، سادسهم كلبهم، وكلام الفريقين قول بالظن من غير دليل، وتقول جماعة ثالثة: هم سبعة، وثامتهم كلبهم، قل - أيها الرسول -: ربي هو أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه. فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جاداً ظاهراً لا عمق فيه، بأن نقص عليهم ما أخبرك به الوحي فحسب، ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم؛ فإنهم لا يعلمون ذلك.

(٢٣، ٢٤) ولا تقولن لشيء تعزم على فعله: إني فاعل ذلك الشيء غداً إلا أن تعلق قولك بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله. واذكر ربك عند النسيان بقول: إن شاء الله، وكلمنا نسييت فاذكر الله؛ فإن ذكر الله يذهب النسيان، وقل: عسى أن يهيني ربي لأقرب الطرق الموصلة إلى الهدى والرشاد.

(٢٥) ومكث الشبان نياماً في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية.

(٢٦) وإذا سئلت - أيها الرسول - عن مدة لبثهم في الكهف، وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله، فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل: الله أعلم بمدة لبثهم، له غيب السموات والأرض، أبصر به وأسمع، أي: تعجب من كمال بصره وسمعته وإحاطته بكل شيء. ليس للخلق أحد غيره يتولى أمورهم، وليس له شريك في حكمه وقضائه وتشريعهم، سبحانه وتعالى.

(٢٧) وأتل - أيها الرسول - ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدل لكلماته لصديقها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعُتْبَىٰ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوِرُوا يَمَاءً كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الْشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخْرَجُونَ فِيهَا مِنْ سَاوِرٍ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَفِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرْدَائِكِ نَعِيمٌ أَلْوَابٌ وَحَسَنَاتٌ مَرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَأَصْرِبْ
لَهُمْ قُلُوبًا زَلَجِينَ جَعَلْنَا الْأَحْدِثَ مِنْهُمْ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَفَجَّهْنَاهَا
بِثَعْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كُلًّا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْثُفًا لَهُمَا
ظِلٌّ مِنْهُ شَيْءٌ وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لَصَاحِبِهِ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

(٢٨) واصبر نفسك - أيها النبي - مع أصحابك من فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعون في الصباح والمساء، يريدون بذلك وجهه، واجلس معهم وخالطهم، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة الحياة الدنيا، ولا تطيع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، وأثر هواه على طاعة مولا، وصار أمره في جميع أعماله ضياعاً وهلاكاً.

(٢٩) وقل هؤلاء الغافلون: ما اجتثكم به هو الحق من ربكم، فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به، فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجهل فليفعل، فما ظلم إلا نفسه. إنا أعتدنا للكافرين ناراً شديدة أحاط بهم سورها، وإن يستغث هؤلاء الكفار في النار بطلب الماء من شدة العطش، يؤث لهم بهاء كالزيت العكر شديد الحرارة يشوي وجوههم. قُبِحَ هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل يزيده، وقُبِحَت النار منزلاً لهم ومقاماً. وفي هذا وعيد وتهديد شديد لمن أعرض عن الحق، فلم

يؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يعمل بمقتضاها.

(٣٠) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم أعظم الثوبة، إنا لا نضيع أجورهم، ولا ننقصها على أحسنه من العمل.

(٣١) أولئك الذين آمنوا هم جنات يقيمون فيها دائماً، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة، يُزَيَّنُونَ فِيهَا بِسَاوِرِ الذَّهَبِ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغليلة، يتكثرون فيها على الأميرة المزداية بالسائر الجميلة، نعيم الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة منزلاً ومكاناً لهم.

(٣٢) واضرب - أيها الرسول - لكفار قومك مثلاً رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب، وأحطناهما بنخل كثير، وأبنتنا وسطهما زروعاً مختلفة نافعة.

(٣٣) وقد أثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمراً، ولم تنقص منه شيئاً، وشققنا بينهما نهراً ليقسهما بسهولة ويسر.

(٣٤) وكان لصاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يحاوره في الحديث - والغرور يملؤه -: أنا أكثر منك مالاً، وأعز أنصاراً وأعواناً.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ ۖ وَأَكْفَرَتْ
بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ فَمِنْ نُّطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ رَبَّنَا أَكْفَلُ مِنْكَ
مَا لَا وَدَكَ ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِغًا زَلْفًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ
مَا وَهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيط بِشَمْرُوهَ
فَأُصْبِحُ بِقُبِّ كَفْتِهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَوْ تَنَكَّرُ لَهُ
فِنَّهُ يُبْصِرُ ۚ وَمِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هَٰذَا لَكِ الْوَلِيُّ
لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ تَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْخَنَازِ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنزَلْنَاهُم مِّنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَقْنَا مِنْهُ بَنَاتٍ الْأَرْضِ
فَأُصْبِحَ هَيْسِمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

(٣٥، ٣٦) ودخل حديقته، وهو ظالم لنفسه بالكفر بالبعث، وشك في قيام الساعة، فأعجبته ثمارها وقال: ما أعتقد أن يهلك هذه الحديقة مدى الحياة، وما أعتقد أن القيامة واقعة، وإن فُرِص وقوعها - كما تزعم أيها المؤمن - ورجعت إلى ربي لأجدنَّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعاً ومرداً؛ لكرامتي ومنزلي عنده.

(٣٧) قال له صاحبه المؤمن، وهو يحاوره واعظاً له: كيف تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة الأبوبن، ثم سَوَّاهُ بشراً معتدل القامة والخلق؟ وفي هذه المحاورة دليل على أن القادر على ابتداء الخلق، قادر على إعادتهم.

(٣٨) لكن أنا لا أقول بمقالتك الدالة على كفرك، وإنما أقول: المنعم المتفضل هو الله ربى وحده، ولا أشرك في عبادتي له أحداً غيره.

(٣٩-٤١) وهلاً حين دخلت حديقتك فأعجبتك بحمد الله، وقلت: هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلا بالله. إن كنت تراني

أقل منك مالاً وأولاداً، فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك، ويسلبك النعمة بكفرك، ويرسل على حديقتك عذاباً من السماء، فتصبح أرضاً ملساء جرداء لا تثبت عليها قدم، ولا ينبت فيها نبات، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائر في الأرض، فلا تقدر على إخراجها.

(٤٢) وتحقق ما قاله المؤمن، ووقع الدمار بالحديقة، فهلك كل ما فيها، فصار الكافر يُقْبَلُ كفيه حسرة وندامة على ما أنفق فيها، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض، ويقول: يا ليتني عرفت نِعَمَ الله وقدرته فلم أشرك به أحداً. وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم.

(٤٣) ولم تكن له جماعة ممن افتخر بهم يمنعونهم من عقاب الله النازل به، وما كان ممتنعاً بنفسه وقوته.

(٤٤) في مثل هذه الشدائد تكون الولاية والنصرة لله الحق، هو خير جزاء، وخير عاقبة لمن تَوَلَّاهُم من عباده المؤمنين.

(٤٥) واضرب أيها الرسول للناس - وبخاصة ذوو الكبر منهم - صفة الدنيا التي اغترؤا بها في بهجتها وسرعة زوالها، فهي كما أنزل الله من السماء فخرج به النبات بإذنه، وصار مُحْضَرًا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابساً متكسراً تنسفه الرياح إلى كل جهة. وكان الله على كل شيء مقتدرًا، أي: ذا قدرة عظيمة على كل شيء.

الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١٠﴾ وَنَوْمٌ سَائِرٌ الْجِبَالِ وَتَرَى
الْأَرْضَ بَارِدَةً وَخَسِرْتُمْ فَاغْرَابُ مِمَّنْ هُمْ أَهْلٌ لَّهَا عَمَلُهُمْ ﴿١١﴾ وَعُرِضُوا
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّا تَجِدُ مِنْهُمْ وَاحِدًا مَّا كَانَتْ تَأْتِيكُمُ الْمَوَاقِبُ لَّيْلَ رَعْمَتِهِ
أَلَّا يُجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿١٢﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُسْتَقِيمِينَ فِي صُفْحِهِ وَيَقُولُونَ بَيْنَا وَبَيْنَ هَٰذَا الْقِتَابِ
لَا بَعَادَ صَعِيرَةٌ وَلَا بَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَأَلْخَصَّهَا وَجَدًا وَمَاعِيلاً
حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
فَاتَّخَذَ دُونَهُ وَدَّيَّتَهُ وَأُولَايَا مِنْ دُونِي وَهُوَ لَكُمُ عَدُوٌّ
يَبْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿١٥﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَكَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ الْفُجَّيرِ وَمَا كُنْتُ مَخْذُومًا لِلْمُضِلِّينَ عَصَا
﴿١٦﴾ وَنَوْمٌ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَبَالَ ﴿١٧﴾ وَزَعَمُ الْمُجْرِمُونَ
النَّارَ فَنَظَرُوا أَنَّهُمْ مُوقَدُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿١٨﴾

(٤٦) الأموال والأولاد تجال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة - وبخاصة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل - أفضل أجرًا عند ربك من المال والبنين، وهذه الأعمال الصالحة أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه، فينال بها في الآخرة ما كان يأمله في الدنيا.

(٤٧) واذكر لهم يوم نُزِّلَ الجبال عن أمكنةها،
وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها
مما كان عليها من المخلوقات، وجعنا الأولين
والآخرين لموقف الحساب، فلم نترك منهم
أحدًا.

(٤٨) وَعَرِّضُوا جَمِيعاً عَلَىٰ رِيكٍ مُّصْطَفَيْنَ لَا يَجْبِغُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَقَدْ بَعَثْنَاكُمْ، وَجِئْتُمُ الْإِنْسَانَ لَا مَالَ مَعَكُمْ وَلَا وَلَدَ، كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، بَلْ نَظَنَّمُ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً نَبْعَثُكُمْ فِيهِ، وَنَجَازِيكُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ.

(٤٩) ووُضِعَ كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله، فتبصر العصاة خائفين مما فيه بسبب ما قدموه من جرائمهم، ويقولون حين يعاينونه:

يا هلاكتنا! ما هذا الكتاب لم يترك صغيرة من أفعالنا ولا كبيرة إلا أثبتها؟! ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مُثَبَّتًا. ولا يظلم ربك أحداً مثقال ذرة، فلا يُنقص طائع من ثوابه، ولا يزداد عاصي في عقابه.

(٥٠) واذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لأدم، تحية له لا عبادة، وأمرنا إبليس بأمر وأمره، فسجد الملائكة جميعاً، لكن إبليس الذي كان من الجن خرج عن طاعة ربه، ولم يسجد كثيراً وحسداً. أفتجعلونه - أيها الناس - وذريته أعواناً لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم ألد أعدائكم؟ فَبُخِّتْ طاعة الظالمين للشيطان بدلاً عن طاعة الرحمن.

(٥١) ما أحضرتُ إبليس وذريته -الذين أطمعتمهم- خَلَقَ السموات والأرض، فاستعين بهم على خلقهما، ولا أشهدتُ بعضهم على خَلْقِ بعض، بل تفردتُ بخلق جميع ذلك، بغير معين ولا ظهير، وما كنت متخذ المضللين من الشياطين وغيرهم أعواناً. فكيف تصرفون إليهم حقي، وتتخذونهم أولياء من دوني، وأنا خالق كل شيء؟

(٥٢) واذكرهم إذ يقول الله للمشرّكين يوم القيامة: نادوا شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي في العبادة؛ لينصروكم اليوم مني، فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم، وجعلنا بين العابدين والمعبودين مهلكاً في جهنم يهلكون فيه جميعاً.

(٥٣) وشاهد المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون فيها لا محالة، ولم يجدوا عنها معدلاً للانصراف عنها إلى غيرها.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ تَقِيٍّ جَدَلًا ۖ وَمَنْعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
 الْأَوَّلِينَ أَوْ نَوَاءُيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا ۖ وَمَنْ أَرْسِلَ الْفَرَسِيلَ
 إِلَّا الْمُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزْلًا ۖ
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَى
 مَا قَدْ مَتَّ بَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
 وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا
 أَجْدًا ۖ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبُوا
 لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ
 مَوْيِلًا ۖ وَبَلَّغَ الْفَرَى أَهْلَكْتُهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
 لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۖ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا تَبْرَحْ حَتَّى
 أَتْلُعَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
 بَيْنَهُمَا نِسَاءُ الْحَوْتِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ

(٥٤) ولقد وضحنا ونوعنا في هذا القرآن للناس أنواعاً كثيرة من الأمثال، ليتعظوا بها ويؤمنوا. وكان الإنسان أكثر المخلوقات خصومة وجدلاً.

(٥٥) وما منع الناس من الإيمان - حين جاءهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومعه القرآن -، واستغفار ربهم طالبين عفوه عنهم، إلا تحديهم للرسول، وطلبهم أن يصيهم سنة الله في إهلاك السابقين عليهم، أو يصيهم عذاب الله عياناً.

(٥٦) وما نبعت الرسل إلى الناس إلا ليكونوا مبشرين بالجنة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وخوفين بالنار لأهل الكفر والعصيان، ومع وضوح الحق بخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعتناً؛ ليزيلوا بباطلهم الحق الذي جاءهم به الرسول، واتخذوا كتابي وحججي وما خُوفوا به من العذاب سخرية واستهزاء.

(٥٧) ولا أحد أشد ظلماً ممن وُعطى بآيات ربه الواضحة، فانصرف عنها إلى باطله، ونسي ما

قدَّمته بداه من الأفعال القبيحة فلم يرجع عنها، إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَغْطِيَةً، فلم يفهموا القرآن، ولم يدركوا ما فيه من الخير، وجعلنا في آذانهم ما يشبه الصمم، فلم يسمعه ولم يتففعوا به، وإن تَدْعُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَلَنْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ، ولن يبتدوا إليه أبداً.

(٥٨) وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم، لو يعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجل لهم العذاب، ولكنه تعالى حلیم لا يعجل بالعقوبة، بل لهم موعد يجازون فيه بأعمالهم، لا مندوحة لهم عنه ولا محيد.

(٥٩) وتلك القرى القريبة منكم - كقرى قوم هود وصالح ولوط وشعيب - أهلكناها حين ظلم أهلها بالكفر، وجعلنا لهلاكهم ميقاتاً وأجلاً، حين بلغوه جاءهم العذاب فأهلكهم الله به.

(٦٠) واذكر حين قال موسى لخادمه يُوسُف بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمناً طويلاً حتى أصل إلى العبد الصالح؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم.

(٦١) وجدَّ في السَّيْرِ، فلما وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة، ونسيا حوتها الذي أمر موسى بأخذه معه قوتاً لهما، وحمله يوشع في قَفَّة، فإذا الحوت يصبح حياً وينحدر في البحر، ويتخذ له فيه طريقاً مفتوحاً.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَهُ إِيتَانَا عَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْكُتُبَ وَمَا أَتَسْمِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَلَقَدْ سَبِّحَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عُلِّمْتُ رُسُلًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا أَمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسَى أَنْ أَفْطَلِقَ خَلْقًا إِذَا لَقِيتَ أَعْلَمَ أَفْعَالَهُ ﴿٧٣﴾ قَالَ أَقْبَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَقِيسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا لَكْرًا ﴿٧٤﴾

(٦٢) فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى بالجوع، قال لخادمه: أحضر إلينا طعام أول النهار، لقد لقينا من سفرنا هذا تعباً. (٦٣) قال له خادمه: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان، فإن الحوت الميت دبّث فيه الحياة، وفقز في البحر، واتخذ له فيه طريقاً، وكان أمره مما يُعجب منه.

(٦٤) قال موسى: ما حصل هو ما كنا نطلبه، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح، فرجعا يقصان آثار مشيها حتى انتهيا إلى الصخرة.

(٦٥) فوجدوا هناك عبداً صالحاً من عبادنا هو الخضر عليه السلام - وهو نبي من أنبياء الله توفاه الله -، آتيانه رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً عظيماً.

(٦٦) فسلم عليه موسى، وقال له: أأذن لي أن أتبعك؟ لتعلمني من العلم الذي علمك الله إياه ما أسترشد به وأنتفع؟

(٦٧) قال له الخضر: إنك - يا موسى - لن تطيق أن تصبر على اتباعي وملازمتي.

(٦٨) وكيف لك الصبر على ما سأفعله من أمور تخفى عليك مما علمنيه الله تعالى؟

(٦٩) قال له موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً على ما أراه منك، ولا أخالف لك أمراً تأمرني به.

(٧٠) فوافق الخضر وقال له: فإن صاحبتني فلا تسألني عن شيء تنكره، حتى أبين لك من أمره ما تخفي عليك دون سؤال منك.

(٧١) فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فطلبا من أهلها أن يركبا معهم، فلما ركبا قلع الخضر لوحاً من السفينة فخرقها، فقال له موسى: أخرقت السفينة؟ لتغرق أهلها، وقد حملوا بغير أجر؟ لقد فعلت أمراً منكراً.

(٧٢) قال له الخضر: لقد قلت من أول الأمر: إنك لن تستطيع الصبر على صحبتي.

(٧٣) قال موسى معتذراً: لا تؤاخذني بنسياني شرطك عليّ، ولا تكلفني مشقة في تعلّمي منك، وعاملني ببسر ورفق.

(٧٤) فقبل الخضر عنقه، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر غلاماً يلعب مع الغلمان، فقتله الخضر، فأنكر موسى عليه وقال: كيف قتلت نفساً طاهرة لم تبلغ حدّ التكليف، ولم تقتل نفساً، حتى تستحق القتل بها؟ لقد فعلت أمراً منكراً عظيماً.

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصِيبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿ فَأَنْظِرْ أَخِي إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْتَطْعَمَ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَ فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْهِ آجْرًا ﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿ وَأَمَّا الْكُلْبُ فَكَانَ أَبُوهُمَا مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴿ وَفَاعَلْتَهُ وَعَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ وَيَسْأَلُكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكَ مِنْهُ ذِكْرًا

(٧٥) قال الخضر لموسى معاتباً ومذكراً: ألم أقُلْ لك إنك لن تستطيع معي صبراً على ما ترى من أفعالي مما لم تحط به خبراً؟

(٧٦) قال موسى له: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني، قد بلغت العذر في شأني ولم تقصر؛ حيث أخبرتني أني لن أستطيع معك صبراً.

(٧٧) فسار موسى والخضر حتى أتيا أهل قرية، فطلبنا منهم طعاماً على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتها، فوجدا فيها حائطاً مائلاً يوشك أن يسقط، فعُدل الخضر ميله حتى صار مستوياً، قال له موسى: لو شئت لأخذت على هذا العمل أجراً نصرفه في تحصيل طعامنا؛ حيث لم يضيفونا.

(٧٨) قال الخضر لموسى: هذا وقت الفراق بيني وبينك، سأخبرك بما أنكرت علي من أفعالي التي فعلتها، والتي لم تستطع صبراً على ترك السؤال عنها والإنكار علي فيها.

(٧٩) أما السفينة التي خرقتها فإنها كانت

لأناس محتاجين - لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم - يعملون في البحر عليها سعياً وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الخرق؛ لأن أمامهم ملكاً يأخذ كل سفينة صالحة غصباً من أصحابها.

(٨٠) وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافراً، وكان أبوه وأمه مؤمنين، فخشينا لو بقي الغلام حياً لحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتها إياه أو للحاجة إليه.

(٨١) فأردنا أن يُبَدِّلَ الله أبويه بمن هو خير منه صلاحاً وديناً وبرا بهما.

(٨٢) وأما الخائض الذي عدلته ميله حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيها الجدار، وكان تحته كنز لهما من الذهب والفضة، وكان أبوهما رجلاً صالحاً، فأراد ربك أن يكبرا ويبلغا قوتها، ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك بهما، وما فعلت ياموسى جميع الذي رأيتني فعلته عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله، ذلك الذي بينت لك أسبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبراً على ترك السؤال عنها والإنكار علي فيها.

(٨٣) ويسألك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون من قومك عن خبر ذي القرنين الملك الصالح، قل لهم: سأفصّل عليكم منه ذكراً تذكرونه، وتعتبرون به.

إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَتَنَّا الْأَعْمَىٰ وَإِذَا بَلَغَ الْغُرُوبَ جَاذَبْنَاهُ تَعْرُوبًا ﴿٨٥﴾ وَجَدْنَاهُ عِنْدَ قَوْمٍ فَلَتَانِدَ الْقَرْيَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ وَلَمَّا أَنْ تَخِذَ فِيهِمْ حُسْبًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ذَكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَوْفَ نُؤْتِيهِ مِنْ أَمْرٍ مُبِينًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قُورٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهَا مِنْ دُونِهَا بُيُوتًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذِرُ الْفَرِيقَيْنِ إِنَّا يَا جُوح وَمَا جُوحٌ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكِّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا الْحَدِيدَ حَتَّىٰ إِذَا سَاقَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ أُخْرِجُوا عَلَيْهِ فِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

(٨٤) إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَسْبَابًا وَطَرَفًا، يتوصل بها إلى ما يريد من فَتْنِ الْمَدَانِ وَقَهْرِ الْأَعْدَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٨٥) فَأَخَذَ بِنَلِكِ الْأَسْبَابِ وَالطَّرِيقِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ.

(٨٦) حَتَّى إِذَا وَصَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَجَدَهَا فِي مَرَايِ الْعَيْنِ كَأَنَّهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَارَةٍ ذَاتِ طِينٍ أَسْوَدَ، وَوَجَدَ عِنْدَ مَغْرِبِهَا قَوْمًا. قُلْنَا: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبُهُم بِالْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ إِنْ لَمْ يَقْرَأُوا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مُحَسِّنُ إِلَيْهِمْ فَتَعْلَمُهُم الْهُدَى وَتُبْصِرُهُم الرِّشَادَ.

(٨٧) قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ فَكُفِّرْ بِهِ، فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا عَظِيمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(٨٨) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِرَبِّهِ فَصَدِّقْ بِهِ وَوَحِّدْهُ وَعَمَلْ بِطَاعَتِهِ فَلَهُ الْجَنَّةُ ثَوَابًا مِنَ اللَّهِ، وَنَحْنُ نَحْصِنُ إِلَيْهِ، وَنُثْلِنُ لَهُ فِي الْقَوْلِ وَنُيَسِّرُ لَهُ الْمَعَامِلَةَ.

(٨٩) ثُمَّ رَجَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى الْمَشْرِقِ مُتَبَعًا الْأَسْبَابِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لِإِيَّاهَا.

(٩٠) حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى مَطْلِعِ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يَسْتُرُهُمْ، وَلَا شَجَرٌ يَظْلُمُهُم مِنَ الشَّمْسِ.

(٩١) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَاطَ عَلْمُنَا بِهَا عَنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ، حَيْثُ مَا تَوَجَّهَ وَسَارَ.

(٩٢) ثُمَّ سَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَخَذًا بِالطَّرِيقِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي مَنَحْنَاهَا لِإِيَّاهُ.

(٩٣) حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ الْحَاجِزَيْنِ لِمَا وَرَاءَهُمَا، وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَعْرِفُونَ كَلَامَ غَيْرِهِمْ.

(٩٤) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ: إِنَّا يَا جُوح وَمَا جُوحٌ - وَهُمَا اثْنَانِ عَظِيمَتَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ - مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِإِهْلَاكِ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ أَجْرًا، وَنَجْمِعُ لَكَ مَالًا، عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

(٩٥) قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: مَا أَعْطَانِي رَبِّي مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّمَكِينِ خَيْرٌ لِي مِنْ مَالِكُمْ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا.

(٩٦) أَعْطُونِي قِطْعَ الْحَدِيدِ، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا بِهِ وَوَضَعُوهُ وَحَازُوا بِهِ جَانِبِي الْجَبَلَيْنِ، قَالَ لِلْعَمَالِ: أَجْبُوا النَّارَ، حَتَّى إِذَا صَارَ الْحَدِيدُ كُلُّهُ نَارًا، قَالَ: أَعْطُونِي نَحَاسًا أَفْرَغُهُ عَلَيْهِ.

(٩٧) فَمَا اسْتَطَاعَتْ يَا جُوح وَمَا جُوحٌ أَنْ تَصْعَدَ فَوْقَ السَّدِّ؛ لِارْتِفَاعِهِ وَمَلَاسَتِهِ، وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْقُبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ لِبَعْدِ عَرْضِهِ وَقُوَّتِهِ.

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۖ وَتَرَكَنا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ مِمْسِكٌ بِبَعْضٍ فِي الصُّورِ فَجَعَلَهُمْ جُمُوعًا ۖ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۚ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاةٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمْعًا ۚ الْفَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَسْخَرُوا عِبَادِي مِنْ ذُنُوبِ أُولَئِكَ إِنَّا نَعْتَدُنا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۚ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۚ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِطُوا أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ۚ ذَلِكَ جَزَاءُ الْفَاسِقِينَ ۚ يَمَّا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آلَ الْبَنِيِّ رُسُلًا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۚ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۚ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكُنتُمْ رَبِّي لَنَفَذَ الْأَعْيُرَ قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِائَةِ مَدَدًا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ إِلَهُ جَدِّكُمْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلِيعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ إِنَّكَ لَصَلَاحٌ

(٩٨) قال ذو القرنين: هذا الذي بنيت حاجزاً عن فساد يأجوج ومأجوج رحمة من ربي بالناس، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهماً مستوثياً بالأرض، وكان وعد ربي حقاً.

(٩٩) وتركنا يأجوج ومأجوج - يوم يأتيهم وعُذنا - يموج بعضهم في بعض مختطين؛ لكثرتهم، ونفخ في «القرن» للبعث، فجعلنا الخلق جميعاً للحساب والجزاء.

(١٠٠) وعرضنا جهنم للكافرين، وأبرزنا لهم لنريهم سوء عاقبتهم.

(١٠١) الذين كانت أعينهم في الدنيا في غطاء عن ذكري فلا تبصر آياتي، وكانوا لا يطيقون سماع حجبي الموصلة إلى الإيمان بي وبرسولي.

(١٠٢) أظن الذين كفروا بي أن يتخذوا عبادي آلهة من غيري؛ ليكونوا أولياء لهم؟ إنا اعتدنا نار جهنم للكافرين منزلاً.

(١٠٣) قل - أيها الرسول - للناس محذراً: هل تخبركم بأخسر الناس أعمالاً؟

(١٠٤) إنهم الذين ضلّ عملهم في الحياة الدنيا - وهم مشركو قومك وغيرهم ممن ضلّ سواء السبيل، فلم يكن على هدى ولا صواب - وهم يظنون أنهم محسنون في أعمالهم.

(١٠٥) أولئك الأخسرون أعمالاً، هم الذين جحدوا بآيات ربهم وكذبوا بها، وأنكروا لقاء يوم القيامة، فبطلت أعمالهم؛ بسبب كفرهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة قدراً.

(١٠٦) ذلك الجزء المعدّ لهم لحبوط أعمالهم هو نار جهنم؛ بسبب كفرهم بالله واتخاذهم آياته وحجج رسله استهزاء وسخرية.

(١٠٧) إن الذين آمنوا بي، وصدّقوا رسلِي، وعملوا الصالحات، لهم أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً.

(١٠٨) خالدين فيها أبداً، لا يريدون عنها تحوّلاً؛ لرغبتهم فيها وجهيم لها.

(١٠٩) قل - أيها الرسول - لو كان ماء البحر حبراً للأقلام التي يكتب بها كلام الله من علمه وحُكمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله، لنفد ماء البحر قبل أن تنفذ كلمات الله، ولو جئنا بمثل البحر ببحاراً أخرى مدداً له. وفي الآية إثبات صفة الكلام لله - تعالى - حقيقة كما يليق بجلاله وكماله.

(١١٠) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: إنا أنا بشر مثلكم يوحى إلينا من ربي أننا إلهكم إله واحد، فمن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه، فليعمل عملاً صالحاً لربه موافقاً لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحداً غيره.

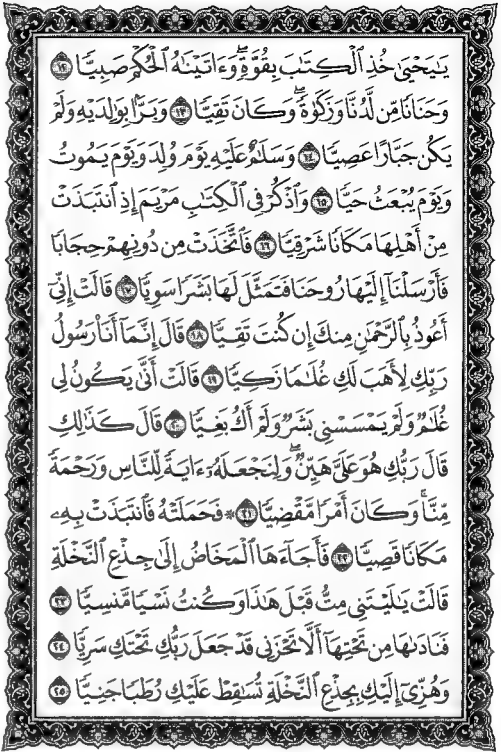
﴿سورة مريم﴾

- (١) ﴿كَمْ هِمْصٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- (٢) هذا إذ ذكر رحمة ربك عبده زكريا، سنقصه عليك، فإن في ذلك عبرة للمعتبرين.
- (٣) إذ دعا ربه سراً؛ ليكون أكمل وأنم إخلاصاً لله، وأرجى للإجابة.
- (٤) قال: رب إني كبرت، وضعف عظمي، وانتشر الشيب في رأسي، ولم أكن من قبل محروماً من إجابة الدعاء.
- (٥) وإن خفت أقارب وعصيتي من بعد موتي أن لا يقوموا بدينك حتى القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وكانت زوجتي عاقراً لا تلد، فارزقني من عندك ولداً وارثاً ومعيناً.
- (٦) يثبت نبؤي ونبوة آل يعقوب، واجعل هذا الولد مرضياً منك ومن عبادك.
- (٧) يا زكريا إنا نبشرك بإجابة دعائك، قد وهبنا لك غلاماً اسمه يحيى، لم نسم أحداً قبله بهذا الاسم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَمْ هِمْصٌ ۝ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِكَ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَدًا ۝ يَرْزُقْنِي وَيُؤْتِنِي ۝ إِلًا يَعْقُبُ ۝ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ يَزَكِّنِي ۝ إِنَّا نَبْشُرُكَ بِعَلَمٍ أَسْمَى ۝ ثُمَّ يَجْعَلْ لَكَ مِنْ قَبْلِ سَمِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عِلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَدًى ۝ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۝ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝

- (٨) قال زكريا متعجباً: رب كيف يكون لي غلام، وكانت امرأتي عاقراً لا تلد، وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم؟
- (٩) قال الملك مجيباً زكريا عمّاً تعجب منه: هكذا الأمر كما تقول من كون امرأتك عاقراً، وبلوغك من الكبر عتياً، ولكن ربك قال: خلقت يحيى على هذه الكيفية أمر سهل هيّن عليّ، ثم ذكر الله سبحانه لزكريا ما هو أعجب مما سأل عنه فقال: وقد خلقتك أنت من قبل يحيى، ولم تك شيئاً مذكوراً ولا موجوداً.
- (١٠) قال زكريا زيادة في اطمئنانه: رب اجعل لي علامة على تحقق ما نبشّرني به الملائكة، قال: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس مدة ثلاث ليال وأيامها، وأنت صحيح معاف.
- (١١) فخرج زكريا على قومه من مصلاه، وهو المكان الذي بُشّر فيه بالولد، فأشار إليهم: أن سبّحوا الله صباحاً ومساءً شكرًا له تعالى.



(١٢) فلما وُلِدَ يحيى، وبلغ مبلغاً يفهم فيه الخطاب، أمره الله أن يأخذ التوراة بجدٍّ واجتهاد بقوله: يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، والعمل بها، وأعطيناه الحكمة وحسن الفهم، وهو صغير السن.

(١٣) وآتيناه رحمةً ومحبةً من عندنا وطهارة من الذنوب، وكان خائفاً مطيعاً لله تعالى، مؤدياً فرائضه، مجتنباً محارمه.

(١٤) وكان باراً بوالديه مطيعاً لهما، ولم يكن متكبراً عن طاعة ربه، ولا عن طاعة والديه، ولا عاصياً لربه، ولا لوالديه.

(١٥) وسلام من الله على يحيى وأمان له يوم وُلِدَ، ويوم يموت، ويوم يُبعث من قبره حياً.

(١٦) واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر مريم إذ تابعت عن أهلها، فاتخذت لها مكاناً مما يلي الشرق عنهم.

(١٧) فجعلت من دون أهلها سترأ يسترها عنهم وعن الناس، فأرسلنا إليها الملك جبريل، فتمثل لها في صورة إنسان تام الخلق.

(١٨) قالت مريم له: إني أستجير بالرحمن منك أن تنالني بسوء إن كنت ممن يتقي الله.

(١٩) قال لها الملك: إني أنا رسول ربك بعثني إليك؛ لأهب لك غلاماً طاهراً من الذنوب.

(٢٠) قالت مريم للملك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسنني بشر بنكاح حلال، ولم أك زانية؟

(٢١) قال لها الملك: هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسنك بشر، ولم تكوني بغيًّا، ولكن ربك قال: الأمر عليّ سهل؛ وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى، ورحمةً منّا به وبوالديه وبالناس، وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقاً مقدراً، مسطوراً في اللوح المحفوظ، فلا بد من نفوذه.

(٢٢) فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فوقع الحمل بسبب ذلك، فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس.

(٢٣) فالجأها طلق الحمل إلى جذع النخلة فقالت: يا ليتني مت قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً لا يُعرف، ولا يُذكر، ولا يُذكرى من أنا؟

(٢٤) فنادها جبريل أو عيسى: أن لا تحزني، قد جعل ربك تحتك جذول ماء.

(٢٥) وحرّكي جذع النخلة تُساقط عليك رطباً غصّاً جني من ساعته.

فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْمَنْشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْتَ
بِهِمْ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا لِمَ تَمَرِّمِينَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
بِتَأَخُّتِ هَؤُلَاءِ مَا كَانَ آبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كُنْتَ
أُمًّا بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالُوا إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٢٩﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَأَدَّيْتُ حَيْثُ ﴿٣٠﴾ وَبَارَأَ بَوْلِي لَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا سَفِيًّا ﴿٣١﴾ وَالسَّكِينِ عَلَى نُومٍ وَلَدَتْهُ وَأَيُّهَا أُمُّهُ
وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا ﴿٣٢﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٣﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ
إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٥﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُ تَوَاتُّؤُنَ الَّذِينَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٧﴾

(٢٦) فكلي واشربي وقري عيناً، وإما ترى من المنشأ أحدًا، فقولي
وطيبي نفساً بالمولود، فإن رأيت من الناس
أحدًا فسألك عن أمرك فقولي له: إني أوجبتُ
على نفسي لله سكوتاً، فلن أكلّم اليوم أحدًا من
الناس. والسكوت كان تعبدًا في شرعهم، دون
شرعية محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢٧) فأنت مريم قوميها تحمل مولودها من
المكان البعيد، فلما رأوها كذلك قالوا لها:
يا مريم لقد جئتِ أمراً عظيماً فمترى.

(٢٨) يا أخت الرجل الصالح هارون ما كان
أبوك رجل سوء يأتي الفواحش، وما كانت أمك
امرأة سوء تأتي البغاء.

(٢٩) فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسأله
ويكلموه، فقالوا متكررين عليها: كيف نكلم من
لا يزال في مهده طفلاً رضيعاً؟

(٣٠) قال عيسى وهو في مهده يرضع: إني
عبد الله، قضى بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل،
وجعلني نبياً.

(٣١) وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما
وُجِدْتُ، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة وإيتاء
الزكاة ما بقيت حياً.

(٣٢) وجعلني باراً بوالدي، ولم يجعلني متكبراً، ولا شقياً عاصياً لربي.

(٣٣) والسلامة والأمان عليّ من الله يوم وُلِدْتُ، ويوم أُمُوتُ، ويوم أبعث حياً يوم القيامة.

(٣٤) ذلك الذي قصصنا عليك - أيها الرسول - صفته وخبره هو عيسى بن مريم، من غير شك ولا مرية، حال كونه قول
الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى.

(٣٥) ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ من عباده وخلقه ولداً، تنزه وتقدس عن ذلك، إذا قضى أمراً من الأمور وأراده،
صغيراً أو كبيراً، لم يتمتع عليه، وإنما يقول له: «كن»، فيكون كما شاء وأراد.

(٣٦) وقال عيسى لقومه: وإن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء
في العبودية والخضوع له، وهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

(٣٧) فاختلقت الفرق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام، فمنهم غالٍ فيه وهم النصارى، منهم من قال:
هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة - تعالى الله عما يقولون -، ومنهم جاف عنه وهم اليهود،
قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف التجار، فهلاك للذين كفروا من شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

(٣٨) ما أشدَّ سمعهم وبصرهم يوم القيامة، يوم يُقدّمون على الله، حين لا يتفهم ذلك !! لكن الظالمون اليوم في هذه الدنيا
في ذهابٍ بيّن عن الحق.

(٣٩) وأُذِّنْ - أيها الرسول - الناس يوم الندامة حين يُقضى الأمر، ويُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيُنْبِذُ، ويُفصل بين الخلق، فيصير أهل الإيمان إلى الجنة، وأهل الكفر إلى النار، وهم اليوم في هذه الدنيا في غفلة عما أُذِّنوا به، فهم لا يصدقون، ولا يعملون العمل الصالح.

(٤٠) إنا نحن الوارثون للأرض ومن عليها
بفنائهم ويقاتنا بعدهم وحُكْمنا فيهم، وإلينا
مصيرهم وحسابهم، فنجازيهم على أعمالهم.

(٤١) واذكر -أيها الرسول- لقومك في هذا القرآن قصة إبراهيم -عليه السلام- إنه كان عظيم الصدق، ومن أرفع أنبياء الله تعالى منزلة.

(٤٢) إذ قال لأبيه آزر: يا أبت لأي شيء تعبد من الأصنام ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يدفع عنك شيئاً من دون الله؟

(٤٣) يا أبت، إن الله أعطانِي من العلم ما لم يعطكَ، فاقبل مني، واتبعني إلى ما أَدْعُوكَ إليه، أرشدك إلى الطريق السوي الذي لا تضل فيه.

(٤٤) يا أبت، لا تطع الشيطان فتعبد هذه الأصنام؛ إن الشيطان كان للرحمن مخالفاً مستكبراً عن طاعة الله.

وَأَيُّدُهُمْ نَوْمَ الْحَمِيرِ ۖ فَاذْهَبْ إِلَى الْآمْرِ وَهَرُ فِي عَقْلِهِ وَهَرُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا نَجْعَلُونَ ﴿١٧﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١٨﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ عَبَدُ مَا لَا أَسْمَعُ وَلَا أُنْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ يَتَّبِعْ إِنِّي خِدَاجَةٌ مِنْ آلِ الْعَالِمِ مَا يَأْتِيكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٩﴾ يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٢٠﴾ يَتَّبِعْ إِنِّي خَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ أَزْعَجُ أَبْتَغِي عَنْ عَالِمِي يَتَّبِعْ إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٢٢﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٢٣﴾ وَأَعِزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ الْأَكْثَرُونَ بِدَعَائِ رَبِّي شَفِيعًا ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا أَتَتْهُمُ وَمَا يَبْذُوقُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٢٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢٦﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٢٧﴾

(٤٥) يا أبت، إني أخاف أن تموت على كفرك، فِمَسَّكَ عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ قَرِينًا فِي النَّارِ.

(٤٦) قال أبو إبراهيم لابنه: أعرض أنت عن عبادة آتني يا إبراهيم؟ لئن لم تنته عن سبِّها لأتلتك رميةً بالحجارة، وأذهب عني فلا تلقني، ولا تكلمني زماناً طويلاً من الدهر.

(٤٧) قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك مني فلا ينالك مني ما تكره، وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة. إن ربي كان رحيماً رؤوفاً بحالي يجيبني إذا دعوته.

(٤٨) وأفارقكم وأهتكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعوري مخلصاً، عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، فلا يعطيني ما أسأله.

(٤٩) فلما فارقه وأهملهم التي يعبدونها من دون الله رزقناه من الولد: إسحاق، ويعقوب بن إسحاق، وجعلناهما نبين.

(٥٠) ووهبنا لهم جميعاً من رحمتنا فضلاً لا يحصى، وجعلنا لهم ذكراً حسناً، وثناءً جليلاً باقياً في الناس.

(٥١) واذكر -أيها الرسول- في القرآن قصة موسى -عليه السلام- إنه كان مصطفى مختاراً، وكان رسولاً نبياً من أولي العزم من الرسل.

وَنَدَبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيتًا ۖ وَهَيَّأْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَنَبْنَا إِذَا تَنَادَّيْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۖ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَنْظُمُونَ شَيْئًا ۖ جَنَّتِ عَدْنُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۖ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَقْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ فِيهَا بَازُغَةٌ وَفِيهَا جَنَّاتُ الْوُجُوهِ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۖ وَمَا نَسْتَكِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفُنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رُبُّكَ لِنَاسٍ

(٥٢) وناديناهم موسى من ناحية جبل طور «سيناء» اليمنى من موسى، وقربناه فشرّفناه بمناجرتنا له. وفي هذا إثبات صفة الكلام لله - تعالى - كما يليق بجلاله وكِماله.

(٥٣) ووهبنا لموسى من رحمتنا أخاه هارون نبياً يؤيده ويؤازره.

(٥٤) واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إسماعيل عليه السلام، إنه كان صادقاً في وعده فلم يعد شيئاً إلا وفي به، وكان رسولاً نبياً.

(٥٥) وكان يأمر أهله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان عند ربه عز وجل مرضياً عنه.

(٥٦) واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إدريس عليه السلام، إنه كان عظيم الصدق في قوله وعمله، نبياً يوحى إليه.

(٥٧) ورفّعنا ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة.

(٥٨) هؤلاء الذين قصصت عليك خبرهم أيها الرسول، هم الذين أنعم الله عليهم بفضلهم وتوفيقه، فجعلهم أنبياء من ذرية آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، ومن ذرية إبراهيم، ومن ذرية يعقوب، ونحن هدينا للإيمان واصطفينا للرسل والنبوّة، إذا تلى عليهم آيات

الرحمن المضمنة لتوحيدهِ وحججه خرواً ساجدين لله خضوعاً واستكانة، وبكواً من خشية سبحانه وتعالى.

(٥٩) فأتى من بعد هؤلاء المنعم عليهم أتباع سوء تركوا الصلاة كلها، أو فوّتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها، واتبعوا ما يوافق شهواتهم ولائمتها، فسوف يلقون شرّاً وضلّالاً وخيبة في جهنم.

(٦٠) لكن من تاب منهم من ذنبه وآمن بربه وعمل صالحاً تصديقاً لتوبته، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويدخلون الجنة المؤمنين، ولا يُنقصون شيئاً من أعمالهم الصالحة.

(٦١) جنات خُلِدَ وإقامة دائمة، وهي التي وعد الرحمن بها عباده بالغيب فأمنوا بها ولم يروها، إن وعد الله لعباده بهذه الجنة آتٍ لا محالة.

(٦٢) لا يسمع أهل الجنة فيها كلاماً باطلاً، لكن يسمعون سلاماً تحية لهم، ولهم رزقهم فيها من الطعام والشراب دائماً، كلما شاؤوا صباحاً ومساءً، فهو غير محصور ولا محدد.

(٦٣) تلك الجنة الموصوفة بتلك الصفات، هي التي نورثها ونعطيها عبادنا المتقين لنا، بامثال أوامرنا واجتناب نواهيها.

(٦٤) وقل - يا جبريل - لمحمد صلى الله عليه وسلم: وما ننزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا، له ما بين أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة، وما خلفنا مما مضى من الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، فله الأمر كله في الزمان والمكان، وما كان ربك ناسياً لشيء من الأشياء.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذَلَّامٌ لِّسَوْفٍ أَخْرَجَ حَيًّا ۚ وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۚ فَوَرَبُّكَ لَتَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ۚ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۚ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ يَنْهَمُونَ ۚ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّ الرِّجْزَ عِثًّا ۚ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًا ۚ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَعْلَمُ ﴿٦٦﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا هَٰكُنَا عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۚ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ أَنْتَبَهُوا وَنَذَرُ الْظَالِمِينَ ۚ فِيهَا جِثِيًّا ۚ وَإِذْ أُنْثِيَ عَلَيْهِمْ الِئْتِمَارُ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۚ وَكُرِّهْنَا لَهُمْ فَتَلَّاهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَا وَرَدَّيَا ۚ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَسُدَّ لَهُ الرِّجْمُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۚ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۚ وَالْبَيْتُ الَّذِي خَلَقْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۚ ﴿٦٧﴾

(٦٥) فهو الله رب السموات والأرض وما بينهما، ومالك ذلك كله وخالقه ومدبره، فاعبده وحده - أيها النبي - واصبر على طاعته أنت ومن تبعك، ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

(٦٦) ويقول الإنسان الكافر منكراً للبعث بعد الموت: إذا ما ميتٌ وقِيت لسوف أُخرج من قبري حياً؟!

(٦٧) كيف نسي هذا الإنسان الكافر نفسه؟ أولاً لا يذكرُ أنا خلقناه أول مرة، ولم يك شيئاً موجوداً؟

(٦٨) فوريك - أيها الرسول - لنجمعن هؤلاء المنكرين للبعث يوم القيامة مع الشياطين، ثم لنأتين بهم أجمعين حول جهنم باركين على رؤسهم؛ لشدة ما هم فيه من الهول، لا يقدرُون على القيام.

(٦٩) ثم لناخذن من كل طائفة أشدهم تمرداً وعصياناً لله، فنبدأ بعذابهم.

(٧٠) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بدخول النار ومقاساة حرها.

(٧١) وما منكم - أيها الناس - أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنسوب على متن

جهنم، كل بحسب عمله، كان ذلك أمراً محتملاً، قضى الله - سبحانه - وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة. (٧٢) ثم ننجي الذين اتقوا ربهم بطاعته والبعد عن معصيته، وترك الظالمين لأنفسهم بالكفر بالله في النار باركين على رؤسهم.

(٧٣) وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أي الفريقين منا ومنكم أفضل منزلاً وأحسن مجلساً؟

(٧٤) وكثيراً أهلكنا قبل كفار قومك - أيها الرسول - من الأمم كانوا أحسن متاعاً منهم وأجل منظرًا.

(٧٥) قل - أيها الرسول - لهم: من كان ضالاً عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويميل له في ضلاله، حتى إذا رأى - يقيناً - ما نوءده الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم - حينئذ - من هو شر مكاناً ومستقراً، وأضعف قوة وجنداً.

(٧٦) ويزيد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدى على هداهم بها يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها. والأعمال الباقيات الصالحات خير ثواباً عند الله في الآخرة، وخير مرجعاً وعاقبة.

أَقْرَبَتْ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا
 ﴿٧٧﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً
 لِيَكُونَ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ نَرَأِنَا أَنزَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 تَوَهُّمًا أَمْ كَانُوا تَعَجَّلَ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٣﴾
 يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٤﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
 إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴿٨٥﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٧﴾ لَقَدْ
 جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ
 وَتَنسَقُ الْأَرْضُ وَنَحْنُ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٨٩﴾ أَن دَعَوُا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
 ﴿٩٠﴾ وَمَا يَتَّبِعِ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩١﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عَبْدٌ ﴿٩٢﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
 وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٣﴾ وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْفِتْنَةِ فَرْدًا ﴿٩٤﴾

(٧٧) أَعْلِمْتُ - أيها الرسول - وعجبت من هذا الكافر «العاص بن وائل» وأمثاله؟ إذ كفر بآيات الله وكذب بها وقال: لأعطين في الآخرة أموالاً وأولاداً.

(٧٨) أطلع الغيب، فرأى أن له مالاً وولداً، أم له عند الله عهد بذلك؟

(٧٩) ليس الأمر كما يزعم ذلك الكافر، فلا علم له ولا عهد عنده، سنكتب ما يقول من كذب وافتراء على الله، ونزيد في الآخرة من أنواع العقوبات، كما أزداد من الغي والضلال. (٨٠) ونرثه ماله وولده، وبآيتنا يوم القيامة فرداً وحده، لا مال معه ولا ولد.

(٨١) واتخذ المشركون آلهة يعبدونها من دون الله؛ لتصرهم، ويعتزوا بها.

(٨٢) ليس الأمر كما يزعمون، لن تكون لهم الآلهة عزاء، بل سنكفر هذه الآلهة في الآخرة بعبادتهم لها، وتكون عليهم أعواناً في خصومتهم وتكذيبهم بخلاف ما ظنوه فيها.

(٨٣) ألم تر - أيها الرسول - أننا سلطنا الشياطين على الكافرين بالله ورسله؛ لتغويهم، وتدفعهم عن الطاعة إلى المعصية؟

(٨٤) فلا تستعجل - أيها الرسول - بطلب

العذاب على هؤلاء الكافرين، إنما نحصى أعمارهم وأعمالهم إحصاء لا تقرب فيه ولا تأخير.

(٨٥، ٨٦) يوم نجمع المتقين إلى ربهم الرحيم بهم وفوداً مكرمين. ونسوق الكافرين بالله سوقاً شديداً إلى النار مشاة عطاشاً.

(٨٧) لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لأحد، إنما يملكها من اتخذ عند الرحمن عهداً بذلك، وهم المؤمنون بالله ورسله.

(٨٨) وقال هؤلاء الكفار: اتخذ الرحمن ولداً.

(٨٩) لقد جئتم - أيها القائلون - بهذه المقالة شيئاً عظيماً منكراً.

(٩٠، ٩١) تكاد السموات يتشققن من فظاعة ذلك القول، وتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطاً شديداً غضباً لله ليشيبتهم إليه الولد. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٩٢) وما يصلح للرحمن، ولا يليق بعظمته، أن يتخذ ولداً؛ لأن اتخاذ الولد يدل على النقص والحاجة، والله هو الغني الحميد المبرأ عن كل النقص.

(٩٣) ما كل من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الإنس والجن، إلا سيأتي ربه يوم القيامة عبداً ذليلاً خاضعاً موقراً له بالعبودية.

(٩٤) لقد أحصى الله سبحانه وتعالى خلقه كلهم، وعلم عددهم، فلا يخفى عليه أحد منهم.

(٩٥) وسوف يأتي كل فرد من الخلق ربه يوم القيامة وحده، لا مال له ولا ولد معه.

(٩٦) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رِسْلَهُ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَفَرَّقَ شَرَعَهُ، سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ حِمَّةً وَمَوَدَّةً فِي قُلُوبِهِ عِبَادَهُ.

(٩٧) فَإِنَّا يَسِّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِبَلْسَانَكَ الْعَرَبِيِّ أَيُّهَا الرِّسُولُ؛ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ مِنْ أَتْبَاعِكَ، وَتَحْزَنَ بِهِ الْمَكِيدِينَ شَدِيدِي الْخُصُومَةِ بِالْبَاطِلِ.

(٩٨) وَكَثِيرًا أَهْلَكْنَا - أَيُّهَا الرِّسُولُ - مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ قَبْلَ قَوْمِكَ، مَا تَرَى مِنْهُمْ أَحَدًا وَمَا تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا، فَكَذَلِكَ الْكَفَّارُ مِنْ قَوْمِكَ، نَهْلِكُهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا السَّابِقِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعْدٌ بِإِهْلَاكِ الْمَكِيدِينَ الْمَعَانِدِينَ.

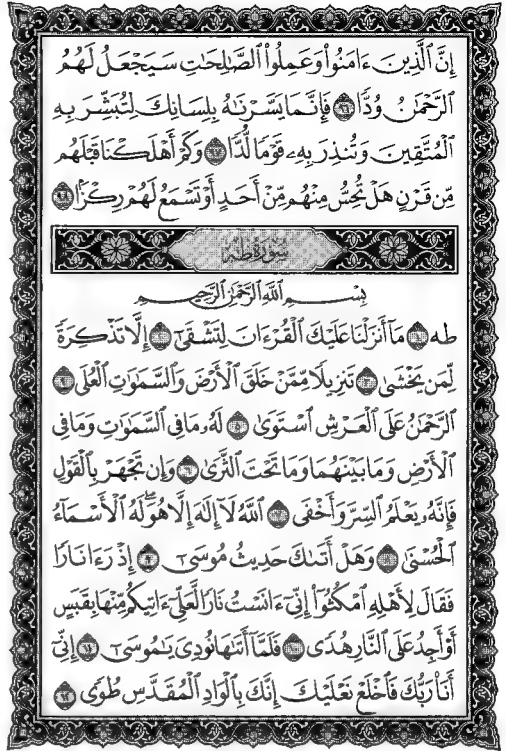
﴿سورة طه﴾

(١) ﴿طه﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) ما أنزلنا عليك - أَيُّهَا الرِّسُولُ - القرآن؛ لِنَشْفِيَ بِهَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ.

(٣) لَكِنْ أَنْزَلْنَاهُ مَوْعِظَةً؛ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ مَنْ يَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ، فَيَتَّقِيهِ بِإِدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ.

(٤) هَذَا الْقُرْآنُ نَزِيلٌ مِنَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى.



(٥) الرحمن على العرش استوى، أي: علا وارتفع، استواء يليق بجلاله وعظمته.

(٦) له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الأرض، خَلَقًا وَمُلْكًا وَتَدْبِيرًا.

(٧) وإن نجهر - أَيُّهَا الرِّسُولُ - بالقول، فعلنه أو تخفه، فإن الله لا يخفى عليه شيء، يعلم السر وما هو أخفى من السر مما تحدث به نفسك.

(٨) الله الذي لا معبود بحق إلا هو، له وحده الأسماء الكاملة في الحسن.

(٩) وهل أتاك - أَيُّهَا الرِّسُولُ - خبر موسى بن عمران عليه السلام، وهو قادم من «مَدْيَنَ» إلى «مِصْرَ»؟

(١٠) حين رأى في الليل نارا موقدة فقال لأهله: انتظروا لقد أبصرت نارا، لعلي أجيتكم منها بشعلة تستدفئون بها، وتوقدون بها نارا أخرى، أو أجد عندها هاديا يدلنا على الطريق.

(١١، ١٢) فلما أتى موسى تلك النار ناداه الله: أي موسى، إني أنا ربك فاخلع نعليك، إنك الآن بوادي «طوى» الذي باركته، وذلك استعداداً لمناجاة ربه.

وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ نُفُوسَهُمْ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا صُدُوكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِبِعْمِينِكَ يُمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيَّهَا وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَى عَنِينِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَفَلَمَّا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ قَالَ لَهَا فَإِذَا هِيَ خِجْتَةٌ تُسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيدٌ هَاسِرٌ تَهَاوَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَةً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آتِيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِيُرِيَنَّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفُهَا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَبِيلًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَسَيْتُكَ كَبِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرْ كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يُمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾

(١٣) وإني اخترتك يا موسى لرسلتي، فاستمع لما يوحى إليك مني.

(١٤) إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا، لا شريك لي، فاعبدني وحدي، وأقم الصلاة لتذكرني فيها.

(١٥) إن الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لا بد من وقوعها، أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها أحد من المخلوقين؟ لكي تجزي كل نفس بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

(١٦) فلا يصر فئك - يا موسى - عن الإيثار بها والاستعداد لها من لا يصدق بوقوعها ولا يعمل لها، واتبع هوى نفسه، فكذب بها، فتهلك.

(١٧) وما هذه التي في يمينك يا موسى؟

(١٨) قال موسى: هي عصاي أعتد عليها في المشي، وأهش بها الشجر؛ لترعى غنمي ما يتساقط من ورقة، ولي فيها منافع أخرى.

(١٩) قال الله لموسى: ألقى عصاك.

(٢٠) فألقاها موسى على الأرض، فانقلبت بإذن الله حية تسعى، فرأى موسى أمراً عظيماً وولى هارباً.

(٢١، ٢٢) قال الله لموسى: خذ الحية، ولا تخف منها، سوف نعيد لها عصاً كما كانت في حالتها الأولى. واضمم يدك إلى جنبك تحت العُقد تخرج بيضاء كالثلج من غير برص؛ لتكون لك علامة أخرى.

(٢٣) فعلنا ذلك؛ لكي نريك - يا موسى - من أدلتنا الكبرى ما يدل على قدرتنا، وعظيم سلطانتنا، وصحة رسالتك.

(٢٤) اذهب - يا موسى - إلى فرعون؛ إنه قد تجاوز قدره وتمرد على ربه، فادعه إلى توحيد الله وعبادته.

(٢٥-٣٥) قال موسى: رب وسع لي صدري، وسهل لي أمري، وأطلق لساني بفضيح المنطق؛ ليفهموا كلامي. واجعل لي معيناً من أهلي، هارون أخي. قوّي به وشدّ به ظهري، وأشركه معي في النبوة وتبليغ الرسالة؛ كي تنزهك بالتسبيح كثيراً، وتذكرك كثيراً فنحمدك. إنك كنت بنا بصيراً، لا يخفى عليك شيء من أفعالنا.

(٣٦) قال الله: قد أعطيتك كل ما سألت يا موسى.

(٣٧) ولقد أنعمنا عليك - يا موسى - قبل هذه النعمة نعمة أخرى، حين كنت رضيعاً، فأنجيناك من بطش فرعون.

(٣٨، ٣٩) وذلك حين ألهمنا أمك: أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطحريه في النيل، فسوف يلقيه النيل على الساحل، فيأخذه فرعون عدوي وعدوه. وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوباً بين العباد، وليربّي على عيني وفي حفظي. وفي الآية إثبات صفة العين لله - سبحانه وتعالى - كما يليق بجلاله وكماله.

(٤٠) ومنّا عليك حين تمشي أختك تبعك ثم تقول لمن أخذوك: هل أدلكم على من يكفله، ويرضعه لكم؟ فردناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي فرعون؛ كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل، ولا تحزن على فقدك، وقتلت الرجل القبطي خطأ فنجيناك من غمّ فغللك وخوف القتل، وابتليناك ابتلاء، فخرجت خائفاً إلى أهل «مدين»، فمكثت سنين فيهم، ثم جئت من «مدين» في الموعد الذي قدرناه لإرسالك محبباً موافقاً لقدر الله وإرادته، والأمر كله لله تبارك وتعالى.

(٤١) وأنعمت عليك - يا موسى - هذه النعم

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ (٣٨) أَنْ أَقْذِفِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُ ۖ وَالْقَيِّتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلَضَعُ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَفَلَتْنَا نَفْسًا فَجَعَيْنَاكَ مِنَ الْقَوْمِ فَتَنَّاكَ فَتَمَوَّنَا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ۖ (٤٠) وَأَصْطَلَحْتَ عَمَّكَ لِنَقُصِي ۖ (٤١) أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيَّاءِ فِي ذِكْرِي ۖ (٤٢) أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّنَعُودَ ۚ (٤٤) يَنْذِرُكَ وَيَخَشِّئُكَ ۖ (٤٥) فَلَا رَبَّاءَ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقَرْطَ عَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۖ (٤٦) قَالَ لَّا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۖ (٤٧) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَحْذِمْ لَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِن رَّبِّكَ ۖ (٤٨) وَالسَّلَاطَةُ عَلَىٰ مِنِّي أَتَّبِعُ ۖ (٤٩) أَلْهَدَىٰ ۖ (٥٠) إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ (٥١) قَالَ مَن رَّبُّكُمَا يَمْوَسَّىٰ ۖ (٥٢) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ (٥٣) فَدُهِدَىٰ ۖ (٥٤) قَالَ فَتَابَ الْكُفْرُونَ ۖ (٥٥) الْأُولَىٰ ۖ

اجتباء مني لك، واختياراً لرسالتي، والبلاغ عني، والقيام بأمرني ونهيي.

(٤٢-٤٤) اذهب - يا موسى - أنت وأخوك هارون بآياتي الدالة على ألوهيتي وكمال قدرتي وصدق رسالتك، ولا تضعفنا عن مداومة ذكري. اذهبا معاً إلى فرعون؛ إنه قد جاوز الحد في الكفر والظلم، فقولا له قولاً لطيفاً؛ لعله يتذكر أو يخاف ربه.

(٤٥) قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة، أو أن يتمرد على الحق فلا يقبله.

(٤٦-٤٨) قال الله لموسى وهارون: لا تخافا من فرعون؛ فإنني معكما أسمع كلامكما وأرى أفعالكما، فاذهبا إليه وقولا له: إننا رسولان إليك من ربك أن أطلق بني إسرائيل، ولا تكلفهم ما لا يطيقون من الأعمال، قد أتيناك بدلالة معجزة من ربك تدل على صدقنا في دعوتنا، والسلامة من عذاب الله تعالى لمن اتبع هداة. إن ربك قد أوحى إلينا أن عذابه على من كذب وأعرض عن دعوته وشريعته.

(٤٩) قال فرعون لهما - على وجه الإنكار -: فمن ربكما يا موسى؟

(٥٠) قال له موسى: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه اللائق به على حسن صنعه، ثم هدى كل خلق الهداية الكاملة إلى الانتفاع بها خلقه الله له.

(٥١) قال فرعون لموسى - على وجه المغالطة والمشاغبة -: فما شأن الأمم السابقة؟ وما خبر القرون الماضية، فقد سبقونا إلى الإنكار والكفر؟

قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّاكُمْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ۝ كُنُوزًا وَأَنْزَعُوا الْأَعْمَاقُ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آلِ نَبِيِّنَا كُلِّهَا فَكَذَّبَ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْنَا نَبِيِّنَا أَيسِئَرْ قَسِيْرٌ ۝ فَلَمْ يَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ قَسِيْرٍ ۝ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوِيًّا ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ صُوِيًّا ۝ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۝ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَفِيكُمْ لَا تُقَرِّبُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَرَتِ ۝ فَتَنَزَّلُوا أَمْرُهُمْ يُبَيِّنُهُمْ وَأَسْرُوا ۝ التَّجْوِي ۝ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ الْمُنَىٰ ۝ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ فَاُتُوا أَصْفَاءَ ۝ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَىٰ ۝

(٥٢) قال موسى لفرعون: ما سألت عنه ليس ممّا نحن بصددّه، بل علّم تلك القرون فيما فعلت من ذلك عند ربّي في اللوح المحفوظ، ولا علّم لي به، لا يضل ربّي في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى شيئاً ممّا علّمه منها.

(٥٣) هو الذي جعل لكم الأرض ميسرة للارتفاع بها، وجعل لكم فيها طرقاً كثيرة، وأنزل من السماء مطراً، فأخرج به أنواعاً مختلفة من النبات.

(٥٤) كلوا - أيها الناس - من طيبات ما أنبتنا لكم، وارعوا حيواناتكم وبهائمكم. إن في كل ما ذكر لعلاّمات على قدرة الله، ودعوة لوحدانيته وإفراده بالعباد، لذوي العقول السليمة.

(٥٥) من الأرض خلقناكم - أيها الناس - وفيها نعيدكم بعد الموت، ومنها نخرجكم أحياء مرة أخرى للحساب والجزاء.

(٥٦) ولقد أرينا فرعون أدلّتنا وحججنا جميعها، الدالّة على ألوهيتنا وقدرتنا وصدّقي رسالة موسى فكذب بها، وامتنع عن قبول الحق.

(٥٧) قال فرعون: هل جئتنا - يا موسى -

لتخرجنا من ديارنا بسحرك هذا؟

(٥٨) فسوف نأتيك بسحر مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعداً محمّداً، لا نخلفه نحن ولا تخلفه أنت، في مكان مستوٍ معتدل بيننا وبينك.

(٥٩) قال موسى لفرعون: موعدكم للاجتماع يوم العيد، حين يتزوّج الناس، ويجمعون من كل فجٍ وناحية وقت الضحى.

(٦٠) فأدبر فرعون معرضاً عما أتاه به موسى من الحق، فجمع سحرته، ثم جاء بعد ذلك لموعد الاجتماع.

(٦١) قال موسى لسحرة فرعون يعظمهم: احذروا، لا تخلفوا على الله الكذب، فيستأصلكم بعذابٍ من عنده ويبيدكم. وقد خسر من اختلق على الله كذباً.

(٦٢-٦٤) فتجاذب السحرة أمرهم بينهم وتجادثوا سرّاً، قالوا: إنّ موسى وهارون لساحران يريدان أن يخرجّاكم من بلادكم بسحرهما، ويذهبا بطريقة السحر العظيمة التي أنتم عليها، فأحكموا كيدهم، واعزموا عليه من غير اختلاف بينكم، ثم اتوا صفّاً واحداً، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة؛ لتبهروا الأبصار، وتغلبوا سحر موسى وأخيه، وقد ظفّر بحاجته اليوم من علا على صاحبه، فقلبه وقهره.

(٦٥) قال السحرة: يا موسى إما أن تلقى عصاك أولاً، وإما أن نبدا نحن فنلقى ما معنا. (٦٦، ٦٧) قال لهم موسى: بل ألقوا أنتم ما معكم أولاً، فألقوا جبابهم وعصيهم، فتخيل موسى من قوة سحرهم أنها حيات تسعى، فشعر موسى في نفسه بالخوف.

(٦٨) قال الله لموسى حينئذ: لا تخف من شيء، فإنك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنوده، وستغلبهم.

(٦٩) وألقى عصاك التي في يمينك تبطل جبابهم وعصيهم، فما عملوه أمامك ما هو إلا مكر ساحر وتخييل يسخر، ولا يظفر الساحر بسحره أين كان.

(٧٠) فألقى موسى عصاه، فبطلت ما صنعوا، فظهر الحق وقامت الحجة عليهم. فألقى السحرة أنفسهم على الأرض ساجدين وقالوا: آمنا برب هارون وموسى، لو كان هذا سحراً ما غلبنا.

(٧١) قال فرعون للسحرة: أصدقتم بموسى، واتبعتموه، وأقرتم له قبل أن آذن لكم بذلك؟ إن موسى لمعظيكم الذي علمكم السحر؛ فلذلك تابعتموه، فألقطع أيديكم وأرجلكم مخالفاً بينها، بدأ من جهة ورجلاً من الجهة الأخرى، ولأصليكم - بربط أجسادكم - على جذوع النخل، ولتعلمن أيها السحرة أينما: أنا أو رب موسى أشد عذاباً من الآخر، وأدوم له؟

(٧٢) قال السحرة لفرعون: لن نفضلك، فنطيعك وتبع دينك على ما جاءنا به موسى من البيانات الدالة على صدقه، ووجوب متابعتة وطاعته، ولن نُفصل ربوبيتك المزعومة على ربوبية الله الذي خلقنا، فافعل ما أنت فاعل بنا، إنما سلطانك في هذه الحياة الدنيا، وما تفعله بنا ما هو إلا عذاب منتبه بانتهائها.

(٧٣) إنا آمنا بربنا وصدقنا رسوله وعملنا بما جاء به، ليعفو ربنا عن ذنوبنا، وما أكرهتنا عليه من عمل السحر في معارضة موسى. والله خير لنا منك - يافرعون - جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذاباً لمن عصاه وخالف أمره.

(٧٤) إنه من يأت ربه كافراً به فإن له نار جهنم يُعَذَّب بها، لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها.

(٧٥، ٧٦) ومن يأت ربه مؤمناً به قد عمل الأعمال الصالحة فله المنازل العالية في جنات الإقامة الدائمة، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، وذلك النعيم المقيم ثواب من الله لن طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده فأطاعه واجتنب معاصيه، ولقي ربه لا يشركه بعبادته أحداً من خلقه.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي فَأَصْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَجَسًا ۚ فَلْيَتَّبِعْهُمْ فَرْعُونُ
يُجَاوِزُهُمْ فَفَشِلُوهُمْ مِنَ الْبَحْرِ مَعًا غَيْرُكُمْ ۚ وَلَنْ نَسْرَ فَرْعُونَ قَوْمَهُ
وَمَا هَدَىٰ إِلَيْنَا سَبِيلًا ۚ قَدْ أَفْلَحَ كُفْرُكُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ وَعَدْنَكُمْ
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ۚ كُلُوا مِنْ
طَبَقَتِ مَارِزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
وَمَنْ يُجِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۚ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَنْ تَابَ
وَأَمِنْ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ۚ ﴿٧٨﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ
قَوْمِكَ يَمْوَسِي ۚ قَالَ هُمْ أَوْلَىٰ عَلَيَّ أَتْرَدِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۚ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
السَّامِرِيُّ ۚ ﴿٨٠﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ
يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَبُلَّ عِلْكُمُ الْعَهْدُ
أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ
مَوْعِدِي ۚ ﴿٨١﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِكَ وَلَكِنَّا خُفْنَا
أُورَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ تَفَنَّا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٢﴾

(٧٧) ولقد أوحينا إلى موسى: أن أخرج ليلاً
بعبادي من بني إسرائيل من «مصر»، فأخذ
لهم في البحر طريقاً يابساً، لا تخاف من فرعون
وجنوده أن يلحقوك فيدركوكم، ولا تخشى في
البحر غرقاً.

(٧٨) فأمرى موسى بني إسرائيل، وعبر
بهم طريقاً في البحر، فأتبعهم فرعون بجنوده،
فغمرهم من الماء ما لا يعلم كنهه إلا الله، فغرقوا
جميعاً ونجا موسى وقومه.

(٧٩) وأضل فرعون قومه بما زينهم لهم من الكفر
والتكذيب، وما سلك بهم طريق الهداية.

(٨٠) يا بني إسرائيل اذكروا حين أنجيناكم
من عدوكم فرعون، وجعلنا موعدكم الجانب
الأيمن من جبل الطور لإنزال التوراة عليكم،
ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصمغ
طعمه كالعسل والطير الذي يشبه الشبثي.

(٨١) كلوا من رزقنا الطيب، ولا تعتدوا فيه بأن
يظلم بعضكم بعضاً، فينزل بكم غضبي، ومن
ينزل به غضبي فقد هلك وخسر.

(٨٢) وإني لأعلم لمن تاب وعمل الأعمال الصالحة، ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه.

(٨٣) وأي شيء أعجلك عن قومك - يا موسى - فسبقتهم إلى جانب الطور الأيمن، وخلفتهم وراءك؟

(٨٤) قال: إنهم خلفي سوف يلحقون بي، وسبقتهم إليك - يا رب - لتزداد عني رضا.

(٨٥) قال الله لموسى: فإننا قد ابتلينا قومك بعد فراقك بإيهام بعبادة العجل، وإن السامري قد أضلهم.

(٨٦) فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزياً، وقال لهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بإنزال التوراة؟

أفطال عليكم العهد واستطأتم الوعد، أم أردتم أن تفعلوا فعلاً يجل عليكم بسببه غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي
وعبدتم العجل، وتركتم الالتزام بأوامري؟

(٨٧) قالوا: يا موسى ما أخلفنا موعدك باختيارنا، ولكننا خففنا أثقلاً من حلٍّ قوم فرعون، فألقيناها في حفرة فيها نار بأمر
السامري، فكَذَلِكَ أَلْقَى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام.

(٨٨) فصنع السامري لبني إسرائيل من الذهب عجلًا جسدًا يجور خوار البقر، فقال المفتونون به منهم للآخرين: هذا هو إلهكم وإله موسى، نسيه وعقل عنه.

(٨٩) أفلا يرى الذين عبدوا العجل أنه لا يكلمهم ابتداء، ولا يرد عليهم جوابًا، ولا يقدر على دفع ضرر عنهم، ولا جلب نفع لهم؟

(٩٠) ولقد قال هارون لبني إسرائيل من قبل رجوع موسى إليهم: يا قوم إنما اختبرتم بهذا العجل؛ لظهر المؤمن منكم من الكافر، وإن ربكم الرحمن لا غيره فاتبعوني فيها أدعوكم إليه من عبادة الله، وأطيعوا أمري في اتباع شره.

(٩١) قال عبادة العجل منهم: لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى.

(٩٢، ٩٣) قال موسى لأخيه هارون: أي شيء منعك حين رأيتهم ضلوا عن دينهم أن لا تتبعني، فتلحق بي وتركهم؟ أفعميت أمري فيها أمرتك به من خلافتي والإصلاح بعدي؟

(٩٤) ثم أخذ موسى بلحية هارون ورأسه يجزئه إليه، فقال له هارون: يا بن أمي لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، إني خفتُ -إن تركتهم ولحقت بك- أن تقول: فرقت بين بني إسرائيل، ولم تحفظ وصيتي بحسن رعايتهم.

(٩٥) قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري؟ وما الذي دعاك إلى ما فعلته؟

(٩٦) قال السامري: رأيت ما لم يره -وهو جبريل عليه السلام- على فرس، وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده، فأخذتُ بكفي ترابًا من أثر حافر فرس جبريل، فألقيته على الحلي الذي صنعتُ منه العجل، فكان عجلًا جسدًا له خوار؛ بلاء وفتنة، وكذلك زينت لي نفسي الأمانة بالسوء هذا الصنيع.

(٩٧) قال موسى للسامري: فاذهب فإن عقوبتك في الحياة الدنيا أن تعيش منبذًا تقول لكل أحد: لا أئس ولا أئس، وإن لك موعدًا في الآخرة لعذابك وعقابك، لن يُخلّفك الله إياه، وسوف تلقاه، وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته لئحرقته بالنار، ثم لتذروته في البحر ذروًا لتذهب به الريح؛ حتى لا يبقى منه أثر.

(٩٨) إنها إلهكم -أيها الناس- هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو، وسع علمه كل شيء.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
وَالَهُ مُوسَى فَقَسَى ۖ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِلَهُهُمْ قَوْلًا
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ
مِنْ قَبْلُ يَقُولُ: إِنَّمَا أَقْبَضْتُم بِرَبِّهِ وَإِنْ رَبِّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۖ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَى ۖ قَالَ يَبْهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ
أَلَمْ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۖ قَالَ يَبْتَغُونَ لَكَ تَاخُذَ بِلِحْيَتِي
وَأَبْرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَلَمْ تَفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ۖ قَالُوا فَخَطْبُكَ يُسْلمُ ۖ قَالَ
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ
الرَّسُولِ فَبَدَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۖ قَالَ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۖ إِنَّمَا
إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا ۖ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا
ۖ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۖ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ وَتُخْشَرُ الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ يَخْفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ وَنَسُوا نَكَاحَ عَنِ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ
لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ
لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
ۖ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ لَهُ ۖ
قَوْلًا ۖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ
عَلَّمَآ ۖ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۖ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا
فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ

(٩٩) كما قصصنا عليك - أيها الرسول - أنباء موسى وفرعون وقومهما، نخبرك بأنباء السابقين لك. وقد آتيناك من عندنا هذا القرآن ذكرى لمن يتذكر.

(١٠٠) من أعرض عن هذا القرآن، ولم يصدق به، ولم يعمل بما فيه، فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل إثماً عظيماً.

(١٠١) خالدين في العذاب، وساء لهم ذلك الحمل الثقيل من الآثام؛ حيث أوردتهم النار.

(١٠٢) يوم يُنفخ الملك في «القرن» لصيحة البعث، ونسوق الكافرين ذلهم اليوم وهم زرق، تغيرت ألوانهم وعيونهم؛ ومن شدة الأحداث والأحوال.

(١٠٣) يتهايمسون بينهم، يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الحياة الدنيا إلا عشرة أيام.

(١٠٤) نحن أعلم بما يقولون ويُسررون حين يقول أعلمهم وأوفاهم عقلاً: ما لبثتم إلا يوماً واحداً؛ لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم القيامة.

(١٠٥) ويسألك - أيها الرسول - قومك عن مصير الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يزيلها ربي عن أماكنها فيجعلها هباء منبثاً.

(١٠٦، ١٠٧) فيترك الأرض حينئذ منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها، لا يرى الناظر إليها من استوائها مثلاً ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً.

(١٠٨) في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى موقف القيامة، لا يحيد عن دعوة الداعي؛ لأنها حق وصدق لجميع الخلق، وسكنت الأصوات خضوعاً للرحمن، فلا تسمع منها إلا صوتاً خفياً.

(١٠٩) في ذلك اليوم لا تنفع الشفاعة أحدًا من الخلق، إلا إذا أذن الرحمن للشافع، ورضي عن المشفوع له، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص.

(١١٠) يعلم الله ما بين أيدي الناس من أمر القيامة وما خلفهم من أمر الدنيا، ولا يحيط خلقه به علماً سبحانه وتعالى.

(١١١) وخضعت وجوه الخلائق وذلت لخالقها، الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، القائم على تدبير كل شيء، المستغني عنهم سواء. وقد خسر يوم القيامة من أشرك مع الله أحدًا من خلقه.

(١١٢) ومن يعمل صالحات الأعمال وهو مؤمن بربه، فلا يخاف ظلماً بزيادة سيئاته، ولا هضماً بنقص حسناته.

(١١٣) وكما رغبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، وحذرننا أهل الكفر من المقام على معاصيهم وكفرهم بأيائنا، أنزلنا هذا القرآن باللسان العربي؛ ليفهموه، وفصلنا فيه أنواعاً من الوعيد؛ وجاء أن يتقوا ربهم، أو يُحْدِثُ لَهُمْ هذا القرآن تذكراً، فيتعتلوا، ويعتبروا.

(١١٤) فتَنَزَّهَ اللهُ - سبحانه - وارتفع، وتقدَّس عن كل نقص، الملك الذي فُهر سلطانه كل ملك وجبار، المتصرف بكل شيء، الذي هو حق، ووعدته حق، ووعدته حق، وكل شيء منه حق. ولا تعجل - أيها الرسول - بمسابقة جبريل في تلقِّي القرآن قبل أن يُفَرِّغَ منه، وقل: رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا إلى ما علمتني.

(١١٥) ولقد وصينا آدم من قبل أن يأكل من الشجرة، ألا يأكل منها، وقلنا له: إن إبليس عدو لك ولزوجك، فلا يغرِجنكما من الجنة، فتشقى أنت وزوجك في الدنيا، فوسوس إليه الشيطان، فأطاعه آدم ونسي الوصية، ولم نجد له قوة في العزم يحفظ بها ما أمر به.

(١١٦) واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام، فأطاعوا وسجدوا، لكن إبليس امتنع عن السجود.

(١١٧) فقلنا: يا آدم إن إبليس هذا عدو لك ولزوجك، فاحذرا منه ولا تطعاه بمعصيتي، فيخرجكما من الجنة، فتشقى إذا أخرجت منها. (١١٨) إن لك - يا آدم - في هذه الجنة أن تأكل فلا تجوع، وأن تلبس فلا تغرى.

فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِئِكُ الْمَقِيُّ وَلَا تَعَجَلْ بِالْقُرْآنِ إِنَّ مِنْ قَبْلِكَ أَنْ يَقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ۝ إِنَّ ۝ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوْجُكَ فَلَا يَخْرِجَنَّكَمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۝ إِنَّ لَكَ الْأَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَرُ فِيهَا وَلَا تَنْصَحَى ۝ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخَالِدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْئَلُ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَفَا بِخُصْفَيْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ أَجْنَبَ رَبُّهُ وَقَابَ عَلَيْهِ وَهْدَى ۝ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا بَايَنَّا كُفْرَهُنَّ هَدَىٰ قَعْنِ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْفَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ زِدْ حَشْرَتِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝

(١١٩) وأن لك ألا تعطش في هذه الجنة ولا يصيبك حر الشمس.

(١٢٠) فوسوس الشيطان لآدم وقال له: هل أدلك على شجرة، إن أكلت منها خُلِدْتَ فلم تمت، وملكت مُلْكًا لا ينقطع؟

(١٢١) فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها، فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما، فأخذوا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما؛ ليسترا ما انكشف من عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه، غوى بالأكَل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها.

(١٢٢) ثم اصطفى الله آدم وقربه، وقبل توبته، وهداه رشده.

(١٢٣) قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة إلى الأرض جميعاً مع إبليس، فأنتما وهو أعداء، فإن يأتكم مني هدى وبيان فمن اتبع هداي وبياي وعمل بها فإنه يرشد في الدنيا، ويتبدى، ولا يشقى في الآخرة بعقاب الله.

(١٢٤) ومن تولى عن ذكرى الذي أذكركم به فإن له في الحياة الأولى معيشة ضيقة شاقة - وإن ظهر أنه من أهل الفضل واليسار -، ويُضَيَّقُ قبره عليه ويعذب فيه، ونحشره يوم القيامة أعمى عن الرؤية وعن الحجة.

(١٢٥) قال المعرض عن ذكر الله: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى، وقد كنت بصيراً في الدنيا؟

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَلَمٌّ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْهُهُمَا فَجَبَلْهُمْ مِنْ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٢٨﴾
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾
فَاصْبِرْ عَلَى مَا يُولَوْنَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَتَانِ الْيَلِّ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَاهُ زَوْجًا مَّمْتَنَةً زَاهِيَةً
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَتَنفَضَّ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْ يَدَيْكَ وَخَيْرٌ وَأَلَمٌّ ﴿١٣١﴾ وَأَمْرُ أَهْلِكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ
لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا بِآيَاتِهِ مِنْ رَبِّهِ أَلَمْ تَأْتِهِمْ
بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مَرِيضٍ مُّرِيضٌ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

(١٢٦) قال الله تعالى له: حشرتك أعمى؛ لأنك
أتيتك آياتي البينات، فأعرضت عنها، ولم تؤمن
بها، وكما تركتها في الدنيا فكذلك اليوم تُترك في
النار.

(١٢٧) وهكذا ناعقب مَنْ أسرف على نفسه
فحصى ربه، ولم يؤمن بآياته بعقوبات في الدنيا،
ولعذاب الآخرة المعداد لهم أشد المأ وأدوم
وأثبت؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي.

(١٢٨) أفلم يدُلْ قومك -أيها الرسول- على
طريق الرشاد كثرة مَنْ أهلكنا من الأمم المكذبة
قبلهم وهم يعيشون في ديارهم، ويسرون آثار
هلاكهم؟ إن في كثرة تلك الأمم وآثار عذابهم
لَعِبْرًا وعظات لأهل العقول الواعية.

(١٢٩) ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل
مسمى عنده للآزمهم الهلاك عاجلاً؛ لأهم
يستحقونه؛ بسبب كفرهم.

(١٣٠) فاصبر -أيها الرسول- على ما يقوله
المكذبون بك من أوصاف وأباطيل، وسبِّح
بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس،

وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة العشاء في ساعات الليل، وسبِّح بحمد ربك أطراف النهار في صلاة الظهر -إذ
وقتها طرف النصف الأول والنصف الثاني من النهار- وفي صلاة المغرب؛ كي تتاب على هذه الأعمال بما تَرْضَى به.

(١٣١) ولا تنظر إلى ما مَتَّعْنَا به هؤلاء المشركين وأمثالهم من أنواع المتع، فإنها زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعناهم بها؛
لنتلبيهم بها، ورزق ربك وثوابه خير لك مما متعناهم به وأدوم؛ حيث لا انقطاع له ولا نفاد.

(١٣٢) وَأَمْرٌ -أيها النبي- أهلكك بالصلاة، واصطبر على أدائها، لا نسألك مالا، نحن نرزقك ونعطيك. والعاقبة الصالحة
في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.

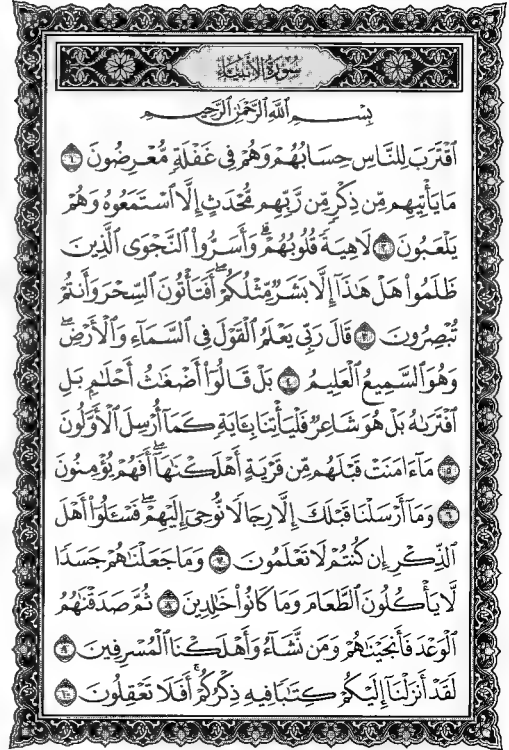
(١٣٣) وقال مكذبوك -أيها الرسول-: هَلَّا تَأْتِينَا بِعَلَامَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِكَ، أَمْ لَمْ يَأْتِهِمْ هَذَا الْقُرْآنُ الْمَصْدَقُ لِمَا فِي
الكتب السابقة مِنَ الْحَقِّ؟

(١٣٤) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَنَزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا لَقَالُوا: رَبَّنَا هَلَّا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ عِنْدِكَ، فنصدق، ونتبع آياتك وشرعك، مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَخْزَى بِعَذَابِكَ.

(١٣٥) قُلْ -أيها الرسول- هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ بِاللَّهِ: كُلُّ مَنْ مَتَّعْتُمْ مِنْكُمْ مَنَظَرَ دَوَائِرِ الزَّمَانِ، وَلَمْ يَكُنِ الْفَلَاحُ وَالْفَلَاحُ، فَانْتَظَرُوا،
فَسَتَعْلَمُونَ: مَنْ أَهْلُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَنْ الْمُهْتَدِي لِلْحَقِّ مَعَنَا وَمَنْ مَعَكُمْ؟

﴿سورة الأنبياء﴾

- (١) ذنا وقت حساب الناس على ما قدّموا من عمل، ومع ذلك فالكفار يعيشون لاهين عن هذه الحقيقة، معرضين عن هذا الإنذار.
- (٢) ما من شيء ينزل من القرآن يتلى عليهم مجدداً لهم التذكير، إلا كان سماعهم له سماع لعب واستهزاء.
- (٣) قلوبهم غافلة عن القرآن الكريم، مشغولة بأباطيل الدنيا وشهواتها، لا يعقلون ما فيه. بل إن الظالمين من قريش اجتمعوا على أمر خفي: وهو إشاعة ما يصدّون به الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من أنه بشر مثلهم، لا يختلف عنهم في شيء، وأن ما جاء به من القرآن سحر، فكيف تغيثون إليه وتبعونه، وأنتم تبصرون أنه بشر مثلكم؟
- (٤) ردّ النبي صلى الله عليه وسلم الأمر إلى ربه سبحانه وتعالى فقال: ربي يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم ما أسرّهم من حديثكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم. وفي



هذا تهديد لهم ووعد.

- (٥) بل جحد الكفار القرآن فيمن قائل: إنه أخلط أحلام لا حقيقة لها، ومن قائل: إنه اختلاق وكذب وليس حياً، ومن قائل: إن محمداً شاعر، وهذا الذي جاء به شعر، وإن أراد منا أن نصدّقه فليجتنا بمعجزة محسوسة ككنافة صالح، وآيات موسى وعيسى، وما جاء به الرسل من قبله.
- (٦) ما أمنت قبل كفار «مكة» من قرية طلب أهلها المعجزات من رسولهم وتحققت، بل كذبوا، فأهلكناهم، أفبؤمن كفار «مكة» إذا تحققت المعجزات التي طلبوها؟ كلا إنهم لا يؤمنون.
- (٧) وما أرسلنا قبلك -أيها الرسول- إلا رجالاً من البشر نوحى إليهم، ولم نرسل ملائكة، فاسألوا -يا كفار «مكة»- أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون ذلك.
- (٨) وما جعلنا أولئك المرسلين قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب، وما كانوا خالدين لا يموتون.
- (٩) ثم أنجزنا للأنبياء وأتباعهم ما وعدناهم به من النصر والنجاة، وأهلكنا المسرفين على أنفسهم بكفرهم برهم.
- (١٠) لقد أنزلنا إليكم هذا القرآن، فيه عزكم وشرفكم في الدنيا والآخرة إن تذكركم به، أفلا تعقلون ما فضلناكم به على غيركم؟

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّهَا لَا تَرْجِعُهُمْ إِلَى مَا أَتَوْا فِيهِ وَمَسَّيَكَ كَمَا لَعَلَّكُمْ
تُسْئِلُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَوْلَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٣﴾ فَمَا لَكَ تِلْكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلِيبِينَ ﴿١٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْبَعِيدَ ﴿١٥﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
لَهُمْ آلَافْتَئِدَةً مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَلِيعَلَّيْنِ ﴿١٦﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٧﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٨﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلَ اللَّهِ لِقَدْ تَأَسَّيْتُمْ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَقُولُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ آلَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ
مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾

(١١) وكثير من القرى كان أهلها ظالمين بكفرهم بها جاءتهم به رسلهم، فأهلكناهم بعذاب أبادهم جميعاً، وأوجدنا بعدهم قوماً آخرين سواهم.

(١٢) فلما رأى هؤلاء الظالمون عذابنا الشديد نازلاً بهم، وشاهدوا بوادره، إذا هم من قريتهم يسرعون هاربين.

(١٣) فنودوا في هذه الحال: لا تهربوا وارجعوا إلى لذاتكم وتنعّمكم في دنياكم الملهية ومسكنكم المشيدة، لعلكم تسألون من دنياكم شيئاً، وذلك على وجه السخرية والاستهزاء بهم.

(١٤) فلم يكن لهم من جواب إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا.

(١٥) فما زالت تلك المقالة - وهي الدعاء على أنفسهم بالهلاك، والاعتراف بالظلم - دعوّتهم يردونها حتى جعلناهم كالزروع المحصود، خامدين لا حياة فيهم. فاحذروا - أيها المخاطبون - أن تستمروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، فيحل بكم ما حل بالأمم قبلكم.

(١٦) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً وباطلاً، بل لإقامة الحجة عليكم - أيها الناس -

ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي خلق ذلك لا يشبهه شيء، ولا تصلح العبادة إلا له.

(١٧) لو أردنا أن نتخذ لهم من الولد أو الصاحبة لاتخذناه من عندنا لا من عندهم، ما كنا فاعلين ذلك؛ لاستحالة أن يكون لنا ولد أو صاحبة.

(١٨) بل نقذف بالحق ونبيّئه، فيدحض الباطل، فإذا هو ذاهب مضمحل. ولكم العذاب في الآخرة - أيها المشركون - من وُصفكم بركم بغير صفته اللائقة به.

(١٩) والله سبحانه كل من في السموات والأرض، والذين عنده من الملائكة لا يأتقون عن عبادته ولا يملأونها. فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخالقه؟

(٢٠) يذكرون الله ويترهونه دائماً، لا يَضَعُون ولا يسأمون.

(٢١) كيف يصح للمشركين أن يتخذوا آلهة عاجزة من الأرض لا تقدر على إحياء الموتى؟

(٢٢) لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونها، لاختل نظامها، فتنزّه الله رب العرش، وتقدّس عمّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص.

(٢٣) إن من دلائل تفرّده سبحانه بالخلق والعبادة أنه لا يُسأل عن قضائه في خلقه، وجميع خلقه يُسألون عن أفعالهم.

(٢٤) هل اتخذ هؤلاء المشركون من غير الله آلهة تنفع وتضر ونجي ونميت؟ قل - أيها الرسول - لهم: هاتوا ما لديكم من البرهان على ما اتخذوه آلهة، فليس في القرآن الذي جنّت به ولا في الكتب السابقة دليل على ما ذهبتم إليه، وما أشركوا إلا جهلاً وتقليداً، فهم معرضون عن الحق منكرين له.

(٢٥) وما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- من رسول إلا نوحى إليه أنه لا معبود بحق إلا الله، فأخلصوا العبادة له وحده.

(٢٦، ٢٧) وقال المشركون: اتخذ الرحمن ولداً
بزعمهم أن الملائكة بنات الله. تنزه الله عن
ذلك؛ فالملائكة عباد الله مقربون مخلصون
بالفضائل، وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون
إلا بما يأمرهم به ربه، ولا يعملون عملاً حتى
يأذن لهم.

(٢٨) وما من أعمال الملائكة عمل سابق أو لاحق إلا يعلمه الله سبحانه وتعالى، ويحصى عليهم، ولا يتقدمون بالشفاعاة إلا لمن ارتضى الله شفاعتهم له، وهم من خوف الله حذرون من مخالفة أمره ونهيه.

(٢٩) ومن يدع من الملائكة أنه إله مع الله - على سبيل الفرض - فجزاؤه جهنم، مثل ذلك الجزاء نجزي كل ظالم مشرك.

(٣٠) أو لم يعلم هؤلاء الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا لمتصقتين لا فاصل بينهما، فلا مطر من السماء ولا نبات من الأرض، ففصلناهما بقدرتنا، وأنزلنا المطر من السماء، وأخرجنا النبات من الأرض، وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمن هؤلاء الجاحدون

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ كُلِّ عِبَادٌ لَهُ مُكْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ شَيْءٍ يُشْفَعُونَ بِهِ أَفَقَوْلِهِمْ يَأْتِرُهُم بِطَارِعٍ مُعَمَّلُونٌ ﴿٢٣﴾ يَعْلَمُونَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَخَلْفَهُمْ وَلَا يُنْقِصُونَ الْإِلَهَ لِمَنْ ارْتَضَىٰ مِنْهُمْ وَهُمْ فِي حَسْبِهِ مُتَشَفِعُونَ ﴿٢٤﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْيَاكُنْ تُجَارِيَهُ جِهَةً كَذَلِكَ يُضَيِّرُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا نِفْقًا فَنَفَقَتْهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا جِبَالًا سُبُكًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢٨﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ قَبْلَكَ الْخَلْدَ أَفَلَا يَمْنَنَ فَعَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَوْكُمْ بِالْبَأْسِ وَالْخَيْرِ فَرِحْتُمْ وَلَيْتَانِيَّا زَجَعُونَ ﴿٣١﴾

فيصدقوا بما يشاهدونه، ويخصّصوا الله بالعبادة؟

(٣١) وخلقنا في الأرض جبالاً لئلا تثبتها حتى لا تضطرب، وجعلنا فيها طرقاً واسعة؛ رجاء اهتداء الخلق إلى معاشيهم، وتوحيد خالقهم.

(٣٢) وجعلنا السماء سقفاً للأرض لا يرفعها عماد، وهي محفوظة لا تسقط، ولا تخترقها الشياطين، والكفار عن الاعتبار بآيات السماء (الشمس والقمر والنجوم)، غافلون لا هون عن التفكير فيها.

(٣٣) والله تعالى هو الذي خلق الليل؛ ليسكن الناس فيه، والنهار؛ ليطلبوا فيه المعاش، وخلق الشمس آية للنهار، والقمر آية لليل، ولكل منهما مدار يجري فيه وَيُسَمَّى لا يحيد عنه.

(٣٤) وما جعلنا لبشر من قبلك - أيها الرسول - دوام البقاء في الدنيا، أفإن مت فهم يؤملون الخلود بعدك؟ لا يكون هذا. وفي هذه الآية دليل على أن الخضر عليه السلام قد مات؛ لأنه بشر.

(٣٥) كل نفس ذائقة الموت لا محالة مهما عُمِّرت في الدنيا. وما وجودها في الحياة إلا ابتلاء بالتكاليف أمراً ونهياً، وتقلب الأحوال خيراً وشرّاً، ثم المآل والمرجع بعد ذلك إلى الله - وحده - للحساب والجزاء.

وَأَذَرْنَا لَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخْذُوكَ الْأَهْرُؤُا أَهْذًا
الَّذِي يَذْكُرُ آيَاتِنَا وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنُ هُمْ
كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ أَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكُونُونَ عَنْ وَجْهِهِ النَّارُ وَلَا عَنْ طُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُصْرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ
يُرْسِلُ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
يَهْتَكِرُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
أَمَّا لَهُمُ الْهَتْكِرُ تَمَنُّعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَاعًا هَؤُلَاءِ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَاعًا هَؤُلَاءِ
وَأَنبَاءُ هُرْحُرٍ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا أَنَا فِي
الْأَرْضِ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

(٣٦) وإذا رآك الكفار - أيها الرسول - أشاروا إليك ساخرين منك يقول بعضهم لبعض: هذا الرجل الذي يسبأ أهلكم؟ وجحدوا بالرحمن ونعمه، وبما أنزله من القرآن والهدى.

(٣٧) خلق الإنسان عجولاً، يبادر الأشياء ويستعجل وقوعها، وقد استعجلت قريش العذاب واستبطأت وقوعه، فأنذرهم الله بأنه سيرهم ما يستعجلونه من العذاب، فلا يسألوا الله تعجيله وسرعته.

(٣٨) ويقول الكفار - مستعجلين العذاب مستهزين - متى حصول ما تعدنا به يا محمد، إن كنت أنت ومن اتبعك من الصادقين؟

(٣٩) لو يعلم هؤلاء الكفار ما يلاقونه عندما لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم وظهورهم النار، ولا يجدون لهم ناصراً ينصرهم؛ لَمَا أقاموا على كفرهم، ولَمَا استعجلوا عذابهم.

(٤٠) ولسوف تأتيمهم الساعة فجأة، فيتحيرون عند ذلك، ويخافون خوفاً عظيماً، ولا يستطيعون

دفع العذاب عن أنفسهم، ولا يُمهلون لاستدراك توبة ولا اعتذار.

(٤١) ولقد استهزأ يرسل من قبلك أيها الرسول، فحل بالذين كانوا يستهزئون العذاب الذي كان مثار سخريتهم واستهزائهم.

(٤٢) قل - أيها الرسول - هؤلاء المستعجلين بالعذاب: لا أحد يحفظكم ويحرسكم في ليكم أو نهاركم، في نوكم أو يظنكم، من بأس الرحمن إذا نزل بكم. بل هم عن القرآن ومواعظ ربهم لاهون غافلون.

(٤٣) أَلَهُمْ آلهة تمنعهم من عذابنا؟ إن أهلكهم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم؟ وهم منا لا يجارون.

(٤٤) لقد اغتر الكفار وآباؤهم بالإمهال لِمَا رَأَوْهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَيْنِ وَطُولِ الْأَعْيَارِ، فأقاموا على كفرهم لا يَبْرَحُونَ، وظنوا أنهم لا يُعَذَّبُونَ وقد غَفَلُوا عَنْ سُنَّةِ ماضية، فإله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركين من بأس في كل ناحية ومن هزيمة، أيكون بوسع كفار «مكة» الخروج عن قدرة الله، أو الامتناع من الموت؟

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَسَّيْلُنَا إِنَّ كُنَّا لَمَلَكِينَ ﴿٤٦﴾ وَصَّعُ الْمَوَزِينِ أَلْفُسْطَلُ يَوْمَ الْفَيْصَةِ فَلَا تَنْظِلُمْ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْ قَالِ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْ يَتَاحُسِينِ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفَرَاقَانَ وَضِيَاءَ وَصَكَرَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ النَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَإِجْتَنَّا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَذْبُورِينَ ﴿٥٧﴾

(٤٥) قل - أيها الرسول - لمن أرسلت إليهم: ما أخوفكم من العذاب إلا بوحى من الله، وهو القرآن، ولكن الكفار لا يسمعون ما يلقى إليهم سماع تدبر إذا أنذروا، فلا ينتفعون به.

(٤٦) لو أصاب الكفار نصيب من عذاب الله لعلموا عاقبة تكذيبهم، وقابلوا ذلك بالدعاء على أنفسهم بالهلاك؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بعبادتهم غير الله.

(٤٧) ويضع الله تعالى الميزان العادل للحساب في يوم القيامة، ولا يظلم هؤلاء ولا غيرهم شيئا، وإن كان هذا العمل قلدر ذرة من خير أو شر عُدت في حساب صاحبها. وكفى بالله محصيا أعمال عباده، ومجازيا لهم عليها.

(٤٨، ٤٩) ولقد أتينا موسى وهارون حجة ونصرا على عدوهم، وكتابا - وهو التوراة - فرقنا به بين الحق والباطل، ونورا يهتدي به المتقون الذين يخافون عقاب ربهم، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة خائفون وجلون.

(٥٠) وهذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ذكركم لمن تذكر به، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه،

كثير الخير، عظيم النفع، أفتتكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟

(٥١) ولقد أتينا إبراهيم هداة، الذي دعا الناس إليه من قبل موسى وهارون، وكنا عالمين أنه أهل لذلك.

(٥٢) حين قال لأبيه وقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم أقمتم على عبادتها ملازمين لها؟

(٥٣) قالوا: وجدنا آباءنا عابدين لها، ونحن نعبدها اقتداء بهم.

(٥٤) قال لهم إبراهيم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في عبادتكم لهذه الأصنام في بُعْدٍ واضح بين عن الحق.

(٥٥) قالوا: أهذا القول الذي جئتنا به حق وجداً، أم كلامك لنا كلام لاعبٍ مستهزئ لا يدرى ما يقول؟

(٥٦) قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السموات والأرض الذي خلقهنَّ، وأنا من الشاهدين على ذلك.

(٥٧) وتالله لأمكرن بأصنامكم وأكسرهما بعد أن تتولوا عنها ذاهبين.

فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاءَ الْاِكْبِيرِ اَلِهَةً لَّعَلَّهُمْ اِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
 (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِاِلَهِتِنَا اِنَّهُمْ لَكَاِبِرٌ مِّنَ الظَّالِمِينَ
 قَالُوا سَمِعْنَا فَاقًى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ اِبْرَاهِيمُ (٥٩) قَالُوا قَالُوا
 يَوْمَ عَلَى اَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (٦٠) قَالُوا اِنَّتَ
 فَعَلْتَ هَذَا بِاِلَهِتِنَا يَا اِبْرَاهِيمُ (٦١) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَذَا فَاسْتَكَوْهُمْ اِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ (٦٢) فَرَجَعُوا اِلَى
 اَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا اِنَّكُمْ اَنْتُمْ الظَّالِمُونَ (٦٣) ثُمَّ نَكْسُوْا
 عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْظُرُونَ (٦٤) قَالَ
 اَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّٰهِ مَا لَمْ يَنْفَعْكُمُ شَيْئًا وَّلَا
 يَضُرَّكُمْ (٦٥) اَفِىْ لَكُمْ وِلْمًا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّٰهِ
 اَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٦) قَالُوا اَحَرَفُوْهُ وَاَنْصُرُوْا اِلَهِتَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ
 قُلْعَبِلَ (٦٧) قُلْنَا اِيْنَآرُكُونِيْ بَرْدًا وَّسَلَامًا عَلٰى اِبْرٰهِيْمَ
 (٦٨) وَاَزَادُوْا بِوَهِّ كَيْدٍ فَجَعَلْنَاهُمْ اَلْاَخْسَرٰى (٦٩) وَنَحْنُ نَحْنُ
 وُلُوْطًا اِلَى الْاَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيْهَا لِّلْعَالَمِيْنَ (٧٠) وَهَبْنَا
 لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ نَافِلَةً وَّكُنَّا جَعَلْنَا صِلٰحٰتِ (٧١)

(٥٨) فحطّم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعاً صغيرة، وترك كبيرها؛ كي يرجع القوم إليه ويسألوه، فيتبين عجزهم وضلالهم، وتقوم الحجة عليهم.

(٥٩) ورجع القوم، ورأوا أصنامهم محطمة مهانة، فسأل بعضهم بعضاً: من فعل هذا بألهتنا؟ إنه لظالم في اجترائه على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير.

(٦٠) قال من سمع إبراهيم يحلف بأنه سيكيد أصنامهم: سمعنا فتى يذكر الأصنام بسوء يقال له إبراهيم.

(٦١) قال رؤسائهم: فأتوا بإبراهيم على مرأى من الناس؛ كي يشهدوا على اعترافه بها قال؛ ليكون ذلك حجة عليه.

(٦٢) وجيء بإبراهيم وسألوه منكرين: أأنت الذي كسرت ألهتنا؟ يعنون أصنامهم.

(٦٣) وتم لإبراهيم ما أراد من إظهار سفههم على مرأى منهم. فقال محتجاً عليهم معرّضاً بغباوتهم: بل الذي كسرها هذا الصنم الكبير، فاسألوا ألهتكم المزعومة عن ذلك، إن كانت تتكلم أو تردّ جواباً.

(٦٤) فأسقط في أيديهم، وبداهم ضلالهم؛

كيف يعبدونها، وهي عاجزة عن أن تدفع عن نفسها شيئاً أو أن تحجب سائلها؟ وأقرّوا على أنفسهم بالظلم والشر.

(٦٥) وشرعان ما عاد إليهم عنادهم بعد إفحامهم، فانقلبوا إلى الباطل، واحتجوا على إبراهيم بما هو حجة له عليهم، فقالوا: كيف نسالها، وقد علمت أنها لا تنطق؟

(٦٦، ٦٧) قال إبراهيم محقراً لأصنام: كيف تعبدون أصناماً لا تنفع إذا عبدت، ولا تضر إذا تركت؟ قبحاً لكم ولألهتكم التي تعبدونها من دون الله تعالى، أفلا تعقلون فتدركون سوء ما أنتم عليه؟

(٦٨، ٦٩) لما بطلت حججهم وظهر الحق عدلوا إلى استعمال سلطانهم، وقالوا: حرّقوا إبراهيم بالنار؛ غضباً لألهتكم إن كنتم ناصرين لها. فاشتعلوا ناراً عظيمة وألقوه فيها، فانتصر الله لرسوله وقال للنار: كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فلم يَلْهُ فيها أذى، ولم يصبه مكروه.

(٧٠) وأراد القوم بإبراهيم الهلاك فأبطل الله كيدهم، وجعلهم المغلوبين الأسفلين.

(٧١) ونجيناً إبراهيم ولوطاً الذي آمن به من «العراق»، وأخرجناهما إلى أرض «الشام» التي باركنا فيها بكثرة الخيرات، وفيها أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٧٢) وأنعم الله على إبراهيم، فوهب له ابنه إسحاق حين دعاه، ووهب له من إسحاق يعقوب زيادة على ذلك، وكل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحاً مطيعاً له.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا مَعْرِبَاتُ الْوَحْيِ إِنَّا إِلَهُكُمْ فَعَلِ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَلِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ
إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكَانَ الْحُكْمُ بِشَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكَانَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكَانَ قَافِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِتَّ مِنْكُمْ إِلَى بَيْتِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسُلَيْمَانَ الَّتِي عَلَافَةً تَجْرِي يَا مَرْوَةَ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَاتُهَا وَكَانَ يَكُلُ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ ﴿٨١﴾

(٧٣) وجعلناهم أئمة يهتدون وإسحاق ويعقوب قدوة
للناس يدعونهم إلى عبادة الله وطاعته بإذنه
تعالى، وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيرات من العمل
بشرائع الأنبياء، وإقام الصلاة على وجهها،
وإيتاء الزكاة، فامتثلوا لذلك، وكانوا متقادين
مطيعين لله وحده دون سواه.

(٧٤) وآتيناه لوطاً النبوة وفُضِّلَ القضاء بين
الخصوم وعلماً بأمر الله ودينه، ونجيناه من قريته
«سُذُوم» التي كان يعمل أهلها الخباثات. إنهم
كانوا بسبب الخباثات والمنكرات التي يأتونها
أهل سوء وقُبْح، خارجين عن طاعة الله.

(٧٥) وأنَّم الله عليه النعمة فأدخله في رحمته
بانجائه ممَّا حلَّ بقومه؛ لأنه كان من الذين
يعملون بطاعة الله.

(٧٦) واذكر - أيها الرسول - نوحاً حين
نادى ربه من قبله ومن قبل إبراهيم ولوط،
فاستجبنا له دعاءه، فنجيناه وأهله المؤمنين به
من الغم الشديد.

(٧٧) ونصرناه من كيد القوم الذين كذبوا
بآياتنا الدالة على صدقه، إنهم كانوا أهل قُبْح،
فأغرقناهم بالطوفان أجمعين.

(٧٨) واذكر - أيها الرسول - نبي الله داود وابنه

سليمان، إذ يحكان في قضية عَزَّضَهَا خصمان، عَدَّتْ غنم أحدهما على زرع الآخر، وانتشرت فيه ليلاً، فأتلُفت الزرع، فحكم
داود بأن تكون الغنم لصاحب الزرع مُلْكاً بما أتلُفته، فقيمتها سواء، وكُنَّا لحكمهم شاهدين لم يَغِبْ عنا.

(٧٩) فَفَهَّمْنَا سليمان مراعاة مصلحة الطرفين مع العدل، فحكم على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف في فترة يستفيد
فيها صاحب الزرع بمنافع الغنم من لبن ووصوف ونحوهما، ثم تعود الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه؛ لمساواة قيمة
ما تلف من الزرع لمنفعة الغنم، وكلاً من داود وسليمان أعطيناه حكماً وعلماً، ومنَّنا على داود بتطويع الجبال تسبيحاً معه إذا
سَبَّح، وكذلك الطير تسبِّح، وكنا فاعلين ذلك.

(٨٠) واختصَّ الله داود عليه السلام بأن علَّمه صناعة الدروع يعملها حِلَقاً متشابكة، تسهِّل حركة الجسم؛ لنحتمي
المحاربين من وَقْع السلاح فيهم، فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم حيث أجزاها على يد عبده داود؟

(٨١) وسَخَّرْنَا لسليمان الريح شديدة المهبوب تحمله ومن معه، تجري بأمره إلى أرض «بيت المقدس» بـ«الشام» التي باركنا
فيها بالخيرات الكثيرة، وقد أحاط علمنا بجميع الأشياء.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يُعْصِرُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُ وَإِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضًى فَلَمْ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ
مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٩﴾
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٠﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩١﴾
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٢﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩٣﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩٤﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩٥﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩٦﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩٧﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩٨﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩٩﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٠﴾

(٨٢) وسخرنا لسليمان من الشياطين شياطين يستخدمهم فيها يعجز عنه غيرهم، فكانوا يغوصون في البحر يستخرجون له اللآلئ والجواهر، وكانوا يعملون كذلك في صناعة ما يريده منهم، لا يقدر على الامتناع مما يريده منهم، حفظهم الله له بقوته وعزه سبحانه وتعالى.

(٨٣) واذكر -أيها الرسول- عبدنا أيوب، إذ ابتليناه بضر وسقم عظيم في جسده، وفقد أهله وماله وولده، فصبر واحتسب، ونادى ربه عز وجل أي قد أصابني الضر، وأنت أرحم الراحمين، فأكشفه عني.

(٨٤) فاستجبنا له دعاءه، ورفعنا عنه البلاء، ورددنا عليه ما فقد من أهل وولد ومال مضاعفاً، فعلنّا به ذلك رحمة منا، وليكون قدوة لكل صابر على البلاء، راج رحمة ربه، عابد له.

(٨٥) واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل.

(٨٦) وأدخلناهم في رحمتنا، إنهم ممن صلح باطنه وظاهره، فأطاع الله وعمل بما أمر به.

(٨٧) واذكر قصة صاحب الخوت، وهو يونس بن متى عليه السلام، أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعدهم بالعذاب فلم ينبؤوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج من بينهم غاضباً عليهم، ضائقاً صدره بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، واللقمة الخوت في البحر، فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الخوت تائباً معترفاً بظلمه؛ لتركه الصبر على قومه، قائلاً: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين.

(٨٨) فاستجبنا له دعاءه، وخلصناه من غم هذه الشدة، وكذلك ننجي المصدقين العاملين بشرنا.

(٨٩) واذكر -أيها الرسول- قصة عبد الله زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كبر سنّه قائلاً: رب لا تركني وحيداً لا عقب لي، هب لي وارثاً يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي، وأنت خير الباقيين وخير من خلفني بخير.

(٩٠) فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى، وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقراً، إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير، ويدعوننا راغبين فيما عندنا، خائفين من عقوبتنا، وكانوا لنا خاضعين متواضعين.

وَأَلَيَّ آخَصَّتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا رِيشَةً لِلعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ
أَمْرُكُمْ أَمَّا وَاحِدَةٌ وَاَنَّا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ لِمَا رَجَعُوا
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَكْفُرْ
لِسَعِيدهُ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٣﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٤﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٥﴾
وَأَقْرَبَ أَلْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا تَوَلَّى تَوَلَّى مَا وَرَدُوا مِنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
حَصْبُ جَهَنَّمَ إِنَّمَا رُزِّدُوا لَهَا وَرْدُونَ ﴿٩٧﴾ لَوْ كَانَتْ
هَذِهِ إِلهًا مَآ وَرَدُّوهُآ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٨﴾
لَهُمْ فِيهَا زَوْجَةٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠٠﴾

يُنْبِثُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

(٩١) واذكر - أيها الرسول - قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحرام، ولم تأتِ فاحشة في حياتها، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، فنفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحها، فخلق الله بذلك النفخ المسح عيسى عليه السلام، فحملت به من غير زوج، فكانت هي وابنها بذلك علامة على قدرة الله، وعبرة للخلق إلى قيام الساعة.

(٩٢) هؤلاء الأنبياء جميعاً دينهم واحد، الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة وإفراده بالعبادة، والله سبحانه وتعالى رب الخلق فاعبدوه - أيها الناس - وحده لا شريك له.

(٩٣) لكن الناس اختلفوا على رسلهم، وتفرق كثير من أتباعهم في الدين شيعاً وأحزاباً، فعبدوا المخلوقين والأهواء، وكلهم راجعون إلينا ومحاسبون على ما فعلوا.

(٩٤) فمن التزم الإيمان بالله ورسله، وعمل ما يستطيع من صالح الأعمال طاعة لله وعبادة له فلا يضيع الله عمله ولا يبطله، بل يضاعفه كله أضعافاً كثيرة، وسيجد ما عمله في كتابه يوم

(٩٥) ومنتع على أهل القرى التي أهلكناها بسبب كفرهم وظلمهم، رجوعهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة؛ ليستذكروا ما فرطوا فيه. (٩٦، ٩٧) فإذا فُتِحَ سد يأجوج ومأجوج، وانطلقوا من مرتفعات الأرض وانتشروا في جنباتها مسرعين، ذنا يوم القيامة وبذت أحواله فإذا أبصار الكفار من شدة الفرغ مفتوحة لا تكاد تطرف، يدعون على أنفسهم بالويل في حسرة: يا ويلتنا قد كنا لاهين غافلين عن هذا اليوم وعن الإعداد له، وكنا بذلك ظالمين.

(٩٨) إنكم - أيها الكفار - وما كنتم تعبدون من دون الله من الأصنام ومن رضي بعبادتكُم إياه من الجن والإنس، وقود جهنم وحطبها، أنتم وهم فيها داخلون.

(٩٩) لو كان هؤلاء الذين عبدكم من دون الله تعالى آلهة تستحق العبادة ما دخلوا نار جهنم معكم أيها المشركون، إنَّ كلاً من العابدين والمعبودين خالدين في نار جهنم.

(١٠٠) هؤلاء المعبدين في النار آلام ينبيئ عنها زفيرهم الذي تندفع فيه أنفاسهم من صلورهم بشدة، وهم في النار لا يسمعون من هول عذابهم.

(١٠١) إن الذين سبق لهم منا سابقة السعادة الحسنة في علمنا بكونهم من أهل الجنة، أولئك عن النار مبعدون، فلا يدخلونها ولا يكونون قريباً منها.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ مِمَّا أُنْشِئَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَلَائِدُونَ ۚ لَا يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّاهُمْ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٢﴾
يَوْمَ تُطَوَّى السَّمَاءُ كُلُّهَا السَّجِلُ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدًا عَلِيمًا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
عَالِدِينَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ إِيَّاكُمْ عَلَى سَوَاءٍ
وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ
الْجَهْرِمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٩﴾ وَإِنْ أَدْرَى
لَعَلَّهِ وَفْتَنَهُ لَكُمْ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١٠﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١١﴾

سورة الأنبياء

(١٠٢) لا يسمعون صوت هببها واحترق الأجساد فيها، فقد سكنوا منازلهم في الجنة، وأصبحوا فيما تشتهي نفوسهم من نعيمها ولذاتها مقيمين إقامة دائمة.

(١٠٣، ١٠٤) لا يخيفهم الهول العظيم يوم القيامة، بل تبشرهم الملائكة: هذا يومكم الذي وعدتكم فيه الكرامة من الله وجزيل الثواب. يوم تطوي السماء كما تطوى الصحيفة على ما كتب فيها، ونبعث فيه هيئة الخلق على هيئة خلقنا لهم أول مرة، كما ولدتهم أمهاتهم، ذلك وعد الله الذي لا يتخلف، وعدنا بذلك وعداً حقاً علينا، إنا كنا فاعلين دائماً ما نعد به.

(١٠٥) ولقد كتبنا في الكتب المنزلة من بعد ما كتب في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون الذين قاموا بما أمروا به، واجتنبوا ما نهوا عنه، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٠٦) إن في هذا التلوة من الموعظة لعدة كافية لقوم عابدين الله بما شرعه لهم ورضيه منهم.

(١٠٧) وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا رحمة لجميع الناس، فمن آمن بك سعيد ونجا، ومن لم يؤمن خاب وخسر.

(١٠٨) قل: إن الذي أوحى إليّ ويُبعث به: أن إلهكم الذي يستحق العبادة وحده هو الله، فأسلموا له، وانقادوا لعبادته.

(١٠٩) فإن أعرض هؤلاء عن الإسلام فقل لهم: أبلغكم جميعاً ما أوحاه الله تعالى إليّ، فأنا وأنتم مستترون في العلم كما أنذرتكم وحذرتكم، ولست أعلم -بعد ذلك- متى يحل بكم ما وعدتكم به من العذاب؟

(١١٠) إن الله يعلم ما تجهرون به من أقوالكم، وما تكتُمونه في سرائركم، وسيحاسبكم عليه.

(١١١) ولست أدري لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه استدراج لكم وابتلاء، وأن تتمتعوا في الدنيا إلى حين؛ لتزدادوا كفراً، ثم يكون أعظم لعقوبتكم.

(١١٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم: ربّ أفضل بيننا وبين قومنا المكذِبين بالقضاء الحق. ونسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفونه -أيها الكفار- من الشرك والتكذيب والافتراء عليه، وما تتوعدونا به من الظهور والغلبة.

﴿سورة الحج﴾

- (١) يا أيها الناس احذروا عقاب الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض، تتصدع منها كل جوانبها، شيء عظيم، لا يُقدر قدره ولا يُبلغ كنهه، ولا يعلم كيفيته إلا رب العالمين.
- (٢) يوم ترون قيام الساعة تنسى الوالدة رضيعها الذي أقمته ثديا؛ لِمَا نزل بها من الكرب، وتُسقط الحامل حملها من الرعب، وتغيب عقول الناس، فهم كالسكران من شدة الهول والفرع، وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة العذاب أفقدتهم عقولهم وإدراكهم.
- (٣) وبعض رؤوس الكفر من الناس يخاضعون ويشككون في قدرة الله على البعث؛ جهلاً منهم بحقيقة هذه القدرة، واتباعاً لأئمة الضلال من كل شيطان متمرد على الله ورسله.
- (٤) قضى الله وقدر على هذا الشيطان أنه يُضل كل من اتبعه، ولا يهديه إلى الحق، بل يسوقه إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُنَادِيكُمْ كُلُّ مَرْصُوعٍ عَمَّا أَرْضَعْتُمْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِمَّنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُفِّرْ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرْدُ إِلَىٰ أَزْوَاجٍ مُّزْجَلَةٍ لَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

عذاب جهنم الموقدة جزاء اتباعه إياه.

- (٥) يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فلنأ خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته من نطفة، هي المنى يقذفه الرجل في رحم المرأة، فيتحول بقدرة الله إلى علقة، وهي الدم الأحمر الغليظ، ثم إلى مضغة، وهي قطعة لحم صغيرة قدر ما يُمضغ، فنكون تارة مخلقة، أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حياً، وغير تامة الخلق تارة أخرى، فنسقط لغير تمام؛ لنبين لكم تمام قدرتنا بتصرف أطوار الخلق، ونبي في الأرحام ما نشاء، وهو المخلق إلى وقت ولادته، وتكمل الأطوار بولادة الأجنة أطفالاً صغاراً تكبر حتى تبلغ الأشد، وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك، وبعضهم يكبر حتى يبلغ سن الهرم وضعف العقل؛ فلا يعلم هذا المعمر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك. وترى الأرض يابسة ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تفتتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها، وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يسر الناظرين.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ تَأْتِي عَظِيمُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُعِدُّ اللَّهُ عَلَىٰ حَرِّهِ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَنَّ اللَّهَ يَقْعَلُ مَا يَرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَمُوتَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

(٦) ذلك المذكور مما تقدم من آيات قدرة الله تعالى، فيه دلالة قاطعة على أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المعبود بحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وهو مخي الموتى، وهو قادر على كل شيء.

(٧) وأن ساعة البعث آتية لا شك في ذلك، وأن الله يبعث الموتى من قبورهم لحسابهم وجزائهم.

(٨، ٩) ومن الكفار من يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله صلى الله عليه وسلم وإنزاله القرآن، وذلك الجدل بغير علم، ولا بيان، ولا كتاب من الله فيه برهان وحجة واضحة، لا ويا عتقه في تكبر، معرضاً عن الحق؛ ليصد غيره عن الدخول في دين الله، فسوف يلقي خزيًا في الدنيا باندحاره وافتضاح أمره، ونحرقه يوم القيامة بالنار.

(١٠) ويقال له: ذلك العذاب بسبب ما فعلت من المعاصي واكتسبت من الآثام، والله لا يعذب أحداً بغير ذنب.

(١١-١٣) ومن الناس من يدخل في الإسلام على ضعف وشك، فيعبد الله على تردد، كالذي يقف على طرف جبل أو حائط لا يتيسر في وقفته، ويربط إيمانه بدنيته، فإن عاش في صحة وسعة استمر على عبادته، وإن حصل له ابتلاء بمكروه وشدة عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن يتقلب على وجهه بعد استقامته، فهو بذلك قد خسر الدنيا؛ إذ لا يغير كفره ما قدر له في دنياه، وخسر الآخرة بدخوله النار، وذلك خسران بين واضح. يعبد ذلك الخاسر من دون الله ما لا يضره إن تركه، ولا ينفعه إذا عبده، ذلك هو الضلال البعيد عن الحق. يدعو من ضره المحقق أقرب من نفعه، قبح ذلك المعبود نصيراً، وقبح عشييراً.

(١٤) إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من ثواب أهل طاعته تفضلاً، وعقاب أهل معصيته عدلاً.

(١٥) من كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمداً بالنصر في الدنيا بظواهر دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، وعذاب من كذبه، فليمدد حبلاً إلى سقف بيته وليخنق به نفسه، ثم ليقطع ذلك الحبل، ثم لينظر: هل يذهبن ذلك ما يجيد في نفسه من الغيظ؟ فإن الله تعالى ناصر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لا محالة.

(١٦) وكما أقام الله الحجة من دلائل قدرته على الكافرين بالبعث أنزل القرآن، آياته واضحة في لفظها ومعناها، يهدي بها الله من أراد هدايته؛ لأنه لا هادي سواه.

(١٧) إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، واليهود، والصابئين وهم: قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه، والنصارى، والمجوس (وهم عبدة النار)، والذين أشركوا وهم: عبدة الأوثان، إن الله يفصل بينهم جميعاً يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار، إن الله على كل شيء شهيد، شهد أعمال العباد كلها، وأحصاها وحفظها، وسيجازي كلّاً بما يستحق؛ جزاء وفاقاً للأعمال التي عملوها.

(١٨) ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله سبحانه يسجد له خاضعاً متقاداً من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من المخلوقات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُتَّقَى ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِلهُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ ۚ يَسْجُدُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فاعلم عَذَابُ اللَّهِ هَئِذَا ضَلَّتْ أَفْجَا ۖ مَا لَهُ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْتَصِمُوا فِي رِجْلِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَبَيَّنْ ۚ فَمِنْ نَارٍ يُرِيبُ مِنَ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمَ ۖ يُصْهِرُ فِيهِمَا فِئَةً بِطَوْنِهِمْ وُجُوهٌ ۖ وَلَهُمْ مَقْعٌ مِنْ حَدِيدٍ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِذُنُوبِ الَّذِينَ أَتَمُّوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۖ

والدواب؟ والله يسجد طاعة واختياراً كثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين، وأيّ إنسان يهينه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل في خلقه ما يشاء وفق حكمته.

(١٩-٢٢) هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر، كل يدعي أنه حق، فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جعلت لهم من نار يأتسونها، فتشوي أجسادهم، ويصّب على رؤوسهم الماء المتناهي في حره، وتَنَزَّلُ إلى أجوافهم فيذيب ما فيها، حتى ينفذ إلى جلودهم فيشويها فتسقط، وتضر بهم الملائكة على رؤوسهم بمطارق من حديد. كلما حاولوا الخروج من النار -لشدة غمهم وكرهم- أعيدوا للعذاب فيها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

(٢٣) إن الله تعالى يدخل أهل الإيمان والعمل الصالح جنات نعيمها دائم، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يُزَيَّنُونَ فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة الحرير رجالاً ونساءً.

وَهَذَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَذَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَلِيكَ فِيهِ وَالْأَبَدِ
 وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَكْمِ يُطْلَقْ نَذْرُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
 ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ
 بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا
 وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
 وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَيُطِيعُوا أَمْرَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِرْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ إِعِنْدَ
 رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا بَلَغَتْ عَلَيْكُمْ
 قُلُوبُكُمْ فَأَحْبَبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْآثَانِ وَأَحْبَبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

(٢٤) لقد هداهم الله في الدنيا إلى طيب القول: من كلمة التوحيد وخمد الله والثناء عليه، وفي الآخرة إلى حمده على حسن العاقبة، كما هداهم من قبل إلى طريق الإسلام الم محمود الموصل إلى الجنة.

(٢٥) إن الذين كفروا بالله وكذبوا بما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم، ويمنعون غيرهم من الدخول في دين الله، ويصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في عام «الحديبية» عن المسجد الحرام، الذي جعلناه لجميع المؤمنين، سواء المقيم فيه والقادم إليه، لهم عذاب أليم موجب، ومن يرد في المسجد الحرام المثل عن الحق ظلمًا فيغض الله فيه، نذقه من عذاب أليم موجب.

(٢٦) واذكر - أيها النبي - إذ بئنا لإبراهيم - عليه السلام - مكان البيت، وهيئناه له وقد كان غير معروف، وأمرناه ببنائه على تقوى من الله وتوحيده، وتطهيره من الكفر والبدع والتنجاسات؛ ليكون رحاباً للطائفتين به، والقائمين المصلين عنده.

(٢٧، ٢٨) وأعلم - يا إبراهيم - الناس بوجوب الحج عليهم يأتوك على مختلف أحوالهم مشاةً

وركبناً على كل ضامر من الإبل، وهو: (الخفيف اللحم من السَّيْرِ والأعمال لا من الهُزَال)، يأتين من كل طريق بعيد؛ ليحضرُوا منافع لهم من: مغفرة ذنوبهم، وثواب أداء نسكهم وطاعتهم، وتكسبهم في تجارتهم، وغير ذلك؛ وليذكروا اسم الله على ذئب ما يتقربون به من الإبل والبقر والغنم في أيام معينة هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكرًا لله على نعمه، وهم مأمورون أن يأكلوا من هذه الذبائح استحباباً، ويطعموا منها الفقير الذي اشتد فقره.

(٢٩) ثم ليكمل الحاج ما بقي عليهم من النُّسك، بإحلالهم وخروجهم من إحرامهم، وذلك بإزالة ما تراكم من وسخ في أبدانهم، وقص أظفارهم، وحلق شعرهم، وليوفوا بما أوجبوا على أنفسهم من الحج والعمرة والهدايا، وليطوفوا بالبيت العتيق القديم، الذي أعنته الله من تسلط الجبارين عليه، وهو الكعبة.

(٣٠) ذلك الذي أمر الله به من قضاء التثت والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظموه، ومن يعظم حرمات الله، ومنها مناسكه بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة. وأحل الله لكم أكل الأنعام إلا ما حرمه فيها يتلى عليكم في القرآن من الميتة وغيرها فاجتنبوه. وفي هذا إبطال ما كانت العرب تحرّمه من بعض الأنعام. وابتعدوا عن الفذارة التي هي الآثان، وعن الكذب الذي هو الافتراء على الله.

(٣١) مستقيمين لله على إخلاص العمل له، مقبلين عليه بعبادته وحده وإفراده بالطاعة، معرضين عما سواه بنذ الشرك، فإنه من يشرك بالله شيئاً، فمثلته - في بُعده عن الهدى، وفي هلاكه وسقوطه من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر، وتحطُّف الشياطين له من كل جانب - كمثل من سقط من السماء: فإما أن تحطفه الطير فتقطع أعضائه، وإما أن تأخذه عاصفة شديدة من الريح، فتقذفه في مكان بعيد أشدَّ البعد.

(٣٢) ذلك ما أمر الله به من توحيده وإخلاص العبادة له. ومن يمثل أمر الله ويُعظم معالم الدين، ومنها أعمال الحج وأماكنه، والذبايح التي تُذبح فيه، وذلك باستحسانها واستسماها، فهذا التعظيم من أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته.

(٣٣) لكم في هذه الهدايا منافع تتنفعون بها من الصوف واللبن والركوب، وغير ذلك مما لا يضرها إلى وقت ذبحها عند البيت العتيق، وهو الحرم كله.

(٣٤) ولكل جماعة مؤمنة سلفت، جعلنا لها مناسك من الذبح وإراقة الدماء؛ وذلك ليدذكروا اسم الله تعالى عند ذبح ما رزقهم من

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَخُطِّمَتْ أَطْرَافُهُ أَوْ تَهْوَى بِهِ أَرْضٌ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فُرِّجَ لَهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أَفْجَةٍ جَعَلْنَا مَنًى كَالْيَدِ تَذَكُّرًا وَاسْمُ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَيْهِمَةٍ الْأَنْعَمِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدَ قُلُوبِهِمْ وَابْتَئِرُوا الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقْبِي الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ جَعَلَتْهَا كُفْرًا شَعِيرًا لِلَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمُ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَافُهَا وَلَكِنْ يَنَالُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الْآيَةِ ؕ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

هذه الأنعام ويشكروا له. فإلهكم - أيها الناس - إله واحد هو الله فانقادوا لأمره وأمر رسوله. وبشِّر - أيها النبي - المتواضعين الخاضعين لربهم بخيري الدنيا والآخرة.

(٣٥) هؤلاء المتواضعون الخاشعون من صفاتهم أنهم إذا ذُكر الله وحده خافوا عقباه، وخُذِرُوا مخالفتَه، وإذا أصابهم بأس وشدة صبروا على ذلك مؤملين الثواب من الله عز وجل، وأدَّوا الصلاة تامة، وهم مع ذلك ينفقون مما رزقهم الله في الواجب عليهم من زكاة ونفقة عيال، وَمَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِمْ نفقته، وفي سبيل الله، والنفقات المستحبة.

(٣٦) وجعلنا لكم بُخْر البُذْن من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله، لكم فيها - أيها المتقربون - خير في منافعها من الأكل والصدقة والثواب والأجر، فقولوا عند ذبحها: بسم الله. وتُخَر الإبل واقفة قد صُفَّت ثلاث من قوائمها وقُيِّدَت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض جنوبها فقد حلَّ أكلها، فلْيَأْكُل منها مقربوها تعبدًا وَيُطْعَمُوا منها القانع - وهو الفقير الذي لم يسأل تغفًا - والمعتر الذي يسأل لحاجته، هكذا سَخَّرَ الله البُذْن لكم، لعلكم تشكروا الله على تسخيرها لكم.

(٣٧) لن ينال الله من لحوم هذه الذبائح ولا من دمائها شيء، ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده، كذلك ذلَّلها لكم - أيها المتقربون -؛ لتعظموا الله، وتشكروا له على ما هداكم من الحق، فإنه أهل لذلك. وبشِّر - أيها النبي - المحسنين بعبادة الله وحده، والمحسنين إلى خلقه بكل خير وفلاح.

(٣٨) إن الله تعالى يدفع عن المؤمنين عدوان الكفار، ويكيد الأشرار؛ لأنه عز وجل لا يجب كل خَوَّانٍ لأمانة ربه، جحود لنعمته.

أَوَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَاهِمُونَ أَوَلَا اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صُومُعٌ وَبِعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ تَكَابَّرَ مِنْ قَرْنٍ قَرْنَةٌ أَهْلَكَتْهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَمَّا فَمِنَ خَاوِزَةٍ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَإِنِّ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

(٣٩) كان المسلمون في أول أمرهم ممنوعين من قتال الكفار، مأمورين بالصبر على أذاهم، فلما بلغ أذى المشركين مداه، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من «مكة» مهاجراً إلى «المدينة»، وأصبح للإسلام قوة أذن الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان، وإن الله تعالى قادر على نصرهم وإزالة عدوهم.

(٤٠) الذين أُلجئوا إلى الخروج من ديارهم، لا لشيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا: ربنا الله وحده. ولولا ما شرعه الله من دفع الظلم الذي ينتفع به جميع أهل الأديان المنزلة، ورد الباطل بالقتال المأذون فيه لهم الحق في كل أمة ولحزبت الأرض، وهُدمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيراً. ومن اجتهد في نصره دين الله، فإن الله ناصره على عدوه. إن الله لقوي لا يغالب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلاق وأخذ بنواصيه.

(٤١) الذين وعدناهم بنصرنا هم الذين إن مكَّنَّاهم في الأرض، واستخلفناهم فيها بظهارهم على عدوهم، أقاموا الصلاة بأدائها في أوقاتها بحدودها، وأخرجوا زكاة أموالهم إلى أهلها، وأمروا بكل ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، ونهوا عن كل ما نهى الله عنه ورسوله. والله وحده مصير الأمور كلها، والعاقبة للتقوى.

(٤٢-٤٤) وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد سبقهم في تكذيب رسلهم قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب «مدین» الذين كذبوا شعياً، وكذب فرعون وقومه موسى، فلم أعجل هذه الأمم بالعقوبة، بل أمهلتها، ثم أخذت كلَّ منهم بالعذاب، فكيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم، وتبديل ما كان بهم من نعمة بالعذاب والهلاك؟

(٤٥) فكثيراً من القرى الظالمة بكفرها أهلكنا أهلها، فديارهم مهتمة خلَّتْ من سكانها، وآبارها لا يُستقى منها، وقصورها العالية المزخرفة لم تدفع عن أهلها سوء العذاب.

(٤٦) أذلَّهم يسر المكذوبين من قريش في الأرض ليشاهدوا آثار المهلكين، فيتفكروا بعقولهم، فيعتبروا، ويسمعو أخبارهم سماع تدبّر فيتعظوا؟ فإن العمى ليس عمى البصر، وإنما العمى المَهْلِك هو عمى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار.

(٤٧) ويستعجلك - أيها الرسول - كفار قريش - لشدة جهلهم - بالعذاب الذي أنذرتهم به لئلا أصروا على الكفر، ولن يخلف الله ما وعدهم به من العذاب فلا بد من وقوعه، وقد عجل لهم في الدنيا ذلك في يوم «بدر». وإن يوماً من الأيام عند الله - وهو يوم القيامة - كألف سنة مما تعدون من سني الدنيا.

(٤٨) وكثير من القرى كانت ظالمة بإصرار أهلها على الكفر، فأمهلهم ولم أعاجلهم بالعقوبة فاضتروا، ثم أخذتهم بعذابي في الدنيا، وإلى مرجعهم بعد هلاكهم، فأعذبهم بما يستحقون.

(٤٩-٥١) قل - أيها الرسول - يا أيها الناس ما أنا إلا منذر لكم مبلغ عن الله رسالته. فالذين آمنوا بالله ورسوله، واستقر ذلك في قلوبهم، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم عند الله عفو عن ذنوبهم ومغفرة يستر بها ما صدر عنهم من معصية، ورزق حسن لا ينقطع وهو الجنة. والذين اجتهدوا في الكيد لإبطال آيات القرآن بالكذب مشاقين مغالبيين، أولئك هم أهل

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا آلَ الْاَمْصِرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْفَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِرُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ ءَاوُوا إِلَهُهُم أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْفِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِمَّنْ هَئِهِ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيرٍ ﴿٥٥﴾

النار الموقدة، يدخلونها ويبقون فيها أبداً.

(٥٢) وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته الوساس والشبهات؛ ليصد الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلوه، لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وسوسه، ويثبت آياته الواضحات. والله عليم بما كان ويكون، لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وأمره.

(٥٣) وما كان هذا الفعل من الشيطان إلا ليجعل الله اختباراً للذين في قلوبهم شك ونفاق، ولقاسة القلوب من المشركين الذين لا يؤثر فيهم زجر. وإن الظالمين من هؤلاء وأولئك في عداوة شديدة لله ورسوله وخلاف للحق بعيد عن الصواب.

(٥٤) وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه، فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم. وإن الله هادي الذين آمنوا به وبرسوله إلى طريق الحق الواضح، وهو الإسلام ينقذهم به من الضلال.

(٥٥) ولا يزال الكافرون المكذبون في شك مما جنتهم به من القرآن إلى أن تأتيهم الساعة فجأة، وهم على تكذيبهم، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه لهم، وهو يوم القيامة.

أَلَمْ لَكُم مِّنْ مِّمَّا يَدْعُونَ مَن لَّهُ الْإِلَهَ فَأَعْلَوْنَ مَكْرَهُم بِالَّذِينَ هُمْ يُكَذِّبُونَ ۚ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّتِ التَّعْوِيمِ ۚ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا قُلْ إِنَّكَ لَهْمُ عَذَابِ
مُّهِينٍ ۚ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قِيلُوا
أَوْمَانُوا لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
خَيْرُ الرَّزُقِينَ ۚ لِيَدْخِلْنَاهُمْ مِّنْ دُونِهِ رِزْقًا
وَلَا يَكُن اللَّهُ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۚ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُحِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَعَفْوٌ غَفُورٌ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّمُ الْبَاطِلَ فِي
النَّهَارِ وَيُؤَلِّمُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۚ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِغُ الْأَرْضَ
مُخْضِرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْخَمِيدُ ۚ

(٥٦، ٥٧) الْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ فِي هَذَا الْيَوْمِ
لَهُ وَحْدَهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَقْضِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْكَافِرِينَ. فَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلُوا
الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةَ، لَهُمُ النِّعَمُ الدَّائِمَةُ فِي الْجَنَّةِ.
وَالَّذِينَ جَحَدُوا وَحِدَانِيَةَ اللَّهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ
وَأَنكَرُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابُ
يُجْزِمُهُمْ وَيُهَيِّئُهُمْ فِي جَهَنَّمَ.

(٥٨) وَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ طَلِبًا لِرِضَا
اللَّهِ، وَنَصْرَةِ لِدِينِهِ، مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ وَهُوَ يُجَاهِدُ
الْكَافِرَ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، لَيَرْزُقْنَهُمُ
اللَّهُ الْجَنَّةَ وَنِعِمَّهَا الَّذِي لَا يَنْقُطُ وَلَا يَزُولُ، وَإِنَّ
اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

(٥٩) لِيَدْخِلْنَاهُمْ اللَّهُ الْمُدْخَلَ الَّذِي يُجِيبُونَهُ
وَهُوَ الْجَنَّةُ. وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ بِمَنْ يَخْرُجُ فِي سَبِيلِهِ،
وَمَنْ يَخْرُجُ طَلِبًا لِلدُّنْيَا، حَلِيمٌ عَمَّنْ عَصَاهُ، فَلَا
يُعَاجِلُهُمُ بِالْعُقُوبَةِ.

(٦٠) ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ
إِدْخَالِ الْمُهَاجِرِينَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِ
وَطَلَّمَ فَقَدْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَقَابِلَ الْجَانِي بِمِثْلِ فَعَلْتَهُ،
وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، فَإِذَا عَادَ الْجَانِي إِلَى إِيْدَانِهِ وَبَغَى،
فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الْمَظْلُومَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ

أَنْ يُعْتَدَى عَلَيْهِ بِسَبَبِ انْتِصَافِهِ لِنَفْسِهِ. إِنَّ اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ، يَعْفُو عَنِ الْمَذْنِبِينَ فَلَا يُعَاجِلُهُمُ بِالْعُقُوبَةِ، وَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ.

(٦١) ذَلِكَ الَّذِي شَرَعَ لَكُمْ تِلْكَ الْأَحْكَامَ الْعَادِلَةَ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَمِنْ قُدْرَتِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَا يَنْقُصُ مِنْ
سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ، وَيَدْخُلُ مَا انْتَقَصَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِكُلِّ صَوْتٍ، بَصِيرٌ
بِكُلِّ فِعْلٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

(٦٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا تَتَّبِعِي الْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ، وَأَنْ مَا يَعْبُدُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ هُوَ
الْبَاطِلُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ عَلَى خَلْقِهِ ذَاتًا وَقُدْرَةً وَقَهْرًا، الْمُتَعَالِي عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ، الْكَبِيرُ فِي ذَاتِهِ،
وَأَسْمَاءُهُ، وَصِفَاتُهُ، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٦٣) أَلَمْ تَرَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا، فَتَصْبِغُ الْأَرْضَ خُضْرَةً بِمَا نَبَتَ فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ؟ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ
بِعِبَادِهِ بِاسْتِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ بِذَلِكَ الْمَاءِ، خَيْرٌ بِمَصَالِحِهِمْ.

(٦٤) اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلْقًا وَمَلَكًا وَعِبَادَةً، كُلُّ حَتَّاجٍ إِلَى تَدْبِيرِهِ وَإِفْضَالِهِ. وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، الْمَحْمُودُ فِي كُلِّ حَالٍ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُسَمِّيكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَخْبَاكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّمُكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ فَايِسُونَ فَلَا يَتَذَكَّرُ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَخْرُجُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْشَأَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا
بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي رُجُوعِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ تَكُنْ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَقَاتِكُمْ يَسْرِرِينَ
ذِكْرُ النَّارِ وَعْدُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَ الْأَمْصِرِ ﴿٧٢﴾

(٦٥) ألم تر أن الله تعالى ذلّل لكم ما في الأرض من الدواب والبهائم والزرع والثمار والجمادى لركوبكم وطعامكم وكل منافعكم، كما ذلّل لكم السفن تجري في البحر بقدرته وأمره، فتحملكم مع أمتعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن، وهو الذي يسمك السماء فيحفظها، حتى لا تقع على الأرض فيهلك من عليها إلا بإذنه سبحانه بذلك؟ إن الله ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم، ومن رحمته بهم ما سخره لهم من هذه الأشياء وغيرها، تفضلاً منه عليهم.

(٦٦) وهو الله تعالى الذي أحياكم بأن أوجدكم من العدم، ثم يميتكم عند انقضاء أعماركم، ثم يحييكم بالبعث لمحاسبكم على أعمالكم. إن الإنسان لجحود لما ظهر من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته.

(٦٧) لكل أمة من الأمم الماضية جعلنا شريعة وعبادة أمرناهم بها، فهم عاملون بها، فلا ينازعك -أيها الرسول- مشركو قريش في شريعتك، وما أمرك الله به في المناسك وأنواع العبادات كلها، وادع إلى توحيد ربك وإخلاص

العبادة له واتباع أمره، إنك لعلّ دين قويم، لا أعوجاج فيه.

(٦٨) وإن أصرّوا على مجادلتك بالباطل فيما تدعوهم إليه فلا تجادلهم، بل قل لهم: الله أعلم بما تعملونه من الكفر والتكذيب، فهم معاندون مكابرون.

(٦٩) الله تعالى يحكم بين المسلمين والكافرين يوم القيامة في أمر اختلافهم في الدين. وفي هذه الآية أدب حسن في الرد على من جادل تعتاً واستكباراً.

(٧٠) ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله يعلم ما في السماء والأرض علماً كاملاً قد أثبتته في اللوح المحفوظ؟ إن ذلك العلم أمر سهل على الله الذي لا يعجزه شيء.

(٧١) ويصر كفار قريش على الشرك بالله مع ظهور بطلان ما هم عليه، فهم يعبدون آلهة، لم ينزل في كتاب من كتب الله برهان بأنها تصلح للعبادة، ولا علم لهم فيها اختلقوه، وافتروه على الله، وإنما هو أمر اتبعوا فيه آبائهم بلا دليل. فإذا جاء وقت الحساب في الآخرة فليس للمشركين ناصر ينصرهم، أو يدفع عنهم العذاب.

(٧٢) وإذا تتلى آيات القرآن الواضحة على هؤلاء المشركين ترى الكراهة ظاهرة على وجوههم، يكادون يبطشون بالمومنين الذين يدعونهم إلى الله تعالى، ويتلون عليهم آياته. قل لهم -أيها الرسول-: أفلا أخبركم بما هو أشد كراهة إليكم من سماع الحق ورؤية الداعين إليه؟ النار أعدّها الله للكافرين في الآخرة، وبئس المكان الذي يصيرون إليه.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۗ مَا قَدَّرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۗ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَآلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ۗ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۗ وَحَدِّثْ فِي
اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَأَ آيَاتِكُمْ إِزْهَامًا ۗ هُوَ سَمَعَكُمْ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۗ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٧٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا له
وتدبروه: إن الأصنام والأنداد التي تعبدونها
من دون الله لن تقدر مجتمعة على خلق ذبابة
واحدة، فكيف بخلق ما هو أكبر؟ ولا تقدر أن
تستخلص ما يسلبه الذباب منها، فهل بعد ذلك
من عجز؟ فهما ضعيفان معاً: ضَعُفَ الطالب
الذي هو المعبود من دون الله أن يستنقذ ما
أخذته الذباب منه، وَضَعُفَ المطلوب الذي هو
الذباب، فكيف تُنخذ هذه الأصنام والأنداد
ألهة، وهي بهذا الهوان؟

(٧٤) هؤلاء المشركون لم يعظموا الله حق
تعظيمه، إذ جعلوا له شركاء، وهو القوي الذي
خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالب.

(٧٥، ٧٦) الله سبحانه وتعالى يختار من الملائكة
رسلاً إلى أنبيائه، ويختار من الناس رسلاً لتبليغ
رسالاته إلى الخلق، إن الله سميع لأقوال عباده،
بصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرسالة من
خلقه. وهو سبحانه يعلم ما بين أيدي ملائكته

ورسله من قبل أن يخلقهم، ويعلم ما هو كائن بعد فناءهم. وإلى الله وحده ترجع الأمور.

(٧٧، ٧٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اركعوا واسجدوا في صلاتكم، واعبدوا ربكم وحده
لا شريك له، وافعلوا الخير لتفلحوا، واجاهدوا أنفسكم، وقوموا قياماً تاماً بأمر الله، وادعوا الخلق إلى سبيله، واجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم، مخلصين فيه النية لله عز وجل، مسلمين له قلوبكم وجوارحكم، هو اصطفاكم لحمل هذا
الدِّين، وقد مرَّ عليكم بأن جعل شريعتكم سمحة، ليس فيها تضيق ولا تشديد في تكاليفها وأحكامها، كما كان في بعض
الأمم قبلكم، هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم، وقد سَمَّاكم الله المسلمين من قبل في الكتب المنزلة السابقة، وفي
هذا القرآن، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار؛ ليكون خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم شاهداً عليكم بأنه بلغكم رسالة
ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها،
فتشكروها، وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها، وإخراج الزكاة المفروضة، وأن تلجؤوا إلى الله
سبحانه وتعالى، وتوكلوا عليه، فهو نِعْمَ المولى لمن تولاها، ونعم النصير لمن استنصره.

﴿سورة المؤمنون﴾

- (١) قد فاز المصدقون بالله وبرسوله العاملون بشرعه.
- (٢) الذين من صفاتهم أنهم في صلاتهم خاشعون، تفرغ لها قلوبهم، وتسكن جوارحهم.
- (٣) والذين هم تاركون لكل ما لا خير فيه من الأقوال والأفعال.
- (٤) والذين هم مطهرون لنفوسهم وأموالهم بأداء زكاة أموالهم على اختلاف أجناسها.
- (٥) والذين هم لفروجهم حافظون مما حرم الله من الزنى واللواط وكل الفواحش.
- (٦) إلا على زوجاتهم أو ما ملكت أيانهم من الإماء، فلا لوم عليهم ولا حرج في جماعهم والاستمتاع بهن؛ لأن الله تعالى أحلهن.
- (٧) فمن طلب التمتع بغير زوجته أو أمته فهو من المجاوزين الحلال إلى الحرام، وقد عرض نفسه لعقاب الله وسخطه.
- (٨) والذين هم حافظون لكل ما أوثموا عليه،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعَازُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي فَرْجِ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً وَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمِيسْرَونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا نُوْحَ الْيَقِيْمَةَ تَبْعُوْنَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

موفون بكل عهودهم.

(٩) والذين هم يداومون على أداء صلاتهم في أوقاتها على هيئتها المشروعة، الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٠) هؤلاء المؤمنون هم الوارثون الجنة.

(١١) الذين يرثون أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً، هم فيها خالدون، لا ينقطع نعيمهم ولا يزول.

(١٢) ولقد خلقنا آدم من طين مأخوذ من جميع الأرض.

(١٣) ثم خلقنا بنه متناسلين من نطفة: هي مني الرجال تخرج من أصلابهم، فتستقر متمكنة في أرحام النساء.

(١٤) ثم خلقنا النطفة علقة أي: دماً أحر، فخلقنا العلقة بعد أربعين يوماً مضغة أي: قطعة لحم قَدَّرَ ما يُمَضَّغ، فخلقنا المضغة اللينة عظماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، فبارك الله، الذي أحسن كل شيء خلقه.

(١٥) ثم إنكم أيها البشر بعد أطوار الحياة وانقضاء الأعمار كُيِّنَ.

(١٦) ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُبْعَثُونَ يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء.

(١٧) ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض، وما كنا عن الخلق غافلين، فلا تُغفل مخلوقاً، ولا ننساه.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُم فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّغُوا لَهَا كَلِيلَتَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسَفِّكُوا بِهَا لُطُوفَهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ مِّنْ ثَمَرٍ كَثِيرٍ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ لَحْمٌ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ بِقَوْمِي أَغْنُوا عَنِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عِبْرَةٌ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ فَقَالَ الْمَلَأُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدَّعَى أَن يَنْفُضَ عَلَيْكُمْ وَتُؤْتَاهُ اللَّهُ لَأَنزِلَ عَلَيْكُمْ مَلَكًا مِّنَّا سَاجِدًا بِهَذَا آيَةً إِنْ أَبَيْتَا آلَ نَاحِلٍ ﴿٢٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَّا يَصْصُوهَا حَتَّىٰ جِئَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ دُاعِيًا فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفَالِكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُ وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعَذَّبُونَ ﴿٢٥﴾

(١٨) وأنزلنا من السماء ماء بقدر السماء ماء بقدر حاجة الخلاق، وجعلنا الأرض مستقراً لهذا الماء، وإنا على ذهاب بالماء المستقر لقادرون. وفي هذا تهديد ووعد للظالمين.

(١٩) فأنشأنا بهذا الماء لكم بساتين النخيل والأعناب، لكم فيها فواكه كثيرة الأنواع والأشكال، ومنها تأكلون.

(٢٠) وأنشأنا لكم به شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل طور «سيناء»، يعصر منها الزيت، فيذهن ويؤتم به.

(٢١) وإن لكم -أيها الناس- في الإبل والبقر والغنم لعبرة تعتبرون بخلقها، تُسقيكم بما في بطونها من اللبن، ولكم فيها منافع أخرى كثيرة كالصوف والجلود، ونحوهما، ومنها تأكلون.

(٢٢) وعلى الإبل والسفن في البر والبحر تُحمَلون.

(٢٣) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، بدعوة التوحيد فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، أفلا تحشون عذابه؟

(٢٤، ٢٥) فكذبهم أشرف قومه، وقالوا لعامتهم: إنه إنسان مثلكم لا يتميز عنكم بشيء، ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلاً عليكم، ولو شاء الله أن يرسل إلينا رسولاً لأرسله من الملائكة، ما سمعنا بمثل هذا فيمن سبقتنا من آباء وأجداد. وما نوح إلا رجل به مَسٌّ من الجنون، فانظروا حتى يُثبِت، فترك دعوته، أو يموت، فتستريحوا منه.

(٢٦) قال نوح: رب انصُرني على قومي؛ بسبب تكذيبهم إياي فيما بَلَّغتهم من رسالتك.

(٢٧) فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق، وبدأ الطوفان، فنبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يجبر فيه- علامة على مجي العذاب، فأدخل في السفينة من كل الأحياء ذكراً وأنثى؛ ليبقى النسل، وأدخل أهلك إلا من استحق العذاب لكفره كزوجتك وابنتك، ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرقون لا محالة. وفي هذه الآية إثبات صفة العين لله سبحانه بها يليق به تعالى دون تشبيه ولا تكيف.

فَإِذَا اسْتَرَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُدْرِكًا وَمُنَادًّا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَنْتَ كَاتِبٌ لِلْغَائِبِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا
 مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ أَتَرْفَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ بَأْسًا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَسْرِي
 مِمَّا تَسْتُرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾
 أَعْبُدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
 هَٰهُنَا هَٰهُنَا لِمَا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
 الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ أَقْرَأَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنْصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنَاءً ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ نَدِيمٌ ﴿٤٠﴾
 فَأَخَذَهُمُ الصَّبْحَةُ بِأَلْحَقٍ فَجَعَلْنَاهُمْ عَتَاءً مُّبْعَدًا لِّلْقَوَمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾

(٢٨) فإذا علوت السفينة مستقرًا عليها أنت ومن معك آمنين من الغرق، فقل: الحمد لله الذي نجّانا من القوم الكافرين.

(٢٩) وقل: رب يسّر لي النزول المبارك الآمن، وأنت خير المنزلين. وفي هذا تعليم من الله عز وجل لعباده إذا نزلوا أن يقولوا هذا الدعاء.

(٣٠) إن في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لدلالات واضحات على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله، وإن كنا لمختبرين الأمم بإرسال الرسل إليهم قبل وقوع العقوبة بهم. (٣١) ثم أنشأنا من بعد قوم نوح جيلاً آخر هم قوم عاد.

(٣٢) فأرسلنا فيهم رسولاً منهم هو هود عليه السلام، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره؟

(٣٣) وقال الأشراف والوجهاء من قومه الذين كفروا بالله، وأنكروا الحياة الآخرة، وأطغاهم ما أنعم به عليهم في الدنيا من ترف العيش: ما هذا الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر

مثلكم، يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.

(٣٤) ولئن اتبعتم فرداً مثلكم إنكم إذا لخاسرون بترككم ألهتكم واتباعكم إياه.

(٣٥) كيف تُصدّقون ما يُعدّكم به من أنكم إذا مِتُّم، وصرتُم تراباً وعظاماً مفتتة، تُخرّجون من قبوركم أحياء؟

(٣٦) بعيد حقاً ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخرّجون أحياء من قبوركم.

(٣٧) ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيى الأبناء، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى.

(٣٨) وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولستنا بمصدقين ما قاله لنا.

(٣٩) فدعا رسولهم ربه قائلاً: رب انصرني عليهم؛ بسبب تكذيبهم لي.

(٤٠) وقال الله مجيباً لدعوته: عمّا قليل ليصبحنّ نادمين، أي: بعد زمن قريب سيصير هؤلاء المكذبون نادمين.

(٤١) ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكهم الله بها، فأتوا جميعاً، وأصبحوا كغثاء السيل الذي يطفو على الماء، فهلكوا هؤلاء الظالمين ويُعدّ لهم من رحمة الله. فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل بهم ما حل بسابقيهم.

(٤٢) ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أمماً وخلقاً آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

مَا تَسْتَعِينُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعِجِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتَرَكَّلُ مَآءَهُ أُمَّةٌ رُسُلُهَا كَذَبُوهُ فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى
وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدَدٌ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ الْأَمْهَلِكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
بَنِي إِسْرَءِيلَ نَسْعَةً وَهِيَ: الْعَصَا وَالْيَدِ وَالْجِرَادُ وَالْقُفْلُ
وَالضَّفَادِعُ وَالدَّمَ وَالطُّوفَانُ وَالسَّنُونُ وَنَقَصَ مِنْ
الشَّمَرَاتِ، حِجَّةٌ بَيْنَهُ تَقْهَرُ الْقُلُوبَ فَتَنْقَادُ لَهَا قُلُوبُ
الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقُومُ الْحِجَّةُ عَلَى الْمُعَانِدِينَ، أَرْسَلْنَا هَامَّ إِلَى
فِرْعَوْنَ حَاكِمِ «مِصْرٍ» وَأَشْرَفَ قَوْمَهُ، فَاسْتَكْبَرُوا
عَنِ الْإِبْرَآئِ بِمُوسَى وَآخِيهِ، وَكَانُوا قَوْمًا مُتَطَاوِلِينَ
عَلَى النَّاسِ قَاهِرِينَ لَهُمْ بِالظُّلْمِ.
﴿٤٧﴾ فَقَالُوا: أَتُصَدِّقُ قُرْدَيْنِ مِثْلَنَا، وَقَوْمَهُمَا مِنْ
بَنِي إِسْرَءِيلَ تَحْتَ إِمْرَتِنَا مُطِيعُونَ مُتَذَلِّلُونَ لَنَا؟
﴿٤٨﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَبِئْسَ مَا جَاءَهُ، فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ
بِالْفِرْقِ فِي الْبَحْرِ.
﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ؛ لِيَهْتَدِيَ بِهَا
قَوْمَهُ إِلَى الْحَقِّ.

- (٥٠) وجعلنا عيسى بن مريم وأمه علامة دالة على قدرتنا؛ إذ خلقناه من غير أب، وجعلنا لها مأوى في مكان مرتفع من الأرض، مستوٍ للاستقرار عليه، فيه خصوبة وماء جارٍ ظاهر للعيون.
- (٥١) يا أيها الرسل كلوا من طيب الرزق الحلال، واعملوا الأعمال الصالحة، إني بيا تعملون عليهم، لا يخفى علي شيء من أعمالكم. والخطاب في الآية عام للرسل -عليهم السلام- وأتباعهم، وفي الآية دليل على أن أكل الحلال عون على العمل الصالح، وأن عقابة الحرام وخيمة، ومنها رد الدعاء.
- (٥٢) وإن دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد وهو الإسلام، وأنا ربكم فانقوني بمثلنا أوامري واجتنبوا زواجرى.
- (٥٣) فنفقوا الأنبياء في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أدياناً بعدما أمروا بالاجتماع، كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحق وغيره على الباطل. وفي هذا تحذير من التحزب والتفرق في الدين.
- (٥٤) فاتركهم -أيها الرسول- في ضلالتهم وجهلهم بالحق إلى أن ينزل العذاب بهم.
- (٥٥، ٥٦) أيظن هؤلاء الكفار أن ما نمذهم به من أموال وأولاد في الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه؟ إنها نجعل لهم الخير فتنة لهم واستدرجاً، ولكنهم لا يحسبون بذلك.
- (٥٧) إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وجلون بما خوفهم الله تعالى به.
- (٥٨) والذين هم يصدقون بآيات الله في القرآن، ويعملون بها.
- (٥٩) والذين هم مخلصون للعبادة لله وحده، ولا يشركون به غيره.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ رَاحَةً إِنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ كَرِيمُونَ ﴿٦٠﴾
 أُولَٰئِكَ يَسِرُّونَ فِي الْغَيْبَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْلَفْ
 نَفْسًا لَّوْ سَعَهَا وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِمَا يَفْعَلُ وَهُمْ لَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٢﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْدَلُ مِّنْ ذَٰلِكَ
 هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
 يَجْعِرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يَخْفَوُ أَلْيَوْمَ لَكُمْ مَتَا لَا تَصْهَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ
 ءَايَاتِي تَنقُلْ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
 مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْتَجِرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ أَمْ
 جَاءَهُمْ مَا لَا يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ
 فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ
 وَكَانَ هُمْ لَهُمْ لَاحِقِينَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاهُ لَفَسَدَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
 عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَيْرًا مِّنْ رِّبِّكَ خَيْرٌ
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَذَٰلِكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ بَطْلٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
 وَإِنِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ

(٦٠) والذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة ألا تقبل أعمالهم، وألا تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب.

(٦١) أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون.

(٦٢) ولا تكلف عبداً من عبادنا إلا بما يسعه العمل به، وأعمالهم مسطورة عندنا في كتاب إحصاء الأعمال الذي ترفعه الملائكة ينطق بالحق عليهم، ولا يُظلم أحد منهم.

(٦٣) لكن قلوب الكفار في ضلال غامر عن هذا القرآن وما فيه، وهم مع شركهم أعمال سيئة، يُمهلهم الله ليعملوها، فينالوا غضب الله وعقابه.

(٦٤) حتى إذا أخذنا المترفين وأهل البطر منهم بعدابنا، إذا هم يرفعون أصواتهم يتضرعون مستغيثين.

(٦٥) فيقال لهم: لا تصرخوا ولا تستغيثوا اليوم، إنكم لا تستطيعون نصر أنفسكم، ولا ينصركم أحد من عذاب الله.

(٦٦) قد كانت آيات القرآن تُقرأ عليكم؛ لتؤمنوا بها، فكنتم تنفرون من سماعها والتصديق بها، والعمل بها كما يفعل الناكص على عقبيه برجوعه إلى الوراء.

(٦٧) تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بغير الحق بسبب بيت الله الحرام، تقولون: نحن أهل لا نُغلب فيه، وتتسامرون حوله بالسَّيِّءِ من القول.

(٦٨) أفلم يتفكروا في القرآن فيعرفوا صدقه، أم منعه من الإتيان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت آباءهم الأولين مثله، فأنكروه وأعرضوا عنه؟

(٦٩) أم منعه من اتباع الحق أن رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟
 (٧٠) بل أحسبوه مجنوناً؟ لقد كذبوا؛ فإنما جاءهم بالقرآن والتوحيد والدين الحق، وأكثرهم كارهون للحق حسداً وبغياً.
 (٧١) ولو شرع الله ما يوافق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرفهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.

(٧٢) بل أمنعهم من الإتيان أنك -أيها الرسول- تسألم أجراً على دعوتك لهم فبخلوا؟ لم تفعل ذلك، فإن ما عند الله من الثواب والعطاء خير، وهو خير الرازقين، فلا يقدر أحد أن يرزق مثل رزقه سبحانه وتعالى.

(٧٣) وإنك -أيها الرسول- لتدعو قومك وغيرهم إلى دين قويم، وهو دين الإسلام.

(٧٤) وإن الذين لا يُصدّقون بالبعث والحساب، ولا يعملون لها، عن طريق الدين القويم لائلثون إلى غيره.

(٧٥) ولورحمتهم وكشفنا ما بهم من ضيق لنجوا في طغيانهم يعمهون ﴿٧٦﴾ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما ينضربون ﴿٧٧﴾ حتى إذا فتحنا عليهم باباً ما من العذاب الشديد في الأخيرة، إذا هم فيه آيسون من كل خير، متحIRON لا يدرون ما يصنعون.

(٧٦) ولقد ابتليناهم بصنوف المصائب فما خضعوا لربهم، وما دعوه خاشعين عند نزولها. (٧٧) حتى إذا فتحنا عليهم باباً من العذاب الشديد في الأخيرة، إذا هم فيه آيسون من كل خير، متحIRON لا يدرون ما يصنعون.

(٧٨) وهو الذي أنشأ لكم السمع لإدراك المسموعات، والأبصار لإدراك المرئيات، والأفئدة لتفقهوا بها، ومع ذلك فشكركم لهذه النعم المتوالية عليكم قليل لا يُذكر.

(٧٩) وهو الذي خلق جميع الناس في الأرض، وإليه تُحشرون بعد موتكم، فيجازيكم بما عملتم من خير أو شر.

(٨٠) وهو وحده الذي يحيي من العدم، ويميت بعد الحياة، وله تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما، أفلا تعقلون قدرته ووحديته؟

(٨١) لكن الكفار لم يصدقوا بالبعث، بل ردّدوا مقولة أسلافهم المنكرين.

(٨٢) قالوا: إذا متنا وتحللت أجسامنا وعظامنا في تراب الأرض نحيا مرة أخرى؟ هذا لا يكون ولا يُتصور.

(٨٣) لقد قبل هذا الكلام لأبائنا من قبل، كما نقوله لنا يا محمد، فلم نره حقيقة، ما هذا إلا أباطيل الأولين.

(٨٤) قل لهم: لمن هذه الأرض ومن فيها إن كان لديكم علم؟

(٨٥) سيعترفون حقاً بأنها لله، هو خالقها ومالكها، قل لهم: ألا يكون لكم في ذلك تذكرة بأنه قادر على البعث والنشور؟

(٨٦) قل من رب السموات السبع وربّ العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات وأعلاها؟

(٨٧) سيقولون حقاً: هي ملك لله، فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟

(٨٨) قل: من مالك كل شيء ومن بيده خزائن كل شيء، ومن يجبر من استجار به، ولا يقدر أحد أن يجبر ويجمي من أراد الله إهلاكه، ولا يدفع الشر الذي قدره الله، إن كنتم تعلمون ذلك؟

(٨٩) سيجيبون: بأن ذلك كله لله، قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتُضربون عن توحيد الله وطاعته، وتصديق أمر البعث والنشور؟

* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفِ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرُّونَ ﴿٧٧﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٨٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨١﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٣﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا لَكُنْزٍ وَآبَاءُ نَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَلْهَاسٌ طَائِفُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٤﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَلَا لِلَّهِ تَدَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ مَنْ يَجْعَلُ لَكُمْ فَيْدًا وَيَكْسِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٩٠﴾

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَّاهُ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُؤْعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَيْنَا أَنْ تُرِيدَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدْ رَوْنَاهُ أَذْفَعُ بَالِي هِيَ أَحْسَنُ الشَّيْئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٨﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٩﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا اسْبَاطَ لِيَهُمْ يُوسَمُونَ وَلَا يَسْأَلُونَ ﴿١٠٠﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ ﴿١٠٢﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ لِنَارٍ وَهَمُّوْهَا كَالْحِوْنِ ﴿١٠٣﴾

(٩٠) بل أتينا هؤلاء المنكرين بالحق فيما أرسلنا به محمداً صلى الله عليه وسلم، وإنهم لكاذبون في شرهم وإنكارهم البعث.

(٩١) لي يجعل الله لنفسه ولداً، ولم يكن معه من معبود آخر؛ لأنه لو كان ثمة أكثر من معبود لانفرد كل معبود بمخلوقاته، ولكان بينهم مغالبة كشأن ملوك الدنيا، فيختل نظام الكون، تنزه الله سبحانه وتعالى وتقدس عن وصفهم له بأن له شريكاً أو ولداً.

(٩٢) هو وحده يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهده، فتنزه الله تعالى عن الشريك الذي يزعمون.

(٩٣، ٩٤) قل -أيها الرسول-: رب إمّا ترينني في هؤلاء المشركين ما يعدّهم من عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين الظالمين، ولكن اجعلني ممن رضيت عنهم.

(٩٥) وإننا لقادرون على أن نريد ما يعدّهم من العذاب.

(٩٦) إذا أساء إليك أعداؤك -أيها الرسول- بالقول أو الفعل فلا تقابلهم بالإساءة، ولكن ادفع إساءتهم بالإحسان منك إليهم، نحن أعلم

بما يصفه هؤلاء المشركون من الشرك والتكذيب، وسنجازيهم عليه أسوأ الجزاء.

(٩٧، ٩٨) وقل -أيها النبي-: رب أستجير بك من إغواء الشياطين المغرية على الباطل والفساد والصد عن الحق وسوستها، وأستجير بك -يا رب- من حضورهم في شيء من أموري.

(٩٩) يخبر الله تعالى عن حال المحتضر من الكافرين أو المفرطين في أمره تعالى، حتى إذا أشرف على الموت، وشاهد ما أعدّ له من العذاب قال: رب ردوني إلى الدنيا.

(١٠٠) لعلي أستدرك ما ضيعت من الإيمان والطاعة. ليس له ذلك، فلا يجاب إلى ما طلب، ولا يُنهل، فإنها هي كلمة هو قائلها قولاً لا ينفعه، وهو فيه غير صادق، فلورّد إلى الدنيا لعاد إلى ما ثمّيه عنه، وسيبقى المتوفون في الحاجز والبرزخ الذي بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور.

(١٠١) فإذا كان يوم القيامة، ونفخ الممّلك المكلف في «القرن»، وبعث الناس من قبورهم، فلا تفاخر بالأنساب حيثذ كما كانوا يفتخرون بها في الدنيا، ولا يسأل أحد أحداً.

(١٠٢) فمن كثرت حسناته وثقلت بها موازين أعماله عند الحساب، فأولئك هم الفائزون بالجنة.

(١٠٣) ومن قلّت حسناته في الميزان، ورجحت سيئاته، وأعظمها الشرك، فأولئك هم الذين خابوا وخسروا أنفسهم، في نار جهنم خالدون.

(١٠٤) تحرّق النار وجوههم، وهم فيها عابسون تقلّصت شفاههم، وبرزت أسنانهم.

أَلَمْ تَكُنْ إِذْ يَبْتَغِي عَلَيْكَ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا احْسِبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذُوا هُمُ سِحْرَ يَاقِينَ ﴿١١٠﴾ أَسْوَأَ كُفْرٍ وَكُنْتُمْ فِيهَا تَصْحَكُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا وَأَنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِقُونَ ﴿١١٢﴾ قُلْ لَّيْسَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ عِدَّةُ سِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٤﴾ قُلْ إِن لَّيْسَ لَكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٥﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٦﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٧﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٨﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٩﴾

سورة المؤمنون

(١٠٥) يقال لهم: ألم تكن آيات القرآن تلى عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟

(١٠٦) لما بلغتهم الرسل وأنذرتهم قالوا يوم القيامة: ربنا غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا المقدرة علينا في سابق علمك، وكنا في فعلنا ضالين عن الهدى.

(١٠٧) ربنا أخرجنا من النار، وأعدنا إلى الدنيا، فإن رجعنا إلى الضلال فإننا ظالمون نستحق العقوبة.

(١٠٨) قال الله عز وجل لهم: امكثوا في النار أذلاء ولا تخاطبوني. فانقطع عند ذلك دعاؤهم ورجاؤهم.

(١٠٩) إنه كان فريق من عبادي - وهم المؤمنون - يدعون: ربنا آمنا فاستر ذنوبنا، وارحمنا، وأنت خير الراحمين.

(١١٠) فاشتغلتم بالاستهزاء بهم حتى نسيتم ذكر الله، فبقيتهم على تكذيبكم، وقد كنتم تضحكون منهم سخريه واستهزاء.

(١١١) إني جزيت هذا الفريق من عبادي المؤمنين الفوز بالجنة؛ بسبب صبرهم على الأذى وطاعة الله.

(١١٢) ويسأل الأشقياء في النار: كم بقيتم في الدنيا من السنين؟ وكم ضيعتم فيها من طاعة الله؟

(١١٣) قالوا ليهول الموقف وشدة العذاب: بقينا فيها يوماً أو بعض يوم، فاسأل الحُساب الذين يعدون الشهور والأيام.

(١١٤) قال لهم: ما لبثتم إلا وقتاً قليلاً لو صبرتم فيه على طاعة الله لفزتم بالجنة، لو كان عندكم علم بذلك؛ وذلك لأن مدة مكثهم في الدنيا قليلة جداً بالنسبة إلى طول مدتهم خالدين في النار.

(١١٥) أفحسبتم - أيها الخلق - أنها خلقناكم مهملين، لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، وأنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء؟

(١١٦) فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء، الذي هو حق، ووعدته حق، ووعدته حق، وكل شيء منه حق، وتقدس عن أن يخلق شيئاً عبثاً أو سقماً، لا إله غيره ربُّ العرش الكريم، الذي هو أعظم المخلوقات.

(١١٧) ومن يعبد مع الله الواحد إلهاً آخر، لا حجة له على استحقاقه العبادة، فإنما جزاؤه على عمله السيئ عند ربه في الآخرة. إنه لا فلاح ولا نجاة للكافرين يوم القيامة.

(١١٨) وقل - أيها النبي -: ربِّ تجاوز عن الذنوب وارحم؛ وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه.

﴿سورة النور﴾

(١) هذه سورة عظيمة من القرآن أنزلناها، وأوجبنا العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها دلالات واضحة؛ لتذكروا - أيها المؤمنون - بهذه الآيات البينات، وتعملوا بها.

(٢) الزانية والزاني اللذان لم يسبق لهما الزواج، عقوبة كل منهما مائة جلدة بالسوط، وثبت في السنة مع هذا الجلد التعريب لمدة عام. ولا تحملكم الرأفة بهما على ترك العقوبة أو تخفيفها، إن كنتم مصدقين بالله واليوم الآخر عاملين بأحكام الإسلام، وليحضر العقوبة عدد من المؤمنين؛ تشيعاً وزجراً وعظة واعتباراً.

(٣) الزاني لا يرضى إلا بنكاح زانية أو مشركة لا يُقرب بحرمة الزنى، والزانية لا ترضى إلا بنكاح زان أو مشرك لا يُقرب بحرمة الزنى، أما العفيفون والعفيفات فاهم لا يرضون بذلك، وحُرِّمَ ذلك النكاح على المؤمنين. وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك تحريم إنكاح الزاني حتى يتوب.

(٤) والذين يتهمون بالفاحشة أنفسهم عفيفة من

النساء والرجال من دون أن يشهد معهم أربعة شهود عدول، فاجلدوهم بالسوط ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

(٥) لكن من تاب وتوب ورجع عن اتهامه وأصلح عمله، فإن الله يغفر ذنبه ويرحمه، ويقبل توبته.

(٦، ٧) والذين يرمون زوجاتهم بالزنى، ولم يكن لهم شهود على اتهامهم هن إلا أنفسهن، فعلى الواحد منهم أن يشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: أشهد بالله أني صادق فيما رمتها به من الزنى، ويزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسه باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذباً في قوله.

(٨، ٩) وبشهادته تستوجب الزوجة عقوبة الزنى، وهي الرجم حتى الموت، ولا يدفع عنها هذه العقوبة إلا أن تشهد في مقابل شهادته أربع شهادات بالله إنه لكاذب في اتهامه لها بالزنى، وتزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسها باستحقاقها غضب الله، إن كان زوجها صادقاً في اتهامه لها، وفي هذه الحال يفرق بينهما.

(١٠) ولولا تفَضُّل الله عليكم ورحمته - أيها المؤمنون - بهذا التشريع للأزواج والزوجات، لأحُلَّ بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه، وأن الله تَوَّاب لمن تاب من عباده، حكيم في شرعه وتدبيره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ أُنزِلَتْهَا وَقَرَّضَهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ فَهُمْ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ وَبَيِّنُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ شَهِدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبَرٌ لِّكُلِّ أَمرٍ مِّنْهُمْ مَا تَحْسَبُ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَفْسِهِمْ خَبَرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَقُلْتُ يَكُ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ وَيَأْتِيَتْكُمْ تَقْوِيلٌ يُفَهِمُكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهَوًى عَنِ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُنْ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَشَدُّ لَعْنًا لِّلْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

(١١) إن الذين جاءوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة متسبون إليكم - معشر المسلمين - لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم، لما تضمن ذلك من ثبوت أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتمحيص المؤمنين. لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب، والذي تحمّل معظمه، وهو عبدالله بن أبي بن سلول كبير المنافقين - لعنه الله - له عذاب عظيم في الآخرة، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار.

(١٢) هلاً ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيراً عند سماعهم ذلك الإفك، وهو السلامة مما رموا به، وقالوا: هذا كذب ظاهر على عائشة رضي الله عنها.

(١٣) هلاً أتى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم، فحين لم يفعلوا ذلك فأولئك هم الكاذبون عند الله.

(١٤) ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكم؛ بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم

يعجل عقوبتكم، وتاب على من تاب منكم، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم.

(١٥) حين تتلقفون الإفك وتتناقلونه بأفواهكم، وهو قول باطل، وليس عندكم به علم، وهما عظوران: التكلم بالباطل، والقول بلا علم، وتظنون ذلك شيئاً هيناً، وهو عند الله عظيم. وفي هذا زجر بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل.

(١٦) وهلاً قلتم عند سماعكم إياه: ما يجل لنا الكلام بهذا الكذب، تنزهاً لك - يارب - من قول ذلك على زوجة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كذب عظيم في الوزر واستحقاق الذنب.

(١٧) يذكركم الله ويهاكم أن تعودوا أبداً لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب، إن كنتم مؤمنين به.

(١٨) ويبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام الشرعية والمواظ، والله عليهم بأفعالكم، حكيم في شرعه وتديره.

(١٩) إن الذين يحبون شيع الفاحشة في المسلمين من قذف بالزنى أو أي قول سيئ لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم، وغيره من البلايا الدنيوية، ولهم في الآخرة عذاب النار إن لم يتوبوا، والله - وحده - يعلم كذبهم، ويعلم مصالح عباده، وعواقب الأمور، وأنتم لا تعلمون ذلك.

(٢٠) ولولا فضل الله على من وقع في حديث الإفك ورحمته بهم، وأن الله يرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم، لما بين هذه الأحكام والمواظ، ولعاجل من خالف أمره بالعقوبة.

(٢١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا
بِشِرْعَائِهِ لَا تَسْلُكُوا طُرُقَ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ يَسْلُكْ
طُرُقَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ بِأَمْرِهِ يَبْقِيحُ الْأَفْعَالِ
وَمُنْكَرَاتِهَا، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَرَحْمَتُهُ
بِهِمْ مَا ظَهَرَ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَبَدًا مِنْ دِنْسِ ذَنْبِهِ، وَلَكِنْ
اللَّهُ -بِفَضْلِهِ- يَطْهَرُ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ
لَأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِنِيَّاتِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ.

(٢٢) ولا يحلف أهل الفضل في الدين والسنة في المال على ترك صلة أقربائهم الفقراء، والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والمهاجرين في سبيل الله، ومنعهم النفقة؛ بسبب ذنب فعلوه، وليتجاوزوا عن إساءتهم، ولا يعاقبوه. ألا تعجبون أن يتجاوز الله عنكم؟ فتجاوزوا عنهم. والله غفور لعباده، رحيم بهم. وفي هذا الحث على العفو والصفح، ولو قبل الإساءة.

(٢٣) إن الذين يقذفون بالزنى العفيفات الغافلات المؤمنات اللاتي لم يخطر ذلك بقلوبهن، مطرودون من رحمة الله في الدنيا والآخرة، وهم عذاب عظيم في نار جهنم. وفي هذه الآية دليل

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ
 خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا
 فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ
 اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْأَفْضَالِ
 مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
 لَكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو جَبَرٍ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
 الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَمُنَافٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ شَهِدَ عَلَيْهِمَ الْآيَاتُ ثُمَّ وَالَّذِيهِمْ وَأَنَّهُمْ بِمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَذِ بَوَّيْتُمْ لَهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الَّذِي
 اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَلْهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَنِ الْخَبِيثَاتِ الْكَافِئَاتِ وَالْخَبِيثُونَ
 لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّائِفَتِ لِلطَّائِفَتِ وَالظَّالِمُونَ لِلظَّالِمَاتِ
 وَأُولَئِكَ مَبْرُوءٌ وَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
 وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٦﴾

على كفر من سبَّ، أو اتهم زوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بسوء.

(٢٤) ذلك العذاب يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم بما نطقوا، وتكلم أيديهم وأرجلهم بما عملت.

(٢٥) في هذا اليوم يوفيهم الله جزاءهم كاملاً على أعمالهم بالعدل، ويعلمون في ذلك الموقف العظيم أن الله هو الحق المبين الذي هو حق، ووعدته حق، ووعدته حق، وكل شيء منه حق، الذي لا يظلم أحداً مثقال ذرة.

(٢٦) كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب للخبيث وموافق له، وكل طيب من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب للطيب وموافق له، والطيبون والطيبات مبرؤون بما يرميهم به الخبيثون من السوء، لهم من الله مغفرة تستغرق الذنوب، ورزق كريم في الجنة.

(٢٧) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعمِلُوا بِشْرِهِ، لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأذِنُوا أهلها في الدخول إليه - أو أَمَرَ اللهُ، فَتُطْعَمُوا.

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يَبُودَ لَكُمْ
وَأِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمْرِهِنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَا يَظْهَرُونَ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُؤْوَى
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

(٢٨) فإن لم تجدوا في بيتوا في بيوت الآخرين أحدًا فلا تدخلوها حتى يوجد من يأذن لكم، فإن لم يأذن، بل قال لكم: ارجعوا فارجعوا، ولا تلتجأوا، فإن الرجوع عندهم أطهر لكم؛ لأن للإنسان أحوالاً يكره اطلاع أحد عليها. والله بما تعملون عليم، فيجازي كل عامل بعمله.

(٢٩) لكن لا حرج عليكم أن تدخلوا بغير استئذان بيوتاً ليست مخصصة لسكنى أناس بذاتهم، بل ليعتصم بها من يحتاج إليها كالبيوت المعدّة صدقة لابن السبيل في طرق المسافرين وغيرها من المرافق، ففيها منافع وحاجة لمن يدخلها، وفي الاستئذان مشقة. والله يعلم أحوالكم الظاهرة والخفية.

(٣٠) قل - أيها النبي - للمؤمنين يغضوا من أبصارهم عما لا يحل لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهن عما حرم الله من الزنى واللواط، وكشف العورات، ونحو ذلك، ذلك أطهر لهم. إن الله خير بما يصنعون فيما يأمرهم به وينهاهم عنه.

(٣١) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عما لا يحل لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عما حرم الله، ولا يظهرن زينة الرجال، بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة لبئسها، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات أعلى ثيابهن من جهة صدورهن مغطيات وجوههن؛ ليكمل سترهن، ولا يظهرن الزينة الخفية إلا لأزواجهن؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم. وبعضها كالوجه، والعنق، واليد، والساعدين يباح رؤيته لآبائهن، أو آباء أزواجهن، أو أبنائهن، أو أبناء أزواجهن، أو أخواتهن، أو أبناء أخواتهن، أو نساءهن المسلمات دون الكافرات، أو ما ملكن من العبيد، أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء، مثل البهائم الذين يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب، أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد، ولا يضرب النساء عند سترهن بأرجلهن ليسعن صوت ما خفي من زينة كالتخلخال ونحوه، وارجعوا - أيها المؤمنون - إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تغزوا بخيري الدنيا والآخرة.

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلَيْسَتْ فَتَنٌ لِلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَأَوْفُوا بِمَا لَكُمْ اللَّهُ الَّذِيءَ أَتَدْرِكُونَ ﴿٣٣﴾
فَتَبَيَّنَ عَلَى الْيَعْلَىٰ إِنْ أَرَدْنَا أَنْ نَحْصِنَ لَئِن تَبَغَّوْا عَرَضَ الْحَيَوةِ
الدُّنْيَا وَمَنْ يُكَاهِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ أَرْهَقِهِمْ غَمُورٌ رَجِيمٌ
﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ ؕ أَلَيْسَ مُبَيَّنًّا وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ۝ اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْسٍ كَوْفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
لِلنَّاسِ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ أَن تَرْفَعَ
وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهَا فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٧﴾

(٣٢) وزوّجوا - أيها المؤمنون - من لا زوج له من الأحرار والحرث والصالحين من عبيدكم وجواريكم، إن يكن الراغب في الزواج للعفة فقيراً يغنيه الله من واسع رزقه. والله واسع كثير الخير عظيم الفضل، عليم بأحوال عباده.

(٣٣) والذين لا يستطيعون الزواج لفقروهم أو غيره فليطلبوا العفة عمّا حرّم الله حتى يغنيهم الله من فضله، ويسرّ لهم الزواج. والذين يريدون أن يتحرروا من العبيد والإماء بمكاتبة أسيادهم على بعض المال يؤدونه إليهم، فعلى مالكيهم أن يكاتبوهم على ذلك إن علموا فيهم خيراً: من رشد وقدره على الكسب وصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم شيئاً من المال أو أن يحطوا عنهم بما كُتبتوا عليه. ولا يجوز لكم إكراه جواريتكم على الزنى طلباً للمال، وكيف يقع منكم ذلك وهن يُرذّن العفة وأنتم تأبونها؟ وفي هذا غاية التشنيع لفعلمهم القبيح. ومن يكرههن على الزنى فإن الله تعالى من بعد إكراههن غفور لمن رحيم بهن، والإثم على من أكرههن.

(٣٤) ولقد أنزلنا إليكم - أيها الناس - آيات

القرآن دلالات واضحات على الحق، ومثلاً من أخبار الأمم السابقة المؤمنين منهم والكافرين، وما جرى لهم وعليهم ما يكون مثلاً وعبرة لكم، وموعظة يتعظ بها من يتقى الله ويحذّر عذابه.

(٣٥) الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيها ويهدي أهلها، فهو - سبحانه - نور، وحجابه نور، به استنارت السموات والأرض وما فيها، وكتاب الله وهدايته نور منه سبحانه، فلولا نوره تعالى لتراكمت الظلمات بعضها فوق بعض. مثل نوره الذي يهدي إليه، وهو الإيمان والقرآن في قلب المؤمن كمشكاة، وهي الكوة في الحائط غير النافذة، فيها مصباح، حيث تجمع الكوة نور المصباح فلا يتفرق، وذلك المصباح في زجاجة، كأنها - لصفاتها - كوكب مضيء كالذر، يوقد المصباح من زيت شجرة مباركة، وهي شجرة الزيتون، لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي متوسطة في مكان من الأرض لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، يكاد زيتها - لصفاته - يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار أضاءه بضاعة بليغة، نور على نور، فهو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن. والله يهدي ويوفق لاتباع القرآن من يشاء، ويضرب الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه. والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

(٣٦) هذا النور المضيء في مساجد أمر الله أن يُرفع شأنها وبنائها، ويُذكر فيها اسمه بتلاوة كتابه والتسبيح والتهليل، وغير ذلك من أنواع الذكر، يُصلي فيها لله في الصباح والمساء.

رَجَالًا لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيِّفًا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمٍ فِي بَاطِنٍ يَخْرِجُهُ مُوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ
يَرُهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ
فَعْلَةٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ
سَحَابًا مَّرْكُومًا يُوقِفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
جَانِبِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثَالِ جِبَالٍ فِيهَا مِن مَّزٍجٍ صَبِيغٍ بِمِثْلِ نِسَاءٍ
وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَن يَشَاءُ كَذَا سَبَابٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾

(٣٧) رجال لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة لمستحقها، يخافون يوم القيامة الذي تنقلب فيه القلوب بين الرجاء في النجاة والخوف من الهلاك، وتنقلب فيه الأبصار تنظر إلى أي مصير تكون؟
(٣٨) ليعطيهم الله ثواب أحسن أعمالهم، ويزيدهم من فضله بمضاعفة حسناتهم. والله يرزق من يشاء بغير حساب، بل يعطيه من الأجر ما لا يبلغه عمله، وبلا عد ولا كيل.
(٣٩) والذين كفروا ببرهم وكذبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة، يظنه العطشان ماء، فإذا أتاه لم يجده ماء. فالكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم يجد لها ثواباً، ووجد الله سبحانه وتعالى بالمرصاد فوفاه جزاء عمله كاملاً. والله سريع الحساب، فلا يستطيع الجاهلون ذلك الوعيد، فإنه لا بد من إتيانه.

(٤٠) أو تكون أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق يعلوه موج، ومن فوق الموج موج آخر، ومن فوقه سحب كثيف، ظلمات شديدة بعضها فوق بعض، إذا أخرج الناظر يده لم يقارب رؤيتها من شدة الظلمات، فالكفار تراكمت عليهم ظلمات الشرك والضلal وفساد الأعمال. ومن لم يجعل الله له نوراً من كتابه وسنة نبيه يهتدي به فما له من هاد.
(٤١) ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله يُسَبِّحُ له من في السموات والأرض من المخلوقات، والطير صافات أجنحتها في السماء تسبح ربها؟ كل خلق قد أرشده الله كيف يصلي له ويسبحه. وهو سبحانه عليم، مُطَّلِع على ما يفعله كل عابد ومُسَبِّح، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم بذلك.
(٤٢) ولله وحده ملك السموات والأرض، له السلطان فيها، وإليه المرجع يوم القيامة.
(٤٣) ألم تشاهد أن الله سبحانه وتعالى يسوق السحاب إلى حيث يشاء، ثم يجمعه بعد تفرقه، ثم يجعله متراكماً، فينزل من بينه المطر؟ وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في عظمتها برداً، فيصيب به من يشاء من عباده ويصرفه عن من يشاء منهم بحسب حكمته وتقديره، يكاد ضوء ذلك البرق في السحاب من شدته يذهب بأبصار الناظرين إليه.

(٤٤) ومن دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى أنه يقلب الليل والنهار بمجيء أحدهما بعد الآخر، واختلافهما طويلاً وقصراً، إن في ذلك لَدلالة يعتبر بها كل من له بصيرة.

(٤٥) والله تعالى خلق كل ما يلب على الأرض من ماء، فالماء أصل خلقه، فمن هذه الدواب: من يمشي زحفاً على بطنه كالحيات ونحوها، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم ونحوها. والله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، وهو قادر على كل شيء.

(٤٦) لقد أنزلنا في القرآن علامات واضحات مرشديات إلى الحق. والله يهدي ويوفق من يشاء من عباده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام. (٤٧) ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرها، ثم تُغْرِض طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول، وما أولئك بالمؤمنين.

(٤٨) وإذا دُعوا في خصوماتهم إلى ما في كتاب

يَقْبَلُ اللَّهُ الْبَيِّنَاتِ وَالظَّاهِرَاتِ فِي ذَلِكَ لَعَنَ لَأُولَى الْأَبْصَرِ ۝
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَيَقُولُوا
ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِآلِ رَسُولٍ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ ۝ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْسَلْنَا أَمْ يَخَافُونَ
أَنْ يَحْجِفَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ إِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَلْمَنِزَةِ لَئِنْ أَمَرَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ
لَا تَقْسِمُوا اطَّاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

الله وإلى رسوله؛ ليحكم بينهم، إذا فريق منهم معرض لا يقبل حكم الله وحكم رسوله، مع أنه الحق الذي لا شك فيه. (٤٩) وإن يكن الحق في جانبهم فإنهم يأتون إلى النبي عليه الصلاة والسلام طائعين متقادين لحكمه؛ لعلمهم أنه يقضي بالحق. (٥٠) أَسَبَّبَ الإِعْرَاضَ ما في قلوبهم من مرض النفاق، أم شكوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أم السبب خوفهم أن يكون حكم الله ورسوله جائراً؟ كلا، إنهم لا يخافون جوراً، بل السبب أنهم هم الظالمون الفجرة. (٥١) أما المؤمنون حقاً فدأبهم إذا دعوا إلى التحاكم في خصوماتهم إلى كتاب الله وحكم رسوله، أن يقبلوا الحكم ويقولوا: سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا إلى ذلك، وأولئك هم المفلحون الفائزون بمطلوبهم في جنات النعيم. (٥٢) ومن يطع الله ورسوله في الأمر والنهي، ويخف عواقب العصيان، ويخذر عذاب الله، فهو لاء هم الفائزون بالنعيم في الجنة.

(٥٣) وأقسم المنافقون بالله تعالى غاية اجتهداهم في الأيمان المغلظة: لئن أمرتنا -أيها الرسول- بالخروج للجهاد معك لنخرجن، قل لهم: لا تحلفوا كذباً، فطاعتكم معروفة بأنها باللسان فحسب، إن الله خير بما تعملونه، وسيجازيكم عليه.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَلَيْشَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ تَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَيَسْتَزِدَّنَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَوْ تَبْلُغُوا الظَّاهِرَ مِنْكُمْ تِلْكَ مَرْثَاتٌ مِمَّنْ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ ظُهُورُكُمْ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

(٥٤) قل -أيها الرسول- للناس: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن تعرضوا فإننا على الرسول فاعمل ما أمر به من تبليغ الرسالة، وعلى الجميع فاعمل ما كلفوه من الامتثال، وإن طيعوه ترشدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا أن يبلغ رسالة ربه بلاغاً بيناً.

(٥٥) وعد الله بالنصر الذين آمنوا منكم وعملوا الأعمال الصالحة، بأن يورثهم أرض المشركين، ويجعلهم خلفاء فيها، مثلاً فعل مع أسلافهم من المؤمنين بالله ورسوله، وأن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم -وهو الإسلام- ديناً عزيزاً مكيناً، وأن يبدل حالهم من الخوف إلى الأمن، إذا عبدوا الله وحده، واستقاموا على طاعته، ولم يشركوا معه شيئاً، ومن كفر بعد ذلك الاستخلاف والأمن والتمكين والسلطنة التامة، وجحد نعم الله، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

(٥٦) وأقيموا الصلاة تامة، وآتوا الزكاة

لمستحقها، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم؛ رجاء أن يرحمكم الله.

(٥٧) لا تظننَّ الذين كفروا معجزين الله في الأرض، بل هو قادر على إهلاكهم، ومرجمهم في الآخرة إلى النار، وقبح هذا المرجع والمصير. وهو توجيه عام للأمة، وإن كان الخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم.

(٥٨) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره مروا عبيدكم وإماءكم، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم وليس ثياب البقطة، ووقت خلع الثياب للقبولة في الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت للنوم، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم، يقل فيها التستر، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدخول عليكم، فهم طوافون عليكم للخدمة، ولأن العادة جرت برتد بعضهم إلى بعض فيها لقضاء المصالح. كما بيّن الله لكم أحكام الاستئذان بيّن لكم آياته وأحكامه وحججه وشرائع دينه. والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم.

(٥٩) وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية، فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، وكما يبيِّن الله آداب الاستئذان يبيِّن الله تعالى لكم آياته. والله عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعه.

(٦٠) والعجائز من النساء اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة لكبرهن، فلا يطمعن في الرجال للزواج، ولا يطمع فيهن الرجال كذلك، فهؤلاء لا حرج عليهن أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء الذي يكون فوق الثياب غير مظهرات ولا متعرضات للزينة، ولْيُسَهِّن هذه الثياب - سترًا وتعففًا - أحسن هن. والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم.

(٦١) ليس على أصحاب الأعدار من العُميان وذوي العرج والمرضى إثم في ترك الأمور الواجبة التي لا يقدرُونَ على القيام بها، كالجهاد

وإذا بلغ الأطفال منكم أَلْفَلَسَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنفُسِ كُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاحِشُهُنَّ أَوْ صُدُوقُهُنَّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

ونحوه مما يتوقف على بصر الأعمى أو سلامة الأعرج أو صحة المريض، وليس على أنفسكم - أيها المؤمنون - حرج في أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم، فيدخل فيها بيوت الأولاد، أو من بيوت آبائكم، أو أمهاتكم، أو إخوانكم، أو أخواتكم، أو أعمامكم، أو عَمَّاتكم، أو أخواتكم، أو خالاتكم، أو من البيوت التي وُكِّلْتُمْ بحفظها في غيبة أصحابها بإذنهم، أو من بيوت الأصدقاء، ولا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، فإذا دخلتم بيوتاً مسكونة أو غير مسكونة فليسلم بعضكم على بعض بتحية الإسلام، وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين إذا لم يوجد فيها أحد، وهذه التحية شرعها الله، وهي مباركة تُنْجِي المودة والمحبة، طيبة محبوبة للسامع، بمثل هذا التبيين يبيِّن الله لكم معالم دينه وآياته؛ لتعقلوها، وتعملوا بها.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَ كُفْرٍ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ وَلَئِذَا قُلْتُمْ لِلَّذِينَ يُحَالِفُونَ عَنِ
أَمْرِهِمْ أَلَّا يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَهُوَ
يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْتَهِرُ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

(٦٢) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هم الذين صدَّقوا الله
ورسوله وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي
صلى الله عليه وسلم على أمر جمعهم له في
مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى
يستأذنه، إن الذين يستأذنونك -أيها النبي- هم
الذين يؤمنون بالله ورسوله حقًا، فإذا استأذذك
لبعض حاجتهم فأذن لمن شئت ممن طلب الإذن
في الانصراف لعذر، واطلب لهم المغفرة من الله.
إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.
(٦٣) لا تقولوا -أيها المؤمنون- عند ندائكم
رسول الله: يا محمد، ولا يا محمد بن عبد الله،
كما يقول ذلك بعضكم لبعض، ولكن شرفوه،
وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله. قد يعلم الله
المنافقين الذين يخرجون من مجلس النبي صلى
الله عليه وسلم خفية بغير إذنه، يلوذ بعضهم
ببعض، فليخذر الذين يخالفون أمر رسول الله
أن تنزل بهم محنة وشدة، أو يصيبهم عذاب مؤلم
موجع في الآخرة.

(٦٤) أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلْقًا وَمُلْكًا وعبادة، قد أحاط علمه بجميع ما أنتم عليه، ويوم يرجع العباد إليه
في الآخرة، يخبرهم بعملهم، ويجازيهم عليه، والله بكل شيء عليم، لا تخفى عليه أعمالهم وأحوالهم.

﴿سورة الفرقان﴾

(١) عَظُمَتْ بركات الله، وكثرت خيراته، وكملت أوصافه سبحانه وتعالى الذي نَزَّلَ القرآنَ الفارق بين الحق والباطل على
عبد محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون رسولاً للإنس والجن، مخوفاً لهم من عذاب الله.
(٢) الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء فسوّاه على
ما يناسبه من الخلق، وفق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل.

(٣) واتخذ مشركو العرب معبودات من دون الله لا تستطيع خلق شيء، والله خلقها وخلقهم، ولا تملك لنفسها دفع ضر أو جلب نفع، ولا تستطيع إمامة حي أو إحياء ميت، أو بعث أحد من الأموات حياً من قبره.

(٤) وقال الكافرون بالله: ما هذا القرآن إلا كذب وبهتان اختلقه محمد، وأعانه على ذلك أناس آخرون، فقد ارتكبا ظلماً فظيماً، وأتوا زوراً شنيعاً؛ فالقرآن ليس مما يمكن لبشر أن يخلقه.

(٥) وقالوا عن القرآن: هو أحاديث الأولين المسطرة في كتبهم، استسخها محمد، فهي تُقرأ عليه صباحاً ومساءً.

(٦) قل -أيها الرسول- هؤلاء الكفار: إن الذي أنزل القرآن هو الله الذي أحاط علمه بسا في السموات والأرض، إنه كان غفوراً لمن تاب من الذنوب والمعاصي، رحيماً بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضُرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً
وَلَا حَيَاةً وَلَا شَوْراً ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا
إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا
وَزُورًا ۚ وَقَالُوا أَسْطِيزُ الْوَيْلُ لِمَنْ كَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمْعِ وَالْأَرْصِ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا ۚ
وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَنَذِيرًا ۚ
أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنَّا تَنَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۚ أَنْظِرْ
كَفَيْضَ ضَرْبِكَ الْآنَ مِثْلَ الْفَضْلِ فَصَلُّوا فَلَإِنَّ نِصْيَةَ
سَيِّدِكَ ۚ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُوزًا ۚ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝

(٨، ٧) وقال المشركون: ما هذا الذي يزعم أنه رسول الله (يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم) يأكل الطعام مثلنا، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق؟ فهلاً أرسل الله معه ملكاً يشهد على صدقه، أو يهبط عليه من السماء كنز من مال، أو تكون له حديقة عظيمة يأكل من ثمرها، وقال هؤلاء الظالمون المكذبون: ماتبعون أيها المؤمنون إلا رجلاً به سحر غلب على عقله.

(٩) انظر -أيها الرسول- كيف قال المكذبون في حقك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه -لغرابتها- الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فبعُدوا بذلك عن الحق، فلا يجدون سبيلاً إليه؛ ليصححوا ما قالوه فيك من الكذب والافتراء.

(١٠) عَظُمَتْ بركات الله، وكَثُرَتْ خيراته، الذي إن شاء جعل لك -أيها الرسول- خيراً مما تمنّوه لك، فجعل لك في الدنيا حقائق كثيرة تتخللها الأنهار، ويجعل لك فيها قصوراً عظيمة.

(١١) وما كذبوك؛ لأنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، بل كذبوا بيوم القيامة وما فيه من جزاء، وأعدنا لمن كذب بالساعة ناراً حارة تُسعر بهم.

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَرَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَلِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هَٰذَا الَّذِي كُنَّا
نُؤْتِيهِمْ مِنْ قَبْلُ ۚ لَآ تَنفَعُ الْيَوْمَ بُرًّا وَحَدًّا ۖ وَدَعَوْا نُبُورًا ﴿١٣﴾
قُلْ أَذَلِكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَرَآءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٤﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مُسْتَوْفًا ﴿١٥﴾ وَكَوْنُوا بِخَشْيَةِ رَبِّكُمْ
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُوا أَنَّهُ أَصْلَحُ عِبَادِي
هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صَالُوا السَّبِيلِ ﴿١٦﴾ قَالُوا اسْمِعْنَاكَ مَا كَانُوا
يَسْتَعِينُ لَنَا أَنْ نَخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ سَوَّاءُ الْكَعْبَةِ ۚ وَكُنَّا نُؤْتِيهِمْ أَجْرًا ﴿١٧﴾
فَقَدْ كَذَّبُوا كُفْرًا تَقُولُونَ فَمَا اسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ بَعْضَكُم بَعْضًا فَذُقْهُ ۚ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا
الطَّعَامَ وَيَتَشَابَهُوا فِي الْأَسْوَاقِ ۚ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً ۚ أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿١٩﴾

(١٢) إذا رأته النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة من مكان بعيد، سمعوا صوت غليانها وزفيرها، من شدة تغيطها منهم.

(١٣) وإذا ألقوا في مكان شديد الضيق من جهنم - وقد قرئت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم - دعوا على أنفسهم بالهلاك للخلاص منها.

(١٤) فيقال لهم تيسبأ: لا تدعوا اليوم بالهلاك مرة واحدة، بل مرات كثيرة، فلن يزيدكم ذلك إلا غمًا، فلا خلاص لكم.

(١٥) قل لهم - أيها الرسول -: أهذه النار التي وصفت لكم خير أم جنة النعيم الدائم التي وعد بها الخائفون من عذاب ربهم، كانت لهم ثواباً على عملهم، وما لا يرجعون إليه في الآخرة؟

(١٦) هؤلاء المطيعين في الجنة ما يشتهون من ملاذ النعيم، متاعهم فيه دائم، كان دخولهم إياها على ربك - أيها الرسول - وعداً مسؤولاً، يسأله عباد الله المتقون، والله لا يخلف وعده.

(١٧) ويوم القيامة يحشر الله المشركين وما كانوا يعبدونه من دونه، فيقول هؤلاء المعبودين: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء عن طريق الحق، وأمرتموهم بعبادتكُم، أم هم ضلوا السبيل، فعبدوكم من تلقاء أنفسهم؟

(١٨) قال المعبودون من دونه: تنزهاً لك - يا ربنا - عما فعل هؤلاء، فما يصح أن نتخذ سواك أولياء نوالهم، ولكن متعت هؤلاء المشركين وأبائهم بالمال والعافية في الدنيا، حتى نسوا ذكرك فأشركوا بك، وكانوا قوماً هلكى غلب عليهم الشقاء واخذلنا.

(١٩) فيقال للمشركين: لقد كذبكم هؤلاء الذين عبدتموهم في ادعائكم عليهم، فما أنتم أولاء لا تستطيعون دفعاً للعذاب عن أنفسكم، ولا نصراً لها، ومن يشرك بالله فيظلم نفسه ويعبد غير الله، ويمت على ذلك، يعذبه الله عذاباً شديداً.

(٢٠) وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - أحداً من رسلنا إلا كانوا بشراً يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق. وجعلنا بعضهم - أيها الناس - لبعض ابتلاء واختباراً بالهدى والضلال، والغنى والفقر، والصحة والمرض، هل تصبرون، فتقوموا بما أوجبه الله عليكم، وتشكروا له، فيبيكم مولاكم، أو لا تصبرون فتستحقوا العقوبة؟ وكان ربك - أيها الرسول - بصيراً بمن يجزع أو يصبر، وبمن يكفر أو يشكر.

* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَاوُلَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ
 أَنْزَلْنَاهُ رَبَّنَا الْقَدْ آتَيْنَاكَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَغَرَّتْهُمُ كِبَرُهُمْ
 ٢١ وَيَوْمَ يَرْوُنَ الْكَلْبُ الْكَلْبُ لَا بُشْرَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
 حِجْرًا مَحْجُورًا ٢٢ وَقَدْ مَتَّأ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
 هَبَاءً مَنْثُورًا ٢٣ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
 وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ٢٤ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَمُنْزِلُ الْكَلْبِ
 تَزِيلًا ٢٥ الْمَلَكُ يَوْمَ ذَلِكَ لَمَّا لَزَخْنَ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
 الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ٢٦ وَيَوْمَ يَعْصُ الظُّلُمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
 يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧ يَوْمَ نَبِّئُ لَيْسَ لَكَ
 اتَّخَذَ فَلَا تُخَالِفِكُ ٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ٢٩ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُ
 إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ٣٠ وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
 وَنَصِيرًا ٣١ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
 وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٢

(٢١) وقال الذين لا يؤمنون لقاء ربهم بعد موتهم لإنكارهم له: هلاً أنزل علينا الملائكة، فتخبرنا بأن محمداً صادق، أو نرى ربنا عياناً، فيخبرنا بصدقته في رسالته. لقد أعجبوا بأنفسهم واستعلوا حيث اجتروا على هذا القول، وتحاوروا الحد في طغيانهم وكفرهم.

(٢٢) يوم يرون الملائكة عند الاحتضار، وفي القبر، ويوم القيامة، على غير الصورة التي اقترحوها لا تبشرهم بالجنة، ولكن لتقول لهم: جعل الله الجنة مكاناً محرماً عليكم.

(٢٣) وقدمنا إلى ما عملوه من مظاهر الخير والبر، فجعلناه باطلاً مضمحلاً، لا ينفعهم كالماء المنثور، وهو ما يرى في ضوء الشمس من خفيف الغبار؛ وذلك أن العمل لا ينفع في الآخرة إلا إذا توفر في صاحبه: الإيمان بالله، والإخلاص له، والمتابعة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢٤) أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقراً من أهل النار وأحسن منازل في الجنة، فراحهم تامة، ونعيمهم لا يشوبه كدر.

(٢٥) واذكر - أيها الرسول - ذلك اليوم الذي تشقق فيه السماء، ويظهر من فتحاتها السحاب

الأبيض الرقيق، وينزل الله ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخالقين في المحشر، ويأتي الله تبارك وتعالى لفصل القضاء بين العباد، إتياناً يليق بجلاله.

(٢٦) الملك الحق في هذا اليوم للرحمن وحده دون من سواه، وكان هذا اليوم صعباً شديداً على الكافرين؛ لما ينالهم من العقاب والعذاب الأليم.

(٢٧-٢٩) واذكر - أيها الرسول - يوم يعص الظالم لنفسه على يديه نداماً وتحسراً قائلاً: يا ليتني صاحبت رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم واتبعت في اتخاذ الإسلام طريقاً إلى الجنة، ويتحسراً قائلاً: يا ليتني لم اتخذ الكافر فلاناً صديقاً أتبعه وأوده. لقد أضلني هذا الصديق عن القرآن بعد إذ جاءني. وكان الشيطان الرجيم خذولاً للإنسان دائماً. وفي هذه الآيات التحذير من مصاحبة قرين السوء؛ فإنه قد يكون سبباً لإدخال قرينه النار.

(٣٠) وقال الرسول شاكياً ما صنع قومه: يا رب إن قومي تركوا هذا القرآن وهجروه، متباعدين في إعراضهم عنه وتركه تدبره والعمل به وتبليغه. وفي الآية تخويف عظيم لمن هجر القرآن فلم يعمل به.

(٣١) وكما جعلنا لك - أيها الرسول - أعداء من مجرمي قومك، جعلنا لكل نبي من الأنبياء عدواً من مجرمي قومه، فاصبر كما صبروا. وكفى بربك هادياً ومرشداً ومعيناً يعينك على أعدائك. وفي هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣٢) وقال الذين كفروا: هلاً أنزل القرآن على محمد جملة واحدة كالنوراة والإنجيل والزبور! قال الله سبحانه وتعالى: كذلك أنزلناه مفرقاً؛ لنقوي به قلبك وترداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله، ويثبت به وثقه.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ أَشْرُّ مَكَانًا وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمُومًا لِلنَّاسِ آيَةً ﴿٣٧﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٨﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَصَرِيحًا لَ الْأَمْثَلِ وَكَانَ تَرْجَا تَفْسِيرًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَ الْقُرَيْشَ الْآتِيَ الْأَمْطَرِ مَطَرُ السَّوَاءِ أَفَلَا يَكُونُونَ زُفَرًا ﴿٤١﴾ بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ شُورًا ﴿٤٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ نَازِلًا حِجَابًا مَدِيدًا ﴿٤٣﴾ لَ الْأَهْزَاؤِ أَهْذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤٤﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ هَ الْهَيْتَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَبِيلًا ﴿٤٥﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٦﴾

(٣٣) ولا يأتيتك - أيها الرسول - المشركون بحجة أو شبهة إلا جئناك بالجواب الحق وبأحسن بيان له.

(٣٤) أولئك الكفار هم الذين يُسحبون على وجوههم إلى جهنم، وأولئك هم شر الناس منزلة، وأبعدهم طريقاً عن الحق.

(٣٥، ٣٦) ولقد آتينا موسى التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون معيناً له، فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بآياتنا، فربيتنا والوحيثنا، فذهبا إليهم، فدعواهم إلى الإيمان بالله وطاعته وعدم الإشراك به، فكذبوهما، فأهلكناهما إهلاكاً عظيماً.

(٣٧) وأغرقنا قوم نوح بالطوفان حين كذبوه. ومن كذب رسولا فقد كذب الرسل جميعاً. وجعلنا أغراقهم للناس عبرة، وجعلناهم ولن سلك سبيلهم في التكذيب يوم القيامة عذاباً موجعاً.

(٣٨) وأهلكنا عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح، وأصحاب البئر وأمم كثيرة بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرِّسِّ، لا يعلمهم إلا الله.

(٣٩) وكل الأمم بيننا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة، وأزحنا الأعداء عنهم، ومع ذلك لم يؤمنوا، فأهلكناهم بالعذاب إهلاكاً.

(٤٠) ولقد كان مشركو «مكة» يَمرون في أسفارهم على قرية قوم لوط، وهي قرية «سدوم» التي أهلكك بالحجارة من النساء، فلم يعتبروا بها، بل كانوا لا يرجون معاداً يوم القيامة يجازون فيه.

(٤١، ٤٢) وإذا رآك هؤلاء المكذبون - أيها الرسول - استهزؤا بك قائلين: أهذا الذي يزعم أن الله بعثه رسولاً إلينا؟ إنه قارب أن يصرفنا عن عبادة أصنامنا بقوة حجته وبيانه، لولا أن ثبتنا على عبادتها، وسوف يعلمون حين يرون ما يستحقون من العذاب: من أصل ديناً أم محمد؟

(٤٣) انظر - أيها الرسول - متعجباً إلى من أطاع هواه كطاعة الله، أفانت تكون عليه حفيظاً حتى تردّه إلى الإيمان؟

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَأَلْفٍ مِّنْ بَلٍ مُّزْدَلٍّ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ذِيكَ كَيْفَ مَدَّ
أَظْلَمَ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا تَحْتَ الْجَلَّتِ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٥٢﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَيْلَ لِيَأْسَوا وَلِتُؤْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٥٤﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنِي إِدْرَىٰ رَحْمَةً وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٥﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتَةً وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّدُ الْكِبَرِ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥٨﴾ فَلَا نَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدُهُمْ
بِهِ جَهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا
عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَحْجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَعَمَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٦١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٦٢﴾

(٤٤) أم تظن أن أكثرهم يسمعون آيات الله
سماع تدبر، أو يفهمون ما فيها؟ ما هم إلا
كالبهائم في عدم الانتفاع بما يسمعون، بل هم
أضل طريقاً منها.

(٤٥، ٤٦) ألم تر كيف مدَّ الله الظل من طلوع
الفجر إلى طلوع الشمس؟ ولو شاء لجعله ثابتاً
مستقراً لا تزيله الشمس، ثم جعلنا الشمس
علامة يُستدلُّ بأحوالها على أحواله، ثم تقلَّص
الظل يسيراً يسيراً، فكيف ازداد ارتفاع الشمس
ازداد نقصانه. وذلك من الأدلة على قدرة الله
وعظمته، وأنه وحده المستحق للعبادة دون
سواه.

(٤٧) والله تعالى هو الذي جعل لكم الليل
ساتراً لكم بظلامه كما يستركم اللباس، وجعل
النوم راحة لأبدانكم فيه تهدؤون وتسكنون،
وجعل لكم النهار، لتنتشروا في الأرض،
وتطلبوا معاشكم.

(٤٨، ٤٩) وهو الذي أرسل الرياح التي تحمل
السحاب، تبشر الناس بالمطر رحمة منه، وأنزلنا
من السماء ماء يُطَهَّرُ به؛ لنخرج به النبات في

مكان لا نبات فيه، فيحيي البلد الجذب بعد موات، ونُسقي ذلك الماء من خلقنا كثيراً من الأنعام والناس.

(٥٠) ولقد أنزلنا المطر على أرض دون أخرى؛ ليعلم الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، وليذكر الذين
مُنِعوا منه، فيسارعوا بالتوبة إلى الله - جل - وعلا - ليرحمهم ويسقيهم، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً لنعمنا عليهم، كفوفهم:
مطرباً بنوء كذا وكذا.

(٥١، ٥٢) ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً، يدعوهم إلى الله عز وجل، وينذرهم عذابه، ولكننا جعلناك - أيها الرسول -
مبعوثاً إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن، فلا تطع الكافرين في ترك شيء مما أرسلت به، بل ابذل
جهدك في تبليغ الرسالة، واجاهد الكافرين بهذا القرآن جهاداً كبيراً، لا يخالفه فتور.

(٥٣) والله هو الذي خلط البحرين: العذب السائغ الشراب، والملح الشديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزاً يمنع كل واحد
منها من إفساد الآخر، ومانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر.

(٥٤) وهو الذي خلق من مني الرجل والمرأة ذرية ذكوراً وإناثاً، فنشأ من هذا قرابة النسب وقرابة المصاهرة. وكان ربك
قديراً على خلق ما يشاء.

(٥٥) ومع كل هذه الدلائل على قدرة الله وإنعامه على خلقه يُعِدُّ الكفار من دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه، ولا يضرهم
إن تركوا عبادته، وكان الكافر عوناً للشيطان على ربه بالشرك في عبادة الله، مظاهراً له على معصيته.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءِ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رِيبَهُ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ أَقِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا مَرُّا وَرَأَدَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

(٥٦) وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا مبشراً للمؤمنين والنجاة ومنذراً للكافرين بالنا.

(٥٧) قل لهم: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أي أجر، لكن من أراد أن يهتدي ويسلك سبيل الحق إلى ربه وينفق في مرضاته، فلست أجبركم عليه، وإنما هو خير لأنفسكم.

(٥٨) وتوكل على الله الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله، الذي لا يموت، ونزّهه عن صفات النقصان. وكفى بالله خبيراً بذنوب خلقه، لا يخفى عليه شيء منها، وسيحاسبهم عليها ويجازيهم بها.

(٥٩) الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش -أي: علا وارتفع- استواءً يليق بجلاله، هو الرحمن، فاسأل -أيها النبي- به خيراً، يعني بذلك سبحانه نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم صفاته وعظمته وجلاله. ولا أحد من البشر أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦٠) وإذا قيل للكافرين: اسجدوا للرحمن واعبدوه قالوا: ما نعرف الرحمن، أنسجد لما تأمرنا بالسجود له طاعة لأمر؟ وزادهم دعاؤهم إلى السجود للرحمن بُعداً عن الإيمان ونفوراً منه.

(٦١) عظمت بركات الرحمن وكثر خيره، الذي جعل في السماء النجوم الكبار بمنازلها، وجعل فيها شمساً تضيء وقمرًا ينير. (٦٢) وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبين يتخلف أحدهما الآخر لمن أراد أن يعتبر بها في ذلك إيماناً بالمُدبر الخالق، أو أراد أن يشكر الله تعالى على نعمه وآلائه.

(٦٣) وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين، وإذا خاطبهم الجاهلة السفهاء بالأذى أجابوهم بالمعروف من القول، وخاطبوهم خطاباً يتسلمون فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجاهل.

(٦٤) والذين يكثر من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم، متذللين له بالسجود والقيام. (٦٥، ٦٦) والذين هم مع اجتهداتهم في العبادة يخافون الله فيدعون أن ينجيهم من عذاب جهنم، إن عذابها يلازم صاحبه. إن جهنم شر قرار وإقامة.

(٦٧) والذين إذا أنفقوا من أموالهم لم يتجاوزوا الحد في العطاء، ولم يضيّقوا في النفقة، وكان إنفاقهم وسطاً بين التبذير والتضييق.

(٦٨-٧١) والذين يوحّدون الله، ولا يدعون
ولا يعبدون إلهاً غيره، ولا يقتلون النفس التي
حرّم الله قتلها إلا بما يحقّ قتلها به: من كفر بعد
إيمان، أو زنى بعد زواج، أو قتل نفس عدواناً،
ولا يزنون، بل يحفظون فروجهم إلا على
أزواجهم أو ما ملكت أيانهم، ومن يفعل شيئاً
من هذه الكبائر يلقى في الآخرة عقاباً. يُضاعف
له العذاب يوم القيامة، ويخلّد فيه ذليلاً حقيراً.
(والوعيد بالخلود لمن فعلها كلها، أو لمن أشرك
بالله). لكن من تاب من هذه الذنوب توبة
نصوحاً وأمن إيماناً جازماً مقروناً بالعمل
الصالح، فأولئك يحوّله الله عنهم سيئاتهم ويجعل
مكانها حسناً؛ بسبب توبتهم وندمهم. وكان
الله غفوراً لمن تاب، رحيماً بعباده حيث دعاهم
إلى التوبة بعد مبارزته بأكبر المعاصي. ومن تاب
عملاً ارتكب من الذنوب، وعمل عملاً صالحاً
فإنه بذلك يرجع إلى الله رجوعاً صحيحاً، فيقبل
الله توبته ويكفر ذنوبه.

(٧٢) والذين لا يشهدون بالكذب ولا يحضرون

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ النِّفْسُ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ
فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ
إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ أَوَّلَ نَدْوَاهُمْ
يَالْقَوْمُ مَرْوُكِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ عِبَادَةِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُؤْا عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمِيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَمِيمَةً وَسَلَامًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا
حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبُؤُنِي لَكُمْ
دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

سورة الفرقان

مجالسه، وإذا مروا بأهل الباطل واللغو من غير قصد مروا معرضين منكربين يتزهون عنه، ولا يرضونه لغيرهم.
(٧٣) والذين إذا وُعظوا بأيات القرآن ودلائل وحدانية الله لم يتغافلوا عنها، كأنهم صُمُّ لم يسمعوها، وعُيْم لم يبصروها،
بل وُعَتْها قلوبهم، وتفتحت لها بصائرهم، فخرّوا لله ساجدين مطيعين.

(٧٤) والذين يسألون الله تعالى قائلين: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقرّ به أعيننا، وفيه أنسننا وسرورنا، واجعلنا
قدوة بقدي بنا المتقون في الخير.

(٧٥، ٧٦) أولئك الذين اتصفوا بالصفات السابقة من عباد الرحمن، يثابون أعلى منازل الجنة؛ برحمة الله وبسبب صبرهم
على الطاعات، وسيلقون في الجنة النجوة والتسليم من الملائكة، والحياة الطيبة والسلامة من الآفات، خالدين فيها أبداً من
غير موت، حسنت مستقراً يتقرون فيه ومقاماً يقيمون به، لا ييغون عنها تحولاً.

(٧٧) أخبر الله تعالى أنه لا يبالي ولا يعاب بالناس، لولا دعاؤهم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة، فقد كذبتهم -أيها الكافرون-
فسوف يكون تكذيبكم مُفضيلاً إلى عذاب يلزمكم لزوم الغريم لغريمه، ويهلككم في الدنيا والآخرة.

﴿سورة الشعراء﴾

(١) ﴿طَسَمَ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
(٢) هذه آيات القرآن الموضح لكل شيء الفاصل بين الهدى والضلال.
(٣) لعلك - أيها الرسول - من شدة حرصك على هدايتهم مهلك نفسك؛ لأنهم لم يصدقوا بك ولم يعملوا بهديك، فلا تفعل ذلك.
(٤) إن نشأ نزل على المكذبين من قومك من السماء معجزة مخوفة لهم تلجئهم إلى الإيمان، فتصير أعناقهم خاضعة ذليلة، ولكننا لم نشأ ذلك؛ فإن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب اختياراً.
(٥) وما يجيء هؤلاء المشركين المكذبين من ذكر من الرحمن تحدث إنزاله، شيئاً بعد شيء، يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم بالدين الحق إلا أعرضوا عنه ولم يقبلوه.
(٦) فقد كذبوا بالقرآن واستهزؤا به، فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يستهزئون به ويسخرون منه، وسيحل بهم العذاب جزاء تمردهم على ربهم.
(٧-٩) أكذبوا ولم ينظروا إلى الأرض التي أنبتنا فيها من كل نوع حسن نافع من النبات، لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين؟ إن في إخراج النبات من الأرض لدلالة واضحة على كمال قدرة الله، وما كان أكثر القوم مؤمنين. وإن ربك هو العزيز على كل مخلوق، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

(١٠، ١١) واذكر - أيها الرسول - لقومك إذ نادى ربك موسى: أن اتت القوم الظالمين، قوم فرعون، وقل لهم: ألا يخافون عقاب الله تعالى، ويتركون ما هم عليه من الكفر والضلال؟
(١٢-١٤) قال موسى: رب إني أخاف أن يكذبوني في الرسالة، ويملا صدري الغم لتكذيبهم إياي، ولا ينطلق لسانى بالدعوة فاريسل جبريل بالوحي إلى أخي هارون، ليعاوني ويصدقني فيما أقول، ويؤمنهم ما أخاطبهم به، فهو أفصح مني نطقاً. ولهم عليّ ذنب في قتل رجل منهم، وهو القبطي، فأخاف أن يقتلوني به.
(١٥-١٧) قال الله لموسى: كلاً لن يقتلوك، وقد أجبت طلبك في هارون، فاذها بالمعجزات الدالة على صدقكم، إنا معكم بالعلم والحفظ والنصرة مستمعون. فأثارت فرعون فقالوا له: إنا مرسلان إليك وإلى قومك من رب العالمين: أن اترك بني إسرائيل، ليذهبوا معنا.
(١٨، ١٩) قال فرعون لموسى - متمتاً عليه -: ألم تُرَبِّك في منازلنا صغيراً، ومكثت في رعايتنا سنين من عُمرِكَ، وارتكبت جنايةً بقتلك رجلاً من قومي حين ضربته ودفعته، وأنت من الجاحدين نعمتي المنكرين ربوبيتي؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ١ يَلِكْ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَخْعَ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣ إِنَّا نَشَأُنَزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ ٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٦ أُولَئِكَ رَوَّاءُ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْشَأْنَاهَا مِنْ كُلِّ رِجٍّ ٧ كَرِيمٍ ٨ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٠ وَلَئِذَا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١١ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ١٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٣ وَيَصْبِرُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ١٤ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٥ قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبْ بِنَاتِنَا أِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٦ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ١٨ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّبْنِي فِيهَا وَلَيْدًا وَلَيْسَتْ فِيهَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ ١٩ وَفَعَلْتَ قَوْلَكَ لَا تُفْعَلُ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا كَافِرِينَ ٢٠

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَاتَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفَنتُكُمْ
فَوَهَبَ لِي ربي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَدَدْتُ بِحَبْلِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ
﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ
﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتِ الْهَاطِرِيُّ لَاحِجَتَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
يَسْحَرُهُ فَمَا ذَاتُ أَمْرٍ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأَعْتَدْنَا فِي الْمَدَائِنِ
حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا ثَوَكُ كُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ
لِيَمِيقَتِ يَوْمِ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

(٢٠-٢٢) قال موسى مجيباً لفرعون: فعلتُ ما ذكرتُ قبل أن يوحى الله إليَّ ويعتني رسولاً، فخرجتُ من بينكم فأرأى إلى «مدين»، لَمَّا خفتُ أن تقتلوني بها فعلتُ من غير عَمْد، فوهب لي ربي تفصلاً منه النبوة والعلم، وجعلني من المرسلين. أوتيتُك التربية في بيتك تُعَدُّها نعمة منك عليّ، وقد جعلتُ بني إسرائيل عبيداً تُذَبِّحُ أبناءهم وتستبقي نساءهم للخدمة والامتهان؟ (٢٣) قال فرعون لموسى: وما رب العالمين الذي تدعي أنك رسوله؟

(٢٤) قال موسى: هو مالك ومدبر السموات والأرض وما بينهما، إن كنتم موقنين بذلك، فأمنوا.

(٢٥) قال فرعون لمن حوله من أشراف قومه: ألا تسمعون مقالة موسى العجيبة بوجود رب سواي؟

(٢٦) قال موسى: الرب الذي أدعوكم إليه هو الذي خلقكم وخلق آباءكم الأولين، فكيف تعبدون من هو مخلوق مثلكم، وله آباء قد قُتِلُوا كآبائكم؟

(٢٧) قال فرعون لخاصته يستثير غضبهم؛ لتكذيب موسى إياه: إن رسولكم الذي أرسل

إليكم لمجنون، يتكلم كلاماً لا يُعْقَلُ!

(٢٨) قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما وما يكون فيها من نور وظلمة، وهذا يستوجب الإيمان به وحده إن كنتم من أهل العقل والتدبر!

(٢٩) قال فرعون لموسى مهدداً له: لئن اتَّخَذْتَ لَهَا غَيْرِي لَأَسْجُنَنَّكَ مَعَ مَنْ سَجَنْتَ.

(٣٠) قال موسى: اتَّجْعَلْنِي مِنَ الْمَسْجُونِينَ، ولو جِئْتُكَ بِرِهَانٍ بَيِّنٍ مِنْهُ صَدَقِي؟

(٣١) قال فرعون: فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي دَعْوَاكَ.

(٣٢، ٣٣) فألقى موسى عصاه فتحوَّلَتْ ثُعْبَاناً حَقِيقاً، ليس ثَمَوياً كما يفعل السحرة، وأخرج يده من فتحة قميصه المفتوحة إلى الصُّدْرِ، أو من تحت إبطه فإذا هي بِيضَاءُ كَالثَلْجِ من غير برص، تَبْهَرُ النَّاظِرِينَ.

(٣٤، ٣٥) قال فرعون لأشرف قومه خشيته أن يؤمنوا: إن موسى كساحر ماهر، يريد أن يُخْرِجَكُمْ بِسِحْرِهِ مِنْ أَرْضِكُمْ، فأَيُّ شَيْءٍ تَشِيرُونَ بِهِ فِي شَأْنِهِ أَنْتُمْ رَأَيْكُمْ فِيهِ؟

(٣٦، ٣٧) قال له قومه: أَخْرَأْ أَمْرَ مُوسَى وَهَارُونَ، وَأُرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ جُنْدًا جَامِعِينَ لِلْسَحَرَةِ، يَا ثَوَكُ كُلِّ مَنْ أَجَادَ السَّحْرَ، وَتَفَوَّقَ فِي مَعْرِفَتِهِ.

(٣٨، ٣٩) فَجَمَعَ السَّحَرَةَ، وَخَدَّدَ لَهُمْ وَقْتُ مَعْلُومٍ، هو وقت الضحى من يوم الزينة الذي يتفرغون فيه من أشغالهم، ويَجْتَمِعُونَ وَيَتَزَيَّنُونَ؛ وذلك للاجتماع بموسى. وَحُثَّ النَّاسُ عَلَى الْاجْتِمَاعِ؛ أَمْلَأَ فِي أَنْ تَكُونَ الْغَلْبَةُ لِلْسَحَرَةِ.

أَلَعَلَّآ تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَاوُأَهُمُ الْقَلِيلِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِن لَّنَا أَجْرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِن كُنَّا إِذًا لَّأَوَّلَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّقْلُونَ
 ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَاءَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَ لَقَدْ مُوسَى عَصَاهُ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
 ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ أَمْسُدْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ لَكَ إِلَهُهُ
 لَكِبَ كِبَرُ الَّذِي عَلَّمَكَ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعَالِمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
 وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا ضَلِيلَ كِبَرُ أَجْمَعِينَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا
 إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا
 أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَن أَسْرِ بِعَادِي إِتَّكُمُ
 مُّتَّبِعُونَ ﴿٥١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُمْ لَنَا أَتْقَا يَطُونُ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ
 ﴿٥٥﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ حَبَشٍ وَبَعَيْنَ ﴿٥٦﴾ وَكُنُوزَ وَمَقَادِيرِ كِرَامٍ ﴿٥٧﴾
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٨﴾ فَأَتَتْهُمْ مُّشْرَفِينَ ﴿٥٩﴾

(٤٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن تَكُونَ الْغَلْبَةُ لِلْسَّحَرَةِ، فَنُثَبِّتَ عَلَى دِينِنَا.

(٤١) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا لَهُ: إِن لَّنَا أَجْرٌ أَمَّا مَا جَاءَهُ، إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ لِمُوسَى؟

(٤٢) قَالَ فِرْعَوْنَ: نَعَمْ لَكُمْ عِنْدِي مَا تَطْلِبْتُمْ مِنْ أَجْرٍ، وَإِنَّكُمْ جِنَّةٌ لَّنِ الْمُقَرَّبِينَ لَدُنِّي.

(٤٣) قَالَ مُوسَى لِلْسَّحَرَةِ مَرِيدًا: أَبْطَالُ سِحْرِهِمْ وَإِظْهَارُهُنَّ أَن مَا جَاءَهُ بِهِ لَيْسَ سِحْرًا: أَلْقُوا مَا تَرِيدُونَ لِإِقْدَاءِ مِنَ السَّحَرِ.

(٤٤) فَأَلْقَوْا حِبَاءَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ، وَخُيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ حَيَاتٌ تَسْعَى، وَأَقْسَمُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ قَائِلِينَ: إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ.

(٤٥) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ عَظِيمَةٌ، تَبْتَغِ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ إِفْكٍ وَتَزْوِيرٍ.

(٤٦-٤٨) فَلَمَّا شَاهَدُوا ذَلِكَ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ تَوْبِهِ السَّحَرَةُ، آمَنُوا بِاللَّهِ وَسَجَدُوا لَهُ، وَقَالُوا: أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ.

(٤٩) قَالَ فِرْعَوْنَ لِلْسَّحَرَةِ مُسْتَكْرَأً: أَمْتُمْ لِمُوسَى

بَغَيْرِ إِذْنِ مِنِّي، وَقَالَ مُوسَى أَنِّ أَفْعَلُ مُوسَى سِحْرًا: إِنَّهُ لَكَبِيرُكَمُ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحْرَ، فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِنْ عِقَابٍ: لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ: يَقْطَعُ الْيَدَ الْيُمْنَى وَالرَّجْلَ الْيُسْرَى أَوْ عَكْسَ ذَلِكَ، وَلَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ.

(٥٠، ٥١) قَالَ السَّحَرَةُ لِفِرْعَوْنَ: لَا ضَرَرَ عَلَيْنَا فِيهَا يَلْحَقُنَا مِنْ عِقَابِ الدُّنْيَا، إِنَّا رَاجِعُونَ إِلَىٰ رَبِّنَا فَيُعْطِينَا النِّعَمَ الْمَقِيمَ. إِنَّا نَرْجُو أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا مِنَ الشَّرِّ وَغَيْرِهِ؛ لَكُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْمِكَ.

(٥٢) وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَىٰ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَن يَرْسُلْ لِيَلْأَمِّنَ آمَنَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مُتَّبِعُونَكُمْ حَتَّى لَا يَدْرِكُوكُمْ قَبْلَ وَصُولِكُمْ إِلَى الْبَحْرِ.

(٥٣) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ جُنْدَهُ - حِينَ بَلَغَهُ مَسِيرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ - يَجْمَعُونَ جَيْشَهُ مِنْ مَدَائِنِ مَمْلَكَتِهِ.

(٥٤-٥٦) قَالَ فِرْعَوْنَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ فَرُّوا مَعَ مُوسَى لَأَطَافَةُ حَقِيرَةٍ قَلِيلَةِ الْعَدَدِ، وَإِنَّهُمْ لَمَالُثُونَ صُدُورُنَا غِيظًا؛ حَيْثُ خَالَفُوا دِينَنَا، وَخَرَجُوا بِغَيْرِ إِذْنِنَا، وَإِنَّا لَجَمِيعٌ مُّتَقِطُونَ مُسْتَعِدُونَ لَهُمْ.

(٥٧-٥٩) فَأَخْرَجَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ أَرْضِ «مِصْرَ» ذَاتِ الْبَسَاتِينِ وَعَيُونِ الْمَاءِ وَخَزَائِنِ الْمَالِ وَالْمَنَازِلِ الْحَسَنِ. وَكَمَا أَخْرَجْنَاهُمْ، جَعَلْنَا هَذِهِ الدِّيَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

(٦٠) فَلَحِقَ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ مُوسَى وَهَمَّ مَعَهُ وَقْتُ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

(٦١) فلما رأى كل واحد من الفريقين الآخر قال أصحاب موسى: إنَّ جَمْعَ فرعون مُذْرِكُنَا ومهلكنا.

(٦٢) قال موسى لهم: كَلَّا ليس الأمر كما ذكرتم فلن نَذْرِكُوا؛ إنَّ معي ربي بالنصر، سيهدينى لما فيه نجاتى ونجاتكم.

(٦٣) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فاضرب، فانفلق البحر إلى اثني عشر طريقاً بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة انفصلت من البحر كالجلبل العظيم.

(٦٤-٦٦) وقَرَّبْنَا هناك فرعون وقومه حتى دخلوا البحر، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين. فاستمر البحر على انفلاقه حتى عبروا إلى البر، ثم أغرقنا فرعون ومن معه بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه.

(٦٧) إنَّ في ذلك الذي حدثت لعلبة عجيبة دالة على قدرة الله، وما صار أكثر أتباع فرعون مؤمنين مع هذه العلامة الباهرة.

(٦٨) وإن ربك هو العزيز الرحيم، بعزته أهلك

فَلَمَّا تَرَى الْجُمَعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْرُوكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَاطَّوَئِيرٍ الْعَظِيمِ
﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَرَهُ الْأَخْرِيشَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَغْمَيْنَا
﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِيشَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي
الْأَبْصَارِ ﴿٦٧﴾ وَأَنْزَلْنَاهُمْ فِئْتَيْنِ ﴿٦٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٩﴾
وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَارَ الْإِبْرَاهِيمَ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧١﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُنُّهَا كُفُلًا عَظِيمًا ﴿٧٢﴾ قَالُوا
يَسْمَعُونَ كَمَا إِذَا تَدْعُونَهُمْ أَوْ يَنْتَفَعُونَكُمُ أَفَ تَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُوا
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي
إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعَمُنِي يَسْقِينِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي
يُعِيشُنِي ثُمَّ يُمَيِّتُنِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْعَمُنِي إِذْ عَدُّ لِي خِطِيئَتِي
يَوْمَ الْوَلَدَيْنِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَنَّةَ بِأَلْصَاحِلِينَ ﴿٨٣﴾

الكافرين المكذبين، وبرحمته نجى موسى ومن معه أجمعين.

(٦٩، ٧٠) واقصص على الكافرين - أيها الرسول - خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون؟

(٧١) قالوا: نعبد أصناماً، فتعكف على عبادتها.

(٧٢، ٧٣) قال إبراهيم منبهاً على فساد مذهبهم: هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم، أو يقدّمون لكم نفعاً إذا عبدتموهم، أو يصيبونكم بضر إذا تركتم عبادتهم؟

(٧٤) قالوا: لا يكون منهم شيء من ذلك، ولكننا وجدنا آبائنا يعبدونهم، فقلدناهم فيما كانوا يفعلون.

(٧٥-٨٢) قال إبراهيم: أفأبصرتم بتدبر ما كنتم تعبدون من الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، أنتم وآباؤكم الأقدمون من قبلكم؟ فإن ما تعبدونهم من دون الله أعداء لي، لكن رب العالمين ومالك أمرهم هو وحده الذي أعبدته. هو الذي خلقتني في أحسن صورة فهو يرشدني إلى مصالح الدنيا والآخرة، وهو الذي ينعم عليّ بالطعام والشراب، وإذا أصابني مرض فهو الذي يشفيني ويعافيني منه، وهو الذي يميتني في الدنيا بقبض روعي، ثم يحييني يوم القيامة، لا يقدر على ذلك أحد سواه، والذي أطعم أن يتجاوز عن ذنبي يوم الجزاء.

(٨٣) قال إبراهيم داعياً ربه: ربّ امنحني العلم والفهم، وألحقني بالصالحين، واجمع بيني وبينهم في الجنة.

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ حَنَّةَ
 الْعَبِيرِ ﴿٨٥﴾ وَأَعْفُؤْ لَيَّيْنِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
 يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَرْفَعْتَ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبَرَزْتَ الْجَحِيمَ لِلْعَاقِينَ ﴿٩١﴾
 وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُرُونَكُمْ
 أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَيْكُمْ أَفِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنُ ﴿٩٤﴾ وَحُودٌ إِلَىٰ بَلِيسٍ
 أَمْجَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنَافِي
 صَلَائِلٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّدُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَصْلَنَا إِلَّا
 الْمَجْرُمُونَ ﴿٩٩﴾ وَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدْقٍ جَمِيعٍ ﴿١٠١﴾ قَالُوا
 أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
 قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَأَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ أَلَا عِزِّي الْأَعْلَىٰ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَأُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٠﴾

(٨٤) واجعل لي ثناء حسناً وذكر أجيالاً في الدين
 يأتون بعدي إلى يوم القيامة.

(٨٥) واجعلني من عبادك الذين تورثهم نعيم
 الجنة.

(٨٦) هذا دعاء من إبراهيم عليه السلام أن ينقذ
 الله أباه من الضلال إلى الهدى، فيغفر له ويتجاوز
 عنه، كما وعد إبراهيم أباه بالدعاء له، فلما تبين له أنه
 مستمر في الكفر والشرك إلى أن يموت تبرأ منه.

(٨٧-٨٩) ولا تلحق بي الذل، يوم يخرج الناس
 من القبور للحساب والجزاء، يوم لا ينفع المال
 والبنون أحداً من العباد، إلا من أتى الله بقلب
 سليم من الكفر والنفاق والرذيلة.

(٩٠) وقربت الجنة للذين اجتنبوا الكفر
 والمعاصي، وأقبلوا على الله بالطاعة.
 (٩١) وأظهرت النار للكافرين الذين ضلوا عن
 الهدى، وتجرؤوا على محارم الله وكذبوا رسله.

(٩٢، ٩٣) وقيل هم توبيخاً: أين أهلكم التي
 كنتم تعبدونها من دون الله، وتزعمون أنها تنفع
 لكم اليوم؟ هل ينصرونكم، فيدفعون العذاب
 عنكم، أو ينصرون بدفع العذاب عن أنفسهم؟
 لا شيء من ذلك.

(٩٤، ٩٥) فجميعوا وألقوا في جهنم على
 رؤوسهم مرة بعد مرة إلى أن استقرأ فيها، هم

والذين أضلهم، وأعاون إبليس الذين زينوا لهم الشر، لم يُقبل منهم أحد.

(٩٦-٩٩) قالوا معترفين بخطيئهم، وهم يتنازعون في جهنم مع من أضلهم: تالله إننا كنا في الدنيا في ضلال واضح لا
 خفاء فيه؛ إذ نسويكم برب العالمين المستحق للعبادة وحده. وما أوقفنا في هذا المصير السيئ إلا المجرمون الذين دعونا إلى
 عبادة غير الله فاتبعناهم.

(١٠٠، ١٠١) فلا أحد يشفع لنا، ونخلصنا من العذاب، ولا من يصدق في مودتنا ويشفق علينا.

(١٠٢) فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فنصير من جملة المؤمنين الناجين.

(١٠٣، ١٠٤) إن في نبي إبراهيم السابق لآية لمن يعتبر، وما صار أكثر الذين سمعوا هذا النبأ مؤمنين. وإن ربك هو العزيز
 القادر على الانتقام من المكذبين، الرحيم بعباده المؤمنين.

(١٠٥-١١٠) كذبت قوم نوح رسالة نبيهم، فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصدق جميع الرسل.
 إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا تخشون الله بترك عبادة غيره؟ إنني لكم رسول أمين فيما أبلغكم، فاجعلوا الإيمان وقاية لكم
 من عذاب الله وأطيعوني فيها أكرمكم به من عبادته وحده. وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري إلا على رب
 العالمين المتصرف في خلقه، فاحذروا عقابه، وأطيعوني بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه.

(١١١) قال له قومه: كيف نصدقك وتبعلك، والذين اتبعوك أراذل الناس وأسافلهم؟

قَالَ وَمَا عَلِمَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حَسْبَهُمْ إِلَىٰ أَعْلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا أَنَا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
قَالَ الَّذِينَ لَمْ يَنْتَهُ يَسْجُودَ لَكَ كُفْرًا مِّنَ الْمُرْجُومِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ
رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٦﴾ فَأَتَتْحَ بَنِي وَيَسَّيَهُمْ فَتَحَا وَجْجِي وَمِنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾ فَأُجِيبَتْهُ وَمِنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١١٨﴾
ثُمَّ أَعْرِفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١١٩﴾ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢١﴾ كَذَّبَتْ
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودُ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنِّي إِلَىٰ أَعْلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ أَتُتْبَنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً يَعْبَثُونَ ﴿١٢٦﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٧﴾
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَرَارِينَ ﴿١٢٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ
وَأَقِمْوْا الَّذِي أَمَّاكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ أَمَّاكُمْ بِاتَّقِيهِ وَبِتَقِيهِ
وَجَحَنَّتْ وَعُيُونُ ﴿١٣٠﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣١﴾
قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَرَعِظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ تَقِرُّ بِالْوَعْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٢﴾

(١١٢) فأجابهم نوح عليه السلام بقوله: لست مكلفاً بمعرفة أعمالهم، إنما كُلفت أن أدعوهم إلى الإيمان. والاعتبار بالإيمان، لا بالحسب والنسب والجرف والصنائع.

(١١٣) ما حسابهم للجزاء على أعمالهم وبواطنهم إلا على ربي المطلع على السرائر. لو كنتم تشعرون بذلك لما قلتم هذا الكلام.

(١١٤، ١١٥) وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوتي، مهما تكن حالهم؛ تلبية لرغبتكم كي تؤمنوا بي. ما أنا إلا نذير بين الإنذار.

(١١٦) عدل قوم نوح عن المحاوراة إلى التهديد، فقالوا له: لئن لم ترجع - يا نوح - عن دعوتك لتكونن من المقتولين رمياً بالحجارة.

(١١٧، ١١٨) فلما سمع نوح قولهم هذا دعا ربه بقوله: رب إن قومي أصروا على تكذبي، فأحكم بيني وبينهم حكماً ثلثك به من جحد توحيدك وكذب رسولك، ونجني ومن معي من المؤمنين مما تعذب به الكافرين.

(١١٩) فأنجىناه ومن معه في السفينة المملوءة بصنوف المخلوقات التي حملها معه.

(١٢٠) ثم أعرّفنا - بعد إنجاء نوح ومن معه الباقين - الذين لم يؤمنوا من قومه وردوا عليه النصيحة.

(١٢١) إن في نبأ نوح وما كان من إنجاء المؤمنين

وإهلاك المكذبين لعلامة وعبرة عظيمة لمن بعدهم، وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بالله وبرسوله وشرعه.

(١٢٢) وإن ربك هو العزيز في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره، الرحيم بعباده المؤمنين.

(١٢٣) كذبت قبيلة عاد رسوهم هوداً - عليه السلام - فكانوا بهذا مكذّبين لجميع الرسل؛ لاتحاد دعوتهم في أصولها وغايتها.

(١٢٤-١٢٧) إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تحشون الله فتخلصوا له العبادة؟ إني مرسل إليكم لهديتكم وإرشادكم، حفيظ

على رسالة الله، أبلغها لكم كما أمرني ربي، فخافوا عقاب الله وأطيعوني فيما جئتكم به من عند الله. وما أطلب منكم على

إرشادكم إلى التوحيد أي نوع من أنواع الأجر، ما أجري إلا على رب العالمين.

(١٢٨-١٣٠) أتبنون بكل مكان مرتفع بناءً عالياً تشرفون منه فتسخرون من المارة؟ وذلك عبث وإسراف لا يعود عليكم

بفائدة في الدين أو الدنيا، وتتخذون قصوراً متبوعة وحصوناً مشيدة، كأنكم تخلدون في الدنيا ولا تموتون، وإذا بطشتم بأحد

من الخلق قتلاً أو ضرباً، فعلمتم ذلك قاهرين ظالمين.

(١٣١-١٣٤) فخافوا الله، وامتلأوا ما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم، واخشوا الله الذي أعطاكم من أنواع النعم ما لا خفاء

فيه عليكم، أعطاكم الأنعام: من الإبل والبقر والغنم، وأعطاكم الأولاد، وأعطاكم البساتين المثمرة، وفجر لكم الماء من

العيون الجارية.

(١٣٥) قال هود - عليه السلام - محذراً لهم: إني أخاف إن أصررتكم على ما أنتم عليه من التكذيب والظلم وكفر النعم، أن

ينزل الله بكم عذاباً في يوم تعظم شدته من هول عذابه.

(١٣٦) قالوا له: يستوي عندنا تذكيرك وتخويفك لنا وتركه، فلن نؤمن لك.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ
 قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 إِلَّاهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾ أَفْتَرَكُنَّ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٥﴾
 فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٦﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضْبٌ ﴿١٤٧﴾
 وَتَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي نُفِثَ مِنْهَا طِينٌ ﴿١٤٨﴾ فَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ
 ﴿١٤٩﴾ وَلَا طِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٠﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥١﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٢﴾ مَا أَنْتَ
 إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٣﴾ قَالَ
 هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ أَتَتْكُمْ بِبُورٍ مُعْلُومٍ ﴿١٥٤﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
 يُسُوءَ فِتْنَةً ذُرَّ عَذَابٍ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٥٥﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
 نَكِلِينَ ﴿١٥٦﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٨﴾

(١٣٧، ١٣٨) وقالوا: ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين وعاداتهم، وما نحن بمُعذِّبين على ما نفعل مما حَذَرْتَنَا منه من العذاب.

(١٣٩، ١٤٠) فاستمروا على تكذيبه، فأهلكهم الله بريح باردة شديدة، إن في ذلك الإهلاك لَعبرة لمن بعدهم، وما كان أكثر الذين سمعوا قصتهم مؤمنين بك. وإن ربك هو العزيز الغالب على ما يريده من إهلاك المكذبين، الرحيم بالمؤمنين.

(١٤١) كَذَّبَتْ قَبِيلَةُ ثَمُودَ رَسُولَهُمْ صَالِحًا فِي رسالته ودعوته إلى توحيد الله، فكانوا بهذا مكذِّبين لجميع الرسل؛ لأنهم جميعاً يدعون إلى توحيد الله.

(١٤٢-١٤٥) إذ قال لهم أخوهم صالح: ألا تخشون عقاب الله، فتُفَرِّدوه بالعبادة؟ إني مرسل من الله إليكم، حفظ على هذه الرسالة كما تلقيتها عن الله، فاحذروا عقابه تعالى، وامثلوا ما يدعوكم إليه. وما أطلب منكم على نصحي وإرشادي لكم أي جزء، ما جزائي إلا على رب العالمين.

(١٤٦-١٤٩) أيتركم ربيكم فيما أنتم فيه من النعيم مستقرين في هذه الدنيا آمنين من العذاب والزوال والموت؟ في حداثق مثمرة وعيون

جارية وزروع كثيرة ونخل ثمرها يانع لين نضيج، وتحتون من الجبال بيوتا ماهرة بنحتها، أشربين يطيرن. (١٥٠-١٥٢) فخافوا عقوبة الله، وأقبلوا نصحي، ولا تنقادوا لأمر المسرفين على أنفسهم المتأدين في معصية الله الذين دأبوا على الإفساد في الأرض إفسادا لا إصلاح فيه.

(١٥٣، ١٥٤) قالت ثمود لنبيها صالح: ما أنت إلا من الذين سُحروا بسحراً كثيراً، حتى غلب السحر على عقلك. ما أنت إلا فرد مماثل لنا في البشرية من بني آدم، فكيف تتميز علينا بالرسالة؟ فأنت بحجة واضحة تدل على ثبوت رسالتك، إن كنت صادقاً فدعواك أن الله أرسلك إلينا.

(١٥٥، ١٥٦) قال لهم صالح -وقد أتاهم بناقاة أخرجها الله له من الصخرة-: هذه ناقاة الله لها نصيب من الماء في يوم معلوم، ولكم نصيب منه في يوم آخر، ليس لكم أن تشربوا في اليوم الذي هو نصيبها، ولا هي تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم، ولا تناالوها بشيء مما يسوءها كَقَصْرِ أو قتل أو نحو ذلك، فيهلككم الله بعذاب يوم تعظم شدته؛ بسبب ما يقع فيه من الهول والشدة.

(١٥٧) فنحروا الناقاة، فأصبحوا متحسرين على ما فعلوا لَمَّا أَيْقَنُوا بالعذاب، فلم ينفعهم تدمهم.

(١٥٨) فنزل بهم عذاب الله الذي توعدهم به صالح عليه السلام، فأهلكهم. إن في إهلاك ثمود لَعبرة لمن اعتبر بهذا المصير، وما كان أكثرهم مؤمنين.

(١٥٩) وإن ربك هو العزيز القاهر المنتقم من أعدائه المكذبين، الرحيم بمن آمن من خلقه.

(١٦٠) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِرَسُولِهِمْ فَكُنَّا هَذَا
مَكْذِبِينَ لِسَائِرِ رُسُلِ اللَّهِ؛ لَأَن مَا جَاوَابَهُ مِنْ
التَّوْحِيدِ وَأَصُولِ الشَّرَائِعِ وَاحِدٌ.

(١٦١-١٦٤) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ: أَلَا
تُحْشَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ؟ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ مِنْ رَبِّكُمْ، أَمِينَ
عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ إِلَيْكُمْ، فَاحْذَرُوا عِقَابَ اللَّهِ
عَلَى تَكْذِيبِكُمْ رَسُولَهُ، وَاتَّبِعُونِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ
إِلَيْهِ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى دَعْوِي لَهْدَايَتِكُمْ أَنِّي أَجْرُ،
مَا أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١٦٥، ١٦٦) أَتُنْكِحُونَ الذَّكَورَ مِنْ بَنِي آدَمَ،
وَتَرْكُونَ مَا خَلَقَ اللَّهُ لَاسْتِمَاعِكُمْ وَتَنَاسَلُكُمْ
مِنْ أَزْوَاجِكُمْ؟ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ-
مُتَجَاوِزُونَ مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ إِلَى
الْحَرَامِ.

(١٦٧) قَالَ قَوْمُ لُوطَ: لَئِنْ لَمْ تَرْكِبْ لُوطُ يَتَّبِعْنَا
عَنِ إِيثَانِ الذَّكَورِ وَتَقْبِيحِ فِعْلِهِ، لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمُطْرُودِينَ مِنْ بِلَادِنَا.

(١٦٨) قَالَ لُوطُ لَهُمْ: إِنِّي لَعَمَلِكُمُ الَّذِي
تَعْمَلُونَهُ مِنْ إِيثَانِ الذَّكَورِ، لَنْ الْمُبْغِضِينَ لَهُ
بَغْضًا شَدِيدًا.

(١٦٩) ثُمَّ دَعَا لُوطُ رَبَّهُ حِينَئِذٍ يَتُوسُ مِنْ
اسْتِجَابَتِهِمْ لَهُ قَائِلًا: رَبِّ أَنْقِذْنِي وَأَنْقِذْ أَهْلِي مَعًا

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾
أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ
مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٦﴾ قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٧﴾
رَبِّ يَتَّقِي وَأَهْلِي وَمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ فَتَجَنَّبَهُ وَاهْلَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿١٦٩﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٧٠﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧١﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كُنَّا أَكْثَرَهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٤﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ
لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٩﴾ أَفَوَأْتَا الْكَافِرَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٠﴾ وَزَيَّنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨١﴾
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ هُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٢﴾

يعمله قومي مِنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ الْقَبِيحَةِ، وَمِنْ عَقُوبَتِكَ الَّتِي سَتَصِيهِمُ.

(١٧٠، ١٧١) فَتَجَنَّبَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَالْمُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا مِنْ أَهْلِهِ، وَهِيَ امْرَأَتُهُ لَمْ تَشَارِكْهُمْ فِي الْإِيمَانِ،
فَكَانَتْ مِنَ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ.

(١٧٢، ١٧٣) ثُمَّ أَهْلَكْنَا مَنْ عَادَهُمْ مِنَ الْكُفْرَةِ أَشَدَّ إِهْلَاكِ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ حِمَارًا مِنَ السَّيِّئِ كَالْمَطَرِ أَهْلَكْتَهُمْ، فَفُتِحَ مَطَرُ
مَنْ أَنْذَرَهُمْ رُسُلُهُمْ وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ؛ فَقَدْ أَنْزَلَ بِهِمْ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْهَلَاكِ وَالتَّدمِيرِ.

(١٧٤) إِنْ فِي ذَلِكَ الْعِقَابِ الَّذِي نَزَلَ بِقَوْمِ لُوطٍ لَعِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ، يَتَعَطَّ بِهَا الْمَكْذِبُونَ. وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

(١٧٥) وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ الَّذِي يَهْزُمُ الْمَكْذِبِينَ، الرَّحِيمُ بَعَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ.

(١٧٦-١٨٠) كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَرْضِ ذَاتِ الشَّجَرِ الْمُنْتَفِرِ رُسُلَهُمْ شُعَيْبًا فِي رِسَالَتِهِ، فَكَانُوا هَذَا مَكْذِبِينَ لَجْمِيعِ
الرِّسَالَاتِ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: أَلَا تُحْشَوْنَ عِقَابَ اللَّهِ عَلَى شُرْكَكُمْ وَمَعَاصِيكُمْ؟ إِنِّي مَرْسَلٌ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ لَهْدَايَتِكُمْ، حَفِظْ
عَلَى مَا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيَّ مِنَ الرِّسَالَةِ، فَخَافُوا عِقَابَ اللَّهِ، وَاتَّبَعُوا مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ هُدَايَةِ اللَّهِ؛ لَتَرْشُدُوا، وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ
عَلَى دَعَائِي لَكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَيُّ جِزَاءٍ، مَا جِزَائِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١٨١-١٨٣) قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ -وَقَدْ كَانُوا يُتَّقُونَ الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ-: أَتُمْنُوا الْكِيلَ لِلنَّاسِ وَأَفْيَأُ لَهُمْ، وَلَا تَكُونُونَ عَنْ يُتَّقُونَ
النَّاسَ حَقْقَهُمْ، وَزَيَّنُوا بِالْمِيزَانِ الْعَدْلَ الْمُسْتَقِيمَ، وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ شَيْئًا مِنْ حَقْقِهِمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا
تَكْثُرُوا فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ، بِالشَّرْكِ وَالْقَتْلِ وَالتَّهْبِ وَتَخْوِيفِ النَّاسِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحَيَاةَ الْأُولَى ۚ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَذِبِينَ ۝ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَكَانَ رَبُّكَ لَهَوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ وَإِنَّهُ لَآتِي بِزُلُفٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ لَبَّاسًا عَرِيفٍ مُبِينٍ ۝ وَإِنَّهُ لَكُنْزٌ لِلَّذِينَ الْأُولَى ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْعَمَّهُ وَعِلْمُكَ إِنِّي أَتَمُّ بِهِ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۝ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ كَذَلِكَ سَكَّرْنَا فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ فَإِنِّي أَنبِئُكُمْ بَعَثَهُمْ وَهَرُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَبُذِلُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ۝ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝

(١٨٤) واحذروا عقوبة الله الذي خلقكم وخلق الأمم المتقدمة عليكم.

(١٨٥-١٨٧) قالوا: إنا أنت - يا شعيب - من الذين أصابهم السحر إصابة شديدة، فذهب بعقولهم، وما أنت إلا واحد مثنا في البشرية، فكيف تختص دوننا بالرسالة؟ وإن أكبر ظننا أنك من الكاذبين فيما تدعيه من الرسالة. فإن كنت صادقاً في دعوى النبوة، فادع الله أن يسقط علينا قطع عذاب من السماء تستأصلنا.

(١٨٨) قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي، وبما تستوجبونه من العقاب.

(١٨٩) فاستمروا على تكذيبه، فأصابهم الحر الشديد، وصاروا يحسبون عن ملاذ يستظلون به، فأظلمتهم سحابة، وجدوا لها برداً ونسيماً، فلما اجتمعوا تحتها نهبت عليهم ناراً فأحرقتهم، فكان هلاكهم جميعاً في يوم شديد الهول.

(١٩٠) إن في ذلك العقاب الذي نزل بهم، لدلالة واضحة على قدرة الله في موازنة المكذبين، وعبرة لمن يعتبر، وما كان أكثرهم مؤمنين متعظين بذلك.

(١٩١) وإن ربك - أيها الرسول - هو العزيز في نعمته عمن انتقم منه من أعدائه، الرحيم بعباده الموحدين.

(١٩٢-١٩٥) وإن هذا القرآن الذي ذُكرت فيه هذه القصص الصادقة، لُنزل من خالق الخلق، ومالك الأمر كله، نزل به جبريل الأمين، فتلاه عليك - أيها الرسول - حتى وعيته بقلبك حفظاً وفهماً؛ لتكون من رسل الله الذين يخوفون قومهم عقاب الله، فتنبذوا هذا التنزيل الإنسي والجن أجمعين. نزل به جبريل عليك بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه في إصلاح شؤون دينهم ودنياهم.

(١٩٦) وإن ذكر هذا القرآن كُتِبَ في كتب الأنبياء السابقين، قد بُشِّرَتْ به وصدَّقَتْه. (١٩٧) أو لم يكف هؤلاء - في الدلالة على أنك رسول الله، وأن القرآن حق - عِلْمُ علماء بني إسرائيل صحة ذلك، ومن آمن منهم كعب الله بن سلام؟

(١٩٨-٢٠١) ولو نزلنا القرآن على بعض الذين لا يتكلمون بالعربية، فقرأه على كفار قريش قراءة عربية صحيحة، لكفروا به أيضاً، وانتحلوا لجحودهم عذراً. كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين جحود القرآن، وصار متمكناً فيها؛ وذلك بسبب ظلمهم وإجرامهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من إنكار القرآن، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذي وعدها به. (٢٠٢، ٢٠٣) فينزل بهم العذاب فجأة، وهم لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه، فيقولون عند مفاجأتهم به: نحسراً على ما فاتهم من الإيمان: هل نحن مجنونون مؤخرون؛ لتوب إلى الله من شركنا، ونستدرك ما فاتنا؟

(٢٠٤) أغر هؤلاء إيمالي، فيستعجلون نزول العذاب عليهم من السماء؟

(٢٠٥، ٢٠٦) أفعلمت - أيها الرسول - إن متعناهم بالحياة سنين طويلة بتأخير آجالهم، ثم نزل بهم العذاب الموعود؟

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا
لَهَا مَذِيرُونَ ﴿٢٠٨﴾ وَذَكَرَىٰ وَمَا كُنَّا نَظْلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ
الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ
الْسَّمِيعِ لَمَعَزُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَاءُ آخَرٍ فَتَكُونُ
مِنَ الْمَعْدِيَّينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَخَفِضْ
جَنَاحَكَ لِحَنِ انْتِعَازِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي
بِرَبِّي وَمِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَزِيرِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي
بِرَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرٍ كَبِيرٍ ﴿٢٢٧﴾ وَأَنصَرُّوا
بَعْدَ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٨﴾

سورة الشعراء

(٢٠٧) ما أغنى عنهم تمتعهم بطول العمر،
وطيب العيش، إذا لم يتوبوا من شركهم؟
فغداً الله واقع بهم عاجلاً أم آجلاً.

(٢٠٨، ٢٠٩) وما أهلكنا من قرية من القرى
في الأمم جميعاً، إلا بعد أن نرسل إليهم رسلاً
ينذروهم، تذكروهم وتنبهوا على ما فيه نجاتهم،
وما كنا ظالمين فنعذب أمة قبل أن نرسل إليها
رسولاً.

(٢١٠-٢١٢) وما نزلت بالقرآن على محمد
الشياطين كما يزعم الكفرة - ولا يصح منهم
ذلك، وما يستطيعونه؛ لأنهم عن استماع القرآن
من السوء محجوبون مرجومون بالشبه.

(٢١٣) فلا تعبد مع الله معبوداً غيره، فينزل بك
من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين عبدوا مع الله
غيره.

(٢١٤) وحذر - أيها الرسول - الأقرب
فالأقرب من قومك، من عذابنا، أن ينزل بهم.

(٢١٥) وأين جانبك وكلامك تواضعاً ورحمة
لمن ظهر لك منه إجابة دعوتك.

(٢١٦) فإن خالفوا أمرك ولم يتبعوك، فتبرأ من
أعمالهم، وما هم عليه من الشرك والضلال.

(٢١٧-٢٢٠) وقوِّضْ أمرك إلى الله العزيز
الذي لا يغالب ولا يُفْهَر، الرحيم الذي لا يخذل

أوليائه، وهو الذي يراك حين تقوم للصلاة وحده في جوف الليل، ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك قائماً
وراكماً وساجداً وجالساً، إنه - سبحانه - هو السميع لتلاوتك وذكرك، العليم بنيةك وعملك.

(٢٢١-٢٢٣) هل أخبركم - أيها الناس - على من نزل الشياطين؟ تنزل على كل كذاب كثير الآثام من الكهنة، يسرق
الشياطين السمع، يخطفونه من الملا الأعلى، فيلقونه إلى الكهان، ومن جرى مجراه من الفسقة، وأكثر هؤلاء كاذبون،
يصدق أحدهم في كلمة، فيزد فيها أكثر من مائة كذبة.

(٢٢٤-٢٢٦) والشعراء يقوم شعرهم على الباطل والكذب، ويمجريهم الضالون الزائغون من أمثالهم. ألم تر - أيها النبي -
أنهم يذهبون كالحائم على وجهه، يخوضون في كل فن من فنون الكذب والزور وتزيين الأعراض والطعن في الأنساب
وتجريح النساء العفاف، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، يبالغون في مدح أهل الباطل، ويتقصون أهل الحق؟

(٢٢٧) استثنى الله من الشعراء الشعراء الذين اعتدوا بالإيمان وعملوا الصالحات، وأكثروا من ذكر الله فقالوا الشعر في
توحيد الله - سبحانه - والثناء عليه جل ذكره، والدفاع عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتكلموا بالحكمة والموعظة
والآداب الحسنة، وانتصروا للإسلام، يهجون من يهجو أو يهجو رسوله؛ رداً على الشعراء الكافرين. وسيعلم الذين
ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وظلموا غيرهم بغمط حقوقهم، أو الاعتداء عليهم، أو بالثلم الباطلة، أي مرجع من
مراجع الشر والهلاك يرجعون إليه؟ إنه منقلب سوء، نسأل الله السلامة والعافية.

﴿سورة النمل﴾

(١) ﴿طَسَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات القرآن وهي آيات الكتاب العزيز بينة المعنى، واضحة الدلالة، على ما فيه من العلوم والحكم والشرائع.

فالقرآن هو الكتاب، جمع الله له بين الاسمين.

(٢، ٣) وهي آيات ترشد إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة، وتشر بحسن الثواب للمؤمنين الذين صدّقوا بها، واهتدوا بهديها، الذين يقيمون الصلوات الخمس كاملة الأركان، مستوفية الشروط، ويؤدون الزكاة المفروضة لمستحقها، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب.

(٤، ٥) إن الذين لا يُصدّقون بالدار الآخرة، ولا يعملون لها حسناً لهم أعمالهم السيئة، فأوها حسنة، فهم يترددون فيها متحيزين. أولئك الذين هم العذاب السيئ في الدنيا قتلاً وأسراً وذلاً وهزيمة، وهم في الآخرة أشد الناس خسراناً.

(٦) وإنك -أيها الرسول- لتلقى القرآن من عند الله، الحكيم في خلقه وتديره الذي أحاط بكل شيء علماً.

(٧) أذكر قصة موسى حين قال لأهله في مسيره من «مدين» إلى «مصر»: إني أبصرت نارا سأتيكم منها بخبر يدلنا على الطريق، أو آتيكم بشعلة نار؛ كي تستدفئوا بها من البرد.

(٨-١٢) فلما جاء موسى النار ناداه الله وأخبره أن هذا مكان قدّسه الله وباركه فجعله موضعاً لتكليم موسى وإرساله، وأن الله بارك من في النار ومن حولها من الملائكة، وتنزيهاً لله رب الخلائق عما لا يليق به. يا موسى إنه أنا الله المستحق للعبادة وحدي، العزيز الغالب في انتقامي من أعدائي، الحكيم في تدبير خلقي. وأنت عاصاك فألقاها فصارت حية، فلما رآها تتحرك في خفة تحرك الحية السريعة ولّى هارباً ولم يرجع إليها، فطمأنه الله بقوله: يا موسى لا تخف، إني لا يخاف لديّ من أرسلتهم برسالي، لكن من تجاوز الحدّ بذنب، ثم تاب فبدل حسن التوبة بعد قبح الذنب، فاني غفور له رحيم به، فلا يبيس أحد من رحمة الله ومغفرته. وأدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر تخرج بيضاء كالثلج من غير برص في جملة تسع معجزات، وهي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والشغل، والضفادع، والدم؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن أمر الله كافرين به.

(١٣) فلما جاءتهم هذه المعجزات ظاهرة بيّنة يبصر بها من نظر إليها حقيقة ما دلت عليه، قالوا: هذا سحر واضح بئس.

وَجَدُوا بِهَا أَسَاقِيقَ قِنَّهَا أَنفُسُهُمْ ظِلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عِقَابَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَ لَاحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَبِطَقٌ
الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مَن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَّأَيُّهَا
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ بِعِمَّتِكَ لِمَنِّي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ
مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي يُسْلَطَنَ يُعِيبُ ﴿٢١﴾ فَفَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ
أَحْطُ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

(١٤) وكَذَّبَ فرعونُ وقومُه بالمعجزات التسع الواضحة الدلالة على صدق موسى في نبوته وصدق دعوته، وأنكروا بالستتهم أن تكون من عند الله، وقد استيقنوها في قلوبهم اعتداءً على الحق وتكبُّراً على الاعتراف به، فانظر -أيها الرسول- كيف كان مصير الذين كفروا بآيات الله أفسدوا في الأرض، إذ أغرقهم الله في البحر؟ وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

(١٥) ولقد آتينا داود وسليمان علماً فعملما به، وقال: الحمد لله الذي فضَّلنا بهذا على كثير من عباده المؤمنين. وفي الآية دليل على شرف العلم، وارتفاع أهله.

(١٦) وورث سليمان أبيه داود في النبوة والعلم والملك، وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا وفهمنا كلام الطير، وأعطينا من كل شيء ندعو إليه الحاجة، إن هذا الذي أعطانا الله تعالى إياه هو الفضل الواضح الذي يُمَيِّزنا على مَنْ سوانا.

(١٧) وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسيرة لهم، فهم على كثرتهم لم يكونوا مهمَّلين، بل كان على كل جنس مَنْ يَرُدُّ أُولَهُم على آخرهم؛ كي يقفوا جميعاً منتظمين.

(١٨، ١٩) حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحلِّتكم سليمان وجنوده، وهم لا يعلمون بذلك. فتبسم ضاحكاً من قول هذه النملة لفهمها واهدائها إلى تحذير النمل، واستشعر نعمة الله عليه، فتوجَّه إليه داعياً: رَبِّ اهُمِّنِي، ووفَّقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في عِبدِكَ الصالحين الذين ارتضيت أفعالهم.

(٢٠، ٢١) وتفقد سليمان حال الطير المسخرة له وحال ما غاب منها، وكان عنده هدهد متميز معروف فلم يجده، فقال: ما لي لا أرى الهدهد الذي أعهد؟ أَسَرَّه ساتر عني، أم أنه كان من الغائبين عني، فلم أره لغيبته؟ فلما ظهر أنه غائب قال: لأعذبن هذا الهدهد عذاباً شديداً لغايابه تأديباً له، أو لأذبحنه عقوبة على ما فعل؛ حيث أحلَّ بها سُخْرَ له، أو لياؤيني بحجة ظاهرة فيها عذر لغيبته.

(٢٢) فمكث الهدهد زمناً غير بعيد ثم حضر فعاتبه سليمان على مغيبه وتخلُّفه، فقال له الهدهد: علمتُ ما لم تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجئتكم من مدينة «سبأ» بـ «اليمن» بخبر خطير الشأن، وأنا على يقين منه.

إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَالَيْسَ جُذُوعُ الْوَيْحِ الْخَبِّ فِي
السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَبَعْدَ مَا نَحْنُ قَوْمٌ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَتُنظرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ يَكْفِي هَذَا
قَالَ قَالَةً إِلَيْهِمْ فَرُتُوْلَ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْأَيُّهَا
الْمَلَأُوْا إِلَى الْفَقْرِ إِلَى كَيْفَ كَرِهَ إِنَّهُ مِنَ السَّالِمِينَ وَاللَّهُ
يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخَمَ الرَّحِيمِ ﴿٢٩﴾ أَالْقَوْلُ عَلَى وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٠﴾
قَالَتْ يَأْأَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَقًّا
تَشْهَدُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ دُعِيتُمْ
إِلَيْكَ فَأَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أُولَئِكَ رَكِبَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ
وَأَنَا مَرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَا يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٣﴾

(٢٣) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَحْكُمُ أَهْلَ «سَبَأَ»،
وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، وَلَهَا
سَرِيرٌ عَظِيمٌ، الْقَدْرُ، تَجْلِسُ عَلَيْهِ لِإِدَارَةِ مَمْلَكَتِهَا.
(٢٤) وَجَدْتُهَا هِيَ وَقَوْمُهَا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ
مَعْرِضِينَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَحَسَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا، فَصَدَّقَهُمُ
عَنِ الْإِيهَانِ بِاللَّهِ وَتَوَحُّدِهِ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى اللَّهِ
وَتَوَحُّدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ.

(٢٥، ٢٦) حَسَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ؛ لِثَلَا
يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ الْمُسْتَوْرَ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ، وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ. اللَّهُ الَّذِي
لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ، رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ الْمَخْلُوقَاتِ.

(٢٧، ٢٨) قَالَ سَلِيمَانُ لِلْمُهَدَّدِ: سَتَأْمَلُ فَيَا
جِئْتَنِي بِهِ مِنَ الْخَبْرِ أَصْدَقْتَ فِي ذَلِكَ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيهِ؟ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا إِلَى أَهْلِ
«سَبَأَ» فَأَعْطَهُمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ تَخَّ عَنْهُمْ قَرِيبًا مِنْهُمْ
بَحِثْ تَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، فَتَأْمَلُ مَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ مِنْ
الْكَلَامِ.

(٢٩) ذَهَبَ الْمُهَدَّدُ وَأَلْقَى الْكِتَابَ إِلَى الْمَلِكَةِ
فَقَرَأَتْهُ، فَجَمَعَتْ أَشْرَافَ قَوْمِهَا، وَسَمِعَهَا تَقُولُ

لَهُمْ: إِنِّي وَصَلْتُ إِلَى كِتَابِ جَلِيلِ الْمَقْدَارِ مِنْ شَخْصٍ عَظِيمِ الشَّانِ.

(٣٠، ٣١) ثُمَّ بُيِّنَتْ مَا فِيهِ فَقَالَتْ: إِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ، وَإِنَّهُ مَفْتُوحٌ بِـ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» لَا تَتَكَبَّرُوا وَلَا تَتَعَاطَمُوا عَمَّا
دَعَاكُمْ إِلَيْهِ، وَأَقْبِلُوا إِلَيَّ مُتَقَادِينَ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ مُسْلِمِينَ لَهُ.

(٣٢) قَالَتْ: يَا أَيُّهَا الْأَشْرَافُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ، مَا كُنْتُ لِأَفْصَلَ فِي أَمْرٍ إِلَّا بِمُحَضَّرِكُمْ وَمَشُورَتِكُمْ.

(٣٣) قَالُوا بِجَبِينٍ لَهَا: نَحْنُ أَصْحَابُ قُوَّةٍ فِي الْعُدَّةِ وَالْعُدَّةِ وَأَصْحَابُ النُّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرْبِ، وَالْأَمْرُ مَوْكُولٌ
إِلَيْكَ، وَأَنْتِ صَاحِبَةُ الرَّأْيِ، فَتَأْمَلِي مَاذَا تَأْمُرِينَ بِهِ؟ فَنَحْنُ سَامِعُونَ لِأَمْرِكَ طَعِيمُونَ لَكَ.

(٣٤، ٣٥) قَالَتْ مُخَذَّرَةٌ لَهَا مِنْ مُوَاجَهَةِ سَلِيمَانَ بِالْعِدَاوَةِ، وَمُبَيَّنَةٌ لَهُمْ سُوءُ مَغْيَةِ الْقِتَالِ: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا بِجُيُوشِهِمْ قَرْيَةً
عَنُودَةً وَقَهَرًا خَرَّبُوهَا وَصَبَّرُوا أَهْلَهَا أَذْلَةً، وَقَتَلُوا وَأَسْرَوْا، وَهَذِهِ عَادَتُهُمُ الْمُسْتَمِرَّةُ الثَّابِتَةُ لِحُلْمِ النَّاسِ عَلَى أَنْ يَهَابُوهُمْ.
وَأَنَا مَرْسِلَةٌ إِلَى سَلِيمَانَ وَقَوْمِهِ بِهَدِيَّةٍ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى نَفَاسِ الْأَمْوَالِ أَصَانَعِهَا، وَمُنْتَظَرَةٌ مَا يَرْجِعُ بِهِ الرِّسْلُ.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّوْنِي بِمَالٍ فَمَاءَ آتَيْنِ اللَّهُ خَبَرٌ مِمَّا
 ءَاتَاكَرَبَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيْتُمْ فَتَقْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾
 قَالَ يَأْتِيَانِي أُنَاسٌ كَأَنَّهُم بُاتِلُونِي بِعَرْشِي فَبَلِّغْ أُنَاسٌ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
 ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أُمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا
 ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي يُهَيِّئُ لَكَ مَاءً أَمْرًا أَشْكِرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَآتَيْنَا
 بِشُكْرِ لِنَفْسِهِ وَمَن أَكْفَرَ فَإِن رَّبِّي عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوا هَآؤُلَاءِ
 عَرَشَهَا نَظَرْنَا أُنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا
 وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن
 قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
 وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مَُّرْدٍ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

(٣٦) فلما جاء رسول الملكة بالهدية إلى سليمان، قال مستنكراً ذلك متحدثاً بأنعم الله عليه: أتمدوني بهال ترضية لي؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والأموال الكثيرة خير وأفضل مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التي تهدي إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها.

(٣٧) وقال سليمان عليه السلام لرسول أهل «سبأ»: أرجع إليهم، فوالله لنأتيهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ومقابلتها، ولنخرجهم من أرضهم أذلة وهم صاغرون مهانون، إن لم يتقادوا لدين الله وحده، ويتركوا عبادة من سواه.

(٣٨) قال سليمان مخاطباً من سخرهم الله له من الجن والإنس: أتيكم لأتيني بسرير ملكها العظيم قبل أن يأتوني متقادين طائعين؟

(٣٩) قال مارد قوي شديد من الجن: أنا أتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي تجلس فيه للحكم بين الناس، وإنني لقوي على حمله، أمين على ما فيه، آتي به كما هو لا أنقص منه شيئاً ولا أبذله.

(٤٠) قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا أتيك

بهذا العرش قبل ارتداد أجنفانك إذا تحركت للنظر في شيء. فأذن له سليمان فدعا الله، فأتى بالعرش. فلما رآه سليمان حاضراً لديه ثابتاً عنده قال: هذا من فضل ربي الذي خلقني وخلق الكون كله؛ ليختبرني: أأشكر بذلك اعترافاً بنعمته تعالى علي أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر الله على نعمه فإن نفع ذلك يرجع إليه، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يجاسبهم ويمجسهم في الآخرة.

(٤١) قال سليمان لمن عنده: غيروا سرير ملكها الذي تجلس عليه إلى حال تنكره إذا رآته؛ لنرى أهتدي إلى معرفته أم تكون من الذين لا يهتدون؟

(٤٢) فلما جاءت ملكة «سبأ» إلى سليمان في مجلسه قيل لها: أهكذا عرشك؟ قالت: إنه يشبهه. فظهر لسليمان أنها أصابت في جوابها، وقد علمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان عليه السلام، فقال: وأوتينا العلم بالله وبقدرته من قبلها، وكنا متقادين لأمر الله متبعين لدين الإسلام.

(٤٣) ومنها عن عبادة الله وحده ما كانت تعبده من دون الله تعالى، إنها كانت كافرة ونشأت بين قوم كافرين، واستمرت على دينهم، وإلا فلها من الذكاء والظطنة ما تعرف به الحق من الباطل، ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب.

(٤٤) قيل لها: ادخلي القصر، وكان صحنه من زجاج تحته ماء، فلما رأت صحن القصر ظننته ماء تتردد أمامه، وكشفت عن ساقها لتخوض الماء، فقال لها سليمان: إنه صحن أملس من زجاج صاف والماء تحته. فأدركت عظمة ملك سليمان، وقالت: رب إنني ظلمت نفسي بما كنت عليه من الشرك، وانقدت متابعة لسليمان داخلة في دين رب العالمين أجمعين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ آخَاةُمْ صَلَاحًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ أَلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَظَلَّتْ نَايِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَرِئَ كُرْ
عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْسِدُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
يَسْعَى رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا نَقَاسُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَا لَهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَفَلَكَ يُؤَيِّدُهُمْ حَاوِيَةٌ يُعَاظِلُ مَوَالِيكَ
فِي ذَلِكَ لَأَيَّةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَكُنَّا أَيْدِيَهُمْ قَوَّاتٌ ﴿٥٣﴾ وَلَوْطَأُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنَا نَارُ
الْفِتْنَةِ وَأَنْتُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَبَيْتُكُمْ لَأَأْتِيَنَّكُمْ مِنَ الرِّجَالِ
شَهْوَةٌ مِنَ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

(٤٥) ولقد أرسلنا إلى قوم آخاهم صالحاً: أن
وعبدوا الله، ولا تجعلوا معه إلهاً آخر، فلما اتاهم
صالح داعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده صار
قومه فريقين: أحدهما مؤمن به، والآخر كافر
بدعوته، وكل منهم يزعم أن الحق معه.

(٤٦) قال صالح للفريق الكافر: لِمَ تبادرون
الكفر وعمل السيئات الذي يجلب لكم العذاب،
وتؤخرون الإيمان وفعل الحسنات الذي يجلب
لكم الثواب؟ هَلَّا تطلبون المغفرة من الله ابتداءً،
وتتوبون إليه؛ رجاء أن ترحموا.

(٤٧) قال قوم صالح له: تشاء منا بك وبمن
معك من دخل في دينك، قال لهم صالح: ما
أصابكم الله من خير أو شر فهو مقدَّرٌ عليكم
ومجازيكم به، بل أنتم قوم تُخْتَبَرُونَ بالسراء
والضراء والخير والشر.

(٤٨) وكان في مدينة صالح -وهي «الحجر»
الواقعة في شمال غرب جزيرة العرب- تسعة
رجال، شأنهم الإفساد في الأرض، الذي لا
يخالطه شيء من الصلاح.

(٤٩) قال هؤلاء التسعة بعضهم لبعض: نقاسموا بالله بأن يحلف كل واحد للآخرين: لنأتين صالحاً بغتة في الليل فنقتله
ونقتل أهله، ثم لنقولنَّ لوليِّ الدم من قرابته: ما حضرنا قتلهم، وإنا لصادقون فيما قلناه.

(٥٠) ودبروا هذه الحيلة لإهلاك صالح وأهله مكرًا منهم، فنصرنا نبينا صالحاً عليه السلام، وأخذناهم بالعقوبة على غرّة.
وهم لا يتوقعون كيدنا لهم جزاءً على كيدهم.

(٥١) فانظر -أيها الرسول- نظرة اعتبار إلى عاقبة غدر هؤلاء الرهط بنيهم صالح؟ أنا أهلكناهم وقومهم أجمعين.

(٥٢) ففلك مسألتهم خالية ليس فيها منهم أحد، أهلكهم الله؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، وتكذيب نبيهم. إن في
ذلك التدمير والإهلاك لعظة لقوم يعلمون ما فعلناه بهم، وهذه سنتنا فيمن يكذب المرسلين.

(٥٣) وأنجينا ما حلَّ بشمود من الهلاك صالحاً عليه السلام والمؤمنين به، الذين كانوا يتقون ببياناتهم عذاب الله.

(٥٤، ٥٥) واذكر لو طأ إذ قال لقومه: أَنَا نَارُ الْفِتْنَةِ أَمْ أَنْتُمْ لِقَوْمِ الْمُغْلِبِينَ، وأنتم تعلمون قبحها؟ أإنكم لتأتون الرجال في
أبوابهم للشهوة عوضاً عن النساء؟ بل أنتم قوم تجهلون حقَّ الله عليكم، فخالفتكم بذلك أمره، وعصيتُم رسوله بفعلتكم
القبیحة التي لم يسبقكم بها أحد من العالمين.

أَمَّنْ يَدُّوا الْخَالِقَ تُرِيدُهُ. وَمَنْ يَرُدُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِلَيْهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلَى أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي
شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا غُمُوتٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا
كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُ آبَائِنَا الْأَخْيَارِ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْتَكِرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنْ رَبُّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنْ
رَبُّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْفَرَقَ أَنْ
يَقْصُ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَءِيلَ يَلْأَمُهُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

(٦٤) واسألهم من الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده، ومن الذي يرزقكم من السماء بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات الزرع وغيره؟ أمعبود سوى الله يفعل ذلك؟ قل: هاتوا حجتكم إن كنتم صادقين في زعمكم أن الله تعالى شريكاً في ملكه وعبادته.

(٦٥، ٦٦) قل -أيها الرسول- لهم: لا يعلم أحد في السموات ولا في الأرض ما استأثر الله بعلمه من الغيبات، ولا يدرون متى هم مبعوثون من قبورهم عند قيام الساعة؟ بل تكامل علمهم في الآخرة، فأيقنوا بالدار الآخرة، وما فيها من أهوال حين عاينوها، وقد كانوا في الدنيا في شك منها، بل عميت عنها بصائرهم.

(٦٧) وقال الذين جحدوا وحدانية الله: أنحن وآباؤنا مبعوثون أحياء كهيتنا من بعد ماتنا بعد أن صرنا تراباً؟

(٦٨) لقد وعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا من قبل، فلم نر له حقيقة ولا وقوعاً، ما هذا الوعد إلا مما سطره الأولون من الأكاذيب في كتبهم وافتروه.

(٦٩) قل -أيها الرسول- هؤلاء المكذبين: سيروا في الأرض، فانظروا إلى ديار من كان قبلكم من المجرمين، كيف كان عاقبة المكذبين للرسول؟ أهلكهم الله بتكذيبهم، والله فاعل بكم مثلهم إن لم تؤمنوا.

(٧٠) ولا تحزن على إعراض المشركين عنك وتكذيبهم لك، ولا يضق صدرك من مكربهم بك، فإن الله ناصرك عليهم. (٧١) ويقول مشركو قومك -أيها الرسول-: متى يكون هذا الوعد بالعذاب الذي تعدنا به أنت وأتباعك إن كنتم صادقين فيها تعدونا به؟

(٧٢) قل لهم -أيها الرسول-: عسى أن يكون قد اقترب لكم بعض الذي تستعجلون من عذاب الله.

(٧٣) وإن ربك لذو فضل على الناس؛ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه وكفرهم به، ولكن أكثرهم لا يشكرون له على ذلك، فيؤمنوا به ويخلصوا له العبادة.

(٧٤) وإن ربك ليعلم ما تخفيه صدور خلقه وما يظهره.

(٧٥) وما من شيء غائب عن أبصار الخلق في السماء والأرض إلا في كتاب واضح عند الله. قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان وما يكون.

(٧٦) إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها.

(٧٧) وإن هذا القرآن لهداية من الضلال ورحمة من العذاب، لمن صدق به واهتدى بهداه.

(٧٨) إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل، ويمجزي المحسن. وهو العزيز الغالب، فلا يترد قضاؤه، العليم فلا يلتبس عليه حق بباطل.

(٧٩) فاعتمد -أيها الرسول- في كل أمورك على الله، وثق به؛ فإنه كافيك، إنك على الحق الواضح الذي لا شك فيه.

(٨٠) إنك -أيها الرسول- لا تقدر أن تُسمع الحق من طبع الله على قلبه فأمانه، ولا تُسمع دعوتك من أصم الله سمعه عن سماع الحق عند إدبارهم معرضين عنك؛ فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلاً، فكيف إذا كان معرضاً عنه مولىً مدبراً؟

(٨١) وما أنت -أيها الرسول- بهادٍ عن الضلالة من أعماه الله عن الهدى والرشاد، ولا يمكنك أن تُسمع إلا ما يصدق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبيون لما دعوتهم إليه.

(٨٢) وإذا وجب العذاب عليهم؛ لتباديهم في المعاصي والطفیان، وإعراضهم عن شرع الله وحكمه، حتى صاروا من شرار خلقه، أخرجنا لهم من الأرض في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي «الدابة»، تحدثهم أن الناس المنكرين للبعث كانوا

وَأَنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ أَلْحَىٰ الْمَعِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُتَوَقُّينَ وَلَا تَسْمَعُ الْأَصْمَ ۚ اللَّهُ عَالِمُ الْإِذَاوتِ وَلَمْ يَذَرِ الْغَائِبِينَ ۖ وَمَا أَنتَ بِهَدًى الْعَمَىٰ عَنِ صُلَىٰ إِلَهُمَّ ۚ إِن تَسْمَعُ إِلَّا مَن يَؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْمُوتُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَجَرًا ۖ وَمَن يَكْذِبْ بِآيَاتِنَا فَهُم بِرُؤُوسِهِمْ ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي ۖ وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا ۖ أَمْ أَتَانَا كَثِيرًا تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَبْطِقُونَ ﴿٨٣﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ لَيْلٍ لِّسَعُورِهِمْ ۖ وَآلَهُار مُّبْصِرَاتٍ ۚ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۚ لَا مَن سَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَوْتَةٍ دَٰخِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَتَرَى الْجِبَالِ تَحْشُرُهَا جَٰمِدَةٌ وَهِيَ تَكْرُمُ مَرَّ السَّحَابِ ۖ صُنِعَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَنَافِثٌ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٦﴾

بالحقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ودينه لا يصدقون ولا يعملون.

(٨٣) ويوم نجمع يوم الحشر من كل أمة جماعة ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، يُجَبَسْ أولهم على آخرهم؛ ليجتمعوا كلهم، ثم يساقون إلى الحساب.

(٨٤، ٨٥) حتى إذا جاء من كل أمة فج من يَكْذِبْ بآياتنا فاجتمعوا قال الله: أَكْذَبْتُم بآياتي التي أنزلتها على رسلِي، وبآيات التي أقمناها دلالة على توحيدِي واستحقاقِي وحدي للعبادة، ولم تحيطوا علماً ببطلانها، حتى تُعرضوا عنها وتُكذِّبوا بها، أم أي شيء كنتم تعملون؟ وحَقَّتْ عليهم كلمة العذاب؛ بسبب ظلمهم وتكذيبهم، فهم لا يتفكرون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم ما حل بهم من سوء العذاب.

(٨٦) ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا أننا جعلنا الليل يسقرون فيه وينامون، والنهار يبصرون فيه للسعي في معاشهم؟ إن في تصرفها لدلالة لقوم يؤمنون بكمال قدرة الله ووحدانيته وعظيم نعمه.

(٨٧) واذكر -أيها الرسول- يوم ينفخ المَلَكُ في «القرن» فزع من في السموات ومن في الأرض فزعاً شديداً من هول النفخة، إلا من استثناه الله من أكرمه وحفظه من الفزع، وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم صاغرين مطيعين.

(٨٨) وترى الجبال تظنها واقفة مستقرة، وهي تسير سيراً خفياً كسير السحاب الذي تسيرُه الرياح، وهذا من صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه واتقنه. إن الله خبير بما تفعلون أيها الناس من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ أَجْرُهَا وَهُوَ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ أَمُونٌ ﴿٨٩﴾
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْفَ يُجْزَى فِي النَّارِ هَلْ يُخْرَجُونَ إِلَّا
مَا كَسَبُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ
الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ أَنْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
سَيَرُكُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُو آيَاتِكَ
مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَفَرَعُونَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ شَيْعَانًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّهُ أَوْلَادُهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ رَكَانٌ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

(٨٩) من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وهم يوم الفزع الأكبر آمنون.
(٩٠) ومن جاء بالشرك والأعمال السيئة المنكرة، فجزاؤهم أن يكفهم الله على وجوههم في النار يوم القيامة، ويقال لهم توبيخاً: هل تحزبون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا؟

(٩١، ٩٢) قل -أيها الرسول- للناس: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة -وهي «مكة»- الذي حَرَّمَهَا على خلقه أن يسفكوا فيها دمأ حراماً، أو يظلموا فيها أحداً، أو يصيدوا صيدها، أو يقطعوا شجرها، وله سبحانه كل شيء، وأمرت أن أعبده وحده دون من سواه، وأمرت أن أكون من المتقادين لأمره، المبادرين لطاعته، وأن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بها فيه واتبع ما جئت به، فإنه خير ذلك وجزاؤه لنفسه، ومن ضلَّ عن الحق قل -أيها الرسول-: إنما أنا نذير لكم من عذاب الله وعقابه إن لم تؤمنوا، فأنا واحد من الرسل الذين أنذروا قومهم، وليس بيدي من الهداية شيء.

(٩٣) وقل -أيها الرسول-: الثناء الجميل لله، سيريكم آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض، فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق وتبين لكم الباطل، وما ربك بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك.

﴿سورة القصص﴾

(١) ﴿طَسَّرَ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذه آيات القرآن الذي أنزلته إليك -أيها الرسول-، مبيناً لكل ما يحتاج إليه العباد في دنياههم وأخراهم.

(٣) نقص عليك من خبر موسى وفرعون بالصدق لقوم يؤمنون بهذا القرآن، ويصدقون بأنه من عند الله، ويعملون بهديه.

(٤) إن فرعون تكبر وطغى في الأرض، وجعل أهلها طوائف متفرقة، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، يذبح أبناءهم، ويستقي نساءهم؛ للخدمة والامتهان، إنه كان من المفسدين في الأرض.

(٥) ونريد أن ننفضل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض، ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه، ونجعلهم يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه.

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِثْلَهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا اخْشَفَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ لَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِيْ إِنَّا آدَاؤُهُ إِلَيْنَا وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتْ أُمُّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِيْ وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ يَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَرِيْعًا إِنْ كَادَتْ لَتَسْدِي بِهِ لَوْلَا
أَنْ رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِاخْوَتَيْهِ قُصِيْهُ قُبُصْتُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ وَحَزِنَتْ عَلَيْهِ الْمُرَاضِعُ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ
﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

(٦) ونمكن لهم في الأرض، ونجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المستضعفة ما كانوا يخافونه من هلاكهم وذهاب ملكهم، وإخراجهم من ديارهم على يد مولود من بني إسرائيل.

(٧، ٨) وألهما أم موسى حين ولدته وخشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بني إسرائيل: أن أَرْضِعِيهِ مَطْمَئِنَّةً، فإذا خشيت أن يُعرف أمره فضعيه في صندوق وألقيه في النيل، دون خوف من فرعون وقومه أن يقتلوه، ودون حزن على فراقه، إنا رَأَدُوْهُ وَلَدُكَ إِلَيْكَ وباعثوه رسولا. فوضعت في صندوق وألقته في النيل، فعثر عليه أعوان فرعون وأخذوه، فكانت عاقبة ذلك ما قَدَّرَهُ اللهُ بأن يكون موسى عدواً لهم بمخالفة دينهم، وموقعاً لهم في الحزن باغراقهم وزوال ملكهم على يده. إن فرعون وهامان وأعوانها كانوا آمنين مشركين.

(٩) ولما شاهدته امرأة فرعون ألقى الله محبة في قلبها، وقالت لفرعون: هذا الطفل سيكون مصدراً ضرورياً لي ولك، لا تقتلوه؛ فقد نصيب

منه خيراً أو نتخذه ولداً، وفرعون وآله لا يدركون أن هلاكهم على يديه.

(١٠) وأصبح فؤاد أم موسى خالياً من كل شيء في الدنيا إلا من هم موسى وذكره، وقاربت أن تُظهِرَ أنه ابنها لولا أن ثبتناها، فصبرت ولم تُبْدِ به؛ لتكون من المؤمنين بوعده الله الموقنين به.

(١١) وقالت أم موسى لأخته حين ألقته في اليم: اتَّبِعِي أثر موسى كيف يُضَيِّعُ به؟ فتبعت أثره فأبصرته عن بُعد، وقوم فرعون لا يعرفون أنها أخته، وأنها تتبع خبره.

(١٢) وحزنا على موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أن رُدَّهُ إلى أمه، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يحسنون تربيته وإرضاعه، وهم مشفقون عليه؟ فأجابوها إلى ذلك.

(١٣) فرددنا موسى إلى أمه؛ كي تَقَرَّ عَيْنُهَا به، ووفينا لها بالوعد؛ إذ رجع إليها سليماً من قتل فرعون، ولا تحزن على فراقه، ولتعلم أن وعد الله حق فيها وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين. إن الله لا يخلف وعده، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق.

(١٤) ولما بلغ موسى أشد قوته وتكامل عقله، آتيناها حكماً وعلماً يعرف بها الأحكام الشرعية، وكما جزينا موسى على طاعته وإحسانه نجزي من أحسن من عبادنا.

(١٥) ودخل موسى المدينة مستخفياً وقت غفلة أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان: أحدهما من قوم موسى من بني إسرائيل، والآخر من قوم فرعون، فطلب الذي من قوم موسى النصر على الذي من عدوه، فضربه موسى بجُحْم كَفَّه فمات، قال موسى حين قتله: هذا من نزغ الشيطان، بأن هبج غضبي، حتى ضربت هذا فهلك، إن الشيطان عدو لابن آدم، مضل عن سبيل الرشاد، ظاهر العداوة. وهذا العمل من موسى عليه السلام كان قبل النبوة.

(١٦) قال موسى: رب إنني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاغفر لي ذلك الذنب، فغفر الله له. إن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

(١٧) قال موسى: رب بما أنعمت عليّ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة، فلن أكون معنياً لأحد على معصيته وإجرامه.

(١٨) فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفاً يترقب الأخبار مما يتحدث به الناس في أمره وأمر قتيله، فرأى صاحبه بالأمس يقاتل قبطياً آخر، ويطلب منه النصر، قال له موسى: إنك لكثير الغواية ظاهر الضلال.

(١٩) فلما أن أراد موسى أن يبطش بالقبطي، قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض، وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين الناس.

(٢٠) وجاء رجل من آخر المدينة يسعى، قال يا موسى: إن أشرف قوم فرعون يتآمرون بقتلك ويتشاورون، فاخرج من هذه المدينة، إني لك من الناصحين المشفقين عليك.

(٢١) فخرج موسى من مدينة فرعون خائفاً ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه، فدعا الله أن ينقذه من القوم الظالمين.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَاسْتَوَىٰ ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِن عَدُوِّهِۦ فَاسْتَنَّاكَ الْيَدِيَّٰنِ مِن شِيعَتِهِۦ عَلَىٰ الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَرَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرُ بِهٖ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُۥ ۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَنَّكَ ۖ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنَّ تُرِيدُ ۖ لِأَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ۖ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنَّ الْغَٰوِمِينَ يَأْتُمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ ۖ فَاخْرِجْ إِنِّي لَمِّنْ لِّكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

(٢٢) ولما قصد موسى بلاد «مدين» وخرج من سلطان فرعون قال: عسى ربي أن يرشدني خير طريق إلى «مدين».

(٢٣) ولما وصل ماء «مدين» وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين مفردتين عن الناس، تحبسان غنمهما عن الماء؛ لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، وتنتظران حتى تصُدر عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما، فلما رآهما موسى -عليه السلام- رقى لهما، ثم قال: ما شأنكما؟ قالتا: لا نستطيع مزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي الناس، وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته؛ لضعفه وكبره.

(٢٤) فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظل شجرة فاستظل بها وقال: ربّ إني مفتقر إلى ما تسوقه إليّ من أي خير كان، كالطعام. وكان قد اشتد به الجوع.

(٢٥) فجاءت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما

تسير إليه في حياء، قالت: إن أبي يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا، فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباهما وقصّ عليه قصصه مع فرعون وقومه، قال له أبوها: لا تخف نجوت من القوم الظالمين، وهم فرعون وقومه؛ إذ لا سلطان لهم بأرضنا.

(٢٦) قالت إحدى المرأتين لأبيها: يا أبت استأجره ليرعى لك ماشيتك؛ إن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك، الأمين الذي لا تخاف خيافته فيما تأمنه عليه.

(٢٧) قال الشيخ لموسى: إني أريد أن أزوجه إحدى ابنتي هاتين، على أن تكون أجير لي في رعي ماشيتي ثماني سنين مقابل ذلك، فإن أكملت عشر سنين فأحسن من عندك، وما أريد أن أشق عليك بجعلها عشرًا، ستجدي إن شاء الله من الصالحين في حسن الصحبة والوفاء بها قلت.

(٢٨) قال موسى: ذلك الذي قلته قائم بيني وبينك، أي المديتين أقضها في العمل أكن قد وفيتك، فلا أطالب بزيادة عليها، والله على ما نقول وكيل حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدا عليه.

وَلَمَّا وَجَّهَ يَلْفَةً مَدِينَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ
مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَقَّ بُصْدَرِ الرَّعِيَّةِ وَالْأُنثَى
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَهُ تَهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْبَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا
يَبْنَوتُ اسْتَعْجِزْ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعْجَرَ الْقَوِيُّ ﴿٢٦﴾ الْأَمِينُ
﴿٢٧﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ
تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْرًا فَإِنِ اسْتَمَعْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
فَضَيْتَ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٩﴾

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُؤْا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِيئِ الْأَوْدِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ إِلَىٰ آتَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْطِبُ يُمْوِسُ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٩﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْدِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَكَرَكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢١﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٢﴾ قَالَ سَنَسُدُّ عَصِدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكُمَا يَا بَنِي آدَمَ اسْكُؤْا مِنْ أَلْبَعَكُمَا الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾

(٢٩) فلما ولى نبي الله موسى - عليه السلام - صاحبه المدة عشر سنين، وهي أكمل المدين، وسار بأهله إلى «مصر» أبصر من جانب الطور ناراً، قال موسى لأهله: تمهلوا وانتظروا إني أبصرت ناراً، لعل آتيكم منها نبأ، أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفئون بها.

(٣٠، ٣١) فلما أتى موسى النار ناداه الله من جانب الوادي الأيمن لموسى في البقعة المباركة من جانب الشجرة: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، وأن ألق عصاك، فآلقاها موسى، فصارت حية تسعى، فلما رآها موسى تضطرب كأنها جانٌّ من الحيات ولى هارباً منها، ولم يلتفت من الخوف، فناداه ربه: يا موسى أقبل إلي ولا تخف؛ إنك من الأمنين من كل مكروه.

(٣٢) أدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر، وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج من غير مرض ولا برص، واضمم إليك يدك لتأمن من الخوف، فهاتان اللتان أريتكما يا موسى: من

تحول العصا حية، وجعل يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص، آياتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه. إن فرعون وملاه كانوا قوماً كافرين.

(٣٣، ٣٤) قال موسى: رب إني قتلت من قوم فرعون نفساً فأخاف أن يقتلوني، وأخي هارون هو أفصح مني لفظاً، فأرسله معي عوناً يصدقني، ويبين لهم عني ما أخاطبهم به، إني أخاف أن يكذبوني في قولي لهم: إني أرسلت إليهم.

(٣٥) قال الله لموسى: سننقوك بأخيك، ونجعل لكما حجة على فرعون وقومه فلا يصلون إليكما بسوء. أنتم يا موسى وهارون - ومن آمن بكم المتصورون على فرعون وقومه؛ بسبب آياتنا وما دللت عليه من الحق.

(٣٦) فلما جاء موسى فرعون وملاه بأدلتنا وحججنا شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه، قالوا للموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افترته كذباً وباطلاً، وما سمعنا بهذا الذي تدعوننا إليه في أسلافنا الذين مضوا قبلنا.

(٣٧) وقال موسى لفرعون: ربي أعلم بالحق منّا الذي جاء بالرشاد من عنده، ومن الذي له العقوبة المحمودة في الدار الآخرة، إنه لا يظفر الظالمون بمطلوبهم.

(٣٨) وقال فرعون لأشرف قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري يستحق العبادة، فأشعل لي - يا هامان - على الطين ناراً، حتى يشتد، وأبني لي بناء عالياً؛ لعلني أنظر إلى معبود موسى الذي يعبدته ويدعو إلى عبادته، وإني لأظنه فيما يقول من الكاذبين.

(٣٩) واستعل فرعون وجنوده في أرض مصر «مصر» بغير الحق عن تصديق موسى وأتباعه

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا يَكْفُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ أَنَا وَمُوسَى وَهَارُونَ الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَكُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أُطْعَمُ الْوِلْدَانَ يَوْمَ مُوسَى وَإِنِّي لأظننهم من الكاذبين ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُوا وَخَوَدُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَانَا لَا يُزْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأُنْظِرُ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْفَٰلِٰغِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

على ما دعاهم إليه، وحسبوا أنهم بعد ماتهم لا يبعثون.

(٤٠) فأخذنا فرعون وجنوده، فألقيناهم جميعاً في البحر وأغرقتناهم، فانظر - أيها الرسول - كيف كان نهاية هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهم؟

(٤١) وجعلنا فرعون وقومه قادة إلى النار، يفتدي بهم أهل الكفر والفسق، ويوم القيامة لا ينصرون؛ وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول ربهم وإصرارهم على ذلك.

(٤٢) وأتبعنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خرباً وغضباً منا عليهم، ويوم القيامة هم من المستقرة أفعالهم، المبعدين عن رحمة الله.

(٤٣) ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت من قبله - كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب «مدن» - حال كون التوراة بصائرً لبني إسرائيل، يبصرون بها ما ينفعهم وما يضرهم، وفيها رحمة لمن عمل بها منهم؛ لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم، فيشكروه عليها، ولا يكفروه.

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا فِرْعَوْنَ فَطَاحِلًا عَلَيْهِمُ الْعُزْرَ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ أَهْلَ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمْنَا مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَيْنَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن نَّصِيبَهُمْ نُصِيبَهُ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَكَوْنَتْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِي مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَى أَوْ لَوْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاظِمُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ قَالُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرُ هَدَى اللَّهِ إِنْ لَمْ يَهْدِ اللَّهُ لِقَوْمٍ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

(٤٤) وما كنت -أيها الرسول- بجانب الجبل الغربي من موسى إذ كلّفناه أمرنا ونهينا، وما كنت من الشاهدين لذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق.

(٤٥) ولكننا خلقنا أمماً من بعد موسى، فمكثوا زمناً طويلاً، فنسوا عهد الله، وتركوا أمره، وما كنت مقبياً في أهل «مدین» تقرأ عليهم كتابنا، فتعرف قصصهم وتخبر بها، ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى وحي، وشاهد على رسالتك.

(٤٦) وما كنت -أيها الرسول- بجانب جبل الطور حين نادينا موسى، ولم تشهد شيئاً من ذلك فتعلمه، ولكننا أرسلناك رحمة من ربك؛ لتنذر قوماً لم يأتهم من قبلك من نذير؛ لعلمهم يتذكرون الخير الذي جئت به فيفعلوه، والشر الذي نهيت عنه فيجتنبوه.

(٤٧) ولولا أن ينزل بهؤلاء الكفار عذاب بسبب كفرهم بربهم، فيقولوا: ربنا هلاً أرسلت

إلينا رسولاً من قبل، فتتبع آياتك المنزلة في كتابك، ونكون من المؤمنين بك.

(٤٨) فلما جاء محمد هؤلاء القوم نذيراً لهم، قالوا: هلاً أوتي هذا الذي أرسل إلينا مثل ما أوتي موسى من معجزات حسية، وكتاب نزل جملة واحدة! قل -أيها الرسول- لهم: أو لم يكفر اليهود بما أوتي موسى من قبل؟ قالوا: في التوراة والقرآن سحران تعاونتا في سحرهما، وقالوا: نحن بكل منهما كافرون.

(٤٩) قل -أيها الرسول- لهؤلاء: فأتوا بكتاب من عند الله هو أقوم من التوراة والقرآن أتبعه، إن كنتم صادقين في زعمكم.

(٥٠) فإن لم يستجيبوا لك بالإتيان بالكتاب، ولم تبق لهم حجة، فاعلم أننا يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالاً ممن اتبع هواه يغير هدى من الله. إن الله لا يوفق لإصابة الحق القوم الظالمين الذين خالفوا أمر الله، وتجاوزوا حدوده.

(٥١) ولقد فصلنا وبيننا القرآن رحمة بقومك أيها الرسول؛ لعلهم يتذكرون، فيتعتبوا به.

(٥٢) الذين آتيناهم الكتاب من قبل القرآن - وهم اليهود والنصارى الذين لم يبدلوا - يؤمنون بالقرآن ويمحمد عليه الصلاة والسلام.

(٥٣) وإذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب، قالوا: صدقنا به، وعملنا بما فيه، إنه الحق من عند ربنا، إن كنا من قبل نزوله مسلمين موحدين، فدين الله واحد، وهو الإسلام.

(٥٤، ٥٥) هؤلاء الذين تقدمت صفتهم يؤتون ثواب عملهم مرتين: على الإيمان بكتابتهم، وعلى إيمانهم بالقرآن بما صبروا، ومن أوصافهم أنهم يدفعون السيئة بالحسنة، ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والبر. وإذا سمع هؤلاء القوم الباطل من القول لم يصفنوا إليه، وقالوا: لنا أعمالنا لا نحيد عنها، ولكم أعمالكم ووزرها عليكم، فنحن لا نشغل أنفسنا بالرد عليكم، ولا نسمعون منا إلا الخير، ولا نخاطبكم

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا أَمْ آتَانَا بِهِ ۚ إِنَّهُ لَكُنْ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْظَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَمُوا عَلَيْهِمْ لَا يَنْتَبِعِي الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِنَّا نَسِيعُ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَخَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ فَرَقَنَاهُمْ مُعَيْشَةً فَإِنَّكَ مَسْكَانُهُمْ لَتُشْكِنَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝ وَمَا كَانَتْ رُبُّكَ مُهْلِكًا الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝

بمقتضى جهلكم؛ لأننا لا نريد طريق الجاهلين ولا نجها. وهذا من خير ما يقوله الدعاة إلى الله.

(٥٦) إنك - أيها الرسول - لا تهدي هداية توفيق من أحببت هدايته، ولكن ذلك بيد الله يهدي من يشاء أن يهديه للإيمان، ويوقفه إليه، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه.

(٥٧) وقال كفار «مكة»: إن تنيع الحق الذي جئنا به، ونتبرأ من الأولياء والآلهة، نتخطف من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال، أولم نجعلهم متمكنين في بلد آمن، حرمانا على الناس سفك الدماء فيه، تجلب إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا؟ ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر هذه النعم عليهم، فيشكروا من أنعم عليهم بها ويطيعوه.

(٥٨) وكثير من أهل القرى أهلكناهم حين ألهمتهم معيشتهم عن الإيمان بالرسول، فكفروا واطغوا، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا منها، وكنا نحن الوارثين للعباد نميتهم، ثم يرجعون إلينا، فنجازيهم بأعمالهم.

(٥٩) وما كان ربك - أيها الرسول - مهلك القرى التي حول «مكة» في زمانك حتى يبعث في أمها - وهي «مكة» - رسولا، يتلو عليهم آياتنا، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون لأنفسهم بكفرهم بالله ومعصيته، فهم بذلك مستحقون للعقوبة والبال.

وَمَا أُوْنِسُكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهُمْ وَمَا عِنْدَ
 اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا
 فَهُوَ لَعِينٌ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْمَحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي
 الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ الْقَوْلِ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ
 مَا كُنَّا أُولِي إِيْنَانٍ فَيُعَذِّبُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾
 وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾
 فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ اللَّانِبَاءُ يَوْمَ هُمْ لَا لِيْسَاءَ لَوْ أَنَّ
 مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَقَسَتْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٦﴾
 وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٨﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
 الْحُكْمُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٩﴾

(٦٠) وما أعطيتكم - أيها الناس - من شيء من الأموال والأولاد، فإنها هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وزينة يُتزين بها، وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير وأبقى؛ لأنه دائم لا نفاذ له، أفلا تكون لكم عقول - أيها القوم - تندبرون بها، فتعرفون الخير من الشر؟

(٦١) أفمن وعدناه ومن خلقنا على طاعته إيانا الجنة، فهو ملاقي ما وعدَّ، وصائر إليه، كمن تمتعنا في الحياة الدنيا بمتاعها، فتمتّع به، وأثر لذة عاجلة على آجلة، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب والجزاء؟ لا يستوي الفريقان، فليختر العاقل لنفسه ما هو أولى بالاختيار، وهو طاعة الله وابتغاء مرضاته.

(٦٢) ويوم ينادي الله عز وجل الذين أشركوا به الأولياء والأولاد في الدنيا، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم لي شركاء؟ (٦٣) قال الذين حقّ عليهم العذاب، وهم دعاة الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللناهم كما

ضللنا، تبرأنا إليك من ولايتهم ونصرتهم، ما كانوا إيانا يعبدون، وإننا كانوا يعبدون الشياطين.

(٦٤) وقيل للمشركين بالله يوم القيامة: ادعوا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم، وعانوا العذاب، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق لما عذبوا.

(٦٥) ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول: بأي شيء أجبتم المرسلين فيما أرسلناهم به إليكم؟

(٦٦) فخفيت عليهم الحجج، فلم يدرُوا ما يحتاجون به، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتاجون به سؤال انتفاع.

(٦٧) فأما من تاب من المشركين، وأخلص لله العبادة، وعمل بما أمره الله به ورسوله، فهو من الفائزين في الدارين.

(٦٨) وربك يخلق ما يشاء أن يخلق، ويصطفي لولايته من يشاء من خلقه، وليس لأحد من الأمر والاختيار شيء، وإننا ذلك لله وحده سبحانه، تعالى وتنزه عن شركهم.

(٦٩) وربك يعلم ما تخفي صدور خلقه وما يظهره.

(٧٠) وهو الله الذي لا معبود بحق سواه، له الثناء الجميل والشكر في الدنيا والآخرة، وله الحكم بين خلقه، وإليه تُردون بعد مماتكم للحساب والجزاء.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِيلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مِنَ الْإِلَهِ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَضِيءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ
﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْإِلَهِ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ لَيْلٌ تَشْكُونَ
فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّتِيلَ
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يَدَّيْهِمْ يَقُولُونَ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
كُنَّا نَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَفْرَوْنَ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ قَدْ نَزَعْنَا مِنْ قَوْمِ مُوسَى
فَيْعَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُفْرَانِ مَا إِنَّ مَفَاحِهِمْ لَتَنُورُوا
بِالْعَصْبَةِ أَوْ لِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَاتَّبَعَ فِيمَاءَ آتَنَّاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ
وَلَا تَتَسَّ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

(٧١) قل -أيها الرسول-: أخبروني -أيها
الناس- إن جعل الله عليكم الليل دائماً إلى يوم
القيامة، من إله غير الله يأتيكم بضياء تستضيئون
به؟ أفلا تسمعون سماع فهم وقبول؟

(٧٢) قل لهم: أخبروني إن جعل الله عليكم
النهار دائماً إلى يوم القيامة، من إله غير الله
يأتيكم بليل تستقرون وتهذون فيه؟ أفلا ترون
بأبصاركم اختلاف الليل والنهار؟

(٧٣) ومن رحمته بكم -أيها الناس- أن جعل
لكم الليل والنهار فخالف بينهما، فجعل هذا
الليل ظلاماً لتستقروا فيه وترتاح أبدانكم،
وجعل لكم النهار ضياءً لتطلبوا فيه معاشكم،
ولتشكروا له على إنعامه عليكم بذلك.

(٧٤) ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول
لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا
أنهم شركائي؟

(٧٥) ونزعنا من كل أمة من الأمم المكذبة
شهاداً -وهو نبئهم-، يشهد على ما جرى في

الدنيا من شركهم وتكذيبهم لرسلهم، فقلنا لتلك الأمم التي كذبت رسلها وما جاءت به من عند الله: هاتوا حجتكم على
ما أشركتم مع الله، فعملوا حيثئذ أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون على ربهم، فلم
ينفعهم ذلك، بل ضرهم وأوردهم نار جهنم.

(٧٦) إن قارون كان من قوم موسى -عليه الصلاة والسلام- فتجاوز حدّه في الكبر والتعجب عليهم، وآتينا قارون من كنوز
الأموال شيئاً عظيماً، حتى إن مفاحه ليثقل حملها على العدد الكثير من الأقوياء، إذ قال له قومه: لا تبطر فرحاً بما آتت فيه
من المال، إن الله لا يحب من خلقه البطرين الذين لا يشكرون الله تعالى ما أعطاهم.

(٧٧) والتمس فيما آتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا، ولا تترك حظك من الدنيا،
بأن تتمتع فيها بالحلal دون إسراف، وأحسن إلى الناس بالصدقة، كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة، ولا تلمس
ما حرم الله عليك من الفساد في الأرض والبغي على قومك، إن الله لا يحب المفسدين، وسيجازيهم على سوء صنيعهم.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ وَأَوَّلُ رِيحَةٍ أَنَا اللَّهُ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ مِثْرَ الْقُرُونِ مِنْ هُوَ أَشَدُّ مِمَّا وَكَثُرَ جَعًا
 وَلَا يُسْتَلَمُ عَنْ دُؤُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
 فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيتْنَا
 مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ وَلَكُمْ ذُؤَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَجِلَ
 صَلَاحًا وَلَا يُلْقَىٰ إِلَّا الْصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهٖ
 وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا
 مَكَانَهُ بِأُلَافٍ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَحَسَفًا ۖ بَنَّا
 وَكَانَ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ۖ نَجْعَلُهَا
 لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا ۖ وَأَعْقِبَهُ لِمُسْقِفِينَ
 ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
 يُجْزَىٰ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

(٧٨) قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أُعطيْتُ هذه الكنوز بها عندي من العلم والقدرة، أو لم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشاً، وأكثر جعاً للأموال؟ ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون؛ لعلم الله تعالى بها، إنما يُسألون سؤال توبيخ وتقرير، ويعاقبهم الله على ما علمه منهم.

(٧٩) فخرج قارون على قومه في زينته، مريداً بذلك إظهار عظمته وكثرة أمواله، وحين رآه الذين يريدون زينة الحياة الدنيا قالوا: يا ليت لنا مثل ما أَعْطَى قارون من المال والزينة والجاه، إن قارون لذنو نصيب عظيم من الدنيا.

(٨٠) وقال الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور للذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون: ويا ليتكم اتقوا الله وأطيعوه، ثواب الله لمن آمن به وبرسله، وعمل الأعمال الصالحة، خير مما أوتي قارون، ولا يُتقبل هذه النصيحة ويوفق إليها ويعمل بها إلا من يجاهد نفسه، ويصبر على طاعة ربه، ويحْتَنِبُ معاصيه.

(٨١) فخسفنا بقارون وبداره الأرض، فما كان

له من جند ينصرونه من دون الله، وما كان متمتعاً من الله إذا حُلَّ به نقمته.

(٨٢) وصار الذين تمنوا حاله بالأمس يقولون متوجعين ومعتبرين وخائفين من وقوع العذاب بهم: إن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على من يشاء منهم، لولا أن الله منَّ علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا لحسف بنا كما فعل بقارون، ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة؟

(٨٣) تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق في الأرض ولا فساداً فيها. والعاقبة المحمودة - وهي الجنة - لمن اتقى عذاب الله وعمل الطاعات، وترك المحرمات.

(٨٤) من جاء يوم القيامة بإخلاص التوحيد لله وبالأعمال الصالحة وفق ما شرع الله، فله أجر عظيم خير من ذلك، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم، ومن جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون.

(٨٥) إن الذي أنزل عليك -أيها الرسول- القرآن، وفرض عليك تبليغه والتمسك به، لمُرجعك إلى الموضع الذي خرجت منه، وهو «مكة»، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ربي أعلم من جاء بالهدى، ومن هو في ذهاب واضح عن الحق.

(٨٦) وما كنت -أيها الرسول- تؤمل نزول القرآن عليك، لكن الله سبحانه وتعالى رحمك فأنزله عليك، فاشكر الله تعالى على نعمه، ولا تكوننَّ عوناً لأهل الشرك والضلال.

(٨٧) ولا يصرفنَّ هؤلاء المشركون عن تبليغ آيات ربك وحججه، بعد أن أنزلها إليك، وبلغ رسالة ربك، ولا تكونون من المشركين في شيء.

(٨٨) ولا تعبد مع الله معبوداً آخر؛ فلا معبود بحق إلا الله، كل شيء هالك وفاٍن إلا وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون من بعد موتكم للحساب والجزاء. وفي هذه الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق بكماله وعظمه جلالة.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَلَّا تَزْكُ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ ۚ وَلَا يَصْطَدِّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْرِكِينَ ۚ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْخُكُومُ وَلَئِنْ تَرَجَعُونَ

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعَصِ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ ۚ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآئٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝

﴿سورة العنكبوت﴾

- (١) ﴿الَّذِينَ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- (٢) أَظُنَّ النَّاسَ إِذْ قَالُوا: آمَنَّا، أَنَّ اللَّهَ يَتْرَكُهُمْ بِلَا ابْتِلَاءٍ وَلَا اخْتِبَارٍ؟
- (٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَاخْتَبَرْنَا هُمْ، مِمَّنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلَنَا، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ عِلْمًا ظَاهِرًا لِلخَلْقِ صَدَقَ الصَّادِقِينَ فِي إِيَابِهِمْ، وَكَذَبَ الْكَافِرِينَ؛ لِيُمَيِّزَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنَ الْآخَرِ.
- (٤) بَلْ أَظُنُّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِيَ مِنْ شَرِكٍ وَغَيْرِهِ أَنْ يَعْبِزُونَا، فَيُفْتِنُونَا بِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِمْ؟ بِشَسِّ حَكْمِهِمُ الَّذِي يَحْكُمُونَ بِهِ.
- (٥) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ، وَيَطْمَعُ فِي ثَوَابِهِ، فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ الَّذِي أَجَلَهُ لِبَعْثِ خَلْقِهِ لِلْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ لَآئٍ قَرِيبًا، وَهُوَ السَّمِيعُ لِلْأَقْوَالِ، الْعَلِيمُ بِالْأَفْعَالِ.
- (٦) وَمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ بِحُمُلِهَا عَلَى الطَّاعَةِ، فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ عَلَى جِهَادِهِ. إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ أَعْمَالِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَهُ الْمُلْكُ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُنَّ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِرَبِّهِ خُسْنًا وَإِنْ جَحَدَكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تَطْعَمُهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكَ فَأُنَبِّئُكَ بِمَا كُنتَ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَإِنَّ النَّاسَ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ ضُرٌّ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْقَائِمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ قَدْ
شَاءَ إِلَهُهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنَّا لَا نَمْنَعُ
أَثْقَالَهُمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

(٧) والذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا الصالحات لنمحو عنهم خطيئاتهم، ولنسبهم على أعمالهم الصالحة أحسن ما كانوا يعملون.

(٨) ووصينا الإنسان بالديه أن يبرهما، ويحسن إليهما بالقول والعمل، وإن جاهدك -أيها الإنسان- على أن تشرك معي في عبادتي، فلا تمثل أمرهما. ويلحق بطلب الإشراف بالله، سائر المعاصي، فلا طاعة لمخلوق كاتناً من كان في معصية الله سبحانه، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. إليّ مصيركم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئها، وأجازيكم عليها.

(٩) والذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات من الأعمال، لندخلهم الجنة في جملة عباد الصالحين.

(١٠) ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا آذاه المشركون جزع من عذابهم وأذاهم، كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذى منه، فارتدّ

عن إيمانه، ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- لأهل الإيمان به ليقولنّ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إِنَّا كنا معكم -أيها المؤمنون- نصركم على أعدائكم، أليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟

(١١) وليعلمنّ الله علماً ظاهراً للخلق الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره، وليعلمنّ المنافقين؛ ليميز كل فريق من الآخر.

(١٢) وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعد الله ووعده، للذين صدّقوا الله منهم وعملوا بشره: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإنا نتحمل آثام خطاياكم، وليسوا بحاملين من آثامهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا. (١٣) ولحملنّ هؤلاء المشركون أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصداً عن سبيل الله مع أوزارهم، دون أن ينقص من أوزار تابعيهم شيء، وليسألنّ يوم القيامة عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب.

(١٤) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك، فلم يستجيبوا له، فأهلكهم الله بالطوفان، وهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم وطغيانهم.

(١٥) فَأَنْجَيْنَا نُوحًا وَمَنْ تَبِعَهُ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، وَجَعَلْنَا ذَلِكَ عِبْرَةً لِّلْعَالَمِينَ.

(١٦) وَاذْكُرْ - أيها الرسول - إبراهيم عليه السلام حين دعا قومه: أَنْ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَاتَّقُوا سَخَطَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ مِمَّا هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ.

(١٧) مَا تَعْبُدُونَ - أيها القوم - مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا أَصْنَامًا، وَتَقْرُونَ كَذِبًا بِتَسْمِيَتِكُمْ إِيَّاهَا آلِهَةً، إِنَّ أَوْثَانَكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرْزُقَكُمْ شَيْئًا، فَالْتَمِسُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ لَا مِنْ عِنْدِ أَوْثَانِكُمْ، وَأَخْلَصُوا لِه الْعِبَادَةِ وَالشُّكْرِ عَلَى رِزْقِهِ إِيَّاكُمْ، إِلَى اللَّهِ تُرْثُونَ مِنْ بَعْدِ مَا تَكُمُ. فَيَجْزِيكُمْ عَلَى مَا عَمِلْتُمْ.

(١٨) وَإِنْ تَكْذِبُوا - أيها الناس - رَسُولَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَقَدْ كَذَبْتَ جَمَاعَاتٍ مِنْ قَبْلِكُمْ رَسَلَهَا فِيمَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، فَحُلَّ بِهِمْ سَخَطُ اللَّهِ،

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ رَأَيْنَاهُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ ذُلٌّ لَّهُمْ خَبَرُ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْافُونَ إِفْكَانًا الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاسْكُرُوا اللَّهَ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوْ لَرَّيْرُوا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

وما على الرسول محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته البلاغ الواضح. وقد فعل.

(١٩) أَوَّلُ مَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ كَيْفَ يَنْشِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ يَعِيدُهُ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهِ، كَمَا بَدَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ خَلَقًا جَدِيدًا، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ؟ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، كَمَا كَانَ يَسِيرًا عَلَيْهِ إِنْشَاؤُهُ.

(٢٠) قُلْ - أيها الرسول - لِمَنْ كَرِي الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ، فَانظُرُوا كَيْفَ أَنْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَلَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ إِنْشَاؤُهُ مَبْتَدَأً؟ فَكَذَلِكَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِعَادَةُ إِنْشَائِهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ. إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

(٢١) يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى مَا أَسْلَفَ مِنْ جَرَمِهِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ مِنْ تَابٍ وَأَمْنٍ وَعَمَلٍ صَالِحًا، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ، فَيَجْزِيكُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ.

(٢٢) وَمَا أَنْتُمْ - أيها الناس - بِمُعْجِزِي اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ، وَمَا كَانَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ بَلِيٍّ أَمْوَرِكُمْ، وَلَا نَصِيرٍ يَنْصُرُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا.

(٢٣) وَالَّذِينَ جَحَدُوا حُجْجَ اللَّهِ وَأَنْكَرُوا أَدْلَتَهُ، وَلَقَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُولَئِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَطْمَعٌ فِي رَحْمَتِي فِي الْآخِرَةِ لَمَّا عَانُوا مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ مُوَجَّعٌ.

(٢٤) فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرّقه النار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، وجعلها عليه برداً وسلاماً، إن في إنجائنا لإبراهيم من النار لأدلة وحججاً لقوم يصدّقون الله ويعملون بشره.

(٢٥) وقال إبراهيم لقومه: يا قوم إنما عبدتم آهة باطلة اتخذتموها من دون الله، تتحابون على عبادتها، وتتوادلون على خدمتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة، يترأى بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ومصيركم جميعاً النار، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها.

(٢٦) فصّدّق لوط إبراهيم وتبع ملته. وقال إبراهيم: إني تارك دار قومي إلى الأرض المباركة وهي «الشام»، إن الله هو العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في تدبيره.

(٢٧) ووهبنا له إسحاق ولدًا، ويعقوب من بعده ولّد ولدًا، وجعلنا في ذريته الأنبياء والكتب، وأعطيناه ثواب بلائه فينا، في الدنيا

الذكر الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين.

(٢٨، ٢٩) وأذكر - أيها الرسول - لوطاً حين قال لقومه: إنكم لتأتون الفعلة القبيحة، ما تقدّمكم بفعلها أحد من العالمين، أنكم لتأتون الرجال في أدبارهم، وتقطعون على المسافرين طرقهم بفعلكم الخبيث، وتأتون في مجالسكم الأعمال المنكرة كالسخرية من الناس، وحذف المارة، وإيذاً بهم لا يليق من الأقوال والأفعال؟ وفي هذا إعلام بأنه لا يجوز أن يجتمع الناس على المنكر مما بهى الله ورسوله عنه. فلم يكن جواب قوم لوط له إلا أن قالوا: جئنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تعد.

(٣٠) قال: رب انصرني على القوم المفسدين بإنزال العذاب عليهم؛ حيث ابتدعوا هذه الفاحشة وأصرّوا عليها، فاستجاب الله دعاءه.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ بَعْضٌ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا مَرَّ لَهُ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رِبِِّّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَتَنْكَحُونَ الْمَخَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بَعْدَ ابْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

(٣١) ولما جاءت الملائكة إبراهيم بالخبر السار من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق ولده يعقوب، قالت الملائكة لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية قوم لوط، وهي «سُدُوم»؛ إن أهلها كانوا ظالمين أنفسهم بمعصيتهم لله.

(٣٢) قال إبراهيم للملائكة: إنَّ فيها لوطاً وليس من الظالمين، فقالت الملائكة له: نحن أعلم بمن فيها، لننجيَّه وأهله من الهلاك الذي سينزل بأهل قريته إلا امرأته كانت من الباقيين الهالكين.

(٣٣) ولما جاءت الملائكة لوطاً ساء ذلك؛ لأنه ظنهم ضيوفاً من البشر، وحزن بسبب وجودهم؛ لعلمه خبث فعل قومه، وقالوا له: لا تخف علينا لن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك من أن مهلكوكم، إنا منجوك من العذاب النازل بقومك ومنجُو أهلك معك إلا امرأتك، فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها.

(٣٤) إنا منزلون على أهل هذه القرية عذاباً من

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا
أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطٌ قَالُوا لَنْحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنْتَجِدَنَّهٗ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَدْرُكَ كَانَتْ مِنَ الْقَرِيِّينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
أَنْجَا رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ يَهْدَىٰ وَصَافٍ بِهِمْ دَرَجًا
وَقَالُوا لَاتَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا
أَمْرًا نَدْرُكَ كَانَتْ مِنَ الْقَرِيِّينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَقْسِمُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَلْقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ
وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَآخَذْنَاهُمُ الرِّجْقَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جُنُودًا ﴿٣٧﴾ وَعَادَا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُم مِّن
مَّسَاسِكِنِهِمْ وَرِزْقِنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ
فَصَدَّ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

السياء؛ بسبب معصيتهم لله وارتكابهم الفاحشة.

(٣٥) ولقد أبقينا من ديار قوم لوط آثاراً بيّنة لقوم يعقلون العبر، فينتفعون بها.

(٣٦) وأرسلنا إلى «مدین» أخاهم شعيباً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، وأخلصوا له العبادة، ما لكم من إله غيره، وارجوا بعبادتكم جزاء اليوم الآخر، ولا تكثرُوا في الأرض الفساد والمعاصي، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنبئوا.

(٣٧) فكذب أهل «مدین» شعيباً فيما جاءهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم صرعى هالكين.

(٣٨) وأهلكنا عاداً وثمود، وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلأوها منهم، وحلول نعمتنا بهم جميعاً، وحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، فصدَّهم عن سبيل الله وعن طريق الإتيان به وبرسله، وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.

(٣٩) وأهلكنا قارون وفرعون وهامان، ولقد جاءهم جميعاً موسى بالأدلة الواضحة، فتعاطموا في الأرض، واستكبروا فيها، ولم يكونوا ليعفوننا، بل كنا مقتدرين عليهم.

(٤٠) فأخذنا كلاً من هؤلاء المذكورين بعذابنا بسبب ذنبه: فمنهم الذين أرسلنا عليهم ريحاً شديدة ترميهم بحجارة من طين متتابع، وهم قوم لوط، ومنهم من أخذته الصيحة، وهم قوم صالح وقوم شعيب، ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون، ومنهم من أغرقنا، وهم قوم نوح وفرعون وقومه، ولم يكن الله يهلك هؤلاء بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، ولكنهم كانوا أنفسهم يظلمون بتنعيمهم في نعم ربهم وعبادتهم غيره.

(٤١) مثل الذين جعلوا الأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها، كمثل العنكبوت التي عملت بيتاً لنفسها ليحفظها، فلم يُغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يُغن عنهم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، وإن أضعف البيوت لبيت العنكبوت،

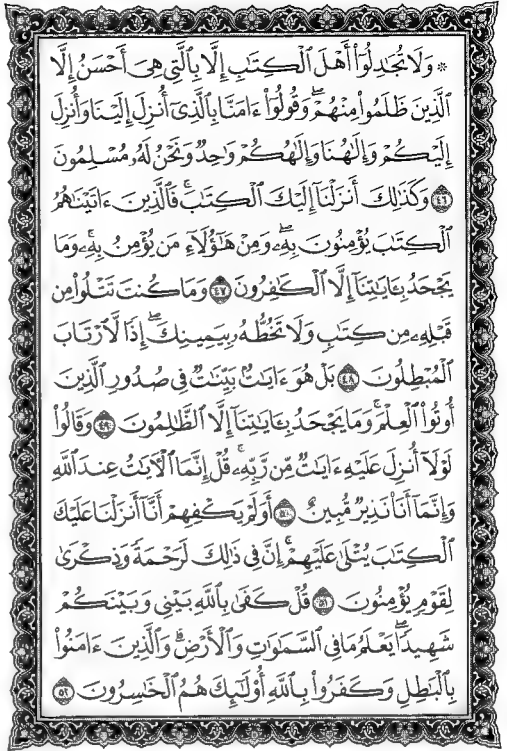
لو كانوا يعلمون ذلك ما اتخذوهم أولياء، فهم لا ينفعونهم ولا يضرهم.

(٤٢) إن الله يعلم ما يشركون به من الأنداد، وأنها ليست بشيء في الحقيقة، بل هي مجرد أسماء سَمَّوْها، لا تنفع ولا تضر. وهو العزيز في انتقامه ممن كفر به، الحكيم في تدبيره وصنعه.

(٤٣) وهذه الأمثال نصرها للناس؛ لينتفعوا بها ويتعلموا منها، وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه.

(٤٤) خلق الله السموات والأرض بالعدل والقسط، إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفرد به بالإلهية، وخَصَّ المؤمنين بالذكر؛ لأهم الذين ينتفعون بذلك.

(٤٥) اتل ما أنزل إليك من هذا القرآن واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ وذلك لأن المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، يستتير قلبه، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر، ولذكر الله في الصلاة وغيرها أعظم وأكبر وأفضل من كل شيء. والله يعلم ما تصنعون من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه.



(٤٦) ولا تجدوا - أيها المؤمنون - اليهود والنصارى إلا بالأسلوب الحسن، والقول الجميل، والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك، إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب عليكم فجالدوهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا: آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا، وآمننا بالتوراة والإنجيل اللذين أنزلا إليكم، وإلها واحد لا شريك له في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسائه وصفاته، ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا به، ونهانا عنه.

(٤٧) وكما أنزلنا - أيها الرسول - الكتب على من قبلك من الرسل، أنزلنا إليك هذا الكتاب المصدق للكتب السابقة، فالذين آتيناهم الكتاب من بني إسرائيل فعرفوه حق معرفته يؤمنون بالقرآن، ومن هؤلاء العرب من قرئش وغيرهم ممن يؤمن به، ولا ينكر القرآن أو يتشكك في دلالته وبراهينه البينة إلا الكافرون الذين دأبهم الجحود والعناد.

(٤٨) ومن معجزاتك البينة - أيها الرسول - أنك لم تقرأ كتاباً ولم تكتب حروفاً بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئاً أو كاتباً من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطون، وقالوا: تعلمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها.

(٤٩) بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويمجدون عنه.

(٥٠) وقال المشركون: هلاً أنزل على محمد دلائل وحجج من ربه نشاهدها كثافة صالح، وعصا موسى! قل لهم: إن أمر هذه الآيات لله، إن شاء أنزلها، وإن شاء منعها، وإننا أنا لكم نذير أحذركم شدة بأسه وعقابه، مبين طريق الحق من الباطل.

(٥١) أولم يكف هؤلاء المشركين في علمهم بصدقك - أيها الرسول - أننا أنزلنا عليك القرآن يتلى عليهم؟ إن في هذا القرآن لرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وذكرى يتذكرون بها فيه من عبرة وعظة.

(٥٢) قل: كفى بالله بيني وبينكم شاهداً على صدقي أي رسوله، وعلى تكذيبكم لي وردكم الحق الذي جئت به من عند الله، يعلم ما في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شيء فيها. والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله - مع هذه الدلائل الواضحة - أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ جِطَةً يُكَفِّرُونَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَشْهَرُهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ دُعُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٤﴾ يَعْجِدُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعٍ عِدُونِ
﴿٥٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
صَدَّوْا وَعَلَى رُءُوسِهِمْ يَتَوَكَّنُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَأَنَّمِنْ دَائِقَةٍ لَا تُحْمَلُ
رُفْقَاهُ اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِشَيْءٍ حَقًّا وَالْقَمَرُ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٥٩﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأَ بِهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

(٥٣) ويستعجلك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون من قولك بالعذاب استهزاء، ولولا أن الله جعل لعذابهم في الدنيا وقتاً لا يتقدم ولا يتأخر، لجاءهم العذاب حين طلبوه، وليأتينهم فجأة، وهم لا يشعرون به ولا يُحسُّون.

(٥٤) يستعجلونك بالعذاب في الدنيا، وهو آتيهم لا محالة إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإن عذاب جهنم في الآخرة لمحيط بهم، لا مفر لهم منه.

(٥٥) يوم القيامة يغشى الكافرين عذاب جهنم من فوق رؤوسهم، ومن تحت أقدامهم، فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، ويقول الله لهم حينئذ: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا: من الإشرار بالله، وارتكاب الجرائم والآثام.

(٥٦) يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم في ضيق من إظهار الإيثار وعبادة الله وحده، فهاجروا إلى أرض الله الواسعة، وأخلصوا العبادة لي وحدي. (٥٧) كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا ترجعون للحساب والجزاء.

(٥٨) والذين صدقوا بالله ورسوله وعملوا ما أمروا به من الصالحات لننزلنهم من الجنة غرفاً عالية تجري من تحتها الأنهار، ماكتين فيها أبداً،

نغم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف في جنات النعيم.

(٥٩) إن تلك الجنات المذكورة للمؤمنين الذين صبروا على عبادة الله، وتمسكوا بدينهم، وعلى الله يعتمدون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم.

(٦٠) وكم من دابة لا تدخر غداها لغد، كما يفعل ابن آدم، فله سبحانه وتعالى يرزقها كما يرزقكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأفعالكم وخطرات قلوبكم.

(٦١) ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من الذي خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع، وذلل الشمس والقمر؟ ليقولن: خلقهن الله وحده، فكيف يصرفون عن الإتيان بالله خالق كل شيء ومدبره، ويعبدون معه غيره؟ فاعجب من إفكهم وكذبهم!!

(٦٢) الله سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيِّق على آخرين منهم؛ لعلهم بما يصلح عباده، إن الله بكل شيء من أحوالكم وأموركم عليم، لا يخفى عليه شيء.

(٦٣) ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من الذي نزل من السحاب ماء فأنبث به الأرض من بعد جفافها؟ ليقولن لك معترفان: الله وحده هو الذي نزل ذلك، قل: الحمد لله الذي أظهر حجتك عليهم، بل أكثرهم لا يعقلون ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولو عقلوا ما أشركوا مع الله غيره.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ
الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكَ دَعَا اللَّهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَعْتَمِدُوا فَيْسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
أَوْ لَعَلَّ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حُرَمَاءَ آمِنًا وَتَحَفُّظًا بَلَدًا مِنْ
حَوْلِهِمْ أَفَبَالِ بَطُلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْعَمَّ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ
بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَافِرُونَ ﴿٣﴾ فِي يَضَعُ سِينُ اللَّهِ الْأَمْرَ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

(٦٤) وما هذه الحياة الدنيا إلا هو ولعب، تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان؛ بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تنزل سريعاً، وإن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، لو كان الناس يعلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء.

(٦٥، ٦٦) فإذا ركب الكفار السفن في البحر، وخافوا الغرق، وحذوا الله، وأخلصوا له في الدعاء حال شدتهم، فلما نجَّاهم إلى البر، وزالت عنهم الشدة، عادوا إلى شركهم، إنهم بهذا يتناقضون، يوحدون الله ساعة الشدة، ويشركون به ساعة الرخاء. ويشركهم بعد نعمتنا عليهم بالنجاة من البحر؛ ليكون عاقبتهم الكفر بما أنعمنا عليهم في أنفسهم وأموالهم، وليكملوا غمهم في هذه الدنيا، فسوف يعلمون فساد عملهم، وما أعدَّ الله لهم من عذاب اليم يوم القيامة. وفي ذلك تهديد ووعد لهم.

(٦٧) أولم يشاهد كفار «مكة» أن الله جعل «مكة» لهم حَرَمًا آمناً يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم، والناس من حولهم خارج الحرم، يُتَحَفَّظُونَ غير آمنين؟ أقبالشرك يؤمنون،

وبنعمة الله التي خصَّهم بها يكفرون، فلا يعبدونه وحده دون سواه؟ (٦٨) لا أحد أشد ظلماً ممن كَذَّبَ على الله، فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، أو كَذَّبَ بالحق الذي بعث الله به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، إن في النار لمسكناً لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم. (٦٩) والمؤمنون الذين جاهدوا أعداء الله، والنفس، والشیطان، وصبروا على الفتن والأذى في سبيل الله، سيهديهم الله سبيل الخير، ويثبتهم على الصراط المستقيم، ومن هذه صفته فهو محسن إلى نفسه وإلى غيره. وإن الله سبحانه وتعالى لمع لمن أحسن من خلقه بالنصرة والتأييد والحفظ والهداية.

﴿سورة الروم﴾

(١) ﴿الْعَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢-٥) غَلَبَتِ فارُسُ الرومِ في أدنى أرض «الشام» إلى «فارس»، وسوف يَغْلِبُ الرومُ الفرسَ في مدة من الزمن، لا تزيد على عشر سنوات ولا تنقص عن ثلاث. الله سبحانه وتعالى الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله للروم على الفرس. والله سبحانه وتعالى ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وهو العزيز الذي لا يغالب، الرحيم بمن شاء من خلقه. وقد تحقق ذلك فعَلَيْتِ الرومُ الفرسَ بعد سبع سنين، وفرح المسلمون بذلك؛ لكون الروم أهل كتاب وإن حَرَفُوهُ.

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَظَرُّوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السُّوءَ أَنَّ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ فِي سُكْرَاهُمْ شُفْعَاءُ وَكَانُوا فِي شُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ أَصْوَادًا فَتُخْلَصُ السَّاعَةُ فَيَوْمَ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

(٦، ٧) وعده الله المؤمنين وعداً جازماً لا يتخلف، ينصر الروم النصاري على الفرس الوثنيين، ولكن أكثر كفار «مكة» لا يعلمون أن ما وعده الله به حق، وإنما يعلمون ظواهر الدنيا وزخرفها، وهم عن أمور الآخرة وما ينفعهم فيها غافلون، لا يفكرون فيها.

(٨) أولم يتفكرو هؤلاء المكذبون برسل الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئاً. ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا لإقامة العدل والثواب والعقاب، والدلالة على توحيده وقدرته، وأجل مسمى تنتهي إليه وهو يوم القيامة؟ وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم لجاهدون منكرون؟ جهلاً منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة.

(٩) أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة في الأرض سيرة تأمل واعتبار، فيشاهدوا كيف كان جزاء الأمم الذين كذبوا برسل الله كعاد وثمود؟ وقد كانوا أقوى منهم أجساماً،

وأقدر على التمتع بالحياة حيث حرثوا الأرض وزرعوها، وبنوا القصور وسكنوها، فعمرها دنياهم أكثر مما عمر أهل «مكة» دنياهم، فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم، وجاءتهم رسلهم بالحقحج الظاهرة والبراهين الساطعة، فكذبوهم فأهلكهم الله، ولم يظلمهم الله بذلك الإهلاك، وإنما ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان.

(١٠) ثم كانت عاقبة أهل السوء من الطغاة والكفرة أسوأ العواقب وأقبحها؛ لتكذيبهم بالله وسخريتهم بآياته التي أنزلها على رسله.

(١١) الله وحده هو المتفرد بإنشاء المخلوقات كلها، وهو القادر وحده على إعادتها مرة أخرى، ثم إليه يرجع جميع الخلق. فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

(١٢) ويوم تقوم الساعة يبليس المجرمون من النجاة من العذاب، وتصيهم الحيرة فتقطع حجتهم.

(١٣) ولم يكن للمشركين في ذلك اليوم من ألهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله شفعاء، بل إنها تتبرأ منهم، وتبرؤون منها. فالشفاعة لله وحده، ولا تطلب من غيره.

(١٤، ١٥) ويوم تقوم الساعة يفرق أهل الإيمان وأهل الكفر، فأما المؤمنون بالله ورسوله، العاملون الصالحات فهم في الجنة، يكرّمون ويسرّون وينعمون.

(١٦) وأما الذين كفروا بالله وكذبوا بما جاء به الرسل وأنكروا البعث بعد الموت، فأولئك في العذاب مقيمون؛ جزءاً مما كذبوا به في الدنيا. (١٧، ١٨) فيا أيها المؤمنون سبِّحوا الله ونزهوه عن الشريك والصاحبة والولد، وصِفوه بصفات الكمال بالستكم، وحقِّقوا ذلك بجوارحكم كلها حين تمشون، وحين تصبحون، ووقت العشي، ووقت الظهيرة. وله - سبحانه - الحمد والشأن في السموات والأرض وفي الليل والنهار.

(١٩) يخرج الله الحي من الميت كالإنسان من النطفة والطير من البيضة، ويخرج الميت من الحي، كالنطفة من الإنسان والبيضة من الطير. ويحيي الأرض بالنبات بعد يُسبها وجفافها، ومثل هذا الإحياء تخرجون -أيها الناس- من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

(٢٠) ومن آيات الله الدالة على عظمته وكبر
قدرته أن خلق أباكم آدم من تراب، ثم أنتم
بشر تتناسلون منتشرون في الأرض، تبغون من

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
قَالُوا لَيْسَ فِي الْعَذَابِ مَغْضَرٌ ﴿٣٦﴾ فَهَيْسَعُ الْوَالِدِينَ تَسْمُونَ
يَحِينَ نَضْيَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٣٨﴾ يُخْرِجُ الْخَلْقَ مِنَ الْقَبْرِ وَيَخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْخَبْرِ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿٣٩﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤١﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَةَ وَالْأَلْوَانُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ مَا مَكَّرَ
بِالْبَلِّ وَالنَّهَارِ وَاتَّبَعُواكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْآزِقَ
حَقَاقًا وَلَمَّا وَابْتَدَأَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخَيَّرَ بِهِ الْإَرْضَ
بَعْدَ مَوْنِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

فضل الله.

(٢١) ومن آياته الدالة على عظمتة وكمال قدرته أن خلق لأجلكم من جنسكم -أيها الرجال- أزواجاً؛ لتطمئن نفوسكم إليها وتسكن، وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة، إن في خلق الله ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون، ويتدبرون.

(٢٢) ومن دلائل القدرة الربانية: خَلَقَ السموات وارتفاعها بغير عمد، وَخَلَقَ الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلاف لغاتكم وتباين ألوأنكم، إن في هذا لَعِرة لكل ذي علم وبصرة.

(٢٣) ومن دلائل هذه القدرة أن جعل الله النوم راحة لكم في الليل أو النهار؛ إذ في النوم حصول الراحة وذهاب التعب، وجعل لكم النهار تنتشرون فيه لطلب الرزق، إن في ذلك لدلائل على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته ليقوم بسمعون المواعظ ساء تأمل وتفكر واعتبار.

(٢٤) ومن دلائل قدرته سبحانه أن يريكم البرق، فتخافون من الصواعق، وتطمعون في الغيث، وينزل من السحاب مطراً فيحيي به الأرض بعد جفافها، إن في هذا للدليلاً على كمال قدرة الله وعظيم حكمته وإحسانه لكل من لديه عقل يهتدي به.

وَمَنْ يَأْتِيَنَّكَ مِنْ تَقْوَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَلْبَتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿٢٧﴾ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا
مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن
شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتَكُمْ فَآنَسَ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتَكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ
فَمَن يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَفْرَ
وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطَرَتُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمَةُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلٌّ فِي حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَيَرْحَبُونَ ﴿٣٣﴾

(٢٥) ومن آياته الدالة على قدرته قيام السماء والأرض واستقرارهما وثباتها بأمره، فلم تنزلزلا، ولم تسقط السماء على الأرض، ثم إذا دعاكم الله إلى البعث يوم القيامة، إذا أنتم تخرجون من القبور مسرعين.

(٢٦) والله وحده كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد، كل هؤلاء منقادون لأمره خاضعون لكرامه.

(٢٧) والله وحده الذي يبدأ الخلق من العدم ثم يعيده حياً بعد الموت، وإعادة الخلق حياً بعد الموت أهون على الله من ابتداء خلقهم، وكلاهما عليه هيئ. وله سبحانه الوصف الأعلى في كل ما يوصف به، ليس كمثل شيء، وهو السميع البصير. وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله، وتدبير أمور خلقه.

(٢٨) ضرب الله مثلاً لكم -أيها المشركون- من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم وإمائكم من يشاركونكم في رزقكم، وترون أنكم وإياهم متساوون فيه، تخافونهم كما تخافون الأحرار

الشركاء في مقاسمة أموالكم؟ إنكم لن ترضوا بذلك، فكيف ترضون بذلك في جنب الله بأن تجعلوا له شريكاً من خلقه؟ بمثل هذا البيان نبين البراهين والحجج لأصحاب العقول السليمة الذين يتفكرون بها.

(٢٩) بل اتبع المشركون أهواءهم بتقليد آبائهم بغير علم، فشاركهم في الجهل والضلالة، ولا أحد يقدر على هداية من أضله الله بسبب تماديه في الكفر والعناد، وليس هؤلاء من أنصار يُخلصونهم من عذاب الله.

(٣٠) فأقم -أيها الرسول أنت ومن اتبعك- وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وهو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، فبقاؤكم عليه، وتمسككم به، تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا تبديل لخلق الله ودينه، فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرك به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه.

(٣١) وكونوا راجعين إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل له، واتقوه بفعل الأوامر واجتناب النواهي، وأقيموا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وشروطها، ولا تكونوا من المشركين مع الله غيره في العبادة.

(٣٢) ولا تكونوا من المشركين وأهل الأهواء والبدع الذين بدلوا دينهم وغيره، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه؛ تبعاً لأهوائهم، فصاروا فرقا وأحزاباً، يتشيعون لرؤسائهم وأحزابهم وآرائهم، يعين بعضهم بعضاً على الباطل، كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون، يحكمون لأنفسهم بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ
مِنَهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
آتَيْنَاهُمْ فَتَعْتَمِدُوا مَنَافِقَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَسْكُتُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا آذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَجَاحِقُوا بِهَا وَلَئِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِنِينَ لِّمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ لَئِنْ ذَٰلِكَ لَا يَتَّخِذَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَتَاتَ ذَٰلِكَ الْفَرِيقَ
حَقُّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأَوَّلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءَ آتَيْنَاهُم مِّن رِّيَآ
لِيَرْتَوُوا فِي أُمُورِ النَّاسِ فَلَا يَرْتَوُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْنَاهُم مِّن
زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ تُرَرِّقُكُمْ تُرْمِيكُمْ تُرْجِيكُمْ هَلْ مِن
شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مَن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

(٣٣) وإذا أصاب الناس شدة وبلاء دعوا ربهم
مخلصين له أن يكشف عنهم الضر، فإذا رحيم
وكشف عنهم ضرهم إذا فريق منهم يعودون
إلى الشرك مرة أخرى، فيعيدون مع الله غيره.

(٣٤) ليكفروا بما آتيناهم ومنا به عليهم من
كشف الضر، وزوال الشدة عنهم، فتمتعوا
-أيها المشركون- بالرخاء والسعة في هذه
الدنيا، فسوف تعلمون ما تلقون من العذاب
والعقاب.

(٣٥) أم أنزلنا على هؤلاء المشركين برهاناً
ساطعاً وكتاباً قاطعاً، ينطق بصحة شركهم
وكفرهم بالله وآياته.

(٣٦) وإذا آذنا الناس منا نعمة من صحة
وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأشرٍ،
لا فرح شكر، وإن يصبهم مرض وفقر وخوف
وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم
يتسوسون من زوال ذلك، وهذا طبيعة أكثر الناس
في الرخاء والشدة.

(٣٧) أولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء
امتحاناً، هل يشكر أو يكفر؟ ويضيقه على من

يشاء اختباراً، هل يصبر أو يجزع؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق آيات لقوم يؤمنون بالله ويعرفون حكمة الله ورحمته.
(٣٨) فاعط -أيها المؤمن- قريب حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير الذي لا يملك ما يكفيه ويسدُّ
حاجته، والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين
يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه.

(٣٩) وما أعطيتهم قرضاً من المال بقصد الربا، وطلب زيادة ذلك القرض؛ ليزيد وينمو في أموال الناس، فلا يزيد عند
الله، بل يمحقه ويبيطله. وما أعطيتهم من زكاة وصدقة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله وطلباً لثوابه، فهذا هو الذي يقبله الله
ويضاعفه لكم أضعافاً كثيرة.

(٤٠) الله وحده هو الذي خلقكم -أيها الناس- ثم رزقكم في هذه الحياة، ثم يميتكم بانتهاء آجالكم، ثم يبعثكم من القبور
أحياء للحساب والجزاء، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ تنزه الله وتقُدس عن شرك هؤلاء المشركين به.

(٤١) ظهر الفساد في البر والبحر، كالجلبد وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة؛ وذلك بسبب المعاصي التي يفتريها
البشر؛ ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ كي يتوبوا إلى الله -سبحانه- ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح
أحوالهم، وتستقيم أمورهم.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَانظُرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْأَفْتَرِ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَذِي بَصَدْعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
 كَفَرَ فَلَيْتَهُ كُفْرَهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ ﴿٤٤﴾
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكَ يَا أَمْرَهُ وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَتَاءَ وَهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَاتَّقَتْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسُ حَابًا فَتَبْسُطُهُ
 فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ السَّيَاءَ كَيْفَ تَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
 جُلَّةٍ فَإِذَا أَصَابَ يَدُهُ مِنْ شِئَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ
 ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يُبْلِسُوا
 ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بِعَدْمِ مَوْنِهَا
 إِنَّ ذَلِكَ لَمَحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

(٤٢) قل -أيها الرسول- للمكذبن بها جئت به: سيروا في أنحاء الأرض سير اعتبار وتأمل، فانظروا كيف كان عاقبة الأمم السابقة المكذبة كقوم نوح، وعاد وثمود، تجددوا عاقبتهم شر العواقب وما لهم شر مآل؟ فقد كان أكثرهم مشركين بالله.

(٤٣) فوجّه وجهك -أيها الرسول- نحو الدين المستقيم، وهو الإسلام، منفذاً أوامره مجتنباً نواهيه، واستمسك به من قبل مجيء يوم القيامة، فإذا جاء ذلك اليوم الذي لا يقدر أحد على رده تفرقت الخلائق أشتاتاً متفاوتين؛ لئروا أعمالهم.

(٤٤) من كفر فعليه عقوبة كفر، وهي خلوده في النار، ومن آمن وعمل صالحاً فلا نفسهم يهتون منازل الجنة؛ بسبب تمسكهم بطاعة ربهم.

(٤٥) ليجزي الله الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من فضله وإحسانه. إنه لا يحب الكافرين لسخطه وغضبه عليهم.

(٤٦) ومن آيات الله الدالة على أنه الإله الحق وحده لا شريك له وعلى عظيم قدرته إرسال

الرياح أمام المطر مبشرات بإثارتها للسحاب، فتستبشر بذلك النفوس؛ وليذيقكم من رحمته بإزالة المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، ولتجري السفن في البحر بأمر الله ومشيته، ولتبتغوا من فضله بالتجارة وغيرها؛ فعل الله ذلك من أجل أن تشكروا له نعمه وتعبده وحده.

(٤٧) ولقد أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- رسلاً إلى قومهم مبشرين ومنذرين يدعوهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك، فجاءوهم بالمعجزات والبراهين الساطعة، فكفر أكثرهم بربهم، فانقمنا من الذين اكتسبوا السيئات منهم فأهلكناهم، ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل، وكذلك نفعل بالمكذبن بك إن استمروا على تكذيبك، ولم يؤمنوا.

(٤٨) الله -سبحانه- هو الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً مثقالاً بالماء، فينشره الله في الساء كيف يشاء، ويجعله قطعاً متفرقة. فترى المطر يخرج من بين السحاب، فإذا ساقه الله إلى عباده إذا هم يستبشرون ويفرحون بأن الله صرف ذلك إليهم.

(٤٩) وإن كانوا من قبل نزول المطر لفي يأس وقنوط؛ بسبب احتباسه عنهم.

(٥٠) فانظر -أيها المشاهد- نظر تأمل وتدبر إلى آثار المطر في النبات والزروع والشجر، كيف يحيي به الله الأرض بعد موتها، فينبتها ويعشبها؟ إن الذي قَدَّر على إحياء هذه الأرض لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

(٥١) ولئن أرسلنا على زروعهم ونباتهم ريحاً مفسدة، فأرأوا نباتهم قد فسد بتلك الريح، فصار من بعد خضرته مصفراً، لمكتوا من بعد رؤيتهم له يكفرون بالله ويجدون نعمة.

(٥٢) فَإِنَّكَ -أيها الرسول- لَا تَسْمَعُ مَن مَاتَ قَلْبُهُ، أَوْ سَدَّ أُذُنَهُ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، فَلَا تَجِرُ وَلَا تَحْزَنُ عَلَى عَدَمِ إِيَّانِ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ بِكَ، فَانْهَمِ كَالصَّمِّ وَالْمَوْتَى لَا يَسْمَعُونَ، وَلَا يَشْعُرُونَ وَلَوْ كَانُوا حَاضِرِينَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانُوا غَائِبِينَ عَنْكَ مَدِين؟

(٥٣) وما أنت -أيها الرسول- بمُرشد مَنْ أَمَّاهُ
الله عن طريق الهدى، ما تُسمع سماع انتفاع إلا
مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا، فهم خاضعون ممتثلون لأمر
الله.

(٥٤) الله تعالى هو الذي خلقكم من ماء ضعيف مهين، وهو النطفة، ثم جعل من بعد ضعف الطفولة قوة الرجولة، ثم جعل من بعد هذه القوة ضعف الكبر والمهرم، يخلق الله ما يشاء من الضعف والقوة، وهو العليم بخلقه، القادر على كل شيء.

(٥٥) ويوم نحى القيامة ويبعث الله الخلق من قبورهم يقسم المشركون ما مكثوا في الدنيا غير فترة قصيرة من الزمن، كذبوا في قسمهم كما كانوا يكذبون في الدنيا، وينكرون الحق الذي جاءه به الرسل.

(٥٦) وقال الذين أوتوا العلم والإيمان بالله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين: لقد مكثتم فيما كتب الله مما سبق في علمه من يوم خلقتم إلى أن نعشم، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون، فأكرموا في الدنيا، وكذبتم به.

(٥٧) فيوم القيامة لا ينفع الظالمين ما يقدمونه من أعذار، ولا يُطلب منهم إرضاء الله تعالى بالتوبة والطاعة، بل يُعاقبون بسينئاتهم ومعاصيهم.

(٥٨) ولقد بينّا للناس في هذا القرآن من كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا، ولئن جثتهم -أيها الرسول- بأي حجة تدل على صدقك ليقوكنّ الذين كفروا بك: ما أنتم -أيها الرسول وأتباعك- إلا مبطلون فيما تحبوننا به من الأمور.

(٥٩) مثل ذلك الختم يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به - أيها الرسول - من عند الله من هذه العبر والآيات البينات.

(٦٠) فاصبر - أيها الرسول - على ما ينالك من أذى قومك وتكذيبهم لك، إن ما وعدك الله به من نصر وتمكين وثواب حق لا شك فيه، ولا يستغفرُكَ عن دينك الذين لا يؤمنون بالمعاد، ولا يصدقون بالبعث والجزاء.

﴿سورة لقمان﴾

(١) ﴿الْقَمْرَ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذه الآيات آيات القرآن ذي الحكمة البالغة.

(٣) هذه الآيات هدى ورحمة للذين أحسنوا العمل بما أنزل الله في القرآن، وما أمرهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) الذين يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون.

(٥) أولئك المتصفون بالصفات السابقة على بيان من ربهم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

(٦) ومن الناس من يشتري لهو الحديث - وهو كل ما يلهي عن طاعة الله ويصد عن مرضاته - ليضل الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، ويتخذ آيات الله سخرية، أولئك لهم عذاب يبينهم ويخزيهم.

(٧) وإذا تلى عليه آيات القرآن أعرض عن طاعة الله، وتكبر غير معتبر، كأنه لم يسمع شيئاً، كأن في أذنيه صمماً، ومن هذه حاله فبشره - أيها الرسول - بعذاب مؤلم موجه في النار يوم القيامة.

(٨) إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات التي أمروا بها، أولئك لهم نعيم مقيم في الجنات.

(٩) وحياتهم في تلك الجنات حياة أبدية لا تنقطع ولا تزول، وعندهم الله بذلك وعداً حقاً. وهو سبحانه لا يخلف وعده، وهو العزيز في أمره، الحكيم في تدبيره.

(١٠) خلق الله السموات ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها، وألقى في الأرض جبلاً ثابتاً؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزلنا من السحاب مطراً، فأنبثنا به من الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن النظر.

(١١) وكل ما تشاهدونه هو خلق الله، فأروني - أيها المشركون - ما ذا خلقت ألهتكم التي تعبدونها من دون الله؟ بل المشركون في ذهاب بين الحق والاستقامة.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَتَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٤ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مُنْقَلَابَةً تَحَاقُّنَ خَرْدَلٍ فَتَكُنَ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦ يَبْنَىٰ أَفْعَرِ الضَّلَوةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ١٧ وَلَا تَصْرَعْ كَمَا يَلْعَنُ الْبَاسُ وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَصَوْتُ لِمُحِيرٍ ١٩

(١٢) ولقد أعطينا عبداً صالحاً من عبادنا (وهو لقمان) الحكمة، وهي الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر لله نعمته عليك، ومن يشكر لربه فإنها يعود نفع ذلك عليه، ومن جحد نعمته فإن الله غني عن شكره، غير محتاج إليه، له الحمد والثناء على كل حال.

(١٣) واذكر - أيها الرسول - نصيحة لقمان لابنه حين قال له واعظاً: يا بني لا تشرك بالله فنظلم نفسك؛ إن الشرك لأعظم الكبائر وأبشعها.

(١٤) وأمرنا الإنسان ببرّ والديه والإحسان إليهما، حملته أمه ضعفاً على ضعف، وحمله وطفاه من الرضاعة في مدة عامين، وقلنا له: اشكر لله، ثم اشكر لوالديك، إليّ المرجع فأجازي كلّ ما يستحق.

(١٥) وإن جاهدك - أيها الولد المؤمن - والدك على أن تشرك بي غيري في عبادتك إياي مما ليس لك به علم، أو أمرك بمعصية من معاصي الله فلا تطعها؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية

الخالق، وصاحبها في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه، واسلك - أيها الابن المؤمن - طريق من تاب من ذنبه، ورجع إليّ وأمن برسولي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إليّ مرجعكم، فأخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، وأجازي كلّ عامل بعمله.

(١٦) يا بني أعلم أن السبئية أو الحسنه إن كانت قدر حبة خردل - وهي المتناهية في الصغر - في باطن جبل، أو في أي مكان في السموات أو في الأرض، فإن الله يأتي بها يوم القيامة، ويحاسب عليها. إن الله لطيف بعباده خير بأعمالهم.

(١٧) يا بني أقم الصلاة تامة بآركانها وشروطها وواجباتها، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر بلطف ولين وحكمة بحسب جهدك، وتحمل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، واعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها.

(١٨) ولا تميل وجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك؛ احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم، ولا تمش في الأرض بين الناس مختالاً متبخراً، إن الله لا يحب كل متكبر متباهٍ في نفسه وهيئته وقوله.

(١٩) وتواضع في مشيك، واخفض من صوتك فلا ترفعه، إن أقيح الأصوات وأبغضها لصوت الحميم المعروفة ببلادها وأصواتها المرتفعة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَآ فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَّرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجِدُدُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ وَلَإِقِيلٌ لَهُمْ أَنْسِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَحَدَ نَاعِيَهُ أَبَاهُ ثَاوُلُو كَانِ السَّيِّطُنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢﴾ وَمَنْ يُسِئْمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٣﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْتَا مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ ثُمَّ نَبَّيْهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْهُمْ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ لِلَّهِ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمُوا الْبَحْرَ مِمْدًا مِّن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَحْسَبُكُمْ إِلَّا كَفْثِيرٍ وَاحِدٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٩﴾

(٢٠) ألم تروا -أيها الناس- أن الله ذلّل لكم ما في السموات من الشمس والقمر والسحاب وغير ذلك، وما في الأرض من الدواب والشجر والماء، وغير ذلك مما لا يحصى، وعمّكم بنعمه الظاهرة على الأبدان والجوارح، والباطنة في العقول والقلوب، وما أذخره لكم مما لا تعلمونه؟ ومن الناس من يجادل في توحيد الله وإخلاص العبادة له بغير حجة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيّن حقيقة دعواه.

(٢١) وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله وإفراذه بالعبادة: اتبعوا ما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: بل ننبع ما كان عليه آبائنا من الشرك وعبادة الأصنام، يفعلون ذلك، ولو كان الشيطان يدعوهم؛ بتزيينه لهم سوء أفعالهم، وكفرهم بالله إلى عذاب النار المستعرة؟

(٢٢) ومن يُخلّص عبادته الله وقصده إلى ربه تعالى، وهو محسن في أقواله متقن لأعماله، فقد أخذ بأوثق سبب موصل إلى رضوان الله وجنته. وإلى الله وحده تصير كل الأمور، فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

(٢٣) ومن كفر فلا تأس عليه -أيها الرسول-

ولا تحزن؛ لأنك أدّيت ما عليك من الدعوة والبلاغ، إلينا مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها، إن الله عليم بما تكتنه صدورهم من الكفر بالله وإثارة طاعة الشيطان.

(٢٤) نمتنعهم في هذه الدنيا الفانية مدة قليلة، ثم يوم القيامة نلجئهم ونسوقهم إلى عذاب فظيع، وهو عذاب جهنم.

(٢٥) ولكن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين بالله: من خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ الله، فإذا قالوا ذلك فقل لهم: الحمد لله الذي أظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، بل أكثر هؤلاء المشركين لا ينظرون ولا يتدبرون من الذي له الحمد والشكر، فلذلك أشركوا معه غيره.

(٢٦) لله -سبحانه- كل ما في السموات والأرض ملكاً وعبداً وإيجاداً وتقديراً، فلا يستحق العبادة أحد غيره. إن الله هو الغني عن خلقه، له الحمد والثناء على كل حال.

(٢٧) ولو أن أشجار الأرض كلها برئت أقلاماً والبحر مدادها، وتمد بسبعة أبحر أخرى، وكُتِبَ بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله من علمه وحُكْمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله؛ لتكسرت تلك الأقلام، ولنفدت ذلك المداد، ولم تنفذ كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد. إن الله عزيز في انتقامه عن أشرك به، حكيم في تدبير خلقه. وفي الآية إثبات صفة الكلام لله -تعالى- حقيقة كما يليق بجلاله وكهاله سبحانه.

(٢٨) ما خلّقتكم -أيها الناس- ولا يبعثكم يوم القيامة في السهولة واليسر إلا كما خلق نفس واحدة وبعثها. إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ أَيْلَافَ النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي أَيْلَافِ
وَسَحَرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كُلِّ يَجْزِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾ ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هَؤُلَاءِ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
أَفْئُكَ تَجْزِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمُ اللَّهُ لِرُبِّكَ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣﴾ وَإِذَا عَشِيتُمْ مَوْجٌ
كَاطَلَ لِدَعْوِ اللَّهِ مَخْلُصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا جَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٤﴾ تَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمَ لَا تَجْزِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَاوِزٌ عَنِ الْوَلَدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ
الْفُتُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٦﴾

سورة لقمان

(٢٩) ألم تر أن الله يأخذ من ساعات الليل،
فيطول النهار ويقصّر الليل، ويأخذ من ساعات
النهار، فيطول الليل ويقصّر النهار، وذلك لكم
الشمس والقمر، يجري كل منهما في مداره إلى
أجل معلوم محدد، وأن الله مُطَّلِعٌ على كل أعمال
الخلق من خير أو شر، لا يخفى عليه منها شيء؟
(٣٠) ذلك كله من عظيم قدرة الله؛ لتعلموا
وتقروا أن الله هو الحق في ذاته وصفاته وأفعاله،
وأن ما يدعون من دونه الباطل، وأن الله هو
العلي بذاته وقدره وقهره فوق جميع مخلوقاته،
الكبير على كل شيء، وكل ما عده خاضع له،
فهو وحده المستحق أن يُعبد دون من سواه.

(٣١) ألم تر -أيها المشاهد- أن السفن تجري
في البحر بأمر الله نعمة منه على خلقه؛ ليربكم
من عبده وحججه عليكم ما تعتبرون به؟ إن
في جِزْيِ السفن في البحر لَدَلَالَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
عن محارم الله وعلى طاعته وعلى أقداره، شكور
لنعمه.

(٣٢) وإذا ركب المشركون السفن وعَلَّتْهم
الأمواج من حولهم كالسحب والجبال، أصابهم
الخوف والذعر من الغرق، ففزعوا إلى الله،
وأخلصوا دعاءهم له، فلما نجاهم إلى البر
فمنهم من سوط لم يحم بشكر الله على وجه الكمال، ومنهم كافر بنعمة الله جاحد لها، وما يكفر بآياتنا وحججنا الدالة على

كمال قدرتنا ووحدانيتنا إلا لعل غدار ناقض للعهد، جحود لنعم الله عليه.

(٣٣) يا أيها الناس اتقوا ربكم وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واحذروا يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن
ولده ولا مولود عن أبيه شيئاً، إن وعد الله حق لا ريب فيه، فلا تنخدعوا بالحياة الدنيا وزخرفها فتتسليمكم الأخرى، ولا
يُخدعنكم بالله خادع من شياطين الجن والإنس.

(٣٤) إن الله -وحده لا غيره- يعلم متى تقوم الساعة، وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره،
ويعلم ما في أرحام الإناث، ويعلم ما تكسبه كل نفس في غداها، وما تعلم نفس بأي أرض تموت. بل الله تعالى هو المختص
بعلم ذلك جميعه. إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ١ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مِمَّا أَسَاءُوا مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٢ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ
 أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٣ يَذَرُ الْأَمْثِرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ تُرْجَعُ
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَأْخُذُ بِهِ ٤ ذَلِكَ
 عَلَيْهِ الْعِجْبُ وَاللَّهُ عَزِيزُ الرَّحِيمِ ٥ الَّذِي أَحْسَنَ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ٦ ثُمَّ جَعَلَ
 نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ٧ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ
 رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ٨ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي
 خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ٩ قُلْ يَتَذَكَّرُ
 لَكُمْ أَلَمُ الْيَوْمِ الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ١٠ وَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ
 لِرَبِّهِ لَكَنُفِرٌ ١١ وَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ لِرَبِّهِ لَكَنُفِرٌ ١٢

﴿سورة السجدة﴾

(١) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
 (٢) هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا شك أنه منزل من عند الله، رب الخلائق أجمعين.
 (٣) بل يقول المشركون: اختلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن؟ كذبوا، بل هو الحق الثابت المنزل عليك -أيها الرسول- من ربك؛ لتنذر به أناساً لم يأتهم نذير من قبلك لعلهم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروه، ويؤمنوا بك.
 (٤) الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام؛ لحكمة يعلمها، وهو قادر أن يخلفها بكلمة «كن» فتكون، ثم استوى سبحانه وتعالى -أي: علا وارتفع- على عرشه، استواء يليق بجلاله، لا يكتف، ولا يشبه باستواء المخلوقين. ليس لكم -أيها الناس- من وليٍّ يلي أموركم، أو شفيع يشفع لكم عند الله؛ لتنجوا من عذابه، أفلا تتعظون وتفكرون -أيها الناس-، فتقرّدوا الله بالآلهية وتخلصوا له العبادة؟

(٥) يدبر الله تعالى أمر المخلوقات من السماء إلى الأرض، ثم يصعد ذلك الأمر والتدبير إلى الله في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا التي تعدونها.
 (٦) ذلك الخالق المدبّر لشؤون العالمين، عالم بكل ما يغيب عن الأبصار، مما تكنه الصدور وتحفيه النفوس، وعالم بما شاهدته الأبصار، وهو القويّ الظاهر الذي لا يغالب، الرحيم بعباده المؤمنين.
 (٧) الله الذي أحكم خلق كل شيء، وبدأ خلق الإنسان، وهو آدم عليه السلام من طين.
 (٨) ثم جعل ذرية آدم متناسلة من نطفة ضعيفة رقيقة مهينة.
 (٩) ثم أنشأ خلق الإنسان وأبدعه، وأحسن خلقه، ونفخ فيه من روحه بإرسال الملك له؛ لينفخ فيه الروح، وجعل لكم -أيها الناس- نعمة السمع والأبصار، يُميّز بها بين الأصوات والألوان والذوات والأشخاص، ونعمة العقل يُميّز بها بين الخير والشر والنافع والضار. قليلاً ما تشكرون ربكم على ما أنعم به عليكم.
 (١٠) وقال المشركون بالله الكاذبون بالبعث: إذا صارت لحومنا وعظامنا تراباً في الأرض أنُبعت خلقاً جديداً؟ يستبعدون ذلك غير طالبين الوصول إلى الحق، وإنما هو منهم ظلم وعناد؛ لأنهم بقاء ربهم -يوم القيامة- كافرين.
 (١١) قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وكلّ بكم، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم، ولن تناخروا لحظة واحدة، ثم تُرثون إلى ربكم، فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيراً أفعول وإن شراً أفسر.

(١٢) ولو ترى -أيها المخاطب- إذ المجرمون الذين أنكروا البعث قد خضعوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والعار قائلين: ربنا أبصرنا قباحتنا، وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا، وقد ثبتنا إليك، فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك، إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، أنك تبعث من في القبور. ولو رأيت -أيها المخاطب- ذلك كله، لرأيت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً.

(١٣) ولو شئنا لآتينا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان، ولكن حق القول مني ووجب لأملأن جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من صنفى الجن والإنس أجمعين؛ وذلك لاختيارهم الضلالة على الهدى.

(١٤) يقال هؤلاء المشركين -عند دخولهم النار على سبيل التوبيخ-: فذوقوا العذاب، بسبب غفلتكم عن الآخرة وانغماسكم في لذائذ الدنيا، إنا تركناكم اليوم في العذاب، وذوقوا عذاب جهنم الذي لا ينقطع، بما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله ومعاصيه.

(١٥) إنا يصدق بآيات القرآن ويعمل بها الذين إذا وعظوا بها أو ثلث عليهم سجدوا لربهم خاشعين مطيعين، وسبحوا الله في سجودهم بحمده، وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، وعبادته وحده لا شريك له.

(١٦) ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله عن فراش النوم، يتجهدون لربهم في صلاة الليل، يدعون ربهم خوفاً من العذاب وطمعاً في الثواب، وما رزقناهم يتفقون في طاعة الله وفي سبيله.

(١٧) فلا تعلم نفس ما أذكر الله هؤلاء المؤمنين مما تقرأ به العين، وينشر له الصدر؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة.

(١٨) أأمن كان مطيعاً لله ورسوله مصداقاً بوعده ووعيده، مثل من كفر بالله ورسله وكذب باليوم الآخر؟ لا يستوتون عند الله.

(١٩) أما الذين آمنوا بالله وعملوا بها أمروا به فجزاؤهم جنات يأوون إليها، وقيمون في نعيمها ضيافة لهم؛ جزاء لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته.

(٢٠) وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وعملوا بمعاصيه فمستقرهم جهنم، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم -توبيخاً وتقريعاً-: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا.

وَلَذِيقَتَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ ذُوْنَ الْعَذَابِ أَلْكَسِبِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ مِنْ مَرِيضٍ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يُهَدُّونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ فِي ذَلِكَ لَا يَكْفُرُ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زَرْعًا كُلُّ مِمَّنْ أَعْمَاهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْظَرُونَ ﴿٣٠﴾

سورة السجدة

(٢١) ولنذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين من العذاب الأدنى من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، حيث يُعَذَّبُونَ في نار جهنم؛ لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم.

(٢٢) ولا أحد أشد ظلمًا لنفسه ممن وعظ بدلائل الله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها، إنا من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحججه، ولم يتفنعوا بها، منتقمون.

(٢٣) ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن، فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

(٢٤) وجعلنا من بني إسرائيل هداة ودعاة إلى الخير يأتهم بهم الناس، ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده وطاعته، وإننا نالوا هذه الدرجة العالية حين صبروا على أوامر الله، وترك زواجره، والدعوة إليه، وتحمل الأذى في سبيله، وكانوا بآيات الله وحججه مصدقين على وجه اليقين.

(٢٥) إن ربك -أيها الرسول- يقضي بين المؤمنين والكافرين من بني إسرائيل وغيرهم يوم القيامة بالعدل فيما اختلفوا فيه من أمور الدين، ويمجازي كل إنسان بعمله بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

(٢٦) أولم يتبين هؤلاء المكذبين للرسول: كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة يمشون في مساكنهم، فيشاهدونها عياناً تقوم هود وصالح ولوط؟ إن في ذلك لآيات وعظات يُستدل بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وطلان ما هم عليه من الشرك، أفلا يسمعون هؤلاء المكذبون بالرسول ما أعظم الله وحججه، فينتفعون بها؟

(٢٧) أولم ير المكذبون بالبعث بعد الموت أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه تأكل منه أنعامهم، وتتغذى به أبدانهم فيعيشون به؟ أفلا يرون هذه النعم بأعينهم، فيعلموا أن الله الذي فعل ذلك قادر على إحياء الأموات ونشرهم من قبورهم؟

(٢٨) يستعجل هؤلاء المشركون بالله العذاب، فيقولون: متى هذا الحكم الذي يقضي بيننا وبينكم بتعذيبنا على زعمكم إن كنتم صادقين في دعواكم؟

(٢٩) قل لهم -أيها الرسول-: يوم القضاء الذي يقع فيه عقابكم، وتعاينون فيه الموت لا ينفع الكفار إيمانهم، ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة.

(٣٠) فأعرض -أيها الرسول- عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ومتربصون بكم دوائر السوء، فسيعجزهم الله ويذهبهم، وينصرك عليهم. وقد فعل فله الحمد والمنة.

﴿سورة الأحزاب﴾

(١) يا أيها النبي ذم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتنب محارمه، وليقتد بك المؤمنون؛ لأنهم أحوج إلى ذلك منك، ولا تطع الكافرين وأهل النفاق. إن الله كان علياً بكل شيء، حكماً في خلقه وأمره وتدبيره.

(٢) واتبع ما يوحى إليك من ربك من القرآن والسنة، إن الله مطلع على كل ما تعملون ومجازيكم به، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(٣) واعتمد على ربك، وقوض جميع أمورك إليه، وحسبك به حافظاً لمن توكل عليه وأتاب إليه.

(٤) ما جعل الله لأحد من البشر من قلوبين في صدره، وما جعل زوجاتكم اللاتي تظاهرون منهن (في الحرمة) كحرمة أمهاتكم، (والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وقد كان هذا طلاقاً في الجاهلية، فبَيَّنَّ الله أن الزوجة لا تصير أمّاً بحال)، وما جعل الله الأولاد المبتَنَّينَ أبناء في الشرع، بل إن الظهار والتبني لا حقيقة لهما في التحريم الأبدي، فلا تكون الزوجة المظاهر منها كالأم في الحرمة، ولا يثبت النسب بالتبني من قول الشخص للدعي: هذا ابني، فهو كلام بالضم لا حقيقة له، ولا يُعَدُّ به، والله سبحانه يقول الحق ويبيِّن لعباده سبيله، ويرشدهم إلى طريق الرشاد.

هذا ابني، فهو كلام بالضم لا حقيقة له، ولا يُعَدُّ به، والله سبحانه يقول الحق ويبيِّن لعباده سبيله، ويرشدهم إلى طريق الرشاد.

(٥) انسبوا أديعاءكم لأبائهم، هو أعدل وأقوم عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فادعوههم -إذاً- بأخوة الدين التي تجمعكم بهم، فإنهم إخوانكم في الدين ومواليكم فيه، وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ لم تتعمدوه، وإنما يؤاخذكم الله إذا تعمدتم ذلك. وكان الله غفوراً لمن أخطأ، رحيماً لمن تاب من ذنبه.

(٦) النبي محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين، وأقرب لهم من أنفسهم في أمور الدين والدنيا، وحرمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كحرمة أمهاتهم، فلا يجوز نكاح زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده. وذو القربى من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرع من الإراث بالإيمان والهجرة (وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم تُسَخَّ ذلك بآية الموارث) إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفاً بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به. وفي الآية وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إلى العبد من نفسه، ووجوب كمال الانقياد له، وفيها وجوب احترام أمهات المؤمنين وزوجاته صلى الله عليه وسلم، وأن من سبهن فقد بء بالخسران.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۖ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۖ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَسْمَعُ الْخَفِيَّ ۖ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۖ أَذْعَوْهُمْ لِابْنَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْرُجُوا فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۚ وَأُولَٰئُ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ۖ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَ الْبَيْتِ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۖ

وَاذْأَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ١٠
 لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
 ١١ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِذْ جَاءَهُمْ
 جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
 يَمَازِلُهُمْ بِصِيرٍ ١٢ إِذْ جَاءَهُمْ وَكَرُّوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ
 مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغِبُ الْأَبْصَارِ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
 وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٣ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
 زِلْزَلًا شَدِيدًا ١٤ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ١٥ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
 مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
 مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ
 إِلَّا فِرَارًا ١٦ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا فَتَنَةً
 لَآتَوْهَا وَمَا تَنْبَأُ بِهِمْ أِلَّا يَسِيرًا ١٧ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
 اللَّهَ مِنْ قَبْلُ أَنْ يُجَاهُوا وَإِذْ أُنذِرُوا أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ١٨

(٧) واذكر - أيها النبي - حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة، وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم (وهم أوّل العزم من الرسل على المشهور)، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن يصدق بعضهم بعضاً.

(٨) أخذ الله ذلك العهد من أولئك الرسل؛ ليسأل المرسلين عما أجبته به أفعالهم، فيجزي الله المؤمنين الجنة، وأعدّ للكافرين يوم القيامة عذاباً شديداً في جهنم.

(٩) يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم في «المدينة» أيام غزوة الأحزاب - وهي غزوة الخندق -، حين اجتمع عليكم المشركون من خارج «المدينة»، واليهود والمنافقون من «المدينة» وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريحاً شديدة أقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها، فوقع الرعب في قلوبهم. وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

(١٠) اذكروا إذ جاؤوكم من فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي من جهة المغرب، وإذ شخصت

الابصار من شدة الحيرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته.

(١١) في ذلك الموقف العصيب اختبر إيمان المؤمنين وعصص القوم، وعُرف المؤمن من المنافق، واضطربوا اضطراباً شديداً بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم.

(١٢) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيثار: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلاً من القول وغروراً، فلا تصدقوه.

(١٣) واذكر - أيها النبي - قول طائفة من المنافقين منادين المؤمنين من أهل «المدينة»: يا أهل «يثرب» (وهو الاسم القديم للمدينة) لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل «المدينة»، ويستأذن فريق آخر من المنافقين الرسول صلى الله عليه وسلم بالعودة إلى منازلهم بحجة أنها غير محصنة، فيخشون عليها، والحق أنها ليست كذلك، وما قصدوا بذلك إلا الفرار من القتال.

(١٤) ولو دخل جيش الأحزاب «المدينة» من جوانبها، ثم سئل هؤلاء المنافقون الشرك بالله والرجوع عن الإسلام، لأجابوا إلى ذلك بمباردين، وما تأخروا عن الشرك إلا يسيراً.

(١٥) ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله على يد رسوله من قبل غزوة الخندق، لا يفرون إن شهدوا الحرب، ولا يتأخرون إذا دعوا إلى الجهاد، ولكنهم خانوا عهدهم، وسيحاسبهم الله على ذلك، ويسألهم عن ذلك العهد، وكان عهد الله مسؤولاً عنه، محاسباً عليه.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن قَرَرْتُمْ مِيتَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا
لَا تُمْتِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ
إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَكِيلًا وَلَا ضَمِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لَا يُخَوِّنُهُمْ هَلِكَةُ الْيَتَامَى وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
بِأَلْسِنَةٍ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَا يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا أَوْ لَوْ أَنَّهُمْ
بَادَوْنَ فِي الْأَحْزَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

(١٦) قل - أيها النبي - هؤلاء المنافقين: لن
يمنعكم الفرار من المعركة خوفاً من الموت أو
القتل؛ فإن ذلك لا يؤخر أجالكم، وإن فررتم
فلن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا بقدر أعماركم
المحدودة، وهو زمن يسير جداً بالنسبة إلى
الآخرة.

(١٧) قل - أيها النبي - لهم: من ذا الذي
يمنعكم من الله، أو يجيركم من عذابه، إن أراد
بكم سوءاً، أو أراد بكم رحمة، فإنه المعطي المانع
الضار النافع؟ ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من
دون الله ولياً يوليهم، ولا نصيراً ينصرهم.

(١٨) إن الله يعلم المشطين عن الجهاد في سبيل
الله، والقائلين لإخوانهم: تعالوا وانضموا إلينا،
واتركوا محمداً، فلا تشهدوا معه قتالاً؛ فإنا
نخاف عليكم الهلاك بهلاكه، وهم مع تحذيلهم
هذا لا يأتون القتال إلا نادراً؛ رياء وسمعة
وخوف الفضيحة.

(١٩) يُخْلَاء عليكم - أيها المؤمنون - بالمال
والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من
العداوة والحقد؛ حباً في الحياة وكراهة للموت،
فإذا حضر القتال خافوا الهلاك ورايتهم ينظرون
إليك، تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛ خوفاً من
القتل وقراراً منه، كدوران عين من حضره

الموت، فإذا انتهت الحرب وذهب رمؤكم بالسنة حداد مؤذية، وتراهم عند قسمة الغنائم بخلاء وحسدة، أولئك
لم يؤمنوا بقلوبهم، فأذهب الله ثواب أفعالهم، وكان ذلك على الله يسيراً.

(٢٠) يظن المنافقون أن الأحزاب الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة لم يذهبوا؛ ذلك من شدة الخوف والجبن، ولو عاد
الأحزاب إلى «المدينة» لتمنى أولئك المنافقون أنهم كانوا غائبين عن «المدينة» بين أعراب البادية، يستخبرون عن أخباركم
ويسألون عن أنبائكم من بعيد، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا معكم إلا قليلاً؛ لكثرة جبنهم وذهلتهم وضعف بقيتهم.

(٢١) لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسسون بها،
فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل
حال.

(٢٢) ولما شاهد المؤمنون الأحزاب الذين تحزبوا حول «المدينة» وأحاطوا بها، وتذكروا أن موعد النصر قد قرب، فقالوا:
هذا ما وعدنا الله ورسوله، من الابتلاء والمحنة والنصر، فأنجز الله وعده، وصدق رسوله فيما بشر به، وما زادهم النظر إلى
الأحزاب إلا إيماناً بالله وتسليماً لقضائه وانقياداً لأمره.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدْلًا ۖ لَّيْلَاحِزَىٰ
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيَعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٦
 كَفَرُوا بِعَظِيمَةٍ لَّمْ يَتَأْتُوا آخِيراً وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
 الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝١٧ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ
 أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
 فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝١٨ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّا تَنْطَوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرًا ۝١٩ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تَرُدْنَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهُنَّ فَأُولَٰئِكَ أَمْتَعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ
 سَرَّاحًا جَمِيلًا ۝٢٠ وَإِنْ كُنْتُمْ تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
 الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢١
 يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ
 لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝٢٢

(٢٣) من المؤمنين رجال أوفوا بعهودهم مع الله تعالى، وصبروا على البأساء والضراء وحين البأس: فمنهم من وقى بنذره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم من ينتظر إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه، كما غير المنافقون.

(٢٤) ليثيب الله أهل الصدق بسبب صدقهم وبلائهم وهم المؤمنون، ويعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم، بأن لا يوفقهم للتوبة النصوح قبل الموت، فيموتوا على الكفر، فيستوجبوا النار، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، إن الله كان غفوراً لذنوب المسرفين على أنفسهم إذا تابوا، رحيماً بهم؛ حيث وفقهم للتوبة النصوح.

(٢٥) ورد الله أحزاب الكفر عن «المدينة» خاتين خاسرين مغتاضين، لم ينالوا خيراً في الدنيا ولا في الآخرة، وكفى الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من الأسباب. وكان الله قوياً لا يُعَالَب ولا يُفْهَر، عزيزاً في ملكه وسلطانه.

(٢٦) وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين، وألقى في قلوبهم الخوف فهزموا، تقتلون منهم فريقاً، وتأسرون فريقاً آخر.

(٢٧) وملككم الله -أيها المؤمنون- أراضهم ومسكنهم وأموالهم المنقولة كالخيل والمواسي، وغير المنقولة كالزراع والبيوت والحصون المنبعة، وأورثكم أرضاً لم تتمكنوا من وطنها من قبل؛ لمنعها وعزتها عند أهلها. وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

(٢٨) يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة: إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبلن أمتعن شيئاً مما عندي من الدنيا، وأفارقن دون ضرر أو إيذاء.

(٢٩) وإن كنتم تردن رضا الله ورضا رسوله، وما أعد الله لهن في الدار الآخرة، فاصبرن على ما أنزل عليه، وأطعن الله ورسوله، فإن الله أعد للمحسنات منكن ثواباً عظيماً. (وقد اخترن الله ورسوله، وما أعد الله لهن في الدار الآخرة).

(٣٠) يا نساء النبي من يأت منكن بمعضية ظاهرة يُضَاعَف لها العذاب مرتين. فلما كانت مكاتبتن رفيعة ناسب أن يجعل الله الذنب الواقع منهن عقوبته مغلفة؛ صيانة لجناهن وجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ذلك العقاب على الله يسيراً.

(٣١) ومن تطع منكن الله ورسوله، وتعمل بها أمر الله به، تُعْطَى ثواب عملها مثلي ثواب عمل غيرها من سائر النساء، وأعدنا لها رزقاً كريماً، وهو الجنة.

(٣٢) يا نساء النبي لستنَّ في الفضل والمنزلة كغيركنَّ من النساء، إن عملتن بطاعة الله ورسوله وابتعدتن عن معاصيه فلا تتحدثن مع الأجانب بصوت لئن يطمع الذي في قلبه فجورٌ ومرض في الشهوة الحرام، وهذا أدب واجب على كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، وقلن قولاً بعيداً عن الريبة، لا تنكره الشريعة.

(٣٣) وَالزَّامِنُ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة، ولا تُظْهَرْنَ محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر. وأُذِينَ -يا نساء النبي- الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزكيكن، ويبعد عنكن الأذى والسوء

وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْدَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ يُبُوكَ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَلَا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

والشر يا أهل بيت النبي -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-، ويظهر نفوسكم غاية الطهارة. (٣٤) واذكرن ما يتل في بيوتكن من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، واعملن به، واقدرنه حق قدره، فهو بمن نعم الله عليكن، إن الله كان لطيفاً بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والسنة، خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله صلى الله عليه وسلم أزواجاً.

(٣٥) إن المتقدين لأمر الله والمتقادات، والمصدقين والمصدقات، والطيعين لله ورسوله والطيعات، والصابرين وأفعالهم والصادقات، والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات وعلى المكروه والصابرات، والخائفين من الله والخائفات، والمتصدقين بالفرض والنفل والمتصدقات، والصائمين في الفرض والنفل والصائمات، والحافظين فروجهن عن الزنى ومقدماته، وعن كشف العورات والحافظات، والذاكرين الله كثيراً بقلوبهم والستتهم والذاكرات، أعد الله هؤلاء مغفرة لذنوبهم وثواباً عظيماً، وهو الجنة.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَصَلَ صَلَاحًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَعْيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَانَ بِاللَّهِ حُسْبٌ ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيَحْمِلُهُمْ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْكُمْ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

(٣٦) ولا ينبغي للمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله فيهم حكماً أن يخالفوه، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم. ومن يعص الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بعداً ظاهراً.

(٣٧) وإذ تقول -أيها النبي- للذي أنعم الله عليه بالإسلام -وهو زيد بن حارثة الذي اعتقه وتبناه النبي صلى الله عليه وسلم- وأنعمت عليه بالعتق: أتبي زوجك زين بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد، وتخفي -أيها النبي- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجته وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه، فلما قضى زيد منها حاجته وطلقها، ثم انقضت عدتها، وزوجناكها؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يبتنئهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم. وكان أمر الله مفعولاً، لا

عائق له ولا مانع. وكانت عادة التبني في الجاهلية، ثم أبطلت بقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ﴾.

(٣٨) ما كان على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ذنب فيما أحل الله له من زواج امرأة من تبناه بعد طلاقها، كما أباحه للأنبياء قبله، سنة الله في الذين خلوا من قبل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً لا بد من وقوعه.

(٣٩) ثم ذكر سبحانه الأنبياء الماضين، وأثنى عليهم بأنهم: الذين يُبَيِّنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ إلى الناس، ويخافون الله وحده، ولا يخافون أحداً سواه. وكفى بالله محاسباً عباده على جميع أعمالهم ومراقباً لها.

(٤٠) ما كان محمد أباً لأحد من رجالكم، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة. وكان الله بكل شيء من أعمالكم عليماً، لا يخفى عليه شيء.

(٤١، ٤٢) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، اذكروا الله بقلوبكم وألستكم وجوارحكم ذكراً كثيراً، واشغلوا أوقانتكم بذكر الله تعالى عند الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضة، وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة مشروعة، تدعو إلى محبة الله، وكف اللسان عن الآثام، وتعين على كل خير.

(٤٣) هو الذي يرحمكم ويُنِّيْكُمْ عليكم، وتدعو لكم ملائكته؛ ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإسلام، وكان بالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا في الدنيا والآخرة، لا يعذبهم ما داموا مطيعين مخلصين له.

يَحْيِيَهُمْ يَوْمَ يَقْلُوبُهُ، سَلَمَةٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كِيمًا ﴿٤٥﴾ يَتَّيَمُّهَا
 النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ وَدَاعِيَا
 إِلَى اللَّهِ بِآذَانِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ
 مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾ وَلَا تَطْعَ الْكُفْرِينَ وَالْمُتَفَقِينَ
 وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٩﴾
 يَتَّيَمُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا
 فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّجُوهُنَّ سِرَاجًا جَمِيلًا ﴿٥٠﴾ يَتَّيَمُّهَا النَّبِيُّ
 إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
 يَمِينُكَ مِمَّا ءَاتَى اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ
 وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَأَةً
 مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
 خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
 عَلَيْهِنَّ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ لَكُمْ كَيْلًا
 يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

(٤٤) تحية هؤلاء المؤمنين من الله في الجنة يوم
 يلقونه سلام، وأمان لهم من عذاب الله، وقد
 أعد لهم ثواباً حسناً، وهو الجنة.

(٤٥، ٤٦) يا أيها النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهداً
 على أمتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشراً المؤمنين
 منهم بالرحمة والجنة، ونذيراً للعصاة والمكذبين
 من النار، وداعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده
 بأمره وإيابه، وسراجاً منيراً لمن استنار بك،
 فأمرك ظاهر فيها جئت به من الحق كالشمس في
 إشرافها وإضاءتها، لا يمحدها إلا معاند.

(٤٧) ويشر - أيها النبي - أهل الإيمان بأن لهم
 من الله ثواباً عظيماً، وهو روضات الجنات.

(٤٨) ولا تطع - أيها الرسول - قول كافر أو
 منافق وأترك أذاهم، ولا يمنعك ذلك من
 تبليغ الرسالة، وثق بالله في كل أمورك واعتمد
 عليه؛ فإنه يكفيك ما أمهتك من كل أمور الدنيا
 والآخرة.

(٤٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا
 بشره، إذا عقدتم على النساء ولم تدخلوا بهن

ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعهن، فما لكم عليهن من عدة تحبونها عليهن، فأعطوهن من أموالكم متعة يتمتعن بها
 بحسب الوسع؛ جبراً لخواطرن، وخلوا سبيلهن مع السر الجميل، دون أذى أو ضرر.

(٥٠) يا أيها النبي إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتي أعطيتن مهرهن، وأبنا لك ما مَلَكَتْ يمينك من الإماء، مما أنعم الله به
 عليك، وأبنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، وأبنا لك
 امرأة مؤمنة نَحَتْ نفسها لك من غير مهر، إن كنت تريد الزواج منها خالصة لك، وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهبة.
 قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بالأل يتزوجوا إلا أربع نسوة، وما شأوا من الإماء، واشترط الوطئ
 والمهر والشهود عليهم، ولكننا رخصنا لك فيما أوجبنا عليهم، ووسعنا عليك ما لم تُوسَّع على غيرك؛ لتلا يضيق صدرك في
 نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف. وهذا من زيادة اعتناء الله برسوله صلى الله عليه وسلم وتكريمه له. وكان الله غفوراً
 لذنوب عباده المؤمنين، رحياً بالتوسعة عليهم.

﴿فُرِجَى مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَنُؤَيِّ إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ وَمَن أَتَعَيْتَ وَمَن عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١﴾ لَا يَجِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظٍ لَّيْسَ لَهُ وَلَا كُنْ إِذَا دُعِيَتم فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَائِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنَكِّرُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَرِهَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تَبَدَّلُوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

(٥١) تؤخر من تشاء من نسائك في القسم في البيت، وتضم إليك من تشاء منهم، ومن طلبت عن آخرت قسمها، فلا إثم عليك في هذا، ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرح ولا يحزن، ويرضين كلهن بما قسمت لهن، والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض النساء دون بعض. وكان الله عليماً بما في القلوب، حليماً لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

(٥٢) لا يجل لك تزوج النساء من بعد زوجاتك أمهات المؤمنين، ولا أن تطلقهن وتزوج بدهن غيرهن - إكراماً لهن، وشكراً على حسن صنيعهن من اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة - ولو أعجبك حسن غيرهن من النساء، إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فهن حلال لك. وكان الله على كل شيء رقيباً، لا يغيب عنه علم شيء.

(٥٣) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعيت فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنسين لحديث بينكم؛ فإن انتظاركم واستئناسكم

يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له، والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره. وإذا سألتن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر؛ ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة، وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبداً؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يجل للرجل أن يتزوج أمه، إن أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله.

وقد امثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنب ما نهى الله عنه منه.

(٥٤) إن تظفروا شيئاً على استئسكم - أيها الناس - بما يؤذي رسول الله ما نهاكم الله عنه، أو تخفوه في نفوسكم، فإن الله تعالى يعلم ما في قلوبكم وما أظهركم، وسيجازيكم على ذلك.

لَأَجْحَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا
 أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَاءَهُمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
 ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَلَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
 مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا
 مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
 يُفْتَنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيدٍ هُنَّ ذَلِكَ أَذْنُ أَنْ يُعْرِضَ فَلَا
 يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَيْسَ لِبَنَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
 لِنَعْرِضَكَ بِهِمْ شَرًّا لِنِجَاحٍ وَرَوَّكَةٍ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ
 إِيْتِمَاءً يَنْظُرُونَ أَذْذُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَقَاتِلُوا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَالَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

(٥٥) لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن والنساء المؤمنات والعبيد المملوكين هن؛ لشدة الحاجة إليهم في الخدمة. وخفف الله -أيها النساء- أن تتعدين ما حاد لكن، فتبدين من زينتك ما ليس لكن أن تبدينه، أو تتركن الحجاب أمام من يجب عليك الاحتجاب منه. إن الله كان على كل شيء شهيداً، يشهد أعمال العباد باطنها وظاهرها، وسيجزيم عليها.

(٥٦) إن الله تعالى بُنِيَ على النبي صلى الله عليه وسلم عند الملائكة المقربين، وملائكته يُنْشِئ على النبي ويدعون له، يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، صلُّوا على رسول الله وسلموا تسليماً، تحية وتعظيماً له. وصفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثبتت في السنة على أنواع، منها: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

(٥٧) إن الذين يؤذون الله بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال، أبعدهم الله وطردهم من كل خير في الدنيا والآخرة، وأعد لهم في الآخرة عذاباً يُذَلِّمُهُمْ.

(٥٨) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقل أو فعل من غير ذنب عملوه، فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، وأتوا ذنباً ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة.

(٥٩) يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن وجوههن من أردتتهن وملاحفهن؛ لسنن وجوههن وصدورهن ورؤوسهن؛ ذلك أقرب أن يميَّز بالستر والصيانة، فلا يُعْرَضَ لهن بمكروه أو أذى. وكان الله غفوراً رحيماً حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام.

(٦٠، ٦١) لئن لم يكف الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيذان والذين في قلوبهم شك وريبة، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبائحهم وشرورهم، لنسأطنك عليهم، ثم لا يسكنون معك فيها إلا زمناً قليلاً. مطرودين من رحمة الله، في أي مكان وجدوا فيه أُبْرُوا وقُتِلُوا تفتيلاً ما داموا مقيمين على النفاق ونشر الأخبار الكاذبة بين المسلمين بغرض الفتنة والفساد.

(٦٢) سنة الله وطريقته في منافقي الأمم السابقة أن يؤسروا ويُقْتَلُوا أيُنَا كانوا، ولن تجد -أيها النبي- لطريقة الله تحويلاً ولا تغييراً.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ فَلَّيَمْلَأَنَّهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَذَّكَّرُ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ فِيهَا وَلًا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا
فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا ضَعَفْنَا مِنَ الْعَذَابِ
وَأَلْهَمْنَا لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَوْكُمُوكَا لَذِينَ
ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا ﴿٦٩﴾
يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ قَارَى قَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

(٦٣) يسألك الناس - أيها الرسول - عن وقت
القيامة استبعاداً وتذكيراً، قل لهم: إنما علم
الساعة عند الله، وما يدريك - أيها الرسول -
لعل زمانها قريب؟

(٦٤-٦٦) إن الله طرد الكافرين من رحمة في
الدنيا والآخرة، وأعد لهم في الآخرة ناراً موقدة
شديدة الحرارة، ماكثين فيها أبداً، لا يجدون ولياً
يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيراً ينصرهم،
فيخرجهم من النار. يوم تَقْلُبُ وجوه الكافرين
في النار يقولون نادمين متحيرين: يا ليتنا أطعنا الله
وأطعنا رسوله في الدنيا، فكننا من أهل الجنة.

(٦٧، ٦٨) وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا
إننا أطعنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك،
فأزالونا عن طريق الهدى والإيمان. ربنا
عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا به،
واطردهم من رحمتك طرداً شديداً. وفي هذا دليل
على أن طاعة غير الله في مخالفة أمره وأمر رسوله،
موجة لسخط الله وعقابه، وأن التابع والمتبوع في
العذاب مشتركون، فليحذر المسلم ذلك.

(٦٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعلموا بشرعه لا تؤذوا رسول الله بقول أو فعل، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا نبي
الله موسى، فبرأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور، وكان عند الله عظيم القدر والجاه.

(٧٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعلموا بشرعه، اعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته؛ لئلا تستحقوا بذلك العقاب،
وقولوا في جميع أحوالكم وشؤونكم قولاً مستقيماً موافقاً للصواب خالياً من الكذب والباطل.

(٧١) إذا اتقيتم الله وقلتم قولاً سديداً أصلح الله لكم أعمالكم، وغفر ذنوبكم. ومن يطع الله ورسوله فيما أمر ونهى فقد
فاز بالكرامة العظمى في الدنيا والآخرة.

(٧٢) إننا عرضنا الأمانة - التي اتمن الله عليها المكلفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهي - على السموات والأرض
والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم والجهل
لنفسه.

(٧٣) لتكون عاقبة حمل الإنسان الأمانة أن يعذب الله المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، والمنافقات،
والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بسّر ذنوبهم وترك عقابهم. وكان الله غفوراً
للتائبين من عباده، رحيماً بهم.

﴿سورة سبأ﴾

(١) الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الشاء التام في الآخرة، وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه.

(٢) يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق. وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

(٣، ٤) وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة، قل لهم -أيها الرسول- بلى وربي لتأتينكم، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى الله علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا هو مسطور في كتاب واضح،

وهو اللوح المحفوظ؛ ليثبت الذين صدقوا بالله، وأتبعوا رسوله، وعملوا الصالحات. أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وورزق كريم، وهو الجنة.

(٥) والذين سعوا في الصدء عن سبيل الله وتكذيب رسله وإبطال آياتنا مشاقين الله مغالين أمره، أولئك لهم أسوأ العذاب وأشداه ألماً.

(٦) ويعلم الذين أعطوا العلم أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قهر كل شيء وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه.

(٧) وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء: هل ندلكم على رجل يريدون محمدًا صلى الله عليه وسلم) يخبركم أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرق، إنكم ستحيون وتبعثون من قبوركم؟ قالوا ذلك من فرط إنكارهم.

أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 فِي الْعَذَابِ وَالطَّائِفِينَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَبْدِئُ بِهِمُ
 وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ سَعْيَهُمْ لَشَتَّى ۝ خَسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فَضَّلْنَا
 يَسْجِلَ أَوْيَٰي مَعَهُ وَالطُّورَ ۝ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنْ أَعْمَلَ
 سَلَاطِينَ ۝ وَقَدَّرَ فِي السَّيِّدِ أَعْمَلُوا أَصْلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ۝ وَلَسَلَيْتُمَنِ الرَّيْحَ عُدُّوها شَهْرًا وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ
 وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۝ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ
 يَقُولُ: وَمَنْ يَرْبِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرٍ نَّأْتِيهِ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝
 يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرُوبٍ ۝ وَتَكَثَّلَ وَجْهًا كَالْجَوَابِ
 وَقُدِّرَ لَرَأْسِهِ أَعْمَالُ آلِ دَاوُدَ شُكْرًا ۝ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورُ ۝ فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ
 إِلَّا دَابَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ ۝ فَلَمَّا تَخَرَّتْ وَرَبَّتْ
 فَقِيلَ: كُنَّ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝

(٨) هذا الرجل أختلق على الله كذباً أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري؟ ليس الأمر كما قال الكفار، بل محمد أصدق الصادقين. والذين لا يصدقون بالبعث ولا يعملون من أجله في العذاب الدائم في الآخرة، والضلال البعيد عن الصواب في الدنيا.

(٩) أفلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يههر العقول، وأنها قد أحاطنا بهم؟ إن نشأ نخسف بهم الأرض، كما فعلنا بقارون، أو ننزل عليهم قطعاً من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم ناراً فأحرقتهم. إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة.

(١٠) ولقد آتينا داود نبوة وكتاباً وعلماً، وقلنا للجبال والطير: سبّحي معه، وألّنا له الحديد، فكان كالعجين يتصرف فيه كيف يشاء.

(١١) أن أعمل دروعاً تامات واسعات، وقدر

المسامير في جلق الدروع، فلا تعمل الحلقة صغيرة فتضئف، فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تجعلها كبيرة فتثقل على لابسها، وأعمل يا داود أنت وأهلك بطاعة الله، إنني بما تعملون بصير لا يخفى علي شيء منها.

(١٢) وسخرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسئلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرنا به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة.

(١٣) يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة، وصور من نحاس وزجاج، وقصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء، وقدر ثابت لا تتحرك من أماكنها لعظمهم، وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامثال أمره، وقليل من عبادي من يشكر الله كثيراً، وكان داود وآله من القليل.

(١٤) فلما قضينا على سليمان بالموت ما دلّ الجنّ على موته إلا الأرض تآكل عصاه التي كان متكئاً عليها، فوقع سليمان على الأرض، عند ذلك علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما أقاموا في العذاب المذلّ والعمل الشاق لسليمان؛ ظناً منهم أنه من الأحياء. وفي الآية إبطال لاعتقاد بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا وفاة سليمان عليه السلام، ولما أقاموا في العذاب المهين.

(١٥) لقد كان لقبيلة سبأ بـ«اليمن» في مسكنهم دلالة على قدرتنا: يستنانان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم، واشكروا له نعمه عليكم؛ فإن بلدتكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم.

(١٦، ١٧) فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل، فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي حَرَّب السد وأغرق البساتين، وبدلناهم بجنتيهم الثمريتين جنتين ذواتي أكل خبط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأثل وهو شجر شبيه بالطرفاء لا ثمر له، وقليل من شجر التَّبَق كثير الشوك. ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نِعَمَ الله، وما نعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجحود المبالغ في الكفر، يجازي بفعله مثلاً بمثل.

(١٨) وجعلنا بين أهل «سبأ» - وهم «باليمن» - والقرى التي باركنا فيها - وهي «الشام» - مُدْنًا متصلة يُرى بعضها من بعض، وجعلنا السير فيها سيراً مقدَّراً من منزل إلى منزل لا مشقة فيه، وقلنا لهم: سيروا في تلك القرى في أي وقت

لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا لله بلدة طيبة ورب غفور ﴿١٥﴾ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم جنتينهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشئ من سدر قليل ﴿١٦﴾ ذلك جزئناهم بما كانوا أهل كفر ﴿١٧﴾ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ظهرة وقدرنا فيها السير وسيرها فيها ليالي وأياماً آمين ﴿١٨﴾ فقلوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقنة كل مرق في ذلك لآيت لكل صبار شكور ﴿١٩﴾ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴿٢٠﴾ وما كان له عليهم من سلطان إلا ليقع من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ﴿٢١﴾ وربك على كل شئ حفيظ ﴿٢٢﴾ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما لهم منهم من ينصرون

شتم من ليل أو نهار، آمين لا تخافون عدواً، ولا جوعاً ولا عطشاً.

(١٩) فبطغيانهم ملأوا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل قرناً متباعدة؛ ليعبد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم فأهلكناهم، وجعلناهم عبراً وأحاديث لمن يأتي بعدهم، وقرقناهم كل تفرق وخربت بلادهم، إن فيما حل «سبأ» لعبرة لكل صبار على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى.

(٢٠) ولقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصدَّق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله.

(٢١) وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار من قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك. وربك على كل شئ حفيظ، يحفظه ويجازي عليه.

(٢٢) قل -أيها الرسول- للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء الله فعبدهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقدصوهم في حوائجكم، فإنهم لن يجيبوكم، فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض، وليس لهم شراكة فيها، وليس لله من هؤلاء المشركين معين على خلق شئ، بل الله -سبحانه وتعالى- هو المتفرد بالإيجاد، فهو الذي يُعْبَد وحده، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ؛ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَآؤَاتِيَا كُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَمَّا أَجْرَمُوا وَلَا شُكْلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِمْ شُرَكَاءَ لَا بَلَّ لَهُمُ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا قَاهٍ لِلنَّاسِ نُنَاشِرُ الْأَوَّيْرَ وَلَئِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِزُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْقِدُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا تَوَكَّلْنَا بِالْأَنْفُسِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ أَصْطَفَوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ فُتًى يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴿٣١﴾

(٢٣) ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له. ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أُرعدوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغثي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العليُّ بذاته وقهره وعلو قدره، الكبير على كل شيء.

(٢٤) قل -أيها الرسول- للمشركين: مَنْ يرزقكم من السموات بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك؟ فإنهم لا بد أن يُعْثِرُوا بأنه الله، وإن لم يُعْثِرُوا بذلك فقل لهم: الله هو الرزاق، وإن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى هدى متمكن منه، أو في ضلال بين متغمس فيه.

(٢٥) قل: لا تُسألون عن ذنوبنا، ولا تُسأل عن أعمالكم؛ لأننا يربونكم ومن كفركم.

(٢٦) قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل، وهو الفتاح الحاكم بين خلقه، العليم بما ينبغي أن يُقضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية.

(٢٧) قل: أروني بالحجة والدليل الذين ألحقتهم بالله وجعلتهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئاً؟ ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه عن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه.

(٢٨) وما أَرْسَلْنَاكَ -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشراً بشواب الله، ومنذراً بعقابه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه.

(٢٩) ويقول هؤلاء المشركون مستهزئين: متى هذا الوعد الذي تعدوننا أن يجمعنا الله فيه، ثم يقضي بيننا، إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟

(٣٠) قل لهم -أيها الرسول-: لكم ميعاد هو آتيتكم لا محالة، وهو ميعاد يوم القيامة، لا تستأخرون عنه ساعة للتوبة، ولا تستقدمون ساعة قبله للعذاب. فاحذروا ذلك اليوم، وأعدوا له عدته.

(٣١) وقال الذين كفروا: لن نصدق بهذا القرآن ولا بالذي تقدّمه من التوراة والإنجيل والزرور، فقد كذبوا بجميع كتب الله. ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبسون عند ربهم للحساب، يراجعون الكلام فيما بينهم، كل يُلقِي بالعتاب على الآخر، لرأيت شيئاً قظيعاً، يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون-: لو لا أنتم أضلّلتُمونا عن الهدى لكنّا مؤمنين بالله ورسوله.

(٣٢) قال الرؤساء للذين استضعفوا: أنحن منعاكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين إذ دخلتم في الكفر بإرادتكم تختارين.

(٣٣) وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العباد، وأسر كل من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعد لهم، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، لا يعاقبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا. وفي الآية تحذير شديد من متابعة دعاة الضلال وأئمة الطغيان.

(٣٤) وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، إلا قال المنغمسون في اللذات والشهوات من أهلها: إننا بالذي جئتم به - أيها الرسل - جاحدون.

(٣٥) وقالوا: نحن أكثر منكم أموالاً وأولاداً، والله لم يعطنا هذه النعم إلا لرضاء عنا، وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا في الآخرة.

(٣٦) قل لهم - أيها الرسول -: إن ربي يوسع

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْحَنُ صَدَدْتَنَّا عَنْ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِجَاءِكُمْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْإِيلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا الثَّمَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرِكُهَا إِنَّا يَمُنُّ بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كُفْرًا ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا أَنْحَنُ كُنَّا أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُكُمْ عِندَ تَأْلُفِكُمْ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلِئَلكَ لَهُمْ جَزَاءٌ أَكْثَرُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْفُرْقَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ءَ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خَلِيفَةٌ وَهُوَ حَازِلٌ الرَّزْقَيْنِ ﴿٣٩﴾

الرزق في الدنيا لمن يشاء من عباده، ويضيّق على من يشاء، لا لمجة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختباراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون.

(٣٧) وليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تفرقكم عندنا قريبى وترفع درجاتكم، لكن من آمن بالله وعمل صالحاً فهو لاء لهم ثواب الضعف من الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها إلى ما يشاء الله من الزيادة، وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان.

(٣٨) والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاقين مغالبين، هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها.

(٣٩) قل - أيها الرسول - هؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيّق على من يشاء؛ لحكمة يعلمها، ومهما أعطيتهم من شيء فيها أكرمكم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب، وهو - سبحانه - خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسعوا في الأسباب التي أكرمكم بها.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي أَيُّكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كُنَّا نُؤْتِيهِمْ أَجْرًا فَأَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَقَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَرْفَعُهُمْ عَلَيْهَا أَيْنَمَا يَشَاءُ أَلَيْسَ بِكَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِهِمْ ﴿٤١﴾ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تَزَكَّى يَا اللَّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ شَرِيكٌ فِي الْعِبَادَةِ أَنْتَ وَلِيُّنَا الَّذِي نَطِيعُكَ وَنُعْبُدُكَ وَنَحْمَدُكَ وَنُتَوَكَّلُ عَلَيْكَ بَلْ كَانَ هَؤُلَاءِ يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مَصْدُقُونَ وَمُطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ فَفِي يَوْمٍ الْحَشْرُ لَا يَمْلِكُ الْعِبَادُونَ لِلْعَابِدِينَ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشَّركِ وَالْمَعَاصِي: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا تَنَلَّى عَلَى كُفْرٍ «مَكَّة» آيَاتِ اللَّهِ وَاضْطِحَاتٍ قَالُوا: مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَجُلٌ يَرِغِبُ أَنْ يَمْنَعَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْإِلَهِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُكُمْ، وَقَالُوا: مَا هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْنَا - يَا مُحَمَّدُ - إِلَّا كَذِبٌ مَخْتَلَقٌ، جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ، وَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَالَ الْكُفَرَاءُ عَنِ الْقُرْآنِ لَمَّا جَاءَهُمْ: مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ وَاضِحٌ. ﴿٤٤﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْكُفَرَاءِ مِنْ كُتُبٍ يَقْرَءُونَهَا قَبْلَ الْقُرْآنِ فَتُدْهِمُ عَلَى مَا يُزْعِمُونَ مِنْ أَنْ مَا

جاءهم به محمد سحر، وما أرسلنا إليهم قبلك - أيها الرسول - من رسول ينذرهم بأسنا.

(٤٥) وكذب الذين من قبلهم كعاد وثمود رسلنا، وما بلغ أهل «مكة» عشر ما أتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر، وغير ذلك من النعم، فكذبوا رسلنا فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر - أيها الرسول - كيف كان إنكارهم عليهم وعقوبتي إياهم؟

(٤٦) قل - أيها الرسول - هؤلاء الكاذبين المعاندين: إننا أنصح لكم بخصلة واحدة أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، ثم تفكروا في حال صاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسب إليه، فما به من جنون، ما هو إلا مخوف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها.

(٤٧) قل - أيها الرسول - للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جئتكم به من أجر فهو لكم، ما أجرة الذي أنتظروا إلا على الله المطلق على أعمالي وأعمالكم، لا يخفى عليه شيء فهو يجازي الجميع، كل بما يستحقه.

(٤٨) قل - أيها الرسول - لمن أنكروا التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل بحجج من الحق، فيفضحه ويهلكه، والله عالم الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

(٤٩) قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله، وذهب الباطل واضمحلت سلطانه، فلم يبق للباطل شيء يبيدوه ويعيدوه.
(٥٠) قل: إن ملئت عن الحق فلأثم ضلالي على نفسي، وإن استقمتم عليه فبوحى الله الذي يوحىه إلي، إن ربي سميع لما أقول لكم، قريب من دعاء وسأله.

(٥١) ولو ترى -أيها الرسول- إذ فرغ الكفار حين معابنتهم عذاب الله، لرأيت أمراً عظيماً، فلا نجاة لهم ولا مهرب، وأخذوا إلى النار من موضع قريب التناول.

(٥٢) وقال الكفار -عندما رأوا العذاب في الآخرة-: آمنا بالله وكتبه ورسله، وكيف لهم تناول الإيمان في الآخرة ووصوهم له من مكان بعيد؟ قد حيل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا فيها.

(٥٣) وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد.

(٥٤) وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا، كما فعل الله بأماثلهم من كفره الأمم السابقة، إنهم كانوا في الدنيا في شكٍّ من أمر الرسل والبعث والحساب، تحذت للريبة والقلق، فلذلك لم يؤمنوا.

﴿سورة فاطر﴾

(١) الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وينعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، خالق السموات والأرض ومبدعها، جاعل الملائكة رسلاً إلى من يشاء من عباده، وفيها شيء من أمره ونهيه، ومن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ لتبليغ ما أمر الله به، يزيد الله في خلقه ما يشاء. إن الله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء.

(٢) ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى. وهو العزيز الفاهر لكل شيء، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وفق حكمته.

(٣) يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بماء والمعادن وغير ذلك. لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصَرِّفون عن توحيدهِ وعبادته؟

وَأَنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْهَيْبَةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا لَكُمْ يَدْعُو لِيُزَيِّنَ لَكُمْ مِنَ أَخْبَابِ الشَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زَيَّنَ لَهُ رُسُوءَ عَلَيْهِ قُرْءَاهُ حَسَنًا فَإِنْ
 اللَّهُ يُضِلْ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَنْهُمْ
 حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
 الرِّيحَ فَتُبْرِجُ سَحَابًا مَسْقُوتُهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّعُورُ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
 إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
 يَنْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ
 (١٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ
 وَلَا يَقْصُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)

(٤) وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فقد كُذِّبَ رسل من قبلك، وإلى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلًّا بما يستحق. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.
 (٥، ٦) يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والشواب والعقاب حق ثابت، فلا تخدعكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها، ولا يخدعكم بالله الشيطان. إن الشيطان لبني آدم عدو، فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه، إنها يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة.
 (٧) الذين جحدوا أن الله هو وحده الإله الحق وجحدوا ما جاءت به رسله لهم عذاب شديد في الآخرة، والذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم، وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، وهم أجر كبير، وهو الجنة.
 (٨) أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسنًا جميلًا، كمن هده الله تعالى،

فرأى الحسن حسنًا والسيئ سيئًا؟ فإن الله يضل من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء، فلا تمهلك نفسك حزنًا على كفر هؤلاء الضالين، إن الله عليم بقبايحهم وسيجزيهم عليها أسوأ الجزاء.

(٩) والله هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحابًا، فسقاه إلى بلد جدد، فيتل الماء فأحيينا به الأرض بعد يئسها فتخضر بالنبات، مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى يوم القيامة.

(١٠) من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تئال إلا بطاعته، فله العزة جميعًا، فمن اعتر بالخلق أدلّه الله، ومن اعتر بالخالق أعزه الله، إليه سبحانه يصعد ذكره والعمل الصالح يرفعه. والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك يهلك ويقتُسد، ولا يفيدهم شيئًا.

(١١) والله خلق أبائكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين، ثم جعلكم رجالاً ونساءً. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، قبل أن تحمل به أنثى وقبل أن تضعه. قد أحصى الله ذلك كله، وعلمه قبل أن يخلق، لا يزداد فيها كتب له ولا ينقص. إن خلقكم وعلم أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله.

(١٢) وما يستوي البحرين: هذا عذب شديد العذوبة، سهلٌ مروءة في الخلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة، ومن كلٍ من البحرين تأكلون سمكاً طرياً شهياً الطعم، وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها، وترى السفن فيه شاقات المياه؛ لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها. وفي هذا دلالة على قدرة الله ووحدانيته؛ ولعلكم تشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

(١٣) والله يُدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقدر ما نقص من الليل، ويُدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقدر ما نقص من النهار، وذلك الشمس والقمر يجران لوقت معلوم، ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله، والذين تعبدون من دون الله ما يملكون من قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء تكون على النواة.

(١٤) إن تدعوا -أيها الناس- هذه المعبودات

من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا على سبيل الفرض ما أجابوكم، ويوم القيامة يتبرؤون منكم، ولا أحد يجبرك -أيها الرسول- أصدق من الله العليم الخبير.

(١٥) يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين، وهو سبحانه الغني عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس منه، فله الحمد والشكر على كل حال.

(١٦) إن يشأ الله يهلككم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده.

(١٧) وما إهلاككم والإتيان بخلق سواكم على الله بممتنع، بل ذلك على الله سهل يسير.

(١٨) ولا تحمل نفس مذنبه ذنب نفس أخرى، وإن تسأل نفسٌ مثقلةً بالخطايا من يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يحمل عنها شيئاً، ولو كان الذي سأته ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما. إنها تحذر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب، وأدوا الصلاة حتى أدائها. ومن تظهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنها يتطهر لنفسه. وإلى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم، فيجازي كلًّا بها يستحق.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٢٤﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٥﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢٦﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَةُ وَلَا الْأَخُو ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٨﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُبُرِ وَإِلَى الْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبَايِبٌ سُودٌ ﴿٣٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٣٥﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾

(١٩-٢٤) وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه، وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا الظل ولا الريح الحارة، وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان وأموات القلوب بالكفر. إن الله يسمع مَنْ يشاء سماع فهم وقبول، وما أنت -أيها الرسول- بمسمع مَنْ في القبور، فكما لا تسمع الموتى في قبورهم فكذلك لا تسمع هؤلاء الكفار لموت قلوبهم، إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه. إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين، مبشراً بالجنة مَنْ صدّقك وعمل بهديك، ومعدراً مَنْ كذّبك وعصاك النار. وما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذر عاقبة كفرها وضلالها.

(٢٥) وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم الذين جاؤوهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم، وجاؤوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر.

(٢٦) ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العذاب، فانظر كيف كان إنكاري لعملهم وحلول عقوبتي بهم؟

(٢٧) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجاراً في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفة ألوانها، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك؟ وخلقنا من الجبال طرائق بيضاً وحمراً مختلفاً ألوانها، وخلقنا من الجبال جبالات شديدة السواد.

(٢٨) وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الشجر والجبال. إنما يخشى الله ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها، ويتبدرون ما فيها من عظام وعبر. إن الله عزيز قوي لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم.

(٢٩، ٣٠) إن الذين يقرءون القرآن ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سراً وجهراً، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، ويضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

(٣١) والذي أنزلناه إليك - أيها الرسول - من القرآن هو الحق المصدق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك. إن الله خير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

(٣٢) ثم أعطينا - بعد هلاك الأمم - القرآن من اخترناهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم مقتصد، وهو المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، أي مسارع مجتهد في الأعمال الصالحة، فَرَضَها ونفلها، ذلك الإعطاء للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير.

(٣٣-٣٥) جنات إقامة دائمة للذين أورثهم الله كتابه، يُرَيَّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة حرير أي: ثياب رقيقة. وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حزن، إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها. وهو الذي أنزلنا دار الجنة من فضله، لا يمسن فيها تعب ولا إعياء.

(٣٦) والذين كفروا بالله ورسوله هم نار جهنم

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَدَّتْ عَدْنٌ يَدْحُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ أَحْلَاكَ دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ذَلِكَ إِجْرَىٰ كُلِّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَنَا عُجْرُكَ فَإِنَّكَ نَكْرِفُهُ مِنْ نَدَاكَ وَجَاءَكَ التَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عَنِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

الموقدة، لا يُقضى عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا، ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها، مثل ذلك الجزاء يجزي الله كل من هو مبالغ في الكفر متجاوز في الكفر مُصِرٌّ عليه.

(٣٧) وهؤلاء الكفار يَصْطَرِحُونَ من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر، فيقول لهم: أولم نُهلِككم في الحياة قَدْراً وفاقاً من العُمر، يتعطف فيه من انعطاف، وجاءكم النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟ فذوقوا عذاب جهنم، فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

(٣٨) إن الله مطلع على كل غائب في السموات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فانقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تُضمِّرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أو أن تعصوه بها دون ذلك.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا
يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا عُتْدَالًا وَمِمَّا لَا يُبِيدُ الْكَافِرِينَ
فُكْرُهُمْ إِلَّا الْخُسَارَا ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ مِنَ السَّمَوَاتِ
أَمْ أَتَيْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ لَوْلَا عِلْدُ الظَّالِمِينَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُنَسِّكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ لَكِنْ هُمْ لَا يَكُونُونَ آهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ
لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّيِّئَ
الَّذِينَ قُلْتُ يَحْدِلْ كَيْدُ اللَّهِ يُبْدِي دَلِيلًا لِنَجْمِ لَيْسَتِ اللَّهُ تَحِيلاً
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَكُلُّوا مِنْهُمْ نَوْءًا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَادِرًا ﴿٤٤﴾

(٣٩) الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- تخلف بعضكم بعضاً في الأرض، فمن جحد وحدانية الله منكم فعلى نفسه ضرره وكفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضاً وغيظاً، ولا يزيدهم كفرهم بالله إلا ضللاً وهلاكاً.

(٤٠) قل -أيها الرسول- للمشركين: أخبروني أي شيء خلق شركاً لكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركاً مع الله في خلق السموات، أم أعطيتهم كتاباً فهم على حجة منه؟ بل ما يبعد الكافرون بعضهم بعضاً إلا غروراً وخداعاً.

(٤١) إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا عن مكانها، ولئن زالت السموات والأرض عن مكانها ما يمسكهما من أحد من بعده. إن الله كان حليماً في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفوراً لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

(٤٢) وأقسم كفار قريش بالله أشد الأيمان: لن
جاءهم رسول من عند الله يخبرهم عقاب الله
ليكونوا أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود
والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد صلى الله
عليه وسلم ما زادهم ذلك إلا بُعْداً عن الحق
ونفوراً منه.

(٤٣) ليس إقسامهم لقصد حسن وطلباً للحق،

وإنما هو استكبار في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السيئ والخذاع والباطل، ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله، فهل ينتظر المستكبرون الماكرون إلا العذاب الذي نزل بأمثالهم الذين سبقهم، فلن تجد لطريقة الله تبديلاً ولا تحويلاً، فلا يستطيع أحد أن يُبدل، ولا أن يُحوّل العذاب عن نفسه أو غيره.

(٤٤) أَوَلَمْ يَسِرْ كِفَارَ «مَكَّة» فِي الْأَرْضِ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَعَادٍ وَنُوحِدٍ وَأَمْثَلِهِمْ، وَمَا حُلَّ بِهِمْ مِنَ الدَّمَارِ، وَبَدْيَارِهِمْ مِنَ الْخَرَابِ حِينَ كَذَّبُوا الرِّسْلَ، وَكَانَ أُولَئِكَ الْكُفْرَةَ أَشَدَّ قُوَّةً وَنَبْطِشًا مِنْ كِفَارِ «مَكَّة»؟ وَمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لِيُعْجِزَهُ وَيُفَوِّتَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا بِأَعْمَالِهِمْ، قَدِيرًا عَلَى إِهْلَاكِهِمْ.

(٤٥) ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب عليها، ولكن يُنهلهم ويؤخر عقابهم إلى وقت معلوم عنده، فإذا جاء وقت عقابهم فإِنَّ الله كان بعباده بصيراً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر.

﴿سورة يس﴾

(١) ﴿يَس﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
(٢-٤) يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج، إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده، على طريق مستقيم معتدل، وهو الإسلام.
(٥) نزل الله هذا القرآن تنزيل العزيز في انتقامه من أهل الكفر والمعاصي، الرحيم بمن تاب من عباده وعمل صالحاً.
(٦) أنزلناه عليك -أيها الرسول- لتحذر به قوماً لم يُنذَرُوا أباهم من قبلك، وهم العرب، فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح. وكل أمة ينقطع عنها الإنذار تقع في الغفلة، وفي هذا دليل على وجوب الدعوة والتذكير على العلماء بالله

وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يَس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ عَلَى أَكْثَرِ هِمٍّ ۝ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ غُلَاقًا فَهُمْ إِلَى الْآذَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ۝ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْصَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوِّفِ الرَّحْمَنَ يَا عِزَّةُ الْفَتْرِ ۝ يَمُغِّقُ رُءُوسَهُمْ وَيَكْشِفُ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ۝ وَإِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ النَّعْيَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ النَّعْيَ ۝ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ۝

وشرعه؛ لإيقاظ المسلمين من غفلتهم.

(٨، ٧) لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عُرِضَ عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه. إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرِضَ عليهم الحق فردُّوه، وأصرُّوا على الكفر وعدم الإيمان، كمن جُعِلَ في أعناقهم أغلال، فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يبتدون إليه.

(٩) وجعلنا من أمام الكافرين سداً ومن ورائهم سداً، فهم بمنزلة من سُدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه، فأعمينا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشداً، ولا يبتدون. وكل من قابل دعوة الإسلام بالإعراض والعناد، فهو حقيق بهذا العقاب.

(١٠) يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك، فهم لا يصدقون ولا يعملون.
(١١) إنهما ينفع تحذيرك من آمن بالقرآن واتبع ما فيه من أحكام الله، وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله، فبُشِّرْهُ بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة.

(١٢) إنا نحن نحيي الأموات جميعاً ببعثهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سبباً فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشر والعتيان، وكل شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أمُّ الكتب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ. فعلى العاقل محاسبة نفسه؛ ليكون قدوة في الخير في حياته وبعد مماته.

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ
 (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَرَّرْنَا إِلَيْكَ فَقَالُوا
 إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
 وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا
 رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ
 الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا نَطْلُقُ نَابَكُمْ لِمَنْ تَدْعُونَهُمْ لِتَزْنِيَهُمْ أَنْ
 وَلَيْسَ سَنَكُم مَّتَاعِدًا إِلَيْهِمْ (١٨) قَالُوا أَطِيعُوا مَعْكُمْ أَيْنَ
 دُخِرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ
 رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُمْ أَنْتُمْ أَمْ يُنْفِقُ الْمُرْسَلُونَ (٢٠) أَتَسْمِعُونَ
 مَنْ لَا يَسْمَعُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهِتَدُونَ (٢١) وَمَالِي لَا أُعْبِدُ
 إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِلَهًا إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ أَنْ يُبْصِرَ بَصِيرًا تَعْنِي عَنِّي سَفَعْتُهُمْ شَيْعًا
 وَلَا تَفْقَدُونَ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي أَتَمُنْتُ
 بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَئِسْتُ فَوَيْ
 يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكَرَّمِينَ (٢٧)

(١٣، ١٤) واضرب - أيها الرسول - لمشركي قومك الرادئين لدعوتك مثلاً يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون، إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذب أهل القرية الرسولين، فقويتاها برسول ثالث، فقال الثلاثة لأهل القرية: إنا إليكم - أيها القوم - مرسلون. (١٥) قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلتنا، وما أنزل الرحمن شيئاً من الوحي، وما أنتم - أيها الرسل - إلا تكذبون.

(١٦، ١٧) قال المرسلون مؤكدين: ربنا الذي أرسلنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده.

(١٨) قال أهل القرية: إنا تشاء منا بكم، لكن لم تكفوا عن دعوتكم لنا لتقتلنكم رمياً بالحجارة، وليصيبنكم منّا عذاب أليم موجه.

(١٩) قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشر معكم ومردودة عليكم، إن أعظمتم بما فيه خيركم تشاءمتم وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟ بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والتكذيب.

(٢٠، ٢١) وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع (وذلك حين علم أن أهل القرية هموا بقتل الرسل أو تعذيبهم)، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله، اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالاً على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيا دعوتكم إليه من عبادة الله وحده. وفي هذا بيان فضل من سعى إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢٢) وأي شيء يمتعني من أن أعبد الله الذي خلقتني، وإليه تصبرون جميعاً؟

(٢٣-٢٥) أعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئاً، إن يردي الرحمن بسوء فبهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا تستطيع إنفاذي بما أنا فيه؟ إني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح ظاهر. إني أمنت بربكم فاستمعوا ما قلته لكم، وأطيعوني بالإيمان. فلما قال ذلك وثب إليه قومه وقتلوه، فأدخله الله الجنة.

(٢٦) قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكراماً له.

(٢٧) قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتلْتُ، فيؤمنوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِادُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَٰهَةٌ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَيَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ لَهَا مَوَاقِيتَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلِ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴿٣٦﴾ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

(٢٨) وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلهم، فهم أضعف من ذلك وأهون، وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذاباً يدمرهم. (٢٩) ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة، فإذا هم ميتون لم يبق منهم باقية.

(٣٠) يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، ما يأتيهم من رسول من الله تعالى إلا كانوا به يستهزئون ويسخرون.

(٣١) ألم ير هؤلاء المستهزئون ويعتبروا بمن قبلهم من القرون التي أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى هذه الدنيا؟

(٣٢) وما كل هذه القرون التي أهلكناها وغيرهم، إلا محضرون جميعاً عندنا يوم القيامة للحساب والجزاء.

(٣٣) ودلالة هؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها، أحييناها بإزالة الماء، وأخرجنا منها أنواع النبات مما يأكل الناس والأنعام، ومن أحيأ الأرض بالنبات أحيأ الخلق بعد الممات.

(٣٤) وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعاب، وفجّرنا فيها من عيون المياه ما يسقيها.

(٣٥) كل ذلك، ليأكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدهم، ولا بحولهم ويقوتهم، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟

(٣٦) تنزه الله العظيم الذي خلق الأصناف جميعها من أنواع نبات الأرض، ومن أنفسهم ذكوراً وإناثاً، وما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى. قد انفرد سبحانه بالخلق، فلا ينبغي أن يُشْرَكَ به غيره.

(٣٧) وعلامة لهم دالة على توحيد الله وكمال قدرته: هذا الليل ننزع منه النهار، فإذا الناس مظلّمون.

(٣٨) وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها، قدره الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه، ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء.

(٣٩) والقمر آية في خلقه، قدرناه منازل كل ليلة، يبدأ هلالاً ضئيلاً حتى يكمل قمراً مستديراً، ثم يرجع ضئيلاً مثل عذق النخلة المتقوس في الرقة والانحناء والصفرة؛ لقدمه ويؤسسه.

(٤٠) لكل من الشمس والقمر والليل والنهار وقت قدره الله له لا يتعداه، فلا يمكن للشمس أن تلتحق بالقمر فتتمحو نوره، أو تغير مجراه، ولا يمكن لليل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل من الشمس والقمر والكواكب في فللك يجرون.

وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ أَنَّا جَاءْنَا بِرَبِّهِمْ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حَبِيبٍ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَتَوْعَدُونَ أَتَدْبِرُونَ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَدْعُونَ إِلَىٰ الْفِتْنَةِ وَالنَّارِ الَّتِي هِيَ أَظْلَمُ مِنْ نَارِ الْبَرِّ ﴿٤٥﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٥١﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٥٥﴾

(٤١) ودليل لهم ويرهان على أن الله وحده المستحق للعبادة، المنعم بالنعم، أننا حملنا من نجا من ولد آدم في سفينة نوح المملوءة بأجناس المخلوقات؛ لاستمرار الحياة بعد الطوفان.

(٤٢) وخلقنا هؤلاء المشركين وغيرهم مثل سفينة نوح من السفن وغيرها من المراكب التي يركبوها وتبلغهم أو طاهم.

(٤٣) وإن نشأ نغرقهم، فلا يجدون مغشياً لهم من غرقهم، ولا هم يخلصون من الغرق.

(٤٤) إلا أن نرحمهم فننجيهم ونمنعهم إلى أجل؛ لعلمهم يرجعون ويستدركون ما فرطوا فيه.

(٤٥) وإذا قيل للمشركين: احذروا أمر الآخرة وأهوالها وأحوال الدنيا وعقابها؛ رجاء رحمة الله لكم، أعرضوا ولم يجيبوا إلى ذلك.

(٤٦) وما نجي هؤلاء المشركين من علامة واضحة من عند ربهم؛ لتهديبهم للحق، وتبين لهم صدق الرسول، إلا أعرضوا عنها، ولم ينتفعوا بها.

(٤٧) وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي من به الله عليكم، قالوا للمؤمنين محتجين: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟ ما أنتم -أيها المؤمنون- إلا في بُعد واضح عن الحق؛ إذ تأمرونا بذلك.

(٤٨) ويقول هؤلاء الكفار على وجه التكذيب والاستعجال: متى يكون البعث إن كنتم صادقين فيما تقولونه عنه؟

(٤٩) ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم إلا نفخة الفزع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة، وهم يختصمون في شؤون حياتهم.

(٥٠) فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحداً بشيء، ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواقعهم.

(٥١) ويُنفخ في «القرن» النفخة الثانية، فتردُّ أرواحهم إلى أجسادهم، فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سراعاً.

(٥٢) قال المكذبون بالبعث نادمين: يا هلاكنا من قبورنا؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون.

(٥٣) ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن»، فإذا جميع الخلق لدينا مثلون للحساب والجزاء.

(٥٤) في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تطلم نفس شيئاً بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، ولا تجزون إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا.

- (٥٥) إن أهل الجنة في ذلك اليوم مشغولون عن غيرهم بأنواع النعيم التي يتفكحون بها.
- (٥٦) هم وأزواجهم متنعمون بالجلوس على الأسرة المزيّنة، تحت الظلال الوارفة.
- (٥٧) لهم في الجنة أنواع الفواكه اللذيذة، ولهم كل ما يطلبون من أنواع النعيم.
- (٥٨) ولهم نعيم آخر أكبر حين يكلمهم ربهم، الرحيم بهم بالسلام عليهم. وعند ذلك تحصل لهم السلامة التامة من جميع الوجوه.
- (٥٩) ويقال للكفار في ذلك اليوم: تميزوا عن المؤمنين، وانفصلوا عنهم.
- (٦٠) ويقول الله لهم- توبيخاً وتذكيراً:- ألم أوصكم على السنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟ إنه لكم عدو ظاهر العداوة.
- (٦١) وأمرتكم بعبادتي وحدي، فعبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجناتي.
- (٦٢) ولقد أضلّ الشيطان عن الحق منكم خلقاً كثيراً، أفما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟

إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهْنٌ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرْدَائِكِ مُتَكَوِّنٌ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ ۝ وَلَهُمْ مَائِدَتُيُنَّ ۝ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ۝ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِيَّ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَإِنْ أَعْبَدُوْنِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ ۝ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ أَصْلَوهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ الْيَوْمَ نَخِفُّه عَلَى آفَافِهِمْ وَكُلِّمَا يَدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ تَعَجَّرَ نَجْسَهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا عَلَّمْتَهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ۝ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝

- (٦٣) هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله.
- (٦٤) ادخلوها اليوم وقاسوا حرّها؛ بسبب كفركم.
- (٦٥) اليوم نطيع على أفواه المشركين فلا ينطقون، ونُكَلِّمنا أيديهم بما بطشت به، وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام.
- (٦٦) ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم، كما ختمنا على أفواههم، فبادروا إلى الصراط ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طُوس أبصارهم؟
- (٦٧) ولو شئنا لَنَبْرُنَا خلقهم وأقعدناهم في أماكنهم، فلا يستطيعون أن يَمْضُوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم.
- (٦٨) ومن نُطِلْ عمره حتى يهرم نُعِدْهُ إلى الحالة التي ابتدأ منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد، أفلا يعقلون أَنَّ مَنْ فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟
- (٦٩، ٧٠) وما عَلَّمنا رسولنا حمداً الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعراً، ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أوّلو الألباب، وقرآن بيّن الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحكمه ومواعظه؛ لينذر مَنْ كان حيّاً القلب مستنير البصيرة، ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاعِنَاتِكُمُ أَيَدِينَآ أَنْعَمَآ فَعَلَّمَهَا
 مَلِكُوكُمْ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمَن يَنهَآرُ كُفُوهُمْ وَمِنهَآ يَأْكُلُونَ
 ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَتَتَذَكَّرُونَ
 مِن دُونِ اللَّهِ ؕ اللَّهُ ؕ لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا أَوَّلُ بَإْسٍ ؕ وَلَوْ يَرَى الْإِنسَنُ أَنَّا
 خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ لَنَا
 مَثَلًا وَلَيْسَ خَلْقَهُ ذَٰلِكَ مِن يَّحْيِ الْأَعْظَمَ وَهِيَ رَءِيسٌ ﴿٧٧﴾
 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
 ﴿٧٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
 مِنهٗ تُوقَدُونَ ﴿٧٩﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾
 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨١﴾
 فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾

سُورَةُ الْخَافِىَاتِ

(٧١) أولم ير الخلق أننا خلقنا لأجلهم أنعاماً
 ذللناها لهم، فهم المالكون أمرها؟

(٧٢) وسخرناها لهم، فمنها ما يركبون في
 الأسفار، ويحملون عليها الأثقال، ومنها ما
 يأكلون.

(٧٣) ولهم فيها منافع أخرى يستفعلونها بها،
 كالانفساع بأصوافها وأوبارها وأشعارها أنثاً
 ولباساً، وغير ذلك، ويشربون ألبانها، أفلا
 يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم،
 ويخلصون له العبادة؟

(٧٤) واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها؛
 طمعاً في نصرها لهم وإنقاذهم من عذاب الله.

(٧٥) لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها ولا
 أنفسهم ينصرون، والمشركون وأهنتهم جميعاً
 محضرون في العذاب، متبرئ بعضهم من
 بعض.

(٧٦) فلا يحزنك -أيها الرسول- كفرهم بالله
 وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك؛ إنا نعلم ما
 يخفون وما يظهرون، وسنجازيهم عن ذلك.

(٧٧) أولم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه
 فيستدل به على معاده، أنا خلقناه من نقطة مرّت
 بأطوار حتى كبر، فإذا هو كثير الخصام واضح
 الجدل؟

(٧٨) وضرب لنا المنكر للبعث مثلاً ينبغي
 ضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق،

ونسي ابتداء خلقه، قال: من يحيي العظام البالية المتفتتة؟

(٧٩) قل له: يحييها الذي خلقها أول مرة، وهو بجميع خلقه عليم، لا يخفى عليه شيء.

(٨٠) الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب ناراً محرقة، فإذا أنتم من الشجر توقدون النار، فهو القادر على إخراج
 الضد من الضد. وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء.

(٨١) أوليس الذي خلق السموات والأرض وما فيها بقادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم كما بدأهم؟ بلى، إنه قادر على
 ذلك، وهو الخلاق لجميع المخلوقات، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه شيء.

(٨٢) إنا أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له: «كن» فيكون، ومن ذلك الإمامة والإحياء، والبعث والنشور.

(٨٣) فتنزه الله تعالى وتقدس عن العجز والشرك، فهو المالك لكل شيء، المتصرف في شؤون خلقه بلا منازع أو مانع، وقد
 ظهرت دلائل قدرته، وتما نعمته، وإليه ترجعون للحساب والجزاء.

﴿سورة الصافات﴾

(١-٤) أقسم الله تعالى بالملائكة تصف في عبادتها صفوفاً متراسة، وبالملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله، وبالملائكة تلوذ ذكر الله وكلامه تعالى. إن معبودكم -أيها الناس- لواحد لا شريك له، فأخلصوا له العبادة والطاعة. ويقسم الله بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، فالخلف بغير الله شرك.

(٥) هو خالق السموات والأرض وما بينهما، ومدبر الشمس في مطالعها ومغارها.

(٦) أنا ربنا الدنيا بزينة هي النجوم.

(٧) وحفظنا السماء بالنجوم من كل شيطان متعمد عاب رجيم.

(٨، ٩) لا تستطيع الشياطين أن تصل إلى الملا الأعلى، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، فتستمع إليهم إذا تكلموا بها يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره، ويُرجون بالشهب من كل جهة؛ طرداً لهم عن الاستماع، ولهم في السدار الآخرة عذاب دائم موجه.

(١٠) إلا من أخطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعونها من السماء بسرعة، فيلقونها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب المضيء قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۖ فَالتَّجَرَّتْ رَجْرَجًا ۖ فَالتَّلَيَّتْ ذِكْرًا ۖ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۖ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِنُورٍ الْكَوْكَبِ ۖ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْدِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُخْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ إِلَّا مَنْ حَفَظَ الْأُخْلُقَةَ فَاتَّبَعَهُ ۖ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ فَاسْتَفْتَاهُمْ رَبُّهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۖ كُلَّ عَجَبٍ يَسْتَخِرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مِثْلٍ ۖ لَهُ دَامِنًا وَكَفَرْنَا بِعَظَمَاءِ أَوْ تَالِعْمُوتُونَ ۖ أَوْ تِلْوَنا أَلْوَلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَرَوَّاهُ يُوقِلْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ تَكْذُوبُونَ ۖ * أَحْسِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْجَمُوا وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۖ وَقَفَوْهُمْ إِنَّهُمْ مَشْغُولُونَ ۖ

فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكهنة، فيكذبون معها مائة كذبة.

(١١) فاسأل -أيها الرسول- منكري البعث أنهم أشد خلقاً أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟ إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج، يلتصق ببعضه بعض.

(١٢) بل عجب -أيها الرسول- من تكذيبهم وإنكارهم البعث، وأعجب من إنكارهم وأبلغ أنهم يستهزئون بك، ويسخرون من قولك.

(١٣) وإذا ذُكِّروا بما نسوه أو غفلوا عنه لا يتفكرون بهذا الذكر ولا يتدبرون.

(١٤) وإذا رأوا معجزة دالة على نبوتك يسخرون منها ويعجبون.

(١٥-١٧) وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر بين. إذا متنا وصِرنا تراباً وعظاماً بالية إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، أو يُبعث أبائنا الذين مضوا من قبلنا؟

(١٨) قل لهم -أيها الرسول-: نعم سوف تُبعثون، وأنتم أدلاء صاغرون.

(١٩) فإنها هي نفخة واحدة، فإذا هم قائمون من قبورهم ينظرون أهوال يوم القيامة.

(٢٠) وقالوا: يا هلاكتنا هذا يوم الحساب والجزاء.

(٢١) فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كُتِبَ تكذبون به في الدنيا وتكفرونه.

(٢٢-٢٤) ويقال للملائكة: اجتمعوا الذين كفروا بالله ونظراءهم، وألهمهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فسوقوهم سوفاً عنيافاً إلى جهنم، واحبسوهم قبل أن يصلوا إلى جهنم؛ إنهم مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتبكيث لهم.

(٢٥) ويقال لهم توبخاً: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً؟

(٢٦) بل هم اليوم متقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يجحدون عنه، غير منتصرين لأنفسهم.

(٢٧) وأقبل بعض الكفار على بعض يتلاومون ويتخاصمون.

(٢٨، ٢٩) قال الأنبياء للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق، فتهدون علينا أمر الشريعة، وتفرقونا عنها، وتزنون لنا الضلال. وقال المتبوعون للتابعين: ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان.

(٣٠) وما كان لنا عليكم من حجة أو قوة، فنصدكم بها عن الإيمان، بل كنتم -أيها المشركون- قوماً طاعين متجاوزين للحق.

(٣١) فلزمتنا جميعاً وعيد ربنا، إنا لذائقو العذاب، نحن وأنتم، بما قدمنا من ذنوبنا ومعاصينا في الدنيا.

(٣٢) فأضللتناكم عن سبيل الله والإيمان به، إنا كنا ضالين من قبلكم، فهلكتنا بسبب كفرنا، وأهلكناكم معنا.

(٣٣) فإن الأنبياء والمتبوعين مشتركون يوم القيامة في العذاب، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.

(٣٤) إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، فنذيقهم العذاب الأليم.

(٣٥) إن أولئك المشركين كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ودُعوا إليها، وأمروا بترك ما ينافيها، يستكبرون عنها وعلى من جاء بها.

(٣٦) ويقولون: أترك عبادة آلهتنا لقول رجل شاعر مجنون؟ يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣٧) كذبوا، ما محمد كما وصفوه به، بل جاء بالقرآن والتوحيد، وصدق المرسلين فيما أخبروا به عنه من شرع الله وتوجيه.

(٣٨) إنكم -أيها المشركون- بقولكم وكفركم وتكذيبكم لذائقو العذاب الأليم الموحج.

(٣٩) وما تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.

(٤٠-٤٣) إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته، فإنهم ناجون من العذاب الأليم. أولئك المخلصون هم في الجنة رزق معلوم لا ينقطع. ذلك الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون بكرامة الله لهم في جنات النعيم الدائم. (٤٤) ومن كرامتهم عند ربهم وإكرام بعضهم بعضاً أنهم على سرر متقابلين فيما بينهم.

(٤٥-٤٧) يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر، من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها، بيضاء في لونها، لذيفة في شربها. ليس فيها أذى للجسم ولا للعقل.

(٤٨، ٤٩) وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن، حسان الأعين، كأنهن بيض مصون لم تمسه الأيدي. (٥٠، ٥١) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة. وهذا من تمام الأنس. قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي.

(٥٢، ٥٣) يقول: كيف تصدّق بالبعث الذي هو في غاية الاستغراب؟ إذا متنا وتمزقنا وصرنا تراباً وعظاماً، نُبعث ونُحاسِب ونُجازى بأعمالنا؟

(٥٤، ٥٥) قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: هل أنتم مُطلعون لئرى مصير ذلك القرين؟ فاطلع فرأى قرينه في وسط النار.

(٥٦، ٥٧) قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: لقد قاربتُ أن تهلكني بصدك إياي عن الإيمان لو أطلعنك. ولولا فضل ربي يهديني إلى الإيمان وتبتي عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك.

(٥٨-٦٠) أحقاً أننا غلّدون منعمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعدّين بعد دخولنا الجنة؟ إن ما نحن فيه من نعيم لهُوَ الظَّفرُ العظيم.

(٦١) لئلهذا النعيم الكامل، والخلود الدائم، والفوز العظيم، فليعمل العاملون في الدنيا؛ ليصبروا إليه في الآخرة.

(٦٢) أذلك الذي سبق وصفه من نعيم الجنة خير ضيافة وعطاء من الله، أم شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة، طعام أهل النار؟

(٦٣) إنا جعلناها فتنه افتتن بها الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي، وقالوا مستنكرين:

يَقُولُ أَتَأْتِكُ لِمَنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَهَ أَدَامَتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا وَأَنَّا لَمَبِيدُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطْلُوعُ قَرَارِهِ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتَرِينَ الَّذِينَ لَوْ لَا نِعْمَةٌ رَّبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٦﴾ أَمَا تَحْزَنُ يَمِينَ ﴿٥٧﴾ إَلَّا مَوْتَتْنَا أَلَّوْا وَيَ أَمَّا تُحِيزُ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٨﴾ إِن هَٰذَا هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٥٩﴾ لِيُغْلَ هَٰذَا فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَذَلَّكَ حِزْنُ زُلَّامٍ شَجَرُهُ الزُّقُومُ ﴿٦١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٣﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٤﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا لَئُونٌ مِنْهَا الْجُلُودُ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِن مَرَجَعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٧﴾ إِنَّهُمْ الْقَوَاءُ آبَاءَهُمْ وَصِبَاؤُهُمْ عَلَىٰ أَنفِهِمْ يُهْرَقُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ صَلَّيْنَا لَهُمْ أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّذِيرِينَ ﴿٧٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُذِيرِينَ ﴿٧١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَنعَمْ أَلْمُجِيبُونَ ﴿٧٣﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

إن صاحبكم ينبتكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر.

(٦٤-٦٨) إنها شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، فإذا كانت كذلك فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة فيأثون منها بطونهم. ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شراباً خليطاً قبيحاً حاراً، ثم إن مردّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار.

(٦٩، ٧٠) إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال، فسارعوا إلى متابعتهم على ذلك.

(٧١) ولقد ضلّ عن الحق قبل قومك - أيها الرسول - أكثر الأمم السابقة.

(٧٢) ولقد أرسلنا في تلك الأمم مرسلين أنذروهم بالعذاب فكفروا.

(٧٣) فتأمل كيف كانت نهاية تلك الأمم التي أنذرت، فكفرت؟ فقد عُدّبت، وصارت للناس عبرة.

(٧٤) إلا عباد الله الذين أخلصهم الله، وخصّهم برحمته لإخلاصهم له.

(٧٥) ولقد نادانا نبينا نوح؛ لننصره على قومه، فلنعم المجيبون له نحن.

(٧٦) ونجيناه وأهله والمؤمنين معه من أذى المشركين، ومن الغرق بالطوفان العظيم.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۚ سَلَّمَ
 عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۚ وَإِذْ كُنَّا لَكَ تَحْرِى الْمُحْسِنِينَ ۚ إِنَّهُ
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۚ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ۚ * وَلَنْ مِنْ
 شَيْعَتِهِ لَا جَزِيرَ ۚ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۚ إِذْ قَالَ
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۚ أَفَكُفَّاءُ لِلَّهِ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
 ۚ فَمَا ظَنُّكُمْ يَرَى الْعَالَمِينَ ۚ فَتَنَظَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۚ
 فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۚ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۚ فَرَاغَ إِلَهُ الْهَيَمِ
 فَقَالَ أَلَا تَأْتُونَ ۚ مَا لَكُمْ لَا تَطْفُونَ ۚ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا
 بِالْحَمِينَ ۚ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِيدُونَ ۚ قَالَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ
 ۚ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۚ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ
 فِي الْجَحِيمِ ۚ فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِينَ ۚ
 وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۚ رَبَّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
 ۚ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۚ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَتَّى
 إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَتَا نَزْلَ ۚ قَالَ تَبَّ أَبَتِ
 أَفْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۚ

(٧٧) وجعلنا ذرية نوح هم الباقين بعد غرق قومه.

(٧٨) وأبقينا له ذكراً جميلاً وثناءً حسناً فيمن جاء بعده من الناس يذكرونه به.

(٧٩) أمان لنوح وسلامة له من أن يذكر بسوء في الآخرين، بل ثني عليه الأجيال من بعده.

(٨٠) مثل جزاء نوح نجزي كل من أحسن من العباد في طاعة الله.

(٨١) إن نوحاً من عبادنا المصدقين المخلصين العاملين بأوامر الله.

(٨٢) ثم أغرقنا الآخرين المكذبين من قومه بالطوفان، فلم يبق منهم عين تطرف.

(٨٣-٨٧) وإن من أشيع نوح على منهاجه وملته نبي الله إبراهيم، حين جاء ربه بقلب بريء من كل اعتقاد باطل وخُلِقَ ذميم، حين قال لأبيه وقومه منكراً عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟ أنريدون آلهة مختلفة تعبدونها، وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده؟ فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشر كنتم به وعبدتم معه غيره؟

(٨٨-٩٠) فنظر إبراهيم نظرة في النجوم - على عادة قومه في ذلك - متفكراً فيما يعتد به عن الخروج معهم إلى أعيادهم، فقال لهم: إني مريض.

وهذا تعريض منه، فتركوه وراء ظهورهم.

(٩١، ٩٢) فقال مسرعاً إلى أصنام قومه فقال مستهزئاً بها: ألا تأكلون هذا الطعام الذي يقدمه لكم سدنتمكم؟ ما لكم لا تنطقون ولا تحييون من يسألكم؟

(٩٣) فأقبل على إلهتهم يضربها ويكسرها بيده اليمنى؛ ليثبت لقومه خطأ عبادتهم لها.

(٩٤) فأقبلوا إليه يعذون مسرعين غاضبين.

(٩٥، ٩٦) فلقبهم إبراهيم ببنات قائلاً: كيف تعبدون أصناماً تلتعنونها أنتم، وتصنعونها بأيديكم، وتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق عملكم؟

(٩٧) فلما قامت عليهم الحجة لجؤوا إلى القوة، وقالوا: ابنوا له بنياناً، واملؤوه حطباً، ثم ألقوه فيه.

(٩٨) فأراد قوم إبراهيم به كيداً لإهلاكه، فجعلناه المقهورين المغلوبين، ورد الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم برداً وسلاماً.

(٩٩، ١٠٠) وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى ربي من بلد قومي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي؛ فإنه سيدلني على الخير في ديني ودنياي. رب أعطني ولداً صالحاً.

(١٠١) فأجبنا له دعوته، وبشّرناه بغلام حلیم، أي: يكون حلماً في كبره، وهو إسماعيل.

(١٠٢) فلما كبر إسماعيل ومشى مع أبيه قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ (وروي الأئمة حق) فقال إسماعيل مُرضياً ربه، بارأ بالوادة، معينا له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به من ذبحي، ستجدني - إن شاء الله - صابراً طائعاً محتسباً.

فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَهُ لَاجِدٌ ۖ وَتَدْنِيهِ أَنْ يَدَّيَّرَهُمْ ۚ
 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝
 هَذَا لَهُمُ الْبَلَاءُ الْيُسْرَى ۖ وَتَدْنِيهِ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ ۝
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَبَشَّرْنَاهُ
 بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ أَصْلَابِهِ ۖ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ
 وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا حَسَنٌ ۖ وَظَلَّ لِنَفْسِهِ يُمِينٌ ۖ وَلَقَدْ مَنَّآ
 عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ وَخَيَّرْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ۖ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْفَائِزِينَ ۖ وَآتَيْنَاهُمَا
 الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ
 وَهَارُونَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُمَا
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَلَئِنْ يَاسَ لَمَنِ الْمُرْسَلِينَ ۖ
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ أَتَدْعُونِ إِيَّاهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
 أَلْتَأْتِلُفِينَ ۖ اللَّهُ رَزَّكُورٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ

(١٠٣) فلما استسلموا لأمر الله وانقادا له، وألقى إبراهيم ابنه على جنبه - وهو جانب الجبهة - على الأرض؛ ليذبحه.

(١٠٤، ١٠٥) وناديناه إبراهيم في تلك الحالة العصبية: يا إبراهيم، قد فعلت ما أمرت به وصددت رؤياك، إنا كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة.

(١٠٦) إن الأمر بذبح ابنك هو الابتلاء الشاق الذي أبان عن صدق إيمانك.

(١٠٧) واستقذنا إسما عيل، فجعلنا بديلاً عنه كبشاً عظيماً.

(١٠٨) وأيقينا لإبراهيم ثناء حسناً في الأمم بعده.

(١٠٩) تحية لإبراهيم من عند الله، ودعاء له بالسلامة من كل آفة.

(١١٠) كما جزينا إبراهيم على طاعته لنا وامثاله أمرنا، نجزي المحسنين من عبادنا.

(١١١) إنه من عبادنا المؤمنين الذين أعطوا العبودية حقها.

(١١٢) وبشرنا إبراهيم بولده إسحاق نبياً من الصالحين؛ جزاء له على صبره ورضاه بأمر ربه، وطاعته له.

(١١٣) وأنزلنا عليها البركة. ومن ذريتها من

هو مطيع لربه، محسن لنفسه، ومن هو ظالم لها ظمناً بنبأ بكفره ومعصيته. (١١٤، ١١٥) ولقد مَنَّنا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة، ونجيناهما وقومهما من الغرق، وما كانوا فيه من عبودية ومذلة.

(١١٦) ونصرناهم، فكانت لهم العزة والنصرة والغلبة على فرعون وآله.

(١١٧-١١٩) وآتيناهم التوراة البينة، وهديناهم الطريق المستقيم الذي لا عوجاج فيه، وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه، وأيقينا لهم ثناءً حسناً وذكرًا جليلاً فيمن بعدهما.

(١٢٠-١٢٢) تحية لموسى وهارون من عند الله، وثناءً ودعاءً لهم بالسلامة من كل آفة، كما جزيناها الجزاء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا المخلصين لنا بالصدق والإيمان والعمل. إنهم من عبادنا الراشقين في الإيمان.

(١٢٣-١٢٦) وإن عبدنا إلياس لمن الذين أكرمناهم بالنبوة والرسالة، إذ قال لقومه من بني إسرائيل: اتقوا الله وحده وخافوه، ولا تتركوا معه غيره، كيف تعبدون صنماً ضعيفاً مخلوقاً، وتتركون أحسن الخالقين - المتصرف بأحسن الصفات وأكملها، فلا تعبدونه! - الله ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم الماضين قبلكم؟

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾
وَإِنْ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
﴿لَا عِजْزَ لَكَ فِي الْغَائِبِينَ﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٥﴾ وَانْكَرُ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْطَبِحِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِلَّا يُبْلِغُوا أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٧﴾ وَإِنْ
يُؤْتَسَّرُونَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٨﴾ إِذْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْفُتُوحُ ﴿١٣٩﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٠﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤١﴾
﴿قُلُوا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِبِينَ﴾ لَلَّتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُجْعَلُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ وَأَنْبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً فَمِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٣﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٤﴾ فَآمَنُوا فَمَصَّغَتْهُمْ إِلَى حَيْثُ ﴿١٤٥﴾ فَاسْتَفْتَاهُمْ
أَلْزَيْتُكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٦﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا
وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٤٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٤٨﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَلَهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤٩﴾ أَصْطَغَى الْبَنَاتُ عَلَى الْبَيْنِ ﴿١٥٠﴾

(١٢٧، ١٢٨) فكذب قوم إيلياس بينهم، فليجمعهم الله يوم القيامة للحساب والعقاب، إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله، فإنهم ناجون من عذابه.

(١٢٩-١٣٢) وجعلنا لإيلياس ثناءً جليلاً في الأمم بعده. تحية من الله، وثناءً على إيلياس. وكما جزينا لإيلياس الجزء الحسن على طاعته، نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين. إنه من عباد الله المؤمنين المخلصين له العاملين بأوامره.

(١٣٣-١٣٨) وإن عبدنا لوطاً اصطفيناه، فجعلناه من المرسلين، إذ نجيناه وأهله أجمعين من العذاب، إلا عجوزاً هَرَمَةً، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها. (١٣٦) ثم أهلكنا الباقيين المكذبين من قومه.

(١٣٧، ١٣٨) وإنكم -يا أهل مكة- لتمرن في أسفاركم على منازل قوم لوط وأثارهم وقت الصباح، وتمرون عليها ليلاً. أفلا تعقلون، فتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم؟

(١٣٩، ١٤٠) وإن عبدنا يونس اصطفيناه وجعلناه من المرسلين، إذ هرب من بلده غاضباً على قومه، وركب سفينة مملوءة ركاباً وأمتعة.

(١٤١) وأحاطت بها الأمواج العظيمة، فاقترع ركاب السفينة لتخفيف الحمولة خوف الغرق، فكان يونس من المغلطين بالقرعة.

(١٤٢) فألقي في البحر، فابتلعه الحوت، ويونس عليه السلام آتٍ بما يلام عليه.

(١٤٣، ١٤٤) فلولا ما تقدم له من كثرة العباداة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسبيحه، وهو في بطن الحوت بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ لكث في بطن الحوت، وصار له قبراً إلى يوم القيامة.

(١٤٥) فطرحناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن.

(١٤٦) وأنبتنا عليه شجرة من القرع تظله، ويتنفع بها.

(١٤٧، ١٤٨) وأرسلناه إلى مائة ألف من قومه بل يزدون، فصَدَّقُوا وعملوا بما جاء به، فمتعناهم بحياتهم إلى وقت بلوغ آجالهم.

(١٤٩) فاسأل -أيها الرسول- قومك: كيف جعلوا الله البنات اللاتي يكرهونهن، لأنفسهم البنين الذين يريدونهم؟

(١٥٠) واسألهم أخلقنا الملائكة إناثاً، وهم حاضرون؟

(١٥١، ١٥٢) وإن من كذبهم قولهم: ولد الله، وإنهم لكاذبون؛ لأنهم يقولون ما لا يعلمون.

(١٥٣) لأي شيء يختار الله البنات دون البنين؟

(١٥٤) يش الحكم ما تحكمونه - أيها القوم - أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم.

(١٥٥) أفلا تذكرون أنه لا يجوز ولا ينبغي أن يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١٥٦) بل ألكم حجة بيّنة على قولكم وافترائكم؟

(١٥٧) إن كانت لكم حجة في كتاب من عند الله فأتوا بها، إن كنتم صادقين في قولكم؟

(١٥٨) وجعل المشركون بين الله والملائكة قرابة ونسباً، ولقد علمت الملائكة أن المشركين محضون للعذاب يوم القيامة.

(١٥٩) تنزه الله عن كل ما لا يليق به مما يصفه به الكافرون.

(١٦٠) لكن عباد الله المخلصين له في عبادته لا يصفونه إلا بما يليق بجلاله سبحانه.

(١٦١ - ١٦٣) فإنكم - أيها المشركون بالله - وما تعبدون من دون الله من آلهة، ما أنتم بمضلين أحداً إلا من قدر الله عز وجل عليه أن يضلّ الجحيم؛ لكفره وظلمه.

(١٦٤ - ١٦٦) قالت الملائكة: وما منا أحد إلا

له مقام في الساء معلوم، وإننا لنحن الواقفون صفوفاً في عبادة الله وطاعته، وإننا لنحن المزّهون الله عن كل ما لا يليق به. (١٦٧ - ١٦٩) وإن كفار «مكة» ليقولون قبل بعثتك - أيها الرسول -: لو جاءنا من الكتب والأنبياء ما جاء الأولين قبلنا، لكننا عباد الله الصادقين في الإيمان، المخلصين في العبادة.

(١٧٠) فلما جاءهم ذكر الأولين، وعلم الآخرين، وأكمل الكتب، وأفضل الرسل، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، كفروا به، فسوف يعلمون ما لهم من العذاب في الآخرة.

(١٧١ - ١٧٣) ولقد سبقت كلمتنا - التي لا مردّ لها - لعبادنا المرسلين، أن لهم النصرة على أعدائهم بالحجة والقوة، وأن جندنا المجاهدين في سبيلنا هم الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العقابة والمآل.

(١٧٤، ١٧٥) فأعرض - أيها الرسول - عَنّ عائد، ولم يقل الحق حتى تقضي المدة التي أمهلهم فيها، ويأتي أمر الله بعذابهم، وأنظروهم وارثين بما يجل بهم من العذاب بمخالفتك؟ فسوف يرون ما يجل بهم من عذاب الله.

(١٧٦، ١٧٧) أفبئزول عذابنا بهم يستعجلونك أيها الرسول؟ فإذا نزل عذابنا بهم، فبئس الصباح صباحهم.

(١٧٨، ١٧٩) وأعرض عنهم حتى يأذن الله بعذابهم، وأنظروهم فسوف يرون ما يجل بهم من العذاب والنكال.

(١٨٠) تنزه الله وتعالى رب العزة عما يصفه هؤلاء المفترون عليه.

(١٨١) ونحبة الله الدائمة وثناؤه وأمانته لجميع المرسلين.

(١٨٢) والحمد لله رب العالمين في الأولى والآخرة، فهو المستحق لذلك وحده لا شريك له.

﴿سورة ص﴾

(٢، ١) ﴿صَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

يقسم الله سبحانه بالقرآن المشتغل على تذكير الناس بما هم عنه غافلون. ولكن الكافرين متكبرون على الحق مخالفون له.

(٣) كثيراً من الأمم أهلكتها قبل هؤلاء المشركين، فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ونادوا بالتوبة، وليس الوقت وقت قبول توبة، ولا وقت فرار وخلص مما أصابهم.

(٤، ٥) وعجب هؤلاء الكفار من بعث الله إليهم بشراً منهم؛ ليدعوهم إلى الله ويخوفهم عذابه، وقالوا: إنه ليس رسولاً بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه، كيف يصير الآلهة الكثيرة إلهاً واحداً؟ إن هذا الذي جاء به ودعا إليه شيء عجيب.

(٦، ٧) وانطلق رؤساء القوم وكبراءهم يجرون قومه على الاستمرار على الشرك والصبر على تعدد الآلهة، ويقولون إن ما جاء به

هذا الرسول شيء مدبر يقصد منه الرئاسة والسيادة، ما سمعنا بها يدعو إليه في دين آبائنا من قريش، ولا في النصرانية، ما هذا إلا كذب واقتراء.

(٨) أخص محمد بنزل القرآن عليه من دوننا؟ بل هم في ريب من وحيي إليك - أيها الرسول - وإرسالي لك، بل قالوا ذلك؛ لأنهم لم يذوقوا عذاب الله، فلو ذاقوا عذابه لما تجرؤوا على ما قالوا.

(٩) أم هم يملكون خزائن فضل ربك العزيز في سلطانه، الوهاب ما يشاء من رزقه وفضله لمن يشاء من خلقه؟

(١٠) أم هؤلاء المشركين ملئك السموات والأرض وما بينهما، فيعطوا ويمنعوا؟ فليأخذوا بالأسباب الموصلة لهم إلى السماء، حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع.

(١١- ١٤) هؤلاء الجند المكذبون جند مهزومون، كما هُزم غيرهم من الأحزاب قبلهم، كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون صاحب القوة العظيمة، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأشجار والبساتين وهم قوم شعيب. أولئك الأمم الذين تجرؤوا على الكفر والتكذيب واجتمعوا عليه. إن كل من هؤلاء إلا كذب الرسل، فاستحقوا عذاب الله، وحل بهم عقابه.

(١٥) وما ينتظر هؤلاء المشركون لحلول العذاب عليهم إن بقوا على شركهم، إلا نفيخة واحدة ما لها من رجوع.

(١٦) وقالوا: ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب في الدنيا قبل يوم القيامة، وكان هذا استهزاء منهم.

(١٧) اصبر - أيها الرسول - على ما يقولونه مما تكره، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على أعداء الله والصبر على طاعته، إنه تواب كثير الرجوع إلى ما يرضي الله. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

(١٨، ١٩) إنا سنخربنا الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه أول النهار وآخره، وسخرنا الطير معه مجموعة تسبح، ونطيع تبعاً له.

(٢٠) وقوينا له ملكه بالهبة والقوة والنصر، وآتيناه النبوة، والفصل في الكلام والحكم.

(٢١، ٢٢) وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين اللذين تسورا على داود في مكان عبادته، فارتاع من دخولهما عليه؟ قالوا له: لا تخف، فنحن خصمان ظلم أحدا الآخر، فاقض بيننا بالعدل، ولا تجز علينا في الحكم، وأرشدنا إلى سواء السبيل.

(٢٣) قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج، وليس عندي إلا نعجة واحدة، فطمع فيها، وقال: أعطنيها، وغلبي بحجته.

(٢٤) قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤله ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه من نفسه إلا المؤمنين الصالحين، فلا ينبغي بعضهم على بعض، وهم قليل. وأيقن داود أننا فتناه بهذه الخصومة، فاستغفر ربه، وسجد تقرباً لله، ورجع إليه وتاب.

(٢٥) فغفرنا له ذلك، وجعلناه من المقربين عندنا، وأعدنا له حسن المصير في الآخرة.

(٢٦) يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملكنك فيها، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيضلك ذلك عن دين الله وشرعه، إن الذين يفضلون عن سبيل الله هم عذاب أليم في النار؛ بغفلتهم عن يوم الجزاء والحساب.

وفي هذا توصية لولاة الأمر أن يحكموا بالحق المنزل من الله تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه، فيضلوا عن سبيله.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِلَا ذَلِكَ ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا هَوِيلَ لَذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ۖ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٧﴾ كَذَّبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا فِيهِ وَتَلَدُّ أَلْسِنَهُ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ ۖ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢٨﴾ إِذْ عَرَّضَ عَلَيْهِ بِالْعِثِّي الصَّفِيَّتَ لِمَآدُ ۖ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٩﴾ رَدُّهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْيُنِ ۖ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِيهِ أَنْ يَبْعِدَ إِلَيْكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣١﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۖ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٢﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنَنَ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٣﴾ وَإِلَهُ عِندَنَا الرَّقِيٌّ وَحُسْنُ مَقَابٍ ﴿٣٤﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَرَأَى مَسِيحَ الشَّيْطَانِ يُضَيِّبُ وَعْدَآبٍ ﴿٣٥﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٣٦﴾

(٢٧) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً وهواً، ذلك ظنُّ الذين كفروا، فويل لهم من النار يوم القيامة؛ لظنهم الباطل، وكفرهم بالله.

(٢٨) أنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل أهل التقوى المؤمنين كأصحاب الفجور الكافرين؟ هذه التسوية غير لائقة بحكمة الله وحُكمه، فلا يستون عند الله، بل يثيب الله المؤمنين الأتقياء، ويعاقب المفسدين الأشقياء.

(٢٩) هذا الموحى به إليك -أيها الرسول- كتاب أنزلناه إليك مبارك؛ ليتفكروا في آياته، ويعملوا بهدياته ودلالاته، وليتذكر أصحاب العقول السليمة ما كلمهم الله به.

(٣٠) وهبنا لداود ابنه سليمان، فأنعمنا به عليه، وأقرنا به عينه، نِعَمَ العبد سليمان، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه.

(٣١) أذكر حين عُرِضَتْ عليه عصراً الخيول الأصيلية السريعة، تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة؛ لتجانبها وخفتها، فما زالت تُعرض عليه حتى غابت الشمس.

(٣٢، ٣٣) فقال: إنني أنرت حب الخليل عن ذكر ربي حتى غابت الشمس عن عينيه، رُدُّوا عليَّ الخيل التي عُرِضَتْ من قبل، فرُدَّتْ عليه، فشرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف؛ قريةً لله، لأنها كانت سبب فوات صلاته. وكان التقرب بذبح الخيل مشروعاً في شريعته.

(٣٤-٣٦) ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه شق وكد، ولِدْ له حين أقسم ليطوفنَّ على نساؤه، وكلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد، ثم رجع سليمان إلى ربه وتاب، قال: رب اغفر لي ذنبي، وأعطني ملكاً عظيماً؛ لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي، إنك -سبحانك- كثير الجود والعطاء. فاستجنا له، وذلنا الريح تجري بأمره طيعة مع قوتها وشدها حيث أراد.

(٣٧-٣٩) وسَخَّرْنَا له الشياطين يستعملهم في أعماله: ففهم البناءون والغواصون في البحار، وآخرون وهم مرده الشياطين، موقوفون في الأغلال. هذا الملك العظيم والتسخير الخاص عطواناً لك يا سليمان، فأعط من شئت أو امنع من شئت، لا حساب عليك.

(٤٠) وإن لسليمان عندنا في الدار الآخرة قريةً وحسن مرجع.

(٤١) واذكر -أيها الرسول- عبداً أيوب، حين دعا ربه أن الشيطان تسبب لي بتعب ومشقة، وألم في جسدي ومالي وأهلي.

(٤٢) فقلنا له: اضرب برجلك الأرض ينبع لك منها ماء بارد، فاشرب منه، واعتبِلْ فيذهب عنك الضر والأذى.

(٤٣) فكشفنا عنه ضره وأكرمناه ووهبنا له أهله من زوجة وولد، وزدناه مثلهم بنين وحفدة، كل ذلك رحمة منا به وإكراماً له على صبره، وعبرة وذكرى لأصحاب العقول السليمة، ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج وكشف الضر.

(٤٤) وقلنا له: خذ بيدك حزمة من الخشيش ونحوه، فاضرب بها زوجك إبراهيم ابناً يمينك، فلا تخش؛ إذ أقسم لضربتها مائة جلدة إذا شفاه الله، لما غضب عليها من أمر يسير أثناء مرضه، وكانت امرأة سالحة، فرحمها الله ورحمه هذه الفتوى. إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء، نعم العبد هو، إنه رجّاع إلى طاعة الله.

(٤٥) واذكر -أيها الرسول- عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه.

(٤٦، ٤٧) إنا خصصناهم بخاصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليها، وذكرهم بها. وإنهم عندنا لمن الذين اصطفيناهم لرسالتنا، واختارناهم لطاعتنا.

(٤٨) واذكر -أيها الرسول- عبادنا: إسماعيل، واليسع، وذو الكفل، بأحسن الذكر؛ إن كلاً منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق،

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ

وَحَذَّيْدَكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَخْشَ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخَصَّصْنَاهُمْ بِمَخَالِصَةٍ ذَكَرْنَاهُ الْدَّارِ

وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ

وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ

لِحُسْنِ مَقَابٍ جَنَّتٍ عِنْدَ مُفْتَحَةِ لُهُمُ الْأُكُوبِ مُتَّكِئِينَ

فِيهَا يَذْكُرُونَ فِيهَا يَتَفَكَّهُةٌ كَثِيرَةٌ وَشَرَابٌ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرٌ

الْظُّرَى أَثَرَابٌ هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هَذَا

لَرِزْقًا مِّنَ اللَّهِ مِن تَفَافٍ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَقْسِئُهُمْ هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ

وَسَسَاءٌ وَءَاخِرِينَ سَكَتَ لَهُ أَرْوَاحٌ هَذَا قَوْلٌ

مُفْتَحُهُمْ مَعَكُمْ لَا مَرْجَاءَ لَهُمْ أَنَّهُمْ صَلُّوا النَّارَ قَالُوا

بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَاءَ لَكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَسَّوْهُ لَنَا فَيَقْسِئُ الْقَرَارُ

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِّدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ

واختار لهم أكمل الأحوال والصفات.

(٤٩-٥١) هذا القرآن ذُكر وشرف لك -أيها الرسول- ولقومك. وإن لأهل تقوى الله وطاقته لحسن مصير عندنا في جنات إقامة، مفتحة لهم أبوابها، متكئين فيها على الأرائك المزينات، يطلبون ما يشتهون من أنواع الفواكه الكثيرة والشراب، من كل ما تشتهي نفوسهم، وتلذذ أعينهم.

(٥٢) وعندهم نساء قاصرات أبصارهن على أزواجهن متساويات في السن.

(٥٣، ٥٤) هذا النعيم هو ما توعدون به -أيها المتقون- يوم القيامة، إنه لرزقنا لكم، ليس له فناء ولا انقطاع.

(٥٥، ٥٦) هذا الذي سبق وصفه للمتقين. وأما المتجاوزون الحد في الكفر والمعاصي، فلهم شر مرجع ومصير، وهو النار يُعذبون فيها، تغمرهم من جميع جوانبهم، فبش الفراش فراشهم.

(٥٧، ٥٨) هذا العذاب ماء شديد الحرارة، وصديد سائل من أجساد أهل النار فليشربوه، ولهم عذاب آخر من هذا القبيل أصناف وألوان.

(٥٩) وعند توارد الطاغين على النار يَشْتُم بعضهم بعضاً، ويقول بعضهم لبعض: هذه جماعة عظيمة من أهل النار داخلية معكم، فيجبون: لا مرحباً بهم، ولا اتسعت منازلهم في النار، إنهم مفاسون حرّ النار كما قاسيناها.

(٦٠) قال فوج الأنبياء للطاغين: بل أنتم لا مرحباً بكم؛ لأنكم قدّمتم لنا سكنى النار لإضلالكم لنا في الدنيا، فبش دار الاستقرار جهنم.

(٦١) قال فوج الأنبياء: ربنا من أصلنا في الدنيا عن الهدى فضاعف عذابه في النار.

(٦٢، ٦٣) وقال الطاغون: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالاً كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار الأشقياء؟ هل تحقرنا لهم واستهزأوا بهم خطأ، أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم الأبصار؟

(٦٤) إن ذلك من جدال أهل النار وخصامهم حق واقع لا مرية فيه.

(٦٥) قل -أيها الرسول- لقومك: إنا أنا منذر لكم من عذاب الله أن يجلب بكم؛ بسبب كفركم به، ليس هناك إله مستحق للعبادة إلا الله وحده، فهو المفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي فهر كل شيء وغلبه.

(٦٦) مالك السموات والأرض وما بينهما العزيز في انتقامه، الغفار للذنوب من تاب وأناب إلى مرضاته.

(٦٧، ٦٨) قل -أيها الرسول- لقومك: إن هذا القرآن خبر عظيم النفع. أنتم عنه غافلون منصرفون، لا تعملون به.

(٦٩) ليس لي علم باختصاص ملائكة السماء في شأن خلق آدم، لولا تعليم الله إياي، وإيماؤه إليّ.

(٧٠) ما يوحى إليّ من علم ما لا علم لي به إلا لأني نذير لكم من عذابه، مبين لكم شرعه.

(٧١، ٧٢) اذكر لهم -أيها الرسول-: حين قال

ربك للملائكة: إني خالق بشرأ من طين. فإذا سوّيت جسده وخلقته ونفخت فيه الروح، فدبت فيه الحياة، فاسجدوا له سجدوا تحية وإكرام، لا لسجود عبادة وتعظيم؛ فالعبادة لا تكون إلا لله وحده. وقد حرّم الله في شريعة الإسلام السجود للنجية.

(٧٣، ٧٤) فسجد الملائكة كلهم أجمعون طاعة وامتثالاً غير إبليس؛ فإنه لم يسجد أنفة وتكبراً، وكان من الكافرين في علم الله تعالى.

(٧٥) قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمته فخلقته بيدي؟ أستكبرت على آدم، أم كنت من المتكبرين على ربك؟ وفي الآية إثبات صفة اليبدين لله تبارك وتعالى، على الوجه اللائق به سبحانه.

(٧٦) قال إبليس معارضاً لربه: لم أسجد له؛ لأنني أفضل منه، حيث خلقتني من نار، وخلقته من طين. والنار خير من الطين.

(٧٧، ٧٨) قال الله له: فآخرج من الجنة فإنك مرجوم بالقول، مدحور ملعون، وإن عليك طردى وإبعادي إلى يوم الجزاء والحساب.

(٧٩) قال إبليس: ربّ فأخر أجلي، ولا تهلكني إلى حين تبعث الخلق من قبورهم.

(٨٠، ٨١) قال الله له: فإنك من المؤخرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى عندما تموت الخلائق.

(٨٢، ٨٣) قال إبليس: فيعزتك يا رب- وعظمتك لأضلن بني آدم أجمعين، إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلائي، فلم تجعل لي عليهم سبيلاً.

(٨٤، ٨٥) قال الله: فالحق مني، ولا أقول إلا الحق، لأملأن جهنم منك ومن ذريتك ومن تبعك من بني آدم أجمعين.

(٨٦) قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من قومك: لا أطلب منكم أجراً أو جزاءً على دعوتكم وهدايكم، ولا أدعي أمراً ليس لي، بل أتبع ما يوحى إلي، ولا أتكلف تحريضاً وافتراءً.

(٨٧) ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين من الجن والإنس، يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم.

(٨٨) وتعلمن -أيها المشركون- خبر هذا القرآن وصدقه، حين يغلب الإسلام، ويدخل الناس فيه أفواجاً، وكذلك حين يقع عليكم العذاب، وتنقطع عنكم الأسباب.

﴿سورة الزمر﴾

(١) تنزيل القرآن إنما هو من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبيره وأحكامه.

(٢) إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك.

(٣) ألا الله وحده الطاعة التامة السالمة من الشرك، والذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دونه أولياء، قالوا: ما نعبد تلك الآلهة مع

الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقربنا عنده منزلة، فكفروا بذلك؛ لأن العبادة والشفاعة لله وحده، إن الله يفضل بين المؤمنين المخلصين والمشركين مع الله غيره يوم القيامة فيما يختلفون فيه من عبادتهم، فيجازي كلأبها يستحق. إن الله لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم من هو مفتر على الله، كقار بأياته وحججه.

(٤) لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاختار من مخلوقاته ما يشاء، تنزه الله وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهار الذي قهر خلقه بقدرته، فكل شيء له متذل خاضع.

(٥) خلق الله السموات والأرض وما فيها بالحق، يحيي بالليل ويذهب بالنهار، ويحيي بالنهار ويذهب بالليل، وذلك الشمس والقمر بانتظام لمنافع العباد، كل منها يجري في مداره إلى حين قيام الساعة. ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم على خلقه بهذه النعم هو العزيز على خلقه، الغفار للذنوب عباده الناثين.

قَالَ فَاحْزَنْ وَأَلْحَقْ أَقُولُ ۖ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ
أَجْمَعِينَ ۖ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
۞ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۞ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۞

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَلِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُلِيَاءَ
مَنْعَبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
كَذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ
مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى
النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُجْعَلٍ مَتَارِزَ جَهَنَّمَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ
 مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَنْوَاجٍ مَخْلُقَكُمْ فِي بَطُونٍ أَمَهَاتِكُمْ
 خَلَقَ بَعْدَ خَلْقِ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِي نَصْرُوتِ ۝ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ عَنَى عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ فَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
 لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝
 * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ فَذَا حَوَّلَهُ رِيعَةً
 مِنْهُ لِنَسْئِ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لَهُ آيَةً أَنْ لَا يُضِلَّ
 عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَتَّبِعُونَ كُفْرًا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ
 ۝ أَمَنْ هُوَ قَاتِي ۚ إِنَّهُ الْبَلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَنْزِرُ الْأَخْرَةَ
 وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
 لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ قُلْ يَبْعَادِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَنْتَوَارُكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
 وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝

(٦) خلقكم ربكم - أيها الناس - من آدم، وخلق منه زوجه، وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكرًا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز، يخلقكم في بطون أمهاتكم طوراً بعد طور من الخلق في ظلمات البطن، والرحم، والمشيمة، ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء، ربكم المنفرد بالملك المتوحد بالالوهية المستحق للعبادة وحده، فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره من خلقه؟

(٧) إن تكفروا - أيها الناس - بربكم ولم تؤمنوا به، ولم تتبعوا رسله، فإنه غني عنكم، ليس بحاجة إليكم، وأنتم الفقراء إليه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمرهم به، وإنما يرضى لهم شكر نعمه عليهم. ولا تحمل نفس إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مصيركم، فيخبركم بعملكم، ومحاسبكم عليه. إنه عليم بأسرار النفوس وما تخفي الصدور.

(٨) وإذا أصاب الإنسان بلاءٌ وشدة ومرض تذكر ربه، فاستغاث به ودعاه، ثم إذا أجابه وكشف عنه ضره، ومنحه نعمة، نسي دعاء

لربه عند حاجته إليه، وأشرك معه غيره؛ ليضل لربه غيره عن الإيمان بالله وطاعته، قل له - أيها الرسول - متوعداً: تمتع بكفرك قليلاً حتى موتك وانتهاء أجلك، إنك من أهل النار المخلدين فيها.

(٩) أهذا الكافر الممتنع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه؟ قل - أيها الرسول -: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئاً من ذلك؟ لا يستون. إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة.

(١٠) قل - أيها النبي - لعبادي المؤمنين بالله ورسوله: اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معصيته. للذين أحسنوا في هذه الدنيا بعبادة ربهم وطاعة حسنة في الآخرة، وهي الجنة، وحسنة في الدنيا من صحة ورزق ونصر وغير ذلك. وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها إلى حيث تعبدون ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم. إنما يعطى الصابرون ثوابهم في الآخرة بغير حد ولا عد ولا مقدار، وهذا تعظيم لجزاء الصابرين وثوابهم.

(١١، ١٢) قل -أيها الرسول- للناس: إن الله أمرني ومن تبني بإخلاص العباد له وحده دون سواه، وأمرني بأن أكون أول من أسلم من أمتي، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العباد، وبرئ من كل ما دونه من الألهة.

(١٣) قل -أيها الرسول- للناس: إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته والإخلاص في طاعته عذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يعظم هوله.

(١٤، ١٥) قل -أيها الرسول-: إني أعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له عبادي وطاعتي، فاعبدوا انتم -أيها المشركون- ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام وغير ذلك من مخلوقاته، فلا يضرني ذلك شيئاً. وهذا تهديد ووعيد لمن عبد غير الله، وأشرك معه غيره. قل -أيها الرسول-: إن الخاسرين -حقاً- هم الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسran هؤلاء المشركين أنفسهم وأهلهم يوم القيامة هو الخسران البين الواضح.

(١٦) أولئك الخاسرون لهم يوم القيامة في جهنم من فوهم قطع عذاب من النار كهية الظل المبينة، ومن تحتهم كذلك. ذلك العذاب الموصوف بخوف الله به عباده؛ ليحذروه. يا عباد فاتقوا بامتثال أوامري واجتناب معاصي. (١٧، ١٨) والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله، وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له، هم البشري في الحياة الدنيا بالنساء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والنعيم الدائم في الجنة. فبشر -أيها النبي- عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أمره. وأحسن الكلام وأرشده كلام الله ثم كلام رسوله. أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والسداد، وهادهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة. (١٩) أفمن وجبت عليه كلمة العذاب؛ باستمراره على غيّه وعناده، فإنه لا حيلة لك -أيها الرسول- في هدايته، أفقدر أن تنقذ من في النار؟ لست بقادر على ذلك.

(٢٠) لكن الذين اتقوا ربهم -بطاعته وإخلاص عبادته- لهم في الجنة غرف مبنية بعضها فوق بعض، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار، وعدما الله عباده المتقين وعداً متحققاً، لا يخلف الله الميعاد.

(٢١) ألم تر -أيها الرسول- أن الله أنزل من السحاب مطراً فأدخله في الأرض، وجعله عيوناً نابعة ومياهاً جارية، ثم يخرج بهذا الماء زرعاً مختلفاً ألوانه وأنواعه، ثم يبس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفراً لونه، ثم يجعله حطاماً متكسراً متفتتاً؟ إن في فعل الله ذلك لذكرى وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، قَوْلٌ
لِلْقَائِسَةِ فَلَوْهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي صَلَاتِي مَبِينٌ ٢٢
اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْسَعُ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلْبِثُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٢٣ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَاحِشَهُ سَوَاءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ
٢٤ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّخَذَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ٢٥ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ
الْآخِرَةِ أَكْثَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٢٦ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ فَوَيْلٌ لِمَنْ عَارِضَ
عَرَبِيٍّ عَوْجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ٢٨ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
لَحَمْدُ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُ نَعْمًا لَا يَعْلَمُونَ ٢٩ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ
مَيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ أَنْزَلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكَ فَتَحْتَصِمُونَ ٣١

(٢٢) أؤمن وسَّعَ الله صدره، فسعد بقبول الإسلام والانقياد له والإيمان به، فهو على بصيرة من أمره وهدى من ربه، كمن ليس كذلك؟ لا يستوون. فويل وهلاك للذين قَسَّتْ قلوبهم، وأعرضت عن ذكر الله، أولئك في ضلال بين عن الحق.

(٢٣) الله تعالى هو الذي نزل أحسن الحديث، وهو القرآن العظيم، متشابهاً في حسنه وإحكامه وعدم اختلافه، تَكَرَّرَ فيه القصص، والأحكام، والحجج والبيّنات، وتُعاد تلاته فلا يُملُ على كثرة التَّردّد، تقسُّعُ من سبّاحه، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم، تأثراً بما فيه من ترهيب ووعيد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم؛ استبشاراً بما فيه من وعد وترغيب، ذلك التأثير بالقرآن هداية من الله لعباده. والله يهدي بالقرآن مَنْ يشاء من عباده. ومن يضلله الله عن الإيمان بهذا القرآن؛ لكفره وعناده، فما له مِنْ هادي يهديه ويوفقه.

(٢٤) أؤمن يُلقَى في النار مغلولاً - فلا يتهاى له أن يتقي النار إلا بوجهه؛ لكفره وضلاله - خير أم من ينعم في الجنة؛ لأن الله هداة؟ وقبل يومئذ للظالمين: ذوقوا وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله.

(٢٥) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ - أيها الرسول - رسلهم، فجاءهم العذاب من حيث لا يشعرون بمحبته، فأذاق الله الأمم المكذبة العذاب والهوان في الدنيا، وأعدَّ لهم عذاباً أشد وأشق في الآخرة، لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حلَّ بهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لَأَتَعَفَّوْا.

(٢٧، ٢٨) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لَهُوَاءَ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ مِنْ أَمْثَالِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ تَخْوِيفاً وَتَحْذِيرًا؛ لِيَتَذَكَّرُوا فَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مَقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ. وجعلنا هذا القرآن عربياً واضح الألفاظ سهل المعاني، لا بُسَّ فيه ولا انحراف؛ لعلهم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(٢٩) ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لشرّكائه متزاعين، فهو حيران في إرضائهم، وعبداً خالصاً لملك واحد يعرف مراده وما يرضيه، هل يستويان مثلاً؟ لا يستويان، كذلك المشرك هو في حيرة وشك، والمؤمن في راحة واطمئنان. فالثناء الكامل التام لله وحده، بل المشركون لا يعلمون الحق فيتبعونه.

(٣٠، ٣١) إِنَّكَ - أيها الرسول - ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم جميعاً - أيها الناس - يوم القيامة عند ربكم تنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف.

* قَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ
إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِيهِمْ مَتَوًى لِلْكَافِرِينَ ٣٢ وَالَّذِي
جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ٣٣
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ٣٤
لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيََهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٣٥ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٦ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ٣٧ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرَّتِهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ
قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨ قُلْ يَتَّقُوا
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِرِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَتَقُولُوا تَعْلَمُونَ ٣٩
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٤٠

(٣٢) لا أحد أظلم من افترى على الله الكذب: بأن نسب إليه ما لا يليق به كالشريك والولد، أو قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه شيء، ولا أحد أظلم من كذب بالحق الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم. أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، ولم يصدق محمداً صلى الله عليه وسلم ولم يعمل بها جاء به؟ بلى.

(٣٣) والذي جاء بالصدق في قوله وعمله من الأنبياء وأتباعهم، وصدق به إيماناً وعملاً، أولئك هم الذين جمعوا خصال التقوى، وفي مقدمة هؤلاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به، العاملون بشريعته من الصحابة، رضي الله عنهم، فمن بعدهم إلى يوم الدين.

(٣٤) لهم ما يشاؤون عند ربهم من أصناف اللذات والمشتبهات؛ ذلك جزاء من أطاع ربه حق الطاعة، وعبده حق العبادة.

(٣٥) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال؛ بسبب ما كان منهم من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها، وبشيء الله على طاعتهم في الدنيا بأحسن ما كانوا

يعملون، وهو الجنة.

(٣٦) أليس الله بكاف عبده محمداً وعبد المشركين وكيدهم من أن ينالوه بسوء؟ بلى إنه سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من أراده بسوء، ويخوفونك -أيها الرسول- بألتهن التي زعموا أنها ستؤذيك. ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق، فما له من هاد يهديه إليه.

(٣٧) ومن يوفقه الله للإيمان به والعمل بكتابه واتباع رسوله فما له من مضل عن الحق الذي هو عليه. أليس الله بعزيز في انتقامه من كفره خلقه، ومن عصاه؟

(٣٨) ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: من خلق هذه السموات والأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، فهم يقولون بالخالق. قل لهم: هل تستطيع هذه الآلهة التي تشركونها مع الله أن تبعد عني أذى قدره الله عليّ، أو تزيل مكروهاً لحق بي؟ وهل تستطيع أن تمنع نفعاً يسره الله لي، أو تحبس رحمة الله عني؟ إنهم سيقولون: لا نستطيع ذلك. قل لهم: حسبي الله وكافي، عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، وسيكفيني كل ما أمني.

(٣٩، ٤٠) قل -أيها الرسول- لقومك المعاندين: اعملوا على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، حيث عبدتم من لا يستحق العبادة، وليس له من الأمر شيء، إني عامل على ما أمرت به من التوجه لله وحده في أقوال وأفعالي، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب بينه في الحياة الدنيا، ويحل عليه في الآخرة عذاب دائم، لا يحول عنه ولا يزول.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَا شِئْتَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ أَنْزَلْنَاهُمْ شَفِيعَاتِمْ فَلَا يُفْعَلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفْعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلْ اللَّهُ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَيْهِ الْعِلْمُ الْغَيْبِ ۖ وَالشَّهَادَةُ أَنَّتُمْ كُفَرْتُمْ بِعِبَادِهِ فِي مَا كُنْتُمْ تَفْتَحُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةً لَهُمْ مِنْ سَوْءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَّ اللَّهُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾

(٤١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ - أيها الرسول - القرآن بالحق هداية للعالمين، إلى طريق الرشاد، فمن اهتدى بنوره، وعمل بما فيه، واستقام على منهجه، نفع ذلك يعود على نفسه، ومن ضل بعد ما تبين له الهدى، فإنما يعود ضرره على نفسه، ولن يضر الله شيئاً، وما أنت - أيها الرسول - عليهم بوكيل تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، ما عليك إلا البلاغ.

(٤٢) الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يقبض الأنفس حين موتها، وهذه الوفاة الكبرى وفاة الموت بانقضاء الأجل، ويقبض التي لم تمت في منامها، وهي المنة الصغرى، فيحبس من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت، وهي نفس من مات، ويرسل النفس الأخرى إلى استكمال أجلها ورزقها، وذلك بإعادتها إلى جسم صاحبها، إن في قبض الله نفس الميت والنائم وإرساله نفس النائم، وحبسه نفس الميت لدلائل واضحة على قدرة الله لمن تفكر وتدبر.

(٤٣) أَمْ أَخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ مِنْ دُونِهِ آهْتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا شُفْعَاءَ، تشفع لهم عند الله في

حاجاتهم؟ قل - أيها الرسول - لهم: اتخذونها شُفْعَاءَ كما تزعمون، ولو كانت الألهة لا تملك شيئاً، ولا تعقل عبادتكم لها؟ (٤٤) قل - أيها الرسول - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: الله الشفاعة جميعاً، له ملك السموات والأرض وما فيها، فالأمر كله لله وحده، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فهو الذي يملك السموات والأرض ويتصرف فيها، فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، وأن تخلص له العبادة، ولا تطلب من هذه الألهة التي لا تضر ولا تنفع، ثم إليه ترجعون بعد محاسنكم للحساب والاجزاء.

(٤٥) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ نفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد المات، وإذا ذُكِرَ الذين من دونه من الأصنام والأوثان والأولياء إذا هم يفرحون؛ لكون الشرك موافقاً لأهوائهم.

(٤٦) قُلْ: اللَّهُمَّ يَا خَالِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِبدِعَهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبْقٍ، عالم السر والعلانية، أنت تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك والإيمان بك وبرسوك، اهتدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. وكان هذا من دعائه صلى الله عليه وسلم، وهو تعليم للعباد بالالتجاء إلى الله تعالى، ودعائه بأسائه الحسنی وصفاته العلی.

(٤٧) وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْ مَالٍ وَذَخَائِرٍ، ومثله معه مضاعفاً، لبذلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بذلوه وافتدوا به ما قُبِلَ منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً، وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم.

وَيَذَلُّهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَتْهُ نِعْمَةٌ مَتَّأَلٍ إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ بَلَّغْنَاهُ فَتَنَةً وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ فَقَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَتَّبِعَادِ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَإِنِّي أُنذِرُكُمْ لِيَوْمٍ تَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَتُبْعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِقَعَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا قَرَّرْتُ فِيْ جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(٤٨) وظهر هؤلاء المكذبين يوم الحساب جزاء سيئاتهم التي اقترفوها، حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق به، وارتكبوا المعاصي في حياتهم، وأحاط بهم من كل جانب عذاب أليم؛ عقاباً لهم على استهزائهم بالإنذار بالعذاب الذي كان الرسول يعدُّهم به، ولا يأبهون له.

(٤٩) فإذا أصاب الإنسان شدة وضُرٌّ، طلب من ربه أن يُفَرِّجَ عنه، فإذا كشفنا عنه ما أصابه وأعطيناه نعمة منا عاد بريه كافراً، ولفضله منكراً، وقال: إن الذي أُوتيتُه إنما هو على علم من الله أني له أهل ومستحق؛ بل ذلك فتنة يبتلي الله بها عباده؛ لينظر من يشكره ممن يكفره، ولكن أكثرهم - لجهلهم وسوء ظنهم - لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لهم على شكر النعم.

(٥٠) قد قال مقاتلهم هذه من قبلهم من الأمم الخالية المكذبة، فما أغنى عنهم حين جاءهم العذاب ما كانوا يكسبون من الأموال والأولاد.

(٥١) فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال،

فعوجلوا بالخزي في الحياة الدنيا، والذين ظلموا أنفسهم من قومك - أيها الرسول -، وقالوا هذه المقالة، سيصيبهم أيضاً وبال سيئات ما كسبوا، كما أصاب الذين من قبلهم، وما هم بفاتنين الله ولا سابقيه.

(٥٢) أولم يعلم هؤلاء أن رزق الله للإنسان لا يدل على حسن حال صاحبه، فإن الله لبالغ حكمته يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، صالحاً كان أو طالحاً، ويضيِّقه على من يشاء منهم؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق في الرزق كدلالات واضحات لقوم يُصدِّقون أمر الله ويعملون به.

(٥٣) قل - أيها الرسول - لعبادي الذين تمادوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تبتسئوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور للذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

(٥٤) وارجعوا إلى ربكم - أيها الناس - بالطاعة والتوبة، واخضعوا له من قبل أن يقع بكم عقابه، ثم لا ينصركم أحد من دون الله.

(٥٥) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم لا تعلمون به.

(٥٦) وأطيعوا ربكم وتوبوا إليه حتى لا تندم نفس وتقول: يا حسرتا على ما ضيَّعت في الدنيا من العمل بما أمر الله به، وقصَّرت في طاعته وحقه، وإن كنت في الدنيا لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ
 حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
 بَلَى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ
 مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
 اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾
 وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَالِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾
 وَلَا هُمْ يُعْذَرُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ
 أَغْفِرَ اللَّهُ أَمْ يَزِيدَ أَغْوَيًا أُولَئِكَ الَّيْسُ لَهَا لَظْفُورٌ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ
 أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ
 لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٦﴾ بَلِ
 اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
 قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾

(٥٧) أو تقول: لو أن الله أرشدني إلى دينه لكننت من المتقين الشرك والمعاصي.

(٥٨) أو تقول حين ترى عقاب الله قد أحاط بها يوم الحساب: ليت لي رجعة إلى الحياة الدنيا، فأكون فيها من الذين أحسنوا بطاعة ربهم، والعمل بها أمرتهم به الرسل.

(٥٩) ما القول كما تقول، قد جاءتك آياتي الواضحة الدالة على الحق، فكذبت بها، واستكبرت عن قبولها واتباعها، وكنت من الكافرين بالله ورسله.

(٦٠) ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد وجوهم مسودة. أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده وطاعته؟ بل.

(٦١) وينجي الله من جهنم وعذابها الذين اتقوا ربهم بأداء فرائض واجتناب نواهيه بفوزهم وتحقق أمنيته، وهي الظفر بالجنة، لا يسهم من عذاب جهنم شيء، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٦٢) الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وربها ومليكيها والمتصرف فيها، وهو على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه.

(٦٣) لله مفاتيح خزائن السموات والأرض، يعطي منها خلقه كيف يشاء. والذين جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، أولئك هم الخاسرون في الدنيا بخذلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة بخلودهم في النار.

(٦٤) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أغفر الله أيها الجاهلون بالله تأمروني أن أعبد، ولا تصلح العبادة لشيء سواه؟

(٦٥) ولقد أوحى إليك -أيها الرسول- وإلى من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله غيره لبيطلن عملك، ولتكونن من الهالكين الخاسرين دينك وآخرتك؛ لأنه لا يقبل مع الشرك عمل صالح.

(٦٦) بل الله فاعبد -أيها النبي- مخلصاً له العبادة وحده لا شريك له، وكن من الشاكرين لله نعمه.

(٦٧) وما عظم هؤلاء المشركون الله حق عظيمه؛ إذ عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جمع الأرض في قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، تنزه وتعظم سبحانه وتعالى عما يشرك به هؤلاء المشركون. وفي الآية دليل على إثبات القبضة، واليمين، والطّي، لله كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تكليف ولا تشبيه.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بَائِطُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ الْيَبِيبِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَقْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بُنِيَ لَكُمْ هَٰذَا الْقَرْيَةُ وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِمَا كُفَرْتُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُم مَّرَكَبُونَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

(٦٨) وَنُفِخَ فِي «الْقَرْنِ» فَمَاتَ كُلُّ مَنْ فِي السموات والأرض، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ عدم موته، ثم نفخ الملك فيه نفخة ثانية مؤذناً بإحياء جميع الخلائق للحساب أمام ربهم، فإذا هم قيام من قبورهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم؟

(٦٩) وأضاءت الأرض يوم القيامة إذا تجلجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء، ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد، وجيء بالنيبين والشهود على الأمم؛ ليسأل الله النبيين عن التبليغ وعما أجابتهم به أمهم، كما تأتي أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لتشهد بتبليغ الرسل السابقين لأمتهم إذا أنكرت هذا التبليغ، فتقوم الحجة على الأمم، وقضى رب العالمين بين العباد بالعدل التام، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

(٧٠) ووفى الله كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية.

(٧١) وسيق الذين كفروا بالله ورسله إلى جهنم جماعات، حتى إذا جاؤوها فتح الخزنة الموكلون بها أبوابها السبعة، وزجرهم قائلين: كيف تعصون الله وتحجودون أنه الإله الحق وحده؟ ألم يرسل إليكم رسلاً منكم يتلون عليكم آيات ربكم، ويحذرونكم أهوال هذا اليوم؟ قالوا مقرين بذنبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق، وحذرونا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به.

(٧٢) قيل للجاحدين أن الله هو الإله الحق إهانة لهم وإذلالاً؛ ادخلوا أبواب جهنم ماكثين فيها أبداً، ففحّص مصير المتعالمين على الإيذان بالله والعمل بشريعة.

(٧٣) وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات، حتى إذا جاؤوها وشُفّع لهم بدخولها، فتحت أبوابها، فترحب بهم الملائكة الموكلون بالجنة، ويُخَيِّرونهم بالبشر والسرور؛ لطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم، وسليمتهم من كل آفة، طابت أحوالكم، فادخلوا الجنة خالدين فيها.

(٧٤) وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدنا إياه على ألسنة رسله، وأورثنا أرض الجنة ننزل منها في أي مكان نشاء، فنعيم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

وَنَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الْغَافِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الْقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَدَّلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا تَعْزُوكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْآلَاءِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْجِسُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

(٧٥) وترى - أيها النبي - الملائكة محيطين بعرش الرحمن، ينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به، وفضى الله سبحانه وتعالى بين الخلائق بالحق والعدل، فأسكن أهل الإيمان الجنة، وأهل الكفر النار، وقيل: الحمد لله رب العالمين على ما قضى به بين أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.

﴿سورة غافر﴾

(١) ﴿حَمْدٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
(٢) تنزيل القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله - عز وجل - العزيز الذي قهر بعزته كل مخلوق، العليم بكل شيء.
(٣) غافر الذنب للمذنبين، وقابل التوب من التائبين، شديد العقاب على مَنْ تَجَرَأَ على الذنوب ولم يتب منها، وهو سبحانه وتعالى صاحب الإنعام والتفضل على عباده الطائعين، لا معبود يستحق العبادة سواه، إليه مصير جميع الخلائق يوم الحساب، فيجازي كلًّا بما يستحق.
(٤) ما يخاصم في آيات القرآن وأدلته على وحدانية الله، ويقابلها بالباطل إلا الجاحدون الذين جحدوا أنه الإله الحق المستحق للعبادة وحده، فلا يغفرك - أيها الرسول - ترددهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب، ونعيم الدنيا وزهرتها.

(٥) كَذَّبَتْ قبل هؤلاء الكفار قوم نوح وَمَنْ تلاهم من الأمم التي أعلنت حربها على الرسل كعاد وثمود، حيث عزموا على إيذائهم وتجمّعوا عليهم بالتعذيب أو القتل، وهَمَّتْ كل أمة من هذه الأمم المكذبة برسولهم ليقتلوه، وخاصموا بالباطل؛ ليبطلوا بجدهم الحق فعاقبتهم، فكيف كان عقابي إياهم عبرة للمخلوق، وعظة لمن يأتي بعدهم؟
(٦) وكما حق العقاب على الأمم السابقة التي كذّبت رسلها، حق على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.
(٧) الذين يحملون عرش الرحمن من الملائكة وَمَنْ حول العرش من يَحُفُّ به منهم، ينزهون الله عن كل نقص، ويمجدونه بما هو أهل له، ويؤمنون به حق الإيمان، ويطلبون منه أن يعفو عن المؤمنين، قائلين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً، فاغفر للذين تابوا من الشرك والمعاصي، وسلوكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه وهو الإسلام، وجنبهم عذاب النار وأهوالها.

(٨) ربنا وأدخل المؤمنين جنات عدن التي وعدتهم، ومن صلح بالإيمان والعمل الصالح من آبائهم وأزواجهم وأولادهم. إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم في تدبيره وصنعه.

(٩) واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم، فلا تؤاخذهم بها، ومن تصرف عنه السيئات يوم الحساب فقد رحمته، وأنعمت عليه بالنجاة من عذابك، وذلك هو الظفر العظيم الذي لا فوز مثله.

(١٠) إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق، وصرفوا العبادة لغيره عندما يعابنون أهوال النار بأنفسهم، يَمَقُّون أنفسهم أشد المقت، وعند ذلك يناديهم خزنة جهنم: لَمَقَّتْ الله لكم في الدنيا - حين طلب منكم الإيمان به واتباع رسله، فأبيتُم - أكبر من بغضكم لأنفسكم الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله وعذابه.

(١١) قال الكافرون: ربنا أمثنا مرتين: حين كنا في بطون أمهاتنا نطعم قبل نفخ الروح، وحين انقضى أجلنا في الحياة الدنيا، وأحييتنا مرتين: في دار الدنيا يوم ولدنا، ويوم بُعِثنا من قبورنا، فنحن الآن نُقَرُّ بأخطائنا السابقة، فهل لنا من

رَبَّنَا وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْنَاهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقَّتِكَ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتَنِينَ وَآخِيَتَنَا افْتِتِينَ فَأَعِزَّنَا بِدُيُونِنَا فَمَهَّلَ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ۝ ذَالِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُسْرَفْ بِهِ يَأْكُلْ كُفْرُ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَسْتَكْبِرُ إِلَّا مَنْ يَنْبِئُ ۝ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُمْ بَدُورٌ لَاحِقٌ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَيْسَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝

طريق نخرج به من النار، وتعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟ ولكن هيئات أن ينفعهم هذا الاعتراف.

(١٢) ذلكم العذاب الذي لكم - أيها الكافرون - بسبب أنكم كنتم إذا دُعِيتُم لتوحيد الله وإخلاص العمل له كفرتم به، وإن يُجْعَلْ لله شريك تُصَدِّقُوا به وتبغوه. فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو الذي له علو الذات والقدْر والقهر، وله الكبرياء والعظمة.

(١٣) هو الذي يُظْهِرُ لكم - أيها الناس - قدرته بما تشاهدونه من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها، ويُزِيلُ لكم من السماء مطراً تُرْتَفِقُونَ به، وما يتذكر هذه الآيات إلا من يرجع إلى طاعة الله، ويخلص له العبادة.

(١٤) فأخلصوا - أيها المؤمنون - لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكتهم، ولو أغضبهم ذلك، فلا تبالوا

(١٥) إن الله هو العليُّ الأعلى الذي ارتفعت درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وهو صاحب العرش العظيم، ومن رحته عباده أن يرسل إليهم رسلاً يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به، فيكونون على بصيرة من أمرهم؛ لتخوف الرسل عباد الله، وتذريهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون.

(١٦) يوم القيامة تظهر الخلائق أمام ربهم، لا يخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا شيء، يقول الله سبحانه: لمن الملك والتصرف في هذا اليوم؟ فيجيب نفسه: الله المتفرد بأسائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر جميع الخلائق بقدرته وعزته.

الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِصَةَ الْعَيْنِ وَمَخِيطَةَ الْبُصْدِ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقُلُورَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

(١٧) اليوم تثاب كل نفس بما كسبت في الدنيا من خير وشر، لا ظلم لأحد اليوم بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته. إن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب، فلا تستبطئوا ذلك اليوم؛ فإنه قريب.

(١٨) وحذر - أيها الرسول - أيها الناس من يوم القيامة القريب، وإن استبعدوه، إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله قد ارتفعت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم، وهم ممتلئون غيًّا وحنانًا. ما للظالمين من قريب ولا صاحب، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

(١٩) يعلم الله سبحانه ما تختلسه العيون من نظرات، وما يضمرة الإنسان في نفسه من خير أو شر.

(٢٠) والله سبحانه يقضي بين الناس بالعدل فيما يستحقونه، والذين يعبدون من دونه الله من الآفة لا يقضون بشيء؛ لعجزهم عن ذلك. إن الله هو السميع لأقوال خلقه، البصير بأفعالهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

(٢١) ألم يبيّر هؤلاء المكذبون برسالتك - أيها الرسول - في الأرض، كيف كان خاتمة الأمم السابقة قبلهم؟ كانوا أشد منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً، فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم، فأخذهم الله بعقوبته؛ بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام، وما كان لهم من عذاب الله من واق يقيهم منه، فيدفعه عنهم.

(٢٢) ذلك العذاب الذي حلّ بالمكذبين السابقين، كان بسبب موقفهم من رسل الله الذين جاؤوا بالدلائل القاطعة على صدق دعواهم، فكفروا بهم وكذبوهم، فأخذهم الله بعقابه، إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه.

(٢٣) ولقد أرسلنا موسى بآياناته العظيمة الدالة على حقيقة ما أرسل به، وحجة واضحة بينة على صدقه في دعوته، وبطلان ما كان عليه من أرسل إليهم.

(٢٤) إلى فرعون ملك «مصر»، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، فأنكروا رسالته واستكبروا، وقالوا عنه: إنه ساحر كذاب، فكيف يزعم أنه أرسل للناس رسولا؟

(٢٥) فلما جاء موسى فرعون وهامان وقارون بالمعجزات الظاهرة من عندنا، لم يكفوا بمعارضتها وإنكارها، بل قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق. وما تدبير أهل الكفر إلا في ذهاب وهلاك.

(٢٦) وقال فرعون لأشرف قومه: اتركوني أقتل موسى، ولیدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه مني، إني أخاف أن يُبدّل دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يُظهِر في أرض «مصر» الفساد.

(٢٧) وقال موسى لفرعون وملئه: إني استعجرت بربي وربكم - أيها القوم - من كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه.

(٢٨) وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون، يكتُم إيمانه منكمراً على قومه: كيف تستحلون قتل رجل لا جرم له عندكم إلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبراهين القاطعة من ربكم على صدق ما يقول؟ وإن يك موسى كاذباً فإنّ وبالشك كذبه عائد عليه وحده، وإن يك صادقاً لحقكم بعض الذي يتوعدكم به، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز للحد، بترك الحق والإقبال على الباطل، كذاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُولُ لَكُمْ
الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ
إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَقَوْمِ الْآدِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ
مَنْ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ عَصِيرٍ وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

(٢٩) يا قوم لكم السلطان اليوم ظاهرين في أرض «مصر» على رعيتمكم من بني إسرائيل وغيرهم، فمن يدفع عنا عذاب الله إن حلّ بنا؟ قال فرعون لقومه مجيباً: ما أريكم - أيها الناس - من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً، وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب.

(٣٠) وقال الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه واعظاً ومخبراً: إني أخاف عليكم إن قتلتم موسى، مثل يوم الأحزاب الذين تحزّبوا على أنبيائهم.

(٣١) مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود ومن جاء بعدهم في الكفر والتكذيب، أهلكتهم الله بسبب ذلك. وما الله سبحانه يريد ظلماً للعباد، فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه. تعالى الله عن الظلم والنقص علواً كبيراً.

(٣٢) ويا قوم إني أخاف عليكم عقاب يوم القيامة، يوم ينادي فيه بعض الناس بعضاً؛ من هول الموقف في ذلك اليوم.

(٣٣) يوم تولون ذاهبين هارين، ما لكم من الله من مانع يمنعكم وناصر ينصركم. ومن يجذله الله ولم يوفقه إلى رشد، فما له من هاد يهديه إلى الحق والصواب.

وَلَقَدْ جَاءَكَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ يَا بَيْتُكَ فَمَا زِلْتُمْ فِي
شَكِّكُمْ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَكَاءُ فَلْتَرُنَّ يَبْعَثُ اللَّهُ
مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكِبٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَهْمَكُنْ أَنْ لِي صَرَخَاتِي أَلْعَلَّ أَبْلَغُ الْأَسَدِّبِ ﴿٣٦﴾ أَتَسَدِّبُ
الْأَسْمُونَ فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَذِبُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ
يَلْقَوُا أَتَّعْبُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَلْقَوُ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعْ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّا زَكَرْنَا أَنَّهُ لَهُ مُؤْمِنٌ فَلْيُتَبَّكْ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(٣٤) ولقد أرسل الله إليكم النبي الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، فما زلتم مرتابين مما جاءكم به في حياته، حتى إذا مات ازداد شككم وشرككم، وقتلتم: إن الله لن يرسل من بعده رسولاً، مثل ذلك الضلال يُضِلُّ الله كل متجاوز للحق، شكاً في وحدانية الله تعالى، فلا يوفقه إلى الهدى والرشاد.

(٣٥) الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة، كبر ذلك الجدال مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا، كما حُتِمَ بالضلال وحُجِبَ عن الهدى قلوب هؤلاء المخاصمين، يَحْتَمِ الله على قلب كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

(٣٦، ٣٧) وقال فرعون مكذباً لموسى في دعوته إلى الإقرار برب العالمين والتسليم له: يا هامان ابني لي بناءً عظيماً؛ لعلِّي أبلغ أبواب السموات

وما يوصلني إليها، فأنظرَ إلى إله موسى بنفسِي، وإني لأظن موسى كاذباً في دعواه أن لنا رباً، وأنه فوق السموات، وهكذا زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ عمله السيئ فوَّاه حسناً، وَصُدَّ عن سبيل الحق؛ بسبب الباطل الذي زَيْنَ له، وما احتيال فرعون وتدبيره لإيهام الناس أنه محق، وموسى مبطل إلا في خسار ويوار، لا يفيدُه إلا الشقاء في الدنيا والآخرة.

(٣٨) وقال الذي آمن معيذاً نصيحته لقومه: يا قوم اتبعون أهدكم طريق الرشد والصلواب.

(٣٩) يا قوم إن هذه الحياة الدنيا يتنعم الناس فيها قليلاً، ثم تنقطع وتزول، فينبغي ألا تَرَكَنَا إليها، وإن الدار الآخرة بها فيها من النعيم المقيم هي محل الإقامة التي تستقرون فيها، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها العمل الصالح الذي يُسعدكم فيها.

(٤٠) من عصي الله في حياته وانحرف عن طريق الهدى، فلا يُجْزَى في الآخرة إلا عقاباً يساوي معصيته، ومن أطاع الله وعمل صالحاً بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ذَكَرْنَا أن أو أنثى، وهو مؤمن بالله موحد له، فأولئك يدخلون الجنة. يرزقهم الله فيها من ثمارها ونعيمها ولذاتها بغير حساب.

(٤١) وبما قوم أدعوكم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله موسى، وهي دعوة تنتهي بكم إلى الجنة والبعد عن أهوال النار، وأنتم تدعونني إلى عمل يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته في النار؟ (٤٢) تدعونني لأكفر بالله، وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق العبادة من دونه - وهذا من أكبر الذنوب وأقبحها - وأنا أدعوكم إلى الطريق الموصل إلى الله العزيز في انتقامه، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته.

(٤٣) حقاً أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به لا يستحق الدعوة إليه، ولا يلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة لعجزه ونقصه، واعلموا أن مصير الخلاق كلها إلى الله سبحانه، وهو يجازي كل عامل بعمله، وأن الذين تعدوا حدوده بالمعاصي وسفك الدماء والكفر هم أهل النار.

(٤٤) فلما نصحبهم ولم يطيعوه قال لهم: فتذكرون أي نصحت لكم وذكركم، وسوف تندمون حيث لا ينفع الندم، وألجأ إلى الله، وأعتصم به، وأتوكل عليه. إن الله سبحانه

وَيَدْعُوهُمْ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّارِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفُورِ ۖ لَا جَرَمَ لَنَا ۖ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى الْمُشْرِكِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَافٍ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ۖ هَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا ۖ ضِعُفًا ثَلَاثِينَ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ فِيهَا آلَ اللَّهِ فَدَحَاكُمْ بِبَيْتِ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ

وتعالى بصير بأحوال العباد، وما يستحقونه من جزاء، لا يخفى عليه شيء منها.

(٤٥) فوقى الله سبحانه ذلك الرجل المؤمن الموفق عقوبات مكر فرعون وآله، وحلَّ بهم سوء العذاب حيث أغرقهم الله عن آخرهم.

(٤٦) لقد أصابهم الغرق أولاً وهلكوا، ثم يُعذبون في قبورهم حيث النار، يُعرضون عليها صباحاً ومساءً إلى وقت الحساب، ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون النار؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء. وهذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر.

(٤٧) وإذ يتخاصم أهل النار، ويعتاب بعضهم بعضاً، فيحثُّ الأتباع المقلدون على رؤسائهم المستكبرين الذين أضلُّوهم، وزَيَّنوا لهم طريق الشقاء، قائلين لهم: هل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار بتحملكُم قسماً من عذابنا؟

(٤٨) قال الرؤساء المستكبرون مبينين عجزهم: لا تحمل عنكم شيئاً من عذاب النار، وكلنا فيها، لا خلاص لنا منها، إن الله قد قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحق كل منا بقضائه العادل.

(٤٩) وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء لحزنة جهنم: ادعوا ربكم يُخَفِّفْ عَنَّا يوماً واحداً من العذاب؛ كي نحصل لنا بعض الراحة.

قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ نَأْتِيكُم بِرُسُلِكُمْ بِالتَّيْدِ قَالُوا بَلَى
قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٥٠
إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ٥١ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ
وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَى وَأَوْزَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ٥٣ هُدًى
وَفَضْلًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ٥٤ فَأَصْرَفَتْ وَعْدَ اللَّهِ
حَقًّا وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَسَيِّحُ بِحَمْدِكَ بِأَلْسِنَةٍ
وَالْإِنْكَارِ ٥٥ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ
يَعْتَرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُمْ بِبَلِيغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ٥٦ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٥٨

(٥٠) قال خزنة جهنم لهم توبيخاً: هذا الدعاء لا ينفعكم في شيء، أولم تأتكم رسلكم بالحجج الواضحة من الله فكذبتموه؟ فاعترف الجاحدون بذلك وقالوا: بلى. فتبرأ خزنة جهنم منهم وقالوا: نحن لا ندعو لكم، ولا نشفع فيكم، فادعوا أنتم، ولكن هذا الدعاء لا يغني شيئاً؛ لأنكم كافرون. وما دعا الكافرين إلا في ضياع لا يقبل، ولا يستجاب.

(٥١) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ونؤيدهم على مَنْ آذاهم في حياتهم الدنيا، ويوم القيامة، يوم تشهد فيه الملائكة والأنبياء والمؤمنون على الأمم التي كذبت رسلها، فتشهد بأن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم.

(٥٢) يوم الحساب لا يتفجع الكافرون الذين تعدوا حدود الله بما يقدمونه من عذر لتكذيبهم رسل الله، ولهم الطرد من رحمة الله، ولهم الدار السيئة في الآخرة، وهي النار.

(٥٣، ٥٤) ولقد آتينا موسى ما يهدي إلى الحق

من التوراة والمعجزات، وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة خلفاً عن سلف، هادية إلى سبيل الرشاد، وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

(٥٥) فاصبر - أيها الرسول - على أذى المشركين، فقد وعدناك بإعلاء كلمتك، ووعدنا حق لا يتخلف، واستغفر لذنبك، ودمٌ على تنزيه ربك عما لا يليق به، في آخر النهار وأوله.

(٥٦) إن الذين يدفعون الحق بالباطل، ويردُّون الحجج الصحيحة بالشُّبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، ليس في صدور هؤلاء إلا تكبر عن الحق؛ حسداً منهم على الفضل الذي آتاه الله نبيه، وكرامة النبوة التي أكرمهم بها، وهو أمر ليسوا بمدركيه ولا ناثليه، فاعتصم بالله من شرهم؛ إنه هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

(٥٧) لَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هيِّن على الله.

(٥٨) وما يستوي الأعْمَى والبصير، وكذلك لا يستوي المؤمنون الذين يُقِرُّون بأن الله هو الإله الحق لا شريك له، ويستجيبيون لرسله ويعملون بشرعه، والجاحدون الذين ينكرون أن الله هو الإله الحق، ويكذبون رسله، ولا يعملون بشرعه. قليلاً ما تذكرون - أيها الناس - حجج الله، فتعترون، وتعظون بها.

(٥٩) إن الساعة لأتية لا شك فيها، فأيقنوا بمجيئها، كما أحرث بذلك الرسل، ولكن أكثر الناس لا يُصدّقون بمجيئها، ولا يعملون لها.
(٦٠) وقال ربكم - أيها العباد - ادعوني وحدي وخصّوني بالعبادة أستجب لكم، إن الذين يتكبرون عن إفرادي بالعبودية والألوهية، سيدخلون جهنم صاغرين حقيرين.

(٦١) الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه وتحققوا راحتكم، والنهار مضيئاً؛ لتضئوا فيه أمور معاشكم. إن الله لذو فضل عظيم على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون له بالطاعة وإخلاص العبادة.

(٦٢) الذي أنعم عليكم بهذه النعم إنما هو ربكم خالق الأشياء كلها، لا إله يستحق العبادة غيره، فكيف تعدلون عن الإيمان به، وتعبدون غيره من الأوثان، بعد أن تبينت لكم دلائله؟

(٦٣) كما كذّبتم بالحق - ياكفار فريش - وأعرضتم عنه إلى الباطل، يُصرف عن الحق

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّارَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا هُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَبَارِكُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

والإيمان به الذين كانوا بحجج الله وأدلته يمجحدون.

(٦٤) الله الذي جعل لكم الأرض؛ لتستقروا فيها، ويسر لكم الإقامة عليها، وجعل السماء سقفا للأرض، وبث فيها من العلامات الهادية، وخلقكم في أكمل هيئة وأحسن تقويم، وأنعم عليكم بحلال الرزق ولذيذ المطاعم والمشارب، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو ربكم، فتكاثر خيره وفضله وبركته، وتنزه عمّا لا يليق به، وهو ربّ الخلائق أجمعين.

(٦٥) هو الله سبحانه الحي الذي له الحياة الكاملة التامة لا إله غيره، فاسألوه واصرفوا عبادتكم له وحده، مخلصين له دينكم وطاعتكم. فالحمد لله والثناء الكامل له رب الخلائق أجمعين.

(٦٦) قل - أيها الرسول - لمشركي قومك: إني نُهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، لمّا جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وأمرني أن أخضع وأنقاد بالطاعة التامة له، سبحانه رب العالمين.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ تَكُونُوا سُيُوفًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ الْإِنْسَانِ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آتَيْنَا آلَهُمْ الْكِتَابَ وَبِهَا آرَاسْنَا بِهِمْ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ إِذَا الْأَغْصَانُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّيْلُ يَسْحَبُونَ ﴿٣٩﴾ فِي الْحَجِيرِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا قِيلَ لَكُمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٤٣﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا قَدْ قُدِّرَ لَكُمْ أَلْتُمْ كَذِبِينَ ﴿٤٤﴾ فَأَصْبِرُوا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكُمْ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكُمْ فَأَلَيْنَا بَرَجَعُونَ ﴿٤٥﴾

(٦٧) هو الله الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم أوجدكم من المني بقدرته، وبعد ذلك تنتقلون إلى طور الدم الغليظ الأحمر، ثم تجري عليكم أطوار متعددة في الأرحام، إلى أن تولدوا أطفالاً صغاراً، ثم تقوى ينشئكم إلى أن تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا هذه الأطوار المقدرة أجلاً مسمى تنتهي عنده أعماركم، ولعلكم تعقلون حجج الله عليكم بذلك، وتتدبرون آياته، فتعرفون أنه لا إله غيره يفعل ذلك، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له. (٦٨) هو سبحانه المتفرد بالإحياء والإماتة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول له: «كن»، فيكون، لا رادّ لقضائه.

(٦٩) ألا تعجب -أيها الرسول- من هؤلاء المكذّبين بآيات الله يخاضعون فيها، وهي واضحة الدلالة على توحيد الله وقدرته، كيف يعدلون عنها مع صحتها؟ وإلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

(٧٠-٧٢) هؤلاء المشركون الذين كذبوا بالقرآن والكتب السماوية التي أنزلها الله على

رسله لهداية الناس، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم حين تجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، وتسحبهم بآنية العذاب في الماء الحار الذي اشتدّ غليانه وحرّه، ثم في نار جهنم يوقد بهم.

(٧٣، ٧٤) ثم قيل لهم توبيحاً، وهم في هذه الحال التعيسة: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ فادعوهم؛ لينفذوكم من هذا البلاء الذي حلّ بكم إن استطاعوا، قال المكذبون: غابوا عن عيوننا، فلم ينفعونا بشيء، ويعترفون بأنهم كانوا في جهالة من أمرهم، وأن عبادتهم لهم كانت باطلة لا تساوي شيئاً، كما أضل الله هؤلاء الذين ضلّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله، يضل الله الكافرين به.

(٧٥) ذلكم العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما كنتم عليه في حياتكم الدنيا من غفلة، حيث كنتم تفرحون بما تفرحونه من المعاصي والآثام، وبما أنتم عليه من الأثر والبطر والبغي على عباد الله.

(٧٦) ادخلوا أبواب جهنم عقوبة لكم على كفركم بالله ومعصيتكم له خالدين فيها، فبئس جهنم نزلاً للمتكبرين في الدنيا على الله.

(٧٧) فاصبر -أيها الرسول- وامض في طريق الدعوة، إن وعد الله حق، وسيُنجز لك ما وعدك، فإما نريك في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفيتك قبل أن يحلّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

(٧٨) ولقد أرسلنا من قبلك - أيها الرسول رسلاً كثيرين إلى قومهم يدعونهم، ويصبرون على أذاهم: منهم من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك، وكلهم ما مورون بتبليغ وحي الله إليهم. وما كان لأحد منهم أن يأتي بأية من الآيات الحسية أو العقلية إلا بإذن الله ومشيته، فإذا جاء أمر الله بعذاب المكذبين قُضي بالعدل بين الرسل ومكذبيهم، وخسر هنالك المبطلون؛ لافترائهم على الله الكذب، وعبادتهم غيره.

(٧٩، ٨٠) الله سبحانه هو الذي جعل لكم الأنعام؛ لتنتفعوا بها: من منافع الركوب والأكل وغيرها من أنواع المنافع، ولتبلغوا بالحمولة على بعضها حاجة في صدوركم من الوصول إلى الأقطار البعيدة، وعلى هذه الأنعام تُحْمَلُونَ في البرية، وعلى السفن في البحر تُحْمَلُونَ كذلك. (٨١) ويرىكم الله تعالى دلائله الكثيرة الواضحة الدالة على قدرته وتدبيره في خلقه، فأي آية من آياته تنكرونها، ولا تعترفون بها؟

(٨٢) أفلم يَسِرْ هؤلاء المكذبون في الأرض

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرُسُلِنَا أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكِنَّ فِيهَا لَمَنْفَعٌ وَلِتَبْتَغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاتَى ءَايَتِ اللَّهِ تَنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمَّا بِلِلَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَفْعَلُونَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَأَلَتْ لَّهُ الْآلِي مَا خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

ويتفكروا في مصارع الأمم المكذبة من قبلهم، كيف كانت عاقبتهم؟ وكانت هذه الأمم السابقة أكثر منهم عدداً وعدة وأثاراً في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونه حين حلَّ بهم بأس الله. (٨٣) فلما جاءت هؤلاء الأمم المكذبة رسلها بالدلائل الواضحات، فرحوا جهلاً منهم بما عندهم من العلم المناقض لما جاءت به الرسل، وحلَّ بهم من العذاب ما كانوا يستعجلون به رسلهم على سبيل السخرية والاستهزاء. وفي الآية دليل على أن كل علم يناقض الإسلام، أو يقدح فيه، أو يشكك في صحته، فإنه مذموم محقوت، ومعتقد ليس من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

(٨٤) فلما رأوا عذاباً أقروا حين لا ينفع الإقرار، وقالوا: آمنا بالله وحده، وكفنا بما كنا به مشركين في عبادة الله. (٨٥) فلم يك ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا؛ وذلك لأنه إيمان قد اضطروا إليه، لا إيمان اختيار ورغبة، سنة الله وطريقته التي سنّها في الأمم كلها لا ينفعها الإيمان إذا رأوا العذاب، وهلك عند مجيء بأس الله الكافرون برهم، الجاحدون توحيد حديده وطاعته.

﴿سورة فصلت﴾

(١) ﴿حَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٢) هذا القرآن الكريم تنزيل من الرحمن الرحيم، نزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) كتاب بُيِّنَتْ آياته تمام البيان، ووُضِّحت معانيه وأحكامه، قرآناً عربياً ميسراً يفهمه لقوم يعلمون اللسان العربي.

(٤) بشيراً بالثواب العاجل والآجل لمن آمن به وعمل بمقتضاه، ونذيراً بالعقاب العاجل والآجل لمن كفر به، فأعرض عنه أكثر الناس، فهم لا يسمعون له سماع قبول وإجابة.

(٥) وقال هؤلاء المعرضون الكافرون للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: قلونا في أغطية مانعة لنا من فهم ما تدعوننا إليه، وفي آذاننا صمم فلا نسمع، ومن بيننا وبينك -يا محمد- ساتر يحجبنا عن إجابة دعوتك، فاعمل على وفق دينك، كما أننا عاملون على وفق ديننا.

(٦، ٧) قل لهم -أيها الرسول-: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهمكم الذي يستحق العبادة إله واحد لا شريك له، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا مغفرته. وهلاك وعذاب للمشركين الذين عبدوا من دون الله أو ثأناً لا تنفع ولا تضر، والذين لم يظهروا أنفسهم بتوحيد ربهم، والإخلاص له، ولا يؤدّون الصدقة إلى مستحقها، فلا إخلاص منهم للخالق ولا نفع فيهم للخلق، وهم لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار.

(٨) إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة فخلصهم الله فيها، لهم ثواب عظيم غير مقطوع ولا ممنوع.

(٩) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين موبخاً هم ومتعجباً من فعلهم: أنكم لتكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين اثنين، وتجعلون له نظراً وشركاء تعبدونهم معه؟ ذلك الخالق هو رب العالمين كلهم.

(١٠) وجعل سبحانه في الأرض جبالاً ثوابت من فوقها، وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها، وقدر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش في تمام أربعة أيام: يومان خلق فيها الأرض، ويومان جعل فيها رواسي وقدر فيها أقواتها، سواء للسائلين أي: لمن أراد السؤال عن ذلك؛ ليعلمه.

(١١) ثم استوى سبحانه وتعالى، أي قصد إلى السماء وكانت دخاناً من قبل، فقال للساء وللأرض: انقادا لأمرى مختارتين أو مجبرتين. قالتا: أتينا مدعيتين لك، ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.

(١٢) ففَضَّلَ اللهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَتَسْوِيَتِهِنَّ فِي يَوْمَيْنِ، فَمَثَلُ ذَلِكَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لِحِكْمَةِ يَعْلَمُهَا اللهُ، مَعَ قُدْرَتِهِ سَبْحَانَهُ عَلَى خَلْقِهَا فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَاءٍ مَا أَرَادَهُ وَمَا أَمَرَ بِهِ فِيهَا، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ الْمُضِيئَةِ، وَحَفَظَهَا لَهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ، ذَلِكَ الْخَلْقُ الْبَدِيعُ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ فِي مَلِكِهِ، الْعَلِيمِ الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

(١٣) فَإِنَّ أَعْرَضَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بَعْدَمَا بُيِّنَ لَهُمْ مِنْ أَوْصَافِ الْقُرْآنِ الْحَمِيدَةِ، وَمِنْ صِفَاتِ إِلَهِ الْعَظِيمِ، فَقُلْ لَهُمْ: قَدْ أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا يَسْتَأْصِلُكُمْ مِثْلَ عَذَابِ عَادٍ وَثَمُودَ حِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَعَصَوْا رِسْلَهُ.

(١٤) حِينَ جَاءَتْ الرُّسُلَ عَادًا وَثَمُودَ، يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مُتَوَالِينَ، يَأْمُرُونَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالُوا لِرُسُلِهِمْ: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا أَنْ نُوَحِّدَهُ وَلَا نَعْبُدَ مِنْ دُونِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ، لَأَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَائِكَةً مِنَ السَّمَاءِ رُسُلًا بِهَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ،

فَفَضَّلَهُنَّ سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحَفَظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَبْعَةً مِثْلَ صَبْعَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا تَوَشَّاهُمْ رَبَّنَا لِأَنْزَلِ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَحْصُورَاتٍ لِيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَبْعَةٌ الْعَذَابِ أَلْهَوْا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا فِي الشُّكِّ وَوَعَدْنَا لَدُنَّ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

وَلَمْ يَرْسَلْكُمْ وَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا، فَإِنَّا بِمَا أَرْسَلَكُمْ اللَّهُ بِهِ إِلَيْنَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ جَاحِدُونَ.

(١٥) فَأَمَّا عَادُ قَوْمٌ هُودٌ فَقَدْ اسْتَعْلَوْا فِي الْأَرْضِ عَلَى الْعِبَادِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَالُوا فِي غُرُورٍ: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَيُطَشِّأُ؟ وَكَانُوا بَادِلَتَنَا وَحُجَجَنَا يَجْحَدُونَ.

(١٦) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا شَدِيدَةً الْبُرْدَةِ عَالِيَةِ الصَّوْتِ فِي أَيَّامٍ مَشْهُومَاتٍ عَلَيْهِمْ؛ لِيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الذِّلِّ وَالْهَوَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ ذَلًّا وَهَوَانًا، وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ بِمَنْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ.

(١٧) وَأَمَّا ثَمُودُ قَوْمٌ صَالِحٌ فَقَدْ بَيَّنَّا لَهُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَطَرِيقَ الرُّشْدِ، فَاخْتَارُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى، فَأَهْلَكْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْمُهِنِ؛ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ مِنَ الْإِثَامِ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رِسْلَهُ.

(١٨) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَخَذَ عَادًا وَثَمُودَ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّاجُونَ يُخَافُونَ اللَّهَ وَيَتَّقُونَهُ.

(١٩) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ تَرَدُّ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ أَوْهَمَ عَلَى آخِرِهِمْ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوا النَّارَ، وَأُكْثِرُوا جَرَائِمَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْإِثَامِ.

وَقَالُوا لَوْلَا دَعْوَةُ شَيْءٍ لَشَفَعْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ شَهِدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ رَائِمَاتٍ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ فَاصِبًا حَتَّىٰ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣﴾ إِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا فَمَأْوَاهُمْ مِنَ النَّارِ ﴿١٤﴾ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِي آيَاتِهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿١٦﴾ فَلَنْ يَغْلِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنْ يُنْفِخَهُمْ أَسْمُومٌ أَذْيٌ كَذَلِكَ جَزَاءُ أَعدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْآخِرَةِ يَمَّا كَانُوا يَعْبَتُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمُ امْتَحَنًا أَدْمِيتُمْ لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٨﴾

(٢١) وقال هؤلاء الذين يُخشرون إلى النار من أعداء الله جلودهم معاتين: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ فَأَجَابْتَهُمْ جلودهم: أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وهو الذي خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئاً، وإليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء.

(٢٢، ٢٣) وما كنتم تَسْتَعِثُّونَ عند ارتكابكم المعاصي؛ خوفاً من أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم يوم القيامة، ولكن ظننتم بارتكابكم المعاصي أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالكم التي تعصون الله بها. وذلكم ظنكم السيئ الذي ظننتموه بربكم أهلكم، فأوردكم النار، فأصبحتم اليوم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم.

(٢٤) فإن يصبروا على العذاب فالنار مأواهم، وإن يسألوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليستأنفوا العمل الصالح لا يجابوا إلى ذلك، ولا تُقبل لهم أَعْدَارُ (٢٥) وهبأنا هؤلاء الظالمين الجاحدين قراء

فاسدين من شياطين الإنس والجن، فزينوا لهم قبائح أعمالهم في الدنيا، ودعَوْهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة، وزَيَّنَّا لهم ما خَلَفَهُم من أمور الآخرة، فأنسوهم ذكراً، ودعَوْهم إلى التكذيب بالمعاد، وبذلك استحقوا دخول النار في جملة أُمَمٍ سابقة من كفر الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين أعمالهم في الدنيا وأنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

(٢٦) وقال الكافرون بعضهم لبعض متواصين فيما بينهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، ولا تطيعوه، ولا تنقادوا لأوامره، وارفَعُوا أصواتكم بالصياح والصفير والتخليط على محمد إذا قرأ القرآن؛ لعلكم تغلبونه، فيترك القراءة، وننتصر عليه.

(٢٧) فلنذيقن الذين قالوا هذا القول عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة، ولنجزينهم أسوأ ما كانوا يعملون من السيئات.

(٢٨) هذا الجزء الذي يُجْزَى به هؤلاء الذين كفروا جزاء أعداء الله النار، لهم فيها دار الخلود الدائم؛ جزاء بما كانوا يحجبنا وأدلتنا يمحذون في الدنيا. والآية دالة على عظم جريمة من صرف الناس عن القرآن العظيم، وصدَّهم عن تدبره وهدايته بأي وسيلة كانت.

(٢٩) وقال الذين كفروا بالله ورسوله، وهم في النار: ربنا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا من خلقك من الجن والإنس نجعلهم تحت أقدامنا؛ ليكونوا في الدرك الأسفل من النار.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا اسْتَزَلَّ عَلَيْهِمُ
 الْمَلَائِكَةُ الْأَسْفُلُ وَأَلْخَسُوا الْأَنْفُسَ بِالْجَنَّةِ
 أَلْقَى كُتُبَهُ فَنُودُوا ۝ تَحْنُ أُولَآئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ
 فِيهَا مَا نَدَعُونَ ۝ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ
 قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعَ
 بِالْأُخْرَى هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
 وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا
 إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَلَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْجٌ
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
 وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
 إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
 رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ ۝

(٣٠) إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تخزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها.

(٣١، ٣٢) وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسدكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، ولكم في الجنة كل ما تشتهي أنفسكم مما تختارونه، وتقربه أعينكم، ومهما طلبتم من شيء وجدتموه بين أيديكم ضيافة وإنعاماً لكم من غفور لذنوبكم، رحيم بكم.

(٣٣) لا أحد أحسن قولاً من دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين المتقادين لأمر الله وشرعه. وفي الآية حث على الدعوة إلى الله سبحانه، وبيان فضل العلماء الداعين إليه على بصيرة، وفق ما جاء عن

رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣٤، ٣٥) ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره، وأسأوا إلى خلقه. ادفع - أيها الرسول - بعفوك وحلمك وإحسانك من أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه قريب لك شقيق عليك. وما يؤقن هذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على المكاره والأذى، وحملوا أنفسهم على ما يحبه الله، وما يؤقن لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة. (٣٦) وإما يلقين الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازة المسيء بالإساءة، فاستجبر بالله واعتصم به، إن الله هو السميع لاستعدادك به، العلم بأمر خلقه جميعها.

(٣٧) ومن حجج الله على خلقه، ودلائله على وحدانيته وكمال قدرته اختلاف الليل والنهار، وتعاقبها، واختلاف الشمس والقمر وتعاقبها، كل ذلك تحت تسخير وقهره. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر - فإنها مديران مخلوقان - واسجدوا لله الذي خلقهن، إن كنتم حقاً متقادين لأمره، سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

(٣٨) فإن استكبر هؤلاء المشركون عن السجود لله، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، بل يسبحون له، وينزهونه عن كل نقص بالليل والنهار، وهم لا يفترّون عن ذلك، ولا يملون.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 أَهْزَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهَا فَمَنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَبِيرٌ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ مِمَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزُونَ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَنِيدٍ ۝ مَا نَقُلُكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
 لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنْ رَزَقْتَ لَذَوَّ مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝
 ۱۳ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
 ءَأَعَجَبِي وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هَدَىٰ وَبَشَاءٌ لِّلَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقَدْ هَوَّاهُمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ
 يُتَادَرُونَ مِمَّا كَانُ يَعْبُدُونَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِّصَ
 بَيْنَهُمْ وَلَئِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ مَّنْ عَمِلْ صَالِحًا
 فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا تُرِكَ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝

(٣٩) ومن علامات وحدانية الله وقدرته: أنك ترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت فيها الحياة، وتحركت النباتات، وانتفخت وعلت، إن الذي أحيا هذه الأرض بعد همودها، قادر على إحياء الخلق بعد موتهم، إنه على كل شيء قدير، فكما لا تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، فكذلك لا تعجز عن إحياء الموتى.

(٤٠) إن الذين يميلون عن الحق، فيكفرون بالقرآن ويحرفونه، لا يَخْفَوْنَ علينا، بل نحن مُطَّلَعُونَ عليهم. أفهذا الملحد في آيات الله الذي يُلقى في النار خبير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمناً من عذاب الله، مستحقاً لثوابه؛ لإيانه به وتصديقه بآياته؟ اعملوا -أيها الملحدون- ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك. وفي هذا وعيد وتهديد لهم.

(٤١، ٤٢) إن الذين جحدوا بهذا القرآن وكذبوا به حين جاءهم هالكون ومعذبون، وإن هذا القرآن لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه وحفظه له من كل تغيير أو تبديل، لا يأتيه الباطل من أي

ناحية من نواحيه ولا يطلعه شيء، فهو محفوظ من أن يُنقص منه، أو يزداد فيه، تنزيل من حكيم بتدبير أمور عباده، محمود على ما له من صفات الكمال.

(٤٣) ما يقول لك هؤلاء المشركون -أيها الرسول- إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم لرسولهم، فاصبر على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله. إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين، وذو عقاب لمن أصرَّ على كفره وتكذيبه.

(٤٤) ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- أعجمياً، لقال المشركون: هلاً بُيِّنَتْ آياته، فنفقهه ونعلمه. أَعْجَمِي هذا القرآن، ولسان الذي أنزل عليه عربي؟ هذا لا يكون. قل لهم -أيها الرسول-: هذا القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله هدى من الضلالة، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والأمراض، والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم من سماعه وتدبره، وهو على قلوبهم عَمَى، فلا يهتدون به، أولئك المشركون كمن يُنادى، وهو في مكان بعيد لا يسمع داعياً. ولا يجيب منادياً.

(٤٥) ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن فاختلف فيها قومه: فمنهم من آمن، ومنهم من كذب. ولولا كلمة سبقت من ربك بتأجيل العذاب عن قومك لفُصل بينهم بإهلاك الكافرين في الحال، وإن المشركين لفِي شك من القرآن شديد الريبة.

(٤٦) من عمل صالحاً فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله، ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله. ومن ربك بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَائِيَ قَالُوا أَذُنُكَ مَا مِثْلُ مَا مِثْلُ شَهِيدٍ ۖ وَوَضَعْنَاهُ
مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَلُّوا مَا لَهُمُ مِنْ مَّجِيصٍ ۚ
لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاةِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَقُولُ
قَنُوطٌ ۚ وَلَيْنَ أَذْقْنَاهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ صَرَاةٍ مَسَّتهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ فَأَنِمْ وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى
رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلْيَتَلَوْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنُذِيقَهُنَّ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۚ وَإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ
أَعْرَضَ وَنَقَابَ بِنَفْسِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دَعْوَةٍ عَرِيضٍ
ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نَصْرٌ فَكُفِّرْتُمْ بِهِ
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۚ سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا
فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ
فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطُونَ ۚ

(٤٧) إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرجع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعينها، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة توبيخاً لهم وإظهاراً لكذبهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟ قالوا: أعلمناك الآن ما منا من أحد يشهد اليوم أن معك شريكاً.

(٤٨) وذهب عن هؤلاء المشركين شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم، وأيقنوا أن لا ملجأ لهم من عذاب الله، ولا عجنه.

(٤٩) لا يعمل الإنسان من دعاء ربه طالباً للخير الدنيوي، وإن أصابه فقر وشدة فهو يؤوس من رحمة الله، قنوط بسوء الظن بربه.

(٥٠) ولئن أذقنا الإنسان نعمة منا من بعد شدة وبلاء لم يشكر الله تعالى، بل يطفئ ويقول: أتاني هذا؛ لأنني مستحق له، وما أعتقد أن الساعة آتية، وذلك إنكار منه للبعث، وعلى تقدير إتيان الساعة وأناي سأرجع إلى ربي، فإن لي عنده الجنة،

فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا من سيئات، ولنذيقنهم من العذاب الشديد.

(٥١) وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرها أعرض وترفع عن الانقياد إلى الحق، وإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضره، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء.

(٥٢) قل - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم وكذبتهم به، لا أحد أضل منكم؛ لأنكم في خلاف بعيد عن الحق يكفركم بالقرآن وتكذيبكم به.

(٥٣) سترني هؤلاء المكذبين آياتنا من الفتحاح وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وفي أفطار السموات والأرض، وما يجده الله فيها من الحوادث العظيمة، وفي أنفسهم وما اشتملت عليه من بديع آيات الله وعجائب صنعه، حتى يتبين لهم من تلك الآيات بيان لا يقبل الشك أن القرآن الكريم هو الحق الموحى به من رب العالمين. أولم يكنهم دليلاً على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، شهادة الله تعالى؟ فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو على كل شيء شهيد، ولا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه وتعالى.

(٥٤) ألا إن هؤلاء الكافرين في شك عظيم من البعث بعد المات. ألا إن الله - جلّ وعلا - بكل شيء محيط علماً وقدره وعزّه، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿سورة الشورى﴾

(٢، ١) ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

(٣) كما أنزل الله إليك -أيها النبي- هذا القرآن أنزل الكتب والصحف على الأنبياء من قبلك، وهو العزيز في انتقامه، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(٤) لله وحده ما في السموات وما في الأرض، وهو العلي بذاته وقدره وقهره، العظيم الذي له العظمة والكبرياء.

(٥) تكاد السموات يتشققن، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيابة به. ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم.

(٦) والذين اتخذوا غير الله آلهة من دونه يتولونها، ويعبدونها، الله تعالى يحفظ عليهم أفعالهم؛ ليجازيهم بها يوم القيامة، وما أنت -أيها الرسول- بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنها أنت منذر، فعليك البلاغ وعلينا الحساب.

(٧) وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك قرآناً عربياً؛ لتنذر أهل «مكة» ومن حولها من سائر الناس، وتنذر عذاب يوم الجمع، وهو يوم القيامة، لا شك في مجيئه. الناس فيه فريقان: فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله وأتبعوا ما جاءهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وفريق في النار المستعرة، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٨) ولو شاء الله أن يجمع خلقه على الهدى ويجعلهم على ملة واحدة مهتدية لفعل، ولكنه أراد أن يدخل في رحمة من يشاء من خواص خلقه. والظالمون أنفسهم بالشرك ما هم من ولي يتولى أمورهم يوم القيامة، ولا نصير نصيرهم من عقاب الله تعالى.

(٩) بل اتخذ هؤلاء المشركون أولياء من دون الله يتولونهم، فالله وحده هو الولي يتولاه عبده بالطاعة، ويتولّى عباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعانتهم في جميع أمورهم، وهو يحيي الموتى عند البعث، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

(١٠) وما اخترقتم فيه -أيها الناس- من شيء من أمور دينكم، فالحكم فيه مرده إلى الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ذلكم الله ربي وربكم، عليه وحده توكلت في أموري، وإليه أرجع في جميع شؤوني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ عَسَقٌ ١ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٣ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ٤ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ٦ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ٧ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ٨ لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا ٩ وَنُذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ١٠ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ
 يَشَاءُ ١١ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ١٣ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ
 وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٤ وَمَا أَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ١٥ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ١٦

(١١) الله سبحانه وتعالى هو خالق السموات والأرض ومبدعها بقدرته ومشيئته وحكمته، جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام أزواجاً ذكوراً وإناثاً، يكثركم بسبب هذا الزواج بالتوالد، ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن أساءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه من أفعال خلقه وأقوالهم شيء، وسيجزيهم على ذلك.

(١٢) له سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، يوسع رزقه على من يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء، إنه تبارك وتعالى بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

(١٣) شرع الله لكم -أيها الناس- من الدين الذي أوحيناه إليك -أيها الرسول، وهو الإسلام- ما وصى به نوحاً أن يعمل به ويلفغه،

وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى -هؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل على المشهور- أن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون من سواه، ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتكم به، عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له، الله يصطفي للتوحيد من يشاء من خلقه، ويوفق للعمل بطاعته من يرجع إليه.

(١٤) وما تفرقوا المشركون بالله في أديانهم فصاروا شيعاً وأحزاباً إلا من بعدما جاءهم العلم وقامت الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد، ولولا كلمة سبقت من ربك -أيها الرسول- بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، لقضي بينهم بتعجيل عذاب الكافرين منهم. وإن الذين أوردوا التوراة والإنجيل من بعد هؤلاء المختلفين في الحق لفي شك من الدين والإيمان موقع في الريبة والاختلاف المذموم.

(١٥) فإلى ذلك الدين القيم الذي شرعه الله للأنبياء ووصاهم به، فادع -أيها الرسول- عباد الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكوا في الحق وانحرفوا عن الدين، وقل: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، وأمرني ربي أن أعدل بينكم في الحكم، الله ربنا وربكم، لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ولكم جزاء أعمالكم السيئة، لا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم بعدما تبين الحق، الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه، وإليه المرجع والمآب، فيجازي كلأ بما يستحق.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لِيَاسَ كَيْتَابِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسُّطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ
لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَقْرَأُ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيِّنَاتٍ لَّهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّي بَيِّنَاتٌ لِّأَنَّ الَّذِينَ أَوْرُوا
أَلْكَتَبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنصَرِكُمْ فَنُكِبُوا رَبَّكَ لَكَ
فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
ءَامَنْتُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْمَدْعُونَ ﴿١٤﴾
اللَّهُ يَبْنِي وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ
دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ وَبُهِمٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا ذَرَفُوكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
الْآيَاتِ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا فَلْيَافِقْهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَأَنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

(١٦) والذين يجادلون في دين الله الذي أرسلت به محمداً صلى الله عليه وسلم، من بعد ما استجاب الناس له وأسلموا، حجتهم ومجادلتهم باطلة ذاهبة عند ربهم، وعليهم من الله غضب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو النار.

(١٧) الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزل بالصدق، وأنزل الميزان وهو العدل؛ ليحكم بين الناس بالإلصاف. وأي شيء يدريك ويعلمك لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب؟

(١٨) يستعجل بمجيء الساعة الذين لا يؤمنون بها؛ تهكمًا واستهزاء، والذين آمنوا بها خائفون من قيامها، ويعلمون أنها الحق الذي لا شك فيه. ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق.

(١٩) الله لطيف بعباده، يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء وفق حكمته سبحانه، وهو القوي الذي له القوة كلها، العزيز في انتقامه من أهل معاصيه.

(٢٠) من كان يريد بعمله ثواب الآخرة فأدى حقوق الله وأنفق في الدعوة إلى الدين، نزل له في

عمله الحسن، فضاعف له ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة، ومن كان يريد بعمله الدنيا وحدها، نوته منها ما قسمناه له، وليس له في الآخرة شيء من الثواب.

(٢١) بل أهؤلاء المشركون بالله شركاء في شركهم وضلالتهم، ابتدعوا لهم من الدين والشرك ما لم يأذن به الله؟ ولولا قضاء الله وقدره بإهمالهم، وأن لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، لقضى بينهم بتعجيل العذاب لهم. وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجه.

(٢٢) ترى -أيها الرسول- الكافرين يوم القيامة خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمال خبيثة، والعذاب نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة. والذين آمنوا بالله وأطاعوه في بساتين الجنات وقصورها ونعيم الآخرة، لهم ما تستهيه أنفسهم عند ربهم، ذلك الذي أعطاه الله لهم من الفضل والكرامة هو الفضل الذي لا يوصف، ولا تنتدي إليه العقول.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِضْ
 حَسَنَةً نَّزِدْهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ
 أَفَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ
 الْبَاطِلَ وَيُخَوِّدُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
 وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
 وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
 شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ
 وَلَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ
 الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَطُرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
 ﴿٢٨﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي دَأْبٍ
 وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا
 كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْلَمُونَ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

(٢٣) ذلك الذي أخبرتكم به - أيها الناس - من النعيم والكرامة في الآخرة هو البشري التي يبشر الله بها عباده الذين آمنوا به في الدنيا وأطاعوه. قل - أيها الرسول - للذين يشكون في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به عوضاً من أموالكم، إلا أن تؤدوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. ومن يكتسب حسنة نضاعفها له بعشر فصاعداً. إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسانتهم وطاعتهم إياه. (٢٤) بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فجاء بالذي يتلوها علينا اختلاقاً من عند نفسه؟ فإن يشأ الله يطبع على قلبك - أيها الرسول - لو فعلت ذلك. ويذهب الله الباطل فيمحقه، ويحق الحق بكلماته التي لا تتبدل ولا تتغير، ووبعده الصادق الذي لا يتخلف. إن الله عليم بما في قلوب العباد، لا يخفى عليه شيء منه. (٢٥) والله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تصنعون من

خير وشر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم به.

(٢٦) ويستجيب الذين آمنوا بالله ورسوله لربهم لما دعاهم إليه وينقادون له، ويزيدهم من فضله توفيقاً ومضاعفة في الأجر والثواب. والكافرون بالله ورسوله لهم يوم القيامة عذاب شديد موجه مؤلم. (٢٧) ولو بسط الله الرزق لعباده فوسعه عليهم، لبغوا في الأرض أشراً وبطراً، ولطغى بعضهم على بعض، ولكن الله ينزل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفائهم. إنه بعباده خير بما يصلحهم، بصير بتدبيرهم وتصريف أحوالهم. (٢٨) والله وحده هو الذي ينزل المطر من السماء، فيغيثهم به من بعد ما يشسوا من نزوله، وينشر رحمته في خلقه، فيجمعهم بالغيث، وهو الولي الحميد. (٢٩) ومن آياته الدالة على عظمتهم وقدرته وسلطانه، خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيها من أصناف الدواب، وهو على جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا يشاء قدير، لا يتعذر عليه شيء. (٣٠) وما أصابكم - أيها الناس - من مصيبة في دينكم ودنياكم فيما كسبتم من الذنوب والآثام، ويعفو لكم ربكم عن كثير من السيئات، فلا يؤاخذكم بها.

(٣١) وما أنتم - أيها الناس - بمعجزين قدرة الله عليكم، ولا فائتيه، وما لكم من دون الله من وليٍّ يتولى أموركم، فيوصل لكم المنافع، ولا نصير يدفع عنكم المضار.

وَمَنْ آتَيْنَاهُ الْخُورَ فِي الْبَحْرِ كَالْأَخْلَافِ ۚ إِنَّ يَسْأَلُ سِوَاكَ الرِّيحَ
فَيُطَلَّلَنَّ وَكَيْدَكَ عَلَى ظُهُورِهِ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
(٣٣) أَوْ يُوقِنُ أَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَاعِظٌ عَن كَثِيرٍ ۖ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ
يُحَادِّثُونَ فِي آيَاتِنَا لَهُمْ مُجِيبٌ ۖ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ
الْخَبْرَةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَيْبِهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ۖ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَاطِنَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۖ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۖ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبُغْيُ هُمْ يَكْتُمُونَ ۖ رِجْزٌ وَأَسِيقَةٌ سِتَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۖ وَلَمَنِ انْتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۖ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَتَعَدَّونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَىٰ ۖ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ ۖ مَنْ يَبْدُدْهُ وَتَرَى
الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ

(٣٢، ٣٣) ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانته القاهرة السفن العظيمة كالجبال تجري في البحر. إن يشأ الله الذي أجرى هذه السفن في البحر يسكن الريح، فتبث السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري، إن في جري هذه السفن ووقوفها في البحر بقدره الله لعظات وحججاً بيّنة على قدرة الله لكل صبار على طاعة الله، وعن المعاصي، وعلى أقدار الله المؤلمة، شكور لنعمه وأفضاله.

(٣٤) أو يهلك السفن بالفرق بسبب ذنوب أهلها، ويعظ عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها.

(٣٥) ويعلم الذين يهادلون بالباطل في آياتنا الدالة على توحيدنا، ما لهم من محيد ولا ملجأ من عقاب الله، إذا عاقبهم على ذنوبهم وكفرهم به.

(٣٦) فما أوتيتهم -أيها الناس- من شيء من المال أو البين وغير ذلك فهو متاع لكم في الحياة الدنيا، شرعان ما يزول، وما عند الله تعالى من نعيم الجنة المقيم خير وأبقى للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم يتوكلون.

(٣٧) والذين يجتنبون كثراً ما نهى الله عنه، وما فحش وقبح من أنواع المعاصي، وإذا ما غضبوا على من أساء إليهم هم يغفرون الإساءة،

ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلباً لثواب الله تعالى وعفوه، وهذا من محاسن الأخلاق.

(٣٨) والذين استجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيدهم وطاعته، وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها، وإذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه، وما أعطيتهم من الأموال يتصدقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض الله عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة وغير ذلك من وجوه الإنفاق.

(٣٩) والذين إذا أصابهم الظلم هم يتصرون بمن بغى عليهم من غير أن يعتدوا، وإن صبروا ففي عاقبة صبرهم خير كثير.

(٤٠) وجزاء سيئة المسيء عقوبته بسيئة مثلها من غير زيادة، فمن عفا عن المسيء، وترك عقابه، وأصلح الولد بينه وبين المغفوع عنه ابتغاء وجه الله، فأجر عفو ذلك على الله. إن الله لا يحب الظالمين الذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويسئون إليهم.

(٤١) ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه له فاولئك ما عليهم من مؤاخذه.

(٤٢) إنسا المؤاخذه على الذين يتعدون على الناس ظلماً وعدواناً، ويتجاوزون الحد الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض بغير الحق، أولئك لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موعج.

(٤٣) ولمن صبر على الأذى، وقابل الإساءة بالعفو والصفح والستر، إن ذلك لمن عزائم الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي أمر الله بها، ورتب لها ثواباً جزيلاً وثناءً حميداً.

(٤٤) ومن يضلله الله عن الرشاد بسبب ظلمه فليس له من ناصر يهديه سبيل الرشاد. وترى -أيها الرسول- الكافرين بالله يوم القيامة -حين رأوا العذاب- يقولون لربهم: هل لنا من سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟ فلا يجابون إلى ذلك.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِنَ الدَّرِّ يُنْظَرُونَ
 مِنْ ظَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَبِيرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُقْتَبِرٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولِيَّةٍ يُنْصِرُ لَهُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَسْبِلِ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ تَوْرًا لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَهَآ أَرْسَلْنَا عَنْهُمْ خَفِيعًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْعُ وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّبَهُآ وَإِنْ تَضِيعُ سَيِّئُهُ
 يَمَآ قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَقُورٍ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِهَا
 وَيَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْزَرَ وَجْهَهُ ذَكَرْنَا وَإِنَّا
 وَبِجَعْلٍ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَزِيزٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

(٤٥) وتري - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين يُعْرَضُونَ على النار خاضعين متذللين ينظرون إلى النار من طرف ذليل ضعيف من الخوف والهوان. وقال الذين آمنوا بالله ورسوله في الجنة، لَمَّا عَانُوا ما حَلَّ بالكفار من خسران: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين - يوم القيامة - في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم ولا يزول.

(٤٦) وما كان هؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة من أعوان ونصراء ينصرونهم من عذاب الله. ومن فضله الله بسبب كفره وظلمه، فما له من طريق يصل به إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة؛ لأنه قد سَدَّتْ عليه طرق النجاة، فالهداية والإصلاح بيده سبحانه وتعالى دون سواه.

(٤٧) استجيبوا الربكم - أيها الكافرون - بالإيمان والطاعة من قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا يمكن رده، ما لكم من ملجأ يومئذ ينجيكم من العذاب، ولا مكان يستركم، وتنتكرون فيه. وفي الآية دليل على ذم التسويف، وفيها الأمر بالمبادرة إلى كل عمل صالح يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات وموانع.

(٤٨) فإن أعرض هؤلاء المشركون - أيها الرسول - عن الإيمان بالله فما أرسلناك عليهم حافظاً لأعمالهم حتى نحاسبهم عليها، ما عليك إلا البلاغ. وإنَّا إذا أعطينا الإنسان منا رحمة من غنى وسعة في المال وغير ذلك، فَرَحَ وَسُرَّ، وإن تصبهم مصيبة من فقر ومرض وغير ذلك بسبب ما قدمته أيديهم من معاصي الله، فإن الإنسان جحود يعبّد المصائب، وينسى النعم.

(٤٩، ٥٠) الله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيها، يخلق ما يشاء من الخلق، يب لم يشاء من عباده إنثاء لا ذكور معهن، ويب لم يشاء الذكور لا إنثاء معهم، ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل من يشاء عقيلاً لا يولد له، إنه عليم بما يخلق، قدير على خلق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

(٥١) وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه الله إلا وحياً يوحى الله إليه، أو يكلمه من وراء حجاب، كما كَلَّمَ سبحانه موسى عليه السلام، أو يرسل رسولاً، كما ينزل جبريل عليه السلام إلى المرسل إليه، فيوحى بإذن ربه - لا بمجرد هواه - ما يشاء الله بإحاده، إنه تعالى على بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات، حكيم في تدبير أمور خلقه. وفي الآية إثبات صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللاتق بجلاله وعظيم سلطانه.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُحُومًا مَّا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَأَنَّا كَلَّمْتُ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَنَافَى السَّمَوَاتِ وَمَنَافَى الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٤﴾

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥٥﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلَّكُمْ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ أَفَضْرَبَ عَنْكُمُ الذِّكْرُ صَفْحًا
أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥٩﴾ وَكُرْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ
الْأَوَّلِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَاوَأَيُّهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿٦١﴾ فَأَهْلَكْنَاهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٦٢﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٦٣﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾

(٥٢، ٥٣) وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها النبي - أوحينا إليك قرآنًا من عندنا، ما كنت تدري قبله ما الكتب السابقة ولا الإيمان ولا الشرائع الإلهية؟ ولكن جعلنا القرآن ضياء للناس يهدي به من نشاء من عبادنا إلى الصراط المستقيم. وإنك - أيها الرسول - لَتَقْدِّرُ وتُزَيِّدُ بإذن الله إلى صراط مستقيم - وهو الإسلام -، صراط الله الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض، لا شريك له في ذلك. ألا إلى الله - أيها الناس - ترجع جميع أموركم من الخير والشر، فيجازي كلًا بعمله: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

﴿سورة الزخرف﴾

(١) ﴿حَمْدٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
(٢) أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى.
(٣، ٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ؛ لَعَلَّكُمْ تَفْهَمُونَ، وتندبرون معانيه وحججه. وإنه في اللوح المحفوظ لدينا لعلِّي في قدره وشرفه، حكم لا اختلاف فيه ولا تناقض.

(٥) أَفَنُغْرِضُ عَنْكُمْ، ونترك إنزال القرآن إليكم لأجل إعراضكم وعدم انقيادكم، وإسرافكم في عدم الإيمان به؟
(٦-٨) كثيراً من الأنبياء أرسلنا في القرون الأولى التي مضت قبل قومك أيها النبي. وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون كاستهزاء قومك بك، فأهلكنا من كذبوا ورسلنا، وكانوا أشد قوة وبأساً من قومك أيها النبي، ومضت عقوبة الأولين بأن أهلكوا؛ بسبب كفرهم وطغيانهم واستهزائهم بأنبيائهم. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم.
(٩) ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين من قومك: مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ لَيَقُولُنَّ: خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ. بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء.
(١٠) الذي جعل لكم الأرض فراشاً وبساطاً، وسهل لكم فيها طرقاً لمعاشكم ومتاجرهم؛ لكي تهتدوا بتلك السبل إلى مصالحكم الدينية والدنيوية.

(١١) والذي نزل من السماء مطراً بقدر، ليس طوفاناً مغرقاً ولا قاصراً عن الحاجة؛ حتى يكون معاشاً لكم ولأنعامكم، فأحيينا بالماء قطعة واسعة من الأرض مُفْقَرَةً من النبات، كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة النبات والزرع، تُحْرَجُونَ -أيها الناس- من قبوركم بعد فئاتكم.

(١٢) والذي خلق الأصناف كلها من حيوان ونبات، وجعل لكم من السفن ما تركبون في البحر، ومن البهائم كالإبل والحيل والبغال والحمير ما تركبون في البر.

(١٣، ١٤) لكي تستوا على ظهور ما تركبون، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا ركبتم عليه، وتقولوا: الحمد لله الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مطيقين، ولتقولوا أيضاً: وإنا إلى ربنا بعد عانتنا لصاترون إليه راجعون.

وفي هذا بيان أن الله النعم على عباده بنشئ النعم، هو المستحق للعبادة في كل حال.

(١٥) وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيباً، وذلك قولهم للملائكة: بنات الله. إن الإنسان لجحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه، مُظْهِر لجحوده وكفره، يعدد المصائب، وينسى النعم.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا رَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظَّالِمِ الْأَنفَعُ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا أَلَّا يَكُونَ لَهُ مَكْرُومِينَ ﴿١٥﴾ أَمْ أَتَّخَذُ مَا يَمْلِكُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ يَا أَبْلَغِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَن يَشْأُو فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَاءِ غَرْمِيمٌ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَوَّكِبَ شَهِدَتْهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنَا بَعْدَ مَا نَبُأُكُمْ كِتَابًا فَمَن قَبِلَهُ فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِنُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

(١٦) بل أتزعمون -أيها الجاهلون- أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات، وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصكم بالبين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

(١٧) وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى -التي نسبها إلى الرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله- صار وجهه مُسْوَدًّا من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعالى الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

(١٨) اتجترئون وتنسبون إلى الله تعالى من يُرَى في الزينة، وهو في الجلال غير مبين لحجته؛ بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

(١٩) وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثاء، أَحْضَرُوا حين خَلَقَهُم الله حتى يحكموا بأنهم إناث؟ سَكَّتِبَ شهادتهم، وَيُسْأَلُونَ عنها في الآخرة.

(٢٠) وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه، وهذه حجة باطلة، فقد أقام الله الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطال الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تحريصاً وكذباً؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

(٢١) أَحْضَرُوا خَلَقَ الملائكة، أم أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن الذي أنزلناه، فهم به مستمسكون يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟

(٢٢) بل قالوا: إنا وجدنا آبائنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُهَا
 إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ وَإِنَّا لَنَاجِدُكُمْ بِمَا كُفَرْتُمْ
 * قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَنزَلْنَا مِنْهُمْ مِقْدُونَ
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 إِنَّنِي بَرَاءٌ لِمَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ
 ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
 مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَيَاتٍ مُمِيزَةً لِّيُذَكَّرَ فِيهَا الَّتِي
 وَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا
 لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٠﴾ أَهَمْ
 يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ حَقًّا قَسَمْنَا بِكَ بِمَعِيشَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا سُلْطَانًا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ وَلَوْلَا
 أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
 لِيُوزِيَهُمْ سَعْفًا مِنْ فَضْلِهِ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٢﴾

(٢٣) وكذلك ما أرسلنا من قبلك - أي الرسول - في قرية من نذير ينذرهم عقابنا على كفرهم بنا، فانذروهم وحذرهم سخطنا وحلول عقوبتنا، إلا قال الذين أبطرتهم النعمة من الرؤساء والكبراء: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين، وإننا على منهاجهم وطريقهم مقتدون. (٢٤) قال محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الرسل لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: أتبعون آباءكم، ولو جئتكم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق وأدلى على سبيل الرشاد عما وجدتم عليه آباءكم من الدين والملة؟ قالوا - في عناد: - إنا بما أرسلتم به جاحدون كافرون.

(٢٥) فأنقمنا من هذه الأمم المكذبة رسلها بإحلالنا العقوبة بهم خسفاً وغرقاً وغير ذلك، فانظر - أيها الرسول - كيف كان عاقبة أمرهم إذ كذبوا بآيات الله ورسله؟ وليحذر قومك أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.

(٢٦) واذكر - أيها الرسول - إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبدونه قومك: إني براء مما تعبدون من دون الله.

(٢٧) إلا الذي خلقتني، فإنه سيوفقتي لاتباع سبيل الرشاد.

(٢٨) وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية فيمن بعده؛ لعلهم يرجعون إلى طاعة ربهم وتوحيده، ويتوبون من كفرهم وذنوبهم.

(٢٩) بل متعت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم من قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول يبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

(٣٠) ولما جاءهم القرآن من عند الله قالوا: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحرٌ يسحرنا به، وليس بوحى من عند الله، وإننا به مكذبون.

(٣١) وقال هؤلاء المشركون من قريش: إن كان هذا القرآن من عند الله حقاً، فهلاً نُزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين «مكة» أو «الطائف».

(٣٢) أهم يقسمون النبوة فيضعونها حيث شاؤوا؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات: هذا غنيٌ وهذا فقير، وهذا قويٌ وهذا ضعيف؛ ليكون بعضهم مُسخرًا لبعض في المعاش. ورحمة ربك - أيها الرسول - بإدخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني.

(٣٣) ولولا أن يكون الناس جماعة واحدة على الكفر، لجمعنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقفاً من فضة وسلاماً عليها يصعدون.

وَيُؤْتِيهِمْ أَزْوَاجًا وَسُرَرًا عَلَيْهِمْ كُفُوفٌ ﴿٣٥﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ
كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِضْ لَهُ مَا مِطَطْنَا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٨﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ نَقَالَ بَنِيكَ بِئْسَ
بَعْدَ الْمُسْرِفِينَ فَبُئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٩﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْوَمٌ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤٠﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ
الْصَّخْصَةَ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤١﴾ فَإِنَّمَا
نَذَرْنَاهُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤٢﴾ أَوْ نُرِيكَ آلَافًا
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٣﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ نُنَبِّئُكَ ﴿٤٥﴾ وَسَقَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٨﴾

(٣٤، ٣٥) وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، وجعلنا لهم سرراً عليها يتكئون، وجعلنا لهم ذهباً، وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، وهو متاع قليل زائل، ونعيم الآخرة مذكر عند ربك للمتقين ليس لغريمهم.

(٣٦) ومن يُعرض عن ذكر الرحمن، وهو القرآن، فلم يُخَفْ عقابه، ولم يَهْد بهداهيته، نجعل له شيطاناً في الدنيا يغويه؛ جزاء له على إعراضه عن ذكر الله، فهو له ملازم ومصاحب يمنعه الحلال، ويبعته على الحرام.

(٣٧) وإن الشياطين ليصدون عن سبيل الحق هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله، فيزيئون لهم الضلالة، ويكرهون لهم الإيمان بالله والعمل بطاعته، وظن هؤلاء المعرضون بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلال أنهم على الحق والهدى.

(٣٨) حتى إذا جاءنا الذي أعرض عن ذكر الرحمن للحساب والجزاء، قال لقريته: وددت أن يبني وبينك بُعداً ما بين المشرق والمغرب، فبئس القرين لي أنت؛ حيث أغويتني.

(٣٩) ولن ينفعكم اليوم - أي المعرضون - عن ذكر الله إذ أشركم في الدنيا أنكم في العذاب مشتركون أنتم وقرناؤكم، فلكل واحد نصيبه الأوفر من العذاب، كما أشرركم في الكفر.

(٤٠) أفأنت - أي الرسول - تسمع من أصمته الله عن سماع الحق، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى قلبه عن إبطاره، أو تهدي من كان في ضلال عن الحق بين واضح؛ ليس ذلك إليك، إنما عليك البلاغ، وليس عليك هداهم، ولكن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

(٤١، ٤٢) فإن توفيناك - أي الرسول - قبل نصر لك على المكذبين من قومك، فإننا منهم منتقمون في الآخرة، أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم «بدر»، فإننا عليهم مقتدرون نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك. (٤٣) فاستمسك - أي الرسول - بما يأمرك به الله في هذا القرآن الذي أوحاه إليك؛ إنك على صراط مستقيم، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام. وفي هذا تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم، وثناء عليه.

(٤٤) وإن هذا القرآن لشرف لك ولقومك من قريش؛ حيث أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فيبغى أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه، وسوف تُسألون أنت ومن معك عن الشكر لله عليه، والعمل به.

(٤٥) وإسأل - أي الرسول - أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا وحمل شراعتهم: أجاأت رسلهم بعبادة غير الله؟ فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع؛ فإن جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة ما سوى الله.

(٤٦، ٤٧) ولقد أرسلنا موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك - أي الرسول - إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، فلما جاءهم بالبينات الواضحات الدالة على صدقه في دعوته، إذا فرعون وملؤه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون.

وَمَا يُرِيدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهِمْ وَأَخَذْنَاهُمْ
بِالْعَذَابِ لَعْنَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْذَبُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَسَفْنَا
عَنَّهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ
قَالَ يَنْفِقُونَ أَيُّسَ لِي مُلْكُي مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن
تَحْتِي أَفَلَا بُصِيرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا الْفِتْنَةُ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أُوتِيَتْ
مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ
فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا أَسْفَرْنَا
انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ خُذْ
هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِن هُوَ
إِلَّا عَيْدٌ أَعْنَاهُ عَلَيْهِمْ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

(٤٨) وما يُري فرعون وملاه من حجة إلا هي أعظم من التي قبلها، وأدل على صحة ما يدعوهم موسى إليه، وأخذناهم بصنوف العذاب كالجراد والقمل والضفادع والظفوف، وغير ذلك؛ لعلمهم يرجعون عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته.

(٤٩، ٥٠) وقال فرعون وملؤه لموسى: يا أيها العالم - وكان الساحر فيهم عظيمًا - يُوقِرُونه، ولم يكن السحر صفة ذم - ادع لنا ربك بعهد الذي عهد إليك وما خصك به من الفضائل أن يكشف عنا العذاب، فإن كشف عنا العذاب فإننا لملتدون مؤمنون بها جثتنا به. فلما دعا موسى يرفع العذاب عنهم، ورفعناه عنهم إذا هم يندرون، ويصرّون على ضلالهم.

(٥١، ٥٢) ونادى فرعون في عظماء قومه متبجحاً مفتخراً بمُلك «مصر»: أليس لي مُلك «مصر»، وهذه فروع نهر النيل تجري من تحت قُصري ومن بين يديّ في بسائني، أفلا تبصرون عظمتي وقوتي، وضعف موسى وفقره؟ بل أنا خير من هذا الذي لا عزّ معه، فهو يمتهن نفسه في حاجاته لضعفه وحقارته، ولا يكاد يُبين الكلام لعمي لسانه، وقد حمل فرعون على هذا القول الكفر والعناد والصد عن سبيل الله.

(٥٣) فهلاً أُلقي على موسى - إن كان صادقاً أنه رسول رب العالمين - أسورة من ذهب، أو جاء معه الملائكة قد اقترن بعضهم ببعض، فنتابعوا يشهدون له بأنه رسول الله إلينا.

(٥٤) فاستحَفَّ فرعون عقول قومه فدعاهم إلى الضلالة، فأطاعوه وكذبوا موسى، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله وصراطه المستقيم.

(٥٥، ٥٦) فلما أغضبونا - بعصياننا، وتكذيب موسى وما جاء به من الآيات - انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عَجَلْنَاهُ لهم، فأغرقناهم أجمعين في البحر. فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم في البحر سلفاً لمن يعمل مثل عملهم ممن يأتي بعدهم في استحقاق العذاب، وعبرة وللآخرين.

(٥٧) ولما ضرب المشركون عيسى بن مريم مثلاً حين خاصموا محمداً صلى الله عليه وسلم، وحاجّوه بعبادة النصارى إياه، إذا قومك من ذلك ولاجله يرتفع لهم جلبة وضجج فرحاً وسروراً، وذلك عندما نزل قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبَ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ﴿٥٨﴾، وقال المشركون: رضينا أن تكون ألهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَذَّبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾، فالذي يُلقي في النار من آلهة المشركون من رضي بعبادتهم إياه.

(٥٨) وقال مشركو قومك - أيها الرسول -: أألهتنا التي نعبدنا خير أم عيسى الذي يعبد قومه؟ فإذا كان عيسى في النار، فلنكن نحن وألهتنا معه، ما ضربوا لك هذا المثل إلا جدلاً، بل هم قوم خصمون بالباطل.

(٥٩) ما عيسى بن مريم إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة، وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يستدل بها على قدرتنا.

(٦٠) ولو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يُخَلِّف بعضهم بعضاً بدلاً من بني آدم.

(٦١) وإن نزل عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قرب وقوع الساعة، فلا تشكروا أنها واقعة لا محالة، واتبعون فيها أخبركم به عن الله تعالى، هذا طريق قويم إلى الجنة، لا اعوجاج فيه.

(٦٢) ولا يصدّكم الشيطان بوساوسه عن طاعتي فيها أمركم به وأناحكم عنه، إنه لكم عدو بين العداوة.

(٦٣) ولما جاء عيسى بنى إسرائيل بالبينات الواضحات من الأدلة قال: قد جئتكم بالنبوة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين، فاتقوا الله بمثال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعون فيها أمركم به من تقوى الله وطاعته.

(٦٤) إن الله سبحانه وتعالى هو ربي وربكم جميعاً فاعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئاً، هذا الذي أمركم به من تقوى الله وإفراده بالألوهية هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه.

(٦٥) فاختلفت الفرق في أمر عيسى عليه السلام، وصاروا فيه شيعاً: منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله، وهو الحق، ومنهم من يزعم أنه ابن الله، ومنهم من يقول: إنه الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فهلاك وعذاب اليم يوم القيامة لمن وصفوا عيسى بغير ما وصفه الله به.

وَأَنَّهُ لَإِعْلَوُ السَّاعَةِ فَلَا تَمُتُنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَا يَصِدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٢ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٦٣ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٤ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ ٦٥ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٦٦ أَلْأَجَلُ أَيَّامِنَا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ٦٧ يَجْعَلُونَ لِكُلِّ ذِكْرٍ عَلَى كُرْسِيِّ يَوْمٍ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ٦٨ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ٦٩ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُغْفَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ٧١ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٧٢ وَلِلَّهِ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْفَتْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٣ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ٧٤

(٦٦) هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم إلا الساعة أن تأتيهم فجأة، وهم لا يشعرون ولا يفتنون؟

(٦٧) الأصدقاء على معاصي الله في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة، لكن الذين تصادقوا على تقوى الله، فإن صداقتهم دائمة في الدنيا والآخرة.

(٦٨) يقال هؤلاء المتقين: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

(٦٩، ٧٠) الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بما جاءهم به رسلهم، وكانوا متقادين لله رب العالمين بقلوبهم وجوارحهم، يقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وقرنائكم المؤمنون تتعمون وتُسرون.

(٧١) يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله في الجنة بالطعام في أوانٍ من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، وفيها لهم ما تشتهيه أنفسهم وتلذذ أعينهم، وهم مأكثون فيها أبداً.

(٧٢) وهذه الجنة التي أوفتكم الله إياها؛ بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الخيرات والأعمال الصالحات، وجعلها لمن فضله ورحمته جزاء لكم.

(٧٣) لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع تأكلون.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّتَخِلِّفُونَ ﴿٧٦﴾ لَا يَتَرَقَّوْنَ فِيهِمْ أَصْحَابُ السَّعِيرِ ﴿٧٧﴾ فِيهِمْ مَبْسُورُونَ ﴿٧٨﴾ وَمَا ظَنَّمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٧٩﴾ وَنَادَوْا أَيْمَانَكُمْ يَبْقِضَ عَلَيْهِمَا تِلْكَ قَالَ إِنَّمَا أَنتُم مُّكِيدُونَ ﴿٨٠﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لَاهِقُونَ كَرِهُونَ ﴿٨١﴾ أَمْ أَتَرْمَوْا أَثْمَارًا فَإِنَّا مَتَرُمُونَ ﴿٨٢﴾ أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُورُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٥﴾ قَدْ تَرَكُوا مِصْبَحَهُمْ وَبَدَّلُوا تَلْعَابَهُمْ إِلَىٰ تِلْكَ الْأَلْهِيَةِ الَّتِي بَدَعُوا ﴿٨٦﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٧﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفِيعَةَ إِلَّا مَنِ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٩٠﴾ وَقِيلَ لَهُ رَبِّي أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾ فَأَصْبَحَ عَنْهُمْ وَقَفٌ وَسَلَّمُ فُسُوْقٌ يَعْلَمُونَ ﴿٩٢﴾

(٧٤-٧٦) إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماثلون، لا يخفف عنهم، وهم فيه آيسون من رحمة الله، وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بالعذاب، ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بشركهم وجحودهم أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وترك أتباعهم لرسول ربهم.

(٧٧، ٧٨) ونادى هؤلاء المجرمون بعد أن أدخلهم الله جهنم «مالكاً» حازن جهنم: يا مالك ليبتنا ربك، فنستريح مما نحن فيه، فأجابهم مالك: إنكم ماثلون، لا خروج لكم منها، ولا عهد لكم عنها، لقد جئناكم بالحق ووضناهم لكم، ولكن أكثركم لما جاء به الرسل من الحق كارهون.

(٧٩) بل أأحكم هؤلاء المشركون أمرا يكيدون به الحق الذي جئناهم به؟ فإنما مدبرون لهم ما يجزيهم من العذاب والنكال.

(٨٠) أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما يسرونه في أنفسهم، ويتناجون به بينهم؟ بل نسمع ونعلم، ورسلا الملائكة الكرام الحفظة يكتبون عليهم كل ما عملوا.

(٨١، ٨٢) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون، فأنا أول العابدين لهذا الولد الذي تزعمونه، ولكن هذا لم يكن ولا يكون، فتفقدس الله عن الصاحبة والولد. تنزهاً وتقديساً لرب السموات والأرض رب العرش العظيم عما

يصفون من الكذب والافتراء من نسبة المشركين الولد إلى الله، وغير ذلك مما يزعمون من الباطل.

(٨٣) فاترك -أيها الرسول- هؤلاء المفتريين على الله بخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيها معاً.

(٨٤) وهو الله وحده المعبود بحق في السماء وفي الأرض، وهو الحكيم الذي أحكم خلقه، وأتقن شرعه، العليم بكل شيء من أحوال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها.

(٨٥) وتكاثر بركة الله، وكثر خيره، وعظم ملكه، الذي له وحده سلطان السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من الأشياء كلها، وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، وإليه تُردون -أيها الناس- بعد مماتكم، فيجازي كلأبها يستحق.

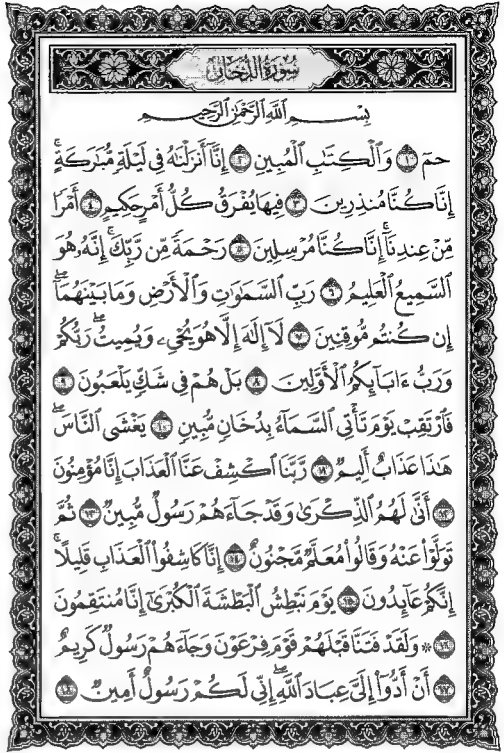
(٨٦) ولا يملك الذين يعبدهم المشركون الشفاعة عنده لأحد إلا من شهد بالحق، وأقر بتوحيد الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يعلمون حقيقة ما أقروا وشهدوا به.

(٨٧) ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك من خلقهم؟ ليقولنَّ: الله خلقنا، فكيف ينقلبون وينصرفون عن عبادة الله، ويشركون به غيره؟

(٨٨، ٨٩) وقال محمد صلى الله عليه وسلم شاكياً إلى ربه قومه الذين كذبوه: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم. فأمره الله بالإعراض عنهم وعن أذاهم، وتركهم بسبب كفرهم وعنادهم، ولا يبدل منك -أيها الرسول- إلا السلام لهم الذي يقوله أولو الألباب والبصائر للجاهلين، فهم لا يسافهونهم ولا يعاملونهم بمثل أعمالهم السيئة، فسوف يعلمون ما يلقونه من البلاء والنكال. وفي هذا تهديد ووعيد شديد هؤلاء الكافرين المعاندين وأمثالهم.

﴿سورة الدخان﴾

(١) ﴿حَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
 (٢-٨) أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظاً ومعنى. إنا أنزلناه في ليلة القدر المباركة كثيرة الخيرات، وهي في رمضان. إنا كنا منذرين الناس بما ينفعهم ويضرهم، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لتقوم حجة الله على عباده. فيها يُقضى ويُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة من الملائكة كل أمر عحكم من الأجل والأرزاق في تلك السنة، وغير ذلك مما يكون فيها إلى آخرها، لا يبدل ولا يغير. هذا الأمر الحكيم أمر من عندنا، فجميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه قیامه وإذنه وعلمه. إنا كنا مرسلين إلى الناس الرسل عمداً - بالمرسل إليهم. إنه هو السميع يسمع جميع الأصوات، العليم بجميع أمور خلقه الظاهرة والباطنة. خالق السموات والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، إن كنتم موقنين بذلك فاعلموا أن رب المخلوقات هو إله الحق. لا إله يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، يحیی ويمیت، ربكم ورب آبائكم الأولین، فاعبدوه دون أھتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع.
 (٩) بل هؤلاء المشركون في شك من الحق، فهم



يلهون ويلعبون، ولا يصدقون به.

(١٠-١٢) فانتظر - أيها الرسول - هؤلاء المشركين يوم تأتي الساء بدخان ميين واضح يعم الناس، ويقال لهم: هذا عذاب مؤلم موجه، ثم يقولون سائلين رفعه وكشفه عنهم: ربنا اكشف عنا العذاب، فإن كشفته عنا فإننا مؤمنون بك. وقد تحقق ذلك، فلم يؤمنوا كما وعدوا.

(١٣، ١٤) كيف يكون لهم التذكير والاعتاظ بعد نزول العذاب بهم، وقد جاءهم رسول ميين، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، ثم أعرضوا عنه وقالوا: علمه بشر أو الكهنة أو الشياطين، هو مجنون وليس برسول؟
 (١٥) سترفع عنكم العذاب قليلاً، وسترون أنكم تعودون إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلال والتكذيب، وأنا سنعاقبكم على ذلك.

(١٦) يوم نعذب جميع الكفار العذاب الأكبر يوم القيامة وهو يوم انتقامنا منهم.

(١٧) ولقد اخترنا وابتلينا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وجاءهم رسول كريم، وهو موسى عليه السلام، فكذبوه فهلكوا، فهكذا نفعل بأعدائك أيها الرسول، إن لم يؤمنوا.

(١٨) وقال لهم موسى: أن سلّموا إلى عباد الله من بني إسرائيل وأرسلوهم معي؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له، إني لكم رسول أمين على وحيه ورسالته.

رسله، إني آتيتكم ببرهان واضح على صدق رسالتي، وإني استجرت بالله ربي وربكم أن تقتلوني رجماً بالحجارة، وإن لم تصدقوني على ما جئتكم به فخلوا سبيلي، وكفوا عن أذي.

(٢٢) فدعا موسى ربه -حين كذب فرعون وقومه ولم يؤمنوا به- قائلاً: إن هؤلاء قوم مشركون بالله كافرون.

(٢٣) فَأَسْرِ - يا موسى - بعبادي - الذين
صَدَّقُوا، وَأَمْسُوا بِكَ، وَاتَّبِعُوا، دُونَ الَّذِينَ
كَذَّبُواكَ مِنْهُمْ - لِيلاً، إِنَّكُمْ مَتَّبِعُونَ مِنْ فِرْعَوْنَ
وَجُنُودِهِ فَتُنَجُونَ، وَيَغْرَقُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ.

(٢٤) واترك البحر كما هو على حالته التي كان عليها حين سلكنه، ساكناً غير مضطرب، إن فرعون وجنوده مغرقون في البحر.

(٢٥-٢٧) كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم
وإغراق الله إياهم من بساتين وجنات ناضرة،
وعيون من الماء جارية، وزروع ومنازل جميلة،
وعيشة كانوا فيها متنعين مترفين.

(٢٨) مثل ذلك العقاب يعاقب الله مَنْ كَذَّبَ
وبَدَّلَ نعمة الله كُفْرًا، وأورثنا تلك النعم من بعد
فرعون وقومه قوماً آخريين خلفوهم من بني
إسرائيل.

(٢٩) فما بكت السماء والأرض حزناً على فرعون وقومه، وما كانوا مؤخّرين عن العقوبة التي حلّت بهم.

(٣٠) ولقد نجَّينا بني إسرائيل من العذاب المُذِلِّ لهم بقتل أبنائهم واستخدام نسائهم.

(٣١) من فرعون، إنه كان جباراً من المشركين، مسرفاً في العلو والتكبر على عباد الله.

(۳۲) ولقد اصطفينا بنی اسرائیل علی علم منا بهم علی عالمی زمانهم.

(٣٣) وآتيناهم من المعجزات على يد موسى ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم؛ رخاء وشدة.

(٣٤، ٣٥) إن هؤلاء المشركين من قومك -أيها الرسول- يقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموتة الأولى والأخيرة، وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب.

(٣٦) ويقولون أيضاً: فَأَيُّ -يا محمد أنت ومن معك- بأبائنا الذين قد ماتوا، إن كنتم صادقين في أن الله يبعث من في القبور أحياء.

(٣٧) أهؤلاء المشركون خير أم قوم بُعِثَ الحَمِيرِي والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها؟ أهلكناهم لإجرامهم وكفرهم، ليس هؤلاء المشركون بخير من أولئك فنصفح عنهم ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون.

(٣٨، ٣٩) وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لعباً، ما خلقناهما إلا بالحق الذي هو سنة الله في خلقه وتدبيره، ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون ذلك، فلهذا لم يتفكروا فيها؛ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً.

(٤٠) إن يوم القضاء بين الخلق بما قدموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين.
 (٤١، ٤٢) يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئاً، ولا ينصر بعضهم بعضاً، إلا من رحم الله من المؤمنين، فإنه قد شفع له عند رب بعد إذن الله له. إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته.
 (٤٣، ٤٤) إن شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم، ثمرها طعام صاحب الآثام الكثيرة، وأكبر الآثام الشرك بالله.
 (٤٥، ٤٦) ثمر شجرة الزقوم كالمغذون المذاب يغلي في بطون المشركين، كغلي الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة.
 (٤٧) خذوا هذا الأثيم الفاجر فادفعوه، وسوقوه بعنف إلى وسط الجحيم يوم القيامة.
 (٤٨) ثم صبوا فوق رأس هذا الأثيم الماء الذي تناهت شدة حراره، فلا يفارقه العذاب.
 (٤٩) يقال لهذا الأثيم الشقي -على وجه التهكم والتوبيخ-: ذق هذا العذاب الذي تعذب به اليوم، إنك أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم.
 (٥٠) إن هذا العذاب الذي تعذبون به اليوم هو

إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْتِي عَنْ مَوْتِي شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوا فَاغْتَلَوْهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُوبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مِمَّا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوْنَاهُمْ مَحْجُورِينَ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَاحَةٍ أُمِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذْوُونَ فِيهَا مَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّادِنَ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْكَبُ يَلْسَانُكَ لَعْنَهُمْ يَدْعُرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سورة الدخان

العذاب الذي كنتم تشكون فيه في الدنيا، ولا توقنون به.
 (٥١) إن الذين اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه في الدنيا، في موضع إقامة في الآخرة آمنين من الآفات والأحزان وغير ذلك.
 (٥٢) في جنات وعيون جارية.
 (٥٣) يلبسون ما رزق من الديباج وما غلظ منه، يقابل بعضهم بعضاً بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في فقا بعض، يدور بهم مجلسهم حيث داروا.
 (٥٤) كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالهم الجنات وإلباسهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم بالחסان من النساء واسعات الأعين جيلاتها.
 (٥٥) يطلب هؤلاء المتقون في الجنة كل نوع من فواكه الجنة اشتهاه، آمنين من انقطاع ذلك عنهم وفنائها.
 (٥٦-٥٨) لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم؛ فضلاً وإحساناً منه سبحانه وتعالى، هذا الذي أعطينا المتقين في الآخرة من الكرامات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده. فإنما سهلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول؛ لعلهم يتعظون وينزعجون.
 (٥٩) فانظر -أيها الرسول- ما وعدتكم من النصر على هؤلاء المشركين بالله، وما يحل بهم من العقاب، إنهم منتظرون موتك وفهرك، وسيعلمون لمن تكون النصر والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، إنها لك -أيها الرسول- ولمن اتبعك من المؤمنين.

﴿سورة الجاثية﴾

- (١) ﴿حَمْدٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- (٢) هذا القرآن منزل من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبير أمور خلقه.
- (٣) إن في السموات السبع، والأرض التي منها خروج الخلق، وما فيها من المخلوقات المختلفة الأنجاس والأنواع، أدلة وحججاً للمؤمنين بها.
- (٤) وفي خلقكم - أيها الناس - وخلق ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها، حجج وأدلة لقوم يؤمنون بالله وشرعه.
- (٥) وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبها عليكم، وما أنزل الله من السماء من مطر فاحيا به الأرض بعد يئسها، فاهتزت بالنبات والزرع، وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم، أدلة وحجج لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلتها.
- (٦) هذه الآيات والحجج تتلوها عليك - أيها الرسول - بالحق، فبأي حديث بعد الله وآياته وأدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له يؤمنون ويصدقون ويعملون؟
- (٧) هلاك شديد لكل كذاب كثير الآثام.

- (٨) يسمع آيات كتاب الله تقرأ عليه، ثم يتأدى في كفره متعالياً في نفسه عن الانقياد لله ورسوله، كأنه لم يسمع ما نزل عليه من آيات الله، فبشر - أيها الرسول - هذا الأفاك الأليم بعذاب مؤلم موجه في نار جهنم يوم القيامة.
- (٩) وإذا علم هذا الأفاك الأليم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً وسخرية، أولئك لهم عذاب يبينهم ويخزيهم يوم القيامة؛ جزاء استهزائهم بالقرآن.
- (١٠) من أمام هؤلاء المستهزئين بآيات الله جهنم، ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً من المال والولد، ولا ألفتهم التي عبدوها من دون الله، ولهم عذاب عظيم مؤلم.
- (١١) هذا القرآن الذي أنزلناه عليك - أيها الرسول - هدىً من الضلالة، ودليل على الحق، يهدي إلى طريق مستقيم من اتبعه وعمل به، والذين جحدوا بها في القرآن من الآيات الدالة على الحق ولم يصدقوا بها، لهم عذاب مؤلم موجه من أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة.
- (١٢) الله سبحانه وتعالى هو الذي سخر لكم البحر؛ لتجري السفن فيه بأمره، ولتبتغوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب، ولعلكم تشكرون ربكم على تسخيره ذلك لكم، فتعبده وحده، وتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه.
- (١٣) وسخر لكم كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم، وكل ما في الأرض من دابة وشجر وسفن وغير ذلك لمنافعكم، جميع هذه النعم منة من الله وحده أنعم بها عليكم، وفضل منه تغفل به، فإياه فاعبدوا، ولا تجعلوا له شريكاً. إن في سخره الله لكم لعلامات ودلالات على وحدانية الله لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلتها، فيعتبرون بها.

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ وَلِلَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ آمَانًا اللَّهُ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُدْرَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِن تَدْعُهُمْ بِنِسْبٍ مِنَ الْأُمَمِ قَدْ اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأُمَرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا صَبْرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَئِنَّ جَزَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

(١٤) قل -أيها الرسول- للذين صدقوا بالله وأتبعوا رسوله يعفوا، ويتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون بأسه إذا هم نالوا الذين آمنوا بالأذى والمكره؛ ليجزي الله هؤلاء المشركين بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وإيذاء المؤمنين.

(١٥) من عمل من عباد الله بطاعته فلنفسه عمل، ومن أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلت نفسه جنى، ثم إنكم -أيها الناس- إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

(١٦) ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والإنجيل والحكم بما فيها، وجعلنا أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم، ورزقناهم من الطيبات من الأقوات والثمار والأطعمة، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

(١٧) وآتينا بني إسرائيل شرائع واضحات في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وقامت الحجة عليهم، وإنما حكمهم على ذلك بغنى بعضهم على بعض؛ طلباً للرفعة والرئاسة، إن ربك -أيها الرسول- يحكم بين

المختلفين من بني إسرائيل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا. وفي هذا تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم.

(١٨) ثم جعلناك -أيها الرسول- على منهاج واضح من أمر الدين، فاتبع الشريعة التي جعلناك عليها، ولا تتبع أهواء الجاهلين بشرع الله الذين لا يعلمون الحق. وفي الآية دلالة عظيمة على كمال هذا الدين وشرفه، وجوب الانقياد لحكمه، وعدم الميل إلى أهواء الكفرة والملحدنين.

(١٩) إن هؤلاء المشركين يريهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك -أيها الرسول- من عقاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

(٢٠) هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، وهدى ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

(٢١) بل أظن الذين اكتسبوا السيئات، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، وأخلصوا له العبادة دون سواه، ونسألوهم بهم في الدنيا والآخرة؟ ساء حكمهم بالمساواة بين الفجار والأبرار.

(٢٢) وخلق الله السموات والأرض بالحق والعدل والحكمة؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر، وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوًى وَأَصْلَحَ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَرَّ عَلَى سَمْعِهِه
وَقَلْبِهِه وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مَنْ بَعْدَ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا أَلْهَانُ النَّاسِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَلَدَّهْرًا وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا أَصْطَفَوْا ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا نَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَسَوَّى مَكَانَ حُجَّتِهِمْ إِنْ قَالَوْا أَتَوَاتَيْنَا بِآيَاتِنَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّمُكُمْ ثُمَّ يَمْحُكُمُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ وَمَنْ يَحْسِرْ فَلْيُتَسَلِّمْ ﴿٢٧﴾
وَرَأَى كُلُّ أُمَّةٍ جَايئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ لِنَارٍ عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُتَجَرِّمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا
قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُظِنُ إِلَّا لَعْنًا وَمَنْحَرٌ يُسْتَقْبَلُونَ ﴿٣٢﴾

(٢٣) أفرأيت - أيها الرسول - من اتخذ الهواه الهأ له، فلا يهوى شيئاً إلا فعله، وأصله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئاً، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجاج الله؟ فمن يوقفه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟ أفلا تذكرون - أيها الناس - فتعلموا أن من فعل الله به ذلك فلن يبتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً؟

والآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أفعالهم.

(٢٤) وقال هؤلاء المشركون: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، لا حياة سواها؛ تكذيباً منهم بالبعث بعد المات، وما يهلكنا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يقيهم ويهلكهم، وما هؤلاء المشركين من علم بذلك، ما هم إلا يتكلمون بالظن والوهم والخيال.

(٢٥) وإذا تلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا واضحات، لم يكن لهم حجة إلا قولهم للرسول صلى الله عليه وسلم: أخي أنت والمؤمنون معك آباءنا الذين قد هلكوا، إن كنتم صادقين فيها تقولون.

(٢٦) قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: الله سبحانه وتعالى يبيحكم في الدنيا ما شاء لكم الحياة، ثم يمتحكم فيها، ثم يجمعكم جميعاً أحياء إلى يوم القيامة لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على إمامتهم، ثم بعثهم يوم القيامة.

(٢٧) والله سبحانه سلطان السموات السبع والأرض خلْقاً ومُلْكاً وعبودية. ويوم تجيء الساعة التي يبعث فيها الموتى من قبورهم ويحاسبون، ينسر الكافرون بالله الجاحدون بها أنزله على رسوله من الآيات البيّنات والدلائل الواضحات.

(٢٨) وترى - أيها الرسول - يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جامعين على رُكبتهم، كل أمة تُدعى إلى كتاب أعمالها، ويقال لهم: اليوم تُحْجَرُونَ ما كنتم تعملون من خير أو شر.

(٢٩) هذا كتابنا ينطق عليكم بجميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، إنّا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم.

(٣٠) فأما الذين آمنوا ورسوله في الدنيا، وامتلأوا وأمره واجتنبوا نواهيه، فدخلهم ربهم في جنته برحمته، ذلك الدخول هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده.

(٣١) وأما الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا رسله ولم يعملوا بشرعه، يقال لهم - تقريباً وتوبيخاً -: أفلم تكن آياتي في الدنيا تلى عليكم، فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها، وكنتم قوماً مشركين تكسبون المعاصي ولا تؤمنون بنواب ولا عقاب؟

(٣٢) وإذا قيل لكم: إن وعد الله يبعث الناس من قبورهم حق، والساعة لا شك فيها، قلتم: ما ندري ما الساعة؟ وما تنوقع وقوعها إلا توهماً، وما نحن بمتحققين أن الساعة آتية.

(٣٣) وظهر لهؤلاء الذين كانوا يكذبون بآيات الله ما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، ونزل بهم من عذاب الله جزاء ما كانوا به يستهزون. (٣٤) وقيل لهؤلاء الكفرة: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم الإيمان بربكم والعمل للقاء يومكم هذا، ومسكنكم نار جهنم، وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله. (٣٥) هذا الذي حل بكم من عذاب الله؛ بسبب أنكم اتخذتم آيات الله وحججه هزواً ولعباً، وخذعتكم زينة الحياة الدنيا، فاليوم لا تخرجون من النار، ولا هم يُردُّون إلى الدنيا؛ ليتوبوا ويعملوا صالحاً.

(٣٦) فله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه، رب السموات والأرض وخالقها ومدبرهما، رب الخلائق أجمعين. (٣٧) وله وحده سبحانه العظمة والجلال والكبرياء والسلطان والقدرة والكمال في السموات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه، تعالى وتقدس، لا إله إلا هو.

﴿سورة الأحقاف﴾

(١) ﴿حم﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَأَوْحَا بِهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا بَقَاةَ يَوْمٍ كَذَلِكَ هَذَا وَمَا وَدَّ الْكَافِرُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا دُونَ اللَّهِ هُزُواً
وَعَزَّزُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٣٥﴾ عَلَيْهِمُ الْحُكْمُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾
وَلَهُ الْكِبَرِيَّاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَوَاتِ أَتُنْتَوِي بِكُتُبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ تَوَثَّقُونَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾

في أول سورة البقرة.

(٢) هذا القرآن تنزيل من الله العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وصنعه.

(٣) ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، لا عبثاً ولا سدى؛ بل ليعرف العباد عظمة خالقها فيعبدوه وحده، ويعلموا أنه قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم، وليقيموا الحق والعدل فيما بينهم وإلى أجل معلوم عنده. والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق، عما أنذرهم به القرآن معرضون، لا يعظون ولا يتفكرون.

(٤) قل -أيها الرسول- هؤلاء الكفار: أرايتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من الأرض، أم لهم مع الله نصيب من خلق السموات؟ اتنوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن أو ببقية من علم، إن كنتم صادقين فيما تزعمون.

(٥) لا أحد أضلُّ وأجهل ممن يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب دعاءه أبداً؛ لأنهم من الأموات أو الأحجار والأشجار ونحوها، وهي غافلة عن دعاء من يعبدوها، عاجزة عن نفعه أو ضره.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا إِلَهُهمْ غَدَـةً وَكَانُوا عِبَادَهمْ كَـفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَـةٌ ثُمَّ هُـدُوا سِحْرَ مُبِينٍ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ لَهُ إِنْ أَفَرَيْنَاهُ فَلَا تَقْلُوبُ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فَبِئْسَ شَهِيدًا بَنِي وَبَيِّنَـتُـهُمُ وَهُوَ الْعَقُورُ الرَّجِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاوَنِ الرَّسُولِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا تُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُونُ لِي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ مَنْ أَسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَارِيسَاطَ لَبِذَرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشَّرِ الْمُنْحَسِرِينَ ﴿١٢﴾ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّكَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(٦) وإذا حُشِرَ الناس يوم القيامة للحساب والجزاء كانت الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، تلعنهم وتبترأ منهم، وتكر علمها بعبادتهم إياها.

(٧) وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر.

(٨) بل يقول هؤلاء المشركون: إن عمداً اختلق هذا القرآن؟ قل لهم -أيها الرسول-: إن اختلقت على الله فإنكم لا تقدرون أن تدفعوا عني من عقاب الله شيئاً، إن عاقبني على ذلك. هو سبحانه أعلم من كل شيء سواه بما تقولون في هذا القرآن، كفى بالله شاهداً عليّ وعليكم، وهو الغفور لمن تاب إليه، الرحيم بعباده المؤمنين.

(٩) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: ما كنت أول رسل الله إلى خلقه، وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم في الدنيا، ما أتبع فيما أمركم به وفيما أفعله إلا وحي الله الذي يوحيه إليّ، وما أنا إلا نذير بين الإنذار.

(١٠) قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام على مثل هذا القرآن، وهو ما في التوراة من التصديق بنوة محمد صلى الله عليه وسلم، فصدّق وعمل بها جاء في القرآن، وجحدتم ذلك استكباراً، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ إن الله لا يوفق إلى الإسلام وإصابة الحق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله.

(١١) وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً على ما جاء به خيراً ما سبقتمونا إلى التصديق به، وإذ لم يهتدوا بالقرآن ولم يتفعوا بما فيه من الحق فسيقولون: هذا كذب، ما ثور عن الناس الأقدمين.

(١٢) ومن قبل هذا القرآن أنزلنا التوراة إماماً لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بها فيها، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب، أنزلناه بلسان عربي؛ لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وبشرى للذين أطاعوا الله، فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم في الدنيا.

(١٣) إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من فرع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مآثمهم من حظوظ الدنيا.

(١٤) أولئك أهل الجنة ماكثين فيها أبداً برحمة الله تعالى لهم، وبما قلّموا من عمل صالح في دنياهم.

(١٥) ووصينا الإنسان أن يحسن في صحبته لوالديه برًّا بها في حياتها وبعد مماتها، فقد حملته أمه جنيناً في بطنها على مشقة وتعب، وولده على مشقة وتعب أيضاً، ومدة حملها وطاقها ثلاثون شهراً. وفي ذكر هذه المشاق التي تتحملها الأم دون الأب، دليل على أن حقها على ولدها أعظم من حق الأب. حتى إذا بلغ هذا الإنسان نهاية قوته البدنية والعقلية، وبلغ أربعين سنة دعا ربه قائلاً: ربّي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليّ وعلى والديّ، واجعلني أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذنبي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المتقادين لحكمك.

(١٦) أولئك الذين تنقل منهم أحسن ما عملوا من صالحات الأعمال، ونصفح عن سيئاتهم في جملة أصحاب الجنة، هذا الوعد الذي وعدناهم به هو وعد الصدق الحق الذي لا شك فيه.

(١٧) والذي قال لوالديه إذ دعوا إلى الإيمان

بالله والإقرار بالبعث: فبحاً لكما أتعباني أن أخرج من قبري حياً، وقد مضت القرون من الأمم من قبلي، فهلخوا فلم يُبعث منهم أحد؟ واللداه يسألان الله هدايته قائلين له: ويلك، آمن وصدق واعمل صالحاً، إن وعد الله بالبعث حق لا شك فيه، فيقول لها: ما هذا الذي تقولانه إلا ما سطره الأولون من الأباطيل، منقول من كتبهم.

(١٨) أولئك الذين هذه صفتهم وجب عليهم عذاب الله، وحلّت بهم عقوبته وسخطه في جملة أمم مضت من قبلهم من الجن والإنس على الكفر والتكذيب، إنهم كانوا خاسرين يبيعهم الهدى بالضلال، والنعيم بالعذاب.

(١٩) ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيامة؛ بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وفق مرتبته، وليوفهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

(٢٠) ويوم يعرض الذين كفروا على النار للذاب، فيقال لهم توبيخاً: لقد أذهبتكم طبيائكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، فاليوم - أيها الكفار - تُخرجون عذاب الخزي والهوان في النار؛ بما كنتم تكبرون في الأرض بغير الحق، وبما كنتم تخرجون عن طاعة الله.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأُسْدُوهُ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اأَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ اأُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَوَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا وَعَدُوهٗ ۖ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لُؤْلُوهُ بِأَنِّي لَكُمْ أَتْعِدَانِي أَن أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلُكُ لَؤْلُو أَن رَّعَدَ اللَّهُ حَتَّىٰ يَقُولَ مَا هَذَا إِلَّا اأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ اأُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ طَبِائِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُخْرَجُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

* وَأَذْكُرْ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ رَبِّهِمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُورُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكَ إِنَّا نَبْغِي
 بِمَا نَعْبُدُكَ أَنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا
 رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُسْتَطِرٌّ
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِغُ كُلَّ
 شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ذَلِكَ تَجْنِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّا فِي مَآكِنَ كُوفٍ فِيهِ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
 وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
 مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا آلِيَاتِ لَعْنَتِهِمْ فِرْعَوْنَ ﴿٢٧﴾
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ لَآتَيْنَاكَ الْفُرْقَانُ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ أَفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

(٢١) واذكر -أيها الرسول- نبي الله هوداً أخاً عاد في النسب لا في الدين، حين أنذر قومه أن يحل بهم عقاب الله، وهم في منازلهم المعروفة بـ«الأحقاف»، وهي الرمال الكثيرة جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل بإنذار قومها قبل هود وبعده: بأن لا تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم له، إني أخاف عليكم عذاب الله في يوم يعظم هول، وهو يوم القيامة.

(٢٢) قالوا: أجيئنا بدعوتك؛ لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ فأتينا بما تعدنا به من العذاب، إن كنت من أهل الصدق في قولك ووعدك.

(٢٣) قال هود عليه السلام: إنما العلم بوقت مجيء ما وعدتم به من العذاب عند الله، وإنما أنا رسول الله إليكم، أبلغكم عنه ما أرسلني به، ولكني أراكم قوماً تجهلون في استعجالكم العذاب، وجرأتكم على الله.

(٢٤) فلما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضاً في السماء متجهاً إلى أوديتهم قالوا: هذا سحاب

مطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجه.

(٢٥) تدمر كل شيء تمر به ما أرسلت بهلاكه بأمر ربها ومشيتته، فأصبحوا لا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها. مثل هذا الجزاء المجزي القوم المجرمين؛ بسبب جرهم وطغيانهم.

(٢٦) ولقد يسرنا لعاد أسباب التمكن في الدنيا على نحو لم نمكنكم فيه معشر كفار قريش، وجعلنا لهم سمعاً يسمعون به، وأبصاراً يبصرون بها، وأفئدة يعقلون بها، فاستعملوها فيما يسخط الله عليهم، فلم تغن عنهم شيئاً إذ كانوا يكذبون بحجج الله، ونزل بهم من العذاب ما سخروا به واستعجلوه. وهذا وعيد من الله جل شأنه، وتحذير للكافرين.

(٢٧) ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل «مكة» من القرى كعاد وثمود، فجعلناها خاوية على عروشها، وبيئاً لهم أنواع الحجج والدلائل؛ لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الكفر بالله وآياته.

(٢٨) فهلاً نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الحالية ألهتهم التي اتخذوا عبادتها قرباناً يتقربون بها إلى ربهم؛ لتشفع لهم عنده، بل ضلّت عنهم ألهتهم، فلم يجيبوهم، ولا دافعوا عنهم، وذلك كذبهم وما كانوا يفترون في اتخاذهم إياهم آله.

(٢٩) واذكر - أيها الرسول - حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن، فلما حضروا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا؛ لنستمع القرآن، فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعوه وأثر فيهم، رجعوا إلى قومهم منكرين ومخذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به.

(٣٠) قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى، مصداقاً لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله، يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم.

(٣١) يا قومنا أجيئوا رسول الله محمداً إلى ما يدعوكم إليه، وصدقوه واعملوا بما جاءكم به، يغفر الله لكم من ذنوبكم، وينقذكم من عذاب مؤلم موجع.

(٣٢) ومن لا يحب رسول الله إلى ما دعا إليه فليس بمعجز الله في الأرض إذا أراد عقوبته، وليس له من دون الله أنصار يمنعونه من عذابه،

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لَنَا أُفْصِلْ فَنُؤَاتِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ هُدًى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقُولُ مَتَىٰ يَأْتِينَا هَٰذَا عِزَّىٰ إِلَهُنَّ وَءَاثِمُوا بِهِ بِغُفْرَانِكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَتُخْرِكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْعِزَّىٰ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ يَخْلُفَهُنَّ بِقَدَرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ الْمَوْتَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالُوا فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَٰ يَبْلُغُونَ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَّغْ إِلَهُكَ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سورة الأحقاف

أولئك في ذهاب واضح عن الحق.

(٣٣) أغفلوا ولم يعلموا أنَّ الله الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سبق، ولم يعجز عن خلقهن، قادر على إحياء الموتى الذين خلقهم أولاً؟ بلى، ذلك أمر يسير على الله تعالى الذي لا يعجزه شيء، إنه على كل شيء قدير.

(٣٤) ويوم القيامة يُعرض الذين كفروا على نار جهنم للعذاب فيقال لهم: أليس هذا العذاب بالحق؟ فيجيبون قائلين: بلى وربنا هو الحق، فيقال لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تمجدون عذاب النار وتكبرونه في الدنيا.

(٣٥) فاصبر - أيها الرسول - على ما أصابك من أذى قومك المكذبين لك، كما صبر أولو العزم من الرسل من قبلك - وهم على المشهور -: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأنت منهم - ولا تستعجل لقومك العذاب؛ فحين يقع ويرونه كأنهم لم يمتوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، هذا بلاغ لهم ولغيرهم. ولا يُهلكك بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن أمره وطاعته.

﴿سورة محمد﴾

(١) الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، أذهب الله أعمالهم وأبطلها، وأشقاهاهم بسببها.

(٢) والذين صدقوا الله وأتبعوا شرعه وصدقوا بالكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحق الذي لا شك فيه من ربهم، عفا عنهم وستر عليهم ما عملوا من السيئات، فلم يعاقبهم عليها، وأصلح شأنهم في الدنيا والآخرة.

(٣) ذلك الإضلال والهدى سببه أن الذين كفروا اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وأن الذين آمنوا اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور والهدى، كما بين الله تعالى فعله بالفريقين أهل الكفر وأهل الإيمان بما يستحقان يضرب سبحانه للناس أمثالهم، فيُلحق بكل قوم من الأمثال والأشكال ما يناسبه.

(٤-٦) فإذا لقيتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا في ساحات الحرب فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى إذا أضغتموهم بكثرة القتل، وكسرتهم شوكتهم، فأحكموا قيد الأسرى: فلما أن تمثوا عليهم بفك أسرهم بغير

عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره، وإما أن يُسترقوا أو يُقتلوا، واستجروا على ذلك حتى تنتهي الحرب. ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام بينهم، ولو يشاء الله لانتصر للمؤمنين من الكافرين بغير قتال، ولكن جعل عقوبتهم على أيديكم، فشرع الجهاد ليختبركم بهم، ولينصر بكم دينه. والذين قتلوا في سبيل الله من المؤمنين فلن يُبطل الله ثواب أعمالهم، سيوفهم أيام حياتهم في الدنيا إلى طاعته ومرضاته، ويُصلح حالهم وأمورهم وثوابهم في الدنيا والآخرة، ويدخلهم الجنة عرفهم بها ونعتها لهم، ووفقهم للقيام بما أمرهم به -ومن جملته الشهادة في سبيله- ثم عرفهم إذا دخلوا الجنة منازلهم بها.

(٧) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابيه، وامثال أوامره، واجتنب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند القتال.

(٨، ٩) والذين كفروا فهلاكاً لهم، وأذهب الله ثواب أعمالهم؛ ذلك بسبب أنهم كرهوا كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فكذبوا به، فأبطل أعمالهم؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان.

(١٠) أفلم يَسِرْ هؤلاء الكفار في أرض الله معتبرين بما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب؟ دثر الله عليهم ديارهم، وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم.

(١١) ذلك الذي فعلناه بالفريقين فريق الإيمان وفريق الكفر؛ بسبب أن الله وليُّ المؤمنين ونصيرهم، وأن الكافرين لا وليَّ لهم ولا نصير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ اللَّهُ عَنْهَا نَفْسَهُ ۖ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَعَمِلُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِهِ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ وَأَصْلَحَ بَالُهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۖ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَضَيْتُمُ الرِّقَابَ حَتَّى
إِذَا اتَّخَذْتُمُ هُمْ زِينَةً وَأَوْثَانًا فَمَا مَتَاعُهُمْ إِلَّا مَا فِي بَنَانٍ ۚ فَضَعَّ لَلْغُرَبِ
أَوْ زَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَصَّرْتُمُوهُمْ وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمُ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ ۖ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ اللَّهُ عَنْهَا نَفْسَهُ ۖ سَيَجْزِيهِمْ
وَيُضْلِعُ بَالَهُمْ ۖ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهَا لِلَّذِينَ
آمَنُوا إِنْ ضَرُّوا بِاللَّهِ يَضُرُّكُمْ وَيُؤَيِّتُ أَقْدَامَكُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَّ أَلَهُمْ وَأَضَلَّ اللَّهُ عَنْهَا نَفْسَهُ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأَخْطَأَ عَنْهَا نَفْسَهُ ۖ فَكَلَّ بِسِيرَةٍ وَافِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ وَكَيْفَ كَانَ
عَقِبُهُ ۚ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَثَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ ۚ ذَلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَبُكَاءُ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَ بِهَا فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنَ رِبِّهِمْ كَمَنْ دُونَهُ سَوْءَ عَمَلٍ هُمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَبِيعٍ غَيْرِ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِنَّهُمَا قَوْلَ كِبَرٍ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَاتَّبَعُوا تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا قَالُوا لَهُمْ إِنْ جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

(١٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وأشجارها الأنهار تجري من تحتها، والذين كفروا في أكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل الأنعام من البهائم التي لا هم لها إلا في الاعتلاف دون غيره، ونار جهنم مسكن لهم ومأوى.

(١٣) وكثير من أهل قرى كانوا أشد بأساً من أهل قرينك - أيها الرسول، وهي «مكة» - التي أخرجتك، دمرناهم بأنواع من العذاب، فلم يكن لهم نصير ينصرهم من عذاب الله.

(١٤) أفمن كان على برهان وأضح من ربه والعلم بوحديته، كمن حسن له الشيطان قبيح عمله، واتباع ما دعت إليه نفسه من معصية الله وعبادة غيره من غير حجة ولا برهان؟ لا يستون.

(١٥) صفة الجنة التي وعدها الله المتقين: فيها أنهار عظيمة من ماء غير متغير، وأنهار من لبن لا يتغير طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ به الشاربون، وأنهار من عسل قد صُفِّي مما يخالطه من الشوائب، وهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها، وأعظم من ذلك السرور والتجاوز عن ذنوبهم، هل من

هو في هذه الجنة كمن هو مأك في النار لا يخرج منها، وسُقوا ماء تنهى في شدة حره فقطع أمعاءهم؟

(١٦) ومن هؤلاء المنافقين من يستمع إليك - أيها النبي - بغير فهم؛ تهاوناً منهم واستخفافاً، حتى إذا انصرفوا من مجلسك قالوا لمن حضروا مجلسك من أهل العلم بكتاب الله - على سبيل الاستهزاء -: ماذا قال محمد الآن؟ أولئك الذين ختم الله على قلوبهم، فلا تفقه الحق ولا تهتدي إليه، واتباعوا أهواءهم في الكفر والضلال.

(١٧) والذين اهتدوا لاتباع الحق زادهم الله هدى، فقوي بذلك هدايتهم، ووفهمم للتقوى، ويسر لها لهم.

(١٨) ما ينتظر هؤلاء الكاذبون إلا الساعة التي وعدوا بها أن يحييهم فجأة، فقد ظهرت علاماتها ولم ينتفعوا بذلك، فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟

(١٩) فاعلم - أيها النبي - أنه لا معبود بحق إلا الله، واستغفر لذنبك، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات. والله يعلم تصرفكم في يقظتكم نهاراً، ومستقركم في نومكم ليلاً.

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَلَا تَنَزَّلُ سُورَةَ قَادَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ
مُحْكَمَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ
لَكَانَ خِزْيًا لَهُمْ ۖ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۚ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ أَلَمْ يَكُنْ
أَمْرٌ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَعْلَى
لَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ
فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ
وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۚ أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ۚ

(٢٠، ٢١) ويقول الذين آمنوا بالله ورسوله: هَلَّا نَزَّلَتْ سُورَةٌ مِنْ اللَّهِ تَأْمُرُنَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ، فَإِذَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ بِالْبَيَانِ وَالْفَرِاضِ وَذَكَرَ فِيهَا الْجِهَادَ، رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ فِي دِينِ اللَّهِ وَنِفَاقٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - نَظَرَ الَّذِي قَدْ غَشِيَ عَلَيْهِ خَوْفُ الْمَوْتِ، فَأُولَئِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ يَطِيعُوا اللَّهَ، وَأَنْ يَقُولُوا قَوْلًا مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ. فَإِذَا وَجِبَ الْقِتَالُ وَجَاءَ أَمْرُ اللَّهِ يَقْرَاضُهُ كَرَهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ ذَلِكَ، فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ لَكَانَ خِزْيًا لَهُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ.

(٢٢) فَلَعَلَّكُمْ إِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَعْصُوا اللَّهَ فِي الْأَرْضِ، فَتَكْفُرُوا بِهِ وَتَسْفِكُوا الدِّمَاءَ، وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ.

(٢٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَجَعَلَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَبْصُرُونَ، فَلَمْ يَتَّبِعُوا حُجَجَ اللَّهِ مَعَ كَثَرَتِهَا.

(٢٤) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مَوَاطِئَ الْقُرْآنِ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَجِهِ؟ بَلْ هَذِهِ الْقُلُوبُ مَغْلَقَةٌ

لَا يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ مَعَانِي هَذَا الْقُرْآنِ، فَلَا تَتَذَكَّرُ مَوَاطِئَ اللَّهِ وَعَبْرَهُ.

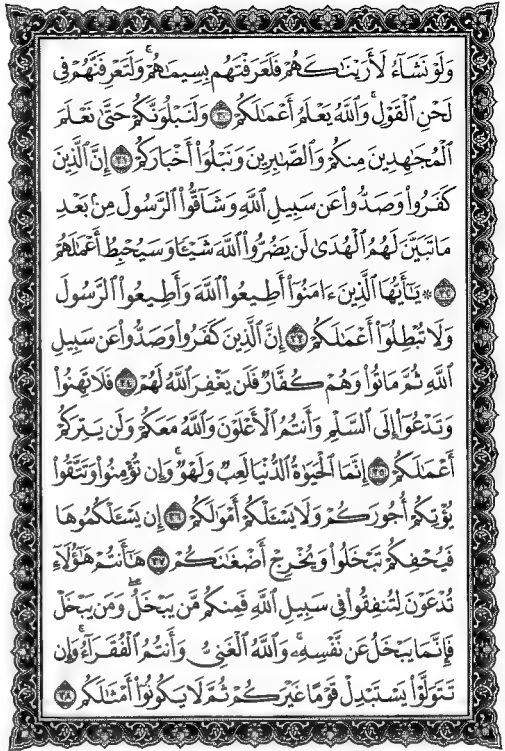
(٢٥) إِنْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ، وَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ كُفَّارًا بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا وَصَّحَ لَهُمُ الْحَقُّ، الشَّيْطَانُ رَيْنٌ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَمَدٌّ لَهُمْ فِي الْأَمَلِ.

(٢٦) ذَلِكَ الْإِمْدَادُ لَهُمْ حَتَّى يَتَّيَدُوا فِي الْكُفْرِ؛ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ: سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ خِلَافٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا يُخْفِيهِ هَؤُلَاءِ وَيَسْرُونَهُ، فَلْيَحْذَرِ الْمُسْلِمُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِ اللَّهِ فِيهِ يَخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَمْرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢٧) كَيْفَ حَالُهُمْ إِذَا قَبِضَتِ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَهُمْ وَهُمْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ؟

(٢٨) ذَلِكَ الْعَذَابُ الَّذِي اسْتَحَقُّوه وَنَالُوهُ؛ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، وَكَرَهُوا مَا يَرْضِيهِ عَنْهُمْ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمِنْهُ قَتَلَ الْكُفَّارَ بَعْدَمَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ مِنْ صَدَقَةِ وَصَلَةِ رَحِمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٢٩) بَلْ أَظُنُّ الْمُنَافِقِينَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُخْرِجَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؟ بَلَى فَإِنَّ اللَّهَ يُمَيِّزُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ.



والمعاصي.

(٣٤) إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له وصدّوا الناس عن دينه، ثم ماتوا على ذلك، فلن يغفر الله لهم، وسيعذبهم عقاباً لهم على كفرهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

(٣٥) فلا تضعفوا -أيها المؤمنون بالله ورسوله- عن جهاد المشركين، وتجنبوا عن قتالهم، وتدعواهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالمون عليهم، والله تعالى معكم بنصره وتأييده. وفي ذلك بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء. ولن يُنقصكم الله ثواب أفعالكم.

(٣٦، ٣٧) إنما الحياة الدنيا لعب وغرور. وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، يؤتكم ثواب أفعالكم، ولا يسألكم إخراج أموالكم جميعها في الزكاة، بل يسألكم إخراج بعضها. إن يسألكم أموالكم، فليخُ عليكم ويجهدكم، تبخلوا بها وتمنعوا إياها، ويظهر ما في قلوبكم من الحقد إذا طلب منكم ما تكرهون بذله.

(٣٨) ها أنتم -أيها المؤمنون- تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه، فمنكم من يبخل بالنفقة في سبيل الله، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله تعالى هو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه، وإن تولوا عن الإيمان بالله وامتنال أمره يهلككم، ويأت بقوم آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم.

﴿سورة الفتح﴾

(١) إنا فتحنا لك - أيها الرسول - فتحاً مبيناً، يُظهر الله فيه دينك، وينصرك على عدوك، وهو هدنة «الحديبية» التي آمن الناس بسببها بعضهم بعضاً، فاستعنت دائرة الدعوة لدين الله، وتمكن من يريد الوقوف على حقيقة الإسلام ومن معرفته، فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا؛ ولذلك سمّاه الله فتحاً مبيناً، أي ظاهراً جلياً.

(٢، ٣) فتحنا لك ذلك الفتح، ويسرناه لك؛ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ بسبب ما حصل من هذا الفتح من الطاعات الكثيرة وبما تحملته من المشقات، ويتم نعمته عليك بإظهار دينك ونصرك على أعدائك، ويرشدك طريقاً مستقيماً من الدين لا عوج فيه، وينصرك الله نصراً قوياً لا يُضغف فيه الإسلام. (٤) هو الله الذي أنزل الطمانينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله يوم «الحديبية» فسكنت، ورسخ اليقين فيها؛ ليزدادوا تصديقاً لله واتباعاً لرسوله مع تصديقهم واتباعهم. والله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض ينصرهم

عباده المؤمنين. وكان الله عليماً بمصالح خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه.

(٥) ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، ويمحو عنهم سيئ ما عملوا، فلا يعاقبهم عليه، وكان ذلك الجزاء عند الله نجاة من كل غم، وظرفاً بكل مطلوب.

(٦) ويعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين ظنوا سيئاً بالله أنه لن ينصر نبيه والمؤمنين معه على أعدائهم، ولن يُظهر دينه، فعلى هؤلاء تدور دائرة العذاب وكل ما يسوءهم، وغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وأعد لهم نار جهنم، وساءت منزل لا يصيرون إليه.

(٧) والله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض يؤيد بهم عباده المؤمنين. وكان الله عزيزاً على خلقه، حكيماً في تدبير أمورهم.

(٨، ٩) إنا أرسلناك - أيها الرسول - شاهداً على أمتك بالبلاغ، مبيناً لهم ما أرسلناك به إليهم، ومبشراً لمن أطاعك بالجنة، ونذيراً لمن عصاك بالعقاب العاجل والآجل؛ لتؤمنوا بالله ورسوله، وتنصروا الله بنصر دينه، وتعظمووا الله، وتسبحوه أول النهار وآخره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
 وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝
 وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
 الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
 سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
 يَا اللَّهُ ظَلَمَ السَّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَلَتَعَزَّزُوا وَتُقَرِّرُوا وَلَنَسَبِّحُوهَ بُحْرًا وَأَصِيلًا ۝

إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُتَّقِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ
لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا
فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ
فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ هُمُومًا أَوْ أَرَادَ
بِكُم تَقَاعُلًا كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ
يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزِينَ ذَلِكَ فِي
قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قُلْنَا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا
أُتِلْقُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ لِتُحَادِدُوا هَؤُلَاءِ نَتَّبِعُهُمْ يَريُدُونَ
أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
فَمُتَّقُوا بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَاوُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

(١٠) إن الذين يبايعونك -أيها النبي-
به «الحديبية» على القتال إنما يبايعون الله،
ويعقدون العقد معه ابتغاء جنته ورضوانه، يد
الله فوق أيديهم، فهو معهم يسمع أقوالهم،
ويرى مكانهم، ويعلم ضمايرهم وظواهرهم،
فمن نقض بيعته فإنما يعود وبال ذلك على
نفسه، ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر
عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم، فسيطيح الله ثواباً جزيلاً،
وهو الجنة. وفي الآية إثبات صفة اليد الله تعالى
بما يليق به سبحانه، دون تشبيه ولا تكيف.

(١١) سيقول لك -أيها النبي- الذين تخلفوا
من الأعراب عن الخروج معك إلى «مكة» إذا
عاتبتهم: شغلتنا أموالنا وأهلونا، فاسأل ربك
أن يغفر لنا تخلفنا، يقولون ذلك بالستهم، ولا
حقيقة له في قلوبهم، قل لهم: فمن يملك لكم
من الله شيئاً إن أراد بكم شرّاً أو خيراً؟ ليس
الأمر كما ظن هؤلاء المنافقون أن الله لا يعلم
ما انطوت عليه بواطنهم من النفاق، بل إنه
سبحانه كان بما يعملون خبيراً، لا يخفى عليه
شيء من أعمال خلقه.

(١٢) وليس الأمر كما زعمتم من اشتغالكم بالأموال والأهل، بل إنكم ظننتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه
من أصحابه سيهلكون، ولا يرجعون إليكم أبداً، وحسن الشيطان ذلك في قلوبكم، وظننتم ظناً سيئاً أن الله لن ينصر نبيه
محمدّاً صلى الله عليه وسلم وأصحابه على أعدائهم، وكنتم قوماً هلكي لا خير فيكم.

(١٣) ومن لم يصدق بالله وبها جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ويعمل بشره، فإنه كافر مستحق للعقاب، فإننا أعددنا
للكافرين عذاب السعير في النار.

(١٤) ولله ملك السموات والأرض وما فيها، يتجاوز برحمته عن من يشاء فيستر ذنبه، ويعذب بعدله من يشاء. وكان الله
سبحانه وتعالى غفوراً لمن تاب إليه، ورحيماً به.

(١٥) سيقول المخلفون إذا انطلق -أيها النبي- أنت وأصحابك إلى غنائم «خير» التي وعدكم الله بها: اتركوا نذهب
معكم إلى «خير»، يريدون أن يغيروا بذلك وعد الله لكم. قل لهم: لن تخرجوا معنا إلى «خير»؛ لأن الله تعالى قال لنا من
قبل رجوعنا إلى «المدينة»: إن غنائم «خير» هي لمن شهد «الحديبية» معنا، فسيقولون: ليس الأمر كما تقولون، إن الله لم
يأمركم بهذا، إنكم تمنعوننا من الخروج معكم حسداً منكم؛ لئلا نصيب معكم الغنيمة، وليس الأمر كما زعموا، بل كانوا
لا يفقهون عن الله ما لهم وما عليهم من أمر الدين إلا يسيراً.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّ عَوْنٍ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يَسُومُونَ إِيَّاهُمْ تُطِيعُوا وَتُؤَدُّونَ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَأِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمِنْ تَحْتِهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا وَبَأْسًا ۝ وَمَعَازٍ
كَثِيرَةٌ يَأْخُذُ بِهَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَعَدَّ اللَّهُ
مَعَازٍ كَثِيرَةً تَأْخُذُ بِهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَلَكَ يَدَي
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتُكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ۝ وَآخِرُ لِمَ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَلَوْ قَاتَلَ كُلُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَآمَنُوا أَلَدَّتْ رَعَةً لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ سَنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝

(١٦) قل للذين تخلفوا من الأعراب - وهم البدو - عن القتال: سددون إلى قتال قوم أصحاب بأس شديد في القتال، تقاتلونهم أو يسلمون من غير قتال، فإن طيعوا الله فيها دعاكم إليه من قتال هؤلاء القوم يؤتكم الجنة، وإن عصوه كما فعلتم حين تخلفتم عن السير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى «مكة»، يعذبكم عذاباً موجعاً.

(١٧) ليس على الأعمى منكم - أيها الناس - إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم في أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين؛ لعدم استطاعتهم. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومن يعص الله ورسوله، فيتخلف عن الجهاد مع المؤمنين، يعذبه عذاباً مؤلماً موجعاً.

(١٨، ١٩) لقد رضي الله عن المؤمنين حين يبايعوك - أيها النبي - تحت الشجرة - وهذه هي بيعة الرضوان في «الحديبية» - فعلم الله ما في قلوب هؤلاء المؤمنين من الإيمان والصدق والوفاء، فأنزل الله الطمأنينة عليهم وثبت

قلوبهم، وعوّضهم عما فاتهم بصلح «الحديبية» فتحاً قريباً، وهو فتح «خيبر»، ومغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود «خيبر». وكان الله عزيزاً في انتقامه من أعدائه، حكياً في تدبير أمور خلقه.

(٢٠-٢٢) وعذكم الله مغنم كثيرة تأخذونها في أوقاتها التي قدرها الله لكم فمفعّل لكم غنائم «خيبر»، وكف أيدي الناس عنكم، فلم ينلكنم سوء مما كان أعداؤكم أضمره لكم من المحاربة والقتال، ومن أن ينالوا من تركتموهم وراءكم في «المدينة»، ولتكون هزيمتهم وسلامتكم وغنيمتكم علامة تعتبرون بها، وتستدلون على أن الله حافظكم وناصركم، ويرشدكم طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه. وقد وعذكم الله غنيمة أخرى لم تقدروا عليها، الله سبحانه وتعالى قادر عليها، وهي تحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها، ولا بد من وقوع ما وعد به. وكان الله على كل شيء قديراً لا يُعجزه شيء. ولو قاتلكم كفار قريش بـ «مكة» لانهمزوا عنكم وولّوكم ظهورهم، كما يفعل المهزوم في القتال، ثم لا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا ينصرونهم على حربكم، ولا نصيراً يعينهم على قتالكم.

(٢٣) سنة الله التي سنّها في خلقه من قبل بنصر جنده وهزيمة أعدائه، ولن تجد - أيها النبي - لسنة الله تغييراً.

(٢٤) وهو الذي كف أيدي المشركين عنكم، وأيديكم عنهم بطن «مكة» من بعد ما قُذِرتم عليهم، فصاروا تحت سلطانكم، وهؤلاء المشركون هم الذين خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ «الحديبية»، فأمسكهم المسلمون ثم تركوهم ولم يقتلوهم، وكانوا نحو ثمانين رجلاً، وكان الله بأعمالكم بصيراً، لا تخفى عليه خافية.

(٢٥) كفار قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصُدوكم يوم «الحديبية» عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدى، وحسوه أن يبلغ مَجَلَّ نحره، وهو الحرم. ولولا رجال مؤمنون مستضعفون ونساء مؤمنات بين أظهر هؤلاء الكافرين بـ «مكة»، يكتمون إيمانهم خيفة على أنفسهم لم تعرفوهم؛ خشية أن تطوهم بجيشكم فتقتلوهم، فيصيبكم بذلك القتل إثم وعيب وغرامة بغير علم، لكننا سلطناكم عليهم؛ ليدخل الله في رحمته من يشاء فيؤمن عليهم بالإيمان بعد الكفر، لو تميز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات عن مشركي «مكة» وخرجوا من بينهم، لعذبنا الذين كذبوا وكذبوا منهم عذاباً مؤلماً موجعاً.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُمْ فَمَا نَبْلَغُ مَجَلَّةً وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوهُمْ فَيَنْصَبُوا مِنْهُمُ مَعْرُوفًا بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّبِّيَّ بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

(٢٦) إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الأتمة أنفة الجاهلية؛ لتلايقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك امتناعهم أن يكتبوا في صلح «الحديبية» «بسم الله الرحمن الرحيم» وأبوا أن يكتبوا «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فأنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين معه، وألزمهم قول «لا إله إلا الله» التي هي رأس كل تقوى، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه أحق بكلمة التقوى من المشركين، وكانوا كذلك أهل هذه الكلمة دون المشركين. وكان الله بكل شيء عليماً لا يخفى عليه شيء.

(٢٧) لقد صدق الله رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - رؤياه التي أراها إياه بالحق لتدخل أنت وأصحابك بيت الله الحرام آمينين، لا تخافون أهل الشرك، محلقين رؤوسكم ومقصرين، فعلم الله من الخير والمصلحة - في صرفكم عن «مكة» عامكم ذلك ودخولكم إليها فيها بعد - ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون دخولكم «مكة» الذي وعدتم به، فتحاً قريباً، وهو هدنة «الحديبية» وفتح «خير».

(٢٨) هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، بالبيان الواضح ودين الإسلام؛ ليُغْلِبَ على الملل كلها، وحسبك - أيها الرسول - بالله شاهداً على أنه ناصرك ومظهر دينك على كل دين.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَرَنَاجٍ أَخْرَجَ شَطْلُهُ فَتَزَاوَرَتْ وَفَأَسْتَظْفَلُ فَأَسْتَوِي
عَلَى سَوْدَةٍ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥﴾

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَادَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَغْضُونَ أَسْرَافَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

(٢٩) محمد رسول الله، والذين معه على دينه أشداء على الكفار، رحماء في بينهم، تراهم ركعاً سجداً لله في صلاتهم، يرجون ربه أن يفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم في التوراة. وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائماً على سيقانه جيلاً منظره، يعجب الزرع؛ ليغيط بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار. وفي هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة - رضي الله عنهم -، لأن من غاظه الله بالصحابة، فقد وجد في حقه موجب القَيْظ، وهو الكفر. وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثواباً جزيلاً لا ينقطع، وهو الجنة. ووعد الله حق مصدق لا يخلف، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم.

﴿سورة الحجرات﴾

- (١) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تقضوا أمراً دون أمر الله ورسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا، وخافوا الله في قولكم وفعلكم أن يخالف أمر الله ورسوله، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم. وفي هذا تحذير للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين، أو يشرعوا ما لم يأذن به الله.
- (٢) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا بمناداته كما يجهر بعضكم لبعض، وميزوه في خطابه كما تميز عن غيره في اصطفااته لحمل رسالة ربه، ووجوب الإتيان به، ومحبة وطاعته والافتداء به؛ خشية أن تبطل أعمالكم، وأنتم لا تشعرون، ولا تحسبون بذلك.
- (٣) إن الذين يحضنون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين اختبر الله قلوبهم، وأخلصها لتقواه، لهم من الله مغفرة لذنوبهم وثواب جزيل، وهو الجنة.
- (٤) إن الذين ينادونك - أي النبي - من وراء حجراتك بصوت مرتفع، أكثرهم ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوقيره.

وَلَوْلَا أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمُ لَكَانَ خَبِيرًا ۖ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 ذِكْرُ ۝ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ لِنَفْسِهِمْ يَقْتُلُونَ
 قُصْبِيُوا أَوْ قَاتِلْهُمْ ۖ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝
 وَأَعْمُوا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ يُضِلُّكُمْ فِي كِبَرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعْنَةُ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ
 إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ۝
 فَضَلَّامِنَ اللَّهِ وَرِعْمَةً ۖ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ۝ وَإِن طَائِفَتَانِ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا أَتَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
 عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَأْتِيَ أَمْرَ اللَّهِ فَإِن قَاتَلَتْ
 فَأَصْلَحُوا أَتَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْصَطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْيَسْخَرِ قَوْمٌ مِنْ قَوْمِهِ
 عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُمْ نِسَاءً ۖ فَلَا تُنْفِكُوا عَنْهُ ۖ فَمِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا
 مِنْهُنَّ وَلَا تَكْمُلُوا أَلْفُسُوكُمْ وَلَا تَسْتَأْذِنُوا بِلَا أَلْقَابٍ يَنْسِلُ إِلَى السَّمِ
 الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۖ وَمَنْ يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝

1. The first step is to identify the problem or goal. This involves understanding the current situation and what needs to be achieved.

وَمِنَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْهَا قَوْمٌ لَّهُمْ أَجَلٌ مُّسَمًّى وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ

وإن طائفتان من أهل الإيمان أقبلوا فأصلحوا - أيها المؤمنون

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ

م الله ورسوله، فإن رجعت فاصبحوا بيتهى بأية نصاف، و

كَم رُسُوْلُهُ، إِنْ اللّٰهُ يَجِبُ الْعَادِيْنَ فِي أَحْكَامِهِمُ الْعَاصِيْنَ بَيْنَ

لیکے بیچارے سبب خانہ.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ، فَاصْلَحُوا بَيْنَ أَهْوِيكُمْ إِذَا

(يا أيها الدين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشريعته لا يهز)

م خيرا من اهازئين، ولا يهز انساء مؤمنات من نساء مؤمنات

بعضكم بعضا، ولا يدع بعضكم بعضا بما يكره من الألقاب

بابز باللقاب، بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلموه، ومن لم

لَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بَارْتِكَابِ هَذِهِ الْمَنَاهِي.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَحَسَنَّاكُمْ سُعُوبًا وَقَبِيلًا لِّتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْدَرُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنَّكُمْ صَادِقُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

(١٢) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعلّموا بشره اجتنبوا كثيراً من ظن السوء بالمؤمنين؛ إن بعض ذلك الظن إثم، ولا تُفتشوا عن عورات المسلمين، ولا يقل بعضهم في بعضي بظهر الغيب ما يكره. أيجب أحذكم أكل لحم أخيه وهو ميت؟ فأنتم تكرهون ذلك، فاكروهوا اغتيابه. وخافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله تواب على عباده المؤمنين، رحيم بهم.

(١٣) يا أيها الناس إنا خلقناكم من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء، فلا تفاضل بينكم في النسب، وجعلناكم بالتناسل شعوباً وقبائل متعددة؛ ليعرف بعضكم بعضاً، إن أكرمكم عند الله أشدكم اتقاء له. إن الله عليم بالمتقين، خبير بهم.

(١٤) قالت الأعراب - وهم البدو - : آمنا بالله ورسوله إيماناً كاملاً، قل لهم - أيها النبي - : لا تدّعوا لأنفسكم الإيمان الكامل، ولكن قولوا: أسلمنا، ولم يدخل بعد الإيمان في قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً. إن الله غفور لمن تاب من ذنوبه، رحيم به. وفي الآية زجر لمن يُظهر الإيمان، ومتابعة السنة، وأعماله تشهد بخلاف ذلك.

(١٥) إنما المؤمنون الذين صدّقوا بالله ورسوله وعلّموا بشره، ثم لم يرتابوا في إيمانهم، وبذلوا نفائس أموالهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم.

(١٦) قل - أيها النبي - هؤلاء الأعراب: اتّخبرون الله بدينكم وبما في ضمائركم، والله يعلم ما في السموات وما في الأرض؟ والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه ما في قلوبكم من الإيمان أو الكفر، والبر أو الفجور.

(١٧) يَمْنُونُ هؤلاء الأعراب عليك - أيها النبي - بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم لك، قل لهم: لا تَمْنُونُ عليّ دخولكم في الإسلام؛ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، والله المنة عليكم فيه أن وفقكم للإيمان به ورسوله، إن كنتم صادقين في إيمانكم.

(١٨) إن الله يعلم غيب السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، والله بصير بأعمالكم وسببجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿سورة ق﴾

(١) ﴿ق﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

أقسم الله تعالى بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف.

(٢) بل عجب المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم أن جاءهم منذر منهم ينذرهم عقاب الله، فقال الكافرون بالله ورسوله: هذا شيء مستغرب يتعجب منه.

(٣) إذا متنا وصرنا تراباً، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟ ذلك رجع بعيد الوقوع.

(٤) قد علمنا ما تنقص الأرض وتُفني من أجسامهم، وعندنا كتاب محفوظ من التغيير والتبديل، بكل ما يجري عليهم في حياتهم وبعد مماتهم.

(٥) بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن حين جاءهم، فهم في أمر مضطرب مختلط، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار.

(٦) أغفلوا حين كفروا بالبعث، فلم ينظروا إلى الساء فوقهم، كيف بنيناها مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، وزيناها بالنجوم، وما لها من شقوق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۚ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۚ إِنْ آمَنَّا وَكُنَّا بِآيَاتِكَ رَاجِعِينَ ۚ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ ۚ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۚ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهُنَ فِيهَا مِنْ فُرُوجٍ ۚ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَالْقِطَاعُ فِيهَا رَوِصٌ ۚ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَبْهِيجٍ ۚ بَصِيرَةٌ وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ ۚ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدِبًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۚ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۚ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۚ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۚ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ وَثَمُودُ ۚ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ۚ وَلِأَخْوَثُ لُوطُ ۚ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ وَقَوْمُ ثَبَعٍ كُلُّ كَذِّبٍ ۚ الرُّسُلُ نَحْنُ وَعِيدُ ۚ أَفَعَيْنَا بِالْحَقِّ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ

وفتوق، فهي سليمة من التفاوت والعيوب؟

(٧) والأرض وسفناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت، لئلا تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يسر ويبهج الناظر إليه.

(٨) خلق الله السموات والأرض وما فيها من الآيات العظيمة عبرة يُبصر بها من عمى الجهل، وذكرى لكل عبد خاضع خائف ووجل، رجاء إلى الله عز وجل.

(٩) ونزلنا من السماء مطراً أكثر المنافع، فأنبتنا به بساتين كثيرة الأشجار، وحب الزرع المحصول.

(١٠) وأنبتنا النخل طوالاً، لها طلع مترابك بعضه فوق بعض.

(١١) أنبتنا ذلك رزقاً للعباد يقتاتون به حسب حاجاتهم، وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبات، كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت.

(١٢-١٤) كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش قوم نوح وأصحاب البئر وثمود، وعاد وفرعون وقوم لوط، وأصحاب الأيكة قوم شعيب، وقوم ثَبَعٍ الحِمَريّ، كل هؤلاء الأقوام كذبوا رسلهم، فحق عليهم الوعيد الذي توعدهم الله به على كفرهم.

(١٥) أفَعَجَزْنَا عن ابتداء الخلق الأول الذي خلقناه ولم يكن شيئاً، فنَعَجِزُ عن إعادتهم خلقاً جديداً بعد فناءهم؟ لا يعجزنا ذلك، بل نحن عليه قادرون، ولكنهم في حيرة وشك من أمر البعث والنشور.

(١٦) ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تُحدث به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وهو عرق في العنق متصل بالقلب.

(١٧) حين يكتب المَلَكُان المترصدان عن يمينه وعن شِماله أعماله. فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات.

(١٨) ما يلفظ من قول فيتكلم به إلا لديه مَلَكٌ يرقب قوله، ويكتبه، وهو مَلَكٌ حاضر مُعَدٌّ لذلك.

(١٩) وجاءت شدة الموت وغمرته بالحق الذي لا مردَّ له ولا مناص، ذلك ما كنت منه -أيها الإنسان- تهرب وتروغ.

(٢٠) ونُفِخ في «القرن» نفخة البعث الثانية، ذلك النفخ في يوم وقوع الوعيد الذي توعد الله به الكفار.

(٢١) وجاءت كل نفس معها مَلَكُان، أحدهما يسوقها إلى المحشر، والآخر يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير وشر.

(٢٢) لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان، فكشفنا عنك غطاءك الذي غطى قلبك، فزالت الغفلة عنك، فبصرك اليوم فيها تشهد قوي شديد.

(٢٣) وقال المَلَكُ الكاتب الشهيد عليه: هذا ما عندي من ديوان عمله، وهو لدي مُعَدٌّ محفوظ حاضر.

(٢٤-٢٦) يقول الله للمَلَكَيْن السائق والشهيد بعد أن يفصل بين الخلائق: ألقيا في جهنم كل جاحد أن الله هو الإله الحق، كثير الكفر والتكذيب معاند للحق، مُتَاعٍ لآداء ما عليه من الحقوق في ماله، مُتَعَدٍّ على عباد الله وعلى حدوده، شك في وعده ووعيده، الذي أشرك بالله، فعبد معه معبوداً آخر من خلقه، فألقياه في عذاب جهنم الشديد.

(٢٧) قال شيطانه الذي كان معه في الدنيا: ربنا ما أضللتها، ولكن كان في طريق بعيد عن سبيل الهدى.

(٢٨) قال الله تعالى: لا تختصموا لدي اليوم في موقف الجزاء والحساب؛ إذ لا فائدة من ذلك، وقد قُدِّمَتْ إليكم في الدنيا بالوعد لمن كفر في وعصاني.

(٢٩) ما يُغَيِّرُ القول لدي، ولست أعدب أحداً بذنب أحد، فلا أعدب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

(٣٠) اذكر -أيها الرسول- لقومك يوم نقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وتقول جهنم: هل من زيادة من الجن والإنس؟ فيضع الرب -جل جلاله- قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قَطُّ قَطُّ، أي: حَسْبِي، قد امتلأت ليس في مزيد.

(٣١) وقرَّبَت الجنة للمُتَّقِينَ مكاناً غير بعيد منهم، فهم يشاهدونها زيادة في المسرة لهم.

(٣٢، ٣٣) يقال لهم: هذا الذي كنتم توعدون به -أيها المتقون- لكل تائب من ذنوبه، حافظ لكل ما قرَّبَه إلى ربه، من الفرائض والطاعات، مَنْ خاف الله في الدنيا ولقيه يوم القيامة بقلب تائب من ذنوبه.

(٣٤) ويقال هؤلاء المؤمنون: ادخلوا الجنة دخولاً مقروناً بالسلامة من الآفات والشور، مأموناً فيه جميع المكار، ذلك هو يوم الخلود بلا انقطاع.

(٣٥) هؤلاء المؤمنون في الجنة ما يريدون، ولدينا على ما أعطيناهم زيادة نعيم، أعظمُها النظر إلى وجه الله الكريم.

(٣٦) وأهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش
أعداء كثيرة، كانوا أشد منهم قوة وسطوة، فطوفوا
في البلاد وسلكوا كل طريق؛ طلباً للهرب من
الهلاك، هل من مهرب من عذاب الله حين
جاءهم؟

(٣٧) إن في إهلاك القرون الماضية لعبرة لمن
كان له قلب يعقل به، أو أصغى السمع، وهو
حاضر بقلبه، غير غافل ولا ساهو.

(٣٨) ولقد خلقنا السموات السبع والأرض
وما بينهما من أصناف المخلوقات في ستة أيام،
وما أصابنا من ذلك الخلق تعب ولا نصب. وفي
هذه القدرة العظيمة دليل على قدرته - سبحانه -
على إحياء الموتى من باب أولى.

(٣٩، ٤٠) فاطر - أيها الرسول - على ما يقوله
المكذبون، فإن الله لهم بالمرصاد، وصل لربك
حامداً له صلاة الصبح قبل طلوع الشمس
وصلاة العصر قبل الغروب، وصل من الليل،
وسبح بحمد ربك عقب الصلوات.

(٤١، ٤٢) واستمع - أيها الرسول - يوم ينادي
المَلَكُ بتفخه في «القرن» من مكان قريب، يوم
يسمعون صيحة البعث بالحق الذي لا شك فيه
ولا امتراء، ذلك يوم خروج أهل القبور من
قبورهم.

(٤٣، ٤٤) إنا نحن نحياي الخلق ونميتهم
في الدنيا، ولنبنا مصبرهم جميعاً يوم القيامة للحساب والجزاء، يوم تتصدع الأرض عن الموتى المقبورين بها، فيخرجون
مسرعين إلى الداعي، ذلك الجمع في موقف الحساب علينا سهل يسير.
(٤٥) نحن أعلم بما يقول هؤلاء المشركون من افتراء على الله وتكذيب بآياته، وما أنت - أيها الرسول - عليهم بمسلط؛
لنجبرهم على الإسلام، وإنا نبعث مبعثاً، فذكر بالقرآن من يخشى وعيدي؛ لأن من لا يخاف الوعيد لا يذكر.

وَكُرْهُلِكُنَا أَقْبَلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا
فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبُرَ النُّجُودِ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٣٩﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٠﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤١﴾ يَوْمَ نَشْفِقُ الْأَرْضَ
عَنْهُمْ سِرًّا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٢﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٣﴾

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُصَدِّاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا نَعِدُّونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَلَئِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ

﴿سورة الذاريات﴾

(١-٦) أقسم الله تعالى بالرياح المثبرات للتراب، فالسحب الحاملات ثقلاً عظيماً من الماء، فالسفن التي تجري في البحار
جرياً ذا يسر وسهولة، فالملائكة التي تُفَسِّمُ أمر الله في خلقه. إن الذي توعدون به - أيها الناس - من البعث والحساب لكائن
حق يقين، وإن الحساب والثواب على الأعمال لكائن لا محالة.

وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْجُبِّ ۚ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٧ ۚ يُؤَفِّكُ عَنْهُ خَمْنَ أَفْكَ ۝٨ قِيلَ لِّلْمُرْصُونَ ۝٩ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِمْ سَاهُونَ ۝١٠ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝١١ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ ۝١٢ دُفُّوا فَنَبِّئْهُمْ هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِهِ ۝١٣ يَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ الْمُسْقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهُمْ فِيهَا ۝١٥ شَاكِينَ مَاءً تَنْزِيلُهُمْ لَهُمْ كَالْوَيْحِ ۝١٦ ذَٰلِكَ مُّحْسِنَاتُ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ ۝١٧ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٨ وَإِلَّا سَحَابُهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٩ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ ۝٢٠ وَالْمَحْرُومِ ۝٢١ وَفِي الْأَرْضِ ۝٢٢ لِّتَرْوِينَ ۝٢٣ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢٤ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٥ قُرْبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ ۝٢٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ صَبِيٍّ يُبْهِمُ الْمُكْرِمِينَ ۝٢٧ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامَةٌ قَوْمٌ مُّتَكَبِّرُونَ ۝٢٨ فَرِغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٩ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٣٠ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ ۝٣١ وَبَشِّرْهُ بِعَلِيِّ عِلْمِهِ ۝٣٢ فَأَقْبَلَ أَمْرَانَهُ فِي صَرَقٍ فَصَنَعَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتَ حُجُورٌ عَقِيمَةٌ ۝٣٣ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝٣٤

(٧-٩) وأقسم الله تعالى بالسماوات ذات الجلبج، الحسن، إنكم -أيها المكذبون- لفي قول مضطرب في هذا القرآن، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم. يصرّف عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم من صرّف عن الإيمان بها؛ لإعراضه عن أدلة الله وبراهينه اليقينية فلم يوفق إلى الخير.

(١٠، ١١) لعن الكذابون الظانون غير الحق، الذين هم في لجة من الكفر والضلالة غافلون متنادون.

(١٢) يسأل هؤلاء الكذابون سؤال استبعاد وتكذيب: متى يوم الحساب والجزاء؟

(١٣، ١٤) يوم الجزاء، يوم يُعذبون بالأحراق بالنار، ويقال لهم: ذوقوا عذابكم الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا.

(١٥، ١٦) إن الذين اتقوا الله في جنات عظيمة، وعيون ماء جارية، أعطاهم الله جميع ما هم من أصناف النعيم، فأخذوا ذلك راضين به، فرحة به نفوسهم، إنهم كانوا قبل ذلك النعيم محسنيين في الدنيا بأعمالهم الصالحة.

(١٧، ١٨) كان هؤلاء المحسنون قليلاً من الليل ما ينامون، يُصلّون لربهم قانتين له، وفي أواخر الليل قبيل الفجر يستغفرون الله من ذنوبهم.

(١٩) وفي أموالهم حق واجب ومستحب للمحتاجين الذين يسألون الناس، والذين لا يسألونهم حياة.

(٢٠) وفي الأرض عبر ودلائل واضحة على قدرة خالقها لأهل اليقين بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والمصدقين لرسوله صلى الله عليه وسلم.

(٢١) وفي خلق أنفسكم دلائل على قدرة الله تعالى، وعبر تدلّكم على وحدانية خالقكم، وأنه لا إله لكم يستحق العباداة سواه، أغفلتم عنها، فلا تبصرون ذلك، فتعتبرون به؟

(٢٢) وفي السماوات رزقكم وما توعدون من الخير والشر والثواب والعقاب، وغير ذلك كله مكتوب مقدّر.

(٢٣) أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدكم به حق، فلا تُشْكروا فيه كما لا تُشْكُون في نطقكم.

(٢٤، ٢٥) هل أتاك -أيها الرسول- حديث ضيف إبراهيم الذين أكرمهم -وكانوا من الملائكة الكرام- حين دخلوا عليه في بيته، فحيّوه قائلين له: سلاماً، فردّ عليهم التحية قائلاً: سلام عليكم، أنتم قوم غريباء لا نعرفكم.

(٢٦-٢٨) قدّلك ومال خفية إلى أهله، فعمد إلى عجل سمين فذبجه، وشواه بالنار، ثم وضعه أمامهم، وتلطّف في دعوتهم إلى الطعام قائلاً: ألا تأكلون؟ فلما رآهم لا يأكلون أحسن في نفسه خوفاً منهم، قالوا له: لا تحفّ إنا رسل الله، وبشّروه بأن زوجته «سارة» ستلد له ولداً، سيكون من أهل العلم بالله ودينه، وهو إسحاق عليه السلام.

(٢٩، ٣٠) فلما سمعت زوجة إبراهيم مقالة هؤلاء الملائكة بالشارة أقبلت نحوهم في صيحة، فلطمّت وجهها تعجباً من هذا الأمر، وقالت: كيف ألدو وأنا عجوز عقيم لا ألد؟ قالت لها ملائكة الله: هكذا قال ربك كما أخبرناك، وهو القادر على ذلك، فلا عجب من قدرته. إنه سبحانه وتعالى هو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، العليم بمصالح عباده.

(٣١-٣٤) قال إبراهيم عليه السلام، ملائكة الله: ما شأنكم وفيهم أرسلتم؟ قالوا: إن الله أرسلنا إلى قوم قد أجرموا لكفرهم بالله؛ لنهلكهم بحجارة من طين متحجّر، معلّمة عند ربك لهؤلاء المتجاوزين الحدّ في الفجور والعصيان.

(٣٥) فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من أهل الإيثار.

(٣٦) فما وجدنا في تلك القرية غير بيت من المسلمين، وهو بيت لوط عليه السلام.

(٣٧) وتركتنا في القرية المذكورة أثراً من العذاب باقياً علامة على قدرة الله تعالى وانتقامه من الكفرة، وذلك عبرة لمن يخافون عذاب الله المؤلم الموجع.

(٣٨، ٣٩) وفي إرسالنا موسى إلى فرعون وملائه بالآيات والمعجزات الظاهرة آية للذين يخافون العذاب الأليم. فأعرض فرعون مغترّاً بقوته وجانبه، وقال عن موسى: إنه ساحر أو مجنون.

(٤٠) فأخذنا فرعون وجنوده، فطرحناهم في البحر، وهو آت ما يلام عليه؛ بسبب كفره وجحوده وفجوره.

(٤١، ٤٢) وفي شأن عاد وإهلاكهم آيات وعبر لمن تأمل، إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا بركة

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي حِجَارَتِهِمْ طِينٌ ﴾ ﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿ وَفِي مِثْقَلِ ذَرَّةٍ أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَرْعُونَ ﴾ ﴿ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ فَوَلَّىٰ رُكْبَهُ وَفَالَ سِحْرٌ أَوْ حُجُونٌ ﴾ ﴿ فَأَعْدَدْنَاهُ جُودَهُ ﴾ ﴿ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَأْسِ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ ﴾ ﴿ مَا تَذَرْنَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَحْشٌ كَاثِرٌ مِمَّنْ ﴾ ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴾ ﴿ وَفَعَزَّ نُوحٌ مِنْ قَبْلِ الْإِثْمِ كَذُوًّا قَوْمًا فَاسْقِنَ ﴾ ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَا بِالْيَمِينِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ يَكْفُرُونَ لَكُمْ رَبُّكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿ وَلَا تَجْمَعُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْ يَوْمٍ ذَٰلِكُمْ مُبِينٌ ﴾

فيها ولا تأتي بخير، ما تدع شيئاً مَرَّت عليه إلا صَبَرَتْه كالشيء البالي.

(٤٣، ٤٤) وفي شأن ثمود وإهلاكهم آيات وعبر، إذ قيل لهم -والقاتل بينهم صالح عليه السلام-: تمتمعوا في داركم ثلاثة أيام حتى تنتهي آجالكم. فقصوا أمر ربهم، فأخذتهم صاعقة العذاب، وهم ينظرون إلى عقوبتهم بأعينهم.

(٤٥) فما أمكنهم الحرب ولا النهوض مما هم فيه من العذاب، وما كانوا منتصرين لأنفسهم.

(٤٦) وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء، إنهم كانوا قوماً مخالفين لأمر الله، خارجين عن طاعته.

(٤٧) والساء خلقناها وأنقناها، وجعلناها سَقْفاً للارض بقوة وقدرة عظيمة، وإننا لموسعون لأرجائها وأنحائها.

(٤٨) والأرض جعلناها فراشاً للخلق للاستقرار عليها، نعم الماهدون نحن.

(٤٩) ومن كل شيء من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين؛ لكي تذكروا قدرة الله، وتعتبروا.

(٥٠) ففروا -أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبتوكله، واتباع أمره والعمل بطاعته، إني لكم نذير بين الإنذار. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة، وهذا فرار إلى الله.

(٥١) ولا تجعلوا مع الله معبوداً آخر، إني لكم من الله نذير بين الإنذار.

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ رَسُولٌ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْنَ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ أَنْ يُصْعِقَهُمُ الْمَوْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٥﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ رِزْقًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَحِيلُونَ ﴿٥٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٥٩﴾

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورُ ﴿١﴾ وَكُتِبَ مُسْطُورٌ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَدْنُورٍ ﴿٣﴾ وَأَلْبَتِ ابْتِ
الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
مُورًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٌ مُوعِدٌ لِلْمُكَذِّبِينَ
الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾

(٥٢) كما كذبت قريش نبيها محمداً صلى الله عليه وسلم، وقالوا: هو شاعر أو ساحر أو مجنون، فعلت الأمم المكذبة رسالتها من قبل قريش، فأحل الله بهم نعمته.

(٥٣) أتواصي الأولون والآخرون بالتكذيب بالرسول حين قالوا ذلك جميعاً؟ بل هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فقال متأخروهم ذلك، كما قاله متقدموهم.

(٥٤) فأعرض - أيها الرسول - عن المشركين حتى يأتيك فيهم أمر الله، فما أنت بملوم من أحد، فقد بلغت ما أرسلت به.

(٥٥) ومع إعراضك - أيها الرسول - عنهم، وعدم الالتفات إلى تحذيلهم، دوام على الدعوة إلى الله، وعلى وعظ من أرسلت إليهم، فإن التذكير والموعظة تنفع بها أهل القلوب المؤمنة، وفيها إقامة الحجة على المعرضين.

(٥٦) وما خلقت الجن والإنس وبعثت جميع الرسل إلا لغاية سامية، هي عبادتي وحدي دون من سواي.

(٥٧) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعموا، فانا الرزاق المعطي. فهو سبحانه غير محتاج إلى الخلق، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم والغني عنهم.

(٥٨) إن الله وحده هو الرزاق لخلقه، المتكفل بأقواتهم، ذو القوة المتين، لا يقهر ولا يغالب، فله القدرة والقوة كلها.

(٥٩) فإن للذين ظلموا بتكذيبهم الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم نصيباً من عذاب الله نازلاً بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم، فلا يستجلبون بالعذاب، فهو آتيهم لا محالة.

(٦٠) فهلاك وشقاء للذين كفروا بالله ورسوله من يومهم الذي يوعدون فيه بنزول العذاب بهم، وهو يوم القيامة.

سورة الطور

(١-٦) أقسم الله بالطور، وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه، وكتاب مكتوب، وهو القرآن في صحف منشورة، وبالبيت المعمور في السماء بالملائكة الكرام الذين يطوفون به دائباً، وبالسقف المرفوع وهو السماء الدنيا، وبالبحر المسجور بال مياه.

(٧-١٠) إن عذاب ربك - أيها الرسول - بالكفار لوَاقِع، ليس له من مانع يمنعه حين وقوعه، يوم تتحرك السماء فيخزل نظامها وتضطرب أجزاؤها، وذلك عند نهاية الحياة الدنيا، وتزول الجبال عن أماكنها، وتسير كسير السحاب.

(١١، ١٢) فهلاك في هذا اليوم واقع بالمكذبين الذين هم في خوض بالباطل يلعبون به، ويتخذون دينهم هزواً ولعباً.

(١٣، ١٤) يوم يُدْفَع هؤلاء المكذبون دفْعاً بعنف ومهانة إلى نار جهنم، ويقال توبيخاً لهم: هذه هي النار التي كنتم بها تكذبون.

أَقْبِرْ حَرَّ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَيَكْبِهْنَ يَمَانُهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مَتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْبُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلٌّ أُمْرٍ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٍ ﴿٢١﴾ وَأَعَدَّ لَهُمْ يَفْلَكًا وَلَهُمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَزَّلُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا تُغْوِيهِمْ وَلَا تَأْتِيهِمْ شَيْءٌ وَطُوفٌ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُهُمْ مَكُونٌ ﴿٢٣﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
﴿٢٥﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا كُنَّا
مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبُّصُ بِهِ رَبَّ
الْمُنُونِ ﴿٢٩﴾ قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴿٣٠﴾

(١٥، ١٦) أفسح ما تشاهدونه من العذاب أم أنتم لا تظنون؟ ذوقوا حرَّ هذه النار، فاصبروا على ألمها وشديتها، أو لا تصبروا على ذلك، فلن يُخَفِّفَ عنكم العذاب، ولن تخرجوا منها، سواء عليكم صبرتم أم لم تصبروا، إنها تُحْزَنُونَ ما كنتم تعملون في الدنيا.

(١٧، ١٨) إن المتقين في جنات ونعيم عظيم، يتفكهون بها أتاهم الله من النعيم من أصناف الملائكة المختلفة، ونجاهم الله من عذاب النار. (١٩، ٢٠) كلوا طعاماً هنيئاً، واشربوا شرباً سائغاً، جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا. وهم متكئون على سرر متقابلة، وزوجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسنان.

(٢١) والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في الإيمان، ألحقنا بهم ذريتهم في منزلتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا عمل آبائهم؛ لتَقَرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجتمع بينهم على أحسن الأحوال، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم. كل إنسان مرهون بعمله، لا يحمل ذنب غيره من الناس.

(٢٢، ٢٣) وزدناهم على ما ذكر من النعيم فواكه ولحوماً بما يستطاب ويُشتهي، ومن هذا

النعيم أنهم يتعاطون في الجنة كأساً من الخمر، يناول أحدهم صاحبه؛ ليمت بذلك سرورهم، وهذا الشراب مخالف لخم الدنيا، فلا يزول به عقل صاحبه، ولا يحصل بسببه لغو، ولا كلام فيه إثم أو معصية.

(٢٤) ويطوف عليهم غلمان مُعَدُّون لخدمتهم، كأنهم في الصفاء واليباض والتناسق لولو مصون في أصدافه. (٢٥-٢٨) وأقبل أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً ما هم فيه وسببه، قالوا: إنا كنا قبل في الدنيا - ونحن بين أهلينا - خائفين ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه يوم القيامة. فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا بالهداية والتوفيق، ووقانا عذاب سُموم جهنم، وهو نارها وحرارتها. إنا كنا من قبل نضرع إليه وحده لا نشرك معه غيره أن يقينا عذاب السُموم ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا، إنه هو البرُّ الرحيم. فبين بره ورحمته إيانا أنالنا رضاه والجنة، ووقانا من سخطه والنار. (٢٩) فَذَكِّرْ - أيها الرسول - مَنْ أُرْسِلْتَ إليهم بالقرآن، فما أنت إلا نعمة الله عليك بالنبوة ورحاحة العقل بكاهن يخبر بالغيب دون علم، ولا مجنون لا يعقل ما يقول كما يدَّعون.

(٣٠، ٣١) أم يقول المشركون لك - أيها الرسول -: هو شاعر نتظر به نزول الموت؟ قل لهم: انتظروا موتي فإني معكم من المنتظرين بكم العذاب، وسترون لمن تكون العاقبة.

(٣٢) بل أنأمر هؤلاء المكذبين عقولهم بهذا القول المتناقض؟ ذلك أن صفات الكهانة والشعر والجنون لا يمكن اجتماعها في آن واحد، بل هم قوم متجاوزون الحد في الطغيان.

(٣٣) بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه؟ بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه.

(٣٤) فليأتوا بكلام مثل القرآن، إن كانوا صادقين - في زعمهم - أن محمداً اختلقه.

(٣٥) أخلق هؤلاء المشركون من غير خالق لهم وموجد، أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وكلا الأمرين باطل ومستحيل. وبهذا يتعين أن الله سبحانه هو الذي خلقهم، وهو وحده الذي يستحق العبادة ولا تصلح إلا له.

(٣٦) أم خلقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع؟ بل هم لا يوقنون بعذاب الله، فهم مشركون.

(٣٧) أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها، أم هم الجبارون المتسلطون على خلق الله بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الضعفاء.

(٣٨) أم هم مصعد إلى السماء يستمعون فيه الوحي بأن الذي هم عليه حق؟ فليأت من يزعم أنه استمع ذلك بحجة بينة تصدق دعواه.

(٣٩) أليس سبحانه البنات ولكم البنون كما تزعمون افتراء وكذبا؟

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحَلُّهُمُ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَسَمَحُورَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُسُلٌ يَنْسَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ نَسْتَأْذِنُكُمْ أَنْ نَقُولَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَعَهُ الْغَيْبُ فَهَمَّ بِكَتُبُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ آلَهِ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٣﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٧﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٨﴾

سُورَةُ الطُّورِ

(٤٠) بل أتساءل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين أجزأ على تبليغ الرسالة، فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟

(٤١) أم عندهم علم الغيب فهم يكتبونه للناس ويخبرونهم به؟ ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يعلم الغيب في السموات والأرض إلا الله.

(٤٢) بل يريدون برسول الله وبالمؤمنين مكراً، فالذين كفروا يرجع كيدهم ومكرهم على أنفسهم.

(٤٣) أم لهم معبود يستحق العبادة غير الله؟ تنزه وتعالى عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوجدانية والعبادة.

(٤٤) وإن ير هؤلاء المشركون قطعاً من السماء ساقطاً عليهم عذاباً لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: هذا سحاب مترامك بعضه فوق بعض.

(٤٥) فذر - أيها الرسول - هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُهلكون، وهو يوم القيامة.

(٤٦) وفي ذلك اليوم لا يدفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئاً، ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله.

(٤٧) وإن هؤلاء الظلمة عذاباً يلقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة من القتل والسي والعذاب البرزخ وغير ذلك، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك.

(٤٨، ٤٩) واصبر - أيها الرسول - لحكم ربك وأمره فيها تحلّك من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك، فإنك برأى منا وحفظ واعتناء، وسبح بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك، ومن الليل فسبح بحمد ربك وعظمه، وصلّ له، وافعل ذلك عند صلاة الصبح وقت إيدبار النجوم.

وفي هذه الآية إثبات لصفة العينين لله تعالى بما يليق به، دون تشبيهه بخلقه أو تكييف لذاته، سبحانه وبحمده، كما ثبت ذلك بالسنّة، وأجمع عليه سلف الأمة، واللفظ ورد هنا بصيغة الجمع للعظم.

﴿سورة النجم﴾

(١-٤) أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت، ما حاد محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الهداية والحق، وما خرج عن الرشاد، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، وليس نطقه صادراً عن هوى نفسه. ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(٥-١١) علّم محمداً صلى الله عليه وسلم ملك شديد القوة، ذو منظر حسن، وهو جبريل عليه السلام، الذي ظهر واستوى على صورته الحقيقية للرسل صلى الله عليه وسلم في الأفق الأعلى، وهو أفق الشمس عند مطلعها، ثم دنا جبريل من الرسول صلى الله عليه وسلم، فزاد في القرب، فكان دنوه مقدار قوسين أو أقرب من ذلك. فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى بواسطة جبريل عليه السلام. ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره.

(١٢-١٨) أتكذّبون محمداً صلى الله عليه وسلم، فتجادلونه على ما يراه ويشاهده من آيات ربه؟ ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها مرة أخرى عند سدره المنتهى - شجرة تبت - وهي في

السماء السابعة، ينتهي إليها ما يُعْرَج به من الأرض، وينتهي إليها ما يُبْطِط به من فوقها، عندها جنة المأوى التي وُعد بها المتقون. إذ يغشى السدرة من أمر الله شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم على صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فما مال بصره يميناً ولا شمالاً، ولا جاوز ما أُمِرَ برؤيته. لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته من الجنة والنار وغير ذلك.

(١٩، ٢٠) أفرأيتم - أيها المشركون - هذه الآلهة التي تعبدونها: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله؟

(٢١-٢٣) أنجعلون لكم الذكر الذي ترضونه، وتجعلون لله بزعيمكم الأئني التي لا ترضونها لأنفسكم؟ تلك إذا قسمه جائرة. ما هذه الأوثان إلا أسماء ليس لها من أوصاف الكمال شيء، إنما هي أسماء سميتوها أنتم وأبأؤكم بمقتضى أهوائكم الباطلة، ما أنزل الله بها من حجة تصدق دعواكم فيها. ما يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، وهو أنفسهم المنحرفة عن الفطرة السليمة، ولقد جاءهم من ربهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ما فيه هدايتهم، فما اتنعوا به.

(٢٤، ٢٥) ليس للإنسان ما تمنه من شفاعة هذه المعبودات أو غيرها عما تنواه نفسه، قلله أمر الدنيا والآخرة.

(٢٦) وكثير من الملائكة في السموات مع علو منزلهم، لا تنفع شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة، ويرضى عن المشفوع له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا قَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَطُوبُنَّ
الْهُوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَعْمُرُونَ عَلَىٰ مِثَالِي ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ حَاجَةِ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا لَمْ يَلْبُصْ وَمِطَافٍ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ
الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذْ أُنْزِلَتْ
صُبْرَىٰ ﴿٢٢﴾ إِن هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هِيَ إِلَّا أَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُلْقِي
شَفَعَةً شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ۚ
 وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
 الْحَقِّ شَيْئًا ۚ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ قَوْلٍ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْخِطَاةَ
 الَّذِينَ آذَيْنَا ۚ ذَلِكَ مَبْلَغُ عَمَلِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ۚ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَوُوا بَيْنَ أَعْمَالِهِمْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
 بِالْحَقِّ ۚ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ
 إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 وَإِذَا أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
 بِمَنْ أَنْتُمْ ۚ أَقْرَبَ بَيْتَ الَّذِي تُولَّى ۚ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى ۚ
 ۞ أَعْنَدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَرَبَ ۚ ۞ أَمْ لَمْ يُدَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
 مُوسَى ۚ وَإِذْ هَمَّ الَّذِي وَقَّى ۚ ۞ الْأَنْزِيلَ وَرِازَةَ وَرَرِ الْأُخْرَى ۚ
 ۞ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ ۞ وَإِنْ سَعَى سَوْفَ يَرَى ۚ
 ۞ ثُمَّ يُخْرِجُهَا جَزَاءً الْآوْفَى ۚ ۞ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۚ ۞
 وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۚ ۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۚ ۞

(٢٧، ٢٨) إِنْ الَّذِينَ لَا يَصْدُقُونَ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ
 مِنْ كُفَّارِ الْعَرَبِ وَلَا يَعْمَلُونَ لَهَا لَيَسْمُوكَ
 الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنَاثِ؛ لاعتقادهم جهلاً أَنَّ
 الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ، وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ. وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ
 مِنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ يَصْدُقُ مَا قَالُوهُ، مَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا
 الظَّنَّ الَّذِي لَا يَجْدِي شَيْئًا، وَلَا يَقُومُ أَبَدًا مَقَامَ
 الْحَقِّ.

(٢٩، ٣٠) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا، وَهُوَ
 الْقُرْآنُ، وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ الَّذِي هُمُ
 عَلَيْهِ هُوَ مَتْنُهُ عِلْمُهُمْ وَغَايَتُهُمْ. إِنْ رَبُّكَ هُوَ
 أَعْلَمُ بِمَنْ حَادَّ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِمَنْ اهْتَدَى وَسَلَكَ طَرِيقَ الْإِسْلَامِ.

وَفِي هَذَا إِشْدَادٌ شَدِيدٌ لِلْعَصَاةِ الْمَعْرِضِينَ عَنْ
 الْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، الْمُؤَثِّرِينَ لَهْوَى النَّفْسِ وَحُظُوظِ الدُّنْيَا
 عَلَى الْآخِرَةِ.

(٣١، ٣٢) وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَلِكُهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ؛ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَنْشَأُوا
 بَعْقَابَهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا مِنَ السُّوءِ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
 أَحْسَنُوا بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنْ كِبَارِ
 الذُّنُوبِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ، وَهِيَ الذُّنُوبُ
 الصَّغِيرَاتُ الَّتِي لَا يُبَيِّرُ صَاحِبُهَا عَلَيْهَا، أَوْ يَلْمُ
 بِهَا الْعَبْدَ عَلَى وَجْهِ النَّدَرَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ مَعَ الْإِتْيَانِ
 بِالْوَالِجِيَّاتِ وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ، يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ

وَيَسْتَرُهَا عَلَيْهِمْ، إِنْ رَبُّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ، هُوَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِكُمْ حِينَ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، وَحِينَ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ
 أُمَّهَاتِكُمْ، فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ فَتَمْدَحُوها وَتُصَفِّهُوا بِالتَّقْوَى، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى عِقَابَهُ مِنْ عِبَادِهِ فَاجْتَنَبَ مَعَاصِيَهُ.

(٣٣، ٣٤) أَفَرَأَيْتَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الَّذِي أَعْرَضَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَأَعْطَى قَلِيلًا مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ الْعَطَاءِ وَقَطَعَ
 مَعْرُوفَهُ؟

(٣٥) أَعْنَدُ هَذَا الَّذِي قَطَعَ عَطَاءَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ أَنَّهُ سَيَنْفَعُ مَا فِي يَدِهِ حَتَّى أَمْسِكَ مَعْرُوفَهُ، فَهُوَ يَرَى ذَلِكَ عَيْنًا؟ لَيْسَ الْأَمْرُ
 كَذَلِكَ، وَإِنَّا أَمْسَكْنَاكَ عَنِ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالرِّبِّ وَالصَّلَاةِ؛ بَخْلًا وَشُحًّا.

(٣٦، ٣٧) أَمْ لَمْ يُخَبَّرْ بِهَا جَاءَ فِي أَسْفَارِ التَّوْرَةِ وَصَحْفِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى مَا أُمِرَ بِهِ وَبَلَّغَهُ؟
 (٣٨، ٣٩) أَنَّهُ لَا تَتَّخِذُ نَفْسَ بِمَاثَمٍ غَيْرِهَا، وَزَوْرًا لَا يَحْمِلُهُ عَنْهَا أَحَدٌ، وَأَنَّهُ لَا يَحْصِلُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْأَجْرِ إِلَّا مَا كَسَبَ
 هُوَ لِنَفْسِهِ بِسَعْيِهِ.

(٤٠) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، فَيَمَيَّزُ حَسَنَةً مِنْ سَيِّئَةٍ؛ تَشْرِيفًا لِلْمُحْسِنِ وَتَوْبِيخًا لِلْمُسِيءِ. ۞
 (٤١، ٤٢) ثُمَّ يُجْزَى الْإِنْسَانُ عَلَى سَعْيِهِ الْجُزْءَ الْمُسْتَكْمَلَ لِمَجْمُوعِ عَمَلِهِ، وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - انْتِهَاءُ جَمِيعِ خَلْقِهِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ.

(٤٣) وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَضْحَكَ مَنْ شَاءَ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ سَرَّهُ، وَأَبْكَى مَنْ شَاءَ بِأَنْ غَمَّهُ. ۞
 (٤٤) وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَاتَ مَنْ أَرَادَ مَوْتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَحْيَا مَنْ أَرَادَ حَيَاتِهِ مِنْهُمْ، فَهُوَ الْمُتَّفَرِّدُ سُبْحَانَهُ بِالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ.

(٤٥، ٤٦) وأنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان، من نقطة نُصَبَ في الرحم.
(٤٧) وأن على ربك -أيها الرسول- إعادة خلقهم بعد مماتهم، وهي النشأة الأخرى يوم القيامة.
(٤٨) وأنه هو أغنى من شاء من خلقه بالمال، وملَّكه لهم وأرضاهم به.
(٤٩) وأنه سبحانه وتعالى هو رب الشعري، وهو نجم مضيء، كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله.

(٥٠-٥٤) وأنه سبحانه وتعالى أهلك عاداً الأولى، وهم قوم هود، وأهلك ثمود، وهم قوم صالح، فلم يبق منهم أحد، وأهلك قوم نوح قبل. هؤلاء كانوا أشد تمرداً وأعظم كفراً من الذين جاؤوا من بعدهم. ومدائن قوم لوط قلبها الله عليهم، وجعل عاليها سافلها، فألبسها ما ألبسها من الحجارة المتتابعة النازلة عليهم من السماء كال مطر.

(٥٥) فبأي نعم ربك عليك -أيها الإنسان المكذب- تشك؟

(٥٦) هذا محمد صلى الله عليه وسلم، نذير بالحق الذي أُنذِر به الأنبياء قبله، فليس يبدع من الرسل.

(٥٧، ٥٨) قربت القيامة ودنا وقتها، لا يدفعها إذا من دون الله أحد، ولا يطْلِع على وقت

وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ إِذَا نُسِطَتْ مِنْ نَظْمَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۚ وَأَن عَلَيْهِ النِّشَاءُ الْآخَرَىٰ ۚ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۚ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ ۚ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۚ وَثَمُودَ أَفَمَا أَتَّبَعَىٰ ۚ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ أَظْلَمَ ۚ وَأَطْعَىٰ ۚ وَالْمُؤَنَّفَكَ أَهْوَىٰ ۚ فَتَعَنَّتْهَا مَا عَشَىٰ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۚ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۚ زَوَيْتِ الْأَرْضَ ۚ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۚ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۚ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۚ وَأَنتُمْ سَلَامُونَ ۚ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۚ

سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَكَانَ بَرُوءًا لِّآيَةِ يُعْرَضُونَ وَيَتُورُونَ ۚ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَقْوَالَهُمْ ۚ هَمْزٌ وَكُلٌّ أُمْرٌ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ۚ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرَ ۚ فَقَوْلُهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكُرٍ ۚ

وقوعها إلا الله.

(٥٩-٦٢) أفمن هذا القرآن تعجبون -أيها المشركون- من أن يكون صحيحاً، وتضحكون منه سخرية واستهزاء، ولا تكونون خوفاً من وعيده، وأنتم لا هون معرضون عنه؟ فاسجدوا لله وأخلصوا العبادة له وحده، وسلموا له أموركم.

﴿سورة القمر﴾

(١) دنت القيامة، وانفلق القمر فلتين، حين سأل كفار «مكة» النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فدعا الله، فأراهم تلك الآية.

(٢) وإن ير المشركون دليلاً وبرهاناً على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يُعرضوا عن الإيمان به وتصديقه مكذبين منكرين، ويقولوا بعد ظهور الدليل: هذا سحر باطل ذاهب مضمحل لا دوام له.

(٣) وكذبوا النبي صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ضلالتهم وما دعتهم إليه أهواؤهم من التكذيب، وكل أمر من خير أو شر واقع بأهله يوم القيامة عند ظهور الثواب والعقاب.

(٤) ولقد جاء كفار قريش من أنباء المكذبة برسلاها، وما حلَّ بها من العذاب، ما فيه كفاية لردعهم عن كفرهم وضلالهم.

(٥) هذا القرآن الذي جاءهم بحكمة عظيمة بالغة غايتها، فأبى شيء تغني النذر عن قوم أعرضوا وكذبوا بها؟

(٦) فأعرض -أيها الرسول- عنهم، وانتظر بهم يوماً عظيماً. يوم يدعو الملوك بنفخه في «القرن» إلى أمر فظيع منكر، وهو موقف الحساب.

خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ
 قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
 رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ
 ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ
 كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَفِكَفَ كَانَ
 عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾
 كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
 صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
 مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَفِكَفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا
 مِنَّا وَاحِدًا نَدَّبُهُ وَإِنَّا أَكْفَىٰ صُلْبًا وَسُوءِ ﴿٢٤﴾ لَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ
 مِنْ بَيْنِنَا لَئَلَّهُ كُذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَمَكُونُ عَذَابًا مِّنَ الْكُذَّابِ الْأَشِيرِ
 ﴿٢٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا النَّاقَةَ فَمَنَّهُ لَنَفْسِهِمْ فَارْتَبِعْتُهُمْ وَأَبْصُرُوا ﴿٢٧﴾

(٨، ٧) ذليلة أبصارهم يخرجون من القبور كأنهم جراد منتشر في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جراد منتشر في الأفق، مسرعين إلى ما دعوا إليه، يقول الكافرون: هذا يوم عسير شديد الهول.

(٩) كذبت قبل قومك -أيها الرسول- قوم نوح فكذبوا عبدنا نوحاً، وقالوا: هو مجنون، وانتهروه متوعدين إياه بأنواع الأذى، إن لم ينته عن دعوته.

(١٠) فدعانا نوح ربه أني ضعيف من مقاومة هؤلاء، فانتصر لي بعقاب من عندك على كفرهم بك. (١١، ١٢) فأجبت دعاءه، ففتحت أبواب السماء بهاء كثير متدفق، وشققنا الأرض عيوناً متفجرة بالماء، فالتمس ماء السماء وماء الأرض على إهلاكهم الذي قدره الله لهم؛ جزاء شرهم.

(١٣، ١٤) وحملنا نوحاً ومن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شددت بها، تجري بمرأى منا وحفظ، وأغرقنا المكذبين؛ جزاء لهم على كفرهم وانتصاراً لنوح عليه السلام. وفي هذه الآية دليل على إثبات صفة العيين لله سبحانه وتعالى، كما يليق به.

(١٥، ١٦) ولقد أبقينا قصة نوح مع قومه عبرة ودليلاً على قدرتنا لمن بعد نوح؛ ليعتبروا ويتعظوا بها حل. بهذه الأمة التي كفرت بربها،

فهل من متعظ يتعظ؟ فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي وكذب رسلي، ولم يتعظ بها جاءت به؟ إنه كان عظيماً مؤلماً. (١٧) ولقد سهّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟ وفي هذه الآية وما ناظرها من السورة حثٌّ على الاستكثار من تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه.

(١٨) كذبت عاد هوداً فعاقبناهم، فكيف كان عذابي لهم على كفرهم، ونذري على تكذيب رسولهم، وعدم الإيمان به؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

(١٩، ٢٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً شديدة البرد، في يوم شؤم مستمر عليهم بالعذاب والهلاك، تقطع الناس من مواضعهم على الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم فتدق أعناقهم، وتفصل رؤوسهم عن أجسادهم، فتتركهم كالنخل المتعلق من أصله. (٢١) فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي، وكذب رسلي ولم يؤمن بهم؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

(٢٢) ولقد سهّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟ (٢٣، ٢٤) كذبت ثمود -وهم قوم صالح- بالآيات التي أنزلوا بها، فقالوا: أبشراً منا واحداً نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟ إنا إذا لقي بغيره عن الصواب وجنون.

(٢٥، ٢٦) أنزل عليه الوحي وحُصِّنَ بالنبوة من بيننا، وهو واحد منا؟ بل هو كثير الكذب والتجبر. سَيَرُونَ عند نزول العذاب بهم في الدنيا ويوم القيامة من الكذاب المتجبر؟

(٢٧) إِنَّا مَخْرُجُوا النَّاقَةَ التي سألوها من الصخرة؟ اختياراً لهم، فانتظر -يا صالح- ما يحلُّ بهم من العذاب، واصطبر على دعوتك إياهم وأذاهم لك.

وَيَنْهَوْنَ أَلَمَاءَهُمْ بِبَيْتِهِمْ كُلِّ شَرِبٍ مُتَحَضِّرٍ ۖ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاثَى فَفَعَّرَ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا أَكْهَبَ شَرِّ الْمُحْضِرِينَ ۖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ ۚ هَلْ مِنْ مَّنْ ذَكَرٍ ۖ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۖ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۖ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ
ۖ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِمْ ۖ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنَذِيرِي ۖ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۖ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنَذِيرِي ۖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ۚ هَلْ مِنْ مَّنْ ذَكَرٍ ۖ
وَلَقَدْ جَاءَهُ آلُ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ۖ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ
أَخْذًا عَزِيمًا فَمَقْدَرٍ ۖ أَكْفَارًا كَذَّبُوا عَنْ أَوَّلِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاهَةٌ
فِي الزُّبُرِ ۖ أَمْ يَقُولُونَ سُحْنٌ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۖ سَيَهْمُ الْجَمْعُ
وَيَوْمُونَ الدُّنْيَ ۖ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ۖ
إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ مُّسْتَعِرٍ ۖ يَوْمَ يَسْحُبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۖ

(٢٨) وأخبرهم أن الماء مقسوم بين قومك والناقة: للناقة يوم، ولهم يوم، كل شرب يحضره من كانت قسمته، ويحظر على من ليس بقسمته له.

(٢٩، ٣٠) فنادوا صاحبهم بالحض على عقرها، فتناول الناقة بيده، فتحرها فعاقبتهم، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم، وإنذاري لمن عصي رسلِي؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

(٣١) إنا أرسلنا عليهم جبريل، فصاح بهم صيحة واحدة، فبادوا عن آخرهم، فكانوا كالزرع اليابس سريع الانكسار الذي يجعله صاحب الحظيرة سباحاً لحفظ المواشي.

(٣٢) ولقد سهّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعاني لفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟

(٣٣) كذّبت قوم لوط بآيات الله التي أنزلوا بها. (٣٤، ٣٥) إنا أرسلنا عليهم رجلاً شديداً ترميهم بالحجارة إلا آل لوط، نجّيناهم من العذاب في آخر الليل، نعمة من عندنا عليهم، كما أثبتنا لوطاً وأله وأنعمنا عليهم، فأنجيناهم من عذابنا، نُثِيب مَنْ آمَنَ بِنَا وَشَكَرْنَا.

(٣٦) ولقد خوّف لوط قومه بأس الله وعذابه، فلم يسمعو له، بل شكّوا في ذلك، وكذّبوه.

(٣٧) ولقد طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة

بضيقه من الملائكة، فطمسنا أعينهم فلم يُبصروا شيئاً، فقبل لهم: ذوقوا عذابي وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.

(٣٨، ٣٩) ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب دائم استقر فيهم حتى يُقضى بهم إلى عذاب الآخرة، وذلك العذاب هو رجهم بالحجارة وقلب فراهم وجعل أعلاها أسفلها، فقبل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم؛ لكفركم وتكذيبكم، وإنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.

(٤٠) ولقد سهّلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعاني لفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر، فهل من متعظ به؟

(٤١) ولقد جاء أتباع فرعون وقومه إنذارنا بالعقوبة لهم على كفرهم.

(٤٢) كذبوا بآدلتنا كلها الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائنا، فعاقبناهم بالعذاب عقوبة عزيز لا يغالب، مقتدر على ما يشاء.

(٤٣) أكفاركم - يا معشر قريش - خير من الذين تقدّم ذكرهم ممن هلكوا بسبب تكذيبهم، أم لكم براءة من عقاب الله في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة؟

(٤٤) بل يقول كفار «مكة»: نحن أولو حزم ورأي وأمرنا مجتمع، فنحن جماعة متصرة لا يغلبنا من أرادنا بسوء؟

(٤٥) سيهزم جمع كفار «مكة»: أمام المؤمنين، ويولون الأدبار، وقد حدث هذا يوم «بدر».

(٤٦) والساعة موعدهم الذي يُجازون فيه بما يستحقون، والساعة أعظم وأقى مما لحقهم من العذاب يوم «بدر».

(٤٧، ٤٨) إن المجرمين في تيه من الخي وعناء وعذاب. يوم يُجرّون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم.

(٤٩) إننا كل شيء خلقناه بمقدار قدرناه وقضيناه، وسبق علمنا به، وكتابنا له في اللوح المحفوظ.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۖ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
 أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُهُ فِي الزَّيْرِ
 ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۖ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
 فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ
 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُنْقَبِحَانِ ۖ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۖ
 وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۖ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۖ
 وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۖ وَالْأَرْضُ
 وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۖ فِيهَا فَكَاةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۖ
 وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالزَّيْتَانِ ۖ قِيَاءِ ۖ وَالْآبَاءُ رَبُّكُمَا يُكَذِّبَانِ
 ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۖ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ
 مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ۖ قِيَاءِ ۖ وَالْآبَاءُ رَبُّكُمَا يُكَذِّبَانِ ۖ رَبُّ
 الْمُسْرِفِينَ ۖ رَبُّ الْمَعْرِفِينَ ۖ قِيَاءِ ۖ وَالْآبَاءُ رَبُّكُمَا يُكَذِّبَانِ ۖ

(٥٠) وما أمرنا للشيء إذا أردناه إلا أن نقول
 قولة واحدة وهي «كن»، فيكون كلمح البصر،
 لا يتأخر طرفة عين.

(٥١) ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم
 الخالية، فهل من منعظ بها حل بهم من التكال
 والعذاب؟

(٥٢) وكل شيء فعله أشباهكم الماضون من خير
 أو شر مكتوب في الكتب التي كتبها الحفظة.

(٥٣) وكل صغير وكبير من أعمالهم مُسَطَّرٌ في
 صحائفهم، وسيجازون به.

(٥٤) إن المتقين في بساتين عظيمة، وأنهار واسعة
 يوم القيامة.

(٥٥) في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيث عند
 الله المليك العظيم، الخالق للأشياء كلها،
 المقدر على كل شيء تبارك وتعالى.

﴿سورة الرحمن﴾

(١، ٢) الرحمن علم الإنسان القرآن؛ بتيسير
 تلاوته وحفظه وفهم معانيه.

(٣، ٤) خلق الإنسان، علمه البيان عما في نفسه
 تميزه له عن غيره.

(٥) الشمس والقمر يجريان متعاقبين بحساب
 متقن، لا يختلف ولا يضطرب.

(٦) والنجوم التي في السماء أو النبات الذي ينجم ويطلع من الأرض ولا ساق له، وأشجار الأرض التي لها ساق، تعرف
 ربها وتسجد له، وتقاد لما سخرها له من مصالح عباده ومنافعهم.

(٧) والسماء رفعها فوق الأرض، ووضع في الأرض العدل الذي أمر به وشرعه لعباده.

(٨، ٩) ثلاثا تعدوا وتخونون من وزنتهم، وأقيموا الوزن بالعدل، ولا تفيضوا الميزان إذا وزنت للناس.

(١٠-١٢) والأرض وضعها ومهدّها؛ ليستقر عليها الخلق. فيها فاكهة والنخل ذات الأوعية التي يكون منها الثمر، وفيها
 الحب ذو القشر؛ رزقاً لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة.

(١٣) فبأي نعم ربكم الدينين والدنيوية -يا معشر الجن والإنس- تكذبون؟ وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي
 صلى الله عليه وسلم هذه السورة، فكلما مرّ بهذه الآية، قالوا: «ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد»، وهكذا ينبغي
 للعبد إذا تليت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يقرّ بها، ويشكر الله ويحمده عليها.

(١٤، ١٥) خلق أبا الإنسان، وهو آدم من طين يابس كالْفَخَّارِ، وخلق إبليس، وهو من الجن من لهب النار المختلط بعبثه بعض.

(١٦) فبأي نعم ربكم -يا معشر الإنس والجن- تكذبون؟

(١٧) هو سبحانه وتعالى ربّ مشرق الشمس في الشتاء والصفيف، ورب مغربها فيها، فالجميع تحت تدبيره وربوبيته.

(١٨) فبأي نعم ربكم -أيها الثقلان- تكذبون؟

(١٩، ٢٠) خلط الله ماء البحرين - العذب والمِلْح - متلاقيين، لا فاصل بينهما في مرأى العين، ومع ذلك بينهما حاجز، فلا يطغى أحدهما على الآخر، ويذهب بخصائصه، بل يبقى العذب عذباً، والمِلْح ملحاً مع تلاقيهما. (٢١) فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٢٢) يخرج من البحرين بقدره الله اللؤلؤ والمرجان. (٢٣) فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٢٤) وله تعالى ملك تسخير السفن الضخمة التي تجري في البحر بمنافع الناس، رافعة سواربها وأشرعتها كالجبال. (٢٥) فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٢٦، ٢٧) كل من على وجه الأرض من الخلق هالك، ويبقى وجه ربك ذو العظمة والكبرياء والفضل والجود. وفي الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى بما يليق به سبحانه، دون تشبيه ولا تكيف.

(٢٨) فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٢٩، ٣٠) يسأله من في السموات والأرض حاجاتهم، فلا غنى لأحد منهم عنه سبحانه. كل يوم هو في شأن: يُعزَّز ويُدَلُّ، ويعطي ويمنع. فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣١، ٣٢) سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، أيها الثقلان - الإنس والجن -، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة. فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣٣، ٣٤) يا معشر الجن والإنس، إن قدزتم على النفاذ من أمر الله وحكمه هارين من أطراف السموات والأرض فافعلوا، ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى، وأنتى لكم ذلك، وأنتم لا تملكون لأنفسكم نفعاً ولا ضراً؟ فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣٥، ٣٦) يُرْسَل عليكم لهب من نار، ونحاس مذاب يُصَبُّ على رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضاً يا معشر الجن والإنس. فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣٧، ٣٨) فإذا انشقت السماء وتفتّرت يوم القيامة، فكانت هماء كلون الورد، وكالزيت المغلي والرماس المذاب؛ من شدة الأمر وهول يوم القيامة. فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٣٩، ٤٠) ففي ذلك اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس والجن عن ذنوبهم. فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

(٤١) تُعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم، فتأخذهم بمقدمة رؤوسهم وبأقدامهم، فترميهم في النار.

فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ جَمِيعِهِ إِنَّ فَيَأْتِيءُ الْآءَ
 رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٥﴾ فَيَأْتِيءُ
 الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ وَذَاتَا أَفْئَانِ ﴿٤٧﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٤٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٤٩﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانِ ﴿٥١﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٢﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ
 ﴿٥٣﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظَلْفِ
 لَمْ يُطَيَّخْنَ لِنَسِّ قَبَائِلِهِنَّ وَلَا جَانِ ﴿٥٥﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٦﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٧﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٨﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٩﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦١﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ مَذَاهِقَتَانِ ﴿٦٣﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٥﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٦﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٧﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٨﴾

(٤٢) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٤٣) يُقَالُ لَهُوَاءُ الْمَجْرِمِينَ - تَوْبِيخًا
 وَتَحْقِيرًا لَهُمْ -: هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
 الْمَجْرِمُونَ فِي الدُّنْيَا: تَارَةً يُعَذِّبُونَ فِي الْجَحِيمِ،
 وَتَارَةً يُسْقُونَ مِنَ الْحَمِيمِ، وَهُوَ شَرَابٌ بَلَغَ
 مِنْهُ الحرارة، يَقَطْعُ الْأَمْعَاءُ وَالْأَحْشَاءُ.
 (٤٤) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٤٥) وَلَنْ اتَّقَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،
 فَخَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَطَاعَهُ وَتَرَكَ مَعَاصِيَهُ،
 جَنَّاتٍ.

(٤٦) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٤٨) الْجَنَّتَانِ ذَوَاتَا أَغْصَانٍ نَضْرَةً مِنَ الْفَوَاكِهَةِ
 وَالشَّارِ.

(٤٩) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٠) فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ مِنَ الْمَاءِ تَجْرِيَانِ
 خِلَافَهُمَا.

(٥١) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٢) فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْفَوَاكِهَةِ
 صِنْفَانِ.

(٥٣) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٤) وَلِلَّذِينَ خَافُوا مَقَامَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ يَدْخُلُونَ
 فِيهَا، مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ مَبْطُنَةٍ مِنْ غَلِيظِ الدِّيَابِجِ،
 وَثَمَرِ الْجَنَّتَيْنِ قَرِيبٌ إِلَيْهِمْ.

(٥٥) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٦) فِي هَذِهِ الْفُرُشِ زَوْجَاتٌ قَاصِرَاتُ أَبْصَارِهِنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ مُتَعَلِّقَاتٌ بِهِمْ، لَمْ يَطْهَنْ لِنَسِّ قَبَائِلِهِنَّ
 وَلَا جَانِ.

(٥٧) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٥٨) كَانَ هُوَاءُ الزَّوْجَاتِ مِنَ الْحُورِ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ فِي صَفَائِهِنَّ وَجَاهِهِنَّ.

(٥٩) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٦٠، ٦١) هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ بِالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ؟ فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٦٢، ٦٣) وَمِنْ دُونِ الْجَنَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ جَنَّاتٌ أُخْرَى. فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٦٤، ٦٥) هَاتَانِ الْجَنَّتَانِ خَضِرَاوَانِ، قَدْ اشْتَدَّتْ خَضَرَتُهُمَا حَتَّى مَالَتْ إِلَى السَّوَادِ. فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟

(٦٦، ٦٧) فِيهِمَا عَيْنَانِ فَوَارَتَانِ بِالْمَاءِ لَا تَنْقَطِعَانِ. فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟
 (٦٨) فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ أَنْوَاعُ الْفَوَاكِهِ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ.
 (٦٩) فَيَأْتِي نَعْمَ رَبِّكَمَا - أَيُّهَا الثَّقَلَانِ - تُكَذِّبَانِ؟

(٧٠) في هذه الجنان الأربع زوجات طيبات
الأخلاق حسان الوجوه.
(٧١) فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
(٧٢) حور مستورات مصونات في الخيام.
(٧٣) فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
(٧٤) لم يطأ هؤلاء الحور إانس قبل أزواجهن
ولا جان.
(٧٥) فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
(٧٦) متكئين على وسائل ذوات أغطية خضر،
وفرش بدعية فائقة الصنع في غاية الحسن.
(٧٧) فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
(٧٨) تكثر بركة اسم ربك وكثر خيره،
ذي الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام
لأوليائه.

﴿سورة الواقعة﴾

(١-٣) إذا قامت القيامة، ليس لقيامها أحد
يكذب به، هي خافضة لأعداء الله في النار،
رافعة لأوليائه في الجنة.
(٤-٦) إذا حُرّكت الأرض تحريكاً شديداً،
وَفُتَّت الجبال فتيةً دقيقاً، فصارت غباراً
متطيراً في الجو قد دَرَنهُ الريح.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦﴾ مُتَكِّينَ عَلَى رَقَرٍ فِي خُضْرٍ
وَعَبَقَرٍ ﴿٧﴾ حِسَانٍ ﴿٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٩﴾
تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٠﴾

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ
هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنُفًا أُرُوجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْقُونَ السَّيْقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةً مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَى سُرُرٍ مَوْصُولَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ﴿١٦﴾

(٧) وكنتم - أيها الخلق - أصنافاً ثلاثة:

(٨، ٩) فأصحاب اليمين أهل المنزل العالية، ما أعظم مكانتهم!! وأصحاب الشمال أهل المنزل الدنيا، ما أسوأ حالهم!!
(١٠-١٢) والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة، أولئك هم المقربون عند الله، يُدْخِلُهُمْ
ربهم في جنات النعيم.
(١٣-١٦) يدخلها جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة، وغيرهم من الأمم الأخرى، وقليل من آخر هذه الأمة على سرر
منسوجة بالذهب، متكئين عليها يقابل بعضهم بعضاً.

(١٧-١٩) يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون، بأقداح وأباريق وكأس من عين خمر جارية في الجنة، لا تصدع منها رؤوسهم، ولا تذهب بعقولهم.

(٢٠-٢٤) ويطوف عليهم الغلمان بما يتخIRON من الفواكه، ويلحم طير ممّا ترغب فيه نفوسهم. ولهم نساء ذوات عيون واسعة، كأمثال اللؤلؤ المصون في أصدافه صفاءً وجمالاً، جزء لهم بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا.

(٢٥، ٢٦) لا يسمعون في الجنة باطلاً، ولا ما يتأثمون بسماعه، إلا قولاً سالماً من هذه العيوب، وتسليم بعضهم على بعض.

(٢٧-٣٤) وأصحاب اليمين، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! هم في يسر لا شوك فيه، وموز مترابك بعضه على بعض، وظل دائم لا يزول، وماء جار لا ينقطع، وفاكهة كثيرة لا تنفد ولا تنقطع عنهم، ولا يمنعهم منها مانع، وفرش مرفوعة على السرر.

(٣٥-٣٨) إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة

غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء، فجعلناهن أبكاراً، متحبات إلى أزواجهن، في سن واحدة، خلقناهن لأصحاب اليمين.

(٣٩، ٤٠) وهم جماعة كثيرة من الأولين، وجماعة كثيرة من الآخرين.

(٤١-٤٤) وأصحاب الشمال ما أسوأ حالهم وجزاءهم!! في ريح حارة من حرّ نار جهنم تأخذ بأنفاسهم، وماء حار يغلي، وظل من دخان شديد السواد، لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

(٤٥) إنهم كانوا في الدنيا متنعّمين بالحرام، معرّضين عما جاءتهم به الرسل.

(٤٦) وكانوا يقيمون على الكفر بالله والإشراك به ومعصيته، ولا ينوون التوبة من ذلك.

(٤٧) وكانوا يقولون إنكاراً للبعث: أثبت إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية؟ وهذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له.

(٤٨) أثبت نحن وأبائنا الأقدمون الذين صاروا تراباً، قد تفرّق في الأرض؟

(٤٩، ٥٠) قل لهم -أيها الرسول-: إن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون في يوم مؤقت بوقت محدد، وهو يوم القيامة.

(٥١-٥٥) ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى المكذبون بوعيد الله ووعدته، لآكلون من شجر من زقوم، وهو من أقبح الشجر، فهاثون منها بطونكم، لشدة الجوع، فشاربون عليه ماء متناهياً في الحرارة لا يروي ظمأ، فشاربون منه بكثرة، كشرب الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها.

(٥٦) هذا الذي يلقونه من العذاب هو ما أعد لهم من الزاد يوم القيامة. وفي هذا توبيخ لهم وتبكم ٣٣.

(٥٧) نحن خلقناكم -أيها الناس- ولم تكونوا شيئاً، فهلاً تصدقون بالبعث.

(٥٨، ٥٩) أفأريتم التطف التي تقذفونها في أرحام نساكنكم، هل أنتم تخلقون ذلك بشراً أم نحن الخالقون؟

(٦٠، ٦١) نحن قدرنا بينكم الموت، وما نحن بعاجزين عن أن نغير خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيها لا تعلمونه من الصفات والأحوال.

ثُمَّ اذْكُرْ أَهْلَ الضَّالِّاتِ الْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرَيْنِ زَقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَتَالُوْنَ فِيْهَا الْبُطُوْنَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيْرِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوْنَ شَرِبَ الْهَلِيْرِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا الَّذِي تَقْرَأُ الَّذِينَ هُنَّ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُوْنَ ﴿٥٦﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُوْنَ ﴿٥٧﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُوْنَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٨﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوحِينَ ﴿٥٩﴾ عَلَيَّ أَنْ يَبْدُلَ أَمْرَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُوْنَ ﴿٦١﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُوْنَ ﴿٦٢﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُوْنَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٣﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ﴿٦٤﴾ إِنَّا لَمَعْرِضُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٦﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُوْنَ ﴿٦٧﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوْهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٨﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٩﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٠﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧١﴾ نَحْنُ جُعَلْنَاهَا لَذِكْرًا وَمَتَعًا لِلْمُفْقِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٣﴾ فَلَا أَفْسِسُ لِمَوْقِعِ الْجُحُوْمِ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَامُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٥﴾

(٦٢) ولقد علمتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ولم تكونوا شيئاً، فهلاً تذكرون قدرة الله على إنشائكم مرة أخرى.

(٦٣-٦٧) أفأريتم الحرث الذي تحرثونه هل أنتم تئبونه في الأرض أم نحن نُقِرُّ قراره وننبئه في الأرض؟ لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع شيئاً، لا يُتفع به في مطعم، فأصبحتم تتعجبون مما نزل بزرعكم، وتقولون: إنا لخاسرون معذبون، بل نحن محرومون من الرزق.

(٦٨، ٦٩) أفأريتم الماء الذي تشربونه لتحبوا به، أأنتم أنزلتموه من السحاب إلى قرار الأرض، أم نحن الذين أنزلناه رحمة بكم؟

(٧٠) لو نشاء جعلنا هذا الماء شديد الملوحة، لا يُتفع به في شرب ولا زرع، فهلاً تشكرون ربكم على إنزاله الماء العذب لنفعمكم.

(٧١، ٧٢) أفأريتم النار التي توقدون، أأنتم أوجدتم شجرتها التي تُقَدح منها النار، أم نحن الموجودون لها؟

(٧٣) نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيراً لكم بنار جهنم ومنفعة للمسافرين.

(٧٤) فتره -أيها النبي- ربك العظيم كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات.

(٧٥، ٧٦) أقسم الله تعالى بمساقط النجوم في مغاريها في السماء، وإنه لقسم لو تعلمون قدره عظيم.

إِنَّهُ لَقَرِءٌ أَنْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَيْدَا هَذَا الْحَدِيثَ
أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا لَا
إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ قَالُوا لَا إِنْ كُنْتُمْ عَذَرٌ مُدِينِينَ ﴿٨٦﴾
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفَرِّقِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَزَلٌ مِنْ جَحِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَضْبَةٌ يَسْجَمٍ ﴿٩٤﴾
﴿٩٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوْحٌ يُقَيَّنُ ﴿٩٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٧﴾

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَلَكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(٧٧-٧٩) إن هذا القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن عظيم المنافع، كثير الخير، غزير العلم، في كتاب مضمون مستور عن أعين الخلق، وهو الكتاب الذي بأيدي الملائكة. لا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب، ولا يمسّه أيضاً إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث.

(٨٠) وهذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه.

(٨١) أفهكذا القرآن أنتم -أيها المشركون- مكذبون؟

(٨٢) وتجعلون شكركم لنعم الله عليكم أنكم تكذبون بها وتكفرون؟

وفي هذا إنكار على من يتهاون بأمر القرآن ولا يبالي بدعوته.

(٨٣-٨٥) فهل تستطيعون إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزاع، وأنتم حضور تنظرون إليه، أن تمسكوا روحه في جسده؟ لن تستطيعوا ذلك، ونحن أقرب إليه منكم بما لا تبتغيه، ولكنكم لا تروهم.

(٨٦، ٨٧) وهل تستطيعون إن كنتم غير محاسبين ولا تجزيين بأعمالكم أن تعيدوا الروح إلى الجسد، إن كنتم صادقين؟ لن ترجعوها.

(٨٨، ٨٩) فأما إن كان الميت من السابقين المقربين، فله عند موته الرحمة الواسعة والفرح وما تطيب به نفسه، وله جنة النعيم في الآخرة.

(٩٠، ٩١) وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين، فيقال له: سلامة لك وأمن؛ لكونك من أصحاب اليمين.

(٩٢-٩٤) وأما إن كان الميت من المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى، فله ضيافة من شراب جهنم المغلي المتناهي الحرارة، والنار يحرق بها، ويقامى عذابها الشديد.

(٩٥، ٩٦) إن هذا الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- هو حق اليقين الذي لا مرية فيه، فسبح باسم ربك العظيم، ونزّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

﴿سورة الحديد﴾

(١) نزّه الله عن السوء كل ما في السموات والأرض من جميع مخلوقاته، وهو العزيز على خلقه، الحكيم في تدبير أمورهم.

(٢) له ملك السموات والأرض وما فيها، فهو المالك المتصرف في خلقه، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا يتعذر عليه شيء أراده، فإشاءه كان، وما لم يشأ لم يكن.

(٣) هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم.

(٤) هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى -أي: علا وارفع- على عرشه فوق جميع خلقه استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من حب ومطر وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثبار، وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة والأعمال، وهو سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم، والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها.

(٥) له ملك السموات والأرض، وإلى الله مصير أمور الخلائق في الآخرة، وسيجازيهم على أعمالهم.

(٦) يُدخل ما نقص من ساعات الليل في النهار فيزيد النهار، ويُدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل فيزيد الليل، وهو سبحانه عليم بالسرائر وما تكنه الصدور، لا يخفى عليه من ذلك خافية.

(٧) آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنفقوا مما رزقكم الله من المال واستخلفكم فيه، فالذين آمنوا منكم أيها الناس، وأنفقوا من ما لهم، لهم ثواب عظيم.

(٨) وأي عذر لكم في أن لا تصدقوا بوحداية الله وتعملوا بشرعه، والرسول يدعوكم إلى

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٦﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٨﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُوا بِرُكُودِهِ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكُمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ وَلَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾

ذلك، وقد أخذ الله ميثاقكم على ذلك، إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم؟

(٩) هو الذي ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات مفصلات واضحات من القرآن؛ ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وإن الله بكم في إخراجكم من الظلمات إلى النور ليرحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وآجلكم، فيجازيكم أحسن الجزاء.

(١٠) وأي شيء يمنحكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله ميراث السموات والأرض يرث كل ما فيها، ولا يبقى أحد ما كآ لشئ فيها. لا يستوي في الأجر والثوبة منكم من أنفق من قبل فتح «مكة» وقاتل الكفار، أولئك أعظم درجة عند الله من الذين أنفقوا في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا الكفار، وكلًا من الفريقين وعد الله الجنة، والله بأعمالكم خير لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

(١١) من ذا الذي ينفق في سبيل الله محسبًا من قلبه بلا من ولا أذى، فيضاعف له ربه الأجر والثواب، وله جزاء كريم، وهو الجنة؟

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَسْعَىٰ بَشَرُهُمَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا بِإِنْفُسِكُمْ يَوْمَ تُرْجَعُونَ أَجْعَلُوا وَآءَكُمْ
فَالْتِمِسُوا نُورًا فَضِرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورَةٍ بِأَبَاطِئِهِمْ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يَتَادَوْهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ قَالُوا بَلَىٰ
وَلَكِنْ كُمْ فَتَنَّا أَفَسَكَؤُا وَتَرَضُّعْتُمْ وَأَرْتَدَّتُمْ عَنْ آمَانِكُمْ
حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّ وَكَلَّ اللَّهُ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ
وَيَسَّسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمَصْدِقَاتِ
وَأَقْرَبُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

(١٢) يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيامهم، بقدر أعمالهم، ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة تجري من تحت قصورها وأنهارها الأنهار، لا تخرجون منها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم في الآخرة.

(١٣) يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضع من نوركم، فتقول لهم الملائكة - على وجه السخرية منهم -: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نوراً، ففصل بينهم بسور له باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين من جهته العذاب.

(١٤) ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا، نؤدي شعائر الدين مثلكم؟ قال المؤمنون لهم: بلى قد كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكم أنفسكم بالفاق والمعاصي، وتربصتم بالنبي الموت وبالمؤمنين

الدوائر، وشككنتم في البعث بعد الموت، وخدعتكم أمانيكم الباطلة، ويقتم على ذلك حتى جاءكم الموت وخدعكم بالله الشيطان.

(١٥) قاليوم لا يُقبل من أحد منكم - أيها المنافقون - عوض؛ ليفتدي به من عذاب الله، ولا من الذين كفروا بالله ورسوله، مصيركم جميعاً النار، هي أولى بكم من كل منزل، ويَسَّسَ المصير هي.

(١٦) ألم يحن الوقت للذين صدقوا الله واتبعوا هديه، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله وسبأ القرآن، ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم - من اليهود والنصارى - الذين طال عليهم الزمان فبدلوا كلام الله، فقسست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله؟ وفي الآية الحث على الرقة والحشوع لله سبحانه عند سماع ما أنزله من الكتاب والحكمة، والحذر من التشبه باليهود والنصارى في قسوة قلوبهم، وخروجهم عن طاعة الله.

(١٧) اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يحيي الأرض بالمطر بعد موتها، فتخرج النبات، فكذلك الله قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، وهو القادر على تلين القلوب بعد قسوتها. قد بينّا لكم دلائل قدرتنا؛ لعلكم تعقلونها فتنتظروا.

(١٨) إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات، وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم؛ ابتغاء وجه الله تعالى، يضاعف لهم ثواب ذلك، ولهم فوق ذلك ثواب جزيل، وهو الجنة.

(١٩) والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، أولئك هم الصديقون الذين كمل تصديقهم بها جاءت به الرسل، اعتقاداً وقولاً وعملاً، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الجزيل عند الله، ونورهم العظيم يوم القيامة، والذين كفروا وكذبوا بأدلتنا وحججنا أولئك أصحاب الجحيم، فلا أجر لهم ولا نور.

(٢٠) اعلموا -أيها الناس- أنها الحياة الدنيا لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، وزينة تزنيون بها، وتفاخر بينكم بمتاعها، وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد، مثلها كمثل مطر أعجب الزرع نباته، ثم يهيج هذا النبات فيبس، فتراه مصفراً بعد خضرته، ثم يكون فتاتاً يابساً متهشماً، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان لأهل الإيمان. وما الحياة الدنيا لمن عمل لها ناسياً آخرته إلا متاع الغرور.

(٢١) سابقوا -أيها الناس- في السعي إلى

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَنَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرثُهُ مُصْغَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَاقِفُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مَن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِهِمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لَيْسَ كَمِثْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ إِنَّكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

أسباب المغفرة من التوبة النصوح والابتعاد عن المعاصي؛ لِيُتَجَزَّوْا مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهي مُعَدَّة للذين وُحِّدوا الله وأتبعوا رسله، ذلك فضل الله الذي يؤتیه مَنْ يشاء من خلقه، فالجنة لا تُنَال إلا برحمة الله وفضله، والعمل الصالح. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على عباده المؤمنين.

(٢٢) ما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تَخْلُقَ الخليفة. إن ذلك على الله تعالى يسير.

(٢٣، ٢٤) لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرحاً بطر وأشر. والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره. هؤلاء المتكبرون هم الذين يبخلون بأهلهم، ولا يتفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم. ومن يتوَلَّ عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمده عليه.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْلَهُ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم
رُسُلَنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانَتَهُ
أَتَّبَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
فَتَارَعَوْهَا حَقًّا رِّعَايَةً فَفَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كُفْلًا مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِ وَيُغْفِر لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَقَدْ يَعْلَمُ
أَهْلُ الْكِتَابِ الْآيَاتُ قُدْرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٢٥) لقد أرسلنا رسلنا بال الحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بال احكام وال شرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، و منافع للناس متعددة، وليعلم الله علماً ظاهراً للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب. إن الله قوي لا يُفْهَر، عزيز لا يغالب.

(٢٦) ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم إلى قومهما، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزل، فمِن ذريتهما مهتدي إلى الحق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

(٢٧) ثم أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات، وقفينا بعيسى بن مريم، وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه ليلاً وشفقة، فكانوا متوادين فيما بينهم، وابتدعوا رهبانية بالغلو في العبادة ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قَصْدُهم بذلك رضا الله، فما قاموا بها حق القيام، فآتينا الذين آمنوا منهم بالله ورسله أجرهم حسب إيمانهم، وكثير منهم

خارجون عن طاعة الله مكذبون بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢٨) يا أيها الذين آمنوا امثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، وآمنوا برسوله، يؤتكم ضعفين من رحمته، ويجعل لكم نوراً تهتدون به، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لعباده، رحيم بهم.

(٢٩) أعطاكم الله تعالى ذلك كله؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله يكسبونه لأنفسهم أو يمنحونه لغيرهم، وأن الفضل كله بيد الله وحده يؤتيه مَن يشاء من عباده، والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على خلقه.

﴿سورة المجادلة﴾

(١) قد سمع الله قول حولة بنت ثعلبة التي تراجعك في شأن زوجها أوس بن الصامت، وقبها صدر عنه في حقها من الظهار، وهو قوله لها: «أنت علي كظهر أمي»، أي: في حرمة النكاح، وهي تتضرع إلى الله تعالى؛ لتفريج كربتها، والله يسمع تخاطبكما ومراجعتكما. إن الله سميع لكل قول، بصير بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

(٢) الذين يظاهرون منكم من نسائهم، يقول الرجل منهم لزوجته: «أنت علي كظهر أمي»، أي: في حرمة النكاح - قد عصوا الله وخالفوا الشرع، ونسأوهم لئس في الحقيقة أمهاتهم، وإنما هن زوجاتهم، ما أمهاتهن إلا اللاتي ولدنهم. وإن هؤلاء المظاهرين ليقولون قولاً كاذباً فظيعاً لا تُعرف صحته. وإن الله لعفو غفور عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

(٣) والذين يجرمون نساءهم على أنفسهم بالمظاهرة منهم، ثم يرجعون عن قوهم ويعزمون

على وطء نسائهم، فعلى الزوج المظاهر - والحالة هذه - كفارة التحريم، وهي عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة قبل أن يطأ زوجته التي ظاهر منها، ذلكم هو حكم الله - فيمن ظاهر من زوجته - توعدون به أيها المؤمنون؛ لكي لا تقعدوا في الظهار وقول الزور، وتكفروا إن وقعتم فيه، ولكي لا تعودوا إليه، والله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

(٤) فمن لم يجد رقبة يعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متوالين من قبل أن يطأ زوجته، فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكيناً بمن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم ما يشبعهم، ذلك الذي بيناه لكم من أحكام الظهار؛ من أجل أن تصدقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم، وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها، وللمجاهدين بها عذاب موعج.

(٥) إن الذين يشاققون الله ورسوله ويخالفون أمرهم أخذوا وأهينوا، كما خذل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله، وقد أنزلنا آيات واضحات الحجة تدل على أن شرع الله وحدوده حق، ولجاحدي تلك الآيات عذاب مُدَلٍّ في جهنم.

(٦) واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة، يوم يحیی الله الموتى جميعاً، ويجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيخبرهم بما عملوا من خير وشر، أحصاه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم، وهم قد نسوه. والله على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
تَجَوُّي لثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ بَعْلَمُهُ فَلَا أَدْنَى
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ كَانُوا يُدْعُونَ بِأَسْمَائِهِمْ
عَمِلُوا يَقَوْمَ الْعِلْمَةِ إِنَّ اللَّهَ يَكِلُ شَيْءًا عَلَيْهِ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نُهِوا عَنِ التَّجَوُّي ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَبَّهُونَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَلَا جَاءَكَ بِمَا لَمْ يَحْجِبَكَ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ
جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِي نِسْفِ الْمَصِيدِ ۝ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
تَنَجَّسُوا فَلَا تَنَسَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ
وَيَتَجَبَّأُوا بِالْبَيْرِ وَالْتَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا
الْكُفْرُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَيْحَرْنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِصَارِفِهِ
شَيْئًا إِلَّا بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَئِمَّ كَلَّ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَتَّبِعُهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَنَسَّجُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَقْسَعُوا فَيَتَنَسَّجُوا
اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا لِرَفْعِ اللَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝

(٧) ألم تعلم أن الله تعالى يعلم كل شيء في السموات والأرض؟ ما يتناجى ثلاثة من خلقه بحديث سرٍّ إلا هو رابعهم بعلمه وإحاطته، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من هذه الأعداد المذكورة ولا أكثر منها إلا هو معهم بعلمه في أي مكان كانوا، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، ثم يخبرهم تعالى يوم القيامة بما عملوا من خير وشر ومجازيهم عليه. إن الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية.

(٨) ألم تر - أيها الرسول - إلى اليهود الذين ثبوا عن الحديث سرًّا بها يثير الشك في نفوس المؤمنين، ثم يرجعون إلى ما ثبوا عنه، ويتحدثون سرًّا بها هو إثم وعدوان ومخالفة لأمر الرسول؟ وإذا جاءك - أيها الرسول - هؤلاء اليهود لأمر من الأمور حيّوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية، فقالوا: (السلام عليك) أي: الموت لك، ويقولون فيما بينهم: هلاً يعاقبنا الله بها نقول لمحمد إن كان رسولاً حقاً، تكفيهم جهنم يدخلونها، ويقاسون حرها، فبنس المرجع هي.

(٩) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إذا تحدثتم فيما بينكم سرًّا، فلا تحدثوا بها فيه إثم من القول، أو بها هو عدوان على غيركم، أو مخالفة لأمر الرسول، وتحدثوا بها فيه خير وطاعة وإحسان، وخافوا الله بامثالكم وأوامره واجتنابكم نواهيه، فإليه وحده مرجعكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، وسيجازيكم بها.

(١٠) إنما التحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهو المزيّن لها، والحامل عليها؛ ليُدْخِلَ الحزن على قلوب المؤمنين، وليس ذلك بمؤذي المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته. وعلى الله وحده فليفوّه المؤمنين به جميع أمورهم.

(١١) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشره، إذا طلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا، يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة، وإذا طلب منكم - أيها المؤمنون - أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا، يعرف الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان، والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها. وفي الآية تنويه بمكانة العلماء وفضلهم، ورفع درجاتهم.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرِّسُولَ فَقَدْ مُوْثِقِينَ يَدَيَّ نَجَّوْكُمْ
صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(١٢) أَأَنْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجَّوْكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ
وَرِسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْمَلُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا فِي حِلْفُونٍ لَهُمْ كَمَا يُحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
عَلَىٰ قَيِّمٍ أَلَا لَهُمْ فِي الْكُذُوبِ نَاسِخَةٌ أَسْخَرَهُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ
هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ
كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (١٩)

(١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا
بشره، إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تُكَلِّمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم سِرًّا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، فَقَدِّمُوا قَبْلَ ذَلِكَ
صدقة لأهل الحاجة، ذلك خير لكم لما فيه من
الثواب، وَأَزْكِي لِقُلُوبِكُمْ مِنَ الْمَأْتَمِّ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا
ما تصدقون به فلا حرج عليكم؛ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
لعباده المؤمنين، رحيم بهم.

(١٣) أَحْسَنْتُمُ الْفَقْرَ إِذَا قَدَّمْتُمْ صَدَقَةَ قَبْلَ
مناجاتكم رسول الله؟ فإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ،
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَرَخَّصَ لَكُمْ فِي أَلَّا تَفْعَلُوهُ،
فَاتَّبِعُوا وَدَاوِمُوا عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
وطاعة الله ورسوله في كل ما أَمَرْتُمْ بِهِ، وَاللَّهُ
سبحانه خير بأعمالكم، ومجازيكم عليها.

(١٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ
أَصْدِقَاءَ وَالْوَلَوِّهِمْ؟ وَالْمُنَافِقُونَ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسُوا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا مِنَ الْيَهُودِ، وَيَحْلِفُونَ كَذِبًا أَنَّهُمْ
مُسْلِمُونَ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ
كَاذِبُونَ فِيَا حَلَفُوا عَلَيْهِ.

(١٥) أَعَدَّ اللَّهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ عَذَابًا بِالْغِ الشَّدَةِ
وَالْأَلَمِ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ النِّفَاقِ
وَالْحَلْفِ عَلَى الْكَذِبِ.

(١٦) اتَّخَذَ الْمُنَافِقُونَ أَيْمَانَهُمْ الْكَاذِبَةَ وَقَايَهُ لَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَلَمْنَعِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِتَالِهِمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، فَبِسَبَبِ
ذلك صَدُّوا أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَلَهُمْ عَذَابٌ مُثَلٌّ فِي النَّارِ؛ لَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَصَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِهِ.

(١٧) لَنْ تَدْفَعِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا، أُولَئِكَ أَهْلُ النَّارِ يَدْخُلُونَهَا فَيَقْبُونَ فِيهَا أَبَدًا، لَا
يُخْرَجُونَ مِنْهَا. وَهَذَا الْجُزْءُ يَمَعُ كُلُّ مَنْ صَدَّ عَنِ دِينِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ.

(١٨) يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ جَمِيعًا مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ، فَيَحْلِفُونَ لَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، كَمَا كَانُوا يَحْلِفُونَ لَكُمْ -أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ- فِي الدُّنْيَا، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا كَانَ يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْبَالِغُونَ فِي
الْكَذِبِ حَدًّا لَمْ يَبْلُغْهُ غَيْرُهُمْ.

(١٩) غَلَبَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ، حَتَّى تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ، أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ وَاتَّبَاعُهُ. أَلَا إِنْ
حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٢٠) إِنَّ الَّذِينَ يُخَافُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ مِنْ جُلَّةِ الْأَذْلَاءِ الْمَغْلُوبِينَ الْمُهَانِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٢١) كَتَبَ اللَّهُ فِي الْبُحُورِ الْمَحْفُوظَةِ وَحُكْمَ أَنَّ النَّصْرَةَ لَهُ وَلِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَوِيٌّ لَا يَعْجِزُهُ
شَيْءٌ، عَزِيزٌ عَلَى خَلْقِهِ.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
 أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمُ
 بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 الْحِلَالَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

﴿سورة الحشر﴾

(١) نَزَّهَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ كُلُّ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي
 لَا يَغَالِبُ، الْحَكِيمُ فِي قُدْرَةِ وَتَدْبِيرِهِ وَصَنَعِهِ
 وَتَشْرِيعِهِ، يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا.

(٢) هو - سبحانه - الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، من مساكنهم التي جاؤوا بها المسلمين حول «المدينة»، وذلك أول إخراج لهم من «جزيرة العرب» إلى «الشام»، ما ظننتهم - أيها المسلمون - أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان؛ لشدة بأسهم وقوة نعمتهم، وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس الله ولا يقدر عليها أحد، فجاءهم من أمر الله ما لم يخطر لهم ببال، وألقى الله في قلوبهم الخوف والفرع الشديد، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، فانتعظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما جرى لهم.

(٣) ولولا أن كتب الله عليهم الخروج من ديارهم وقضاء، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسي، ولهم في الآخرة عذاب النار.

(٤) ذلك - الذي أصاب اليهود في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة - لأنهم خالفوا أمر الله وأمر رسوله أشد المخالفة، وحاربوها وسعوا في معصيتها، ومن يخالف الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له.

(٥) ما قطعتم - أيها المؤمنون - من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرضوا لها، فيأذن الله وأمره؛ ولئذ لا بد لك الخارجين عن طاعته المخالفين أمره ونهيه، حيث سلطكم على قطع نخيلهم وتحريقها.

(٦) وما أفاء الله على رسوله من أموال يهود بني النضير، فلم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلاً، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من أعدائه، فيستسلمون لهم بلا قتال، والفيء ما أخذ من أموال الكفار بحق من غير قتال. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

(٧) ما أفاء الله على رسوله من أموال مشركي أهل القرى من غير ركوب خيل ولا إبل فله

ولرسوله، يُصرف في مصالح المسلمين العامة، ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، واليتامى وهم الأطفال الفقراء الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، والمساكين وهم أهل الحاجة الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وابن السبيل، وهو الغريب المسافر الذي نفدت نفقته وانقطع عنه ماله؛ وذلك حتى لا يكون المال ملكاً متداولاً بين الأغنياء وحدهم، ويُخرج منه الفقراء والمساكين. وما أعطاكم الرسول من مال، أو شرعه لكم من شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أخذه أو فعله فانتهاوا عنه، واتقوا الله بامثال أوامره وترك نواهيه. إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ونهيه. والآية أصل في وجوب العمل بالسنّة: قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

(٨) وكذلك يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله الفقراء المهاجرين، الذين اضطروهم كفار «مكة» إلى الخروج من ديارهم وأموالهم يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا والرضوان في الآخرة، وينصرون دين الله ورسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك هم الصادقون الذين صدّقوا قولهم بفعلهم.

(٩) والذين استوطنوا «المدينة»، وآمنوا من قبل هجرة المهاجرين - وهم الأنصار - يقيمون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسداً لهم مما أعطوا من مال الفيء وغيره، ويُقدّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقير، ومن سلّم من البخل ومنع الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أَخْرَجْتُمُ الْكَافِرِينَ مِنْ مَعَكُمْ وَلَا طَعِمَ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَلَنْ نُؤْمِنَكُمْ لَتَنْصُرَنَّهُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أَخْرَجُوا بِالْإِيمَانِ مِنْهُمْ وَلَنْ يَفْعَلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَنْ يَنْصُرُوهُمْ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُنصِرُ
أَشَدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢﴾ لَا يَفْقَهُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرَى مُحَصَّنَةٍ
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاكُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

(١٠) والذين جاءوا من المؤمنين من بعد الأنصار والمهاجرين الأولين يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حسداً وحقداً لأحد من أهل الإيمان، ربنا إنك ترحم عبادك رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم.

وفي الآية دلالة على أنه ينبغي للمسلم أن يذكر سلفه بخير، ويدعو لهم، وأن يحب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكرهم بخير، ويترضى عنهم.

(١١) ألم تنظر إلى المنافقين، يقولون لإخوانهم في الكفر من يهود بني النضير: لئن أخرجكم محمد ومن معه من منازلكم لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أحداً أبداً سألنا خذناكم أو ترك الخروج معكم، ولئن قاتلوكم لنعاونكم عليهم؟ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما وعدوا به يهود بني النضير.

(١٢) لئن أخرج اليهود من «المدينة» لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قاتلوا لا يقاتلون معهم كما وعدوا، ولئن قاتلوا معهم ليؤنس الأديار فراراً منهزمين، ثم لا ينصرهم الله، بل يخذلهم، ويذلهم.

(١٣) لخوف اليهود والمنافقين وخشيتهم إياكم - أيها المؤمنون - أعظم وأشد في صدورهم من خوفهم وخشيتهم من الله؛ وذلك بسبب أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله والإيمان به، ولا يرهبون عقابه.

(١٤) لا يواجهكم اليهود بقتال مجتمعين إلا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف الحيطان التي يتسرون بها؛ لجبنهم وللعرب الذي تمكّن من قلوبهم، عداوتهم فيما بينهم شديدة، تظن أنهم مجتمعون على كلمة واحدة، ولكن قلوبهم متفرقة؛ وذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون أمر الله ولا يتدبرون آياته.

(١٥) مثل هؤلاء اليهود فيما حل بهم من عقوبة الله كمثل كفار قريش يوم «بدر»، ويهود بني قينقاع، حيث ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجه.

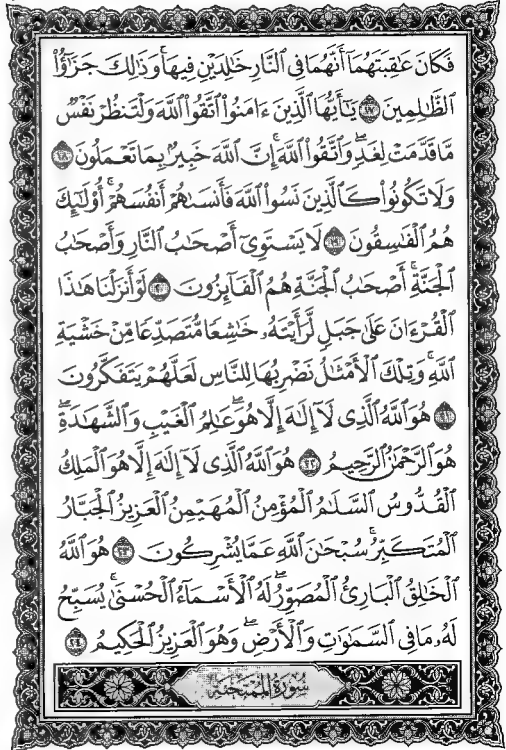
(١٦) ومثل هؤلاء المنافقين في إغراء اليهود على القتال ووعدهم بالنصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمثل الشيطان حين زين للإنسان الكفر ودعا إليه، فلما كفر قال: إني بريء منك، إني أخاف الله رب الخلق أجمعين.

(١٧) فكان عاقبة أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه فكفر، أمهما في النار، ماكتنن فيها أبداً، وذلك جزاء المعتدين المتجاوزين حدود الله.

(١٨) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله، واحذروا عقابه بفعل ما أمركم به وما ترك ما نهاكم عنه، ولتتدبر كل نفس ما قدمت من الأعمال ليوم القيامة، وخافوا الله في كل ما تاتون وما تذرّون، إن الله سبحانه خير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

(١٩) ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، فأنساهم بسبب ذلك حظوظ أنفسهم من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة، أولئك هم الموصوفون بالفسق، الخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله.

(٢٠) لا يستوي أصحاب النار المعدّبون، وأصحاب الجنة النعمّون، أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه.



(٢١) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال، ففهم ما فيه من وعد ووعد، لأبصرته على قوته وشدة صلابته وضخامته، خاضعاً ذليلاً متشققاً من خشية الله تعالى. وتلك الأمثال نضربها، ونوضحها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته. وفي الآية حث على تدبر القرآن، وتفهم معانيه، والعمل به.

(٢٢) هو الله سبحانه وتعالى المعبود بحق الذي لا إله سواه، عالم السر والعلن، يعلم ما غاب وما حضر، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به.

(٢٣) هو الله المعبود بحق الذي لا إله إلا هو، الملك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا عمانعة ولا مدافعة، المنزه عن كل نقص، الذي سلّم من كل عيب، المصدّق رسله وأنبياءه بما أرسلهم به من الآيات البينات، الرقيب على كل خلقه في أعمالهم، العزيز الذي لا يغالب، الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذن له سائر الخلق، المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة. تنزه الله تعالى عن كل ما يشركونه به في عبادته.

(٢٤) هو الله سبحانه وتعالى الخالق المقدر للخلق، البارئ المنشئ الموجد لهم على مقتضى حكمته، المصورّ خلقه كيف يشاء، له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى، يسبح له جميع ما في السموات والأرض، وهو العزيز شديد الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره أمور خلقه.

﴿سورة المتحنة﴾

(١) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا عدوي وعدوكم خلاصاً وأحباء، تُفَضُّون إليهم بالمودة، فتخبرونهم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وسرائر المسلمين، وهم قد كفروا بها جاءكم من الحق من الإيذان بالله ورسوله وما نزل عليه من القرآن، يخرجون الرسول ويخرجونكم -أيها المؤمنون- من «مكة»، لأنكم تصدقون بالله ربكم، وتوحدونه، إن كنتم -أيها المؤمنون- هاجرتم مجاهدين في سبيلي، طالبين مرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، تُفَضُّون إليهم بالمودة سراً، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم، ومن يفعل ذلك منكم فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلَّ عن قصد السبيل.

(٢) إن يظفر بكم هؤلاء الذين تُسْرُونَ إليهم بالمودة يكونوا حرباً عليكم، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والسبي، وألستهم بالسب والشتم، وهم قد غمَّوا -على كل حال- لو تكفرون مثلهم.

(٣) لن تنفعكم قربانكم ولا أولادكم شيئاً حين توالون الكفار من أجلهم، يوم القيامة يفرق الله بينكم، فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار. والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأعمالكم.

(٤) قد كانت لكم -أيها المؤمنون- قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين، حين قالوا لقومهم الكافرين بالله: إنا بريئون منكم ومما تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد، كفرنا بكم، وأنكرنا ما أنتم عليه من الكفر، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ما دمتم على كفركم، حتى تؤمنوا بالله وحده، لكن لا يدخل في الاقتداء استفغار إبراهيم لأبيه، فإن ذلك إنما كان قبل أن يتبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ربنا عليك اعتمادنا، وإليك رجعنا بالتوبة، وإليك المرجع يوم القيامة.

(٥) ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بهاذبنا لنا أو تسليط الكافرين علينا، فيفتنونا عن ديننا، أو يظهروا علينا فيفتنوا بذلك. ويقولوا: لو كان هؤلاء على حق، ما أصابهم هذا العذاب، فيزدادوا كفراً، واستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها ربنا، إنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَيَاكُفُّونَ أَنْ تُوَمِّنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَتَّبِعُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا ۝ لَنْ تَفْعَلَهُمْ أَشْأَاءُ وَلَا تُولَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بَعْضُ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بِرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا كَرِهَ اللَّهُ لَبِئْسَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ يَتَّبِعُوكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۝ إِنْ قُلْتُمْ إِبْرَاهِيمَ لَا بِيَهُ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ وَمَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۝ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَلْتُ وَإِلَيْكَ آتَيْنَا وَالْيَاكُفُّونَ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ عَنَّا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١﴾ عَسَىٰ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةَ اللَّهِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢﴾
لَّا يَهْدِي اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِّنْ
دِينِهِمْ أَن يَزُودُوا وَفِي سُلُوكِهِمُ الْفُسْطُوحُ إِنَّ اللَّهَ لَبُصِيرٌ
بِمَعَالِمِهِمْ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِّنْ
دِينِهِمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ
هُوَ الظَّالِمُونَ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجُرَاتٍ
فَاصْجُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ عَلَى اللَّهِمْ وَلَا هُيَأَلُّوا لَكُمْ وَلَا هُمْ
مَأْنِفَةٌ وَأَلْجَنَاحٌ عَلَيْكُمْ إِنْ تَكَذَّبْنَ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُخْرِيْنَ
وَلَا تَنْسِكُوا بِعَصَمِكُمْ أَلَّا تُكْفِرُوا بِمَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ أَتَىٰكُمْ
ذَلِكَ وَكَرِهْتُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِن قَاتَلْتُمُ
شَيْءً مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاقُولُوا لِلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ قَتْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

(٦) لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في إبراهيم عليه السلام والذين معه قدوة حيدة لمن يطعم في الخير من الله في الدنيا والآخرة، ومن يُعْرِض عما نده الله إليه من التماسي بأنيابيه، ويوال أعداء الله، فإن الله هو الغني عن عباده، الحميد في ذاته وصفاته، المحمود على كل حال.

(٧) عسى الله أن يجعل بينكم -أيها المؤمنون- وبين الذين عاديتهم من أقاربكم من المشركين محبة بعد البغضاء، وألفة بعد الشحنة بانسراح صدورهم للإسلام، والله قدير على كل شيء، والله غفور لعباده، رحيم بهم.

(٨) لا ينهاكم الله -أيها المؤمنون- عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرمهم بالخير، وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم وبِرِّكم بهم. إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم.

(٩) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب الدين وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا الكفار، على إخراجكم أن تولوهم بالنصرة والمودة، ومن يتخذهم أنصاراً على المؤمنين وأحباباً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم،

الخارجون عن حدود الله.

(١٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، فاختبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن، الله أعلم بحقيقة إيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات بحسب ما يظهر لكم من العلامات والبيانات، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكافرين، فالنساء المؤمنات لا يحملن أن يتزوجن الكفار، ولا يحملن للكفار أن يتزوجوا المؤمنات، وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور، ولا إثم عليكم أن تزوجوهن إذا دفعتمهن مهورهن. ولا تمسكوا بنكاح أزواجكم الكافرات، واطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نساكنكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم، وليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نساكنهم اللاتي أسلمن ولحقن بكم، ذلكم الحكم المذكور في الآية هو حكم الله يحكم به بينكم فلا تحالفوه. والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله.

(١١) وإن لحقت بعض زوجاتكم من مردات إلى الكفار، ولم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن، ثم ظفرت بهن هؤلاء الكفار أو غيرهم وانصرت عليهم، فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من المسلمين من الغنائم أو غيرها مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك، وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيغُنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرَكَنَّ بِاللَّهِ
شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِهِنَّ بِفَرْسَةٍ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِمَنَّكَ فِي
مَعْرُوفٍ قِيَّاهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَنَّ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ
يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْغِي الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَيْفَ أَنْهَمُ
بُدَيْنٌ مَرْصُوضٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ
يَتَّقُوا اللَّهَ فَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا
أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

(١٢) يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات بالله ورسوله يعاهدنك على ألا يجعلن مع الله شريكاً في عبادته، ولا يسرقن شيئاً، ولا يزني، ولا يقتلن أولادهن بعد الولادة أو قبلها، ولا يلحقن بأزواجهن أولاداً ليسوا منهم، ولا يخالفنك في معروف تأمرهن به، فعاهدن على ذلك، واطلب لهن المغفرة من الله. إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

(١٣) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم؛ لكفرهم أصدقاء وأحلاء، قد يسؤوا من ثواب الله في الآخرة، كما يشك الكفار المقبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، أو كما يشك الكفار من بعث موتاهم - أصحاب القبور -؛ لاعتقادهم عدم البعث.

﴿سورة الصف﴾

(١) نَزَّهَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُ، الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

(٢) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لِمَ تَعِدُونَ وَعَدًا، أَوْ تَقُولُونَ قَوْلًا وَلَا تَفْعَلُونَ بِهِ؟! وَهَذَا إِنكَارٌ عَلَى مَنْ يَخَالِفُ فِعْلُهُ قَوْلَهُ.

(٣) عَظُمَ بَغْضًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا بِاللَّسْتُمْ مَا لَا تَفْعَلُونَهُ.

(٤) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بِنِازٍ مَرَّاسٍ مُحْكَمٍ لَا يَنْفِذُ مِنْهُ الْعَدُو. وَفِي الْآيَةِ بَيَانُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ؛ لِحُبِّهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا صَفَّوْا مُوَاجِهِينَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ، يُقَاتِلُونَهُمْ فِي سَبِيلِهِ.

(٥) وَادْكُرْ لِقَوْمَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حِينَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: لِمَ تَوَدُّونَنِي بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ فَلَمَّا عَدَلُوا عَنِ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَأَصْرُوا عَلَى ذَلِكَ، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنْ قَبُولِ الْهُدَايَةِ؛ عِقَابُهُ لِمَنْ عَلَى زِيغِهِمُ الَّذِي اخْتَارُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ وَمَنْهَاجِ الْحَقِّ.

(٦) واذكر -أيها الرسول لقومك- حين قال عيسى بن مريم لقومه: إني رسول الله إليكم، مصدقاً لما جاء قبلي من التوراة، وشاهدأ بصدق رسول يأتي من بعدي اسمه «أحمد»، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وداعياً إلى التصديق به، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات الواضحات، قالوا: هذا الذي جئتنا به سحر بين.

(٧) ولا أحد أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وجعل له شركاء في عبادته، وهو يدعي إلى الدخول في الإسلام وإخلاص العباداة لله وحده. والله لا يوفق الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، إلى ما فيه فلاحهم.

(٨) يريد هؤلاء الظالمون أن يبطلوا الحق الذي بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم -وهو القرآن- بأقوالهم الكاذبة، والله مظهر الحق بإقام دينه ولو كره الجاحدون المكذِّبون.

(٩) الله هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله

وَلَا قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يَرِيدُونَ لِيُظْلَمُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَى كُلًّا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبُّنَا الَّذِي أَلْهَمَنَا هَؤُلَاءِ لَكُمْ أَنْ تُقَالُوا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ خَلَعَ مِنْ تَحْتِهَا أَغْطَرًا وَسَكَنَ طَيْبَةً فِى جَنَّتٍ وَعَدَنَ ذَلِكَ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ ﴿١١﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا تَصَرُّ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٣﴾

عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على كل الأديان المخالفة له، ولو كره المشركون ذلك.

(١٠) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، هل أريدكم إلى تجارة عظيمة الشأن تنجيكم من عذاب موحج؟

(١١) تداومون على إيمانكم بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما تملكون من الأموال والأنفس، ذلك خير لكم من تجارة الدنيا، إن كنتم تعلمون مضار الأشياء ومنافعها، فامتثلوا ذلك.

(١٢، ١٣) إن فعلتم -أيها المؤمنون- ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومساكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده. ونعمة أخرى لكم -أيها المؤمنون- تحبونها هي نصر من الله يأتيكم، وفتح عاجل يثب على أيديكم. وبشر المؤمنين -أيها النبي - بالنصر والفتح في الدنيا، والجنة في الآخرة.

(١٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، كونوا أنصار دين الله، كما كان أصفياء عيسى وخُصَص أصحابه أنصار دين الله حين قال لهم عيسى: من يتولى منكم نصري وإعاني فيما يُقرب إلى الله؟ قالوا: نحن أنصار دين الله، فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضلَّت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا بالله ورسوله، ونصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى، فأصبحوا ظاهرين عليهم؛ وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿سورة الجمعة﴾

(١) ينزّه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، وهو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا منازع، المنزه عن كل نقص، العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وصنعه.

(٢، ٣) الله سبحانه هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، ولا كتاب عندهم ولا أثر رسالة لديهم، رسولا منهم إلى الناس جميعا، يقرأ عليهم القرآن، ويطهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة، ويعلمهم القرآن والسنة، وإنهم كانوا من قبل بعثه لفي انحراف واضح عن الحق. وأرسله سبحانه إلى قوم آخرين لم يجئوا بعده، وسيجيئون من العرب ومن غيرهم. والله تعالى -وحده- هو العزيز الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(٤) ذلك البعث للرسول صلى الله عليه وسلم، في أمة العرب وغيرهم فضل من الله، يعطيه من يشاء من عباده. وهو -وحده- ذو الإحسان والعطاء الجزيل.

(٥) شبه اليهود الذين كلفوا العمل بالتوراة ثم لم يعملوا بها، كتبهم الحمار الذي يحمل كتابا لا يدري ما فيها، فتح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، ولم ينتفعوا بها، والله لا يوفق القوم الظالمين الذين يتجاوزون حدوده، ويخرجون عن طاعته.

(٦) قل -أيها الرسول- للذين تمسكوا بالملّة اليهودية المحرفة: إن ادّعينتم -كذباً- أنكم أحباء الله دون غيركم من الناس، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في ادّعائكم حب الله لكم.

(٧) ولا يتمنى هؤلاء اليهود الموت أبداً إشاراً للحياة الدنيا على الآخرة، وخوفاً من عقاب الله لهم؛ بسبب ما قدّموه من الكفر وسوء الفعال. والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من ظلمهم شيء.

(٨) قل: إن الموت الذي تهربون منه لا مفرّ منه، فإنه آت إلحكم عند مجيء آجالكم، ثم ترجعون يوم البعث إلى الله العالم بما غاب وما حضر، فيخبركم بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسُبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْمُسَبِّحُونَ
الْحَكِيمُ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ② وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④ مَثَلُ الَّذِينَ خَضَعُوا لِلتَّوْبَةِ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوا كَمَلِ الذُّخْرِ الْجَمْعِ كَمَلِ أُسْقَارٍ يَلْعَسُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا
كَانُوا فِي الْيَمِينِ هَٰذَا وَإِنْ رَجَعْتُمْ عَنْهُمْ أُولَٰئِكَ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑤ وَلَا يَمْنُنَ
أَبَدًا يَمَّا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ⑥ قُلْ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفَزَّوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقَاكُمْ تَرْجِعُونَ
إِلَىٰ عَلِيمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ فِيهَا كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑦

(٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِهِ، إِذَا نَادَى الْمُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَامْضُوا إِلَى سَمَاعِ الْخُطْبَةِ وَأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَاتْرَكُوا الْبَيْعَ، وَكَذَلِكَ الشَّرَاءَ وَجَمِيعَ مَا يَفْشَلُكُمْ عَنْهَا، ذَلِكَ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ، لِمَا فِيهِ مِنْ غَفْرَانِ ذُنُوبِكُمْ وَثُوبَةِ اللَّهِ لَكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَصَالِحَ أَنْفُسِكُمْ فَافْعَلُوا ذَلِكَ.

وفي الآية دليل على وجوب حضور الجمعة واستماع الخطبة.

(١٠) فإِذَا سَمِعْتُمْ الْخُطْبَةَ، وَأَدَيْتُمْ الصَّلَاةَ، فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ، وَاطْلُبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ بِسَعْيِكُمْ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ؛ لَعَلَّكُمْ تَفْزَحُونَ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١١) وَإِذَا رَأَى بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ تِجَارَةً أَوْ شَيْئًا مِنْ هُوَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا تَفَرَّقُوا إِلَيْهَا، وَتَرَكُوا -أَيُّهَا النَّبِيُّ- قَائِلًا عَلَى الْمَنْرِ تَخْطُبُ، قُلْ لَهُمْ -أَيُّهَا النَّبِيُّ-: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ أَنْفَعُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَفِيهِ تِجَارَةٌ، وَاللَّهُ -وَحْدَهُ- خَيْرٌ مِنْ رِزْقٍ وَأَعْطَى، فَاطْلُبُوا مِنْهُ، وَاسْتَعِينُوا بِطَاعَتِهِ عَلَى نَيْلِ مَا عِنْدَهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا دُعِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمَنِ التَّجَارَةُ وَآلُ الْكَرْبِزِ ﴿١١﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ حُنَّةً فَأَصْدَوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَى عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبِعَكُمُ أَجْسَامُهُمْ طَائِفَةٌ يَقُولُوا نَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ فَتَنْصَبُونَ كُلٌّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوَّ فَاخْذِرْهُمْ فَتِلْكَمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا هُمُ

﴿سورة المنافقون﴾

(١) إِذَا حَضَرَ مَجْلِسُ الْمُنَافِقِينَ -أَيُّهَا الرِّسُولُ- قَالُوا بِالْإِسْتِثْمِ: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ فِيمَا أَظْهَرَهُ مِنْ شَهَادَتِهِمْ لَكَ، وَحَلَفُوا عَلَيْهِ بِالْإِسْتِثْمِ، وَأَضْمَرُوا الْكُفْرَ بِهِ.

(٢، ٣) إِنَّمَا جَعَلَ الْمُنَافِقُونَ أَيْمَانَهُمُ الَّتِي أَقْسَمُوهَا سِتْرَةً وَوَقَايَةً لَهُمْ مِنَ الْمُواخَاظَةِ وَالْعَذَابِ، وَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ، وَمَنَعُوا النَّاسَ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، إِنَّهُمْ بَشَرٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا فِي الظَّاهِرِ، ثُمَّ كَفَرُوا فِي الْبَاطِنِ، فَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

(٤) وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ تَعْبُكُ هَيْئَتُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ، وَإِنْ تَحَدَّثُوا تَسْمَعُ لِحَدِيثِهِمْ؛ لِفَصَاحَةِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ لِفَرَاغِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَعَقُولُهُمْ مِنَ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ كَالْأَشْجَابِ الْمُلَاقَاةِ عَلَى الْحَاطِطِ، الَّتِي لَا حَيَاةَ فِيهَا، يَنْظُنُّونَ كُلُّ صَوْتٍ عَالٍ وَأَقْعًا عَلَيْهِمْ وَضَارًّا بِهِمْ؛ لِعِلْمِهِمْ بِحَقِيقَةِ حَالِهِمْ، وَلِقَرُطِ جُنُبِهِمْ، وَالرَّعْبِ الَّذِي تَمَكَّنَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، هُمُ الْأَعْدَاءُ الْحَقِيقِيُّونَ شَدِيدُو الْعَدَاوَةِ لَكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَخَذَّ حَذْرُكَ مِنْهُمْ، أَخْزَاهُمُ اللَّهُ وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، كَيْفَ يَنْصَرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّفَاقُ وَالضَّلَالِ؟

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْنَهُمْ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
 أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
 لَا تُنْفِقُوا أَعْلَىٰ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَتَفَقَّهُوا وَلَا إِلَهَ
 خِزَائِنِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
 مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ تَابَ أَيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَنَّهُمْ
 آمَنُوا كُمْ وَلَا أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
 إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
 يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

(٥) وإذا قيل هؤلاء المنافقين: أقبِلوا تائبين معتردين عما بدر منكم من سيئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاء واستكباراً، وأبصرتهم -أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طُلب إليهم.

(٦) سواء على هؤلاء المنافقين أطلبت لهم المغفرة من الله -أيها الرسول- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبداً؛ لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر. إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين به، الخارجين عن طاعته.

(٧) هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل «المدينة»: لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى ينفروا عنه. والله وحده خزائن السموات والأرض وما فيها من أرزاق، يعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء، ولكن المنافقين لا يفهمون أن الرزق من عند الله؛ لجهلهم به سبحانه وتعالى.

(٨) يقول هؤلاء المنافقون: لئن عُذْنَا إلى «المدينة» ليخرجنَّ فريقنا الأعزُّ منها فريق المؤمنين الأذل، والله تعالى العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين بالله ورسوله لا لغيرهم، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك؛ لفرط جهلهم.

(٩) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك، فأولئك هم الغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته.

(١٠) وأنفقوا -أيها المؤمنون- بالله ورسوله بعض ما أعطيناكم في طرق الخير، مبادرين بذلك من قبل أن يجيء أحدكم الموت، ويرى دلائله وعلاماته، فيقول نادماً: ربِّ هلاً أمهلتنِي، وأجلت موتي إلى وقت قصير، فأتصدق من مالي، وأكن من الصالحين الأتقياء.

(١١) ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء وقت موتها، وانقضى عمرها، والله سبحانه خبير بالذي تعملونه من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك.

(سورة التغابن)

(١) ينزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، له سبحانه التصرف المطلق في كل شيء، وله الثناء الحسن الجميل، وهو على كل شيء قدير.

(٢) الله هو الذي أوجدكم من العدم، فبعضكم جاحد لألوهيته، وبعضكم مصدق به عامل بشعره، وهو سبحانه بصير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم بها.

(٣) خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة، وخلقكم في أحسن صورة، وإليه المرجع يوم القيامة، فيجازي كلًّا بعمله.

(٤) يعلم سبحانه وتعالى كل ما في السموات والأرض، ويعلم ما تخفونه - أيها الناس - فيما بينكم وما تظهرونه. والله عليم بما تضممره الصدور وما تخفيه النفوس.

(٥) ألم يأتكم -أيها المشركون- خبر الذين كفروا من الأمم الماضية قبلكم، إذ حلَّ بهم سوء عاقبة كفرهم وسوء أفعالهم في الدنيا، ولهم في الآخرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ
مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَمَصْرُكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُنْشِرُونَ وَمَا تُكْنُونَ ﴿٤﴾ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاكُوا أَوْيَالَ أُمَمِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَنْشِئُونَ هَذَانَا فَكُفُّوا أَوْفَوْا وَاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٧﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنَى عَنْهُمْ قُلُوبُ
وَرَبِّ لَتُغْنَى عَنْهُمْ لُعْنَتُهُمْ يَمَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾
فَأَمَّا بِنَاءِ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَأَنَّ النَّارَ الَّتِي أُتْرِكُوا وَاللَّهُ يَمَاتَعْمَلُونَ حَبِيرٌ ﴿٩﴾
يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يَقُولُ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا كَرِهَتْ عَنْهُ صَنِيعَاتِهِ وَرُدَّهُ خَلَائِفًا لِجَنَّتِ قَبْرِهِ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلَائِفِينَ فِيهَا أَبَدُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمِ ﴿١٠﴾

عذاب أليم موجع؟

(٦) ذلك الذي أصابهم في الدنيا، وما يصيبهم في الآخرة؛ بسبب أنهم كانت تأتيهم رسل الله بالآيات والنبينات والمعجزات الواضحات، فقالوا امنكرين: أبشر مثلنا يرشدوننا؟ فكفروا بالله وحسدوا رسالة رسله، وأعرضوا عن الحق فلم يقبلوه، واستغنى الله عن إيمانهم وعبادتهم، والله غني، له الغنى التام المطلق، حميد في أقواله وأفعاله وصفاته لا يبالي بهم، ولا يضره ضلالتهم شيئاً.

(٧) ادَّعَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ بَاطِلًا أَنَّهُم لَن يُخْرِجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - بَلَى وَرَبِّي لَتُخْرِجُنَّ مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً، ثُمَّ لَتُنَبِّئُنَّ بِالذِّى عَمَلْتُمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ هَٰؤُلَاءِ.

(٨) فآمنوا بالله ورسوله -أيها المشركون- واهتدوا بالقرآن الذي أنزله على رسوله، والله بما تفعلون خير لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأقوالكم، وهو مجازيكم عليها يوم القيامة.

(٩) اذكروا يوم الحشر الذي يحشر الله فيه الأولين والآخرين، ذلك اليوم الذي يظهر فيه العَينُ والنفوس بين الخلق، فيعذب المؤمنين الكفار والفاسقين: فأهل الإيمان يدخلون الجنة برحمة الله، وأهل الكفر يدخلون النار بعدل الله. ومن يؤمن بالله ويعمل بطاعته، يمح عنه ذنوبه، ويدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها أبداً، ذلك الخلود في الجنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 هَٰئِلِينَ فِيهَا وَيَتَسَاءَلُونَ الْمَصِيدَ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ
 تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَلْبُكَ فَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَنْ أَزْوَاجُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوًّا
 لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَضَفَّحُوا وَتَعَفَّوْا
 فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
 فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
 وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ
 شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقَرَّبُوا
 اللَّهَ قَرَّبَّا حَسَنَاتٍ لَّيُغْفِرْ لَكُمْ وَتَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
 حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلَيْهِ السَّلَامَةُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سورة التين

(١٠) والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا بدلائل ربيوبته وبراهين ألوهيته التي أرسل بها رسله، أولئك أهل النار ما كنتم فيها أبداً، وساء المرجع الذي صاروا إليه، وهو جهنم.

(١١) ما أصاب أحداً شيء من مكروه يحل به إلا بإذن الله وقضائه وقدره. ومن يؤمن بالله يهد قلبه للتسليم بأمره والرضا بقضائه، ويهديه لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال؛ لأن أصل الهداية للقلب، والجوارح تبع. والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(١٢) وأطيعوا الله -أيها الناس- وانقادوا إليه فيما أمر به ونهى عنه، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما يُلَِّغُكم به عن ربه، فإن أعرضتم عن طاعة الله ورسوله، فليس على رسولنا ضرر في إعراضكم، وإنما عليه أن يبلغكم ما أرسل به بلاغاً واضح البيان.

(١٣) الله وحده لا معبود بحق سواه، وعلى الله فليعتمد المؤمنون بوحدانيته في كل أمورهم.

(١٤) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إن من أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يصدونكم عن سبيل الله، ويشطونكم عن طاعته، فكونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم، وإن تجاوزوا عن سيئاتهم وتعرضوا عنها، وتسترها عليهم، فإن الله غفور رحيم، يغفر لكم ذنوبكم؛ لأنه سبحانه عظيم الغفران واسع الرحمة.

(١٥) ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم. والله عنده ثواب عظيم لمن أثار طاعته على طاعة غيره، وأدّى حتى الله في ماله.

(١٦) فابذلوا -أيها المؤمنون- في تقوى الله جهدكم وطاقتكم، واسمعوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم سماع تدبر وتفكير، وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وأنفقوا مما رزقكم الله يكن خيراً لكم. ومن سلّم من البخل ومنع الفضل من المال، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب.

(١٧) إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص وطيب نفس، يضاعف الله ثواب ما أنفقتم، ويغفر لكم ذنوبكم. والله شكور لأهل الإنفاق يحسن الجزاء على ما أنفقوا، حلیم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

(١٨) وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر، العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

﴿سورة الطلاق﴾

(١) يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة وأنفقوا الله ربيكم لا تحرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفجاسة مبينة وبذلك حدود الله ومن بعد حدود الله فقد ظمر نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴿١﴾ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴿٢﴾ واللى يتيسر من المحيض من نسائككم إن أنتبشر فعدتهن ثلاثة أشهر واللى لم يحضن وأولئك الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴿٣﴾ ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يُكفر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً ﴿٤﴾

(٢، ٣) فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن، أو فارقوهن مع إيفاء حقهن، دون المضارة بهن، وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة

رجلين عدلين منكم، وأدوا - أيها الشهود - الشهادة خالصة لله لا لشيء آخر، ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن يخف الله فيعمل بما أمره به، ويحتمل ما نهاه عنه، يجعل له مخرجاً من كل ضيق، ويسر له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله، ولا يكون في حسبانته. ومن يتوكل على الله فهو كافيه ما أهمته في جميع أموره. إن الله بالغ أمره، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، قد جعل الله لكل شيء أجلاً ينتهي إليه، وتقديراً لا يجاوزه.

(٤) والنساء المطلقات اللاتي انقطع عنهن دم الحيض؛ لكبر سنهن، إن شككنكم فلم تدروا ما الحكم فيهن؟ فعدتهن ثلاثة أشهر، والصغيرات اللاتي لم يحضن، فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك. وذوات الحمل من النساء عدتهن أن يضعن حملهن. ومن يخف الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسراً في الدنيا والآخرة.

(٥) ذلك الذي ذكر من أمر الطلاق والعدة أمر الله الذي أنزله إليكم - أيها الناس -؛ لتعملوا به. ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح عنه ذنوبه، ويميز له الثواب في الآخرة، ويدخله الجنة.

أَسْكُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنُوا مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصْبِهِمْ أَوْ
عَلَيْهِمْ وَلَنْ كُنْ أَوَّلَ مَنْ حَلَّ فَايْتُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَصْعَنَ حَمَلُهُمْ فَإِنْ
صَّعَنَ لَكُمْ فَاتُواهُمْ أَجُورَهُمْ وَأَتِمُّوا رَبِّيَّتَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَلَنْ
تَعَاسِرَ قَوْمٌ مَعَهُ فَاسْتَضِعْ لَهُ الْآخَرَى ١٦ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ
قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مَاءً أَنْتَاهُ سَاعِدَ اللَّهِ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ١٧ وَكَانَ مِنْ قَرْنِهِ عَنَتٌ
عَنْ أُمِّ رِيْهَا وَرِجُلَيْهَا فَاسْتَبَاها حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ نَهَا عَذَابًا
لُكْرًا ١٨ فَذَاتَ رِيَالٍ أَمْرُهَا وَكَانَ عَقِيبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا ١٩ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَأَتَوْهُمُ اللَّهُ بِمَا أُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَتَزَلَّ
اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ٢٠ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ
بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ٢١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَزَلَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ٢٢

(٦) أسكنوا المطلقات من نسائكم في أثناء عدتهن مثل سكنائكم على قدر مستعنتكم وطاقتكم، ولا تلهقوا بهن ضرراً لتضييقوا عليهن في السكن، وإن كان نسائكم المطلقات ذوات حُلٍّ، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم أولادهن منكم بأجرة، فوفوهن أجورهن، وليأمر بعضكم بعضاً بما عرف من سماحة وطيب نفس، وإن لم تنفقوا على إرضاع الأم، فسترضع للاب مرضعة أخرى غير الأم المطلقة.

(٧) لينفق الزوج مما وسَّع الله عليه على زوجته المطلقة، وعلى ولده إذا كان الزوج ذا سعة في الرزق، ومن صُيِّب عليه في الرزق وهو الفقير، فلينفق ما أعطاه الله من الرزق، لا يَكُلِّف الفقير مثل ما يَكُلِّف الغني، سيجعل الله بعد ضيق وشدة سعة وغنى.

(٨، ٩) وكثير من القرى عصى أهلها أمر الله وأمر رسله وتنادوا في طغيانهم وكفرهم، فحاسبناهم على أعمالهم في الدنيا حساباً شديداً وكان عاقبة كفرهم هلاكاً وخسراناً لا خسران به.

(١٠، ١١) أعدَّ الله هؤلاء القوم الذين طَعَوْا، وخالفوا أمره وأمر رسله، عذاباً بالغ الشدة، فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجعة الذين صدَّقُوا الله ورسله وعملوا بشره. قد أنزل الله إليكم -أيها المؤمنون- ذكراً يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته. وهذا الذكر هو الرسول يقرأ عليكم آيات الله موضحات لكم الحق من الباطل؛ كي يخرج الذين صدَّقُوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن المؤمنين الضالين إلى صراط مستقيم. فليعملوا الصالحات، وليدخلوا جنات تجري من تحتها الأنهار، ما كُتِبَ فيها أبداً، وقد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقه في الجنة.

(١٢) الله وحده هو الذي خلق سبع سموات، وخلق سبعاً من الأرضين، وأنزل الأمر مما أوحاه الله إلى رسله وما يدبره خلقه بين السموات والأرض - لتعلموا - أيها الناس - أن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته.

﴿سورة التحريم﴾

(١) يا أيها النبي لم تمنع نفسك عن الحلال الذي أحله الله لك، بتغيي إرضاء زوجاتك؟ والله غفور لك، رحيم بك.

(٢) قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيانكم بأداء الكفارة عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. والله ناصرهم ومتولي أمورهم، وهو العليم بما يصلحكم فيشرع لكم، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(٣) وإذا أسر النبي إلى زوجته حفصة -رضي الله عنها- حديثاً، فلما أخبرت به عائشة رضي الله عنها، وأطلعه الله على إفشائها سره، أعلم حفصة بعض ما أخبرت به، وأعرض عن إعلامها بعضه تكرماً، فلما أخبرها بما أفشت من الحديث، قالت: من أخبرك بهذا؟ قال: أخبرني به الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية.

(٤) إن ترجعا -يا حفصة وعائشة- إلى الله فقد

وجد منكما ما يوجب التوبة، حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إفشاء سره، وإن تعاونا عليه بما يسوءه، فإن الله وليه وناصره، وجبريل، وصالح المؤمنين، والملائكة بعد نصرة الله أعوان له ونصراء على من يؤذيه ويعاديه.

(٥) عسى ربه إن طلقكن -أيها الزوجات- أن يزوجه بدلاً منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة، مؤمنات بالله ورسوله، مطيعات لله، راجعات إلى ما يحبه الله من طاعته، كثيرات العبادة له، صائيات، منهن النيات، ومنهن الأبقار.

(٦) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهلكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به.

(٧) ويقال للذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكفروا به عند إدخالهم النار: لا تلتمسوا المآذير في هذا اليوم؛ إننا נתعظون جزاء الذي كنتم تعملون في الدنيا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوَنُّوْا إِلَى اللَّهِ تَوَنُّوْا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَتِمْمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفُ رَثَايَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
 وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَصْدُورِ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمْرَأَتَيْنِ: وَاحِدَتُهُمَا فَتَىٰ لَوْ طَافَ لَبِاسُهُمَا
 فِي جَنَّةٍ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَتَاٰهُمَا فَتَرَ يَعْنيَا عَنْهُمَا
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَأَتَيْنِ فَزَعَوْتَا إِذْ
 قَالَتْ رَبِّ أُولَئِي بِأَيْدِيكَ بَيِّنَاتٌ فِي الْجَنَّةِ وَتَجْنِي مِنْ فُرْعَوْنَ
 وَعَمَلِهِ وَتَجْنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَتَرَوْنَ أَهْبَاتَ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَفَحَصْنَا فِيهِ مِنْ رَوْحِنَا
 وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنَّ مِنَ الْقَائِمِينَ ﴿١٢﴾

(٨) يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله رجوعاً لا معصية بعده، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئات أعمالكم، وأن يدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأنسجارها الأنهار، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، ولا يعذبهم، بل يعلي شأنهم، نور هؤلاء يسير أمامهم وبأيامهم حال مشيهم على الصراط بقدر أعمالهم، يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا حتى نجوز الصراط، ونهتدي إلى الجنة، واعف عنا وتجاوز عن ذنوبنا واسترها علينا، إنك على كل شيء قدير.

(٩) يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقاتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين، واستعمل مع الفريقين الشدة والخشونة في جهادها، ومسكنهم الذي يصرون إليه في الآخرة جهنم، وقُبِحَ ذلك المرجع الذي يرجعون إليه.

(١٠) ضرب الله مثلاً لحال الكفرة - في مخالطتهم

المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله - بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط: حيث كانتا في عصمة عبدّين من عبادنا صالحين، فوقعت منهما الخيانة لهما في الدين، فقد كانتا كافرتين، فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئاً، وقيل للزوجتين: ادخلا النار مع الداخلين فيها.

وفي ضرب هذا المثل دليل على أن القرب من الأنبياء، والصالحين، لا يفيد شيئاً مع العمل السيئ.

(١١) وضرب الله مثلاً لحال المؤمنين - الذين صدّقوا الله، وعبيده وحده، وعملوا بشرعه، وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم - بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة بالله، حين قالت: رب أئني داراً عندك في الجنة، وأنتذي من سلطان فرعون وفتنته، وما يصدر عنه من أعمال الشر، وأنتذي من القوم التابعين له في الظلم والضلال، ومن عذابهم.

(١٢) وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت فرجها، وصانته عن الزنى، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعمسى عليه السلام، وصدقت بكلمات ربها، وعملت بشرائعه التي شرعها لعباده، وكتبه المنزل على رسله، وكانت من الطيعين له.

﴿سورة الملك﴾

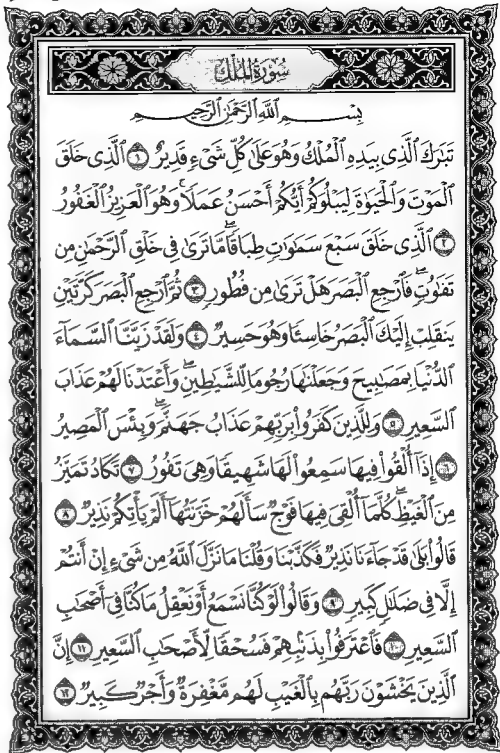
(١) تكاثر خير الله وبره على جميع خلقه، الذي بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانها، نافذ فيها أمره وقضاؤه، وهو على كل شيء قدير. ويستفاد من الآية ثبوت صفة اليد لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله.

(٢) الذي خلق الموت والحياة؛ ليختبركم - أيها الناس -: أيكم خيرٌ عملاً وأخلصه؟ وهو العزيز الذي لا يعجزه شيء، الغفور لمن تاب من عباده.

وفي الآية ترغيب في فعل الطاعات، وزجر عن اقتراف المعاصي.

(٣) الذي خلق سبع سموات متناسقة، بعضها فوق بعض، ما ترى في خلق الرحمن - أيها الناظر - من اختلاف ولا تباين، فأعد النظر إلى السماء: هل ترى فيها من شقوق أو صدوع؟

(٤) ثم أعد النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر ذليلاً صاغراً عن أن يرى نقصاً، وهو متعب قليل.



- (٥) ولقد زيننا السماء القريبة التي تراها العيون بنجوم مضيئة، وجعلناها شهاباً محرقة لمستلقي السمع من الشياطين، وأعدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة يماسون حرها.
- (٦) وللكافرين بخالقهم عذاب جهنم، وساء المرجع لهم جهنم.
- (٧) إذا طرَح هؤلاء الكافرون في جهنم سمعوا لها صوتاً شديداً منكراً، وهي تغلي غلياناً شديداً.
- (٨) تكاد جهنم تتمزق من شدة غضبها على الكفار، كلما طرَح فيها جماعة من الناس سألهم الموكلون بأمرها على سبيل التوبيخ: ألم يأتكم في الدنيا رسول يحذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟
- (٩) أجابوهم قائلين: بلى قد جاءنا رسول من عند الله وحذّرنا، فكذبنا، وقلنا جاء به من الآيات: ما نزل الله على أحد من البشر شيئاً، ما أنتم - أيها الرسل - إلا في ذهاب بعيد عن الحق.
- (١٠) وقالوا معترفين: لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق، أو نفكر فيما نُدعى إليه، ما كنا في عداد أهل النار.
- (١١) فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم الذي استحقوا به عذاب النار، فبعداً لأهل النار عن رحمة الله.
- (١٢) إن الذين يخافون ربهم، فيعبودونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معابته، لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة.

وَأَمِرُوا أَقْوَالَكُمْ وَأَجْمُرُوا بِمِثْلِهِ عَالِمٌ يُدَاتُ الصُّدُورَ ۝١٣
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذُلًّا فَاقْشَرُوفًا مَنَازِكُهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۝١٥ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝١٦
أَمْ أَمْسَتْمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٧
أَمْ أَمْسَتْمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرٍ ۝١٨ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ ۝١٩
أَوَلَمْ يَرْوُا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَافٌ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْلِكُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝٢٠ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمْ
يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَ هُوَ الْإِلَافُ عَرُورٌ ۝٢١ أَمَّنْ هَذَا
الَّذِي يَزُفُّكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢٢ أَمَّنْ
يَمُشِي مُجْبَأً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمُشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ۝٢٣ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٢٤ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٥ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ۝٢٦ قُلْ إِنَّمَا الْغَلُوبُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٢٧

(١٣) وأخفوا أقوالكم - أيها الناس - في أي أمر من أموركم أو أعلنوه، فهما عند الله سواء، إنه سبحانه عليهم بمضمورات الصدور، فكيف تخفى عليه أقوالكم وأعمالكم؟

(١٤) ألا يعلم رب العالمين خلقه وشؤونهم، وهو الذي خلقهم وأنقن خلقهم وأحسنه؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم.

(١٥) الله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها وجوانبها، وكلوا من رزق الله الذي يخرجكم منها، وإليه وحده البعث من قبوركم للحساب والجزاء.

وفي الآية إيهام إلى طلب الرزق والمكاسب، وفيها دلالة على أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وعلى قدرته، والتذكير بنعمه، والتحذير من الركون إلى الدنيا.

(١٦، ١٧) هل أمتم - يا كفار «مكة» - الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض، فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا؟ هل أمتم الله الذي فوق السماء أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالحجارة الصغيرة، فستعلمون - أيها الكافرون - كيف تحذيري لكم إذا عابتنتم العذاب؟ ولا ينفعكم العلم حين ذلك.

وفي الآية إثبات العلو لله تعالى، كما يليق بجلاله سبحانه.

(١٨) ولقد كذب الذين كانوا قبل كفار «مكة» كقوم نوح وعاد وثمود رسلهم، فكيف كان إنكارهم عليهم، وتغيري ما بهم من نعمة بإنزال العذاب بهم وإهلاكهم؟

(١٩- ٢١) أغفل هؤلاء الكافرون، ولم ينظروا إلى الطير فوقهم، باسطات أجنحتها عند طيرانها في الهواء، ويضممنها إلى جُنُوبِها أحيانا؟ ما يحفظها من الوقوع عند ذلك إلا الرحمن. إنه بكل شيء بصير لا يرى في خلقه نقص ولا تفاوت. بل من هذا الذي هو في زعمكم - أيها الكافرون - حزب لكم ينصركم من غير الرحمن، إن أراد بكم سوءا؟ ما الكافرون في زعمهم هذا إلا في خداع وضلال من الشيطان. بل من هذا الرازق المزعوم الذي يرزقكم إن أمسك الله رزقه ومنعه عنكم؟ بل استمر الكافرون في طغيانهم وضلالهم في معاندة واستكبار ونفور عن الحق، لا يسمعون له، ولا يتبعونه.

(٢٢) أفتمن يمشي منكسا على وجهه لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، أشد استقامة على الطريق وأهدى، أم من يمشي مستويا منتصب القائمة سالما على طريق واضح لا اعوجاج فيه؟ وهذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن.

(٢٣، ٢٤) قل لهم - أيها الرسول - الله هو الذي أوجدكم من العدم، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها، قليلا - أيها الكافرون - ما تؤدون شكر هذه النعم لربكم الذي أنعم بها عليكم. قل لهم: الله هو الذي خلقكم ونشركم في الأرض، وإليه وحده تجمعون بعد هذا التفرق للحساب والجزاء.

(٢٥، ٢٦) ويقول الكافرون: متى يتحقق هذا الوعد بالحشر يا محمد؟ أخبرونا بزمانه أيها المؤمنون، إن كنتم صادقين فيها تدعون، قل - أيها الرسول - هؤلاء: إن العلم بوقت قيام الساعة اختص الله به، وإننا أنا نذير لكم أخوفكم عاقبة كفركم، وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه غاية البيان.

(٢٧) فلما رأى الكفار عذاب الله قريباً منهم وعانيوه، ظهرت الذلة والكآبة على وجوههم، وقيل توبيخاً لهم: هذا الذي كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا.

(٢٨) قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكافرين: أخبروني إن أمأنتي الله ومن معي من المؤمنين كما تتمنون، أو رحمتنا فخر أجالنا، وعافانا من عذابه، فمن هذا الذي يحميكم، ويمنعكم من عذاب أليم موجه؟

(٢٩) قل: الله هو الرحمن صدقنا به وعملنا بشره، وأطعناه، وعليه وحده اعتمادنا في كل أمورنا، فستعلمون -أيها الكافرون- إذا نزل العذاب: أي الفريقين منا ومنكم في بُعد واضح عن صراط الله المستقيم؟

(٣٠) قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشربون منه ذاهباً في الأرض لا تصلون إليه بوسيلة، فمن غير الله يبيحكم بهاء جارٍ على وجه الأرض ظاهر للعيون؟

﴿سورة القلم﴾

(١-٤) ﴿قُلْ سَبِقَ الْكَلَامُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

أقسم الله بالقلم الذي يكتب به الملائكة والناس، وبما يكتبون من الخير والنفع والعلوم. ما أنت

-أيها الرسول- بسبب نعمة الله عليك بالنبوة والرسالة بضعيف العقل، ولا سفية الرأي، وإن لك على ما تلقاه من شدائد على تبليغ الرسالة لثوباً عظيماً غير منقوص ولا مقطوع، وإنك -أيها الرسول- لعلّ خلق عظيم، وهو ما اشتمل عليه القرآن من مكارم الأخلاق؛ فقد كان امتثال القرآن سجية له يأتمر بأمره، وينتهي عما ينهى عنه.

(٥، ٦) فمن قريب سترى -أيها الرسول-، ويرى الكافرون في أيكم الفتنة والجنون؟

(٧) إن ربك -سبحانه- هو أعلم بالشقي المنحرف عن دين الله وطريق الهدى، وهو أعلم بالتقي المهتدي إلى دين الحق.

(٨) فاثبت على ما أنت عليه -أيها الرسول- من مخالفة المكذبين ولا تطعهم.

(٩) غمّوا وأحسوا لو تلاينهم، وتصانهم على بعض ما هم عليه، فيلينون لك.

(١٠-١٥) ولا تطع -أيها الرسول- كل إنسان كثير الخلف كذاب حقير، مغتاب للناس، يمشي بينهم بالنميمة، وينقل حديث بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم، بخيل بالمال ضنين به عن الحق، شديد المنع للخير، متجاوز حده في العدوان على الناس وتناول المحرمات، كثير الآثام، شديد في كفره، فاحش لئيم، منسوب إلى غير أبيه. ومن أجل أنه كان صاحب مال وبنين، طغى وتكبر عن الحق، فإذا قرأ عليه أحد آيات القرآن كذب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم. وهذه الآيات وإن نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة، إلا أن فيها تحذيراً للمسلم من موافقة من اتصف بهذه الصفات الذميمة.

(١٦) سنجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له؛ ليكون مقتضحاً بها أمام الناس.

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ۝ فَنُفِثَ عَلَيْهِمُ الطَّيْفَ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ لَا يُعْلَمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادَ الْمُصْبِحُونَ ۝ إِنِ اعْتَدُوا عَلَيَّ حَرْبًا كُنْ مِنْكُمْ صَرِيحِينَ ۝ فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْعُنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْهِمْ ۝ وَسَكَنُوا ۝ وَعَدُوا عَلَيَّ حَرْبًا قَدِيرِينَ ۝ فَأَمَّا رَأُوهُمَا قَالُوا إِنَّا لَمَّا لَوْنَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَقْلَ لَكُمْ لَوْ لَّا تَسْتَعِينُونَ ۝ قَالُوا أَسُبِّحَنَّ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۝ قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا حَزْرًا قَرِيبًا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ۝ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ أَفَتَجْعَلُ الْمُتَسَاءِلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا خَيْرٌ ۝ أَمْ لَكُمْ أَيْمُنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝ سَلَّمَتْهُمُ إِلَهُم بِذَلِكَ رَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ ۝ كَانُوا أَصْدِقِينَ ۝ وَفَمَ يُكْشِفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَجِيبُونَ ۝

(١٧، ١٨) إِنَّا اخْتَبَرْنَا أَهْلَ «مَكَّةَ» بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ، كَمَا اخْتَبَرْنَا أَصْحَابَ الْحَدِيقَةِ حِينَ حَلَفُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ، لَيَقْطَعَنَّ ثَمَارَ حَدِيقَتِهِمْ مُبَكِّرِينَ فِي الصَّبَاحِ، فَلَا يَطْعَمُ مِنْهَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَنَحْوِهِمْ، وَلَمْ يَقُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (١٩، ٢٠) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا نَارًا أَحْرَقَتْهَا لَيْلًا، وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ مُحْتَرَقَةً سُودَاءَ كَاللَّيْلِ الْمَظْلَمِ.

(٢١، ٢٢) فَتَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقْتَ الصَّبَاحِ: أَنْ أَذْهَبُوا مُبَكِّرِينَ إِلَى زَرْعِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُصْرِفِينَ عَلَى قَطْعِ الثَّمَارِ.

(٢٣، ٢٤) فَانْدَفَعُوا مَسْرِعِينَ، وَهُمْ يَتَسَاءَلُونَ بِالْحَدِيثِ فِيهَا بَيْنَهُمْ: بِأَن لَّا تَحْكُمُوا الْيَوْمَ أَحَدًا مِنَ الْمُحْتَاجِينَ مِنْ دُخُولِ حَدِيقَتِكُمْ.

(٢٥) وَسَارُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى حَدِيقَتِهِمْ عَلَى قَصْدِهِمُ السَّيِّئِ فِي مَنَعَ الْمَسَاكِينَ مِنْ ثَمَارِ الْحَدِيقَةِ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الْقُدْرَةِ عَلَى تَنْفِيزِهِ فِي زَعْمِهِمْ.

(٢٦-٣٣) فَلَمَّا رَأَوْا حَدِيقَتَهُمْ عَتَرَتْهُ أَنْكَرُهَا، وَقَالُوا: لَقَدْ أَطْعَمْنَا الطَّرِيقَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهَا هِيَ جَنَّتُهُمْ، قَالُوا: بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ خَيْرُهَا؛ بِسَبَبِ عِزْمِنَا عَلَى الْبَخْلِ وَمَنَعِ الْمَسَاكِينَ. قَالَ أَعْدَلُهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ هَلَّا تَسْتَشْنُونَ وَتَقُولُونَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ؟ قَالُوا بَعْدَ أَنْ عَادُوا إِلَى رُشْدِهِمْ: تَنَزَّهَ اللَّهُ رَبَّنَا عَنِ الظُّلْمِ فِيهَا أَصَابِنَا، بَلْ نَحْنُ كُنَّا

الظَّالِمِينَ لِأَنفُسِنَا بَرَكْتَ الْاِسْتِثْنَاءَ وَقَصْدِنَا السَّيِّئَ. فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، يُلُومُ كُلُّ مَنَّهُمُ الْآخَرَ عَلَى تَرْكِهِمُ الْاِسْتِثْنَاءَ وَعَلَى قَصْدِهِمُ السَّيِّئِ، قَالُوا: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا مُتَجَاوِزِينَ الْحُدُودَ فِي مَنَعِنَا الْفُقَرَاءَ وَخَالَفَةً أَمْرَ اللَّهِ، عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُعْطِينَا أَفْضَلَ مِنْ حَدِيقَتِنَا؛ بِسَبَبِ تَوْبَتِنَا وَاعْتِرَافِنَا بِخَطِيئَتِنَا. إِنَّا إِلَى رَبِّنَا وَحْدَهُ رَاغِبُونَ، رَاجُونَ الْعَفْوَ، طَالِبُونَ الْخَيْرِ. مِثْلُ ذَلِكَ الْعِقَابُ الَّذِي عَاقَبْنَا بِهِ أَهْلَ الْحَدِيقَةِ يَكُونُ عِقَابِنَا فِي الدُّنْيَا لِكُلِّ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ، وَبَخَلَ بِأَمْرِهِ مِنَ النِّعَمِ فَلَمْ يُوَدِّحْ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَازْتَجَرُوا عَنْ كُلِّ سَبَبٍ يُوجِبُ الْعِقَابَ.

(٣٤) إِنْ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عِقَابُ اللَّهِ بِفَعْلِهِمَا أَمْرُهُمْ بِهِ وَتَرَكُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَاتُ النَّعِيمِ الْمَقِيمِ. (٣٥، ٣٦) أَفَتَجْعَلُ الْخَاضِعِينَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ كَالْكَافِرِينَ؟ مَا لَكُمْ كَيْفَ حُكْمَتِهِ هَذَا الْحُكْمُ الْجَائِرُ، فَسَاوَيْتُمْ بَيْنَهُمْ فِي الثَّوَابِ؟ (٣٧، ٣٨) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ مِنْزِلٌ مِنَ السَّمَاءِ تَجِدُونَ فِيهِ الْمَطِيعَ كَالْعَاصِي، فَأَنْتُمْ تَدْرُسُونَ فِيهِ مَا تَقُولُونَ؟ إِنْ لَكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِذَا مَا تَشْتَهُونَ، لَيْسَ لَكُمْ ذَلِكَ.

(٣٩) أَمْ لَكُمْ عَهْدٌ وَمَوَاقِيعٌ عَلَيْنَا فِي أَنَّهُ سَيَحْصِلُ لَكُمْ مَا تَرِيدُونَ وَتَشْتَهُونَ؟ (٤٠، ٤١) سَلِ الْمَشْرُوكِينَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ-: أَيُّهُمْ بِذَلِكَ الْحُكْمِ كَقَبِيلٍ وَضَامِنٍ بِأَن يَكُونَ لَهُ ذَلِكَ؟ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَكْفُلُ لَهُمْ مَا يَقُولُونَ، وَتَعِينُهُمْ عَلَى إِدْرَاكِ مَا طَلَبُوا، فَلْيَأْتُوا بِهَا إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي دَعْوَاهُمْ؟

(٤٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ وَيَصْغَبُ هَوْلُهُ، وَيَأْتِي اللَّهُ تَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَيُكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ الْكَرِيمَةَ الَّتِي لَا يَشَبِّهُهَا شَيْءٌ، قَالَ صَلِّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا؛ رِيَاءً وَسَمْعَةً، فَيُذْهِبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

(٤٣) منكسرة أبصارهم لا يرفعونها، تغشاهم ذلة شديدة من عذاب الله، وقد كانوا في الدنيا يُدْعَوْنَ إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحاء قادرين عليها فلا يسجدون؛ تعظماً واستكباراً. (٤٤، ٤٥) فذري -أيها الرسول- ومن يكذب بهذا القرآن، فإن عليّ جزاءهم والانتقام منهم، سنمدهم بالأموال والأولاد والنعم؛ استدراجاً لهم من حيث لا يشعرون أنه سبب لإهلاكهم، وأمهلهم وأطيل أعمارهم؛ ليزدادوا إثماً. إن كيدي بأهل الكفر قويّ شديد.

(٤٦، ٤٧) أم تسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين أجراً دنيوياً على تبليغ الرسالة فهم من غرامة ذلك مكلفون جلاً ثقيلاً؟ بل أعتدهم علم الغيب، فهم يكتبون عنه ما يحكمون به لأنفسهم من أنهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به؟

(٤٨-٥٠) فاصبر -أيها الرسول- لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس -عليه السلام- في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء غمّاً طالباً تعجيل العذاب لهم، لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقبولها لطرح من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة،

وهو آتٍ بما يلام عليه، فاصطفاه ربه لرسالته، فجعله من الصالحين الذين صلحت نياتهم وأقوالهم وأعمالهم. (٥١) وإن يكاد الكفار حين سمعوا القرآن ليصيبونك -أيها الرسول- بالعين؛ لبغضهم إياك، لولا وقاية الله وحمايته لك، ويقولون: -حسب أهوائهم- إنه لمجنون.

(٥٢) وما القرآن إلا موعظة وتذكير للعالمين من الإنس والجن.

﴿سورة الحاقة﴾

(١-٣) القيامة الواقعة حقاً التي يتحقق فيها الوعد والوعيد، ما القيامة الواقعة حقاً في صفتها وحالها؟ وأي شيء أدراك -أيها الرسول- وعرفك حقيقة القيامة، وصوّرك لها هوها وشدتها؟

(٤) كذبت ثمود وهم قوم صالح، وعاد وهم قوم هود بالقيامة التي تفرع القلوب بأهوالها.

(٥-٨) فاما ثمود فأهلكوا بالصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها، وأما عاد فأهلكوا بريح باردة شديدة الهبوب، سلّطها الله عليهم سبع ليال وثلثية أيام متتابعة، لا تقفّر ولا تنقطع، ترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى كأنهم أصول نخل خربة متأكدة الأجواف. فهل ترى لهؤلاء القوم من نفس باقية دون هلاك؟

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَالْمُؤْتَفِكِبُ بِالْخِلَافَةِ ۖ فَغَصَّوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۖ إِنَّهَا لَمَطَطَا الْمَاءِ حَمَلَةٌ كُوفِي الْجَارِيَةِ
لِيَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أُنْزُوعُهُ ۖ فَإِذَا يُفْعَلُ فِي الصُّورِ
نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا يُحْمَلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنِينٌ
ۖ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيمِينَةٍ ۖ يَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِئَةٌ ۖ إِنِّي طُنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَةٍ
ۖ فَهُمْ فِي عَسَافٍ رَاضِيَةٍ ۖ فِي حَنَّةٍ عَلِيَةٍ ۖ فَنُظِّفُهُمْ دَانِيَةً ۖ
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالَةٍ ۖ فَيَقُولُ بِأَلَيْتَنِي لَوْلَا أُوتِيَ كِتَابِيَةٍ ۖ وَلَوْلَا ذِمَّتُ حِسَابِيَةٍ
ۖ بِأَلَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةُ ۖ مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَةٍ ۖ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ
ۖ خَذُوهُ وَفَعَلُوهُ ۖ نُونٌ لَبِجْدٍ صَلَاحٌ ۖ نُونٌ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ
وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۖ فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ هَمٌّ نَاجِيَةٌ ۖ

(٩، ١٠) وجاء الطاغية فرعون، ومن سبقه من الأمم التي كفرت برسلها، وأهل قرى قوم لوط الذين انقلبتم بهم ديارهم بسبب الفعلة المنكرة من الكفر والشرك والفسواحش، فعصت كل أمة منهم رسول ربهم الذي أرسله إليهم، فأخذهم الله أخذة بالغة في الشدة.

(١١، ١٢) إننا لما جاوز الماء حمده، حتى علا وارفع فوق كل شيء، حملنا أصولكم مع نوح في السفينة التي تجري في الماء؛ لتجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة وعظة، وتحفظها كل أذن من شأنها أن تحفظ، وتعقل عن الله ما سمعت.

(١٣-١٨) فلإذا نفخ الملك في «القرن» نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم، ورُفعت الأرض والجبال عن أماكنها فكُفرتنا، ودُقَّتْ دقة واحدة. ففي ذلك الحين قامت القيامة، وانصدعت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسك فيها ولا صلابة، والملائكة على جوانبها وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من

الملائكة العظام. في ذلك اليوم تُعرضون على الله - أيها الناس - للحساب والجزاء، لا يخفى عليه شيء من أسراركم.

(١٩-٢٤) فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول ابتهاجاً وسروراً: خذوا أقرؤوا كتابي، إني أيقنت في الدنيا بأني سألقى جزائي يوم القيامة، فأعددت له العدة من الإيمان والعمل الصالح، فهو في عيشة هنية مرضية، في جنة مرتفعة المكان والدرجات، تهاجر قرية بتناولها القائم والقاعد والمضطجع. يقال لهم: كلوا أكلاً، واشربوا شرباً بعيداً عن كل أذى، سالمين من كل مكروه؛ بسبب ما قدّمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية.

(٢٥-٢٩) وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول نادماً متحسراً: يا ليتني لم أعط كتابي، ولم أعلم ما جزائي؟ يا ليت الموتة التي مني في الدنيا كانت القاطعة لأمري، ولم أبعث بعدها، ما نفعتني مالي الذي جمعت في الدنيا، ذهبت عني حجتِي، ولم يُلْغِ لي حجة أحتج بها.

(٣٠-٣٤) يقال لحزنه جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الحميم ليقاسي حرها، ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً فأدخلوه فيها؛ إنه كان لا يصدق بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، ولا يعمل بهديه، ولا يبحث الناس في الدنيا على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم.

(٣٥) فليس لهذا الكافر يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب.

(٣٦، ٣٧) وليس له طعام إلا من صديد أهل النار، لا يأكله إلا المذنبون المصرون على الكفر بالله.

(٣٨-٤٣) فلا أقسم بما تبصرون من المراتب، وما لا تبصرون مما غاب عنكم، إن القرآن لكلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل، وليس بقول شاعر كما تزعمون، قليلاً ما تؤمنون، وليس بسجع كسجع الكهان، قليلاً ما يكون منكم تذكُّر وتأمل للفرق بينها، ولكنه كلام رب العالمين الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤٤-٤٨) ولو ادعى محمد علينا شيئاً لم نقله، لا نتقمنه وأخذناه بالقوة والقُدرة؛ لأن قوة كل شيء في ميامنه، ثم لقطعنا منه نياط قلبه، فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا. وإن هذا القرآن لعظة للمتقين الذين يمشلون أوامر الله ويحجبون نواهيه.

(٤٩-٥٢) وإننا لنعلم أن منكم من يكذب بهذا القرآن مع وضوح آياته، وإن التكذيب به لندامة عظيمة على الكافرين به حين يرون عذابهم.

ويرون نعيم المؤمنين به، وإنه لحق ثابت ويقين لا شك فيه. فنزه الله سبحانه عما لا يليق بجلاله، واذكره باسمه العظيم.

﴿سورة المارج﴾

(١-٤) دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب عليهم، وهو واقع بهم يوم القيامة لا محالة، ليس له مانع يمنعه من الله ذي العلو والجلال، تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا، وهو على المؤمن مثل صلاة مكتوبة.

(٥) فاصبر -أيها الرسول- على استهزائهم واستعجالهم العذاب صبراً لا جزع فيه، ولا شكوى منه إلى غير الله.

(٦، ٧) إن الكافرين يستعدون العذاب ويرونه غير واقع، ونحن نراه واقعاً قريباً لا محالة.

(٨، ٩) يوم تكون السماء سائلاً مثل خثالة الزيت، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش الذي ذرته الريح.

(١٠) ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه؛ لأن كل واحد منها مشغول بنفسه.

يَصْرُوهُمْ فِي الْغَمْرِ وَلَوِيْتَدَى مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يَسْتَجِيبُ ۝
وَصَحَّتْ لَهُ وَآخِيهِ ۝ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ۝ نَزَّاعَةً لِّلْسَوَى ۝ تَتَّبِعُونَ مِنْ أَذْنَى
وَتَوَلَّى ۝ وَجَمْعَ قَاوِي ۝ إِنْ أَرَادْتُمْ إِلَّا بِشَرْحِ الْحُلِيِّمَةِ ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ
عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْرِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِّلنَّسَائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ اللَّهِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ
رَّبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا يُورُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ أَتَّبَعَىٰ وَرَاءَكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُكُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ
۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ وَلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝
فَإِلَ الَّذِينَ هُكَرُوا فَبَكَرُوا مُهْطِعِينَ ۝ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
عِزِينَ ۝ يُطْعَمُونَ كُلَّ مَرِيٍّ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
مِمَّا يَعْلَمُونَ ۝ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝

(١١-١٤) يرونهم ويعرفونهم، ولا يستطيع أحد أن ينفع أحداً. بمعنى الكافر لو يقدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه وأخيه، وعشيرته التي تضمه وينتمي إليها في القرابة، وبجميع من في الأرض من البشر وغيرهم، ثم ينجو من عذاب الله.

(١٥-١٨) ليس الأمر كما تتمناه -أيها الكافر- من الافتداء، إنها جهنم تلتطى نارها وتلتهب، تنزع بشدة حرها جلدة الرأس وسائر أطراف البدن، تنادي من أعرض عن الحق في الدنيا، وترك طاعة الله ورسوله، وجمع المال، فوضعه في خزائنه، ولم يؤد حق الله فيه.

(١٩-٣٠) إن الإنسان جليل على الجزع وشدة الحرص، إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى، وإذا أصابه الخير واليسر فهو كثير المنع والإسكاف، إلا المقيمين للصلاة الذين يحافظون على أدائها في جميع الأوقات، ولا يشغلهم عنها شاغل، والذين في أموالهم نصب معين فرضه الله عليهم، وهو الزكاة لمن يسألهم

المعونة، ولم يتعفف عن سؤالها، والذين يؤمنون بيوم الحساب والجزاء فيستعدون له بالأعمال الصالحة، والذين هم خائفون من عذاب الله. إن عذاب ربهم لا ينبغي أن يأمنه أحد. والذين هم حافظون لفروجهم عن كل ما حرم الله عليهم، إلا على أزواجهم وإمائهم، فإنهم غير مؤاخذين.

(٣١-٣٥) فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات، فأولئك هم المتجاوزون للحلال إلى الحرام. والذين هم حافظون لأمانات الله وأمانات العباد، وحافظون لعهودهم مع الله تعالى ومع العباد، والذين يؤدون شهاداتهم بالحق دون تغيير أو كتمان، والذين يحافظون على أداء الصلاة ولا يخلون بشيء من واجباتها. أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة مستقرون في جنات النعيم، مكرمون فيها بكل أنواع التكريم.

(٣٦-٣٩) فأني دافع دفع هؤلاء الكفرة إلى أن يسيرا نحوك -أيها الرسول- مسرعين، وقد مددوا أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك، يتجمعون عن يمينك وعن شمالك حلقات متعددة وجماعات متفرقة يتحدثون ويتعجبون؟ أيطعم كل واحد من هؤلاء الكفار أن يدخله الله جنة النعيم الدائم؟ ليس الأمر كما يطمعون، فإنهم لا يدخلونها أبداً. إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ

من ماء مهين غيرهم، فلم يؤمنوا، فمن أين يتشرفون بدخول جنة النعيم؟

(٤٠) أقسم تعالى بنفسه، وهو رب المشارق والمغرب للشمس والقمر وسائر الكواكب؛ لما فيها من الآيات الباهرات الدالة على البعث، إِنَّا لَقَادِرُونَ قُدْرَةً تَامَةً.

(٤١) على أن نبدل خيرهم وما نحن بمسرفين ﴿٤٢﴾ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلقوا يومهم الذي وعدت ﴿٤٣﴾ يوم يخرجون من الأعداء سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴿٤٤﴾ خضعة أبصارهم كفهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا وعدون ﴿٤٥﴾

(٤٢-٤٤) لكن سبق في علمنا ومشيئتنا تأخير عقوبة هؤلاء الكفار، وعدم تبديلهم بقوم آخرين، فتركهم يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يعدون فيه بالعذاب، يوم يخرجون من القبور مسرعين، كما كانوا في الدنيا يذهبون إلى آلهتهم التي اختلقوها للعبادة من دون الله، يهرولون ويسرعون، ذليلة أبصارهم منكسرة إلى الأرض، تغشاهم الحفارة والمهانة، ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويكذبون.

﴿سورة نوح﴾

(١-٤) إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، وقلنا له: حذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب موجع. قال

نوح: يا قومي إني نذير لكم بين الإنذار من عذاب الله إن عصيتموه، وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحده، وخافوا عقابه، وأطيعوني فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فإن أطيعتموني واستجبتم لي، يصفح الله عن ذنوبكم ويغفر لكم، ويمد في أعماركم إلى وقت مقدر في علم الله تعالى، إن الموت إذا جاء لا يؤخر أبداً، لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان والطاعة.

(٥-١٠) قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وطاعتك في الليل والنهار، فلم يزدني دعائي لهم إلى الإيمان إلا هرباً وإعراضاً عنه، وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك، ليكون سبباً في غفرانك ذنوبهم، وضعوا أصابعهم في آذانهم، كي لا يسمعوا دعوة الحق، وتغطوا بأبصارهم، كي لا يروني، وأقاموا على كفرهم، واستكبروا عن قبول الإيمان استكباراً شديداً، ثم إني دعوتهم إلى الإيمان ظاهراً علناً في غير خفاء، ثم إني أعلنت لهم الدعوة بصوت مرتفع في حال، وأسرت بها بصوت خفي في حال أخرى، فقلت لقومي: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، إنه تعالى كان غفراً لمن تاب من عباده ورجع إليه.

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرٌ مِثْلُكُمْ ﴿٢﴾ إِنِّي أَعْبُدُ اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ دَعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغِرًا فِي إِسْمَاعِيلَ وَأَسْتَعِصُوا إِنِّي أَنَا صَرِيحٌ وَأَسْتَكْبَرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهْرًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْمَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُبْذَرُ عَلَيْكُمْ أَكْمَالًا مِنْ بَرِّهِ وَكَفَّ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ حَبَّ السَّيْلِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ۚ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَثْوَارًا ۚ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۖ وَاللَّهُ أَنْتَبِهُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِآثَارِكُمْ ۖ ثُمَّ يُبْعِدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۖ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۖ قَالَ نُوحٌ رَبِّ انْصُرْنِي وَلَا تَجْعَلْ لِي فِي عَصَوْتِي وَأُتْبَعُوا مَن لَّيِّدُ مَالَهُ ۖ وَوَلَدَهُ الْاِحْسَارَ ۖ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ۖ وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ الْهَتَكَ وَلا تَذَرْنِ وَدَّاءَ سُوءَاعٍ ۖ وَيَعْقُوبُ وَيَعْقُوبُ وَتَسْرَاجًا ۖ وَقَدْ أَضَلُّوا كَبِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۖ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُونَاكَ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۖ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۖ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۖ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۖ

(١١-١٦) إن تتوبوا وتستغفروا يَنْزِلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ المطر غزيراً متتابعاً، ويكثرُ أموالكم وأولادكم، ويجعل لكم حداثاً تتعمسون بشوارعها وجبالها، ويجعل لكم الأنهار التي تسقون منها زرعكم ومواشيكم. ما لكم -أيها القوم- لا تخافون عظمة الله وسلطانه، وقد خلقكم في أطوار متدرجة: نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً ولحماً؟ ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض، وجعل القمر في هذه السموات نوراً، وجعل الشمس مصباحاً مضيئاً يستضيء به أهل الأرض؟

(١٧-٢٠) والله أنشأ أصلكم من الأرض إنشاءً، ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت، ويخرجكم يوم البعث إخراجاً حققاً. والله جعل لكم الأرض ممهدة كالسباط؛ لتسلكوا فيها طرقات واسعة.

(٢١-٢٥) قال نوح: ربِّ إن قومي بالغوا في عصياني وتكذيبي، واتبع الضعفاء منهم الرؤساء الضالين الذين لم تذهب أموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا وعقاباً في الآخرة، ومكر رؤساء الضلال بتابعيهم من الضعفاء مكرأ عظيم، وقالوا لهم: لا تتركوا عبادة ألهتكم إلى

عبادة الله وحده، التي يدعو إليها نوح، ولا تتركوا ودّاً ولا سُوءاعاً ولا يعقوب وتسراً، وهي أساءة أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، وكانت أساءة رجال صالحين، لما ماتوا أو حوى الشيطان إلى قومهم أن يقيموا لهم التماثيل والصور؛ لينشطوا -بزعمهم- على الطاعة إذا رآوها، فلما ذهب هؤلاء القوم وطال الأمد، وخلفهم غيرهم، وسوس لهم الشيطان بأن أسلافهم كانوا يعبدون التماثيل والصور، ويتوسلون بها. وهذا من حِكْمِ تحريم التماثيل، وتحريم بناء القباب على القبور؛ لأنها تصير مع تطاول الزمن معبودة للجهال. وقد أضل هؤلاء المتبوعون كثيراً من الناس بما زعموا لهم من طرق الغواية والضلال. ثم قال نوح عليه السلام: ولا تزد -يا ربنا- هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد إلا بُعْداً عن الحق. فبسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان أغرقوا بالطوفان، وأدخلوا عقب الإغراق ناراً عظيمة اللمب والإحراق، فلم يجدوا من دون الله مَنْ ينصرهم، أو يدفع عنهم عذاب الله.

(٢٦-٢٨) وقال نوح -عليه السلام- بعد يأسه من قومه: ربِّ لا تترك من الكافرين بك أحداً حياً على الأرض يدور ويتحرك. إنك إن تركهم دون إهلاك يضلُّوا عبادك الذين قد آمنوا بك عن طريق الحق، ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا ماثل عن الحق شديد الكفر بك والعصيان لك. ربِّ اغفر لي، ولوالدي، ولمن دخل بيتي مؤمناً، وللمؤمنين والمؤمنات بك، ولا تزد الكافرين إلا هلاكاً وخسراناً في الدنيا والآخرة.

﴿سورة الجن﴾

(٢، ١) قل - أيها الرسول - : أوحى الله إلي أن جماعة من الجن قد استمعوا لتلاوتي للقرآن، فلما سمعوه قالوا قومهم: إنا سمعنا قرآنا مبدياً في بلاغته وفصاحته، وحكمه وأحكامه وأخباره، يدعو إلى الحق والهدى، فصدّقنا بهذا القرآن وعملنا به، ولن نشرك بربنا الذي خلقنا أحداً في عبادته.

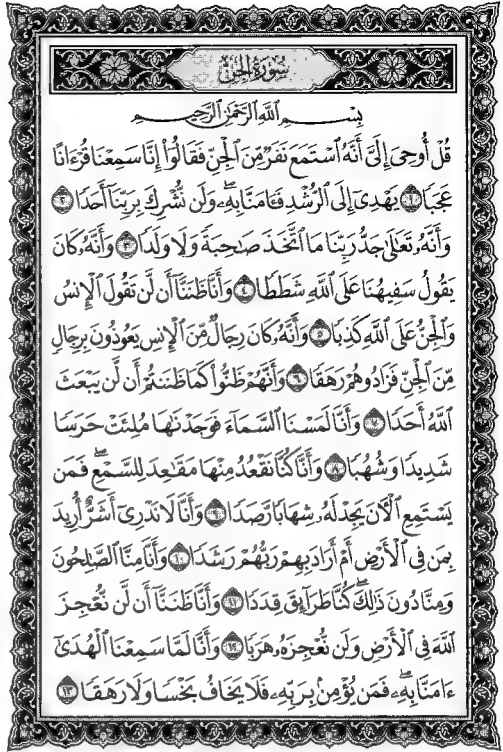
(٣) وأنه تعالّت عظمة ربنا وجلاله، ما اتخذ زوجة ولا ولداً.

(٤) وأن سفيهاً - وهو إبليس - كان يقول على الله تعالى قولاً بعيداً عن الحق والصواب، من دعوى الصاحبة والولد.

(٥) وأنا حسبن أن أحداً لن يكذب على الله تعالى، لا من الإنس ولا من الجن في نسبة الصاحبة والولد إليه.

(٦) وأنه كان رجال من الإنس يستجبرون برجال من الجن، فزاد رجال الجن الإنس باستعاذتهم بهم خوفاً وإرهاباً ورعباً.

وهذه الاستعاذة بغير الله التي نعاها الله على أهل الجاهلية، من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله



إلا بالتوبة النصوح منه. وفي الآية تحذير شديد من اللجوء إلى السحرة والمشعوذين وأشباههم.

(٧) وأن كفار الإنس حسبوا كما حسبتم - يا معشر الجن - أن الله تعالى لن يبعث أحداً بعد الموت.

(٨) وأنا - معشر الجن - طلبنا بلوغ النساء؛ لاستماع كلام أهلها، فوجدناها ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يجرسونها، وبالشهب المحرقة التي يرمى بها من يقرب منها.

(٩) وأنا كنا قبل ذلك نتخذ من السماء مواضع؛ لنستمع إلى أخبارها، فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهباً بالمرصاد، محرقه ويهلكه. وفي هاتين الآيتين إبطال مزاعم السحرة والمشعوذين، الذين يدعون علم الغيب، ويفترون بضعفة العقول؛ بكذبهم وافتراءهم.

(١٠) وأنا - معشر الجن - لا نعلم: أشرأ أراد الله أن ينزله بأهل الأرض، أم أراد بهم خيراً وهدى؟

(١١) وأنا منا الأبرار المتقون، ومنا قوم دون ذلك كفار وفاسق، كنا فرقاً ومذاهب مختلفة.

(١٢) وأنا أيقنا أن الله قادر علينا، وأنا في قبضته وسلطانه، فلن نفوته إذا أراد بنا أمراً أينما كنا، ولن نستطيع أن نُفْلِت من عقابه هرباً إلى النساء، إن أراد بنا سوءاً.

(١٣) وأنا لما سمعنا القرآن آمناً به، وأقررنا أنه حق من عند الله، فمن يؤمن بربه، فإنه لا يخشى نقصاناً من حسناته، ولا ظملاً يلحقه بزيادة في سيئاته.

وَأَنَامَنَا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ
تَحَرَوا رِسْدًا ۖ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝
وَالْوَاَسِقُمْ أَعْلَى الطَّرِيقَةِ لَا سَفَرَهُمْ مَاءً عَذَقًا ۝ لَنَقْبِتَنَّهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝ وَأَنَّ
الْمُسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رِشْدًا ۝ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَاغًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَائِدَةً فَفَسَّحِلْمُونَ
مِنْ أضعف ناصراً وأقل عذابًا ۝ قُلْ إِن أَدْرِي أَيُّ رَبِّ أَوْيَبُ مَا تُوعَدُونَ
أَمْ يُجْعَلُ لَهُ رِزْقٌ أَمَدًا ۝ عَلَيْهِ الْعَذَابُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ عِيبِهِ
أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن أَرْقَبَتْهُ مِن رَّبِّهِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝

(١٤، ١٥) وأنا منا الخاضعون لله بالطاعة، ومنا
الجانثرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق،
فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك الذين
قصدوا طريق الحق والصواب، واجتهدوا في
اختياره فهداهم الله إليه، وأما الجانثرون عن
طريق الإسلام فكانوا وقوداً لجهنم.

(١٦، ١٧) وأنه لو سار الكفار من الإنس
والجن على طريقة الإسلام، ولم يحيدوا عنها
لأنزلنا عليهم ماء كثيراً، ولوسعنا عليهم الرزق
في الدنيا؛ لنختبرهم: كيف يشكرون نعم الله
عليهم؟ ومن يعرض عن طاعة ربه واستماع
القرآن وتدبره، والعمل به يدخله عذاباً شديداً
شاقاً.

(١٨) وأن المساجد لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا
فيها غيره، وأخلصوا له الدعاء والعبادة فيها؛
فإن المساجد لم تُبْنَ إلا ليعبد الله وحده فيها،
دون من سواه. وفي الآية وجوب تنزيه المساجد
من كل ما يشوب الإخلاص لله، ومتابعة رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٩) وأنه لما قام محمد صلى الله عليه وسلم،
يعبد ربه، كاد الجن يكونون عليه جماعات متراكمة، بعضها فوق بعض؛ من شدة ازدهامهم لسباع القرآن منه.

(٢٠) قل -أيها الرسول- هؤلاء الكفار: إنما أعبد ربي وحده، ولا أشرك معه في العبادة أحداً.

(٢١-٢٣) قل -أيها الرسول- لهم: إنني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرراً، ولا أجلب لكم نفعاً؛ قل: إنني لن ينقذني من عذاب الله
أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه ملجأ أفتر إليه من عذابه، لكن أملك أن أبلغكم عن الله ما أمري بتبليغه لكم، ورسالته
التي أرسلني بها إليكم. ومن يعص الله ورسوله، ويعرض عن دين الله، فإن جزاءه نار جهنم لا يخرج منها أبداً.
(٢٤) حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: من أضعف ناصراً وأقل
جنداً؟

(٢٥-٢٨) قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: ما أدري أهذا العذاب الذي وعدتم به قريب زمنه، أم يجعل له ربي مدة
طويلة؟ وهو سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحداً من خلقه، إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه.
فإنه يطلعهم على بعض الغيب، ويرسل من أمام الرسول ومن خلقه ملائكة يحفظونه من الجن؛ لئلا يسترقوه ويهوسوا به
إلى الكهنة؛ ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق، وأنه حُفظ
كما حُفظوا من الجن، وأن الله سبحانه أحاط علمه بما عندهم ظاهراً وباطناً من الشرائع والأحكام وغيرها، لا يفوته منها
شيء، وأنه تعالى أحصى كل شيء عدداً، فلم يخف عليه منه شيء.

﴿سورة الزمّل﴾

(١-٤) يا أيها المتغطي بثيابه، قم للصلاة في الليل إلا يسيراً منه، قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلاً حتى تصل إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين، وأقرأ القرآن بؤذة وتمهل ميّناً الحروف والوقوف.

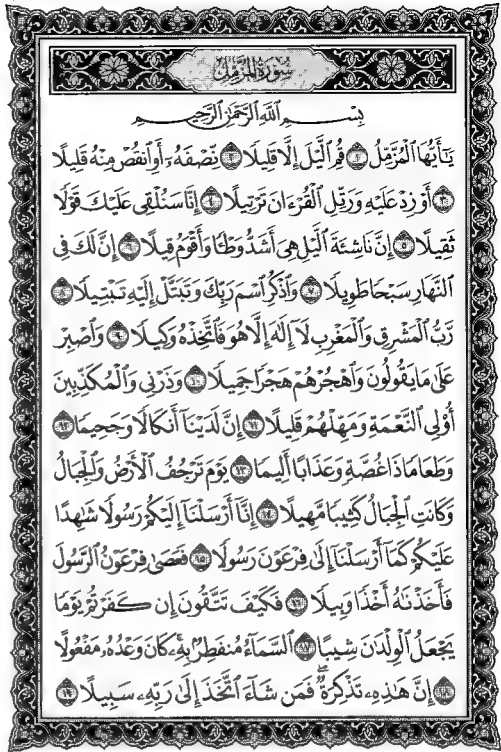
(٥) إنا سننزل عليك -أيها النبي- قرآناً عظيماً مشتتلاً على الأوامر والنواهي والأحكام الشرعية.

(٦) إن العبادة التي تنشأ في جوف الليل هي أشد تأثيراً في القلب، وأبين قولاً لفراغ القلب من مشاغل الدنيا.

(٧) إن لك في النهار تصرفاً وتقلباً في مصالحك، واشتغلاً واسعاً بأمر الرسالة، ففرغ نفسك ليلاً لعبادة ربك.

(٨، ٩) واذكر -أيها النبي- اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعاً تاماً في عبادتك، وتوكل عليه. هو مالك المشرق والمغرب لا معبود بحق إلا هو، فاتمّد عليه، وفوّض أمورك إليه.

(١٠) واصبر على ما يقوله المشركون فيك وفي



دينك، وخالفهم في أفعالهم الباطلة، مع الإعراض عنهم، وترك الانتقام منهم.

(١١) ودعني -أيها الرسول- وهؤلاء المكذّبين يأتيني أصحاب النعيم والترف في الدنيا، ومهلّهم زمناً قليلاً بتأخير العذاب عنهم حتى يبلغ الكتاب أجله بعداهم.

(١٢، ١٣) إن لهم عندنا في الآخرة قيوداً ثقيلة وناراً مستعرة يحرقون بها، وطعاماً كريهاً ينشّب في الخلق لا يستساغ، وعذاباً موجعاً.

(١٤) يوم تضطرب الأرض والجال والجال وتزلزل حتى تصير الجبال تلاً من الرمل سائلاً متناثراً، بعد أن كانت ضلّة جامدة. (١٥، ١٦) إنا أرسلنا إليكم -يا أهل «مكة»- محمداً رسولاً، شاهداً عليكم بما صدر منكم من الكفر والعصيان، كما أرسلنا موسى رسولاً إلى الطاغية فرعون، فكذب فرعون بموسى، ولم يؤمن برسالته، وعصى أمره، فأهلكناه إهلاكاً شديداً.

وفي الآية تحذير من معصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ خشية أن يصيب العاصي مثل ما أصاب فرعون وقومه. (١٧) فكيف تُقوّن أنفسكم -إن كفرتم- عذاب يوم القيامة الذي يشيب فيه الولدان الصغار؛ من شدة هوله وكرهه؟

(١٨) النساء متصدعة في ذلك اليوم؛ لشدة هوله، كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعاً لا محالة.

(١٩) إن هذه الآيات المحوِّفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس، فمن أراد الاعتاظ والانفعال بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقاً توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربّاه.

﴿إِنْ رَزَقَكَ بِعَلْمِكَ تَقْوَمُ أَذَى مِنْ ثُلْثِي اللَّيْلِ وَضَعَهُ، وَلَهُ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ حِصْوَةٍ مَا تُخِصُّهُ قَاتَبَ عَلَيْهِمْ فَاقَرَعُهَا مَا تَسْرِعُ مِنَ الْقَرَأَنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُونَ وَأَخْرَجُوا بِضُرُونِ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرَجُوا يَتَّقِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقَرَعُهَا مَا تَسْرِعُهَا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِرُوا لَا تَنْفُسُكُمْ مِنْ خَيْرٍ يُحْدِثُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا أَسْتَغْفِرُكَ وَاللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَتَىٰ بِكُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿١﴾
وَالْجُزْءَ الْفَاهِمِ ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا سَبِيلَ الْكُفْرِ ۚ وَأَتَىٰ بِكُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَ فِي التَّائِبِينَ ﴿٢﴾ فَإِنَّكَ تَوْمِيذٌ يَوْمَ عَسِيرٍ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿٣﴾
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۚ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿٤﴾ وَبَنَيْنَ سُدُورًا ﴿٥﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿٦﴾ فَيُطْمَعُنَ أَنْ يُزِيدَ ﴿٧﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِالْغَيْبِ ۚ سَاءَ هَفَؤُهُ صَعُودًا ﴿٨﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٩﴾

سورة المائدة

(١-٧) يا أيها المتعطي بشيابه، قم من مضجعك، فحذر الناس من عذاب الله، وخص ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة، وطهر ثيابك من النجاسات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن، وطمع على هجر الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها، ولا تخط العطيء؛ كي تلتمس أكثر منها، ولرضا ربك فاصبر على الأوامر والنواهي.

(٨-١٠) فإذا تمخض في «القرآن» نفخة البعث والنشور، فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين، غير سهل أن يخلصوا عما هم فيه من مناقشة الحساب وغيره من الأحوال.

(١١-١٧) دعني -أيها الرسول- أنا والذي خلقت في بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد، وجعلت له مالا مهسوطاً واسعاً وأولاداً حضوراً معه في «مكة» لا يغيبون عنه، ويسر له سبل العيش تيسيراً، ثم يأكل بعد هذا العطاء أن أزيد له في ماله وولده، وقد كفر بي. ليس الأمر كما يزعم هذا الفاجر الأثيم، لا أزيد على ذلك؛ إنه كان للقرآن وحجج الله على خلقه معانداً مكذباً، سأل نفسه مشقة من العذاب والإرهاق لا راحة له منها. والمراد بهذا الوعيد الوليد بن المغيرة المعاند للحق المبارز لله ولرسوله بالمحاربة. وهذا جزء كل من عاند الحق ونابذه.

(١٨) إنه فكر في نفسه، وهماً ما يقوله من الطعن في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن.

(١٩ - ٢٥) فَلَعْن، واستحق بذلك الهلاك، كيف أعد في نفسه هذا الطعن؟ ثم لعن كذلك، ثم تأمل فيها قدر وهماً من الطعن في القرآن، ثم قطب وجهه، واشتد في العبوس والكُلُوح لَمَّا ضاقت عليه الحيل، ولم يجد مطعناً يطعن به في القرآن، ثم رجع معرضاً عن الحق، وتعاضم أن يعترف به، فقال عن القرآن: ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر يُنقل عن الأولين، ما هذا إلا كلام المخلوقين تعلمه محمد منهم، ثم ادعى أنه من عند الله.

(٢٦ - ٣٠) سادخله جهنم؛ كي يصلح حرها ويحترق بنارها، وما أعلمك أي شيء جهنم؟ لا تبقى لحياً ولا ترك عظمياً إلا أحرقت، مغيرة للبشرة، مسوذة للجلود، محرقه لها، يلي أمرها ويتسلط على أهلها بالعذاب تسعة عشر ملكاً من الزبانية الأشداء.

(٣١) وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ، وما جعلنا ذلك العدد إلا اختباراً للذين كفروا بالله؛ وليحصل اليقين للذين أعطوا الكتاب من اليهود والنصارى بأن ما جاء

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۖ تُرْفَعُ كَيْفَ قَدَرٌ ۚ تُرْجَعُ كَيْفَ رِجْعٍ ۚ وَنَسَى ۖ نَسَى ۚ
 ١٩ ثُمَّ ادْبَرُوا وَانْتَكَبُوا ۚ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ۚ إِنْ هَذَا
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۚ سَأُصْلِحَهُ سَقَرٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ
 لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۚ وَاحِةَ الْبَشَرِ ۚ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۚ وَمَا جَعَلْنَا
 أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۚ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ
 لِلْبَشَرِ ۚ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۚ وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرُ ۚ إِنَّهَا
 لَاحِدَى الْكَرِيِّ ۚ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ۚ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَأَخَّرَ
 ٢٦ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ۚ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۚ فِي جَنَّاتٍ
 يَسَّاءُونَ ۚ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۚ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا قَدْ تَبَّ
 مِنَ الْمُضِلِّينَ ۚ وَلَمْ تَكُنْ تُطْعَمُونَ الْيَاسْكِينَ ۚ وَكُنَّا تَخَوِّضُ مَعَ
 الْحَافِيضِينَ ۚ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ۚ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ۚ

في القرآن عن خزنة جهنم إنما هو حق من الله تعالى، حيث وافق ذلك كتبهم، ويزداد المؤمنون تصديقاً بالله ورسوله وعملاً بشرعه، ولا يشك في ذلك الذين أعطوا الكتاب من اليهود والنصارى ولا المؤمنون بالله ورسوله؛ وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون: ما الذي أراد الله بهذا العدد المستغرب؟ بمثل ذلك الذي ذكر يضلُّ الله من أراد إضلاله، ويهدي من أراد هدايته، وما يعلم عدد جنود ربك - ومنهم الملائكة - إلا الله وحده. وما النار إلا تذكرة وموعظة للناس.

(٣٢ - ٣٧) ليس الأمر كما ذكرنا من التأكيد للرسول فيما جاء به، أقسم الله سبحانه بالقمر، وبالليل إذ ولَّى وذهب، وبالصبح إذا أضاء وانكشف، إن النار لإحدى العظائم؛ إنذاراً وتحويلاً للناس، لمن أراد منهم أن يتقرب إلى ربه بفعل الطاعات، أو يتأخر بفعل المعاصي.

(٣٨ - ٤٧) كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها، لا تُفكُّ حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات، إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكوا رقابهم بالطاعة، هم في جنات لا يُذَرَّكَ وصفها، يسأل بعضهم بعضاً عن الكافرين الذين أجروا في حق أنفسهم: ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيها؟ قال المجرمون: لم نكن من المصلين في الدنيا، ولم نكن نتصدق ونحسن إلى الفقراء والمساكين، وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغواية والضلالة، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء، حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات.

فَمَا تَسْأَلُهُمْ رَبَّهُمْ السَّاعِينَ ﴿٥٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُبْرِضِينَ ﴿٥٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٦٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٦١﴾ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ أُمَّرٍ مَقْعَهُمْ أَنْ يَنُوقُوا صُحُفًا مُمَشَّرَةً ﴿٦٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٦٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٦٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٦٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ﴿٦٦﴾

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ إِلَّا نَفْسٍ اللَّوَامَةِ ﴿٢﴾ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَى قَدْ يَنْصُرُ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بُنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَكَانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ أَبْصَرَ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ رَجَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَأَنْ مَقَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ ذِكِّكَ يَوْمَئِذٍ التَّسْمِينُ ﴿١٢﴾ يَبْنُو أَلِإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَامَ وَأَخْرَجَ ﴿١٣﴾ بَلَى الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَفُتْرَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ وَهُوَ آهٌ ﴿١٨﴾ تَرْجُو أَنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

﴿سورة القيامة﴾

(٤-١) أقسم الله سبحانه بيوم الحساب والجزاء، وأقسم بالنفس المومة التقية التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفعل الموبقات، أن الناس سيعثون. أيظن هذا الإنسان الكافر أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها؟ بل سنجمعها، قادرين على أن نجعل أصابعه أو أنامله -بعد جمعها وتاليفها- خلقاً سوياً، كما كانت قبل الموت.

(٦، ٥) بل ينكر الإنسان البعث، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره، يسأل هذا الكافر مستبعداً قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟

(٧-١٠) فلذا تحير البصر وذهش فزعاً مما رأى من أهوال يوم القيامة، وذهب نور القمر، وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، يقول الإنسان وقتها: أين المهرب من العذاب؟

(١١، ١٢) ليس الأمر كما تمناه -أيها الإنسان- من طلب الفرار، لا ملجأ لك ولا منجى. إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة ومستقرهم، فيجازي كلأ بها يستحق.

(١٣) يخبر الإنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله: من خير وشر، ما قلّمه منها في حياته وما أخره.

(١٤، ١٥) بل الإنسان حجة واضحة على نفسه تلزمه بما فعل أو ترك، ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن إجرامه، فإنه لا ينفعه ذلك.

(١٦-١٩) لا تحرك -أيها النبي- بالقرآن لسانك حين نزول الوحي؛ لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلّت منك. إن علينا جمعه في صدرك، ثم أن تقرأه بلسانك متى شئت. فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فاستمع لقرآته وأنصت له، ثم اقرأه كما أقرأك إياه، ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه.

(٢٠، ٢١) ليس الأمر كما زعمتم - يا معشر المشركين - أن لا بعث ولا جزاء، بل أنتم قوم تحبون الدنيا وزينتها، وتتركون الآخرة ونعيمها.

(٢٢، ٢٣) وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة ناعمة، ترى خالقها ومالك أمرها، فتتمتع بذلك.

(٢٤، ٢٥) ووجوه الأشقياء يوم القيامة عابسة كالحة، تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقسم فقار الظن.

(٢٦-٣٠) حقاً إذا وصلت الروح إلى أعالي الصدر، وقال بعض الحاضرين لبعض: هل من راق يزيه ويشفيه عما هو فيه؟ وأيقن المحتضر أن الذي نزل به هو فراق الدنيا؛ لمعايته ملائكة الموت، واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، إلى الله تعالى مساق العباد يوم القيامة: إما إلى الجنة وإما إلى النار.

(٣١-٣٥) فلا آمن الكافر بالرسول والقرآن، ولا آذى الله تعالى فرائض الصلاة، ولكن كذب بالقرآن، وأعرض عن الإيمان، ثم مضى إلى أهله يتختر غتلاً في مشيته. هلاك لك فهلاك، ثم هلاك لك فهلاك.

(٣٦-٤٠) أيطنُّ هذا الإنسان المنكر للبعث أن يترك همتلاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يحاسب ولا يعاقب؟ ألم بك هذا الإنسان نقطة ضعيفة من ماء مهين يراق ويصب في الأرحام، ثم صار قطعة من دم جامد، فخلقه الله بقدرته وسوَّى صورته في أحسن تقويم؟ فجعل من هذا الإنسان الصنفين: الذكر والأنثى، أليس ذلك الإله الخالق لهذه الأشياء بقادر على إعادة الخلق بعد فناءهم؟ بل إنه - سبحانه وتعالى - لقادر على ذلك.

﴿سورة الإنسان﴾

- (١) قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان قبل أن تُنفَخ فيه الروح، لم يكن شيئاً يُذكر، ولا يُعرف له أثر.
- (٢، ٣) إنا خلقنا الإنسان من نقطة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، نخبره بالتكاليف الشرعية فيما بعد، فجعلناه من أجل ذلك ذا سمع وذا بصر؛ ليسمع الآيات، ويرى الدلائل، إنا نبيناً له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر؛ ليكون إما مؤمناً شاكراً، وإما كفوراً جاحداً.
- (٤) إنا أعدنا للكافرين قيوداً من حديد تُشدُّ بها أرجلهم، وأغلالاً تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم، ونارا يُحرقون بها.
- (٥) إن أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله، يشرَّبون يوم القيامة من كأس فيها خمر ممزوجة بأحسن أنواع الطيب، وهو ماء الكافور.

عَيْنَا لَشَرِّ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ نَجِزُ نَجْزَهَا تَقْصِيرًا ﴿١٠﴾ وَفَوْقَ بَابِهَا ثَوْنٌ
يَوْمَ كَانَ مَرْثَاهُ مُنْجَسَةً ﴿١١﴾ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ
وَيَسِيمَا أَسِيرًا ﴿١٢﴾ إِمَّا نَطْغَمُكُمْ لَوْحَةً أَلَيْهَا لَازِمٌ مَنُجَّرَةً وَلَا مَشُورًا
﴿١٣﴾ إِنْ تَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُورًا فَقَطِّرْ بِرَا ﴿١٤﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ قَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١٥﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَدَّوْا لَجَنَةً وَخَرَّيْرًا ﴿١٦﴾
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٧﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَمْطُلُهَا تَذِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانْنِيَّةٍ
مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِدًا ﴿١٩﴾ فَوَارِدًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿٢٠﴾
وَيَسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ رِجَالُهَا نُجِيلًا ﴿٢١﴾ عَيْنَا فِيهَا سَقَى سَلْسِلًا
﴿٢٢﴾ وَيُطَوَّلُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا دَأْبُكُمْ حَسْبُكُمْ وَلَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٣﴾ وَلَا أَزَلَّتْ قَرَارَاتُ نَعِيمَا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ
خُضْرٌ وَأَسَافِرٌ صَلَوَاتُ أَسَافِرٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٦﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ
مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْكِعْنَا أَوْكِعًا ﴿٢٨﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٩﴾

(١٠-٦) هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله، يتصرفون فيها، ويُجرّونها حيث شاؤوا إجراءً سهلاً. هؤلاء كانوا في الدنيا يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من طاعة الله، ويخافون عقاب الله في يوم القيامة الذي يكون ضرره خطيراً، وشره فاشياً منتشراً على الناس، إلا من رحم الله، ويطعمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم إليه، فقيراً عاجزاً عن الكسب لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وطفلاً مات أبوه وهو دون سن البلوغ ولا مال له، وأسيراً أسر في الحرب من المشركين وغيرهم، ويقولون في أنفسهم: إننا نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضاً ولا نقصد هدماً ولا ثناء منكم. إننا نخاف من ربنا يوماً شديداً نجس فيه الوجوه، وتتقلب الجباه من فظاعة أمره وشدة هول.

(١١-١٤) فوَقَّعَهُمُ اللهُ من شدة ذلك اليوم، وأعطاهم حسناً ونوراً في وجوههم، وبهجة وفرحاً في قلوبهم، وأثابهم بصبرهم في الدنيا على الطاعة جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا، ويَلْبَسُونَ فيها الحرير الناعم، متكئين فيها على الأسرة المزينة بفاخر الثياب والستور، لا يرون فيها حر شمس ولا شدة برد، وقرية منهم أشجار الجنة مظلة عليهم، وسُهل لهم أخذ ثمارها تسهلاً.

(١٥-١٨) ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضية، وأكواب الشراب من الزجاج، زجاج من فضة، قدَّرها السقاة على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص، ويُسقى هؤلاء الأبرار في الجنة كأساً مملوءة خراً مزجت بالزنجبيل، يشربون من عين في الجنة تسمى سلسيلاً؛ سلامة شرابها وسهولة مساعه وطيبه.

(١٩) ويدور على هؤلاء الأبرار لخدمتهم غلمان دائمون على حالهم، إذا أبصرتهم ظننتهم -حسنتهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم- للؤلؤ المفرق المضيء.

(٢٠) وإذا أبصرت أي مكان في الجنة رأيت فيه نعيماً لا يُذكره الوصف، ومُلْكاً عظيماً واسعاً لا غاية له.

(٢١) يعلوهم ويحمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، وظاهرها من الحرير الغليظ، ويَزَيِّنُونَ من الحرير بأساور من الفضة، وسقاهاهم بهم فوق ذلك النعيم شراباً لا رجس فيه ولا دنس.

(٢٢) ويقال لهم: إن هذا أعد لكم مقابل أعمالكم الصالحة، وكان عملكم في الدنيا عند الله مرضياً مقبولاً.

(٢٣) إننا نحن نزلنا عليك -أيها الرسول- القرآن تنزيلاً من عندنا؛ لتذكر الناس بما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب.

(٢٤، ٢٥) فاصبر لحكم ربك القدري وأقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منغمساً في الشهوات أو مبالغاً في الكفر والضلال، وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِن هَؤُلَاءِ
يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَبِيلًا ۝ تَحْنُ خَلْقَهُمْ
وَسَدَدْنَا آثَارَهُمْ وَلَذًا بَشْتًا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝ إِن
هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَمَا شَاءَ وَنَ
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يَدْخُلُ
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَاللَّظَالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ۝ فَأَلْصَقَتْ عَصْفًا ۝ وَالنَّشْرُ نَشْرًا ۝
فَالْمُرْقَاتُ فَرَقًا ۝ فَأَلْمَقِيَّتُ ذِكْرًا ۝ عَذَارًا أَوْذَارًا ۝ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ ۝ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝
وَالِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ ۝ وَإِذَا الرُّسُلُ أُوتِنَتْ ۝ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ۝ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُلَيْعُهُمُ الْآخَرِينَ ۝
كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝

(٢٦) ومن الليل فاسجد له، وصلى له،
وتسجد له زمناً طويلاً فيه.

(٢٧) إن هؤلاء المشركين يحبون الدنيا،
وينشغلون بها، ويتركون خلف ظهورهم
العمل للأخرة، ولما فيه نجاتهم في يوم عظيم
الشهادة.

(٢٨) نحن خلقناهم، وأحكمنا خلقهم، وإذا
شنا أهلكتناهم، وجنتنا بقوم مطيعين ممثلين
لأوامر الله.

(٢٩-٣١) إن هذه السورة بها فيها من ترغيب
وترهيب، ووعد ووعيد عظة للعالمين، فمن
أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان
والتقوى طريقاً يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه.
وما تريدون أمراً من الأمور إلا بتقدير الله
ومشيئته. إن الله كان عليماً بأحوال خلقه، حكيماً
في تدبيره وصنعه، يُدخل من يشاء من عباده في
رحمته ورضوانه، وهم المؤمنون، وأعد للظالمين
المتجاوزين حدود الله عذاباً موجعاً.

سورة المرسلات

(١-٧) أقسم الله تعالى بالرياح حين تهب
متابعة يققو بعضها بعضاً، وبالرياح الشديدة

المحبوب المهلكة، وبالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله، وبالملائكة التي تنزل من عند الله بها يفرق بين الحق
والباطل والحلال والحرام، وبالملائكة التي تتلقى الوحي من عند الله وتنزل به على أنبيائه؛ [عذاراً من الله إلى خلقه وإنذاراً
منه إليهم؛ لئلا يكون لهم حجة. إن الذي توعدون به من أمر يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء لنازل بكم لا محالة.

(٨-١٥) فإذا النجوم طُمِسَتْ وذهب ضياؤها، وإذا السماء تصدعت، وإذا الجبال تطايرت وتناثرت وصارت هباء تذرّوه
الرياح، وإذا الرسل عُيِّنَ لهم وقت وأجل للفصل بينهم وبين الأمم، يقال: لأيّ يوم عظيم أخرت الرسل؟ أخرت ليوم
القضاء والفصل بين الخلائق. وما أعلمك - أيّ شيء هو يوم الفصل وشدته وهوله؟ هلاك عظيم في ذلك
اليوم للمكذّبين بهذا اليوم الموعود.

(١٦-١٨) ألم يهلك السابقين من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم للرسل كقوم نوح وعاد وثمود؟ ثم نلحق بهم المتأخرين ممن
كانوا مثلهم في التكذيب والعصيان. مثل ذلك الإهلاك الفظيع نفعل بهؤلاء المجرمين من كفار «مكة»؛ لتكذيبهم الرسول
صلى الله عليه وسلم.

(١٩) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة لكل مكذّب بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والنبوة، والبعث،
والحساب.

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ۖ فَعَلَّاهُمْ فِي قُرَارِ مَكِينٍ ۖ إِلَى قَدِيرٍ
مَّعْلُومٍ ۖ فَقَدْ رَأَوْا نَعِيمَ الْقَادِرُونَ ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ
أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ۖ أَحْيَاةً وَأَمْوَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشَى
شَجَرَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَكَاتَا ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ
أَنْظِلُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ أَنْظِلُوا إِلَى طَلِي ذِي تَلَكُثٍ
شُعْبٍ ۖ لَا طَيْلِيلَ وَلَا بَغْيَ مِنَ اللَّهِ ۖ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ
كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفَّرٌ ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ
هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۖ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ قَعْدَرُونَ ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ جَمَعْتُمْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۖ فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَيَكِيدُونَ ۖ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ إِنْ الْمُنَاقِبِينَ
فِي ظُلُلٍ وَغُيُوبٍ ۖ وَفَوَكَهَهُمْ مِمَّا رَشَعُوا ۖ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا
يَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ وَقِيلَ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ كَلُوا وَشَبِعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ جَزَاءُكُمْ ۖ وَقِيلَ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ وَأَذِيقُوا لَهُمْ رُكْعُوا لَا يَزِيدُكُمْ ۖ وَقِيلَ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۖ

(٢٠-٢٣) أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ - يا معشر الكفار - من ماء ضعيف حقير وهو النطفة، فجعلنا هذا الماء في مكان حصين، وهو رحم المرأة، إلى وقت محدد ومعلوم عند الله تعالى؟ فقد رنا على خلقه وتصويره وإخراجه، فنعيم القادرون نحن. (٢٤) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بقدرتنا.

(٢٥-٢٧) أَلَمْ نَجْعَلِ هذه الأرض التي تعيشون عليها، تضم على ظهرها أحياء لا يحصون، وفي بطنها أموات لا يحصرون، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت عاليات؛ لئلا تضطرب بكم، وأسقينكم ماء عذبا سائغا؟

(٢٨) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بهذه النعم.

(٢٩-٣٣) يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، سيروا فاستظفوا بدخان جهنم الذي يتفرع منه ثلاث قطع، لا يظلل ذلك الظل من حر ذلك اليوم، ولا يدفع من حر اللهب شيئا. إن جهنم تقذف من النار بشر عظيم، كل شرارة منه كالبناء المشيد في العظم والارتفاع. كان شر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصفرة.

(٣٤) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بوعيد الله.

(٣٥، ٣٦) هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه المكذبون بكلام ينفعهم، ولا يكون لهم إذن في الكلام فيعتدون؛ لأنه لا عذر لهم.

(٣٧) هلاك وعذاب شديد يومئذ للمكذبين بهذا اليوم وما فيه.

(٣٨، ٣٩) هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلاق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه - يا معشر كفار هذه الأمة - مع الكفار الأولين من الأمم الماضية، فإن كان لكم حيلة في الخلاص من العذاب فاحتالوا، وأنقذوا أنفسكم من بطش الله وانتقامه.

(٤٠) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم القيامة.

(٤١-٤٥) إن الذين خافوا ربه في الدنيا، واتقوا عذابه بامثال أوامره واجتنب نواهيه، هم يوم القيامة في ظلال الأشجار الوارفة وغيرن الماء الجارية، وفواكه كثيرة مما تشتهيهم أنفسهم يتنعمون. يقال لهم: كلوا أكلا لذيقا، واشربوا شربا هنيئا؛ بسبب ما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال. إننا بمثل ذلك الجزاء العظيم نجزي أهل الإحسان في أعمالهم وطاعتهم لنا. هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الجزاء والحساب، وما فيه من النعيم والعذاب.

(٤٦) ثم هدّد الله الكافرين فقال: كلوا من لثائد الدنيا، واستمتعوا بشهواتها الفانية زمنا قليلا؛ إنكم مجرمون بإشراككم بالله.

(٤٧) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الحساب والجزاء.

(٤٨) وإذا قبل هؤلاء المشركين: صلّوا الله واخلشوا له، لا يخشعون ولا يصلّون، بل يصرون على استكبارهم.

(٤٩، ٥٠) هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بآيات الله. إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأي كتاب وكلام بعده يؤمنون؟ وهو المبيّن لكل شيء، الواضح في حكمه وأحكامه، المعجز في ألفاظه ومعانيه.

﴿سورة النازعات﴾

(١-٣) عن أي شيء يسأل بعض كفار قريش بعضاً؟ يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن، وهو القرآن العظيم الذي ينبئ عن البعث الذي شك فيه كفار قريش وكذبوا به.
(٤، ٥) ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون، سيعلم هؤلاء المشركون عاقبة تكذيبهم، ويظهر لهم ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم سيتأكد لهم ذلك، ويتأكد لهم صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، من القرآن والبعث.
وهذا تهديد ووعد لهم.

(٦) ألم نجعل الأرض مهاداً لكم كالفرش؟
(٧) والجبال رواسي؟ كي لا تتحرك بكم الأرض؟
(٨) وخلقناكم أصنافاً ذكراً وأنثى؟
(٩) وجعلنا نومكم راحة لأبدانكم، فيه تهدؤون وتسكنون؟
(١٠) وجعلنا الليل لباساً لتلبسكم ظلمته، وتغشاكم، كما يستر الثوب لابسهُ؟
(١١) وجعلنا النهار معاشاً تنتشرون فيه لمعاشكم، وتسعون فيه لمصالحكم؟
(١٢) وبنينا فوقكم سبع سموات متينة البناء بحكمة الخلق، لا صدوع لها ولا فطور؟

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۚ
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۚ اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مَهْدًا ۚ
وَالْجِبَالَ اَوْتَادًا ۚ وَخَلَقْنَاكُمْ اَزْوَاجًا ۚ وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا ۚ
۞ وَجَعَلْنَا الْاَيْلَ لِبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۚ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۚ وَاَنْزَلْنَاهُ
اَلْمُصْحِرَ مَاءً غَاجًا ۚ اَلَمْ نُخْرِجْ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۚ وَجَنَّاتٍ
اَلْفَاافًا ۚ اِنَّ يَوْمَ الْقَصْرِ كَانَ مِيقَتًا ۚ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ اَفْوَاجًا ۚ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ۚ فَكَانَتْ اَبْوَابُهَا ۚ وَسُيِّرَتِ
اَلْجِبَالُ ۚ فَكَانَتْ سَرَابًا ۚ اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۚ لِّلظَّالِمِيْنَ
مَعَابًا ۚ لِّئَلَّا يَتَذَكَّرَ اُولَٔئِكَ فِيهَا بُرْءًا وَّلَا تَرْجَا ۚ
۞ اِلَّا اِلْحِيْمًا وَعَسَافًا ۚ جَزَاءُ وِفَاقًا ۚ اِنَّهُمْ كَانُوْا
لَا يَرْجُوْنَ حِسَابًا ۚ وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ
اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۚ فَذُقُوْا فَلَنْ تَزِيْدَ كُمْ اِلَّا عَذَابًا ۚ

(١٣) وجعلنا الشمس سراجاً وقاداً مضيئاً؟
(١٤-١٦) وانزلنا من السحب المطيرة ماء منصّباً بكثرة؛ لنخرج به حباً مما يقتات به الناس وحشائش مما تأكله الدواب، ويساتين ملئفة بعضها ببعض لتشعب أغصانها؟
(١٧، ١٨) إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتاً وميعاداً محدداً للأولين والآخرين، يوم ينفخ المثلّك في «القرن» إنيذانا بالبعث فتأتون أممًا، كل أمة مع إمامهم.
(١٩) وفتحت السماء، فكانت ذات أبواب كثيرة لتزول الملائكة.
(٢٠) وُسِفَت الجبال بعد ثبوته، فكانت كالسراب.
(٢١-٢٦) إن جهنم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أُعدت لهم، للكافرين مرجعاً، ماكين فيها دهوراً متعاقبة لا تنقطع، لا يقطعون فيها ما يُبْرَد حرّ السعير عنهم، ولا شرباً يرويههم، إلا ماء حاراً، وصديد أهل النار، يجازون بذلك جزاء عادلاً؛ موافقاً لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا.
(٢٧-٣٠) إنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له، وكذبوا بها جاءتهم به الرسل تكذيباً، وكلّ شيء علمناه وكتبناه في اللوح المحفوظ، فذوقوا -أيها الكافرون- جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذاباً فوق عذابكم.

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ مَقَرًّا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأْسًا
 دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءَ وَلَا كِتَابًا ۖ جَزَاءً مِمَّنْ رَبُّكَ عَطَاءٌ
 حِسَابًا ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
 مِنْهُ خِطَابًا ۖ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۖ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَنْ
 شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا قَاتِلًا يَوْمَ يَنْظُرُ
 الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَكَلِّمُنِي كُنْتُ نُرْيَا ۖ

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّارِ عَتِ عَرْقًا ۖ وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا ۖ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۖ
 فَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۖ فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ۖ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّازِحَةُ ۖ
 تَتَّبِعُهَا الرَّاكِدَةُ ۖ قُلُوبٌ قَوْمِيذٍ وَاجِدَةً ۖ أَصْبَرُهَا خَشِيعَةً ۖ
 يَقُولُونَ إِنَّا نَأْمُرُ دُودُونَ فِي الْمَلَافَةِ ۖ لَوْ ذَاكَ عَظْمًا نَحْنُ ۖ قَالُوا
 تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۖ فَلَمَّا هَيَّجَتْ رَجَعَتْ وَاحِدَةً ۖ فَذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۖ
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْأُولَىٰ الْمَقْدِيرِ طُوى ۖ

(٣١-٣٥) إن للذين يخافون ربهم ويعملون صالحاً، فوزاً بدخولهم الجنة. إن لهم بساتين عظيمة وأعناباً، ولهم زوجات حديثات السن قد استدارت أئداؤهن مع ارتفاع سير، مستويات في سن واحدة، ولهم كأس مملوءة خمراً. لا يسمعون في هذه الجنة باطلاً من القول، ولا يكذب بعضهم بعضاً.

(٣٦-٣٩) هم كل ذلك جزاء ومئة من الله وعطاء كثيراً كافياً لهم، رب السموات والأرض وما بينهما، رحيم الدنيا والآخرة، لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه، يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفين، لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة، وقال حقاً وسداداً. ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، فمن شاء النجاة من أهواله فليتخذ إلى ربه مرجعاً بالعمل الصالح.

(٤٠) إِنَّا حَذَرْنَاكَ عَذَابَ يَوْمِ الْآخِرَةِ الْقَرِيبِ الذي يرى فيه كل امرئ ما عمل من خير أو اكتسب من إثم، ويقول الكافر من هول الحساب: يا ليتني كنت تراباً فلم أبعث.

﴿سورة النازعات﴾

(١-٧) أقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعاً شديداً، والملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين بنشاط ورفق، والملائكة التي تنسح في نزولها من السماء وصعودها إليها، فالملائكة التي تسبق وتسارع إلى تنفيذ أمر الله، فالملائكة المنفذات أمر ربهما فيما أوكل إليها تدبيره من شؤون الكون، -ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير خالقه، فإن فعل فقد أشرك- لتبعن الخلائق وتُحاسب، يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة، تتبعها نفخة أخرى للإحياء.

(٨، ٩) قلوب الكفار يومئذ مضطربة من شدة الخوف، أبصار أصحابها ذليلة من هول ما ترى.

(١٠-١٢) يقول هؤلاء المكذبون بالبعث: أنرد بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟ أنرد وقد صرنا عظاماً بالية؟ قالوا: رجعتنا تلك ستكون إذا خائبنا كاذبة.

(١٣، ١٤) فإنها هي نفخة واحدة، فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها.

(١٥، ١٦) هل أتاك -أيها الرسول- خبر موسى؟ حين ناداه ربه بالوادي المطهر المبارك «طوى».

(١٧-١٩) فقال له: اذهب إلى فرعون، إنه قد أفرط في العصيان، قل له: أتود أن تطهر نفسك من النقائص وتعلمها بالإيمان، وأرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتيقها؟

(٢٠-٢٢) فأرى موسى فرعونَ العلامة العظمى: العصا واليد، فكذب فرعون نبي الله موسى عليه السلام، وعصى ربه عز وجل، ثم ولَّى معرضاً عن الإيمان مجتهداً في معارضة موسى.

(٢٣-٢٦) فجمع أهل مملكته وناداهم، فقال: أنا ربكم الذي لا رب فوقه، فانتقم الله منه بالعذاب في الدنيا والآخرة، وجعله عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين. إن فرعون وما نزل به من العذاب لموعظة لمن يتعظ وينزجر.

(٢٧-٣٣) أبغضكم - أيها الناس - بعد الموت أشد في تقديركم أم خلق الساء؟ رفعها فوقكم كالبناء، وأعلى سقفها في الهواء لا تفاوت فيها ولا فطور، وأظلم ليلها بغروب شمسها، وأبرز نهارها بشروقها. والأرض بعد خلق الساء بسطها، وأودع فيها منافعها، وفجر فيها عيون الماء، وأنبت فيها ما يرعى من النباتات، وأثبت فيها الجبال أوتاداً لها. خلق سبحانه كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم.

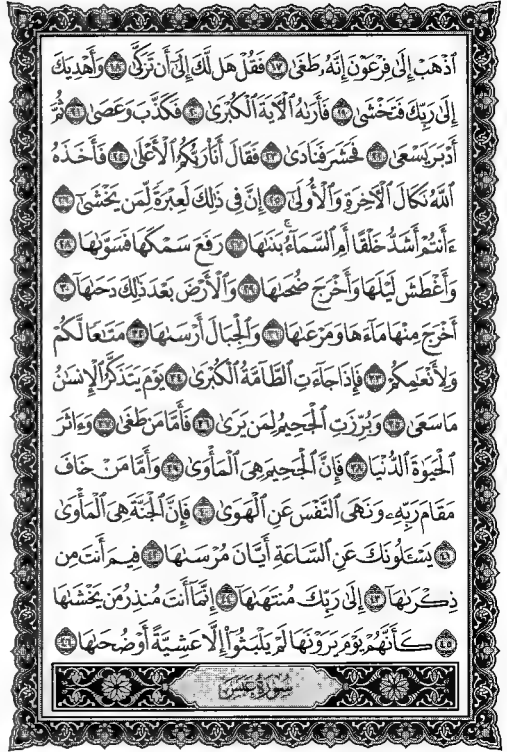
إن إعادة خلقكم يوم القيامة أهون على الله من خلق هذه الأشياء، وكله على الله هين يسير.

(٣٤-٣٦) فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى وهي النفخة الثانية، عندئذ يُعرض على الإنسان كل عمله من خير وشر، فيذكره ويعترف به، وأظهرت جهنم لكل مُبصر تُرى عياناً.

(٣٧-٣٩) فأما من تمرد على أمر الله، وفُضِّل الحياة الدنيا على الآخرة، فإن مصيره إلى النار.

(٤٠، ٤١) وأما من خاف القيام بين يدي الله للحساب، ونهى النفس عن الأهواء الفاسدة، فإن الجنة هي مسكنه.

(٤٢-٤٦) يسألك المشركون - أيها الرسول - استخفافاً - عن وقت حلول الساعة التي تتوعدهم بها. لست في شيء من علمها، بل مرد ذلك إلى الله عز وجل، وإنها شأنك في أمر الساعة أن تحذر منها من يخافها. كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا في الحياة الدنيا؛ هول الساعة إلا ما بين الظهر إلى غروب الشمس، أو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار.



﴿سورة عبس﴾

(١، ٢) ظهر التغير والعبوس في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعرض لأجل أن الأعمى عبدالله بن أم مكتوم جاء مسترشداً، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مشغولاً بدعوة كبار قريش إلى الإسلام.

(٣، ٤) وأي شيء يجعلك عالماً بحقيقة أمره؟ لعله بسؤاله تزكو نفسه وتطهر، أو يحصل له المزيد من الاعتبار والازدجار.

(٥-٧) أما من استغنى عن هديك، فأنت تعرض له وتصني إلى كلامه، وأي شيء عليك ألا يتطهر من كفره؟

(٨-١٦) وأما من كان حريصاً على لقائك، وهو يخشى الله من التقصير في الاسترشاد، فأنت عنه تشاغل. ليس الأمر كما فعلت -أيها الرسول-، إن هذه السورة بما اشتملت عليه من الهداية موعظة لك ولكل من شاء الاعتاط. فمن شاء ذكر الله وأنتم بوجهه، هذا الوحي، وهو القرآن

في صحف معظمة، موقرة، عالية القدر مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بأيدي ملائكة كتبة، سفراء بين الله وخلقه، كرام الخلق، أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة.

(١٧-٢٣) لعن الإنسان الكافر وعذب، ما أشد كفره بربه!! ألم ير من أي شيء خلقه الله أول مرة؟ خلقه الله من ماء قليل -وهو المتي- فقدره أطواراً، ثم بين له طريق الخير والشر، ثم أماته فجعل له مكاناً يقبر فيه، ثم إذا شاء سبحانه أحياءه، وبعثه بعد موته للحساب والجزاء. ليس الأمر كما يقول الكافر ويفعل، فلم يؤد ما أمره الله به من الإيمان والعمل بطاعته.

(٢٤-٣٢) فليتبسر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ بأننا صببنا الماء على الأرض صباً، ثم شققناها بها أخرجنا منها من نبات شتى، فأنبثنا فيها حباً، وعبأ وعلفاً للدواب، وزيتونا ونخلاً، وحدائق عظيمة الأشجار، وثباراً وكلاً، تنعمون بها أنتم وأنعامكم.

(٣٣-٣٧) فإذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تصم من هولها الأسباع، يوم يفر المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه. لكل واحد منهم يومئذ أمر يمنعه من الانشغال بغيره.

(٣٨-٤٠) وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستتيرة، مسرورة فرحة، ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودة.

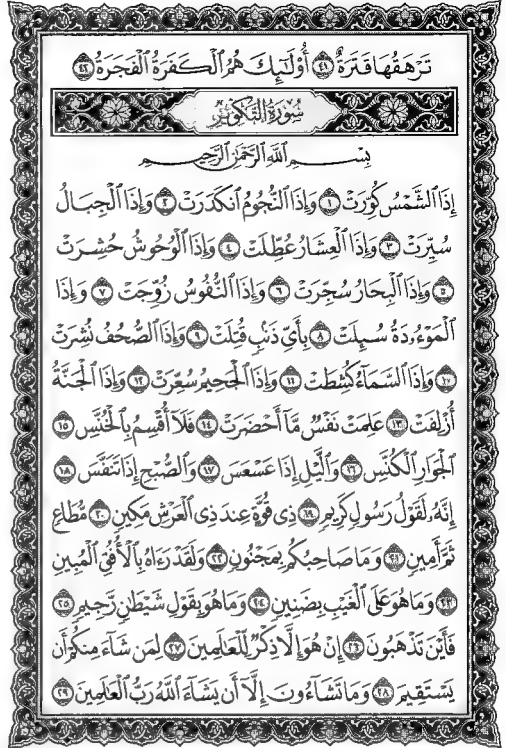
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّاهُ يَنْزِلُ ۝
أَوَيْدُكَ فَتَنْفَعُهُ الْذُّرَى ۚ أَمَّا إِنِ اسْتَفْتَى ۖ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ۖ وَأَمَّا تَنْجَاءُكَ يَسْعَى ۖ وَهُوَ يَخْفَى ۝
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۖ كَلَّا إِنَّا تَذَكَّرُ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۖ فِي صُحُفٍ
مُكَرَّمَةٍ ۖ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۖ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝
قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ ۖ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ مِنْ نُطْفَةٍ
خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۖ ثُمَّ أَسْبَلَ سِرَّهُ ۖ ثُمَّ أَمَانَةً قَافَرَهُ ۖ ثُمَّ إِذَا
شَاءَ أَنْشَرَهُ ۖ كَلَّا لَمَّا يُفِضْ مَا أَمَرُ ۖ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۖ
أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَثْنَا فِيهَا
حَبًّا ۖ وَعَبَأَ وَعَصَبًا ۖ وَزَيْتُونًا تَحْلًا ۖ وَحَدَائِقَ غُلَبًا ۖ وَفَجًّا
وَأَبَا ۖ مَتَعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمَكُم ۖ فَإِذَا جَاءَ أَصَاخُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَدِيقَتِهِ ۖ وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ وَرُجُوءٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرٌ ۖ
صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَرُجُوءٌ يَوْمَئِذٍ غَابَرَةٌ ۖ

(٤١، ٤٢) تنشأها ذلّة، أولئك الموصوفون بهذا الوصف هم الذين كفروا بنعم الله وكذبوا بآياته، وتجرؤوا على محارمه بالفجور والطغيان.

﴿سورة التكوير﴾

(١-١٤) إذا الشمس لُقّت وذهب ضوؤها، وإذا النجوم تناثرت، فذهب نورها، وإذا الجبال سيّرت عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثاً، وإذا النوق الحوامل تُركت وأهملت، وإذا الحيوانات الوحشية جمعت واختلطت؛ ليقصص الله من بعضها لبعض، وإذا البحار أوقدت، فصارت على عظمها ناراً تتوقد، وإذا النفوس قرّنت بأمثالها ونظارتها، وإذا الطفلة المدفونة حية شُلت يوم القيامة سؤال تطيب لها وتبكي لوائدها: بأيّ ذنب كان دنسها؟ وإذا صفح الأعمال عُرضت، وإذا السماء قُلت وأزيلت من مكانها، وإذا النار أوقدت فأضرمّت، وإذا الجنة دار النعيم قُربت من أهلها المتقين، إذا وقع



ذلك، تيقنت ووجدت كل نفس ما قدّمت من خير أو شر.

(١٥-٢١) أقسم الله تعالى بالنجوم المختلفة أنوارها نهاراً، الجارية والمسترة في أبراجها، والليل إذا أقبل بظلامه، والصبح إذا ظهر ضياؤه، إن القرآن لتبليغ رسول كريم - هو جبريل عليه السلام -، ذي قوة في تنفيذ ما يؤمر به، صاحب مكانة رفيعة عند الله، تطيعه الملائكة، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به.

(٢٢-٢٥) وما محمد الذي تعرفونه بمجنون، ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل الذي يأتيه بالرسالة على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها في الأفق العظيم من ناحية المشرق بـ «مكة»، وهي الرؤية الأولى الواقعة بـ «غار حراء». وما محمد صلى الله عليه وسلم ببخيل في تبليغ الوحي. وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، مطرود من رحمة الله، ولكنه كلام الله ووحيه.

(٢٦-٢٩) فأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بالقرآن بعد هذه الحجج القاطعة؟ ما هو إلا موعظة من الله لجميع الناس، لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان، وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين.

﴿سورة الانفطار﴾

(١-٥) إذا السماء انشقت، واختل نظامها، وإذا الكواكب تساقطت، وإذا البحار فجّر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها، وإذا القبور قلبت بيعت من كان فيها، حيث تعلم كل نفس جميع أعمالها، ما تقدم منها وما تأخر، وجوزيت بها.

(٦-٨) يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغترّ بربك الجواد كثير الخير، الحقيقي بالشكر والطاعة، اليس هو الذي خلقك فسوّى خلقك فعدّلك، وركّبك لأداء وظائفك، في أي صورة شاءها خلقك؟

(٩-١٢) ليس الأمر كما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله محبون، بل تكذبون بيوم الحساب والجزاء. وإن عليكم للملائكة رقباء كراماً على الله كاتبين لما وُكِّلوا بإحصائه، لا يفوتهم من أعمالكم شيء، يعلمون ما تفعلون من خير أو شر.

(١٣) إن الأتقياء القائمين بحقوق الله وحقوق عباده لفي نعيم.

(١٤-١٦) وإن الفجار الذين قصّروا في حقوق الله وحقوق عباده لفي جحيم، يصيبهم لهبها يوم الجزاء، وما هم عن عذاب جهنم بغائبين لا بخروج ولا بموت.

(١٧-١٩) وما أدراك ما عظمت يوم الحساب، ثم ما أدراك ما عظمت يوم الحساب؟ يوم الحساب لا يقدر أحد على نفع أحد، والأمر في ذلك اليوم لله وحده الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه أحد.

﴿سورة المطففين﴾

(١-٤) عذاب شديد للذين يبخسون المكيال والميزان، الذين إذا اشتروا من الناس مكيلاً أو موزوناً يوفون لأنفسهم، وإذا باعوا الناس مكيلاً أو موزوناً يَنْقُصُونَ في المكيال والميزان، فكيف يحال من يسرقها ويختلسها، ويبخس الناس أشياءهم؟ إنه أولى بالوعيد من مطففي المكيال والميزان. ألا يعتقد أولئك المطففون أن الله تعالى باعهم ومحاسبهم على أعمالهم؟

(٦٥، ٦٤) سيكون بعثهم في يوم عظيم الهول، يوم يقوم الناس بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، وهم فيه خاضعون لله رب العالمين. (٧-٩) حقاً أن مصير المُجَارِ وأَوهام لفي ضيق، وما أدراك ما هذا الضيق؟ إنه سجن مقيم وعذاب أليم، وهو ما كُتب لهم المصير إليه، مكتوب مفروغ منه، لا يزداد فيه ولا يُنقص. (١٠-١٧) عذاب شديد يومئذ للمكذبين، الذين يكذبون بوقوع يوم الجزاء، وما يكذب به إلا كل ظالم كثير الإثم، إذا تسلى عليه آيات القرآن قال: هذه أباطيل الأولين. ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله ووحيه إلى نبيه، وإنما حجب قلوبهم عن التصديق به ما غشأها من كثرة ما يرتكبون من الذنوب. ليس الأمر كما زعم الكفار، بل إنهم يوم القيامة عن رؤية ربهم -جل وعلا- لمحجوبون. وفي هذه الآية دلالة على رؤية المؤمنين ربهم في الجنة. ثم إنهم لداخلو النار يقاسون حرها، ثم يقال لهم: هذا

يَوْمٌ عَظِيمٌ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ١٧ كِتَابٌ مَرْمُومٌ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٨ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُضْتَرٍّ أُنِيمٍ ﴿إِذَا تَسَلَّى عَلَيْهِ إِيشَاقُ قَالَ أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٩ كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ ٢٠ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ٢١ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ لَفِي عِلِّيْنٍ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ٢٢ كِتَابٌ مَرْمُومٌ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٢٣ إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نُجِيِّمٍ ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يُنْظَرُونَ﴾ ٢٤ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ ٢٥ خِتْمُهُ مِسْكَ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَّافِسَ الْمُنْتَفِسُونَ﴾ ٢٦ وَمَرَّاجِعُهُمْ تَنَجُّسٍ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٢٧ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَضْغَعُونَ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ٢٨ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمُ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ٢٩ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿

الجزء الذي كنتم به تكذبون.

(١٨-٢١) حقاً أن كتاب الأبرار -وهم المتقون- لفي المراتب العالية في الجنة. وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه المراتب العالية؟ كتاب الأبرار مكتوب مفروغ منه، لا يزداد فيه ولا يُنقص، يُطَّلَع عليه المقربون من ملائكة كل سماء. (٢٢-٢٨) إن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتمتعون، على الأسرة ينظرون إلى ربهم، وإلى ما أعد لهم من خيرات، ترى في وجوههم بهجة النعيم، يُسْقَوْنَ من خر صافية محكم إناؤها، آخره رائحة مسك، وفي ذلك النعيم المقيم فليتسابق المتسابقون. وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعَرَّفُ لعلوها بـ «تنسيم»، عين أعدت؛ ليشرب منها المقربون، ويتلذذوا بها.

(٢٩-٣٣) إن الذين أجروا كانوا في الدنيا يستهزون بالمؤمنين، وإذا مروا بهم يتغامزون سخرية بهم. وإذا رجع الذين أجروا إلى أهلهم وذويهم تفكَّهوا معهم بالسخرية من المؤمنين. وإذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اتبعوا الهدى قالوا: إن هؤلاء لتائهون في اتباعهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وما بُعث هؤلاء المجرمون رقباء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
الْأَرَابِكِ يُنْظَرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ نُؤْتِي الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأُذِنَتْ لَهَا وَحُفَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأُذِنَتْ لَهَا وَحُفَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْقِ
رَكْبَهُ يَمِينُهُ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يَحْصِي حِسَابًا بَصِيرًا ﴿٨﴾ وَيَقْلُبُ
إِلَى أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِ رَكْبَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَمْسُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

﴿سورة الانشقاق﴾

(١-٥) إذا السماء تصدّعت، وتفتّرت بالغيام
يوم القيامة، وأطاعت أمر ربها فيما أمرها به
من الانشقاق، وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره. وإذا
الأرض بُسطت ووُسّعت، ودكت جبالها في
ذلك اليوم، وقذفت ما في بطنها من الأموات،
وتخلّلت عنهم، وانقادت لربها فيما أمرها به،
وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره.

(٦) يا أيها الإنسان إنك ساعٍ إلى الله، وعامل أعمالاً من خير أو شر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فيجازيك بعملك بفضله أو
عدله. أن لن يرجع

(٧-٩) فأما من أعطي صحيفة أعماله بيمينه، وهو المؤمن بربه، فسوف يحاسب حساباً سهلاً، ويرجع إلى أهله في الجنة مسروراً.
(١٠-١٥) وأمّا مَنْ أُوقِ ظَهْرَهُ، وهو الكافر بالله، فسوف يدعو بالهلاك والثبور، ويدخل النار
مقاسياً حرها. إنه كان في أهله في الدنيا مسروراً مغروراً، لا يفكر في العواقب، إنه ظنَّ أن لن يرجع إلى خالقه حياً للحساب.
بلى سيعيده الله كما بدأه ويمجّزه على أعماله، إن ربه كان به بصيراً عليماً بحاله من يوم خلقه إلى أن بعثه.

(١٦-١٩) أقسم الله تعالى باحمرار الأفق عند الغروب، وبالليل وما جمع من الدواب والحشرات والهوام وغير ذلك،
وبالقمر إذا تكامل نوره، لتَرْكَبُنَّ -أيها الناس- أطواراً متعددة وأحوالاً متباعدة: من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ
الروح إلى الموت إلى البعث والنشور. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله، ولو فعل ذلك لأشرك.

(٢٠-٢٤) فأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُهُمُ مِنَ الْإِيْمَانِ بالله واليوم الآخر بعد ما وُضِّحَتْ لهم الْآيَاتُ؟ وما لهم إذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا
يَسْجُدُونَ لله، وَلَا يَسْلَمُونَ بِمَا جَاءَ فِيهِ؟ إِنَّمَا سَجِيَّةُ الَّذِينَ كَفَرُوا التَّكْذِيبُ وَمُخَالَفَةُ الْحَقِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ
مِنَ الْعِنَادِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّمَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ حَقًّا، فَبَشِّرْهُمْ -أيها الرسول- بِأَنَّهُمْ -بأن الله- عز وجل -قد أعدَّ لهم عَذَابًا مُّوجِعًا.

(٢٥) لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وأدوا ما فرضه الله عليهم، لهم أجر في الآخرة غير مقطوع ولا متقوص.

﴿سورة البروج﴾

(١-٩) أقسم الله تعالى بالسماوات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر، وبيوم القيامة الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، وشاهد يشهد، ومشهود يشهد عليه، -ويقسم الله - سبحانه - بها يشاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بغير الله، فإن القسم بغير الله شرك - لئمن الذين شقوا في الأرض شقاً عظيماً، لتعذيب المؤمنين، وأوقدوا النار الشديدة ذات الوقود، إذ هم قعود على الأخدود ملازمون له، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تكليل وتعذيب حضور. وما أخذوهم بمثل هذا العقاب الشديد إلا أن كانوا مؤمنين بالله العزيز الذي لا يغالب، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه،

الذي له ملك السموات والأرض، وهو - سبحانه - على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء.

(١٠) إن الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن دين الله، ثم لم يتوبوا، فلهم في الآخرة عذاب جهنم، ولهم العذاب الشديد المحرق.

(١١) إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ذلك الفوز العظيم.

(١٢-١٦) إن انتقام ربك من أعدائه وعذابه لهم أعظم شديد، إنه هو يبدئ الخلق ثم يعيده، وهو الغفور لمن تاب، كثير المودة والمحبة لأوليائه، صاحب العرش، المجيد الذي بلغ المنتهى في الفضل والكرم، فعَال لما يريد، لا يمتنع عليه شيء يريد.

(١٧-٢٢) هل بلغك - أيها الرسول - خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها، فرعون وثمود، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال، لم يعتبر القوم بذلك، بل الذين كفروا في تكذيب متواصل كذاب من قبلهم، والله قد أحاط بهم علماً وقدره، لا يخفى عليه منهم ومن أعمالهم شيء. وليس القرآن كما زعم المكذبون المشركون بأنه شعر وسحر، فكذبوا به، بل هو قرآن عظيم كريم، في لوح محفوظ، لا يناله تبدل ولا تحريف.

﴿سورة الطارق﴾

(٤-١) أقسم الله سبحانه بالسَّاء والنجم الذي يطرق ليلاً، وما أدراك ما عظم هذا النجم؟ هو النجم المضيء المتوجع. ما كل نفس إلا أوكل بها ملك رقيب يحفظ عليها أفعالها؛ لتحاسب عليها يوم القيامة.

(٥-٨) فلينظر الإنسان المنكر للبعث مم خلق؟ ليعلم أن إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أولاً، خلق من مني منصب بسرعة في الرحم، يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة. إن الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت.

(٩، ١٠) يوم تختبر السرائر فيها أخفئته، ويُعَيَّر الصالح منها من الفاسد، فما للإنسان من قوة يدفع بها عن نفسه، وما له من ناصر يدفع عنه عذاب الله.

(١١-١٤) والسَّاء ذات المطر المتكرر، والأرض ذات التشقق بما يتخللها من نبات، إن القرآن لقول فصل بين الحق والباطل، وما هو بالهزل. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله، وإلا فقد أشرك.

(١٥-١٧) إن المكذِبين للرسول صلى الله عليه وسلم، وللقرآن يكيدون ويدبرون؛ ليدفعوا بكيدهم الحق ويؤيدوا الباطل، وأكيد كيداً لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، فلا تستعجل لهم -أيها الرسول- بطلب إنزال العقاب بهم، بل أمهلهم وأنظرهم قليلاً، ولا تستعجل لهم، وسترى ما يحلُّ بهم من العذاب والنعك والحقبة والهلاك.

﴿سورة الأعراف﴾

(١-٥) نَزَّه اسم ربك الأعلى عن الشريك والتناقض تنزيهاً يليق بعظمته سبحانه، الذي خلق المخلوقات، فأتقن خلقها، وأحسنه، والذي قَدَّر جميع المقدرات، هدى كل خلق إلى ما يناسبه، والذي أنبت الكَلأ الأخضر، فجعله بعد ذلك هشيأً جافاً متغيراً إلى السَّواد بعد أخضراره.

(٦، ٧) سنقرئك -أيها الرسول- هذا القرآن قراءة لا تنساها، إلا ما شاء الله مما اقتضت حكمته أن ينسئ لمصلحة يعلمها. إنه -سبحانه- يعلم الجهر من القول والعمل، وما يخفي منها.

(٨) ونيسرك ليسرى في جميع أمورك، ومن ذلك تسهيل تلقِّي أعباء الرسالة، وجعل دينك يسراً لا عسر فيه. (٩، ١٠) فِعِظ قومك -أيها الرسول- حسبنا يسرناه لك بما يوحى إليك، واهداهم إلى ما فيه خيرهم. وخصَّ بالتذكير مَنْ يُرجى منه التذكُّر، ولا تُعِيب نفسك في تذكير مَنْ لا يورثه التذكير إلا عتواً ونفوراً. سيتعظ الذي يخاف ربه.

(١١-١٥) ويتعد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه، الذي سيدخل نار جهنم العظمى يقاسي حرّها، ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه. قد فاز من طهر نفسه من الأخلاق السيئة، وذكر الله، فوحد دعوته وعمل بما يرضيه، وأقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وامتثالاً لشرعه.

(١٦) إنكم - أيها الناس - تفضلون زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة.

(١٧) والدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم، خير من الدنيا وأبقى.

(١٨، ١٩) إن ما أخبرتم به في هذه السورة هو مما ثبت معناه في الصحف التي أنزلت قبل القرآن، وهي صحف إبراهيم وموسى عليها السلام.

﴿سورة الغاشية﴾

(١) هل أتاك - أيها الرسول - خبر القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟

(٢-٧) وجوه الكفار يومئذ ذليلة بالعذاب، مجعدة بالعمل متعبة، تصيبها نار شديدة

التوهج، تُسقى من عين بلغت منتهى الحرارة، ليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق بالأرض، وهو من شر الطعام وأخبثه، لا يُسمن بدن صاحبه من الهزال، ولا يسدُّ جوعه ورمقه.

(٨-١٦) وجوه المؤمنين يوم القيامة ذات نعمة؛ لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة، في جنة رفيعة المكان والمكانة، لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة، فيها عين تتدفق مياهها، فيها سرر عالية، وأكواب معدة للشاربين، ووسائد مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى، وبُسُط كثيرة مفروشة.

(١٧-٢٠) أفلا ينظر الكافرون المكذبون إلى الإبل: كيف خُلِقَ هذا الخلق العجيب؟ وإلى السماء كيف رُفِعَ هذا الرفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصِبَت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟ وإلى الأرض كيف بُسِطَتْ ومُهَدَّتْ؟ (٢١، ٢٢) فغط - أيها الرسول - المعرضين بها أرسلت به إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم، ليس عليك إكراههم على الإيمان.

وَوَجَّهَهَا إِلَى الْأَشْقَى الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْقِيَامَةِ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۚ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۚ تَصَلَّى نَارًا كَالْحَامِيَةِ ۚ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ ۚ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيرٍ ۚ لَا يُسْنُ وَلَا يُعْنَى مِنْ جُوعٍ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۚ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۚ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۚ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةٌ ۚ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۚ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۚ وَأَكْوَابٌ ۚ مَوْسُوعَةٌ ۚ وَنِجَارٌ مَصْفُوفٌ ۚ وَزَكَرَاتُ غُلَامٍ ۚ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۚ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۚ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۚ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۚ فَذَكِّرْ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۚ

الْأَمْنِ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَعِذْبُهُ أَلْوَدَّ أَبَ الْأَكْبَرِ ۚ
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جِسَابَهُمْ ۖ

سُورَةُ الْقَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْقَجَرِ ۚ وَلِيَالٍ عَشْرٍ ۚ وَالسَّفْعُ وَالْوَتْرُ ۚ وَالْيَلِيلُ إِذَا يَسِرُ ۚ
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۚ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۚ
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۚ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۚ وَشُعُوبَ الَّذِينَ
جَانُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۚ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۚ الَّذِينَ طَعَفُوا فِي
الْبِلَادِ ۚ فَأَكْفَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۚ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَإِلْمٌ رَصَادٌ ۚ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَدَأَهُ
رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۚ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْدَانِ ۚ كَلَّا لَبَلَّ لَا يَتَذَكَّرُونَ
الْيَتِيمَ ۚ وَلَا تَحْصُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۚ وَتَأْكُلُونَ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۚ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمَعٍ ۚ كَلَّا إِذَا
دُكِّيَ الْأَرْضُ دُكًّا ۚ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ

(٢٣، ٢٤) لكن الذي أعرض عن التذكير
والموعظة وأصرَّ على كفره، فعذبته الله العذاب
الشديد في النار.

(٢٥، ٢٦) إِنَّ إِلَيْنَا مرجعهم بعد الموت، ثم إن
علينا جزاءهم على ما عملوا.

﴿سورة القجر﴾

(١-٥) أقسم الله سبحانه بوقت الفجر، والليالي
العشر الأول من ذي الحجة وما شرفت به،
وبكل شفع وفرد، وبالليل إذا يسري بظلامه،
أليس في الأقسام المذكورة متعق لذي عقل؟

(٦-٨) ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل
ربك بقوم عاد، قبيلة إرم، ذات القوة والأبنية
المرفوعة على الأعمدة، التي لم يُخلق مثلها في
البلاد في عظم الأجساد وقوة البأس؟

(٩) وكيف فعل بشمود قوم صالح الذين قطعوا
الصخر بالوادي واتخذوا منه بيوتاً؟

(١٠) وكيف فعل بفرعون مَلِك «مصر»،
صاحب الجنود الذين ثبَّتوا مُلْكَه، وقوَّوا له
أمره؟

(١١-١٤) هؤلاء الذين استبدُّوا، وظلموا في بلاد الله، فأكثرُوا فيها بظلمهم الفساد، فصب عليهم ربك عذاباً شديداً. إِنَّ
ربك - أيها الرسول - لبالمرصاد لمن يعصيه، يمهله قليلاً، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

(١٥) فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه بالنعمة، ويسطو له رزقه، وجعله في أطيب عيش، فيظن أن ذلك لكرامته عند ربه،
فيقول: ربي أَكْرَمَنِ.

(١٦) وأما إذا ما اختبره، فضيَّقَ عليه رزقه، فيظن أن ذلك هوانه على الله، فيقول: ربي أَهْأَنْتَ.

(١٧-٢٠) ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان، بل الإكرام بطاعة الله، والإهانة بمعصيته، وأنتم لا تكرمون اليتيم الذي مات
أبوه وهو صغير، ولا تحسنون معاملته، ولا تبحثُ بعضكم بعضاً على إطعام المحتاج الذي لا يملك ما يكفيه ويسدُّ حاجته،
وتأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلاً شديداً، وتحبون المال حباً مفرطاً.

(٢١، ٢٢) ما هكذا ينبغي أن يكون حالكم. فإذا رُزِلَت الأرض وكسرت بعضُها بعضاً، وجاء ربك لفصل القضاء بين خلقه،
والملائكة صفواً صفواً.

(٢٣، ٢٤) وحيء في ذلك اليوم العظيم بهنهم، يومئذ ينطق الكافر ويتوب، وكيف ينفعه الاتعاظ والتوبة، وقد فرط فيها في الدنيا، وفات أوامرها؟ يقول: يا ليتني قدمت في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياي في الآخرة.

(٢٥، ٢٦) ففي ذلك اليوم العاصب لا يستطيع أحد ولا يقدر أن يُعذَّب مثل تعذيب الله من عصاه، ولا يستطيع أحد أن يوثق مثل وثاق الله، ولا يبلغ أحد مبلغه في ذلك.

(٢٧-٣٠) يا أيها النفس المطمئنة إلى ذكر الله والإيمان به، وبما أعدّه من النعيم للمؤمنين، ارجعي إلى ربك راضية بإكرام الله لك، والله سبحانه قد رضي عنك، فادخلي في عداد عباد الله الصالحين، وادخلي معهم جنتي.

﴿سورة البلد﴾

(١-٤) أقسم الله بهذا البلد الحرام، وهو «مكة»، وأنت -أيها النبي- حلال في هذا «البلد الحرام» تصنع فيه ما شئت، ولم يحل له إلا ساعة من نهار. وفي الآية إشارة للنبي صلى الله عليه وسلم

بفتح «مكة» على يديه، وحلها له في القتال. وأقسم بوالد البشرية -وهو آدم عليه السلام- وما تناسل منه من ولد، لقد خلقنا الإنسان في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.

(٥) أظنُّ بما جمعه من مال أن الله لن يقدر عليه؟

(٦، ٧) يقول -متباهياً-: أنفقت مالا كثيراً. أظنُّ في فعله هذا أن الله عز وجل لا يراه، ولا يحاسبه على الصغير والكبير؟

(٨-١٠) ألم نجعل له عيتين يبصر بهما، ولساناً وشفتين ينطق بها، وبيتاً له سبيلَي الخير والشر؟

(١١) فهلاً تجاوز مشقة الآخرة بإنفاق ماله، فيأمن.

(١٢) وأي شيء أعلمك: ما مشقة الآخرة، وما يعين على تجاوزها؟

(١٣) إنه عتق رقبة مؤمنة من أسر الرّق.

(١٤-١٦) أو إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة، يتيماً -مات أبوه وهو صغير- من ذوي القرابة يجتمع فيه فضل الصدقة وصلة الرحم، أو فقيراً معدماً لا شيء عنده.

(١٧) ثم كان مع فعل ما ذكر من أعمال الخير من الذين أخلصوا للإيمان الله، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وتواصوا بالرحمة بالخلق.

(١٨) الذين فعلوا هذه الأفعال، هم أصحاب اليمين، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَاتِهِمْ أَخَذَ اللَّهُ مَسَمَةً ۖ عَلَيْهِمْ ذُرُؤُصَدَةٌ ۖ

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۚ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۚ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۚ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۚ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۚ وَالْأَرْضِ

وَمَا طَوَّاهَا ۚ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّاهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۚ

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۚ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۚ فَقَالَ لَهُمْ

رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۚ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ

عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۚ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۚ

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۚ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۚ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ

إِنْ سَعَى كَلَشَى ۚ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۚ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۚ

فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى ۚ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۚ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۚ

(١٩) والذين كفروا بالقرآن هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى النار. (٢٠) جزاؤهم جهنم مطبقة مغلقة عليهم.

﴿سورة الشمس﴾

(١-١٠) أقسم الله بالشمس ونهارها وإشراقها ضحى، وبالقمر إذا تبعها في الطلوع والأفول، وبالنهار إذا جلى الظلمة وكشفها، وبالليل عندما يغطي الأرض فيكون ما عليها مظلماً، وبالسما والبناء المحكم، وبالأرض وبسطها، وبكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها، فيبين لها طريق الشر وطريق الخير، قد فاز من طهرها ونماها بالخير، وقد خسر من أخفى نفسه في المعاصي.

(١١-١٥) كذبت ثمود نبيها ببلوغها الغاية في العصيان، إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة، فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدل على صدق نبيكم، واحذروا

أن تعتدوا على سقيها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم. فسق عليهم ذلك، فكذبوه فيما توعدهم به فنحروها، فأطبق عليهم ربه العقوبة بجرهم، فجعلها عليهم على السواء فلم يُفْلِت منهم أحد. ولا يخاف -جلت قدرته- نعمة أنزله بهم من شديد العقاب.

﴿سورة الليل﴾

(١-٤) أقسم الله سبحانه بالليل عندما يغطي بظلامه الأرض وما عليها، وبالنهار إذا انكشف عن ظلام الليل بضياؤه، وبخلق الزوجين: الذكر والأنثى. إن عملكم لمختلف بين عامل للدنيا وعامل للآخرة. (٥-٧) فأما من بذل من ماله واتقى الله في ذلك، وصدق بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء، فسرسده ونوفقه إلى أسباب الخير والصالح، ونيسر له أموره. (٨، ٩) وأما من بخل بماله واستغنى عن جزاء ربه، وكذب بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء.

(١٠، ١١) فَسَيُسَبِّرُ لَهُ أَسْبَابَ الشَّقَاءِ، وَلَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ الَّذِي بَخَلَ بِهِ إِذَا وَقَعَ فِي النَّارِ.

(١٢، ١٣) إِنْ عَلَيْنَا بِفَضْلِنَا وَحُكْمَتِنَا أَنْ نَبِيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَى الْمَوْصِلِ إِلَى اللَّهِ وَجَنَّتِهِ مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، وَإِنْ لَنَا مَلِكُ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَالْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(١٤) فَحَذَّرْتَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَخَوَّفْتَكُمْ نَارَ أَتَوْجِهَ، وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ.

(١٥، ١٦) لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ شَدِيدَ الشَّقَاءِ، الَّذِي كَذَّبَ نَبِيَّ اللَّهِ حُمُودًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَطَاعَتِهِمَا.

(١٧-٢١) وَسَيُحْزَنُ عَنْهَا شَدِيدَ التَّقْوَى، الَّذِي يَبْذُلُ مَالَهُ ابْتِغَاءَ الْمَزِيدِ مِنَ الْخَيْرِ. وَلَيْسَ إِنْفَاقُهُ ذَاكَ مِكَافَأَةً لِمَنْ أَسَدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا، لَكِنَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَرِضَاهُ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيهِ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مَا يَرْضَى بِهِ.

﴿سورة الضحى﴾

(١-٣) أَقْسَمَ اللَّهُ بِوَقْتِ الضُّحَى، وَالْمُرَادُ بِهِ

النَّهَارُ كُلُّهُ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ بِالْخَلْقِ وَاشْتَدَّ ظُلَامُهُ. وَيُقْسَمُ اللَّهُ بِهَا بِشَاءٍ مِنْ خُلُوقَاتِهِ، أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْسَمَ بِغَيْرِ خَالِقِهِ، فَإِنَّ الْقِسْمَ بِغَيْرِ اللَّهِ شُرْكٌ. مَا تَرَكْتُ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - رَبِّكَ، وَمَا أَبْغَضْتُكَ لِإِبْطَاءِ الْوَحْيِ عَنْكَ.

(٤، ٥) وَلَلْدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - مِنْ أَنْوَاعِ الْإِنْعَامِ فِي الْآخِرَةِ، فَتَرْضَى بِذَلِكَ.

(٦-٨) أَلَمْ يُحِذِّكْ مِنْ قَبْلُ يَتِيمًا مَاتَ أَبُوكَ وَأَنْتَ حُلٌّ فِي بَطْنِ أُمَّكَ، فَأَوَّاكَ وَرَعَاكَ؟ وَوَجَدَكَ لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ، فَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَوَفَّقَكَ لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ؟ وَوَجَدَكَ فَقِيرًا، فَسَاقَ إِلَيْكَ رِزْقَكَ، وَأَغْنَى نَفْسَكَ بِالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ؟

(٩-١١) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَيْسَسْ مُعَامَلَتَهُ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَزْجِرْهُ، بَلْ أَطْعَمْهُ، وَاقْضِ حَاجَتَهُ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيْكَ فَتَحَدَّثْ بِهَا.

﴿سورة الشرح﴾

(١، ٢) أَلَمْ نَوْسِعْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لَكَ صَدْرَكَ لِشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِتِّصَافِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَحِطْطَانِ عَنْكَ بِذَلِكَ جَهْلِكَ.

(٣، ٤) الذي أثقل ظهرك، وجعلناك - بما أنعمنا عليك من المكارم - في منزلة رفيعة عالية؟
(٥، ٦) فلا يُنَبِّئُكَ أذى أعدائك عن نشر الرسالة؛
فإن مع الضيق فرجاً، إن مع الضيق فرجاً.
(٧، ٨) فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها فاجتهد في العبادَةِ، وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده.

﴿سورة التين﴾

(١-٦) أقسم الله بالتين والزيتون، وهما من الشجار المشهورة، وأقسم بجبل «طور سيناء» الذي كلم الله عليه موسى تكليماً، وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف، وهي «مكة» مهبط الوحي. لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة، ثم رددناه إلى النار إن لم يطع الله، ويتبع الرسل، لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر عظيم غير مقطوع ولا متقوص.
(٧) أي شيء يجملك - أيها الإنسان - على أن تكذب بالبعث والجزاء مع وضوح الأدلة على قدرة الله تعالى على ذلك؟

(٨) أليس الله الذي جعل هذا اليوم للفصل بين الناس بأحكام الحاكمين في كل ما خلق؟ بلى. فهل يُترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا يُنهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ لا يصح ذلك ولا يكون.

﴿سورة العلق﴾

(١-٥) اقرأ - أيها النبي - ما أنزل إليك من القرآن مُفَتِّحاً باسم ربك المتفرد بالخلق، الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمر. اقرأ - أيها النبي - ما أنزل إليك، وإن ربك لكثير الإحسان واسع الجود، الذي علّم خلقه الكتابة بالقلم، علّم الإنسان ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.
(٦-٨) حقاً أن الإنسان ليتجاوز حدود الله إذا أبطره الغنى، فليعلم كل طاغية أن المصير إلى الله، فيجازي كل إنسان بعمله.

(٩-١٢) أرايت أعجب من طغيان هذا الرجل، وهو أبو جهل، الذي ينهى عبدنا إذا صلى لربه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم؟ أرايت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى فكيف ينهاه؟ أو إن كان أمراً غيره بالتقوى أيهاها عن ذلك؟

(١٣-١٩) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ أَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَرَى ۖ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۖ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۖ فَلَيَدْعُنَّ كَادِيَهُ ۖ سَدَنًا ۖ الرِّيَابِيَةَ ۖ كَلَّا لَا تَطْغَعُ ۖ وَأَسْجُدْ ۖ وَاقْتَرِبْ ۖ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۖ لَيْلَةُ الْقَدْرِ رَحْمَةٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۖ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۖ ﴿١٤﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقُ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ۖ ﴿١٥﴾

﴿سورة القدر﴾

- (١) إنا أنزلنا القرآن في ليلة الشرف والفضل، وهي إحدى ليالي شهر رمضان.
- (٢) وما أدراك - أيها النبي - ما ليلة القدر والشرف؟
- (٣) ليلة القدر ليلة مباركة، العمل الصالح فيها خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر.

وهو تفضل من الله تعالى على هذه الأمة.

(٤) يكثر نزول الملائكة وجبريل عليه السلام فيها، بإذن ربهم من كل أمر قضاء في تلك السنة.

(٥) هي آمن كلها، لا شر فيها إلى مطلع الفجر.

﴿سورة البينة﴾

- (١) لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وعدوا بها في الكتب السابقة.
- (٢) وهي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، يتلو قرآنًا في صحف مطهرة.
- (٣) في تلك الصحف أخبار صادقة وأوامر عادلة، تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.
- (٤) وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً حقاً؛ لما يجدونه من نعته في كتبهم، إلا من بعد ما تبينوا أنه النبي الذي وعدوا به في التوراة والإنجيل، فكانوا مجتمعين على صحة نبوته، فلما بُعث تفرقوا: فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد نبوته بغياً وحسداً.
- (٥) وما أُمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده قاصدين بعبادتهم وجهه، مائلين عن الشرك إلى الإيثار، ويقوموا الصلاة، ويؤدوا الزكاة، وذلك هو دين الاستقامة، وهو الإسلام.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُ هُمُ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ حَسَنَ رِبَّهُ ۖ ۝

سورة التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا نَزَّلْنَا لَكَ الْأَرْضَ زَلْزَلًا ۝ وَأَخْرَجْتَ الْأَرْضَ أَنْفَاقًا ۝ وَقَالَ
الْأَنْسُ مَنْ مَالُهَا ۝ يَوْمَ نَحْدُثُ أَخْبَارَهَا ۝ بَلْ ذَرَكْ أَوْحَىٰ لَهَا
يَوْمَ مَدَّ يَدُوهُ لِلنَّاسِ أَشْتَاتًا لِّئَلَّا يُرَوِّا عَنْكَ ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعِدَائِيَّاتِ ضَبْحًا ۖ ﴿١﴾ فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا ۖ ﴿٢﴾ فَأَلْمُغِيرَتِ
ضَبْحًا ۖ ﴿٣﴾ فَأَتَرْنَ بِهِ نَفْعًا ۖ ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۖ ﴿٥﴾

(٦) إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين عقابهم نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم أشد الخلقة شرًا.

(٧) إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ.

(٨) جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في منتهى الحسن، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها أبداً، رضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة ورضوا عنه بما أعدمهم من أنواع الكرامات، ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه.

﴿سورة الزلزلة﴾

(١-٣) إِنْ أَزْجَيْتَ الْأَرْضَ رَجًّا شَدِيدًا،
وَأَخْرَجْتَ مَا فِي بَطْنِهَا مِنْ مَوْتَى وَكُنُوزِ،
وَتَسَاءَلَ الْإِنْسَانُ فِرْعَا: مَا الَّذِي حَدَثَ لَهَا؟
(٤، ٥) يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْبَرُ الْأَرْضُ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا
مَنْ خَبَرَ أَوْ شَرَّ، وَبِأَنَّ اللَّهَ سَيَحْصِيهِ وَتَعَالَى أَمْرُهَا
بِأَنَّ تَحْبَرَ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا.

(٦) يؤمّنذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافاً متفرقين؛ ليربهم الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويجازيهم عليها.

(٧، ٨) فمن يعمل نملة صغيرة خيراً، يرثها في الآخرة، ومن يعمل نملة صغيرة شراً، يرثها في الآخرة.

﴿سورة العاديات﴾

(١) أقسم الله تعالى بالخيال الجاريات في سبيله نحو العدو، حين يظهر صوت أنفاسها من سرعة عَدُوِّها. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم إلا بالله؛ فإن القسم بغير الله شرك.

(٢) فالخيل اللاتي تنقذ النار من صلابة حوافرها؛ لشدة عذوها.

(٣) فالخيل التي تُغير بُرُكبانها على الأعداء عند الصبح.

(٤) فَهَيَّجْنَ بِهَذَا الْعَدُوَّ غِبَاراً.

(٥) فتوسطن برکبانهن جموع الأعداء.

(٦-٨) إن الإنسان ليعم ربه لجحود، وإنه بجحوده ذلك لقر. وإنه حب المال لشديد.
(٩) أفلا يعلم الإنسان ما ينتظره إذا أخرج الله الأموات من القبور للحساب والجزاء؟
(١٠) واستخرج ما استتر في الصدور من خير أو شر.

(١١) إن ربهم بهم وبأعمالهم يومئذ لحير، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿سورة القارعة﴾

(١) الساعة التي تفرق قلوب الناس بأهوالها.
(٢) أي شيء هذه القارعة؟
(٣) وأي شيء أعلمك بها؟
(٤) في ذلك اليوم يكون الناس في كثرتهم وتفرقهم وحرقتهم كالفرش المنتشر، وهو الذي يتساقط في النار.
(٥) وتكون الجبال كالصوف متعدد الألوان الذي يُنفَس باليد، فيصير هباءً ويزول.
(٦، ٧) فأما من رجحت موازين حسناته، فهو

إِنَّا الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَوَدٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَلَئِنَّهُ لِحَبِ
الْفِتْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٤﴾
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٦﴾

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ ﴿٣﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ ﴿٤﴾ فَمَا مَن تَقَلَّتْ مُوزِنُهُ ﴿٥﴾ فَهَوِيَ
عِشَّةً رَّاغِبَةٍ ﴿٦﴾ وَفَمَا مَن خَفَّتْ مُوزِنُهُ ﴿٧﴾ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٨﴾
وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿٩﴾

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ نَكُنْ لَّكُم بَٰلَدًا ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا تَعْلَمُونَ عَمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَنَرْوِيَ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾
فَنُزِّلُهَا عَنْ يَدِ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

في حياة مرضية في الجنة.

(٨، ٩) وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته، فمأواه جهنم.

(١٠) وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه الهاوية؟

(١١) إنها نار قد تحييت من الوقود عليها.

﴿سورة التكاثر﴾

(١) شغلكم عن طاعة الله التفاخر بكثرة الأموال والأولاد.
(٢) واستمر اشتغالكم بذلك إلى أن صرتم إلى المقابر، ودُفنتم فيها.
(٣) ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال، سوف تتبينون أن الدار الآخرة خير لكم.
(٤) ثم احذروا سوف تعلمون سوء عاقبة انشغالكم عنها.
(٥-٨) ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال، لو تعلمون حق العلم لانزجرتم، ولبادرتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك. لتبصروا الجحيم، ثم لتبصرونها دون ريب، ثم لتسألن يوم القيامة عن كل أنواع النعيم.

﴿سورة العصر﴾

(١، ٢) أقسم الله بالدهر؛ لما فيه من عجائب قدرة الله الدالة على عظمته، على أن بني آدم لفي هلكة ونقصان. ولا يجوز للعبد أن يقسم إلا بالله؛ فإن القسم بغير الله شرك.

(٣) إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملاً صالحاً، وأوصى بعضهم بعضاً بالاستمسك بالحق، والعمل بطاعة الله، والصبر على ذلك.

﴿سورة الحمزة﴾

(١) شر وهلاك لكل مغتاب للناس، طعان فيهم.

(٢) الذي كان همه جمع المال وتعداده.

(٣) يظن أنه صَمِنَ لنفسه بهذا المال الذي جمعه، الخلود في الدنيا والإفلات من الحساب.

(٤) ليس الأمر كما ظن، ليُطرحن في النار التي تهشم كل ما يُلقى فيها.

(٥) وما أدراك -أيها الرسول- ما حقيقة النار؟

(٦، ٧) إنها نار الله المشتعلة الشديدة اللهب، التي من شدة حرّها تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

(٨، ٩) إنها عليهم مطبقة في سلاسل وأغلال مطوّلة؛ لئلا يخرجوا منها.

﴿سورة الفيل﴾

(١) ألم تعلم -أيها الرسول- كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الحبشيّ وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟

(٢) ألم يجعل ما دبّروه من شر في إبطال وتضييع؟

(٣، ٤) وبعث عليهم طيراً في جماعات متتابعة، تقذفهم بحجارة من طين متحرّج.

(٥) فجعلهم به عظمين كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

﴿سورة قريش﴾

(٢١) اعجبوا لإلف قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء إلى «اليمن»، وفي الصيف إلى «الشام»، وتيسير ذلك؛ لجلب ما يحتاجون إليه.

(٣) فليشكروا، وليعيدوا رب هذا البيت الذي يعتزّون به - وهو الكعبة -، وبسببه نالوا الشرف والرّفعة، وليوحدوه ويخلصوا له العبادة.

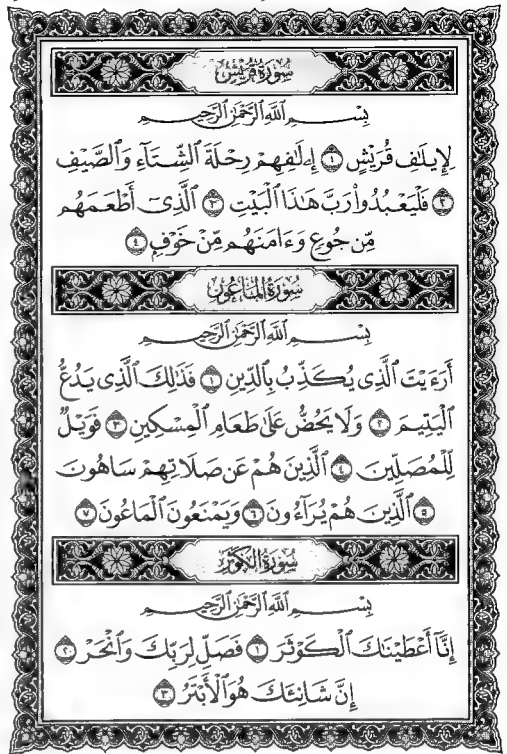
(٤) الذي أطعمهم من جوع شديد، وأمنهم من فزع وخوف عظيم.

﴿سورة الماعون﴾

(١) أرايت حال ذلك الذي يكذب بالبعث والجزاء؟

(٢) فذلك الذي يدفع اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير بعنف وشدة عن حقه؛ لقساوة قلبه.

(٣) ولا يحضّ غيره على إطعام المحتاج الذي لا



يملك ما يكفيه ويسدّ حاجته، فكيف له أن يطعمه بنفسه؟

(٤) فعذاب شديد للمصلين الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها على وجهها، ولا يؤدونها في وقتها.

(٦) الذين هم يظهرون بأعمال الخير مراعاة للناس.

(٧) ويمنعون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم، ولا هم أحسنوا إلى خلقه.

﴿سورة الكوثر﴾

(١) إنا أعطيناك - أيها النبي - الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة الذي حافته خيام اللؤلؤ المحوّف، وطينه المسك.

(٢) فأخلص لربك صلاتك كلّها، واذبح ذبيحتك له وعلى اسمه وحده.

(٣) إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور، هو المقطع أثره، المقطوع من كل خير.

﴿سورة الكافرون﴾

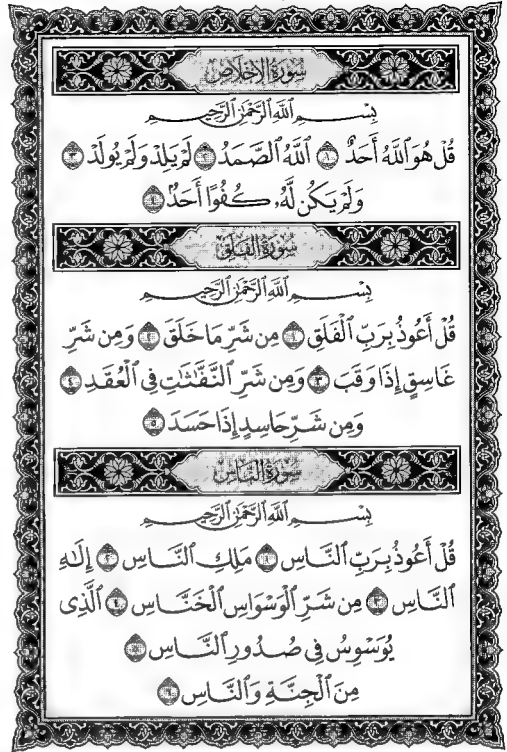
- (١) قل - أيها الرسول - للذين كفروا بالله ورسوله: يا أيها الكافرون بالله.
- (٢) لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والآلهة الزائفة.
- (٣) ولا أنتم عابدون ما أعبد من إله واحد، هو الله رب العالمين المستحق وحده للعبادة.
- (٤) ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام والآلهة الباطلة.
- (٥) ولا أنتم عابدون مستقبلاً ما أعبد.
- وهذه الآية نزلت في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً.
- (٦) لكم دينكم الذي أصرتم على اتباعه، ولي ديني الذي لا أبغي غيره.

﴿سورة النصر﴾

- (١) إذا تم لك - أيها الرسول - النصر على كفار قريش، وتم لك فتح مكة.
- (٢) ورأيت الكثير من الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات.
- (٣) إذا وقع ذلك فتبهاً للقاء ربك بالإكثار من التوسيع بحمده والإكثار من استغفاره، إنه كان كثير التوبة على المسيحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم.

﴿سورة المسد﴾

- (١) خسرت يدا أبي لهب وشقي بإيذائه رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم، وقد تحقق خسران أبي لهب.
- (٢) ما أغنى عنه ماله وولده، فلن يردّ عنه شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.
- (٣، ٤) سيدخل نار جهنم ذات اللهب المشتعل، هو وامراته التي كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأذيته.
- (٥) في عنقها حبل محكم القتل من ليف شديد خشن، تُرْفَع به في نار جهنم، ثم تُرمى إلى أسفلها.



﴿سورة الإخلاص﴾

- (١) قل -أيها الرسول-: هو الله المتفرد بالالوهية والربوبية، والأسماء والصفات لا يشاركه أحد فيها.
- (٢) الله الذي كُمل في صفات الشرف والمجد والعظمة، الذي يقصده الخلائق في قضاء الحوائج والرغائب.
- (٣) ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.
- (٤) ولم يكن له عمتان ولا مشابهاً أحد من خلقه، لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدس.

﴿سورة الفلق﴾

- (١) قل -أيها الرسول-: أعوذ وأعتصم برب الفلق، وهو الصبح.
- (٢) من شر جميع المخلوقات وأذاها.
- (٣) ومن شر ليل شديد الظلمة إذا دخل وتغلغل، وما فيه من الشرور والمؤذيات.

(٤) ومن شر الساحرات اللاتي ينفخن فيما يعقدن من عقد بقصد السحر.

(٥) ومن شر حاسد مبغض للناس إذا حسدهم على ما وهبهم الله من نعم، يريد زوالها عنهم وإيقاع الأذى بهم.

﴿سورة الناس﴾

(١) قل -أيها الرسول-: أعوذ وأعتصم برب الناس، القادر وحده على رد شر الوسواس.

(٢) ملك الناس المتصرف في كل شؤونهم، الغني عنهم.

(٣) إله الناس الذي لا معبود بحق سواه.

(٤) من أذى الشيطان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله.

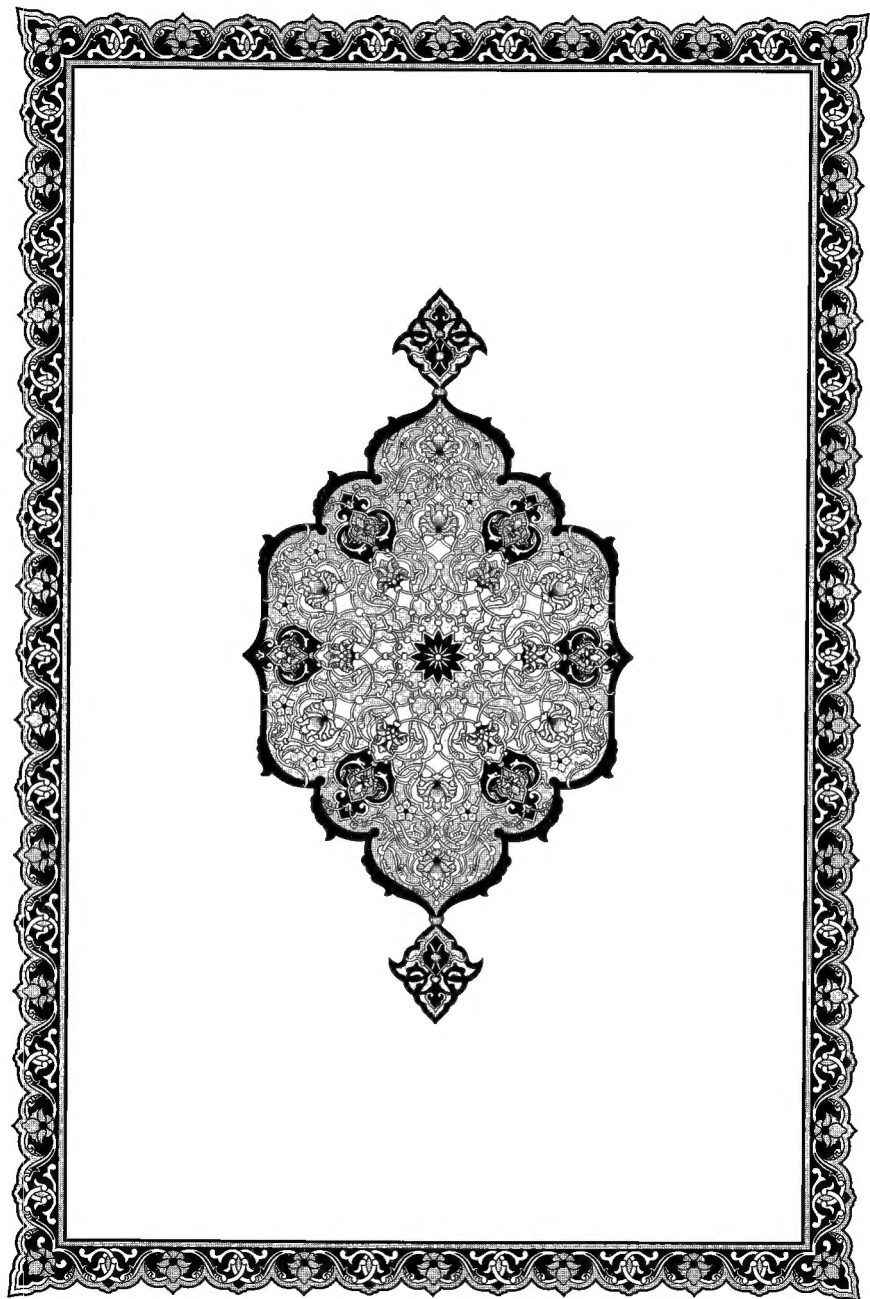
(٥) الذي يثب الشر والشكوك في صدور الناس.

(٦) من شياطين الجن والإنس.

فَهْهَسْ أَسْمَا السُّورِ وَبَيَانُ الْبَيَانِ فِي مَدَنِيَّةِهَا

السُّورَة	رَفْعُهَا	الصفحة	البيان	السُّورَة	رَفْعُهَا	الصفحة	البيان
الفَاتِحَة	١	١	مَكِّيَة	العَنَكُوت	٢٩	٣٩٦	مَكِّيَة
البَقَرَة	٢	٢	مَدَنِيَة	الزُّور	٣٠	٤٠٤	مَكِّيَة
آل عِمْرَان	٣	٥٠	مَدَنِيَة	لُقْمَان	٣١	٤١١	مَكِّيَة
النِّسَاء	٤	٧٧	مَدَنِيَة	السَّجْدَة	٣٢	٤١٥	مَكِّيَة
المَائِدَة	٥	١٠٦	مَدَنِيَة	الأَحْزَاب	٣٣	٤١٨	مَدَنِيَة
الْأَنْعَام	٦	١٢٨	مَكِّيَة	سَبَا	٣٤	٤٢٨	مَكِّيَة
الأَعْرَاف	٧	١٥١	مَكِّيَة	فَاطِر	٣٥	٤٣٤	مَكِّيَة
الْأَنْفَال	٨	١٧٧	مَدَنِيَة	يَس	٣٦	٤٤٠	مَكِّيَة
التَّوْبَة	٩	١٨٧	مَدَنِيَة	الصَّافَّات	٣٧	٤٤٦	مَكِّيَة
يُونُس	١٠	٢٠٨	مَكِّيَة	ص	٣٨	٤٥٣	مَكِّيَة
هُود	١١	٢٢١	مَكِّيَة	الرُّوم	٣٩	٤٥٨	مَكِّيَة
يُونُس	١٢	٢٣٥	مَكِّيَة	غَافِر	٤٠	٤٦٧	مَكِّيَة
الرَّعْد	١٣	٢٤٩	مَدَنِيَة	فُصِّلَت	٤١	٤٧٧	مَكِّيَة
إِبْرَاهِيم	١٤	٢٥٥	مَكِّيَة	الشُّورَى	٤٢	٤٨٣	مَكِّيَة
الحَجَر	١٥	٢٦٢	مَكِّيَة	الرُّخُوف	٤٣	٤٨٩	مَكِّيَة
التَّحَل	١٦	٢٦٧	مَكِّيَة	الدِّحَان	٤٤	٤٩٦	مَكِّيَة
الْإِسْرَاء	١٧	٢٨٢	مَكِّيَة	الْحَاجِيَة	٤٥	٤٩٩	مَكِّيَة
الكَهْف	١٨	٢٩٣	مَكِّيَة	الأَحْقَاف	٤٦	٥٠٢	مَكِّيَة
مَرْيَم	١٩	٣٠٥	مَكِّيَة	مُحَمَّد	٤٧	٥٠٧	مَدَنِيَة
طه	٢٠	٣١٢	مَكِّيَة	الْفَتْح	٤٨	٥١١	مَدَنِيَة
الْأَنْبِيَاء	٢١	٣٢٢	مَكِّيَة	الْحُجُرَات	٤٩	٥١٥	مَدَنِيَة
الحَجَّ	٢٢	٣٣٢	مَدَنِيَة	ق	٥٠	٥١٨	مَكِّيَة
المُؤْمِنُون	٢٣	٣٤٢	مَكِّيَة	الذَّارِيَات	٥١	٥٢٠	مَكِّيَة
التَّوْر	٢٤	٣٥٠	مَدَنِيَة	الطُّور	٥٢	٥٢٣	مَكِّيَة
الْفُرْقَان	٢٥	٣٥٩	مَكِّيَة	النَّجْم	٥٣	٥٢٦	مَكِّيَة
الشُّعْرَاء	٢٦	٣٦٧	مَكِّيَة	القَمَر	٥٤	٥٢٨	مَكِّيَة
النَّجْم	٢٧	٣٧٧	مَكِّيَة	الرَّحْمَن	٥٥	٥٣١	مَدَنِيَة
القَصَص	٢٨	٣٨٥	مَكِّيَة	الوَاقِعَة	٥٦	٥٣٤	مَكِّيَة

الشُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان	الشُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان
الحديد	٥٧	٥٣٧	مَدِينَة	الطارق	٨٦	٥٩١	مَكِيَة
المجادلة	٥٨	٥٤٢	مَدِينَة	الأعلى	٨٧	٥٩١	مَكِيَة
الحشر	٥٩	٥٤٥	مَدِينَة	الغاشية	٨٨	٥٩٢	مَكِيَة
الممتحنة	٦٠	٥٤٩	مَدِينَة	الفجر	٨٩	٥٩٣	مَكِيَة
الصف	٦١	٥٥١	مَدِينَة	البلد	٩٠	٥٩٤	مَكِيَة
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مَدِينَة	الشمس	٩١	٥٩٥	مَكِيَة
المنافون	٦٣	٥٥٤	مَدِينَة	الليل	٩٢	٥٩٥	مَكِيَة
التغابن	٦٤	٥٥٦	مَدِينَة	الضحى	٩٣	٥٩٦	مَكِيَة
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مَدِينَة	الشرح	٩٤	٥٩٦	مَكِيَة
التحرير	٦٦	٥٦٠	مَدِينَة	الزّين	٩٥	٥٩٧	مَكِيَة
الملك	٦٧	٥٦٢	مَكِيَة	العلق	٩٦	٥٩٧	مَكِيَة
القلم	٦٨	٥٦٤	مَكِيَة	القدر	٩٧	٥٩٨	مَكِيَة
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مَكِيَة	البينة	٩٨	٥٩٨	مَدِينَة
المعارج	٧٠	٥٦٨	مَكِيَة	الزلزلة	٩٩	٥٩٩	مَدِينَة
نوح	٧١	٥٧٠	مَكِيَة	العاديات	١٠٠	٥٩٩	مَكِيَة
الجن	٧٢	٥٧٢	مَكِيَة	القارعة	١٠١	٦٠٠	مَكِيَة
المرسل	٧٣	٥٧٤	مَكِيَة	النكاثر	١٠٢	٦٠٠	مَكِيَة
المدثر	٧٤	٥٧٥	مَكِيَة	العصر	١٠٣	٦٠١	مَكِيَة
القيامة	٧٥	٥٧٧	مَكِيَة	الهمزة	١٠٤	٦٠١	مَكِيَة
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مَدِينَة	الفيل	١٠٥	٦٠١	مَكِيَة
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مَكِيَة	قريش	١٠٦	٦٠٢	مَكِيَة
التبلي	٧٨	٥٨٢	مَكِيَة	الماعون	١٠٧	٦٠٢	مَكِيَة
التازعات	٧٩	٥٨٣	مَكِيَة	الكوثر	١٠٨	٦٠٢	مَكِيَة
عبس	٨٠	٥٨٥	مَكِيَة	الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مَكِيَة
التكوير	٨١	٥٨٦	مَكِيَة	النصر	١١٠	٦٠٣	مَدِينَة
الانفطار	٨٢	٥٨٧	مَكِيَة	المسد	١١١	٦٠٣	مَكِيَة
الطيفين	٨٣	٥٨٧	مَكِيَة	الإخلاص	١١٢	٦٠٤	مَكِيَة
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مَكِيَة	الفلق	١١٣	٦٠٤	مَكِيَة
البروج	٨٥	٥٩٠	مَكِيَة	الناس	١١٤	٦٠٤	مَكِيَة



إِنَّ فِرَاقَ الشُّوَرَنِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْأَوْقَافِ وَالِدَعْوَةَ وَالْإِسْلَامَ

فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

الْمَشْرُفَةِ عَلَى مَجْمَعِ الْمَلِكِ فَهَيْدِ

إِطْبَاعَةَ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

إِذْ يُسْرُّهَا أَنْ يُصَدِّرَ الْمَجْمَعُ هَذِهِ الطَّبْعَةَ مِنَ التَّفْسِيرِ لِلْيَسَّرِ

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ عُمُومَ الْمُتَسَلِّحِينَ

وَأَنْ يَجْزِيَ

خَلَامَةَ الْحَرَمِيِّ الشَّرِيفِيِّ، الْمَلِكِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّعُودِيِّ

أَحْسَنَ الْجَزَاءِ عَلَى جُهُودِهِ الْعَظِيمَةِ فِي تَشْرِكَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَعُلُومِهِ

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْتَوَفِيقِ



الْمَجْمَعُ الْمَلِكِي فَهَذَا طَبَاعَةً الْمُصَنَّفِ الشَّرِيفِ

kfcphq@qurancomplex.org